



الزراعة في بلادنا السعيدة
 منذ زواجر العهد البيزنطي إلى نهائير العهد العثماني



المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام

٩-١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ / ١-٥ نيسان ٢٠١٢ م

المجلد الأول

الزراعة في بلادنا السعيدة منذ زواجر العهد البيزنطي إلى نهائير العهد العثماني

تحرير

عبدالله محمد الفهري

محمد عثمان النجدي

منشور من مركز الوثائق والتاريخ - دوراس - بيروت - الطبعة الأولى

٢٠١٣ هـ / ١٤٣٤ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(م٢٠١٣/٧/٢٠٧٦)

٦٣٠

مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام . عمان
الزراعة في بلاد الشام من أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية
العهد العثماني / تحرير محمد عدنان البخيت ، حسين محمد
القهواتي . - عمان : المركز ، ٢٠١٣م
(١-٤) . مجلدات
١م (٨١٥) ص .
ر . ا . : م٢٠١٣/٧/٢٠٧٦ .
الواصفات : / الزراعة // بلاد الشام // العصر العثماني /

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى .

(*) جميع الحقوق محفوظة لمركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، ولا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مُسبق من مدير مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام .

* All rights are reserved for The Center For Documents & Manuscripts and Bilad al Sham Studies. No part of these publications may be reproduced or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the Director of the Center For Documents & Manuscripts and Bilad al Sham Studies .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلَّا مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ الْعَلِيِّ الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّسْمِ

إِلَّا بِدَوْلَاتِهِ

زَيْدِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ عَرَبِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ

الَّذِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ سُدَّ عَائِيَّاهُ وَجَبَّوْهُ لِفَتْحِ

إِلَّا أَنْ يَمْتَعَنَ فِي كَيْدِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ إِنْ سَأَلَ

محمد عذنان البنجيت

٢١ شعبان ١٤٣٤ هـ

٣٠ حزيران ٢٠١٣ م

المقدمة

دأبت لجنة تاريخ بلاد الشام منذ تأسيسها عام ١٩٧٢م على عقد مؤتمرات نوعية عالمية ، كانت تختار عناوينها هيئة مختصة وبمشورة واسعة ، ومن ثم تفتاح أهل العلم للإسهام في محاورها ، كل وفق تخصصه الدقيق . وقد عقدت اللجنة منذ ذلك الحين تسعة مؤتمرات عُقد آخرها في رحاب الجامعة الأردنية من ٩-١٣ جمادى الأولى الموافق ١-٥ نيسان ٢٠١٢م وكان بعنوان الزراعة في بلاد الشام منذ العهد البيزنطي وحتى نهاية العهد العثماني ونحن الآن بصدد نشر بحثه تباعاً .

ولعله من المفيد أن نذكر بأننا باشرنا فور ختام المؤتمر بالطلب إلى الزملاء المشاركين بمراجعة بحوثهم ، في ضوء المناقشات والمداخلات والتعقيبات التي رافقت أعمال المؤتمر ، لإعداد نسخة معدلة منها ، وقد استجاب معظم الباحثين مشكورين لطلبنا وأرسلوا لنا بحوثهم المعدلة ، وعندها بدأ دورنا في إحالة كل بحث إلى محكم أو أكثر ليطلعنا على قيمة البحث العلمية وصلاحيته للنشر وفق الأسس التي تعتمدها عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية ، وهي الشروط نفسها التي اعتمدها منذ تأسيس لجنة تاريخ بلاد الشام ، وعملنا وفقها في تقويم البحوث التي قدمت إلى المؤتمرات الثمانية السابقة ، والتي رأيت النور في مجلدات عدة وغدت مصدراً مهماً من مصادر البحث التاريخي وموئل اهتمام الكثير من الدارسين المهتمين بتاريخ بلاد الشام ، الذين وجدوا فيها زاهم وأصبحت موضع العناية الفائقة لدى الباحثين من العلماء الفضلاء الأجلاء .

وينبغي أن نضيف أيضاً بأننا أعدنا كل بحث بعد التقويم إلى صاحبه

لينقحه وفق ملاحظات المقومين وما يدعو للغبطة أن الاستجابة من جانب الكثير من الباحثين كانت مرضية . ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما أحلنا جميع النسخ النهائية إلى التدقيق التاريخي والتحرير اللغوي وإلى النظر في سلامة التوثيق وتوحيد المصطلحات ومعادلة السنوات الهجرية بالميلادية ، وضبط أسماء المؤلفين وتواريخ وفياتهم وذكر أجزاء أو مجلدات كتبهم ، وطبعاتها وإعداد الكشافات عن أسماء الأعلام والأماكن وغيرها .

وأنه غير خاف على أهل الاختصاص والمعرفة أن مثل هذه المتابعات العلمية تستغرق وقتاً غير قصير وتحتاج إلى جهد غير يسير ويلزمها الصبر ودقة الملاحظة للوصول بالبحوث إلى المستوى اللائق للنشر .

وبعد استكمال هذه الإجراءات وزعنا البحوث النهائية على أربعة مجلدات خصص المجلد الأول للدراسات التي اعتمدت المخطوطات والمصادر الأولية لتجسيد واقع الزراعة في بلاد الشام في حقب تاريخية متعددة ، يمكن الاطلاع على عناوينها في محتويات هذا المجلد ، وسيخصص المجلد الثاني للمياه في بلاد الشام استناداً إلى المصادر الأولية الموثوقة أما المجلد الثالث فإنه سيشمل البحوث التي اعتمدت على سجلات المحاكم الشرعية ودوائر الطابو وملفات البلديات والدراسات الميدانية ، في بيان واقع الزراعة والأراضي الزراعية ، والمبايعات العقارية الزراعية والأمثال الشعبية الزراعية ، وأسواق المحاصيل الزراعية . وسيخصص المجلد الرابع والأخير للموضوعات المتفرقة المتعلقة بالزراعة والمحاصيل الزراعية والرسوم والآفات الزراعية وكوارثها ، والتقنيات الزراعية وغيرها .

وبعد كل هذا يهمننا إذ نلفت الأنظار إلى حقيقة مهمة جداً ، وهي أن البحوث التي قدمت للمؤتمر قد تفاوتت قليلاً في مستواها العلمي فكثير منها أجيز مباشرة بعد التحكيم الأول وبعضها احتاج إلى تعديلات طفيفة فعدلها أصحابها وأخرى تطلبت تعديلات جوهرية فاستجاب البعض لها وأجرى ما طلب منه ، وأن نسبة قليلة منها فقط هي التي لم تصل إلى مستوى القبول للنشر حتى بعد التعديل ، فاعُتذر عن نشرها .

أجد من الواجب عليّ مع صدور هذا المجلد أن أتوجه بالشكر الجزيل بداية لأصحاب البحوث التي ننشرها في هذا العمل ، وفي المجلدات اللاحقة .
ويسعدني هنا أن أسجل شكري وتقديري لصندوق دعم البحث العلمي في وزارة التعليم العالي في الأردن الذي أسهم في تغطية بعض نفقات المؤتمر ونشر محاضره ، والشكر موصول للأساتذة رؤساء الجامعات الأردنية واليرموك ودمشق لمؤازرتهم ودعمهم لهذا المشروع الحضاري المهم .
وأشكر أيضاً عدداً كبيراً من الزملاء الذين بذلوا جهوداً كبيرة في أعمال التحرير والتدقيق والمراجعة والطباعة ، وتنظيم الكشافات التحليلية والتفصيلية ، والشكر موصول لكل العاملين في الجامعة على مختلف مواقعهم فكل واحد منهم كان ينتظر فرصة انعقاد المؤتمر ليبادر للمساهمة وتقديم العون .
وفي الختام أقول أنه من دواعي المحبة والوفاء أن أشكر زملائي أعضاء لجنة تاريخ بلاد الشام على دعمهم العلمي وعلى آرائهم السديدة التي كانت عوناً للسير دائماً إلى الأمام .
وخير ما أختم به هذه المقدمة قوله تعالى : ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٣٢) ، وقوله عز وجل : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . . ﴾ (سورة التوبة ، الآية ١٠٥) .

محمد عدنان البخيت

لجنة تاريخ بلاد الشام

٨ شعبان ١٤٣٤هـ

١٧ حزيران ٢٠١٣م

كلمة الأستاذ الدكتور «محمد عدنان» البخيت
مدير مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام

في حفل افتتاح المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام
«الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي
إلى نهاية العهد العثماني»

الأحد الموافق ٢٠١٢/٤/١م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأمين
الأستاذ الدكتور عبد الله الموسى المحترم
الأستاذ الدكتور رضا الخوالدة المحترم
الزملاء رؤساء وأعضاء مجالس الأمناء المكرمين
الزملاء الضيوف المشاركين بأعمال المؤتمر

أيها الحضور الكريم ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ويسعدني باسمي وباسم زملائي
أعضاء اللجنة التحضيرية لتاريخ بلاد الشام ، أن أتقدم من كل واحد منكم
بالتحية وأسلم عليه وأرحب به في هذا الصباح النيساني الجميل ، ونحن
نحتفي بافتتاح هذا المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام ، وقد بلغ أشده من

العمر أربعين عاماً ، فقوي عوده واشتد ساعده ، والجامعة الأردنية تحتفي هذا العام أيضاً بعيدها الخمسين ، فنغتنم هذه المناسبة العلمية لنقدم لأسرة الجامعة وخريجها ولكل من تحمل فيها مسؤولية ونهض بمهامها العلمية السامية أجمل التهاني والتبريكات ، وأطيب التمنيات سائلين المولى جلّت قدرته أن يهبها دوام النجاح للارتقاء بطلابها ومجتمعها إلى أرفع المستويات العلمية ، وأن تغرس في الجميع الخلق العظيم والمحبة وتقودهم على طريق الخير والسخاء في العطاء .

نجتمعُ هذا اليوم والبلاد العربية جمعاء مرت وتمر بهزات اجتماعية وسياسية تهاوت نتيجة لها عدد من الأنظمة ، والبقية تتدارك نفسها إزاء هذا الزلزال الكاسح والعبرة المستخلصة من كل هذه الأحداث أن الأمة العربية واحدة في مشاعرها وعواطفها وأمانيتها ، وأثبتت هذه الهزات الاجتماعية أن العروبة حقيقة ، وأن الدين حقيقة ، وأن التنوع والتعدد حقيقة والحكمة في إدارتها هي المطلب والحك ، وأن الثقافات الرافدة لنهر الحركة العربية الكبير هي حقيقة تضيف قيمة نوعية لحضارتنا . وانتهت بنا الأحداث إلى أنه لا بديل عن التعددية السياسية والعدالة الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان والدولة القائمة على سيادة القانون ، والقادرة على التصدي للسرطان الإسرائيلي الذي يستشري في جسد الأمة العربية والإسلامية بل المجتمعات الحرة في العالم .

وليس في نيتي البحث بالتفاصيل في هذه المرحلة المفصلية وما تحمله من تحولات في مسيرتنا نحو المستقبل ، بل لأقول أن كثيراً مما كُتب خلال القرن الماضي وهذا العقد من الزمان من تاريخنا ليس بالتاريخ ، بل في معظمه هراء في هراء يمثل تراجعاً كبيراً في مستوى تناول المؤرخين العرب لتاريخ مجتمعاتهم بموضوعية تسعى نحو الحقيقة ، لذا يجب علينا جميعاً وقد رحل عنا الكبار الكبار من أساتذتنا الأخيار وعلماؤنا الأبرار ، الذين نستمطر شأبيب الرحمة على أرواحهم الطاهرة أن نسأل أنفسنا : ماذا أعددتنا لملاقاة المستقبل واستقباله . وأصاركم على ضوء تجربتي المتواضعة ، تلميذاً في مدرسة التاريخ ، إن ما نقرأه ونتفحصه من الكتابات باسم التاريخ هو في الغالب الأعم متهافت يعاني

من غياب المنهجية وضعف الأسلوب في العرض وركاكة اللغة وعلى رأسها اللغة العربية والجهل المطبق باللغات الأجنبية ، أضف إلى ذلك أن مدارس الاستشراق بدأت بالضمور قبل أن يُطلق عليها رصاصة الرحمة ، ولم يعد التاريخ العربي جذاباً للباحثين الأجانب لنحصل على دراسات على غرار كتاباتهم في القرن التاسع عشر وما تلاه . لكل ذلك ، علينا أن نتشاور في الخطط الدراسية والمنهجية ، وتدرّس فلسفة التاريخ وتسليح الطلبة بمعرفة لغات الشعوب الإسلامية التي تمثل عمقنا الحضاري ، واللغات الأجنبية التي تأخذ بأيدينا للإطلال على المستوى الرفيع للدراسات التاريخية لبلدانهم ولاهتمامهم بتاريخ العالم ، وكما هو معروف أن كتابة التاريخ عملية متصلة لا تتوقف حتى في الموضوع الواحد .

لقد أصبح ولله الحمد مؤتمر بلاد الشام في تراكم إنتاجه مدرسة تاريخية في البلاد العربية ، ونأمل أن تنضم إليه مدارس أخرى في العالم العربي بعد ما تحررت كتابة التاريخ من هيمنة الدولة القطرية ، وبخاصة في الدول التي تحاول قيادتها أو لجنة الكتابة فرض رؤى أحادية ظالمة لتلقين الطلاب تاريخنا مصنوعاً ومزوراً .

ويسرني هنا أن أتوجه بالشكر إلى الزملاء المشاركين ببحوث علمية خصصت جميعها للمراجعة والتقييم وبعد انقضاء جلسات المؤتمر ، سنعيد البحوث من جديد لأصحابها لمراجعتها على ضوء المداولات وبعد ذلك نرسلها لأساتذة متخصصين لتمييزها وتقييمها وبذلك أصبح المؤتمر مدرسة لاكتشاف الموهوبين من تلاميذ التاريخ وأساتذته .

أيها الحفل الكريم ،

اسمحوا لي أن أتوجه بالشكر والتقدير لرؤساء الجامعات الثلاث وإلى جميع المسؤولين فيها ، والشكر موصول إلى الأساتذة الرؤساء السابقين فيها الذين حملوا المسؤولية بكل أمانة واقتدار ، فلقد حظي مؤتمر تاريخ بلاد الشام

منذ مطلع السبعينيات من القرن الماضي بدعمهم الكبير ، ومثل ذلك الدعم لقيناه من المسؤولين .

وما كان لهذا المؤتمر أن يُعقد في مثل هذه الظروف الصعبة التي نعيشها لولا الجهد المتواصل للجنة تاريخ بلاد الشام ، وللعاملين في جهاز اللجنة الذين واصلوا الليل مع النهار بكل كفاءة في الإعداد والاستعداد لعقد هذا المؤتمر الخيّر فلهم الشكر جميعاً ، أما جهود الإخوان في دوائر الجامعة الأردنية وأقسامها وشعبها فلا يفيها الشكر فقط ، بل إضافةً إلى الشكر الدعاءُ لله تعالى أن يحفظهم جميعاً .

وأختم كلمتي بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد ١٧) ، وكلنا حريصون على كلِّ شبرٍ من بلاد الأمة العربية لأن حال كل واحد منا حال ما عبّر عنه الشاعر :

في الشام قومي وبغداد الهوى وأنا
بالرقمتين وبالفسطاط إخواني

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مدير مركز الوثائق والمخطوطات
ودراسات بلاد الشام

(أ . د . محمد عدنان البخيت)

عمان في :

٩ جمادى الأولى ١٤٣٣ هـ

١ نيسان ٢٠١٢ م

رئيس وأعضاء لجنة تاريخ بلاد الشام

- الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت
- الأستاذ الدكتور علي محافظة
- الأستاذ الدكتور وكيل جامعة دمشق
للشؤون العلمية
- الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب
- الأستاذ الدكتور عميد كلية الآداب
- الأستاذ الدكتور عميد البحث العلمي
- الأستاذ الدكتور رئيس قسم التاريخ
- الأستاذ الدكتور رئيس قسم التاريخ
- الأستاذ الدكتور رئيس قسم اللغة العربية
وآدابها
- الأستاذ الدكتور رئيس قسم اللغة العربية
وآدابها
- الأستاذ الدكتور عميد كلية الآثار
والأنثروبولوجيا
- الأستاذ الدكتور عميد كلية الآثار والسياحة
- رئيس اللجنة الجامعة الأردنية
عضواً الجامعة الأردنية
عضواً جامعة دمشق
- عضواً الجامعة الأردنية
عضواً جامعة دمشق
عضواً الجامعة الأردنية
عضواً الجامعة الأردنية
عضواً جامعة اليرموك
عضواً الجامعة الأردنية
- عضواً جامعة اليرموك
عضواً جامعة اليرموك
- عضواً الجامعة الأردنية

فهرس المحتويات

- المقدمة - مدير مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام
الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت ٧-٥
- كلمة الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت في حفل الافتتاح ١٢-٩
- رئيس وأعضاء لجنة بلاد الشام ١٣
- ١ . الضرائب الزراعية وجبايتها في بلاد الشام في العصر الاموي على
ضوء الوثائق البردية من عوجا الحفير (جنوب فلسطين)
فالح حسين ٥٩-١٩
- ٢ . أثر كتاب «الفلاحة النبطية» ترجمة ابن وحشية في مصادر الفلاحة
الشامية/كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» نموذجاً
سمير الدروبي ١١٦-٦١
- ٣ . الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب نخبة الدهر في عجائب البر
والبحر لشيخ الربوة الدمشقي (٦٥٤-٧٢٧هـ/١٢٥٦-١٣٢٧م)
حنان ملكاوي ١٤٤-١١٧
- ٤ . النقوش الكتابية المملوكية مصدرا لتاريخ الزراعة في بلاد الشام
(٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م) نقوش العمائر في بلاد الشام
أنموذجاً
فرج الحسيني ١٨٦-١٤٥

٥ . الزراعة في بلاد الشام في عصر المماليك من خلال مصادر مخطوطة
٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م

٢١٢-١٨٧ عمار محمد النهار

٦ . الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب مسالك الأبصار في
مالك الأمصار لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

٢٤٧-٢١٣ عصام مصطفى عقلة ويوسف أحمد بن ياسين

٧ . المعارف والمهارات الزراعية في بلاد الشام من خلال مخطوطة (جامع
فرائد الملاحه في جوامع فوائد الفلاحه) لرضيّ الدين العزّيّ
(ت ٩٣٥هـ/١٥٢٨م)

٣٠٢-٢٤٩ إحسان ذنون الثامري

٨ . صورة بلاد الشام في رحلة أوليا جلبي (١٠٥٩هـ/١٦٤٩م و ١٠٨١هـ
(١٦٧١م)

٣٣٠-٣٠٣ عبد القادر الحصان

٩ . فتاوى خير الدين الرملي (ت ١٠٨١هـ/١٦٧١م) مصدراً لقراءة
مظاهر النشاط الزراعي في فلسطين خلال القرن الحادي عشر
الهجري/ السابع عشر الميلادي

٣٨١-٣٣١ عليان الجالودي وغالب عربيات

١٠ . الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب «الملاحه في علم الفلاحه»
للشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م)

٤٢٤-٣٨٣ عبير قطناني

- ١١ . فتاوى الشيخ محمد الخليلي (ت١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) مصدراً
لدراسة الحياة الزراعيّة في فلسطين
مهند مبيضين ٤٤٩-٤٢٥
- ١٢ . البنك الزراعي ودوره في تنمية الحياة الزراعية ببلاد الشام : دراسة
من وثائق الأرشيف العثماني
سهيل صابان ٤٩٠-٤٥١
- ١٣ . الزراعة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر من خلال تقارير
أميركية
مسعود ضاهر ٥١٣-٤٩١
- ١٤ . تغيير أشكال ملكيّة الفلاح في أرياف ولاية طرابلس من مرحلة
نظام الإلتزام إلى عصر التنظيمات من خلال الوثائق العثمانية
فاروق حبلص ٥٦٢-٥١٥
- ١٥ . نهر الذهب في تاريخ حلب لكامل الغزي (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م)
مصدراً للمعلومات الزراعية في حلب ومحيطها
راشد القحطاني ٥٩٠-٥٦٣
- ١٦ . اهتمام مجلة المشرق اللبنانية بالزراعة في بلاد الشام والدعوة إلى
تطويرها خلال الفترة (١٨٩٨-١٩٢٠م)
سهيلا الشلبي ٦٢٥-٥٩١

- أسماء المشاركين حسب الحروف الأبجدية ٦٢٨-٦٢٧
- برنامج المؤتمر ٦٥٢-٦٢٩
- الفهارس ٨٠٣-٦٥٣

- المؤتمرات الدولية ومنشورات مركز الوثائق والمخطوطات ٨١٥-٨٠٥
ودراسات بلاد الشام

الضرائب الزراعية وجبايتها في بلاد الشام في العصر الأموي على ضوء الوثائق البردية من عوجا الحفير (جنوب فلسطين)

فالح حسين (*)

لما كان الحديث عن مجمل الضرائب في بلاد الشام في العصر الأموي أمراً يصعب حصره وتوضيحه في ورقة تقدم الى ندوة علمية عن الزراعة في بلاد الشام ، لذا اقتصر الحديث على الضرائب الزراعية في هذه الفترة مواءمة لموضوع الندوة ، وتم التركيز على مادة الوثائق التي اعتمدت أصلاً كأساس للموضوع ، والتي تشكل استثناءً فريداً في موضوعها الذي ينصب جله على الأرزاق وجبايتها .

والوثائق المشار إليها هي الوثائق البردية التي عثر عليها في موقع عوجا الحفير التي تقع على الحدود الفلسطينية - المصرية والتي ورد اسمها نصتان . وهي وثائق ثنائية اللغة ، عربية - يونانية أو يونانية فقط ، وتتحدث عن الأرزاق وجبايتها أيام معاوية بن أبي سفيان إلى أيام عبد الملك بن مروان أي بين سنتي ٥٤-٧٠هـ/٦٧٤-٦٨٩م غالباً . وهي تتحدث عن إجراءات عملية تهتم دارسي التنظيمات الإدارية للضرائب في بلاد الشام أيام بني أمية . هذه الوثائق وبالأخص ثنائية اللغة جاءت مؤرخة بالشهر والسنة لحسن الحظ مما يجعلها أكثر حسماً للتناقضات التي قد نجدتها في الروايات التاريخية ، وتتحدث دائماً عن مادتي الأرزاق الرئيسة وهي مادتي القمح والزيت عماد ضريبة الأرزاق ، التي

(*) قسم التاريخ - كلية الآداب / الجامعة الأردنية .

ترتبط ارتباطا وثيقا بالزراعة والفلاحين .

وعلى هذا الأساس فإن البحث سوف لا يتعرض للأصناف الضريبية الأخرى إلا بالقدر الذي تخبر عنه الوثائق ، لذا فان الحديث لن يتطرق للاراضي واصنافها التي اسهبت المصادر التاريخية في الحديث عنها ، ليس لان الموضوع واسع وحسب ، بل لان الوثائق التي هي قيد الدراسة لا تتعرض لهذا الموضوع ، بل تشعر ان الارض بقيت في يد اهلها تماما كما توحى المصادر التاريخية التي تطرقت للموضوع ، وأفادت بترك الأرض لأهلها ليؤدوا ما فرض عليهم بعد الفتح من فروض مختلفة ومنها الارزاق التي فرضت (على اهل القرى والارياف دون المدن) كما ذكر ابو يوسف^(١) ، وهم المنتجون لمواد الارزاق .

وبالتالي فلا قيمة للروايات المتناقضة ، فالمهم أن النتيجة كانت إقرار الصلح لأهل البلاد جميعا^(٢) . لذا فان البحث هنا ستركز على الضرائب التي تحدثت

(١) أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) ، كتاب الخراج ، تحقيق إحسان عباس ، نشر بنك الإنماء الصناعي الكويت ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٥م ، وسيشار إلى هذا المصدر عند وروده : أبو يوسف ، الخراج .

(٢) انظر لهذا الموضوع : أبو يوسف ، الخراج ص ١١١-١١٢ ، ١١٦-١١٧ ؛ يحيى بن ادم القرشي (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) ، الخراج ، تحقيق جوينيل ، بريل ، ليدن ، ١٨٩٦م ، ص ٢٨ وما بعدها ، وسيشار إليه فيما بعد : القرشي ، الخراج ؛ أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م) ، الأموال ، تحقيق محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٨٣-٨٤ وسيشار إليه فيما بعد : أبو عبيد ، الأموال ؛ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، تحقيق م . ج . دي غويه ، بريل-ليدن ، ١٨٦٥م ، ص ١٥١-١٥٢ ، وسيشار إليه فيما بعد : البلاذري ، فتوح ؛ ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، نشر المجمع العلمي بدمشق ، ١٩٥١م ، ص ٥٧٥ وما بعدها ، ابن عساكر ، تحقيق عمر بن غرامة العمري ، ٨٠ج ، نشر دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ج ٢ ، ص ١٨٦ وما بعدها ، وسيشار إليه فيما بعد : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، المنجد ، تاريخ دمشق ، العمري ، وانظر ==

عنها الوثائق البردية المذكورة باعتبارها وثائق رسمية صادرة عن الإدارة الأموية في جزء من بلاد الشام وهو جنوبها وموضوعها طلبات entagion رسمية أرسلت من الإدارة في غزة إلى أهالي نصتان (عوجا الحفير) كطلبات عامة موجهة إلى أهالي البلدة بشكل جماعي لا فردي ، مع عدم إغفال الوثائق الأخرى ، والتي كتبت باليونانية فقط وتحديثت عن ضريبة الأرض land-tax ، وضريبة الرأس poll-tax دون استخدام المصطلحات العربية ، خراج وجزية وكذلك الضرائب العامة Public-tax التي يمكن إدراج التكاليف المادية والعينية الأخرى ضمنها .

ولكن هذه الوثائق استخدمت المصطلح العربي فيما يتعلق بالضرائب العينية (الارزاق) في النص العربي لها ، في حين غاب المصطلح في النص اليوناني منها ، فقد جاء النص العربي دائماً : «فأعطوا فلان . . . رزق شهر كذا» في حين كان النص اليوناني خال من أي مصطلح ((فأعطوا فلان كذا (وتذكر الكمية المطلوبة) لشهر . . .)) دون ذكر اي مصطلح يدل على اسم الضريبة المطلوبة .

ولكن قبل الحديث عن الارزاق ووثائقها لا بد من الاشارة الى ما سبقها من مصطلح يتكرر ذكره في الروايات العربية وهو مصطلح «الضيافة» الذي يتحدث عملياً عن تأمين مواد عينية او ماوى لفترات مختلفة بين المصادر التي تحدثت عنها . هذه الاضافة تكليف نسمع به كفريضة عرفت في بلاد الشام بعد الفتح مباشرة وقبل فرض الارزاق .

لكن المصادر تتحدث عن الضيافة لأول مرة في ايام الرسول الله (ﷺ) بمناسبة حديثها عن صلح نجران «وعلى نجران مائة رسل عشرين يوماً فدون

== فالح حسين ، موقف الدولة العربية الإسلامية من الأرض المفتوحة في الفترة الراشدة ، فالح حسين ، بحث في نشأة الدولة الإسلامية ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ٢٠١٠م ، ص ١٣٥-١٤٦ ، وسيسار إليه فيما بعد : فالح حسين ، بحث .

ذلك»^(١) ، وتظهر بشكل اكثر وضوحا لدى البلاذري (وعلى ان يضيفوا رسل رسول الله شهرا فما دونه)^(٢) . ونجدها احيانا تحت اسم (القرى) ، (قرى من مر بهم من المسلمين)^(٣) ، وتذكر أحيانا بشكل أقل تحديداً (ضيافة المسلمين)^(٤) دون ذكر فترة محددته ، وترد في اماكن اخرى محددة في ثلاثة أيام ، أو ضيافة يوم وليلة^(٥) .

والأصل في هذه الضيافة انها فرضت على اهالي المناطق الخاضعة للدولة الاسلامية والبعيدة عن المدينة اول الامر ولغايات تبدو ادارية بشكل واضح كما ورد في صلح نجران (مثواة رسلي) (أن يضيفوا رسل رسول الله) وليس لمن يمر بالمنطقة من المسلمين كما صار يذكر لاحقاً .

وفي الشام ، وفي اوائل الفتح ، نسمع عن عبارة (يضيفوا من مر بهم من المسلمين) في كثير من عهود الصلح في الشام^(٦) . في حين جاء في مصالحة اهل بصرى ان صاحبها قال لعمر بن الخطاب لما زار الشام لاحقاً انه (صالح المسلمين على طعام وزيت وخل)^(٧) الامر الذي اعتبره ابو عبيدة إجراء مؤقتاً لضرورات التمويل العاجلة لان مثل هذا القول يعني عدم مشروعية فرض الجزية

(١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٩١ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ٦٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٩ (صلح ايلة) .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٩ عن الزهري ، صلح تبالة وجرش جنوب الحجاز .

(٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٥ .

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١٤٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ ، عن سلمة الجوهني وكان من حضر الحوار بين صاحب بصرى وعمر بن

الخطاب وأبي عبيدة الجراح أراد منه صاحب بصرى أن لا تفرض عليهم الجزية بناء على هذا الصلح

الذي اعتبره أبو عبيدة إجراء مؤقتاً اضطرارياً لتمويل جنده .

عليهم ، فقال : انما صالحناه على شيء يتبع به المسلمون لمشتاهم^(١) ، وفي صلح دمشق يرد (وان يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام)^(٢) ، وعلى ذلك صالحت تدمر والبثني^(٣) كما ظهر في صلح انطاكية (على كل حالم منهم دينارا وجريبا)^(٤) . وفي الجزيرة التي فتحها عياض صالحه اهل الرها فوظف (عليهم مع الدينار اقفزة من قمح وشيئا من زيت وخل وعسل)^(٥) ، وهذه اول اشارة الى مواد الارزاق دون تحديد .

ويشير البلاذري ان عامة اهل الجزيرة صالحوا على هذا الصلح^(٦) . اما روايته عن ان خالد (الزم كل رجل مع الجزية دينارا وجريب حنطة وخلا وزيتا لقوت المسلمين)^(٧) كما صالح دمشق ، فهي رواية مبكرة لمثل هذا الاجزاء لان نتائج الفتح الاول ذكرت غالبا الدينار والجريب كما في صلح أنطاكية . أما ما يذكر عن عياض في الجزيرة فهو اكثر قبولا لان فتحها كان بعد زيارة عمر للشام وفرض الارزاق كما سنرى .

مما سبق يمكن ملاحظة ان مصطلح الضيافة كان غامضا في المصادر التي تحدثت عن بدايات الفتح سواء في الشام او العراق او حتى التي ذكرته ايام رسول الله عدا ما جاء في صلح نجران ، الأمر الذي يشعر ان الاجراء المتعلق بها

(١) ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق (المنجد) ، ص ٥١٠ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، (المنجد) ، ص ٥١٨ ؛ (العمري) ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٥-١٧٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٧) للتوسع حول الضيافة انظر فالح حسين ، الفروض العينية-الضيافة والارزاق كمصدر لتمويل جيش

الفتح ، منشورات الندوة الثانية للمؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام ، بلاد الشام في صدر الإسلام ، المجلد

الثاني ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٧م ، ص ١٧٥-١٩١ .

كان اجراء مؤقتا في الغالب تعامل معه قادة الفتح ابتداء . فكثيرا ما نسمع عن (ضيافة) او (ضيافة من مر بهم من المسلمين) (وضيافة يوما وليلة) (وضيافة ثلاثة أيام ووظف عليهم شيئا ، وفرض مع الدينار جريبا . وهكذا من العبارات الفضفاضة او المتناقضة أحيانا ، الأمر الذي يعني انه لم يكن هناك تنظيما محدداً لهذه المسألة ، وانما اضطرتهم ظروف الفتح إلى ما نسب إليهم مؤقتاً ، بينما الضيافة في الأصل كما عرفناها لأول مرة أيام الرسول الله (ﷺ) في نجران واضحة الهدف والمعنى ، ضيافة رسل رسول الله إليهم .

ولا نريد الاطالة في الحديث عن الضيافة^(١) ، ولكن كان لا بد من التطرق إليها لأنها قد تكون شكلت مقدمة لفرض الارزاق المنتظمة لاحقاً ، لأن كليهما تكليف جماعي ، فهل صارت الارزاق البديل المنتظم للضيافة المؤقتة الآنية؟

وعندما يكون الحديث عن الارزاق وظروف فرضها نلاحظ اتفاقاً عاماً على أن فرض الارزاق كان على يد عمر بن الخطاب عندما زار الجابية في سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م ، بعد استقرار اوضاع الفتح في الشام بعد اليرموك ، هذه الزيارة التي جاءت بناء على دعوة امراء الجند في الشام . يقول الأزدي ان عمراً طلب من الامراء ان يضمنوا له ارزاق المسلمين في كل شهر ثم قال : (انظروا كم يكفي الرجل ما يشبعه وما يكتفي به كل يوم . . . قالوا : جريبين مع ما يصلحه من الزيت والخل عند راس كل هلال فضمنوا له ذلك . . . قال فلم يزل ذلك جارياً لهم دهرًا من دهرهم حتى قطعه عنهم عمال السوء) . وتقود رواية ابو عبيد الى نفس المضمون بان الامراء ضمنوا (لكل رجل من المسلمين بمديي بر و حظهما من الخل والزيت)^(٢) . اما البلاذري فيبين في الرواية ان عمر قام باجراء عملي

(١) الأزدي ، محمد بن عبد الله (من أهالي منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) ، فتوح

الشام ، تحقيق عصام عقله ويوسف بني ياسين ، إربد ، ٢٠٠٤م ، ص ٣٦٩-٣٧٠ وسيشار إليه فيما

بعد : الأزدي ، فتوح .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٥١

بنفسه ليقدر مقدار الرزق فقد روي عن الحارث بن المضر بن ان عمر بن الخطاب امر بجريب من طعام فعجن ثم خبز ثم ثرد بزيت ثم دعا بثلاثين رجلا فاكلوا منه غداءهم حتى اصدرهم ثم فعل بالعشي مثل ذلك ، فقال : يكفي الرجل جريبان في كل شهر ، فكان يرزق الناس الرجل والمرأة والمملوك جريبين كل شهر^(١) . وهذه الرواية أكثر وضوحاً عن السابقتين اللتين تحدثتا عن الرزق لكل رجل لكنها تحدثت هنا عن (الناس الرجل والمرأة والمملوك) اي لكل شخص من المسلمين ، وتذكر رواية رابعة عن عمر انه بعد الاجراء الذي قام به (اخذ المدي بيد والقسط بيد وقال : اني قد فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مديي حنطة وقسطي زيت وقسطي خل ، فقال رجل : والعبد؟ قال : نعم والعبد)^(٢) .

فهذه أكثر وضوحا اذ تبين ان الفرض كان لكل فرد في العائلة (لكل نفس مسلمة) حتى العبيد ، كما تبين كمية الفرض من مواد القمح والزيت والخل . وترتبط رواية اخرى بين الارزاق (المواد العينية) وعطاء الجند النقدي وتجعلهما امران متلازمان اذ قال عمر في خطبته (انا اجرينا اعطياتكم (في كل عام) وارزاقكم في كل شهر وفي يديه المدي والقسط)^(٣) . ولكن ذلك حصل غالبا في وقت لاحق . كما روى البلاذري روايتين عن نافع عن اسلم مولى عمر تفيدان بما فرضه عمر من الارزاق بالشام والجزيرة تقول الأولى (. . . وجعل عليهم لارزاق المسلمين من الحنطة لكل رجل مدين ومن الزيت ثلاثة اقساط

(١) البلاذري ، فتوح ص ٤٦٠ ؛ أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٥١ ، انظر ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، (المنجد) ص ٥٥٦ ؛ (العمري) ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٥٢ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٤٦٠ ، وهي مكاييل الحبوب والزيت في الشام .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٣٥٢ ؛ البلاذري ، فتوح ، ص ٤٦١ .

بالشام والجزيرة مع ضيافة من نزل بهم ثلاثاً^(١) . وفي الثانية يضيف على ما سبق (وجعل عليهم ودكا وعسلا لا ادري كم هو)^(٢) . وفي الجزيرة وضع عياض بن غنم فاتحها بعد اجراءات عمر في الجابية (على كل جمجمة ديناراً ومدين قمحاً وقسطين زيتاً وقسطين خلأً)^(٣) . لأن الجزيرة فتحت بعد زيارة عمر للجابية بين سنتي ١٩-٢٠هـ^(٤) . هذه الارزاق فرضت في الحالتين اي في الشام والجزيرة على اهل القرى والريف كما صرح بذلك ابو يوسف وهو يتحدث عن الارزاق ، حيث استثنيت المدن من فرضها ، قال ابو يوسف «ان المسلمين جعلوا اهل الرساتيق أسوة أهل المدائن إلا في أرزاق الجند ، فإنهم جعلوها عليهم دون اهل المدائن . وهم إنما فعلوا ذلك لأن أهل الرساتيق أصحاب الأرضين والزروع والدواب ، وأن أهل المدن ليسوا كذلك»^(٥) .

وهذا يؤكد أن عمراً إنما فرض الأرزاق على الفلاحين (أهل القرى والارياف) ، ويؤكد البلاذري هذه الفكرة مرة اخرى وهو يتحدث عما فعله عمرو بن العاص في مصر في رواية عن ابنه عبد الله بن عمرو حول ما فعله ابوه بمصر (والزم كل ذي ارض ثلاثة ارادب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٢ ؛ ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، (المنجد) ، ص ٥٧١ ، (العمري) ، ج ٢ ، ص ١٨٢-١٨٤ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ١٢٥ ؛ ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، (المنجد) ، ص ٥٧٣ ، (العمري) ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ويذكر البلاذري رواية ثالثة (أرزاق المسلمين) هكذا دون تحديد (وضيافة ثلاثة أيام) .

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٩ ، ١٥١ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ١٧٢-١٨٠ ؛ الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٣م) ، تاريخ الرسل الملوك ، (١٠) أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، طبعة ثانية ، القاهرة ، ١٩٦٤-١٩٧١م ، ج ٤ ، ص ٥٣-٥٦ ، رواية سيف فتحت سنة ١٧ ، ص ١٥١ ، رواية الواقدي فتحت سنة ١٨ ، ص ١٠٢ ، رواية ابن اسحق فتحت سنة ١٩ . وسيشار إليه فيما بعد : الطبري ، تاريخ .

(٥) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٨ . والرسنق هو الريف التابع للمدينة كما يقول .

خل رزقا للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيهم) أي في الجند^(١) .
والأرزاق في الروايات التاريخية تأتي في معنيين الاول ما ترزقه الدولة للجند وعيالهم من المواد العينية في كل شهر وهو محدد الكمية المصروفة لهم .
والثاني : هو ما تفرضه الدولة على اهالي البلاد المفتوحة ، الفلاحين ، من مواد عينية يدفعونها للدولة لتوزعه على الجند . فهي تكليف ضرائبي من ناحية وراتب منتظم للجند وعيالهم من ناحية اخرى .

هذه الارزاق تتكون في الحالتين الفرض والعطاء من القمح والزيت بشكل اساس ، يضاف إليهما الخل والعسل^(٢) في روايات أخرى ، هذا هو المبدأ العام ، ولكن وثائقنا تتحدث فقط عن القمح والزيت . ولا تؤكد الوثائق الكمية التي كان يدفعها الفرد ولا الكمية التي كانت توزع فعليا على الجند ، فالوثائق

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٢١٤-٢١٥ .

(٢) يبدو أن فرض العسل ضمن مواد الارزاق كان مؤقتاً ، وقد تم إلغائه حسب رواية سفيان بن وهب الخولاني في أيام عثمان ، فقد روى ابن عساكر عن سفيان هذا ، والذي كان ممن سمع خطبة عمر في الجابية قال : (كنت مع عمر بن الخطاب بالشام فأتاه أهل ذمتها فقالوا : انك كلفتنا وفرضت علينا أن نرزق المسلمين العسل ولا نجد ، فقال عمر ، أن المسلمين إذا دخلوا أرضنا فاستوطنوا فيها اشتد عليهم أن يشربوا الماء القراح (وهو الماء الذي لم يخالطه شيء يطيب به كالعسل والتمر والزبيب) ، لسان العرب ، مادة (قرح) فلا بد لهم مما يصلحهم ، فقالوا : ان عندنا شرابا نصنعه من العنب شبه العسل ، قال عمر : فأتوني به ، فاتوه به فجعل يرفعه باصبعه فيمتد كهيئة العسل ، فقال عمر : ان هذا يشبه الطلاء ، طلاء الابل ، قال : فأتوا بماء ، فاتوه بماء ، فصب عليه فشرب وشرب أصحابه ، فقال عمر : ما أطيب هذا الشراب فازرقوا منه المسلمين) ويكمل ابن عساكر الرواية بما يفيد انه رجع عن قراره بعد ان سكر بعض المسلمين من هذا الشراب ، ثم تم منعه في أيام عثمان رسمياً . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ج ٢١ ، العمروي ، ص ٣٦١-٣٦٣ ، ولترجمة سفيان بن وهب الخولاني ، انظر الجزء نفسه ، ص ٣٥٨-٣٦٦ ، أما الطلاء : فهو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، قال ابن الاثير : هو الشراب المطبوخ من عصير العنب وهو الرب ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (طلي) .

تحدثت عن توزيع الارزاق على الجند وعيالهم من حيث المبدأ ، كما تحدثت عن القمح والزيت بشكل خاص كمادتي الارزاق دون تحديد ما يصرف للجند او ما فرض على الفلاحين . . ونحن نظن ان فرض مادة العسل كانت فعلاً مؤقتة ، لان الوثائق البردية من عوجا الحفير (نصتان) وكذلك الوثائق البردية المصرية سواء المبكرة أو اللاحقة لم تتطرق لذكر هذه المادة باي حال من الاحوال . اضافة الى ان الروايات التاريخية لا تذكر العسل الا بمناسبة فرضه غالباً ، ومناسبة الغائه كما بينت رواية ابن عساكر عن سفيان بن وهب الخولاني السابقة .

وإذا جاز الإفادة من الوثائق البردية المصرية المبكرة لتوثيق جباية المواد لغاية الضيافة بالمعنى الذي تأتي به الأرزاق ، أو الأرزاق بالمعنى المحدد لجباية مواد عينية للجند ، فان بعض الوثائق التي تعود لفترة الفتح الاولى سنة ٢١-٢٢هـ/ ٦٤٢-٦٤٣ م ، تؤيد المبدأ العام الذي اخبرت به الروايات التاريخية .

ففي وثيقة كتبت باليونانية سنة ٢١هـ/٦٤٢ م يرد الحديث عما تصفه الروايات بالضيافة وان لم يستخدم نفس المصطلح ، فقد جاء فيها طلب (تامين علف للدواب والخيول وتامين مبيت وثلاث وجبات لكل رجل)^(١) . ولكن عدد الرجال والفترة الزمنية المطلوب تامين وجباتهم ومبيتهم فيها مجهولة .

وفي العام نفسه يصدر أحد رجالات الفتح في مصر وهو خارجة بن حذافة العدوي^(٢) . إيصلاً باستلام كمية كبيرة من القمح بلغت (٣١٦٤) إردبا من

(١) Karabacek Josef von. Fuehrer durch die Ausstellung. Payrus Erzherzog Rainer, arabische Abteilung, 2. Teil .Wien, 1894, p 139, PERF. 555 (karabacek, Fuehrer).

(٢) لخارجة بن حذافة ، انظر : ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠ م) ، عبد الرحمن بن عبد الله ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق تشارلز توريه ، جامعة بيل ، سلسلة بيل الشرقية ٣ ؛ نيوهافن ١٩٢٢ م ، ص ٢٣١ ، ٢٥٩-٢٦٠ ، ١٠٥-١٠٧ ، وسيشار اليه فيما بعد : ابن عبد الحكم ، فتوح ؛ الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٤٩ ، وهو الذي اغتيل خطأ على يد الخوارج سنة ٤٠هـ/٦٦٠ م ، في مصر عوضاً عن عمرو بن العاص الذي أراد الخارجي فقال : (أردت عمرو وأراد الله خارجة) فذهبت مثلاً .

القمح^(١) . وتتحدث بردية ثالثة مؤرخة لسنة ٢٢هـ/٦٤٣م عن تامين كميات كبيرة من القمح والزيت ، تماماً كالوثائق من عوجا الحفير(نصتان) مزدوجة اللغة ، لكنها تسبقها باثنتين وثلاثين عاماً ، وبلغت كمية الزيت نصف كمية القمح مثلها أيضاً ، إذ بلغت كمية القمح المطلوبة (٣٤٢) أردباً بينما كان المطلوب من الزيت (١٧١) قسطاً^(٢) .

مثل هذه الوثائق تؤكد ما تخبره المصادر التاريخية بالمعنى العام لمبدأ الضيافة ثم الأرزاق ومع غياب المصطلح العربي هنا ، لكن معنى النص لا يبعد عن الضيافة بالشكل الذي جاءت به هذه المصادر . وان كان الحديث هنا عن مصر ، فإن بلاد الشام لم تكن بعيدة عن هذه التدابير التي اكدتها وثائق عوجا الحفير (نصتان) لاحقاً .

وفي كل الحالات تبدو هذه الضريبة سواء في الوثائق المصرية او الشامية ، ضريبة عامة جماعية تفرض على اهل القرى (الفلاحين) كما اشارت الى ذلك الروايات التي سبق ذكرها . فالوثائق من عوجا الحفير تتحدث دائماً عن (أهل نصتان) كجماعة مكلفة بالارزاق . وكذلك احدى الوثائق المصرية التي تعود اواخر القرن الاول الهجري لاوائل الثامن الميلادي (فمر أهل كل قرية من كورتك فليعجلوا حمل الذي عليهم)^(٣) . اما عن استمرارها فأكدته كل وثائق عوجا الحفير مزدوجة اللغة وكذلك وثائق مصر التي تسميها (ضريبة الطعام) لأن رواية لدى البلاذري ومن اخذ عنه فيما بعد تزعم ان فرض الارزاق سرعان ما تحول الى مبلغ نقدي اضيف الى الجزية . وكأن فرضها كان اجراء مؤقتاً ، إذ تزعم الرواية ان عمر بن الخطاب نفسه هو الذي ادخل قيمتها ضمن المبلغ النقدي للجزية . ان مثل هذه الرواية غير جديرة بالقبول . لانها ببساطة تتناقض

(1) Karabacek , Fuehrer, p. 127 No.503 .

(2) Karabacek,Fuehrer.p.139, No.557.

(3) Becker, PSRI, p. 70 No. 3.

مع نصوص الوثائق التي تعود كما ذكر إلى ما بعد فترة عمر بزمان طويل بل الى القرن الاول كله . فوثائق عوجا الحفير (نصتان) تتحدث عن الارزاق بكميات كبيرة كذلك وناثق مصر الموجهة الى بعض القرى المصرية باسم الوالي نفسه قرة بن شريك ، حيث بلغ المطلوب فيها من ضريبة الطعام من اهالي هذه القرى ، والحديث معنا عن القمح فقط ولذلك سميت بمصر ضريبة الطعام ، بين ١٢٨ ، ٨٨ ، ٢٧٣ ، ٢٥٠ ، ٢٣٥ ، ٢٧٠ وثلث ونصف وبيبة ١٨ ، ٥ ، ارادب^(١) وكذلك وناثق عوجا الحفير التي سنتحدث عنها بالتفصيل .

فقد روى البلاذري عن ميمون بن مهران قوله ان عمر : (أخذ الزيت والخل والطعام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدة ثم خفف عنهم) واقتصر على جزية الطبقات ٤ ، ٢ ، ١ ، دينار على اهل الذهب او ٤٨ ، ٢٤ ، ١٢ ، درهما على اهل الورق (نظرا من عمر للناس ، وكان على كل انسان مع جزيته مديا قمح وقسطان من زيت وقسطان من خل)^(٢) لكن قدامة بن جعفر ذكر خبراً آخر يقول فيه أن معاوية أجرى تعديلا في الجزيرة جعل بموجبه على اهلها (جميعهم الطبقة الوسطى وهي ٢٤ درهما وثمان عليهم اقساط الزيت والعسل فبلغت قيمة ذلك

(1) Becker. C. H. Papyri Schott - Reinhardt I, Veroeffentlichung aus der Heidelberger Papyrussammlung 3, Carl Winters Universitaetsbuchhandlung, Heidelberg, 1906, p. 82 No.5, p. 106, p.108-113 No.a-1 (Becker PSRI) Faleh Hussein, Das Steuersystem in Aegypten von der arabischen Eroberung bis zur Machtergreifung der Tuluniden 19-254/639-868 mit besonderer Beruecksichtigung der Papyrus UrKunden. HOS. Peter lang, Frankfurt am Main/ Bern 1982, P.98-99 (Hussein, Das Steuersystem).

(٢) البلاذري ، فتوح ، ١٧٨ ، انظر قدامة بن جعفر (٢٣١هـ/٩٤٢م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، نشر وزارة الثقافة والأعلام ، سلسلة كتب التراث ، ١١٠ ، بغداد ، ١٩٨١م ، ص٢٢٦ ، وسيشار إليه فيما بعد : قدامة ، الخراج .

بسعر الوقت تسعة دراهم ، اضافة الى الجزية فصار الجميع ٣٣ درهماً^(١) ويقول مرة اخرى عن الزيت انه كان ثلاثة اقساط (وانما كان ذلك في اول الامر ثم رفع عنهم وصار في الخراج الواجب) ٣٦ درهماً لكن هل الغى عمر او من جاء بعده الارزاق كما توحي مثل هذه الروايات او انها حولت الى مبالغ نقدية؟! في الاجابة على ذلك نقول : أن الأرزاق استمرت في التطبيق ولم يتم الغائها او تحويل قيمتها او بعضها الى نقد لا في ايام عمر ولا في ايام معاوية ، بل استمرت في الشام وخصوصاً القمح والزيت طوال الفترة الاموية على الاقل سواء الارزاق بمعنى الفريضة التي فرضت على اهل الشام او الارزاق التي اقرها عمر للجنود وعيالاتهم شهرياً . وقد أكدت الروايات كما الوثائق هذا الاستمرار ليس في الشام وحسب بل وفي العراق ومصر عبر القرن الاول كله بل وحتى ايام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م ، الذي تعهد لمستمعيه من أهل الشام في خطبة البيعة باستمرار ادراك العطاء وتوزيع الارزاق في مواعيدها (وارزاقكم في كل شهر)^(٢) . كما استمر الحديث ايضا عن دار الرزق التي جمع ما يجبي من الارزاق ومنها ايضا وزعت الارزاق الواجبة للجنود ، وكان لها عامل خاص هو(صاحب دار الرزق)^(٣) في البصرة والكوفة (وصاحب الأهراء)^(٤) في مصر وكذلك عرفت أيضا في الشام بالاهراء فقد جعل عمر بن

(١) قدامة ، الخراج ، ص ٢٢٦ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٢٦٩ .

(٣) عن دار الرزق في البصرة والكوفة انظر الطبري ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٦٣ ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٩ -

٤٧٠ ، ج ٦ ، ص ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ج ٧ ، ص ١٨٤-١٨٥ .

(٤) أما الأهراء مفردا هري فتعود إلى الأصل اللاتيني Horrium ، أو اليوناني Horion وهي المخازن العامة

الرسمية وتجمع فيها ضريبة الطعام او الارزاق ؛ Becker PSR1. P.70.74.76 فالح حسين ، بحث ،

ص ١٨٩ .

الخطاب على الاهراء في الشام عمرو بن عبسة^(١) .

لذلك كله أن ما زعمه البلاذري وبعده قدامة بن جعفر فيما نسب الى عمر او معاوية من اجراءات تبقى محل شك وتساءل . وقد يكون ، وهو الاغلب ان المقصود في الحالتين ، ليس الارزاق التي اقرها عمر في الجابية ، بل التعديل الذي اجراه بقراره هذا على (الدينار والجريب) التي يتردد ذكرهما في روايات الفتح الاولى ، واستبد لهما بجزية الطبقات المتدرجة والارزاق العينية المحددة كما اشرنا اليهما سابقا .

ويلاحظ الدارس لوثائق عوجا الحفير(نصتان) البردية العربية انها تتحدث دائما عن الاشهر الواجب دفع الرزق عنها وكميات الارزاق المطلوبة لهذه الأشهر ، مما يوحي بارتباط المادة المطلوب اداؤها بما فرض للجند من الارزاق شهريا منذ ايام عمر بن الخطاب الى ايام يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣- ٧٤٤م على الأقل الى ان قطعها عمال السوء كما يقول الازدي^(٢) ، الامر الذي قد يشير الى انها قطعت بعد الامويين .

ولكن ماذا تقول هذه الوثائق عن الارزاق! وعلينا اولا ان نأخذ بعين الاعتبار انها لا تتحدث الا عن القمح والزيت وحيانا الشعير والزيت مما يضع الخل والعسل في مجال تساؤل ، كما انها كانت تطلب عينا غالبا ، وقد يسمح للفلاحين بدفع البدل النقدي الذي تحدده النصوص دائما في مثل هذه الحالة . هذه الوثائق التي تتحدث عن طلبات من القمح والزيت بالمكاييل

(١) الطبري ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

(٢) الازدي ، فتوح ، ص ٣٧٠ .

الشامية المدي والقسط^(١) ، نورد هنا انموذجا لها ، هذه الوثيقة المدونة في شهر ذي القعدة من سنة ٥٤هـ/ تشرين الثاني ٦٧٤م وهي وثيقة ثنائية اللغة حيث ورد النص اليوناني لاحقا للنص العربي ومؤرخ ايضا بشهر (نوفمبر لسنة ٥٤ للعرب) . ونورد نصها باللغتين لبيان وحدة الموضوع واستخدام النص نفسه تقريبا في الحالتين .

النص العربي :

- ١- ب[سم الله الرحمن الرحيم
 - ٢- من] الحرت بن عبد الى اهل نصتان
 - ٣- من ك[ورة غزة من اقليم الخلوص
 - ٤- فاعط]وا . . . عدي بن خلد من بني
 - ٥- سعد بن م[لك رزق ذ]ي] القعدة و
 - ٦- محرم وصفرا] و[شها]ري ربيع
 - ٧- سبعين م[دي قمح ومثله زيتا و
 - ٨- كتب ابو سعيد في ذي القعدة
 - ٩- من سنة اربع وخمسين
- فيجمعه] سبعين مدي قمح ومثله زيتا

(١) المدي والقسط وهي مكايل الشام للحبوب والسوائل والجمع امداء وأقسط ، أصلهما :

انظر: Sextarius Modius:

Hinz , W. Islamische Masse und Gewichte umgerechnet ins metrische System, p 38-39

<45-46, Brill, Leiden, 1955. Diem, W. Vier Dienstschriften an Ammar, Ein Beitrag zur

arabischen Papyrologie, ZDMG, vol.133, no.2 (1983) p.250

وقد خلط الكثيرون بين المد والمدي انظر : فالح حسين ، الفروض العينية ، ص ١٨٩ .

وترجمة النص اليوناني :

«بسم الله الحارث بن عبد الى اهالي نصتانا اقليم الخلوص ، كورة غزة .
ادفعوا بالعجل الى عدي بن خالد من بني سعد بن مالك لخمسة اشهر ذي
القعدة ومحرم وصفر وشهري ربيع سبعين مدي من قمح وسبعين قسط من
الزيت . كتب في شهر نوفمبر من الاندقتيون الثالث . السنة ٥٤ للعرب بيد
الكسندر بن امونيوس . .

المجموع سبعين مدي قمح وسبعين قسط زيت^(١) .

الخاتم

هذه الوثيقة التي تمثل طلبا entagion بتعجيل دفع ما على اهل نصتان من
القمح والزيت للموظف المرسل اليهم لهذه الغاية ، وهي تغطي ارزاق خمسة
اشهر يمددها النص بذي القعدة والمحرم وصفر وشهري ربيع ونرجح ان المقصود
بالرزق هنا ارزاق الجند ، وليس الارزاق المفروضة لان الكمية المذكورة هنا في
الطلب تغطي فترة طويلة من العام لخمسة اشهر ، والمبلغ المطلوب هو (٧٠) مدياً
قمح و٧٠ قسط زيت) في حين اننا نجد في الرسائل الاخرى مبالغ اعلى بكثير
ولكنها تغطي شهرين من السنة ، وبالتالي الكمية المطلوبة غالباً تتحدث عن
ارزاق الجند وليس الارزاق المفروضة ، نعني هنا ما يخص مصطلح (رزق) الوارد
في السطر الخامس ، والطلب مرسل من غزة الى اهل نصتان التابعة كورة غزة .
اما المؤلف المكلف بالاستلام فهو عربي (عدي بن خالد من بني سعد بن
مالك) . كما ان المرسل وهو المسؤول الاداري عن الجباية كان عربياً ايضاً (الحارث
بن عبد) . وكتب الكتاب في شهر ذي القعدة من سنة ٥٤ هـ ويطلب رزق
خمسة اشهر لكنه يذكر الاشهر الاربعة الاولى من السنة اضافة الى الشهر قبل

(1) Kraemer, Casper J. Excavations at Nessana, 3, Non literary papyri, Princeton, 1958, p.

180-181, no. 60 Kraemer, Excavations).

الاخير من السنة . وكأن الارزاق المطلوبة هنا مما بقي على اهالي نصتان من شهور سابقة .

ومن بين وثائق عوجا الحفير ثلاث منها تحدثت عن الارزاق في سنة واحدة هي سنة ٥٥٥هـ تغطي ستة اشهر من السنة وكانت الكمية المطلوبة في الرسالة متساوية تماما في اثنتين منها بينما بلغت في الرسالة الثالثة ثلاثة اضعاف الكمية التي طلبت في الرسالتين السابقتين . صدرت الاولى رقم (٦١) في رجب ، عن شهري (رجب وشعبان) ، والثانية (٦٣) في شوال عن شهري (محرم وصفر) ، والثالثة (٦٢) ، أيضاً صدرت في شوال عن شهري (شوال وذو القعدة) وكلها تتحدث عن السنة نفسها أي سنة (٥٥٥هـ) .

فالكمية المطلوبة لتغطية راتب الرزق للجنود هنا تطلب سلفا في رقم (٦١) و(٦٣) لتغطية صرف الارزاق في الشهرين المقبلين وفي رقم (٦٢) في الشهر الذي كتبت فيه والذي يليه .

أما نص هذه الرسائل فكان كالاتي :

وثيقة رقم (٦١) : رجب ٥٥٥هـ / حزيران ٦٧٥م ، وفيها طلب تعجيل أداء

المطلوب من القمح والزيت وهي ثنائية اللغة عربية- يونانية ، ونصها :

١- بسم الله الرحمن الرحيم

٢- من الحرث بن عـ[بد] إلى اهل نص

٣- تان من [كورة غزة من اقليم

٤- الخلوص فا]عطوا

٥- بن زيد من سعد بن ملك

٦- رزق شهر رجب وشعبان ستة

٧- وتسعين مدي قمح ومثله

٨- زيتا وكتب خلد في رجب

٩- من سنة خمس وخمسين .

فجمعه ستة وتسعين مدي

قمح ومثله زيتا

وترجمة النص اليوناني :

«بسم الله

الحارث بن عبد ، الى اهالي نصتنا ، اقليم الخلوص ، كورة غزة . ادفعوا بالعجل ل . . . بن زيد من بني سعد بن مالك لشهري رجب وشعبان لحصاد الاندقتيون الرابع ٩٦ مدي قمح و٩٦ فسط زيت . كتب في شهر اب من الاندقتيون الثالث في سنة ٥٥ للعرب بيد اصطفان الميomasسي .

المجموع ٩٦ مدي قمح ٩٦ ، قسط زيت .»^(١)

لكن التاريخ الذي حمله النص العربي والنص اليوناني يشعران انهما لم يكتبا في وقت واحد ، فان النص العربي حمل تاريخ رجب من سنة ٥٥ ويقابله شهر حزيران ، بينما كتب النص اليوناني في شهر اب من نفس السنة ، والفاصل الزمني بينهما يقدر بشهرين قد يزيدان لان التاريخ في الحالتين اغفل اليوم الذي كتب فيه النص ، ويشير هذا الامر الى ان النص العربي كان يكتب اولاً ثم يكتب بعده النص اليوناني ربما بناء على ما جاء فيه . فالنص العربي ياتي في هذه الوثائق اول الصفحة ويتلوه النص اليوناني الذي يليه الخاتم .

ويشير النص اليوناني ايضا قضية التوقيت فهو كتب في شهر اب من الاندقتيون الثالث لكن المواد المطلوبة عن الشهرين المذكورين تاتي لحصاد الاندقتيون الرابع ، بينما خلا النص العربي من اشارة من هذا النوع . وترجمته النص اليوناني تقول حرفيا كما جاء لدى كرايمر (Kraemer) :

(pay quickly... for the two months Rajab and Sha'ban on the harvest of the forth indiction .written in the month of August of the third indiction. Year 55 according to the Arabs...)⁽²⁾.

(1) Kraemer, Excavations.p.182-183, no.61.

(2) Kraemer,Excavations.p.183.

أما السبب فيبدو في الفرق الزمني بين كتابة النصين اذ كتب النص اليوناني في نهاية الاندقتيون الثالث ليطلب المطلوب الذي يقع في اوائل الاندقتيون الرابع .

أما الوثيقة رقم ٦٢ المؤرخة بشهر شوال سنة ٥٥٥هـ / أيلول - تشرين الأول ٦٧٥ م .

وهي أيضاً ثنائية اللغة عربية - يونانية وتطلب رزق شهري شوال وذوي القعدة وكتبت في شوال سنة ٥٥٥هـ / تشرين الأول من الاندقتيون الرابع ولكن اللافت هنا الكمية التي تبلغ ثلاثة اضعاف ما طلبته الوثيقة رقم (٦١) رغم اتفاقهما في المدة وهي شهران في الحالتين ، وارسلتا من قبل نفس الشخص نفسه ، والنصان كلاهما تامان بحيث يمكن اعتبارهما نموذجا للوثائق التي تعرضت لتلف ادى الى نقص النص فيها .

النص العربي

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢- من الحرث بن عبد الى اهل
- ٣- نصدتان من كورة غزة من
- ٤- اقليم الخلوص فاعطوا
- ٥- عمرو بن قيس من بني
- ٦- سعد بن ملك رزق شوال
- ٧- وذوي القعدة عشرة وثلث
- ٨- مئة مدي قمح ومثله زيتا
- ٩- وكتبه خلد في شوال من
- ١٠- سنة خمس وخمسين .

فجمعته عشرة وثلاث ميه

مدي قمح ومثله زيتا .

النص اليوناني :

«بسم الله ، الحارث بن عبد الى اهالي نصتانا ، اقليم الخلوص ، كورة غزة ، فاعطوا بالعجل لعمر بن قيس من بني سعد بن مالك لشهري شوال وذو القعدة (٣١٠) ثلاثمائة وعشرة امداد من القمح وثلاثمائة وعشرة اقساط من الزيت . كتب في شهر اكتوبر من الاندقتيون الرابع ، سنة ٥٥ للعرب بيد ثيودور بن جون .

المجموع ٣١٠ مدي قمح و٣١٠ قسط زيت « (١)

اما الوثيقة الثالثة رقم (٦٣) والتي تعود الى السنة نفسها ٥٥هـ فتطلب كسابقتها كميات من القمح والزيت مساوية للكمية التي طلبتها وثيقة رقم (٦١) وعن شهرين ايضا هما محرم وصفر ولكن اصاب الوثيقة تلف سلم منه ، تاريخها والكمية المطلوبة في النص العربي ، لكن النص اليوناني بقي فيه ما يذكر الفترة التي يغطيها النص وهي شهران . وجاء النص كما يلي (من الحارث بن عبد الى اهالي نصتانا ، اقليم الخلوص ، من كورة غزة فاعطوا ... من بني سعد بن مالك لشهري المحرم وصفر ٩٦ ، مدي قمح و ٩٦ قسط زيت .

كتب في اكتوبر من الاندقتيون الرابع سنة ٥٥ للعرب بيد بروكوبيوس .
المجموع ٩٦ ومدي قمح و٩٦ قسط زيت) (٢)

فكان مجموع ما طلب من اهالي نصتان في فترة ستة اشهر (٥٠٢) مدي قمح ومثلها زيتاً ، فكم دفعوا خلال العام كله!؟

وتلقي وثيقتان من الوثائق نصتان (عوجا الحفير) الضوء ليس على الارزاق فحسب ، بل وتحدد اسعار القمح والزيت في ذلك الوقت ، عندما تخير أهل

(1) Kraemer, Excavations, p. 184 -185, No. 62 .

(2) Kraemer, Excavations, p.186 - 187 , no .63.

البلدة بدفع البديل النقدي ان ارادوا . ففي الجزء الذي بقي من وثيقة رقم (٦٤) نجد : (وثنمن] تسعة وسبعين ومئتي مدي قمح و]مئ] له زيتا ثمانية عشر دينرا وثلثي دينر وكتب . . . في شهر [ربيع] الاول من سنة ستة وخمسين . فجمعبته تسعة وسبعين ومئتي مدي قمح ومثله زيتا وثنمن مثل ذلك ثمانية عشر دينرا وثلثي دينرا) . اما النص اليوناني الذي بقي سالما بدرجة كبيرة فينص (بسم الله . الحارث الى اهالي^(١) كورة غزة ، ادفعوا بالعجل لعبد الله بن علقمة من بني سعد بن زير لشهري ربيع لبقايا الاندقتيون الرابع ٢٧٩ مدي قمح ٢٧٩ ، قسط زيت ، والثنمن (لهذه الكمية) ١٨ وثلثي سوليدوس كتب في شهر شباط من الاندقتيون الرابع سنة ٥٦ للعرب بيد جورج الميوماسي)^(٢)

وهذا الطلب entagion يذكر لأول مرة البديل النقدي للمواد العينية حيث بلغ ثمن كل ١٥ وحدة منها دينارا واحدا ، مع العلم ان القرية المرسل اليها الطلب هنا هي قرية اخرى من المناطق التابعة لكورة غزة غير نصتان لكن اسمها ضاع مع الاسف من كلا النصين العربي واليوناني . أما الوثيقة رقم (٦٥) الصادرة في ربيع الاول ٥٦هـ / شباط ٦٧٦م فتتحدث عن الموضوع نفسه لكنها موجهة هذه المرة الى نصتان وتخيرهم بدفع البديل لكمية القمح والزيت وهي (٢٠٥) مدي قمح وقسط زيت وتذكر قيمة البديل ب ١٣ وثلثي سوليدوس . وهي نسبة مساوية لما جاء في الوثيقة السابقة مما يعني ان الاسعار كانت اسعارا عامة في المنطقة .^(٣) اما الوثيقتان الأخيرتان من وثائق نصتان (عوجا الحفير) ثنائية اللغة فانهما تحملان ميزتان غير ذكر الارزاق ، فالاولى وهي رقم ٦٦ اضافة الى حديثها عن طلب الارزاق من القمح والزيت كسابقاتها الا انها تتميز عنها

(١) الرسالة موجهة إلى قرية أخرى من إقليم تذكره الوثيقة باسم سيكومازون لكنه يتبع كورة غزة أيضاً .

أما اسم القرية فيظن Kraemer أنها قد تكون Agrippias Anthedon لان اسم القرية يبدأ بحرف A .

(2) Kraemer, Excavations, p. 188- 190, No.64.

(3) Kraemer, Excavations, p. 191- 193 ,no.65 .

النص اليوناني يقول : (بسم الله ، حسان بن مالك الى اهالي نصتان ، اقليم الخلوص ، كورة غزة . فاعطوا بالعجل نوفل بن سكن من بني عوف بن عامن ٢٧٠ مدي قمح ، و٢٧٠ قسط زيت . . .) . أما تاريخها فجاء واضحاً في النص العربي سطر ٧-٨ (في شهر ربيع الاول من سنة سبعين) (١) .

ومن بين وثائق نصتان وثيقة تعود الى سنة ٦٥هـ / ٦٨٥ م ، صادرة باليونانية فقط وتتميز عن بقية الوثائق السابقة انها تذكر ما دفعه بعض اهالي نصتان من الأرزاق (إيصال قبض للارزاق) ، لان الوثائق الاخرى تحدثت عما يجب على اهل نصتان كجماعة أداءه . بينما تذكر هذه الوثيقة ما دفعه بعض الافراد في القرية ، وهي مبالغ متفاوتة جداً ، طبعاً حسب قدرة الافراد ، فبلغ أقلها (٤) مدى قمح واكثرها بلغ (٦٥) مدىاً من القمح . أما مجموع ما تتحدث عنه الوثيقة مقدار ٤٢ نصف مدي شعير وثمان وسدس مدي قمح . ويلاحظ هنا ذكر الشعير في حالتين من قبل الشخص نفسه ، الأمر الذي

== ص ٦١٠-٦١١ . وتؤكد هذه الوثيقة انه كان على فلسطين أيام عبد الملك حتى سنة ٧٠هـ . وزعمت رواية لدى ابن عساكر انه سلم عليه بالخلافة حتى سلمها مروان بعد أربعين ليلة ، وأنه عاش حتى أيام عمر بن عبد العزيز لأنه (خاصم عجم أهل دمشق إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسة كان أحد الأمراء أقطعها إياها) . ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، (العمروي) ، ج١٢ ، ص٤٤٨-٤٥٠ لكن الخبر موجود لدى البلاذري أيضاً ؛ فتوح ، ص ١٢٤ . وهذا خبر يصعب قبوله خصوصاً وانه على رأي ابن عساكر كان زعيم كلب ومقدمهم في صفين مع معاوية . إلا انه عاش كما تؤكد هذه الوثيقة حتى سنة ٧٠هـ ، ويبدو انه مات في هذا العام . لان ابن كثير يذكر انه مات في السنة التي قتل فيها الأشدق ، فيكون مقتله ووفاة حسان وهو على رأس عمله في سنة ٧٠ . انظر ابن كثير ، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية ، ج٨ ، مكتبة النصر - بيروت ، مكتبة المعارف ، طبعة أولى ، الرياض ، ١٩٦٦م ، ج٨ ، ص ٣١٠ .

(1) Kraemer, Excavations, p.196-197, No. 67.

لم يرد في الروايات التي تحدثت عن الارزاق ، فقد جاء فيها دائماً ذكر القمح ، ولم يرد في اي منها ذكر للشعير .

أما مضمون النص فيذكر ان احد الجباة وصله من اصطفان بن عويض عن طريق جون بن الزيات ١٢ مدياً شعير . وتسلم من اصطفان أيضاً عن طريق جون ٣٠ ونصف مدي شعير و(١٥) مدياً قمح . أي أن اصطفان دفع الكمية على مرحلتين للشخص نفسه الذي أوصلها لمن استلمها من الجباة ، وهو هنا جون بن الزيات الذي يبدو أنه كان جابياً محلياً ، استلم بعض المطلوب واوصله إلى من اصدر الايصال ، بينما ادى بعض الاشخاص ما عليهم شخصياً . إذ يستمر نص الايصال بالقول : ومن اباباكيوس (٤) مدياً من القمح ومن خلال جون بن الزيات ٥ وسدس مدياً قمح ، ومن زمنين بن اجدع ٢٠ مدياً قمح ، ومن خلال جون بن الزيات ١٦ مدياً قمح ، ومن اصطفان بن حانون ٦ وثمان (ليبيرة) ، هكذا اورد بالنص ، عن السنة الماضية ، ومن جورج بن حانون ٦٥ مدي قمح^(١) .

ويظهر في حالة اصطفان بن عويض دفع الشعير اضافة للقمح . ويبدو ان زراعته غلب عليها الشعير لان ما دفعه منه يقرب من ثلاثة اضعاف ما دفعه من القمح (٤٢ مدياً ونصف شعير مقابل ١٥ مدياً من القمح) ، كما أن احدهم دفع مما وجب عليه من السنة الماضية . ومن الوثائق ما تحدث عن الجند وطعامهم او ارزاقهم وعطائهم ، فالبردية رقم (٩٢) التي تعود الى أيام عبد الملك أيضاً ، حيث تظهر المبالغ المصروفة للجند بقيمة عشرة دنانير (سوليدوس) للجندي ، الواحد وأحياناً بلغت القيمة عشرين ديناراً . مما يوحي بدفع منتظم (رواتب) . كما تتحدث عن تامين (رزق) طعام ، والنقود للمهاجرين ، والاسماء المذكورة هنا جميعها من العرب الذين استلموا الرزق . وتكرر فيها المصطلحات الدالة على الجيش مثل اجور (رواتب) المهاجرين ، مما يشير الى عطاء الجند ، ويرد الحديث هنا دائماً عن الطعام والنقد .

(1) Kraemer, Excavations, p.235-236, no.81

وهناك إشارات إلى رجال ذوي علاقة بالشرطة او الشاحن او الاشراف على توزيع العطاء والرزق.^(١)

ولم تكن الارزاق من القمح والزيت وحدها التي تحدثت عنها وثائق نصتان (عوجا الحفير) ، بل من بينها ما تحدثت عن ضريبة الراس او ضريبة الارض ، فالوثيقة رقم ٥٩ الصادرة في غزة في شهر اكتوبر سنة ٦٨٤م / ربيع اول سنة ٦٥هـ والتي كتبت باليونانية فقط تمثل ايصالا لدفع ضريبة الراس والضرائب العامة ، ولم يستخدم هنا المصطلح العربي (جزية) لان الوثيقة انما استخدمت المصطلح اليوناني الدال على ضريبة الراس . وهي تعود الى خلافة مروان بن الحكم التي بدأت في اوائل سنة ٦٥هـ واستمرت تسعة اشهر^(٢) .

واللافت في هذا الايصال ان قيمة الجزية عن الشخص الذي دفعها عن نفسه بلغت ستة دنانير ، وهي اعلى من المبلغ الذي تتحدثت عنه المصادر التاريخية التي جعلت الحد الاعلى للجزية في الشام اربعة دنانير^(٣) وهذه الوثيقة تنقض هذا المبدأ عندما تذكر بوضوح ان جورج بن باتريك دفع المبلغ المذكور للجزية (عن نفسه وحده) ، وكانت اللجنة التي تسلمت المبالغ المدفوعة مكونة من اربعة اشخاص ونصها كالتالي : (نحن جون ، وثيودور ، وجيورج وفكتور نقر لك يا جورج بن باتريك من نيسانا . . . للفترة التي تبدأ من شهر سبتمبر ٢٨ في الاندقتيون الثالث عشر انه دفع . . . عن نفسه وحده لاثني عشر شهراً ، اثنا عشر ديناراً (سوليدوس ذهبي) ست منها للضرائب العامة public-tax وست لضريبة الرأس poll-tax للاندقتيون الثالث عشر . نحن المذكرون جون

(١) Kraemer, Excavations, p.290-292 no.92, p.300-304.no.93

(٢) انظر لخلافة مروان : الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص ٥٣٠-٥٣٧ بويغ في ذي القعدة سنة ٦٤ أو محرم سنة ٦٥ ومات في أول رمضان سنة ٦٥هـ . الطبري ، ج٥ ، ص ٦١٠-٦١١ وكانت خلافته تسعة أو عشرة شهور .

(٣) انظر جزية الطبقات المشار إليها أعلاه .

وثيودور وجيورج وفكتور نقر أننا تسلمنا منك ياسرجيوس بالكامل المبلغ المكون من ستة دنانير للضرائب العامة ، وليس لنا حق بمطالبتك باي شيء يعود الى حساباتنا ما عدا ستة دنانير لضريبة الراس . كتب بناء على طلبهم في شهر سبتمبر الاندقتيون الثالث عشر بيدي سرياقوس بن . . . (1) .

مما يعني ان هذا الايصال صدر لشخصين من قبل هذه اللجنة دفع كل منهم مبلغ ستة دنانير للضرائب العامة ودفع احدهم ستة دنانير لجزيته وبقي على الاخر قيمة ستة دنانير هي المبلغ المفروض عليه لجزيته (Poll-tax) .

وتتحدث إحدى وثائق نصتان (عوجا الحفير) اليونانية عن التعجيل بارسال ما تم جمعه من ضريبة الراس ، وهي تعود الى أوائل أيام خلافة عبد الملك كما اقترح ناشرها ، أي إلى حوالي سنة ٦٦هـ / ٦٨٥-٦٨٦م ، وقد بقي منها بعض السطور السليمة التي تتحدث بوضوح عن جمع وارسال المبالغ التي جمعها المرسل اليه بالسرعة الممكنة (اجمع ما يمكنك جمعه وارسله الي . . . وتاكّد انك لن تتأخر ساعة واحدة عن احضار مبالغ الجزية التي يجب ان تكون كاملة دون نقصان للقسط الثاني الى غزة وسلام عليك) . أما الترجمة الحرفية للنص اليوناني كما اوردها كرمير فهي :

"Get whatever you can collect and send it for me since I have authority over the quota of... Make sure that you don t delay one hour in bringing the poll-tax and that it be found sufficient for the second installment at Gaza ..peace be with you(2)"

وقد اقترح الناشر ان كلمة installment تشير إلى time limit أو du date ويفترض أن يكون المقصود موعد القسط المحدد أي القسط الثاني . وهذا النص يذكر بنصوص الاوامر التي كان يصدرها قرة بن شريك والي

(1) Kraemer, Excavations, p. 172-174, No. 59.

(2) Kraemer, Excavations, p. 202-203, No 70.

مصر الى عامله على احدى الكور المصرية (فاذا جاءك كتابي هذا فخذ في ما على ارضك من الجزية وعجل بالاول فالاول بما جمعت ولا اعرفن ما اخرت ما قبلك)^(١) مع أن هذه الرسالة في الحقيقة ليست من الوالي الى حاكم نصتان ، بل من موظف الضرائب في غزة الى المسؤول الاداري في نصتان لانها معنونة كالتالي :

"To my Lord and Master George administrator of Nessana from George"⁽²⁾

وتفيد إحدى وثائق نصتان (عوجا الحفير) التي تشكل ايضاً ضريبياً ان الشخصيات الدينية في هذه البلدة قد دفعوا الجزية أيضاً مما يعني انها لم تفرض عليهم في مصر^(٣) فقط بل وفي الشام أيضاً ، إذ يظهر بين الدافعين لها اثنان من رجال الدين احدهما راهب والثاني كبير الشامسة وهم : سرجيوس بن جورج ابن باتريك راهب بدير سانت سرجيوس ، وجورج بن فكتور رئيس شامسة نفس الدير^(٤) .

وتؤكد هذه الوثيقة أمراً آخر وهو أن الجزية هنا كانت ستة دنانير وهو المبلغ الذي ظهر في وثيقة (٥٩) السابقة ، ولم يكن الأمر استثنائياً لأن ١٧٤ شخصاً من أهالي نصتان المكلفين كانوا قد دفعوا مبلغ (١٠٤٤) ديناراً فيكون معدل ما دفعه الشخص الواحد تماماً ستة دنانير^(٥) وبذلك تكون جزية أهالي نصتان أكثر بكثير من الحد الأعلى الذي تحدثت عنه الروايات التاريخية وهو أربعة دنانير ،

(1) Becker, PSRI p 58, n1, p68,70, no3

وقد تعني كلمة جزية هنا أموال الضرائب بشكل عام وليس جزية الراس بالتحديد .

(٢) انظر هامش ٢ ، ص ٤٤ . ويبدو ان كليهما حمل اسم جورج .

(٣) لفرض الجزية على الرهبان بمصر في هذه الفترة ، انظر :

Faleh Hussein, Das Steuersystem, p.65-66.

(٤) انظر هامش رقم (٥) ادناه .

(5) Kraemer, Excavations, p 215-219, no 76 .

وديناران ودينار واحد بناءً على المبدأ الذي أسست عليه جزية الطبقات ، المتدرجة ، ونكرر هنا الرواية التي تفيد بان ما فرضه عمر بن الخطاب هو جزية الطبقات ، يقول البلاذري عن الاوزاعي : (كانت الجزية بالشام في بادئ الامر جريباً وديناراً على كل جمجمة ثم جعلها عمر على الطبقات لغنى الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط)^(١) ، اللهم إذا كان المقصود كان هنا هو مجموع الضرائب المحصلة ، فيكون معدل ما دفعه الفرد في نصتان هو ستة دنانير ، وكلا الاحتمالين وأرد هنا .

ونجد بين وثائق نصتان ما يؤكد فرض وجباية ما تسميه هذه الوثائق بالضرائب العامة public-tax وهي غير الجزية والخراج والارزاق ، وكتبت الوثيقة باليونانية فاستخدمت التعبير اليوناني الذي يوافق التكاليف العامة^(٢) وهي فروض اضافية للضرائب المذكورة في المصادر بشكل رئيسي اعني الجزية والخراج . فالوثيقة رقم ٥٥ الصادرة من غزة في نيسان ٦٨٢م / شعبان ٦٢هـ أي في خلافة يزيد بن معاوية ٦٠-٦٤هـ / ٦٧٩-٦٨٣م^(٣) تشكل إيصالاً أصدره اثنان من جباة الضرائب هما : جون بن اميانوس وفكتور بن جورج لاحد المكلفين الذي يتكرر اسمه كثيراً في وثائق نصتان وهو جورج بن باتريك لقاء ٤ وثلث دينار لضرائب العامة المفروضة عليه . وقد تسلم المبلغ سرجيوس بن ميناس الذي يبدو انه تولى إيصال المبلغ ، وتولى كتابة النص شخص ثالث

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٢٤ ؛ أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٢ ، ١٣١ ، ٢٧٤-٢٧٥ ويرد الخبر في أماكن

كثيرة وإنما أردنا هذه الرواية كمثال .

(٢) التكاليف العامة هي ضرائب عامة كانت تفرض على أهل القرية وهي التي عناها ابن عبد الحكم

عندما قال : (الجزية جزيتان ، جزية على رؤوس الرجال وجزية جملة تكون على أهل القرية) . ابن

عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٥٤ .

(٣) خلافة يزيد بن معاوية تبدأ بعد وفاة معاوية في رجب سنة ستين وتنتهي بوفاته في شهر ربيع الأول

سنة ٦٤ . الطبري ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ ، ص ٤٩٩ .

اسمه سرجيوس بن جورج لان الجبابة كليهما كانا لا يحسنان الكتابة ، أما النص فكان كالاتي :

«أنا جون بن اميانوس وفكتور المسمى تورانت بن جورج ، استلمنا منك يا جورج بن باتريك ، المقيم في نيسانا ، باسم (عن) سرجيوس بن ميناس بن . . . الضرائب العامة المفروضة عليه للاندقتيون العاشر وهي ٤ وثلث سوليدس ذهبي المفروضة عليه . ونقر انه لا حق لنا بمطالبته باي مطالب اخرى حتى نهاية الاندقتيون العاشر . كتب بتفويض من جون وفكتور لما كان اميين بيدي انا سرجيوس بن جورج في ٦ نيسان من الاندقتيون العاشر وكتبت شهادتي ، انا سرجيوس بن ميناس تسلمت منك يا جورج بن باتريك المبلغ المذكور ٤ وثلث سوليدس وساقوم بتسليمها بالكامل دون ابطاء»^(١) .

أما الحديث عن ضريبة الخراج فلم يغيب عن وثائق نصتان (عوجا الحفير) ، ولكن على شكل ضريبة الارض Land-tax دون استخدام المصطلح العربي حرفياً ، فقد جاء في وثيقة رقم ٥٨ ذكر الضرائب المفروضة على الارض وهي ايصال لقاء دفع هذه الضريبة صادر عن لجنة الضرائب في نصتان الى سرجيوس بن جورج لقاء ما دفعه من المال كضريبة على الارض التي آلت إليه . أما عدم ذكر مصطلح الخراج حرفي هنا فيعود الى ان الوثيقة كتبت باليونانية فاستخدمت ما يدل على ضريبة الارض .

ويبدو من خلال النص ان هذا الايصال صدر لاحد كبار الملاكين الذي دفع ما عليه بالطريقة المعتادة اي الى لجنة جبابة البلدة (اعطينا يا سرجيوس نحن الجبابة مبلغ ٣٧ وثلث سوليدس الذي فرض عليك . . . وهو مما فرض على الارض رسمياً) وترجمة النص الحرفية كالاتي : (نحن ابرهام بن موسى الرئيس والياس بن سرجيوس واصطفان بن حانون و . . . بن سعد الله واصطفان بن . . . وجورج بن رقيع والياس بن ابراهام واصطفان بن الياس . . . تسلمنا منك يا

(1) Kraemer, Excavations, p 155, No. 55.

سرجيوس بن جورج المحترم المبلغ الذي اعطينا ومقداره ٣٧ وثلث سوليدس مما فرض عليك بمسح الارض الذي اجراه العرب ، وفرض على الاراضي التي اعطيت لك من قبل سيدنا الوالي المسلم من اراضي بني وعمر . تسلم المبلغ المذكور بالكامل ابراهام بن موسى الرئيس . تسلم المبلغ المذكور ٣٧ وثلث سوليدس بالكامل الياس بن سرجيوس^(١) وقد ضاعت توابع بقية أعضاء اللجنة .

وتؤكد هذه الوثيقة فرض ضريبة الخراج وجبايتها في هذه البلدة وبالتالي في بلاد الشام كلها ، كما تؤكد أن لجنة من الأهالي هي التي تولت الجباية . ولكنها أيضاً كانت المسؤولة عن تقديرها أولاً وتحميل كل فرد من البلدة ما يتوجب عليه بناء على قدرته سواء في أمر الجزية أو ضريبة الأراضي أو تقدير الأرزاق التي ترتبط أيضاً بما يزرعه صاحب الأرض وبالتالي ما تنتجه أرضه .

وهذا يوصلنا الى الحديث عن الجباية وموظفيها الى الحديث عن الجباية وموظفيها في عوجا الحفير (نصتان) وما يمكن ان ينسحب على بقية مناطق بلاد الشام انطلاقاً من ان الوثائق تتحدث عن تطبيقات عملية لكثير من أمور الضرائب في بلدة تابعة لكورة غزة التي تتبع جند فلسطين ، الذي هو احد أجناد الشام المعروفة منذ الفتح عندما قسم العرب بلاد الشام إلى مناطق إدارية أسموها الأجناد ، حيث اخذ الاسم من الجند «سميت كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها جندا» كما يقول البلاذري^(٢) .

وتلقي هذه الوثائق ضوءاً على أسلوب وفرض وجباية الضرائب في بلاد الشام لانها تتحدث عن لجان الضرائب المحلية في احدى القرى وعلاقتها بالسلطة الادارية في غزة وعلاقتها مع الاهالي المكلفين في نصتان (عوجا

(1) Kraemer, Excavations, p168-171, No. 58.

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص١٣٢ وكانت بادئ الأمر أربعة أجناد هي فلسطين والأردن ودمشق وحمص ثم

صارت ستة فيما بعد عندما افرد عبد الملك قنشرين بجند ، والرشيدي فيما بعد أحدث العواصم .

الحفير) ، لذلك قلنا انها تمثل الشاهد العملي الاقدم بين ايدينا على مثل هذه النمط من التنظيم للجباية القائم على اختيار اشخاص من القرى نفسها ، ولانها تعود الى اوائل الدولة الاموية اي الفترة ما بين خلافة معاوية وخلافة عبد الملك ٤٠-٨٦هـ / ٦٦٠-٧٠٥م كما بينت الوثيقة رقم ٥٨ سابقة الذكر ، وكذلك الوثيقة رقم ٥٩ التي تتحدث عن لجنة مكونة من اربعة اشخاص وهم اعضاء محليين من نصتان اصدرت ايضا لضريبة الراس والضرائب العامة لبعض المكلفين لقاء ادائهم ما كلفوا به .

ويمكن ان تدعم وثائق البردي المصرية ما جاءت به وثائق نصتان (عوجا الحفير) في تأكيد دور هذه اللجان المحلية في تقدير ثم جباية الضرائب ، وهي اكثر منها بكثير من حيث العدد ، لكنها متاخرة عنها من حيث الزمن لان وثائق عوجا الحفير هي الشاهد الأسبق على ما تذكره الوثائق المصرية التي تعود الى ولاية قره بن شريك على مصر ٩٠-٩٦هـ / ٧٠٩-٧١٤م^(١) وتؤكد هذه الوثائق وجود اللجان المحلية المكلفة بتقدير الضرائب في المناطق المصرية ، والمرتبطة برؤساء القرى الذين يجتمعون باعضاء هذه اللجان القروية ليقرروا معا ما يفرض على قراهم ومن ثم على الافراد في القرية . وبناء على هذه التقديرات التي ترفع للإدارة المركزية تقوم هذه الادارة بتحديد المبالغ المطلوبة رسميا وترسل الطلبات الرسمية الى القرى المختلفة كالتي استعرضناها من وثائق عوجا الحفير (نصتان) بخصوص ضريبة الارزاق^(٢) ، حيث تقوم اللجان المحلية بجمع المطلوب من الافراد في القرية وهي التي تصدر البراءات بالدفع . لان الإدارة في مركز الولاية لا تستطيع عمليا أن تقوم بهذا العمل إلا بالاعتماد على

(١) الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ / ٦١٩م) ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق رفرن جيست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م ، ص ٦٣-٦٦ بدأت ولايته في ربيع أول سنة ٩٣هـ وانتهت بوفاته في ربيع أول سنة ٩٦هـ .

(٢) المقصود هنا الوثائق رقم ٦٠-٦٧ من وثائق عوجا الحفير التي سبق استعراضها أعلاه .

تقديرات اللجان المحلية . ولدينا مثال واضح من أيام قرة بن شريك وهي وثيقة صادرة باليونانية مرسلة إلى إحدى الكور المصرية ، ويرد فيها أسماء أعضاء إحدى الرجال التي قدرت الضرائب التي فرضت عليها ونصها « . . . الضرائب التي فرضت من خلال ابا كيروس بن اندرو ، وفكتور بن ثيودوسيوس ، وجون بن ثيودور من (افروديتو) ، وميناس بن كولوثوس (من الحقول الخمسة) واندر الكاهن (من الحقلين) وثيودور من (بسيروس) وجون الزيات (باسم الاديرة) وبانيسوس (من بويمن)» وهي مؤرخة في الثالث

من شهر بشنس^(١) من الاندقتيون الثالث عشر وتحدث عن طلب (٢٠٠٠) اردب من القمح (ضريبة الطعام) للاندقتيون الرابع عشر المطلوبة من افروديتو . وهذه هي الكمية التي فرضت من قبل أعضاء اللجنة المذكور أسماء أفرادها في النص^(٢) .

ومن بين وثائق قرة لدينا رسالة توضح ظروف انشاء اللجان المحلية في القرى ، وتبين مهامها الرئيسية في فرض الضرائب على القرى ، كما توضح دور رئيس الكورة في تنظيم العملية وعلاقته مع الوالي ، ولأهمية هذا النص نورد ما يهمنا فيه وهو الذي يتحدث فيه قرة عن إنشاء اللجان ودورها : « واجمع رؤساء وزعماء كل قرية ومرهم باختيار رجال موثوقين أكفاء ، وبعد اختيارهم كلفهم بعد القسم ان يقوموا بتقدير ما يتوجب على كل أهل منطقة (قرية) حسب طاقتهم . وعند اكتمال عملهم ابعث لنا بنسخة منه واحتفظ بنسخة لديك . واكتب لنا بأسماء وأماكن إقامة الأشخاص الذين عملوا هذا التقدير (المقصود هنا توزيع الحصص الضرائبية على القرى) ويشدد الوالي على ان يكون التقدير عادلا بحيث لا تكلف القرى أكثر مما تحتمل ولا يخفف عنها مما يجب على أهلها

(١) بشنس هو الشهر التاسع بالتقويم القبطي ويقابله ٢٦ نيسان / ٢٥ أيار .

(2) Bell, H.I., Translations of Greek Aphrodito Papyri in the British Museum, Der Islam,

vol.4, 1913, p.88, no 1334 (Bell - Translations)

دفعه ويهدد أعضاء اللجنة بالعقاب الشديد اذا ما خالفوا أصول العدل في تقديراتهم ، ثم يطلب من صاحب الكورة ، وهو الموجه إليه هذا الكتاب (أي يقرأ عليهم نص هذه الكتاب يجعلوا مخافة الله نصب أعينهم وهم يقومون بعملهم هذا الذي كلفتهم به . وعليك انت قبل إرسال تقريرهم أن تنظر فيه وتحكم على ما قاموا به ان كان يوافق ما أمرنا به من العدل ام لا . واذا ما رأيت أنهم أثقلوا على الناس او خففوا عنهم فكتب الينا بذلك ، وبين لنا كيف كان تصرفهم . كتب في العشرين من شهر برمودة . . .) (١) .

ويمكن على ضوء ذلك القول ان فرض وجباية الضرائب كانت من مهام الإدارة المحلية وبالتالي اللجان المحلية تحت إشراف الإدارة العليا في مركز الولاية ، حيث يبلغ أعضاء اللجان قراراتهم إلى رئيس كورتهم الذي يقوم بدوره بإبلاغها إلى الوالي . وهنا تتشابه الإجراءات في كل مصر وغزة على حد سواء (٢) .

وأنة من المفيد إلى الإشارة هنا إلى ما جاء لدى ابن عبد الحكم حول مسؤولية زعماء القرى ورؤساء أهلها في تقدير الضرائب لأنها تصب فيما تفيده الوثائق البردية سواء منها برديات عوجا الحفير (نصتان) أو البرديات المصرية من أيام قره بن شريك حيث يبين أن عرفاء كل قرية ومازوتها يجتمعون مع رؤساء أهلها فيتناظرون في شؤون العمارة والخراب ، أي أوضاع القرى وأحوالها الزراعية ، ثم يجتمعوا مع رؤساء القرى ليتم توزيع الأعباء الضريبية بناء على قدرة احتمال القرى وسعة مزارعها ، لتقف كل قرية على ما يتوجب عليها دفعه (٣) .

وهذا ما تفيده من قبل وثائق نصتان (عوجا الحفير) التي أكدت تسلم هذه

(1) Bell, Translations, vol.2 , 1911, p. 282, No. 1356.

برمودا هو الشهر القبطي الثامن يبدأ في ٢٧ آذار .

(2) Kraemer, Excavations, p 176-174, F. Hussein, Das Steuersystem, p.139.

(٣) انظر ابن عبد الحكم ، فتوح ، ص ١٥٣-١٥٤ .

اللجان للضرائب من المكلفين وليس تقديرها فحسب . ورأينا أن إحدى اللجان التي تسلمت ضريبة الرأس والضرائب العامة كانت مكونة من أربع أعضاء^(١) بينما تحدثت وثيقة أخرى عن لجنة مكونة من ثمانية أعضاء من بينهم رئيس اللجنة^(٢) .

هذه المعلومات الوثائقية تذكر ما جاء في المصادر التاريخية التي تتحدث عن أن الجباية قامت أيام الأمويين على أساس اختيار مسؤولي الضرائب من قبل أهل القرى أنفسهم ليس في مصر والشام كما أفادت الوثائق بل في العراق وخرسان في وقت مبكر ، فقد ذكر أن زياد «بن أبي سفيان» وابنه عبيد الله كانا يلجأن إلى (عمال المعذرة)^(٣) ، أما من هم عمال المعذرة فتوضح ذلك رواية لدى الطبري تتحدث عن تدابير ابن هبيرة سنة ١٠٦هـ الذي أمر عامله على خرسان (عليك بعمال المعذرة) فسأله عما يعني فأجابته (مر أهل كل بلد أي يختاروا لأنفسهم فإذا اختاروا رجل فوله)^(٤) .

وتكاد الكلمات نفسها تتكرر قبل ذلك على لسان قررة بن شريك التي سبقت الإشارة إليها ، عندما كتب إلى أحد عماله يقول :
مر أهل كل قرية من كورتك فليعجلوا حمل الذي عليهم وليختاروا قبلاً منهم يتمنونونه ويرضونونه . .^(٥) مثل هذا الإجراء الذي عرف كما أوضحنا في

(١) انظر البردية رقم ٥٩ لدى كريم ص ١٧٤ .

(٢) انظر البردية رقم ٥٨ لديه ص ١٦٨-١٧١ .

(٣) البلاذري ، أبو العباس ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) ، أنساب الأشراف ، ج ١٠ ،

تحقيق إحسان عباس ، نشر المعهد الألماني لدراسات الشرقية ، بيروت ، ١٩٩٦م ، ج ٥ ، ص ٢١١ ،

وسيشار إليه فيما بعد ، (البلاذري ، أنساب) .

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج ٧ ، ص ٣٥ .

(٥) والقبال هو جابي الضرائب العينية في مصر (ضريبة الطعام)

خراسان والعراق ومصر كما في الشام إنما يؤكد وحدة الإجراءات الإدارية في الدولة الأموية في شرقها وغربها على حد سواء . وإذا عدنا إلى وثائق عوجا الحفير فاننا نجدها وخصوصا ثنائية اللغة منها تؤكد أن الموظفين الذين أصدروا الوثائق العربية والذين كتبوها والذين أرسلوا لإحضار ما فرض على أهالي البلدة من أرزاق إنما كانوا جميعا من العرب ، بينما الموظفون التنفيذيون كانوا دائما من أبناء المنطقة المحليين . ولا نجد من بين اعضاءها اي موظف رسمي من الإدارة في غزة ، ورأينا أن مهمة هؤلاء كانت باستمرار النظر في امور الضرائب تقديرها وجبايتها وإصدار الإيصالات الخاصة للجباية لأهل بلدتهم وكانت الطلبات التي أرسلت إلى عوجا الحفير (نصتان) إنما تخاطب أهل البلدة أي أنها طلبات عامة تخاطب جماعة أهل القرية وتطلب منهم تسليم ما عليهم أي ما جمعته اللجان المحلية إلى الشخص المرسل إليهم المذكور اسمه دائما في النص ، وهو في كل الحالات شخص واحدا مهمته محصورة باستلام المواد المطلوبة والمحددة تماما من قبل الإدارة في غزة . لكن جمع هذه المواد إنما تقوم به اللجان المحلية التي كانت حددت الكميات على الأشخاص المكلفين سابقا ، ونفترض أنها هي التي تقوم بتسليم ما جمعته لهذا الشخص المرسل إليهم .

وفيما يتعلق في مواعيد جباية الضرائب والأرزاق بشكل خاص ، ربما يفترض المرء للوهلة الأولى أن الأرزاق التي كانت توزع شهريا على الجند وعيالهم ، إنما تجبي من الفلاحين دفعة واحدة وفي وقت واحد بعد القطف او الحصاد اي في اوائل الصيف بالنسبة الى الحبوب وفي الخريف بالنسبة للزيتون في جنوب فلسطين^(١) . نقول ذلك لان بعض الاشارات التاريخية حددت مواعيد الجباية وربطتها بمواقيت الحصاد والقطف وفقا بالفلاحين حتى ان ابا عبيد يعلق على ذلك بقوله : (ولم نسمع في استيذاء الخراج والجزية وقت من

(١) انظر فالح حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، نشر بدعم الجامعة الأردنية ،

عمان ، ١٩٧٨م ، ص ٩١ (التقويم الزراعي) .

الزمان فيه غير هذا)^(١) ولكن ذلك يبدو نظريا لان الوثائق البردية التي استعرضنا نصوصها سابقا^(٢) في ما يتعلق بالارزاق لا تتفق مع هذه الدعوة ، فهي تحدثت عن طلب تسليم الارزاق (القمح والزيت) في اغلب اوقات السنة دون الالتزام بمواعيد الحصاد والقطاف ، فمثلا الوثيقة رقم (٦٠) التي تحدثت عن طلب ارزاق ٥ اشهر ، نظن ان المقصود هنا ارزاق الجند التي تدفع شهريا ، وطلب كتب في تشرين الثاني كما انها تتحدث عن ارزاق مقبلة لسنة القادمة لانها تذكر محرم وصفر وشهري ربيع اضافة لذي القعدة الذي صدر فيه الطلب ، والمعد المناسب لاداء القمح يكون في اوائل الصيف وبالنسبة للزيت في تشرين اول او ثاني . والوثيقة رقم (٦١) تحدثت عن رزق شهرين (رجب وشعبان) وكتبت في اب فكيف يمكن دفع الزيت قبل القطاف بشهرين تقريبا ، واما الوثيقة رقم (٦٢) فصدرت في تشرين الاول وتطلب كمية كبيرة من القمح والزيت بلغت (٣١٠) مديات أو قسط لكل منهما ، وخصوصا ان موسم القطاف كان ما زال في بدايته . وتواجهنا مشكلة حقيقية في الوثائق ٦٤ و ٦٥ ، ٦٧ ، التي صدرت جميعها في شباط فكيف يدفع الفلاح ما عليه من القمح في شباط؟!

ولذلك نقول انه بجب ان لا ينظر في هذه المواعيد على أنها الموعد المفروض على الفلاح دفع ما عليه بالضرورة ، لان الكميات المطلوبة أصلاً لم تكن لتدفع مرة واحدة بل في مواعيد وأوقات مختلفة من العام أي على أقساط موزعة على مدى العام سواء بالنسبة للارزاق أو الجزية والخراج قد تكون قسطين أو ثلاثة أو أكثر . ودليلنا على ذلك الوثائق نفسها حيث نجد أن أرزاق سنة ٥٥٥هـ طلبت هنا ثلاث مرات ، تغطي كل منها شهرين من العام وكانت كالتالي (محرم وصفر) و(رجب وشعبان) و(شوال وذو القعدة) من نفس العام ، تساوت فيها الكمية

(١) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٦١ .

(٢) انظر نص الوثائق أعلاه .

المطلوبة في حالتين ، وبلغت الثالثة ثلاثة أضعافهما مما يعني أن أرزاق سنة ٥٥ دفعت بالضرورة على أكثر من ثلاثة مراحل (أقساط) لان الطلبات الثلاثة المذكورة إنما غطت ستة أشهر من العام^(١) فكيف دفعت ضريبة بقية العام؟ ولدينا في الوثيقة رقم (٥٤) طلبا يغطي أرزاق خمسة شهور ، لكن الكمية كانت ضئيلة مقارنة بالطلبات الاخرى التي كانت طلباتها لشهرين فقط . مع الأخذ بعين الاعتبار أن الكميات المطلوبة في الوثائق الثماني لم تتساوى الا في ثلاث حالات رغم تقارب الفترة الزمنية .

أما المواعيد التي حملتها هذه الوثائق فقد جاءت متباينة تماماً اذ توزعت على مختلف أشهر السنة الشمسية من شباط إلى تشرين ثاني ، أي في الشتاء والربيع والصيف والخريف . ولذلك يمكننا القول ان الارزاق لم تكن تدفع مرة واحدة أي في وقت واحد بل كانت تتوافق مع ما تسميه الوثائق البردية المصرية طبول أو نجوم أو أنجم السلطان التي قسمت إليها السنة . وهي المواعيد التي حددت لدفع الضرائب عموماً فيقال «ادى اهل مصر طبلا من الخراج وطبلين وطبولاً»^(٢) اي قسط واقساطا . اما النجوم ، ومفردها نجم وهو الوقت المحدد ثم نقل للوظيفة التي تؤدي في الوقت المضروب اي المحدد «وقولهم نجمت المال اذا وزعته كانك فرضت ان تدفعه عند طلوع كل نجم ثم اطلق النجم على وقته ونجم

(١) أرزاق سنة ٥٥ وردت في الوثائق رقم ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، انظر نصها أعلاه .

(٢) الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠-١٧٩١م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ٤٠ ج ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، التراث العربي سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٩٧م ، ج ٢٩ ، ص ٣٦١ . مادة (طبل) . ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) ، لسان العرب ، (١٢ج) ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥م ، مادة طبل .

المال اذا اذاه نجوما . . . وتنجيم الدين تقدير عطاءه في اوقات معلومة متتابعة مشاهرة او مسانهة»^(١) .

وهذا يعني بالنسبة لموضوعنا تقسيط الخراج او الضريبة عموما على اقساط معلومة . ولدينا الكثير من الوثائق البردية التي تتحدث بوضوح عن الموضوع (على ان تؤدي خراجك مع نجوم السلطان) او (منجمتا عليك في طبول المسلمين) او (تؤدي خراجك مع نجوم السلطان) او (انجم السلطان) او (تدفع الخراج موزعا في الطبول)^(٢) ونجد ايضا عبارات مثل «تتمة نجم ذو الحجة»^(٤) او «ذلك النجم الخامس»^(٤) مما يؤكد ان الاقساط او النجوم قد تكون على الاشهر احيانا او قد تصل او تزيد عن خمسة انجم ، وهذا ما يمكن ملاحظته من بعض وثائق (نصتان) عوجا الحفير وخصوصا وثائق سنة ٥٥ التي طلبت فيها الارزاق ثلاث مرات في ستة أشهر من نفس العام كما سبق ذكره . هنا تصيح مسألة اختلاف مواعيد الدفع او طلبات أداء الارزاق سهلة الفهم لانها تتوافق مع مواعيد الاقساط المتعددة .

ونتهي الحديث عن الجباية بوثيقة من وثائق نصتان (عوجا الحفير) التي يمكن أن تفيد في مسألة تقدير محاصيل أهل المنطقة بالنسبة ما يبذرونه من

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣٣ ، تحقيق إبراهيم التريزي ، ص٤٧٧-٤٧٨ ، مادة نجم ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نجم .

(٢) انظر لطبول ، انجم ، نجوم السلطان ؛

Grohmann, APEL, vol.2, p.29, no.77, p.35, no78, Cairo, 1936, Diem, W. Einige fruehe amtliche Urkunden aus der Sammlung Papyrus Erzherzog Rainer, Wien, Le Museon, vol.97,1984, p.118.no.3 G.Frantz-Murphy, Arabic Agyricultural Leases and tax Receipt from Egypt, CPR, Bd. 21 Wien, 2001, p 173,p 175 , p183, p 111-112, p 35.

(3) Faleh. Hussein, Das Steuersystem, p147

(4) Faleh. Hussein, Das Steuersystem, p147

الزرع . وهي تعود للعصر الأموي لكنها لا تحمل تاريخاً محدداً وكتبت باليونانية لكنها فقدت بدايتها ونهايتها لذا ضاع تاريخ كتابتها كما طمس تحديد هويتها ، فهل كانت مجرد إحصاء للزرع أم أنها وثيقة رسمية صادرة عن اللجان المحلية لتقدير الضرائب ام هي تقرير عما زرع وأنتج وبناء على ذلك حددت ضريبة ذلك العام . نقول ذلك لان عبارة (بذرنا) التي يبدأ فيها النص المتبقي من الوثيقة توحى وكأنها حساب لما زرع في المنطقة من حبوب . لكن مضمونها يبقى هاماً فيما يخص أساليب فرض الضرائب لأنها تتحدث عن مسألة هامة وهي إنتاجية الأرض الزراعية من الحبوب في البلدة .

والمواد التي يرد ذكرها هنا هي القمح والشعير والبيقة (نبات علفي) حيث يرد ذكر كمية المبدور من هذه المواد ثم تذكر بعد ذلك كمية الغلة أي المحصول . وبالتالي يمكن أن تشكل مثل هذه القوائم القاعدة التي على أساسها تحدد الضرائب الواجبة على الأفراد سواء منها الجزية أو الخراج أو الارزاق ، لأن فرض قيمة الضرائب يقوم أساساً على تقييم إنتاج الأرض بناء على ضبط لجان الضرائب للأرض المزروعة والمادة التي زرعت فيها . ولذلك فإن الإشارة إلى مضمون هذه الوثيقة قد يفيد في إجلاء الموضوع . وفيما يأتي نذكر المواضع المزروعة وكمية البذار ومبلغ الناتج كما وردت في نص الوثيقة :

قائمة الحبوب يعني ما زرعه في حقول بيرين :

= بذرنا من راجوريون الى كات	٤٠ مدياً قمح وهذه الأربعين مدياً	أنتجت ٢٧٠ مدياً قمح/ البيدر الأول
= بذرنا في مالالكاتي	٤٠ مدياً قمح	أنتجت ٢٨٨ مدياً قمح/ البيدر الثاني
= بذرنا في الفاج	١٨٠ مدياً قمح	أنتجت ١٢٥٥ مدياً قمح
= بذرنا في الفاج	٥٠ مدياً شعير	أنتجت ٤٠٢ مدياً شعير
= بذرنا في (بيرين)	٣٠ مدياً من البيقة	أنتجت ٩٧ مدياً من البيقة

= بذرنا في سيرام	١٠٠ مدي قمح	أنتجت ٧٥٠؟ مدياً قمح ^(١)
= بذرنا في مالزيمارس	٩٠ مدياً قمح	أنتجت ٦٧٠؟ مدياً قمح ^(٢)

تبدأ قوائم البذار دائماً بكلمة بذرنا كما بين النص وتبين هذه القائمة ان نسبة المحصول إلى كمية البذار كانت ملفته للانتباه ، إذ بلغت النسبة بالنسبة للشعير أكثر من ثمانية أضعاف ، وبالنسبة للقمح بلغت سبعة أضعاف في منطقة من الناحية العملية جافة وشبه صحراوية ولو عرفنا السنة التي أعد فيها التقرير وما أدى أهل المنطقة من الارزاق لأمكننا تحديد نسبة الأرزاق بالنسبة للحاصل تماماً . ولكن يبقى هذا الأمر سؤالاً مفتوحاً يصعب الإجابة عليه حتى الآن .

ونختم الحديث بالقول :

- إن الوثائق البردية من عوجا الحفير أكدت فرض ضرائب الأرض (الخراج) والرأس (الجزية) والتكاليف العامة .
- كما أكدت فرض وجباية ضريبة الأرزاق المكونة أساساً من القمح والزيت في أيام معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الملك بن مروان مما يجعل الحديث عن الغلائها كما أوحى بعض الروايات التاريخية أمراً غير مقبول . وأكدت بنفس الوقت أن جبايتها تمت على أقساط في مختلف أشهر العام مما ينفي تحديد موعد واحد للجباية . ونجد في بعض الوثائق تأكيد دفع رواتب الجند

(١) هذا الرقم والذي يليه وضعه كريمة ، ناشر النص ، لأنه مفقود بالأصل .

(2) Kraemer, Excavations, p. 237-240, No 82.

أما المناطق المذكورة في الوثيقة فتبدو قرى تابعة لبييرين التي كانت تتبع نصتان إدارياً ، وبييرين تعرف الآن بـ (بيير بييرين) وتقع على بعد ٨ أميال من عوجا الحفير ، وتصل إلى سيرام التي تبعد = عنها حوالي خمسة أميال وتعرف اليوم بتل سيرام او رأس سيرام وتبعد ثلاثة أميال عن عوجا الحفير . انظر كريمة ، ص ٣٢٩ .

التي كانت غالبا مكونة من عشرة دنانير .
- والاهم من ذلك كله أن بعض الوثائق التي تحدثت عن مبالغ الجزية بينت
خطا الروايات التاريخية حول أمرين أولهما تأكيد تكليف الرهبان بدفع الجزية
في حين زعمت الروايات التاريخية إعفاءهم منها وثانيهما نفي الوثائق لما
ادعته المصادر التاريخية من تحديد الحد الأعلى للجزية بأربعة دنانير لان
حالات كثيرة أخبرت عنها الوثائق بلغت فيها مقادير الجزية ستة دنانير على
الشخص الواحد .

أثر كتاب «الفلاحة النبطية»
ترجمة ابن وحشية في مصادر الفلاحة الشامية:
كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» مؤلف مجهول نموذجاً

سمير الدروبي (*)

المطلب الأول: كتاب «الفلاحة النبطية»: لغته ونقله إلى العربية، صلته
بمصادر الفلاحة الشامية، مدى إفادة مصادر الفلاحة الشامية منه:

أولاً: لغته، وأهميته، وزمن تأليفه، ونقله إلى لغة العرب:

إن الدارس لتاريخ الفلاحة عند العرب والمطلع على مصادرها الأولية يمكنه
أن يدرك بجلاء أن الكتاب الموسوم بـ «الفلاحة النبطية» واحدٌ من أهم مصادر
الفلاحة عند العرب، وغيرهم من شعوب العالم القديم، بل قد يكون هذا
المصدر هو أهمها على الإطلاق فيما وصل إلينا من التراث الفلاحي للحضارات
والشعوب القديمة^(١).

(*) قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة / الأردن.

(١) ابن العوام الإشبيلي، أبو زكريا يحيى بن محمد (ت ق ٦٥٦هـ/ ١٢٢م): الفلاحة الأندلسية. تحقيق
ودراسة: أنور أبو سويلم، سمير الدروبي، علي محاسنة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني،
عمان، بيروت، ٢٠١٢م، ١م، ص ٩٧-١٠١، ١٣٦-١٣٧. وسيشار إليه فيما بعد بـ ابن العوام،
الفلاحة الأندلسية.

وللكتاب أهمية كبرى في تاريخ العلوم ، غير أن خلاف مؤرخي تاريخ العلوم حول هذا الكتاب ما زال مستمراً منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم^(١) . ولا شك في أن النبط الذين يعكس لنا هذا الكتاب الصورة المعرفية والتطبيقية من فلاحتهم هم ورثة الحضارات : الأشورية ، والكلدانية أو (الكسدانية) ، والسريانية في أرض الرافدين .

وقد تصدى المستشرقون لدراسة هذا السفر الجليل منذ القرن التاسع عشر ، ولكنهم ما زالوا على خلاف من أمره وتاريخ تصنيفه ، فمنهم من يرى أنه أقدم كتاب صنف في الفلاحة البابلية ، ومن هؤلاء المستشرق الروسي داود كَفُولْسُون الذي يرى : «أن كتاب الفلاحة النبطية هو آخر ما تبقى من تراث الكلدانيين الأوائل المدون ، وأن تاريخ التأليف يعود إلى ق ١٤ قبل ميلاد ، المسيح وتناقله الرواة شفويّاً ، إلى أن وقع تدوينه باللغة الآرامية التي كان يتقنها ابن وحشية» ، وقد قبل المستشرق الفرنسي كاترمار هذا الرأي^(٢) ، غير أن المستشرقين ألفرادفون غوتشميد ، وتيودر نولدكه يخالفانه الرأي السابق ، ويعدان الكتاب من الكتب المنحولة^(٣) .

أما المستشرقان مارتين بلسنار ، وأرنست رينان ، فيريان أن «كتاب الفلاحة النبطية ومن الوجهة الأدبية ، لا يمكن أن يعود إلى ما قبل القرن الثالث والرابع بعد المسيح ؛ لأنه يمثل آخر مرحلة في الأدب البابلي . أما من الوجهة التاريخية فإن الكتاب حمل معه ، رغم التعديلات المتكررة للمادة في فترات تاريخية

(١) سزكين ، فؤاد : تاريخ التراث العربي ، أحكام النجوم ، الآثار العلوية وما شابهها ، ترجمة عبدالله بن

عبدالله حجازي ، ط ١ ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م ، ٧٤ ، ص ١٠٧ . وسيشار

إليه فيما بعد بـ : سزكين ، تاريخ التراث العربي .

(٢) بوراوي الطرابلسي : نشأة علم الفلاحة العربي . ط ١ ، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة ،

تونس ، ٢٠٠٥م ، ص ١٢٨ وسيشار إليه فيما بعد بـ : بوراوي الطرابلسي ، نشأة علم الفلاحة العربي .

(٣) المرجع نفسه ، ١٢٨-١٢٩ .

متعاقبة ، بقايا تعود إلى أحقاب تاريخية قديمة ، لذلك قد تعود التقنيات الزراعية فعلاً إلى الفترة الأسطورية^(١)»

وجاء في مقدمة كتاب «الفلاحة النبطية» : أن أبا بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني القيسي المشهور بابن وحشية ، قد أنجز نقل هذا الكتاب من لغة الكسدانيين (الكلدانيين) أو النبط إلى لغة العرب في سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م ، ولغة الكسدانيين عند ابن وحشية هي اللغة السريانية القديمة ، وقام ابن وحشية بإملاء هذه الترجمة على أبي طالب أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الملك الزيات في سنة ٣١٨هـ/٩٢٠م ، وأفادنا النديم بعض المعلومات حول شخصية ابن وحشية ، حيث أشار إلى أنه صوفي ، وكان «يُدعي أنه سَاحِرٌ يعمل أعمال الطَّلَسَمَات ، ويعمل الصنعة»^(٢) .

ويفسر النديم لفظه «كَسْدَانِي ، بأنها تعني «نبطي» ، أما النبط فهم عند النديم «سكان الأرض الأول من ولد سنحاريب»^(٣) . ويذكر صاحب الفهرست كتباً أخرى لابن وحشية في السحر والطلسمات ، والأصنام وأسرار الكواكب ، وعلاج الأمراض ، والصنعة ، والقرايين^(٤) .

والملاحظ أن النديم قد ذكر أن ابن وحشية قد نقل كتاباً واحداً هو كتاب «حَنَاطُوثِي أَبَاعِي الكَسْدَانِي فِي النُّوع الثَّانِي مِنَ الطَّلَسَمَات» ، ولكنه لم يشر إلى أنه قد ترجم كتبه الأخرى التي ذكر من بينها «الفلاحة الكبير والصغير»^(٥) .

(١) يواروي الطرابلسي ، نشأة علم الفلاحة العربي ، ١٢٩ .

(٢) ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (نهاية ق٤٤هـ/١٠م تقريباً) : الفهرست ، ٤ مجلدات ، قابله

على أصوله وعلق عليه وقدم له : أمين فؤاد سيد . ط١ ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م ، ٢م ، ص ٣٣٠ . وسيشار إليه فيما بعد ب : النديم ، الفهرست .

(٣) النديم ، الفهرست ، ج٢ ، ص ٣٣٩ .

(٤) المصدر نفسه : ج٢ ، ص ٣٤٠ .

(٥) المصدر نفسه : ج٢ ، ص ٣٤٠ .

أما الدافع الأساسي لنقل هذا الكتاب من اللغة السريانية أو الآرامية القديمة إلى اللغة العربية ، فهو تعريف أهل زمانه بعلوم النبط^(١) ، وما لديهم من المعارف والفضائل من جانب ، وخوفه على كتبهم القديمة من الضياع والاندثار من جانب آخر ، إذ إن معاصريه من النبط قد قاموا بإخفاء كتب أسلافهم التي عجزوا عن فهمها وإدراك معانيها^(٢) .

ويرى توفيق فهد محقق كتاب «الفلاحة النبطية» ، أن الكتاب من أهم المصادر المترجمة في علمي الفلاحة والنبات ، وأنه قد تمت ترجمته من السريانية في نهاية القرن الثامن الميلادي^(٣) .

والدارس لكتاب «الفلاحة النبطية» ، يلاحظ أنه صُنِفَ في المقام الأول لخدمة فلاحي بابل وإرشادهم بالمعارف والمهارات الفلاحية ، وقد تجلّى ذلك في حديثه عن مياه العراق وأنهاره ، يقول : «فالواجب أن نصف المياه والأنهار التي يشتمل عليها إقليمنا ، وهو إقليم بابل ، فأقول : إن ماء الدجلة وهو النهر الأعظم ، مركّب من مياه مختلفة الخارج . فمنه ينبوع أصل الدجلة . . . وماء دجلة عند أهل إقليم بابل بمنزلة الخمر المنفذ للطعام ، والدم المطيب للعرق المحسن للون ، النافي للأمراض والأدواء الفاحشة . قالوا : ولا نعلم له شبيهه ولا نظير

(١) يقوم كاتب هذه السطور بتحقيق مقامة طريفة في الأدب العربي ، وهي «مقامة وادي كنعان» التي

تصف علوم النبط ودورهم في الحضارة الإنسانية ، كما تتحدث عن مساكنهم وأرضهم .

(٢) ابن وحشية ، (ت ٢٩١هـ/١٢٦٥م) الفلاحة النبطية ، ٣ مجلدات ، تحقيق : توفيق فهد ، المعهد

الفرنسي ، دمشق ، (١٩٩٣-١٩٩٨م) ، ج ١ ، ص ٥-٦ . وانظر الدروري ، سمير : الترجمة والتعريب

بين العصرين العباسي والمملوكي . ط ١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،

الرياض ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م : ص ٣٩ ، ٤٨ . وسيشار إليه فيما بعد بـ : الدروري ، الترجمة والتعريب

بين العصرين العباسي والمملوكي .

(٣) توفيق فهد : «علم النبات والزراعة» ، ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية . ط ١ ، مركز دراسات الوحدة

العربية ، مؤسسة شومان ، بيروت ، ١٩٩٧م : ج ٣ ص ١٠٤٠ . وسيشار إليه فيما بعد بـ توفيق فهد ،

علم النبات والزراعة .

على وجه الأرض في طعمه وخفته وفعله»^(١) .
وفوق ذلك ، فإننا نجد في الكتاب عصبية لأرض بابل ، وتفضيلاً لها على غيرها من الأرضين ، يقول : «واعلموا أن أرض إقليم بابل ، وإن اختلفت فيما بينها ، فإنها أجود من كل أرض على وجه الأرض»^(٢) .

ثانياً: صلة الفلاحة النبطية بمصادر الفلاحة الشامية:

على الرغم من تفضيل مصنفي فلاحة النبط لأرض بابل ، والافتخار بأن حكماءها قد برعوا في علم الفلاحة ، وعرفوا من شؤونها وطرائقها ما لم يعرفه غيرهم من الأمم ، إلا أن بلاد الشام قد نالت حظاً وافراً من مؤلف أو مؤلفي كتاب «الفلاحة النبطية» ، ويتضح ذلك في الآتي :

أ- اعتماد كتاب «الفلاحة النبطية» على مصادر شامية:

ويتجلى ذلك في حديثه عن شجر الزيتون ، إذ يقول : «وأما طامثرى الكنعاني ، فإنه قال : إن هذه الشجرة ، إذا غرست كما وصفنا ، فسبيل الذي يغرسها أن يصب في أصل كل غصن محذوف . . . قال طامثرى الكنعاني : إنه إذا أشعلت تحت الأصل الذي ذبل وكاد يموت ، سراجاً كبيراً ، أو نفاطة عظيمة ليلة السبت . . . فإنها تعيش ، وترجع إلى الحياة والطراوة والسلامة من العاهات . . .»^(٣) .

وفوق ذلك ، فإن كتاب الفلاحة لم يقتصر على الإشارة إلى آراء علماء الكنعانيين في الزراعات والعلاجات ، بل تعدى ذلك إلى النقل الحرفي عن مصادر كنعانية ، فقد جاء في «الفلاحة النبطية» ما نصه : «وقد عمل صردايا

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية : ج ١ ، ص ١٠١-١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٣٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦-٢٧ .

المنجم الكنعاني فصلاً في معرفة أي وقت يكون القمر تحت الأرض أو فوقها ، منذ مستهل الشهر إلى أن يجتمع مع الشمس . وأنا أنقله من قوله إلى هاهنا ، ليجده ويأخذه من احتاج إلى ذلك مفروغاً منه ، قال : إن القمر يكون في أول ليلة يظهر فيها هلالاً ...» (١) .

وقد يرد مؤلفو كتاب «الفلاحة النبطية» بعضاً من آراء علماء الفلاحة الشاميين اعتماداً على التجارب العلمية التي قادتهم إلى رفض تلك الآراء ، ومن ذلك : «وقد زعم طامثرى الكنعاني العالم : أن زبل الخنازير مواز لزبل الحمام والطيور ، وليس ذلك كما قال ؛ لأننا جربناه فوجدناه شديد الإحراق لأصول الشجر ، والنخل ، والنبات كلة ، وهو أحرى أن يحرق ما صغر من النبات إذا كان محرقاً لأصول النخل والشجر العظام» (٢) .

ب- الإشارة إلى عادات وطرائق أهل الشام في زراعة بعض النباتات:

وقد برز مثل هذه الإشارات عند الحديث عن شجر الزيتون ، والتأكيد على أن مثل هذه الطرائق كانت معروفة لدى البابليين ، ولكن قوثامي أراد أن يعلم الفلاحين فعلاً جديداً أشبه ما يكون بالسحر والطلسمات ، يقول : «ومتى حالت هذه الشجرة ، وتفرغت من حملها ، فينبغي أن تسبخ لا على سبيل ما يعمله أهل الشام من تسبيخها ، بل على طريق آخر يحدث منه خاصية فعل ، وهو أن يأخذ الفلاح كلاب حديد ، فيأتيها عند مغيب الشمس ، فيسبخ من أغصانها شيئاً صالحاً ، ثم يضرب الشجرة بالكلاب عرضاً ، مرات متتابعة ، ويقول : إني سأقلعك عن مكانك ، واجعلك حطباً إن لم تحملي ، ويكرر هذا الكلام مراراً ، فإن هذه الشجرة تحمل بعد أن تظر وتحسن ، ولا تتخلف عن الحمل . وقد جربنا هذا فوجدناه صحيحاً» (٣) .

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٧٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣١ .

ج- التنبيه على التواصل الزراعي الحاصل بين بابل وبلاد الشام:

فقد جُلبت بعض النباتات الشامية إلى أرض الرافدين ، وتحديث قوثامي في فلاحته عن نبات اسمه «هذرتايا» فقال : «هذا نبات ينبت على النهر المسمى بالأردن الذي في أرض الكنعانيين ، وقد جلبه أقوام إلى بابل ، وغرسوه في بلاد برسوايا ، فنبت جيداً . وهو عرق صلب لونه أغبر ، فإذا كسر ذلك خرج داخله أصفر»^(١) .

ونجد في «الفلاحة النبطية» إشارة إلى جلب نبات آخر من بلاد الشام ، واسم هذا النبات «حلحل مكثا» الذي قال فيه صاحب فلاحه النبط : «هذا نبات يوافقه أن ينبت في مواضع ظليلة ندية ، يقلُّ طلوع الشمس عليها ، وهو مجلوب إلى بلادنا من ناحية الشام ، ويقال : إنه مجلوب إلى الشام من بلاد اليونانيين ...»^(٢) .

د- إدراك مؤلفي «الفلاحة النبطية» لخصوصيات الفلاحة الشامية:

تنبه علماء النبط إلى ما يتعلق بفلاحة أهل الشام من أمور : كالري ، وتوفير المياه التي تراعى فيها الظروف المناخية والطوبغرافية ، ومصادر توفر المياه من إقليم إلى آخر ، يقول : «فأما أهل الشام والجزيرة ، فإنهم يحتاجون إلى شيء ليس يحتاج إليه إقليمنا ، وهو جمع ماء المطر ، وقد يحتاج إليه قليل [كذا في الأصل] في إقليم بابل في بعض المواضع منه ، وهي المواضع العالية جداً»^(٣) .

ونقع في «الفلاحة النبطية» على إشارة تدل على تميز أهل الشام وبراعتهم في زراعة الكروم بخاصة ، والأشجار بعامة ، ولذلك فإن فلاحي أهل بابل لم يترددوا في الأخذ عن الشاميين في هذا المضمار : «... لأن الكروم لأهل إقليم

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٥٣٨ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٥٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٠١ .

بابل هي واحدٌ من زروعهم ، ولهم أشياء كثيرة غيرها ، فأما أهل الشام فأكثر زروعهم الكروم ، وفلاحتهم بالقيام عليها ، وعلى الشجر كلّه ، فهم أعرف وأعلم .
إلا أنّ عملهم بذلك قد اطلعنا عليه وعرفناه ، فاجتمع لنا علمهم إلى عملنا»^(١) .

وهناك أخبار عن معرفة البابليين بأوقات الزرع والفلاحة في بلاد الشام ، ومواعيد غراس الأشجار ، يقول صاحب «الفلاحة النبطية» : «وفي النصف الأول من كانون الأول يغرس شجر الشاهبلوط والخرنوب الشامي بالشام والجزيرة»^(٢) .

هـ- وقوف البابليين على الخصائص الزراعية المشتركة بين بابل وبلاد الشام والجزيرة النبطية:

لقد نظر علماء النبط إلى هذه الأقاليم : الجزيرة ، والبابلية ، والشامية ، على أنها الأرض المشتركة والجامعة للنبط ، وهو الأمر الذي يميز قاطنيتها حضارياً وزراعياً وجغرافياً على غيرهم من الأمم ، ويبرز وعي علماء النبط بوحدة هذا الإقليم وتلاحم أهله ، بل إنهم يعرفون تمام المعرفة شدة أواصر ووشائج التوحد والقربى بينهم من خلال حديثه عن نبات اللوبيا ، يقول : «إلا أنّ هذه الحبة حبة نبطية ، ليست لأحد من الأمم إلا النبط ، ولا لبلد من البلدان إلا لإقليم بابل والشام والجزيرة ، بلدان النبط»^(٣) .

ويقول أيضاً في حديثه عن شجرة إبراهيم : «هذه شجرة تعظم جداً ، وتذهب في السماء ، ولها ورق كبير . . . وهي شجرة نبطية كنعانية من جنس المنسوبة إليه ، وقد تنبت في إقليم بابل وغيره . . . وهذه الشجرة نُجَّتني من الأسد

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

(٢) المصدر نفسه : ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥١١ .

وحماري ، واشتهرت بهذا الفعل في أرض الشام والجزيرة وإقليم بابل» (١) .

و- تقديم النصح الفلاحي بتقليد بعض تجارب أهل الشام في الزراعة:

ويتضح ذلك من خلال حديثه عن زراعة النرجس التي برع أهل غوطة الشام في إفلاحها ، يقول مصنف «الفلاحة النبطية» : «ومن أراد أن يجعل المفتاح منه مضاعفاً ، فليأخذ بصلة سميئة ، فيشق وسطها ، ويغوص فيها سنّ ثوم غير مقشر ، ويغرقه في البصلة جيداً ، ثم يطم البصلة في التراب ، فإنها تحمّل نرجساً مضاعفاً ، وإن أحب أن يكون طيب الرائحة جداً ، وورقه مع الأبيض أخضر ، فلتكن الثومة خضراء رطبة ، وتغرس البصلة في موضع بارد كثير الرطوبة ، ويعمق لها في الحفر ، فإنها تحمّل مضاعفاً أخضر ، فهكذا يعمل أهل الغوطة ، فيخرج ربحاً جيداً ، ولأجل برد بلادهم يجيء جيداً» (٢) .

ثالثاً: مدى إفادة مصادر الفلاحة الشامية من كتاب الفلاحة النبطية:

تبين لنا عند البحث عن مصادر الفلاحة الشامية : أن «الفلاحة النبطية» التي عربها ابن وحشية كانت من أهم المصادر التي وقف عليها مصنفو كتب الفلاحة ورسائلهم في بلاد الشام ، ونذكر من هؤلاء المصنفين :

أ- شيخ الربوة الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) صاحب كتاب «الدر الملتقط في فلاحة الروم والنبط» الذي يقول في مقدمته : «اعلم ، أرشدنا الله تعالى وإياك ، ووقفنا للصواب ، أن هذا الكتاب مستخرج من ثمانية كتب هي أصول علم الفلاحة على اختلاف البقاع والآراء والنبات ، فالأول : قوثامي تلميذ ماسي السوراني .. والثاني : دوناي البابلي ... والثالث : كتاب صغريث النبطي القديم ... والرابع : كتاب الحكيم الساحر طامثري

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية : ج ١ ، ص ١٨٦-١٨٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

البابلي . . . والخامس : كتاب عنكبوتا وضيائنا . . . والسادس : كتاب الفلاحة لابن وحشية ، والسابع : كتاب كاماس النهري الفارسي النبطي . . . والثامن : كتاب الفلاحة الرومية المشهور لقسطوس بن أسكوراسينكه عالم الروم»^(١) .

ب- مؤلف مجهول من (ق٨٨هـ/١٤م) وله كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة»^(٢) وسيأتي الحديث عن صلته بكتاب «الفلاحة النبطية» مفصلاً فيما بعد .

ج- ابن الوردي ، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) الشاعر المملوكي المعروف الذي رجع في كتابه : «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» إلى كتاب «الفلاحة النبطية» واعتمده مصدراً أساسياً في الفصل الذي عقده في خريدته للحديث عن النباتات والفواكه وخواصها ، علماً بأنه قد أخذ أكثر مواد هذا الفصل من «الفلاحة النبطية» ، ولكنه لم يعزُ إليه المادة التي نقلها إلا في مرات قليلة مكثفياً بالقول : «قال صاحب كتاب الفلاحة»^(٣) .

د- ابن فضل الله العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) الذي رجع إلى «الفلاحة النبطية» في موسوعته المعروفة بـ

(١) أبو الحاج ، زيد صالح : الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي ، ط١ ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين ، الإمارات العربية ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ص١٢٢ ، نقلاً عن شيخ الربوة ، الدر الملتقط في فلاحة الروم والنبط ، ولم أتمكن من الوقوف على الكتاب مخطوطاً . وسيشار إليه فيما بعد ب : أبو الحاج ، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي .

(٢) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق ودراسة : محمد عيسى صالحية وإحسان صدقي العميد ، ط١ ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م وسيشار إليه فيما بعد : مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة .

(٣) انظر : ابن الوردي ، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب . ط٢ ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، د . ت . ، ص١٧٤-١٩٧ . وسيشار إليه فيما بعد ب : ابن الوردي ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب .

«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، إذ رجع إلى الفلاحة النبطية في تعريفه للنباتات الآتية: ناركيو، هايسمونا، كتهان، قرثمن (١).

هـ- الغزي، محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله العامري (ت ٩٣٥هـ/١٥٢٩م) مصنف كتاب «جامع فرائد الملاحه في جوامع فوائد الفلاحة» الذي استمد فيه من «الفلاحة النبطية» في عشرين موطناً من كتابه، وكان يشير إليه عادة بـ «قال ابن وحشية»، والملاحظ أن اقتباسات الغزي عن ابن وحشية كانت قصيرة في الأعم الأغلب بحيث تتراوح بين السطرين والأربعة أسطر (٢).

المطلب الثاني: الدلائل والشواهد على شامية كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة»:

عند النظر في كتاب «مفتاح الراحة» الذي يُعدُّ مؤلفه مجهولاً حتى الآن، تضافرت لدينا مجموعة من الأدلة والبراهين على شامية هذا الكتاب، ومن خلال القراءة الواعية للكتاب، ونقد نصه نقداً داخلياً نرجح شامية مؤلف هذا الكتاب، وذلك للآتي:

(١) انظر: ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (١٠ج)، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، ط ١، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج ٢٢، ص ٦٥، ٧٤، ١٠٦، ١١٣، ١٣٢. وسيسار إليه فيما بعد بـ: العمري، مسالك الأبصار وانظر في التعريف بالعمري وكتابه مسالك الأبصار: ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): عُرف التعريف في المكاتبات. تحقيق ودراسة: سميير الدروبي. ط ١، وزارة الثقافة، عمان - الأردن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص ٦١-٨٧.

(٢) انظر: الغزي، محمد بن محمد (ت ٩٣٥هـ/١٥٢٩م)، جامع فرائد الملاحه في جوامع فوائد الملاحه، تحقيق ودراسة: ابتسام فاني، جامعة حلب، رسالة ماجستير، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ٢، ص ٨٩، ١٠٣، ١٤٥، ١٤٦. وسيسار إليه فيما بعد: الغزي، جامع فرائد الملاحه في جوامع فوائد الملاحه، وانظر: أبو الحاج، الفلاحة في الفكر العربي الإسلامي، ص ١٣٠.

أ- عدم إبداء الملاحظات على ما أورده من نصوص متصلة بخصوصية مصر أو غيرها من البلدان في زراعة بعض النباتات والأشجار؛

فعندما تحدث عن اختصاص بعض النباتات ببعض الأماكن ، ذكر شهرة إفلاح نبات البلسان بأرض مصر ، ولكنه لم يعقب على ذلك من قريب أو بعيد ، فلو كان مؤلف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» مصرياً أو مينيياً أو أندلسياً لأبدى رأياً ، أو دل بتعليق أو تلويح أو إشارة على ذلك ، ولكنه تحدث عن مصر كغيرها من البلدان القريبة والبعيدة ، يقول : «نبات البلسان في أرض مصر ، ونبات الأبنوس ببلاد واق واق ، ونبات شجر الصبّار ببلاد العرب وغيرها مما هو على خطها من الشرق ، ونبات شجر الكندر ببلاد الشحر . . .» (١) .

ومما يعزّر ما ذكرناه أعلاه ويؤكدّه ، أنه عندما تحدث النويري عن النبات الذي تختص به أرض دون غيرها ، قال : « . . . البلسان ، وهو في أرض المطرية على ساعة من القاهرة المعزية ، في بقعة مخصوصة معروفة ، تُسقى من بئر مخصوص هناك» (٢) .

وبدت هذه السمة عند مؤلفنا في موضع آخر من كتابه ، وذلك عندما نقل عن كتاب «الفلاحة المصرية» لابن مماتي ، ما يتعلق بالمصطلحات التي تواطأ فلاحو مصر وتواضعوا على إطلاقها على أرضهم بعد أن يعلوها ماء النيل ثم ينحسر في موسم فيضانه ، يقول : «نقلت من كتاب «الفلاحة المصرية» أن الأرض بعد نزول ماء النيل عنها تنقسم على اصطلاح فلاحها : برش ، وباق ، وري الشراقي ، وبروبية . . .» (٣) ، ويذكر صاحب «مفتاح الراحة» ثلاثة عشر اسماً تطلق على أرض النيل الزراعية ، فلو كان المؤلف مصرياً ، ولديه سماع أو

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٨٥ .

(٢) النويري ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، (١٨ج) ، ط ١ ، وزارة الثقافة ، القاهرة ، د . ت . ٠ ، ج ١١ ، ص ٩ ، وسيشار إليه فيما بعد : النويري ، نهاية الأرب .

(٣) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٠١ .

خبر بهذه الأرض في أقسامها المتعددة ، لما مرّ على ذكرها دون إضافة أو فائدة أو مشاهدة يزدها فيما نقله عن ابن ممتي الذي يطلق على كتابه الذائع الصيت والمسمى بـ «قوانين الدواوين» اسم «الفلاحة المصرية» أيضاً .

وما يعضد ما ذكرناه آنفاً ويرجحه ، أن القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) - وهو من كبار مؤلفي ذلك العصر- تحدث في موسوعته الجليلة «صبح الأعشى» عن أنواع الأراضي المصرية التي تحدث عنها من قبل مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» معتمداً في ذلك على ابن ممتي في كتابه «قوانين الدواوين» ، ولكن القلقشندي كان يعقب على ما ينقل ، ويبين لنا ما آل إليه المصطلح في زمانه ، وما تواطأ الناس عليه ، والموازنة بين ما أورده صاحب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ، وبين ما ذكره القلقشندي في «صبح الأعشى» تثبت ذلك ، فقد جاء في «مفتاح الراحة» : «وأما الباق ، فهو أثر القُرط والقطاني وهو خير الأرضين ، وأغلاها قيمة وقطيعة ؛ لأنها تصلح لزراعة القمح والكتان»^(١) . وجاء عند القلقشندي : «الباق ، قال ابن ممتي : وهو أثر القُرط والقَطَاني والمقائثي . قال : وهو خير الأرضين ، وأغلاها قيمة ، وأوفاها سعراً وقطيعة ؛ لأنها تصلح لزراعة القمح والكتان» ، قلت : والمعروف في زماننا أن الباق أثر القُرط والبقول خاصة . أما المقائثي ، فإن أثرها يسمّى البرّش ، وسيأتي فيما بعد»^(٢) .

ب- رواية بعض الحكايات ذات الطابع العجائبي عن معاصريه بخصوص مشاهداتهم في ربوع بلاد الشام :

ومن ذلك ما جاء عند صاحب «مفتاح الراحة» في معرض حديثه عن قوى

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٠٢ .

(٢) القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٠ ج ، ط ١ ،

وزارة الثقافة ، القاهرة ، د . ت . . ج ٣ ، ص ٤٤٦ . وسيشار إليه فيما بعد : القلقشندي ، صبح

الأعشى .

النباتات ، ومضارعتها في ذلك للحيوانات الحية ، فبعد أن يورد قول أرسطو عن وجود حياة خفية للنبات ، وحياة جلية للحيوان ، يقول : « . . . وزعم قومٌ أنا له [أي النبات] مع الحس عقلاً وفهماً . وما ينخيل للذهن ما زعموه ، ما حكى لي فخر الدين إبراهيم بن علي بن دبوqa ، قال : مررت بقرية من قرى بعلبك تسمى الرمانة ، فرأيت في بقعة من أرضها نباتاً يشبه المنثور في لونه وكونه ، فوقفت متحيراً من حسنه ، فقال لي بعض الظرفاء : وأزيدك منها عجباً! قلت : ما هو؟ قال : تغني له بيتين من الشعر معروفين ، فلا يزال يهتز حتى تسقط أوراقه وتذبل ، وأريك ذلك ، ثم اندفع يغني ويوقع بكفيه شعراً :

يا ساكناً بالبلد البلقع

ويا ديار الظاعنين اسمعي

ما هي أطلالي ولكنها

ديار أحبائي فنوحي معي

قال فخر الدين : فوالله لقد رأيت ما حولنا من النبات المذكور يهتز كأنما أصابته ريح عاصف ، حتى تناثرت أوراقه ، وذبلت طاقاته»^(١) .

ج- استخدام الأسماء السريانية للأشهر في مجمل الكتاب:

ومثال ذلك ما ذكره في إفلاح الحمص : «وهو من المنابت المألحة . . . ووقت زرعه من أول كانون الآخر إلى آخر شباط ، وربما زرع في أول تموز»^(٢) . ويقول في إفلاح الجلبان : «وينبغي أن يزرع المبكر منه في أول كانون الآخر وإلى آخر آذار . ويحصد مرتين مرة في آخر نيسان ، ومرة في آب»^(٣) .

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .

وفوق ذلك ، فإن مصنف «مفتاح الراحة» يوضح أسماء بعض الأشهر الرومية بما يقابلها بالسريانية ، يقول في حديثه عن زراعة الزعفران : « . . . ثم يؤخذ بصل الزعفران ، ويجعل منه في عرض الحوض ثلاث عشرة بصلة على صف واحد ، ثم يوضع التراب عليها ، وتسقى الماء ، ووقت غرسها شهر مايو وهو بالسرياني أيار ، فإن فات أيار ، ففي شهر يونيه وهو بالسرياني حزيران . . . »^(١) .

وينقل مصنف «مفتاح الراحة» نصاً عن ابن ماتي ، دار الحديث فيه عن سقي أشجار البساتين بماء النيل ، وذكر فيه أسماء الأشهر القبطية ، يقول : «ونقلت من كتاب «الفلاحة المصرية» : وتسقى أشجار البساتين بعيون من ماء النيل في أوقات معلومة ، فجميعها تسقى في (طوبة) ماء واحداً تغريقاً . وأرباب البساتين يسمونه ماء الحياة ، لا سيما إذا سقيت به الأشجار المنقولة . وفي هذا الشهر يجرى الماء في العود ، ويخرج الورق الجديد . ويسقى في (أمشير) ماءً واحداً عند إخراج الزهر ، ولا يثنى عليه ماء آخر إلا في (برمهات) ، فإنه يسقى فيه ماء ان ، إلى أن يعقد الثمر . ويسقى في (بشنس) ثلاث مياه ، ويسقى في (بؤونة) أربع مياه ، في كل جمعة مرة ، وفي (أبيب) مثل ذلك ، وكذا في (مسرى) ، ويسقى في (توت) ماءً واحداً تغريقاً ، ويسقى في (بابه) مثل ذلك ، وكذلك في (هاتور) ، ولا يسقى في (كيهك) أصلاً ، فإن مياه كيهك مالحة . ثم قال : ولأشجار ثلاث تغريقات ، أجودها في (طوبة)»^(٢) .

وبناء على ما أورده صاحب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» من أسماء للأشهر بالقبطية ، فإنه يحق لنا أن نستنتج : أن مؤلف هذا الكتاب قد عاش في البيئة الشامية ، وأن مصنفه هذا موجه إلى فلاحي بلاد الشام ، وليس لفلاحي مصر ؛ لأن أسماء الأشهر التي يوقت عليها أهل الشام زراعتهم وسقيهم ، وحصادهم ودرسهم ، هي الأشهر السريانية التي اطرده استعمال المؤلف لها في

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .

كتابه ، وجعل عليها مدار الحرث والزرع والغرس ، ومكافحة الآفات والزواحف ، والتزيبيل ، والتعشيب ، وتقليم الأشجار ، وحصاد الزرع ، وجنى الثمر ، وتخزين المحاصيل ، ولو كان المؤلف مصرياً لشاع في كتابه استخدام الأشهر القبطية التي استخدمها ابن ممتي وغيره من مؤلفي الفلاحة بمصر .

د- الإشارة إلى الظروف المناخية الملائمة لزراعة بعض المحاصيل الشامية:

ونجد ذلك في حديث مؤلف «مفتاح الراحة» عن إفلاح الخنطة ، يقول : «والأيام الدفيئة في الشتاء في أوقات زرع الخنطة هي المحمودة ، وإن اتفق يوم تهب فيه ريح جنوب ، فهو أحمد الأوقات»^(١) .

ونحن نعلم أن أكثر زراعة القمح في بلاد الشام هي زراعة بعليية ، وهم يفضلون الأيام الدافئة في الشتاء ؛ لأن الأرض تكون رويت من السماء ، ثم فقدت قسطاً من ماء المطر بفعل الشمس الدافئة ، وتكون حركة الدابة والمحراث أكثر سهولة في أرض طرية ونديية لا يجد المحراث صعوبة في شقها ، كما أن الريح الجنوبية هي أفضل لدى الفلاحين من الرياح الشرقية الجافة المحملة بالغبار والأتربة ، ومن الرياح الشمالية الباردة جداً ، أو الرياح الغربية الممطرة .

هـ- تقديم مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» أهل الشام على أهل

مصر عندما يشتركان في أمر ما:

ويتضح هذا الأمر في حديثه عن إفلاح الشهدانج (الحشيشة المخدرة) ، يقول : «وقد رأيت من ذكر أنه نوعان : بري وبستاني ، والبستاني نوعان : أحدهما يثمر ، والآخر لا يثمر وهو الذكر . وخاصة بزره إذا أكثر أكله صدع الرأس ، وحفظ المنى ، وقطع النسل ، ويُسكر مثلما يسكر الخمر . وأهل الشام ومصر يأكلون ورقه على ضروب من الأعمال ويسمونه الحشيشة ، تفعل بهم أشد مما تفعل الخمر ، ولهم

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٢٥ .

فيها أشعار كثيرة ، يضاهاون بها ما قيل في الخمر»^(١) .

**و- معرفة مصنف كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» لأرض الشام
وخصائصها المناخية كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة:**

ويستشف ذلك من خلال حديثه عن زراعة النخيل وإفلاحه ، وكان مصدره الأساس في ذلك هو «الفلاحة النبطية» ، وقد نص على اقتباساته من ابن وحشية ، ثم قال : «وقالوا : ومن عجيب أمر النخلة إذا أخذ نوى من نخلة معروفة ، وزرع منها مائة نخلة أو ألف نخلة ، خرجت كل واحدة لا تشبه الأخرى في الحمل والأصل إلا في النادر . وهذا النبات لا يتكون في الأرض المفرطة الحرارة كالإقليم الأول وبعض الثاني ، ولا في البلد المفرط البرد كالإقليم الخامس وما بعده ، اللهم إلا أن يتفق للأرض عارض سفلي يعتدل به كالغور ، وأرض بيسان»^(٢) .

قلت : يمكن أن يفهم من القول السابق لمصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ، أنه قد سمع بهذه العجيبة المتعلقة بزراعة النخيل من فلاحي الشام ، أو اطلع عليها في بعض المصادر الفلاحية أو الأدبية . ولكن قوله في ختام الحديث عن هذا الموضوع : «اللهم إلا أن يتفق للأرض عارض سفلي يعتدل به كالغور ، وأرض بيسان» قد يدل على معرفة شخصية بمناخ أرض غور الأردن الذي يتميز بالدفء في أغلب أيام الشتاء ، والحرارة المفرطة صيفاً .

**ز- خبرة مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ببعض أنواع النبات التي
تنبت في الشام وفي مصر أيضاً:**

ويظهر ذلك عندما تحدث عن نبات الخرنوب ، وأول ما بدأ به الحديث أنه

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨١ .

أشار إلى الأرض التي ينبت فيها ، ثم لاحظ أنه ينبت في بلاد الشام بلا زارع له ، ثم بعد ذلك إشارة إلى إفلاحه بأرض مصر ، مقارناً بين شجره النابت في أرض مصر ، وبين شجره الجبلي والبري الذي ينبت في بلاد الشام ، فمؤلفنا شامي في الدرجة الأولى من حيث الملاحظة والاهتمام بخصوص هذا النبات وغيره ، ولكن ذلك لا ينفي عنه معرفته بالنباتات في أرض مصر وغيرها من البلدان ، يقول : «إفلاح شجر الخرنوب : هذا نبات جبلي ، كثيراً ما ينبت في الشام لنفسه من غير زارع له ولا غارس . ويحكى أن داود عليه السلام ، كان يخرج له في كل يوم من محرابه شجرة ، فيسألها عن اسمها ومنفعتها ومضرتها ، فتخبره ، فخرجت له شجرة الخرنوب ، فسألها عن اسمها ، فأخبرته ، فبكى ، وقال : نعت إليّ نفسي . ف قيل له في ذلك ، فقال : الخرنوب خراب ، ومات بعد ذلك بقليل . وهذا النبات كثير برمل الإسكندرية ، ومصر منه شيء لكنه لا يعلو كثيراً ، ولا يغلظ له ساق كما يغلظ للأشجار الجبلية البرية . وهو يغرس من نواه ، ولا يحتاج حبه إلى معاناة . . .» (١) .

ح- معرفة مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» بتعدد أسماء بعض النباتات في لغة أهل الشام؛

إذ يتضح لنا وقوفه على أكثر من مسمى للنبات الواحد ، يقول - في إفلاح البهار- : «ويسمى بالفارسية «كاوجشم» ، أي عين البقرة ، وهو : بري ، وبستاني ، والبري منه تسميه العرب «العرار» ، وهو شديد الصفرة ، واسع النور ، طيب الرائحة . ومنه نوع صغير الشكل جداً تسميه أهل الشام : «عين الحجل» ، وتسميه أيضاً : «أحداق المها» ، وبعض الناس يسميه : «مهيج العشق» ، وتزعم

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

أن العاشق إذا رآه ، وشم رائحته ، هيج وجده ، ولهذا يقول الأطباء أنه مضر بالقلب إذا شم»^(١) .

فالنص السابق يدلنا على معرفة وثيقة لكاتب «مفتاح الراحة» ، بالمسميات المتعددة التي يطلقها الشاميون على البهار ، فهم يسمونه : «عين الحجل» ، و«أحداق المها» ، و«مهيج العشق» ، فلو كان مؤلف «مفتاح الراحة» ، من بيئة مصرية أو مغربية أو أندلسية أو غيرها من البيئات الزراعية لما عرف هذه الأسماء المتعددة لنبات البهار في عرف الشاميين واصطلاحهم ، بل إنه يحكي بطريقة غير مباشرة ما يمكن أن يعدّ من قبيل الفلكلور والمعتقدات الشعبية التي تكونت في ذاكرة أهل الشام عن نبات البهار ، وينبلج ذلك من قوله السالف : «وبعض الناس تسميه «مهيج العشق» وتزعم أن العاشق إذا رآه ، وشم رائحته ، هيج وجده»^(٢) .

ومن الأمثلة الدالة على معرفة المؤلف بعامية أهل الشام على وجه العموم ، وعلى معرفته بما يدور على ألسنة الدمشقيين بخاصة من تسميات أصبحت ذات خصوصية بمدينتهم ، قوله : «القول في إفلاح الآس ، وهو نوعان : بري ، وبستاني ، فالبري يسمى بدمشق «قف وانظر» ، وذلك لشدة حسنة ، وورقه يشبه سنان الرمح ، ويسمى : «الكبابة» أيضاً . واليونان تسمى الآس : «مرسينا» ، وتسميه العامة المرسين»^(٣) .

والمثال السالف يرجح لدينا شامية المؤلف ، أو إقامته في بلاد الشام إبان تأليفه لكتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ، حيث أورد لنا عدة أسماء مستعملة في البيئة الشامية لنبات الآس ، فهو عندهم : «قف وانظر» ، و«الكبابة» ، و«المرسين» ، وقد أضاف إلى ذلك أصل تسمية العامة له بـ

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .

«المرسين» التي تعود إلى أصل يوناني ، ومعروف أن لغة الكنائس كانت اليونانية زمن تأليف الكتاب في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه فسّر لنا سبب تسمية الدماشقة له بـ «قف وانظر» ، وعلّة ذلك عندهم شدة حسن نبات الآس .

ط- الوصف الدال على الخُبْر، والمعينة، والمشاهدة الشخصية لغوطة دمشق؛

جاء هذا الوصف في الباب العاشر والأخير من الكتاب عندما تحدث مؤلف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» عن أبرز متنزهات الدُّنيا التي جعلها القدماء أربعة ، هي : صُغد سمرقند وهي القرى الممتدة من سمرقند إلى بخارى ، وشعب بوان في بلاد فارس ، ونهر الأُبلّة المنسوب إلى الأُبلّة القريبة من البصرة ، وغوطة دمشق من بلاد الشام .

والملاحظ أن المؤلف قد عرّف بالصُغد ، وشعب بوان ، ونهر الأُبلّة تعريفاً موجزاً لم يزد عن سطرين في الأغلب ، ولكنه توقف عند الحديث عن غوطة دمشق ، وكأنه شاهد عيان مرّ في رحابها ، وتفياً ظلّالها ، وأكل ثمارها ، وشرب ماءها ، وعجز قلمه ولسانه وخياله عن التعبير عن رونقها وحسنها وبهائها ، يقول مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» : « . . . اجمع جوابو أقطار الأرض على أن متنزهاتها أربعة : صغد سمرقند ، وشعب بوان ، ونهر الأُبلّة ، وغوطة دمشق . . . وأما الغوطة ، وهي من حيز دمشق ، فإنها ناحية يكون طولها ثلاثون ميلاً ، وعرضها خمسة عشر ميلاً ، مشتبكة القرى والضياع ، لا تكاد الشمس أن تقع على أرضها بشعاع ؛ لالتفاف أشجارها ، واكتناف أزهارها ، وللشعراء في وصفها قصائد كثيرة أضربنا عن ذكرها ، لتردد العقل فيما يختار منها ، إذ كلها حسان لو جمعت لحفيت من تسطيرها الأقلام ، وكلت البنان . . . » (١) .

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٣٠١ .

المطلب الثالث: مصادر «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ومدى إفادته منها
يمتاز كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» بتعدد مصادره وتنوعها ، وقد نبه بوراوي الطرابلسي إلى ظاهرة التعدد والتنوع في مصادر هذا الكتاب ، إذ يقول في ثنايا حديثه عن كتب الفلاحة المتأخرة : «كتاب مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» لمؤلف مجهول ، يعود تأليفه إلى القرن الثامن للهجرة ، وتكمن أهميته في تنوع المصادر التي اعتمد عليها هذا المؤلف»^(١) .

وبناء على ما تقدم ، فإنه لا بد لنا من حصر هذه المصادر ، وتقسيمها إلى موضوعات كلية تندرج تحتها للتأكد من المقولة السالفة الذكر ، ولتبيين مدى إفادة صاحب «مفتاح الراحة» منها ، تحديداً للموقع والمنزلة التي يتبوأها كتاب «الفلاحة النبطية» بين هذه المصادر .

وبعد القراءة الدقيقة والفاحصة لمادة الكتاب ، تمكنا من تقسيم المصادر التي اعتمد عليها مؤلفه إلى الآتي :

أ- كتب الفلاحة المشرقية:

التي يُعد كتاب «الفلاحة النبطية» لحمتها وسداها ، وهيكلها الأعمم ، حيث رجع إلى هذا الكتاب عشرات المرات ، وسنأتي إلى تفصيل ذلك فيما بعد ، وبيان منزلة هذا المصدر ، وقيمه العلمية بين مصادر كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» .

ورجع مصنف «مفتاح الراحة» أيضاً إلى كتاب «الفلاحة المصرية» للأسعد بن مماتي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) والكتاب معروف لدى الباحثين باسم «قوانين الدواوين» ، ونقل منه مصنف «مفتاح الراحة» ما يتعلق بالاصطلاح الذي يطلقه فلاحو مصر على أراضيهم عند انحسار ماء النيل عنها ، مثل : برش ، وباق ، وري الشراقي ، وبقمامة . . إلخ ، وكان نقله عن كتاب ابن مماتي في هذا الموطن

(١) الطرابلسي ، نشأة علم الفلاحة العربي : ١٩ .

مطولاً إذ تجاوز الصفحتين^(١). ونقل صاحب المفتاح من «الفلاحة المصرية» مرة ثانية عند حديثه عن أشجار البساتين التي تُسقى بعيون من ماء النيل في أوقات معلومة من العام^(٢).

ب- كتب الفلاحة الأندلسية:

ويبدو أن كتاب «الفلاحة» الذي ألفه في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ابن بصال الأندلسي من المصادر الفلاحية الأساسية التي اعتمد عليها مُصنّف «مفتاح الراحة»، إذا رجع إليه عشرات المرات، وأخذ منه مادة أساسية فيما يتعلق بمعرفة الأرض الطيبة، وما يعرض لها من عوارض، وأصناف المياه، وفلاحة الكرفس، والكزبرة، واللوز، والجوز، والجلوز، والشاه بلوط، والفستق، والصنوبر، والرمان والكرمة، وغير ذلك من الزرايع والغروس^(٣).

ج- مصادر الفلاحة اليونانية:

نقل المؤلف أقوالاً لبقرات، وجالينوس، وأرسطر وديسقوريدس^(٤) وغيرهم من مصنفي كتب النبات والطب والحيوان من اليونان، وكان يشير أحياناً إلى مصادره قائلاً: «قالوا في الفلاحة الرومية . . . ومن فلاحة الروم . . . وقال

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٠١-١٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٠، ١٠٧-١١١، ١٢٠، ١٥٦، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥-١٦٨، ١٩٣،

٢٠٧، ٢٠٩، وقارن ابن بصال، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت مطلع ق ٦هـ/ ١٢م)، كتاب

الفلاحة، نشره وترجمه وعلق عليه خوسي ماريه مياس ببيكروسا، ومحمد عزيمان، ط ١، معهد

مولاي الحسن، تطوان، ١٩٥٥م، ص ٣٩-٤٠، ٥٥، ٧٣، ٧٤.

(٤) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٨٩، ٢٤٨، ٢٨٥-٢٨٦.

أصحاب الفلاحة الرومية»^(١). ونقل صاحب «مفتاح الراحة» نصاً متعلقاً بالمواليد، والطبائع الأربعة من كتاب «سر الطبيعة» لبليناس أو بلينيوس.^(٢)

د- كتب النبات والأدوية المفردة:

حيث كان هذا الضرب من المصنفات ذات الطابع المعجمي من المصادر الأساسية عند صاحب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» الذي اعتمد مؤلفه على الآتي منها:

- ١- كتاب «النبات»، لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، وقد رجع إليه صاحب «مفتاح الراحة» معرفاً بنباتات: الجلوز، والطلح، والنخل، والزيتون، والنبق، والصموغ والورد، والخيري، والسوسن وغيرها^(٣).
- ٢- مفردات إسحاق بن عمران (ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٨م)، وهو طبيب بغدادي استجلبه الأغلبة في تونس في منتصف القرن الثالث الهجري من بغداد، وبه ظهر الطب في المغرب^(٤)، ونقل منه مؤلف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ما يتعلق بإفلاح الأذريون، والصبر^(٥).

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٩٢، ٢١١، ٢٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣-٨٤، وانظر: بلينوس الحكيم، سر الخليقة وصنعة الطبيعة، تحقيق: أورسولا واير، ط ١، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٧٩م، ص ٢٣٧-٢٣٤، ٥٧١-٥٨٧، وسيشار إليه فيما بعد ب: بلينوس، سر الخليقة وصنعة الطبيعة.

(٣) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٩٤، ١٦٥، ١٧١، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٠١، ٢٤٤، ٢٥٩، ٢٨٤.

(٤) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان (كان حياً ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٨٤-٨٥؛ صاعد الأندلسي، صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م)، طبقات الأم. تحقيق: حسين مؤنس، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٨١.

(٥) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٧١، ٢٨٥.

٣- كتاب «المرشد إلى جواهر الأغذية، وقوى المفردات من الأدوية» لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي (كان حياً سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م)، وكتاب التميمي ما زال مخطوطاً ومحفوظاً في مكتبة باريس الوطنية رقم (٢٨٧٠)، ومنه قطعة في بطرسبرج ثان ١٨٢ : ٤ (١). وقد رجع صاحب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» لكتاب «المرشد» في غضون حديثه عن: الخيري، والحزامي، والأمنان، وسُكر العشر (٢).

٤- «الأدوية المفردة» لأبي بكر حامد بن سمحون (ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م) وهو من فضلاء الأطباء الأندلسيين، وكتابه في «الأدوية المفردة» مشهور بالجودة كما يقول ابن أبي أصيبعة (٣). وأخذ مصنف «مفتاح الراحة» منه ما يتعلق بزراعة الياسمين والنسرين (٤).

٥- «عمدة الطبيب في معرفة النبات»، لأبي الخير الإشبيلي (ت ٦٦هـ/١٢م)، لكن جامع كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» لم يذكر اسم كتاب أبي الخير كاملاً، وإنما اكتفى بالقول: «نقلت من كتاب النبات

(١) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ١٤ ج، ترجمة عبد الحلیم النجار، السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ق ٢ (٣-٤)، ص ٦٩٩-٧٠٠، وسيشار إليه فيما بعد بـ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي.

(٢) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٥٩، ٢٩٠، ٢٩٢.

(٣) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق وشرح: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٥٠٠، وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. وانظر: بالنشيا، أنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، ط ١، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٥٥م، ص ٤٦٧. وسيشار إليه فيما بعد: بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي.

(٤) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة: ٢٦٧-٢٦٨.

لأبي الخير الأندلسي^(١)، أو ذكر أبو الخير^(٢)، أو قال أبو الخير الأندلسي في كتاب النبات^(٣).

وقد رجع صاحب «مفتاح الراحة» لكتاب أبي الخير الأندلسي في مواضع حديثه عن زراعة: القلقاس، والفسق، والعناب، والسبستان، والبيروج، والأقحوان، والشقيق، واليتوعات^(٤).

٦- «النخلة»، لعبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م)، حيث قال صاحب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» عند حديثه عن شجر الموز: «وقال عبداللطيف البغدادي في كتاب «النخلة» فإنه أيضاً شبيهه بالنخل، إلا أنه كثير الرطوبة، ولذلك صارت شجرته كثيرة الري خصبة، يتصل ورقه على سعفه حتى يصير بمنزلة ثوب الحرير... ثم قال: والنخلة وسط بينهما، يعني الموز والمقل»^(٥).

وذكر ابن أبي أصيبعة أن عبداللطيف البغدادي قد ألف «مقالة في النخل»^(٦) ولعلها هي المصدر الذي رجع إليه مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة».

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤٧، ١٦٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٤٠، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٩٠، ٢٩٥، وانظر: أبي الخير

الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، قدم له وحققه: محمد العربي الخطابي، ط ١، دار

الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١ ص ٦٨، ج ٢ ص ٦٢٤، ٦٢٨-٦٣٣. وسيشار إليه فيما

بعد: أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات.

(٥) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٧٢.

(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٦٩٦؛ وانظر في ترجمة البغدادي وكتبه،

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٣هـ/١٣٦١م): الوافي بالوفيات، تحقيق: رضوان

السيد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج ١٩ ص ١٠٧-١١٥،

وسيشار إليه فيما بعد: الصفدي، الوافي بالوفيات.

٧- «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»، لعبدالله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، وقد اعتمد عليه مؤلف «مفتاح الراحة» في الحديث عن أصناف السوسن^(١)، وفي الحديث عن الأشجار ذوات الصمغ، يقول: «ومن الصمغ: الكهربا، ويسمى مصباح الروم. قال ابن البيطار: ليس بصحيح قول من زعم أن الكهربا صمغ الجوز الرومي، وهي صنفان ... (٢).

هـ- كتب الأدب، فقد رجع مؤلف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» لأربعة منها هي:

١- «عيون الأخبار» لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، وأفاد منه حكاية تروى عن بزرجمهر في موضوع الأترج، يقول: «وحكى ابن قتيبة في كتابه «عيون الأخبار» عن شيخ من بعض الدهاقين، أن بزرجمهر لما حبس، قال لأهل الحبس: سلوا الملك أن يرزقكم مكان الأدم الأترج، ليكون القشر لطيبكم، واللحم لفاكهتكم، والحمض لطعامكم، والحب لدهنكم، فكان ذلك مما سطر في حكمته»^(٣).

٢- «نشوار المحاضرة»، للمحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، يقول مصنف «مفتاح الراحة»: «ورأيت في كتاب «نشوار المحاضرة حكايات» من

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٢. وانظر: ابن البيطار، ضياء الدين عبدالله بن أحمد (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني، بغداد، بلا تاريخ، ج ٣، ص ٤٣، ج ٤، ص ٨٨، وسيشار إليه فيما بعد: ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية.

(٣) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٣٤-٢٣٥. وانظر ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م): عيون الأخبار. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ج ٣، ص ٢٧٥. وسيشار إليه فيما بعد ب: ابن قتيبة، عيون الأخبار.

أمر النخل هي لقلب المتفكر طرفة عجيبة ، ولنفس المتبصر تحفة غريبة . . .»^(١) . والحكايات الواردة فيما يتعلق بالنخل لم نجد لها في المطبوع من «نشوار المحاضرة» بتحقيق عبود الشالجي .

٣- «قلائد العقيان ومحاسن الأعيان» ، لأبي نصر الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م) حيث اقتبس منه مصنف «مفتاح الراحة» نصاً مسجوعاً يصف فيه الرياض والحدايق والجداول والأنهار ، وثلاثة أبيات في دعوى الندمان^(٢) .

٤- «ربيع الأبرار ونصوص الأختيار» ، لمحمود جارالله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م) يقول مصنف «مفتاح الراحة» : «ونقلت من كتاب «ربيع الأبرار» للزمخشري حكاية تدل على ما ذكرناه ، قال : حمل إلى المأمون وهو بمرور نارنج منها ، فأعجبه كونه ، فأمر بحمل زريعته إلى الري وغرسها بها . . .»^(٣) .

وفوق ذلك ، فإن «مفتاح الراحة» يروي بعض الأخبار الأدبية المتعلقة بالنبات التي ألهمت قرائح الشعراء ، فعندما أهدي نوع من العنب يسمى أصابع العذارى وذلك لاستطالته ، لأبي الوليد بن زيدون (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) قال في ذلك ستة أبيات مطلعها :

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٣-٣٠٤ ، وانظر الفتح بن خاقان ، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله

القيسي (ت ٥٢٩هـ/١١٢٤م) : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان . تحقيق : حسين يوسف خريوش .

ط ١ ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ج ١ ، ص ٢٩١ ، وسيشار إليه فيما بعد بـ :

الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان .

(٣) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٨٦ . وانظر الزمخشري ، محمود بن عمر (ت

٥٣٨هـ/١١٤٣م) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، وزارة الأوقاف والشؤون لدينية ، بغداد ، ١٩٨٠م ،

ص ٢٧٧ . وسيشار إليه فيما بعد بـ : الزمخشري . ربيع الأبرار ونصوص الأختيار .

أتاك محيياً عني اعتذاراً

عذارى دونه ريق العذارى^(١)

ويروى مصنف «مفتاح الراحة» ما وقع لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) عندما كان في مجلس المعز باديس الصنهاجي (ت ٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، وحياه بعض ندمائه بأترجة مصبغة، وطلب منه أن يضعها في ذلك المجلس^(٢).

و- كتب التاريخ الإسلامي؛

ينقل مصنف «مفتاح الراحة» عن المسعودي، قال: «حكى المسعودي في «مروج الذهب» أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض خرج من الجنة، ومعه ثلاثون قضيباً مودعة أصناف الثمر، منها عشرة لها قشر وهي: الجوز واللوز... ومنها عشرة لثمرها نوى وهي: الزيتون والرطب... ومنها عشرة ليس لها قشر ولا نوى وهي: التفاح والسفرجل...»^(٣).

ويبدو أن مصنف «مفتاح الراحة» قد رجع إلى عدد من مصادر التاريخ الإسلامي، ولكنه لم يسمها، ويتجلى ذلك من خلال الخبر المتعلق بمكاتبة قيصر ملك الروم إلى عمر بن الخطاب، عندما أرسل إليه قائلاً: «إن رسلي أخبرتني أن ببلدك شجرة كالرجل القائم تخرج كأذان الحمير، ثم تنشق عن أحسن من اللؤلؤ المنظوم، ثم تخضر فتكون كالزمرد، ثم تكون كشذور الذهب،... فكتب إليه عمر: صدقتك رسلك، وإنها الشجرة التي ولد تحتها عيسى، فلا تدع مع الله إلهاً آخر»^(٤).

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٨.

ونقل أيضاً من مصادر التاريخ الإسلامي وصف خالد بن صفوان النخلة لهشام بن عبد الملك^(١). ونقل وصف أرسطو والمأمون للتفاح^(٢)، ووصف كسرى أنوشروان للزرجس^(٣).

ز- الأحاديث والآثار الإسلامية:

فقد نقل صاحب «مفتاح الراحة» ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب، قوله: «أول شجرة استقرت على وجه الأرض النخلة»، ونقل أثراً آخر يفيد بأن النخلة خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام، ومصنف «مفتاح الراحة» يعدُّ هذه الآثار مفسرة لحديث النبي - ﷺ - : «أكرموا عماتكم النخل»^(٤).

ويروي المصنف خبراً عن الحسن بن علي المرتضى أنه قال: «جاءني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكلتا يديه ورداً وقال: إنه سيد رياحين الجنة إلا الأس»^(٥). ويبدو أن الإسرائيليات قد وجدت طريقها إلى كتاب «مفتاح الراحة»، إذ يروي مصنفه [ما حكى عن داود عليه السلام أنه قال: «كان يخرج له في كل يوم من محرابه شجرة، فيسألها عن اسمها ومنفعتها، ومضرتها، فتخبره، فخرَّجت له شجرة الخرنوب، فسألها عن اسمها، فأخبرته فبكى، وقال: نعتت إليّ نفسي. فقليل له في ذلك، فقال: الخرنوب: خراب، ومات بعد ذلك بقليل»^(٦)].

والملاحظ أن مصنف الكتاب قد صدّر كثيراً من هذه الأخبار والآثار بلفظة:

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

يُحكى أو حُكي مما يشي بتشككه في صحة هذه الأخبار أو ضعف سندها ، أو أنه بما لا يقبله عقل .

ح- كتب المسالك والممالك والرحلات:

فقد أخذ مصنف «مفتاح الراحة» حكاية عن كتاب «المسالك والممالك» لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، يقول المصنف : «ونقلت من كتاب «المسالك والممالك» لأبي عبيد البكري : أن إسحاق بن العباس الهاشمي ، حكى عن أبيه أنه تصيد يوماً بناحية صنعاء ، فأصابه مطر ، فمال إلى أحوية أعراب ، فمكث عندهم يوماً وليلة والغيث منجم لا ينسجم ، فلما أصبح قال : قد أنزل الله - تعالى - في هذه الليلة خيراً كثيراً ، فقام رب المنزل إلى كساء بين أربع خشبات كان نصبه من المطر ، فلمسه بيده فقال : ما أنزل الله في هذه الليلة خيراً ، ثم ليلة أخرى كذلك ، وليلة أخرى ، فلما كان في اليوم الثالث ، قال : نعم ، قد أنزل الله تعالى خيراً هذه الليلة ، فسأله عن ذلك ، فقال بعد أن أتاه بكف من البذور تناولها من جوف ذلك الكساء : إن حب البقل ، والعشب ، والكلأ ، إنما ينزل من السماء فينبت الخلق كما يشاء»^(١) .

والملاحظ أن مصنف «مفتاح الراحة» لا يقبل هذه الحكاية ويرفضها عقلياً^(٢) .

ويشير صاحب «مفتاح الراحة» إلى إجماع جوابي الأرض - وهم الرحالة -

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٨١-٨٢ . وانظر : أبو عبيد البكري ، عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) : المسالك والممالك . حققه وقدم له : أدريان فان ليفون ، أندري فيري . ط ١ ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة ، تونس ، ١٩٩٢م ، ج ١ ، ص ٣٦٣ ، وسيشار إليه فيما بعد : أبو عبيد البكري ، المسالك والممالك .

(٢) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٨٢ .

على أن متزهات الدنيا أربعة : صغد سمرقند ، وشعب بوان ، ونهر الأبله ،
وغوطة دمشق (١) .

ط- الروايات الشفوية والمشاهدات الشخصية:

ويتضح ذلك حين وقف مصنف الكتاب على كتاب التنوخي الموسوم بـ
«نشوار المحاضرة» ، ورأى فيه بعض الحكايات المتعلقة بالنخيل ، فأخبر أحد
معارفه بما ذكره التنوخي في النشوار ، يقول : «وعند وقوفي على هذا الكتاب ،
أخبرت بعض معارفي بما حكاه صاحب النشوار ، فأخبرني أن في بستان
الخشب بمصر نخلة فيها أعذاق ، يوجد في العذق منها ، كل بُسرة نصفها
الأعلى أحمر قاني [كذا] ، ونصفها الأسفل أصفر فاقع الصفرة . . .» (٢) .

ومن الروايات الشفوية التي ينقلها عن معاصريه ما يرويه عن فخر الدين
إبراهيم بن علي بن دبوقا ، الذي حدثه عن بعض مشاهداته الذاتية في إحدى
قرى بعلبك ، يقول :

«وأراني بعض الأصحاب قبل وقوفي على هذا الكتاب بُسرة صفراء ، قد
خطها بالطول (أي شقها بالطول) خط أحمر من جانبيها ، وذكر أنها من البستان
المذكور» (٣) .

واللافت للنظر أن مصنف «مفتاح الراحة» لا يذكر لنا أسماء معارفه الذين
رووا له هذه الأخبار ، ولم يشر إلى المكان أو الزمان الذي حكيت له فيه هذه
الأحاديث ، ولكنه جاء بهذه الحكايات تدليلاً على قدرة الخالق ، وبياناً لبديع
صنعه ولطف خلقه ، يقول : «فقل أيها الواقف على ما حكيت ورويت لمن أنكرك
الصانع بتخيالات ظنونه : هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه» (٤) .

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

المطلب الرابع: منزلة «الفلاحة النبطية» بين مصادر كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة»:

بعد تتبع مصادر كتاب «مفتاح الراحة» التي تبين لنا أنها كانت متنوعة الموضوعات، إذ شملت: كتب الفلاحة المشرقية منها والمغربية، وضمت معاجم الأدوية والأغذية والنبات، ومعاجم اللغة، واشتملت على كتب الأدب ودواوين الشعر، ومصادر التاريخ الإسلامي، وكتب المسالك والممالك والأحاديث والآثار، والموسوعات الأدبية، وغيرها من المصادر التي تزخر بها المكتبة العربية. وفوق ذلك، فإن المشاهدات الشخصية لمؤلف الكتاب، ورواياته الشفوية كانت من مصادره في «مفتاح الراحة» واعتمد عليها في تقييش مادة كتابه، على الرغم من أن هذا الضرب من المصادر الشفوية والمشاهدات، كان نزرأً يسيراً مقارنة مع المصادر الخطية التي عوّل عليها مؤلف الكتاب تعويلاً واسعاً، وقطف كثيراً من قطفها الفلاحية ذات العلاقة بموضوعات كتابه.

قلت: وعلى الرغم مما سبق فحصه وبيانه في مصادر هذا الكتاب التي ثبت لنا بالاستقصاء تنوعها وتعددتها، وثراؤها وقيمتها مادتها، إلا أن كتاب «الفلاحة النبطية» يبقى أهمها، بل هو جوهر لبابها، وأسس مادتها، ومعينها العذب الذي لا ينضب، وذلك للآتي:

أ- كمية الاقتباسات التي أخذها مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة»:

وهي كمية ضخمة، وجملة وافرة مقارنة مع غيرها من المصادر التي كان يأخذ منها مرة واحدة أو مرتين، وقد تكون بضع مرات كما بينا أثناء الحديث عن مصادره.

أما عدد المرات التي رجع فيها جامع «مفتاح الراحة» لكتاب «الفلاحة النبطية»، فإنها لا تقل عن مائة وأربعين مرة، أي أن مجموع ما أخذه عن المصدر الأخير يوازي بل يرجح على كمية ما أخذه من المصادر الأخرى مجتمعة.

وفوق ذلك ، فإنني أقدر : بأن ما لا يقل عن نصف كتاب «مفتاح الراحة» مأخوذ حرفياً أو شبه حرفي من كتاب «الفلاحة النبطية» ، مما يعني أن «مفتاح الراحة» كان عالية في مادته الفلاحية على «الفلاحة النبطية» وكتاب «أسرار القمر أو التعافين» لابن وحشية مترجم فلاحة النبط .

ب- اتساع دائرة المادة الفلاحية المأخوذة من «الفلاحة النبطية»:

حيث شملت المادة المأخوذة منه ما يتعلق بالأرض وأنواعها ، وأنواع السرقيين والأزبال ، وكيفية زيادة خصوبة الأرض بالسرايين ، والأدوية التي تعالج بها النباتات ، وتناول فيها صاحب «مفتاح الراحة» مواقيت الزراعة والحصاد ، وتحدث عن الحبوب والقطاني ، والبقول والرياحين ، والأشجار الصمغية ، وأشجار الزيتون ، والنخيل ، والكرمة ، والحنطة والشعير ، وأنواع المياه ، والأعشاب الضارة ، إلى غير ذلك من الموضوعات الفلاحية الكثيرة والمتنوعة .

وتدليلاً على ما ذكر آنفاً ، فإنني أودُّ أن أسرد بعضاً من أسماء النباتات والأشجار التي اعتمد صاحب «مفتاح الراحة» في إفلاحها على المادة الواردة في «الفلاحة النبطية» ، ونوردها وفقاً لتسلسل ورودها في «مفتاح الراحة» : البلسان^(١) ، الباذروج^(٢) ، الرمان والسفرجل^(٣) ، الموز^(٤) ، التين والأترج^(٥) ، الخيار والقثاء والقرع^(٦) ، الفجل والبصل^(٧) ، النعنع

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

والطرخون^(١)، الحنطة^(٢)، الشعير^(٣)، الذرة^(٤)، الباقلاء^(٥)، الحمص^(٦)،
العدس^(٧)، الجلبان^(٨)، اللوبياء^(٩)، الترمس^(١٠)، الحلبة^(١١)،
الحشخاش^(١٢)، السمسم^(١٣)، الكتان^(١٤)، القطن^(١٥)، البطيخ^(١٦)، القثاء
والقرع^(١٧)، الباذنجان^(١٨)، الفجل^(١٩)، الخس^(٢٠)، السلق^(٢١)،

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١١٧-١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٧-١٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٤٢-١٤٣.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٤٤-١٤٥.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٤٦-١٤٧.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٢١) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

البصل (١)، الثوم (٢)، الكراث الشامي (٣)، الهليون (٤)، الهندباء (٥)،
الزعتر (٦)، الجرجير (٧)، الكرفس (٨)، الكزبرة (٩)، السذاب (١٠)، الكراث
النبطي (١١)، الإسفاناج (١٢)، البقلة الحمقاء (١٣)، الحماض (١٤)، الرازيانج (١٥)،
اللوز (١٦)، الجوز (١٧)، الشاه بلوط (١٨)، الرمان (١٩)، الموز (٢٠)،

(١) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٥٥-١٥٦.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

النارنج^(١) ، الليمون^(٢) ، النخل^(٣) ، المشمش^(٤) ، الخوخ^(٥) ، الإجااص
والقراسيا^(٦) ، الزعرور^(٧) ، النبق أو السدر^(٨) ، السبستان^(٩) ، الكرمة^(١٠) ،
التين^(١١) ، التوت^(١٢) ، التفاح^(١٣) ، الكمثرى^(١٤) ، السفرجل^(١٥) ، الأترج^(١٦) ،

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٩-١٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٩٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨-٢١٧ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤-٢٢٧ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠-٢٣١ .

(١٥) المصدر نفسه ص ٢٣١ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .

النرجس (١) ، البنفسج (٢) ، الآس (٣) ، الخيري (٤) ، الزعفران (٥) ، الياسمين والنسرین (٦) ، الأقحوان (٧) ، الأذريون (٨) ، الحُرْم (٩) .

ج- شكلت المادة الفلاحية المقتبسة من كتاب «الفلاحة النبوية» الجواهر والأساس في بناء مادة «مفتاح الراحة»:

ويبرز ذلك في حديثه عن إفلاح جمهرة النباتات والأشجار التي تناولها مؤلف «مفتاح الراحة» ، الذي تطرق فيه مصنفه إلى إفلاح الذرة ، قائلاً : «قال ابن وحشية : تزرع في أربعة وعشرين يوماً تمضي من آذار إلى مثلها من نيسان ، وتحتاج بعد طولها إلى التخفيف من الورق ، وتنظيفها في كل أسبوع ، ويوافقها في منبتها الريح الشمالية والريح الغربية ، وذلك في أول زرعها ، فإذا نشأت وكبرت وافقها ريح الجنوب والشرقية ، وهي تزرع على وجهين : نثر والتغطية بعد ، ثم تسقى بالماء . والثاني : أن يجعل منها حبات كثيرة في طين ، ويجعل في الأتراب ، ثم يُعطى به بعد أن يُغمر بالماء ، فإذا بلغ نباتها طول شبر ، فليغمر بأخشاء البقر المعفن مع ورق القرع والخطمي ، والسبستان والسدر ، ويجعل عليه الماء ، فإنه ينمو نمواً صالحاً» (١٠) .

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧١ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٧٣ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

وبما يلفت النظر في النص السابق ، أن مؤلف «مفتاح الراحة» قد اقتصر فيما ذكره عن إفلاح الذرة بما اقتبس عن «الفلاحة النبطية» ، مكتفياً بما جاء فيه ، وغير معول على أي مصدر آخر غيره .

وفوق ذلك ، فإن المادة المأخوذة من «الفلاحة النبطية» تيسر للفلاحين ما يحتاجون إليه من معرفة علمية في زراعة الذرة ، حيث حدد النص السابق وقت زراعتها ، وطريقة العناية بها ، والرياح المناسبة لها في أول زرعها وعند تقدمها في النمو ، ومتى تحتاج إلى السقي ، وكمية الماء المطلوبة ، ثم وصف ما تحتاج إليه من أزال ، أي أن المادة المقتبسة على وجازتها ، تقدم للفلاح من المعرفة الزراعية في زراعة الذرة ما فيه كفاية وغنية ، ولذا فإن مصنف «مفتاح الراحة» اكتفى بما أخذه عن ابن وحشية ، ولم يزد عليه من المصادر الأخرى .

وما قيل عن موضوع إفلاح الذرة يمكن أن ينسحب على عشرات المحاصيل والمزروعات التي كانت «الفلاحة النبطية»^(١) معينها الأول ، ومصدرها الأساس الذي ربما لا يحتاج إلى غيره من المصادر في غالبية الزروع والغروس . وكما تقول العرب في أمثالها «كل الصيد في جوف الفرا» .

د- تشكل مادة الفلاحة التي استمدتها مؤلف «مفتاح الراحة» من «الفلاحة النبطية» العمود الفقري لكتاب «مفتاح الراحة»:

فقد تبين لنا من خلال الدراسة أن غالبية المادة المأخوذة من المصادر المتنوعة هي معلومات تكميلية في «مفتاح الراحة» ، ولا تؤثر على الجوهر أو الأساس للموضوعات المطروحة ، بل إن كثيراً من مادة المصادر الأخرى كانت مجرد حكايات ، أو روايات ، أو إسرئيليات ، أو مادة شعرية أو روايات أدبية جاءت لغاية الإمتاع ، إذ أدرجها مؤلف «مفتاح الراحة» في ختام كل موضوع فلاحي ، فهي بمثابة الطرائف والملح التي قد لا يحتاج إليها الفلاح الذي لا ترتقي ثقافته

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ .

في الأعم الأغلب إلى تذوق تلك الأشعار والمطارحات التي زين بها المؤلف كتابه ، فهي ذات صفة تجميلية تزيينية تهدف إلى إمتاع أصحاب الثقافة الأدبية ، لا الأكرة وأصحاب الفلاحة ، الذين لم يعرف جمهورهم بل لم تسمع غالبيتهم وسواهم بالشعراء أو الأدباء مثل : الأحيطل الأهوازي ، أو ابن الطراوة ، أو عبد الرازق بن علي النحوي ، أو الشمشاطي ، أو ابن لبون^(١) ، وغيرهم من عشرات الأدباء والشعراء الذين وشح بأسمائهم وأشعارهم وملحهم وطرائفهم ومطارحاتهم ومساجلاتهم مؤلف «مفتاح الراحة» كتابه الزراعي لا الأدبي .

وفوق ذلك ، فإن جامع كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» قد أدرك أن كثيراً من هذه الأبيات أقحمت على موضوعات كتابه إقحاماً ، ولعله يقدم اعتذاره عن بعض من ذلك ، حيث يقول عندما أورد كلام الفتح بن خاقان : «على أن هذه الأبيات ليست من شرطي ؛ لأنني نويت أن لا أذكر في هذا المكان من الأوصاف إلا ما لا يشتمل على تفاصيل جمل ما في الرياض من أصناف الأزهار وأنواعها ، فإن ذلك قد تقدم مفرقاً ، وعدم قبول النفوس للمعاد موجود في طباعها ، وإنما أذكر اشتباك أدواحها ، ولطائف أرواحها ، ليحل منها في القلب والطرف بدر الحسن ، وشمس الظرف»^(٢) .

هـ- الاستخدام المكثف للفلاحة النبطية، وتعويل صاحب «مفتاح الراحة» على مادته أكثر من سواه من مصادر الفلاحة سواء أكانت يونانية أم مصرية؛

ويمكن للدارس أن يلاحظ حضوراً واسعاً لأدبيات فلاحة النبط مما ينفي ما ذهب إليه ابن الأكفاني عندما قال : « . . . وإنما يوافق أرض العراق القوانين النبطية المودعة في كتاب الفلاحة الذي نقله ابن وحشية ، وكذلك الشام ، وديار

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٦٥-٢٧٣ ، ٢٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٤ .

بكر ، والروم ، وجزيرة الأندلس ، إنما يوافقها الفلاحة الرومية ، وأرض مصر إنما يوافقها الفلاحة المصرية . وإن كانت كلها تشترك في أمور كلية»^(١) .
قلت : لو كانت قوانين فلاحة الروم هي المناسبة لفلاحة الشام ، والملائمة لأرضه وزرعه ، لعول مؤلف «مفتاح الراحة» على مادتها أكثر مما استمده ونهل من معينه الذي لا ينزف من فلاحة النبط .

المطلب الخامس: منهجية مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» في الأخذ من «الفلاحة النبطية»:

يمكن لقارئ «مفتاح الراحة» أن يقتفي أهم الخطوط المنهجية المتشابهة في هذا الكتاب ، والتي نرى أبرزها فيما يأتي :
أ- إثبات عنوان الباب، ثم اتباع ذلك بالعبارة التالية: «قال ابن وحشية»،
ثم الإتيان بالمادة العلمية بعد القول مباشرة دون وسائط ومن الأمثلة على ذلك:

- القول في إفلاح الثوم: قال ابن وحشية: وهو مما يزرع ثم يحول ويغرس... وينبغي أن يزرع في امتلاء القمر»^(٢) .
- القول في إفلاح الكراث الشامي: قال ابن وحشية: هذا النبات يزرع في تشرين الأول، ويزرع نثراً، وفي حفائر لطاف... ثم قال: واعلموا أن ماء الكراث النبطي يقطع الرعاف، وسيلان الدم إذا خلط به شيء من الكندر مسحوقاً ويزيد في الباه»^(٣) .

(١) ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد (ت ٥٧٤٩هـ / ١١٣٤٨م)، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٨٧، وسيشار إليه فيما بعد ب: ابن الأكفاني، إرشاد القاصد في أسنى المقاصد .

(٢) مؤلف مجهول، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ١٥٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٢ .

- القول في إفلاح الهليون : قال ابن وحشية : «الهليون قضبان ينبت لنفسه في المواضع الندية التي تجتمع فيها مياه الأمطار ، وقد تتخذها الناس في البستان غرساً . وقد أطل في نعته . توليد : قال ابن وحشية : متى دفنت أطراف قرون الكباش مع ورق السلق ، وسقيا بالماء ، نبت من ذلك الهليون»^(١) .

واللافت للنظر أن غالبية اقتباسات مؤلف «مفتاح الراحة» عن «الفلاحة النبطية» قد سارت على النهج السالف ، وأصبحت لازمة أسلوبية في منهج صاحب المفتاح ، قلما يخرج عنه .

وفوق ذلك ، فإننا قد لاحظنا من خلال النصوص السابقة ، وغيرها من نصوص الكتاب ، أن مؤلف «مفتاح الراحة» ، يشير إلى اقتباس آخر عن ابن وحشية دون ذكر اسمه ، ويكتفى بـ «ثم قال» . ونجد أحياناً إشارة إلى أن صاحب «مفتاح الراحة» قد أخذ بعضاً من كلام ابن وحشية ، وترك أكثره لطوله ، وذلك عندما قال في إفلاح الهليون : «وقد أطل في نعته» . وقد يأتي المصنف بلفظة «توليد» يتلوها بـ «قال ابن وحشية» التي تدل على أنه قد أخذ النص من «الفلاحة النبطية» . أما إذا كان النص الذي يلي لفظة «توليد» مأخوذاً من كتاب آخر لابن وحشية فإن يذكر اسم ذلك الكتاب ، ومثال ذلك :
- القول في إفلاح النعنع : قال ابن وحشية : هو أحد أنواع منابت تحت نوع وجنس واحد يسمى الفوذنج» .

توليد : قال ابن وحشية في كتاب «أسرار القمر» : وإن أرتم فوذنجاً بستانياً ، فخذوا رجلي دجاجة . . .»^(٢) . وكتاب «أسرار القمر» هو كتاب «التعافين» لابن وحشية نفسه ، قد بين ذلك مؤلف «مفتاح الراحة» عند وصفه لغرس شجرة

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٤-١٥٥ .

السبستان ، يقول : «ثم إنني وقفت على كتاب ابن وحشية في التعافين الذي سماه أسرار القمر»^(١) .

ب- تلخيص ما جاء مبسوطاً ومطولاً في «الفلاحة النبطية»:

حيث شغل فيها «باب ذكر طبائع الأرضين والعلة في اختلاف طعومها وجميع علاقتها» سبعين صفحة من القطع الكبير ، وهو ما يشكل نصف حجم كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ، ولذلك فإن مؤلف «مفتاح الراحة» قد نص على ذلك ، وبين أنه يأخذ من «الفلاحة النبطية» مُلخصاً ، يقول «القول في الأراضي الفاسدة التي لا يمكن إصلاحها : وذكر ابن وحشية في ذلك كلاماً طويلاً ملخصه : إن في الأرض ما هو فاسد من جهة الطعوم . . .»^(٢) .

قلت : على الرغم من الإشارة الصريحة لمصنف «مفتاح الراحة» إلى أنه يلخص في هذا الباب عن «الفلاحة النبطية» ، إلا أنه في الواقع لم يخرج عن عبارات وجمل «الفلاحة النبطية» ، بل تقيّد بها إلى حدّ كبير ، وما تصرف فيه من حيث الصياغة كان نزرأً يسيراً ، بل يكاد يكون كلامه في هذا الباب نقلاً حريفاً من «الفلاحة النبطية» .

والأمثلة على ذلك كثيرة :

ورد في «الفلاحة النبطية» ما نصه :

«وقد لزمنا في هذا الموضع أن نخبر ببعض المنابت التي تنبت لنفسها ، من صغارها وكبارها ، التي لا يفلحها الناس ، بل تنشأ في البراري وغيرها ، وتفلح بلا تدبير الناس لها . وتفلح في الأرض المالحة ، والأرض المرة ، والأرض النزّة ، والعرقّة ، والرخوة ، والدسمة المفرطة في ذلك ، والقابضة ، والحامضة ، والحادة ،

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

والمفرطة التخلخل ، والمفرطة الاستحصاف والتلّز ، وغير هذه من الأرضين المخالفة الصلاح^(١) .

وجاء في كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» الآتي :
«ثم ذكر من الأرضين : الفاسدة النزة ، والعرقه ويطلق عليها الحامضة ، والرقيقة ، والرخوة ، والدسمة ، والمفرطة التلّز ، والمفرطة الاستحصاف ، وكل هذه المنابت ينبت فيها لنفسها أصناف من غير إفلاح»^(٢) .

وورد في «الفلاحة النبطية» :

«ومن أصناف الأرضين : الرمادية ، والفحمية ، والحريفية ، فأما الرمادية فهي الأرض التي أحرقتها الشمس إحراقاً ، ثم كرت عليها بالإحراق بعد إحراق أول مراراً ، فأل أمرها إلى أن صارت رمادية ، وهي التي لونها يضرب إلى أدنى بياض مع غبرة شديدة ، وهذه ليس يقال عليها إنها فاسدة ؛ وإنما فقدت الماء والزرع والإفلاح زماناً فعطلت . فلما لم يزرع فيها شيء لم تسق الماء ، ولم يلق فيها شيء من الأزبال ، والشمس تسخنها إسخناً بعد إسخان ، فتحرق ثم يزيد إحراقها ، فيكون مثلها مثل الحطب الذي أحرق بالنار فصار فحماً ، ثم أحرق بالفحم فصار رماداً . فهذه قد تنبت أشياء ، ويفلح فيها كثير من الشجر والنخل والكروم ، وتصلح هذه لشدة يبس هذه الأرض وبعدها من قبول الندى . متى غرس في هذه الأرض نخل أو شجر أو كروم ، فإنها تحتاج إلى مداومة السقي ، وتسقى بأكثر من العادة الجارية في السقي ، وذلك لشدة نشفها ويبسها الذي اكتسبته من إحراق الشمس»^(٣) .

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٣٤٥-٣٤٦ .

وجاء في «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» :

«ومن أصناف الأرض الفاسدة : الرمادية ، والحريفة ، والفحمية ، والخزفية . فأما الرمادية ، فهي التي أحرقتها الشمس إحراقاً تاماً ، ثم كررت عليها الإحراق مراراً ، فآل أمرها إلى أن صارت رمادية ، وهي التي تضرب إلى أدنى بياض مع عُبرة شديدة ، وعرض لها ذلك لما فقدت الماء ، والزرع ، والإفلاح زماناً فعطلت ، والشمس تسخنها إسخناً بعد إسخان ، فمثلها مثل الحطب الذي أحرق بالنار فصار فحمًا ، ثم أحرق الفحم فصار رماداً ، فهذه قد تنبت أشياء ويفلح فيها أشياء ، مثل : النخل والكرم ، ومتى غرس فيها ما ذكرناه احتاجت إلى مداومة السقي»^(١) .

قلت : إن المقابلة بين النصين الواردين في «الفلاحة النبطية» ، وبين النصين المنقولين عنها في كتاب «مفتاح الفلاحة» تثبت أن اختصار الأصل جاء مخللاً حيث سقطت مادة علمية مهمة من ناحية ، وأدى ذلك إلى صعوبة الفهم أو استعصائه في بعض الأحيان من ناحية أخرى .

ج- التنبيه على ما جاء ناقصاً في «الفلاحة النبطية» بخصوص بعض الموضوعات المتعلقة بإفلاح الأرض، ثم القيام باستدراك هذا النقص من مصادر فلاحية أخرى:

ويتضح لنا هذا الأمر من حديث مصنف «مفتاح الراحة» عن السرقيين أو الأزيال التي تُسمد بها المزروعات ، فقد أورد ما نصه : «قال ابن وحشية : وهو ثلاثة أصناف ، أزيال مفردات ، وأتبان مفردات ، وأرمدة مفردات ، وأكثر الأزيال المفردة منفعلة للأرض الفاسدة الخارجة عن الطيب في العذوبة هو : إخشاء البقر ، ثم زبل الغزلان ، ثم زبل الخنازير ، ثم الضأن ، ثم الجواميس ، ثم الخيل ، ثم الحمير الأهلية ، ثم خرد الحمام وهو أفضل الأزيال كلها جملة . . . ولم يذكر

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٠٥-١٠٦ .

والمفرطة التخلخل ، والمفرطة الاستحصاف والتلّز ، وغير هذه من الأرضين المخالفة الصلاح»^(١) .

وجاء في كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» الآتي :
«ثم ذكر من الأرضين : الفاسدة النزة ، والعرقه ويطلق عليها الحامضة ، والرقيقة ، والرخوة ، والدسمة ، والمفرطة التلّز ، والمفرطة الاستحصاف ، وكل هذه المنابت ينبت فيها لنفسها أصناف من غير إفلاح»^(٢) .

وورد في «الفلاحة النبطية» :

«ومن أصناف الأرضين : الرمادية ، والفحمية ، والحريفية ، فأما الرمادية فهي الأرض التي أحرقتها الشمس إحراقاً ، ثم كرت عليها بالإحراق بعد إحراق أول مراراً ، فأل أمرها إلى أن صارت رمادية ، وهي التي لونها يضرب إلى أدنى بياض مع غبرة شديدة ، وهذه ليس يقال عليها إنها فاسدة ؛ وإنما فقدت الماء والزرع والإفلاح زماناً فعطلت . فلماً لم يزرع فيها شيء لم تسق الماء ، ولم يلق فيها شيء من الأزبال ، والشمس تسخنها إسخناً بعد إسخان ، فتحرق ثم يزيد إحراقها ، فيكون مثلها مثل الحطب الذي أحرق بالنار فصار فحماً ، ثم أحرق بالفحم فصار رماداً . فهذه قد تنبت أشياء ، ويفلح فيها كثير من الشجر والنخل والكروم ، وتصلح هذه لشدة يبس هذه الأرض وبعدها من قبول الندى . متى غرس في هذه الأرض نخل أو شجر أو كروم ، فإنها تحتاج إلى مداومة السقي ، وتسقى بأكثر من العادة الجارية في السقي ، وذلك لشدة نشفها وبسها الذي اكتسبته من إحراق الشمس»^(٣) .

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٠٤ .

(٣) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

وجاء في «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» :

«ومن أصناف الأرض الفاسدة : الرمادية ، والحريفة ، والفحمية ، والخزفية . فأما الرمادية ، فهي التي أحرقها الشمس إحراقاً تاماً ، ثم كررت عليها الإحراق مراراً ، فآل أمرها إلى أن صارت رمادية ، وهي التي تضرب إلى أدنى بياض مع عُبرة شديدة ، وعرض لها ذلك لما فقدت الماء ، والزرع ، والإفلاح زماناً فعطلت ، والشمس تسخنها إسخانياً بعد إسخان ، فمثلها مثل الحطب الذي أحرق بالنار فصار فحمًا ، ثم أحرق الفحم فصار رماداً ، فهذه قد تنبت أشياء ويفلح فيها أشياء ، مثل : النخل والكرم ، ومتى غرس فيها ما ذكرناه احتاجت إلى مداومة السقي»^(١) .

قلت : إن المقابلة بين النصين الواردين في «الفلاحة النبطية» ، وبين النصين المنقولين عنها في كتاب «مفتاح الفلاحة» تثبت أن اختصار الأصل جاء مخللاً حيث سقطت مادة علمية مهمة من ناحية ، وأدى ذلك إلى صعوبة الفهم أو استعصائه في بعض الأحيان من ناحية أخرى .

ج- التنبيه على ما جاء ناقصاً في «الفلاحة النبطية» بخصوص بعض الموضوعات المتعلقة بإفلاح الأرض، ثم القيام باستدراك هذا النقص من مصادر فلاحية أخرى:

ويتضح لنا هذا الأمر من حديث مصنف «مفتاح الراحة» عن السرقيين أو الأزيال التي تُسمد بها المزروعات ، فقد أورد ما نصه : «قال ابن وحشية : وهو ثلاثة أصناف ، أزيال مفردات ، وأتبان مفردات ، وأرمدة مفردات ، وأكثر الأزيال المفردة منفعة للأرض الفاسدة الخارجة عن الطيب في العذوبة هو : إخشاء البقر ، ثم زبل الغزلان ، ثم زبل الخنازير ، ثم الضأن ، ثم الجواميس ، ثم الخيل ، ثم الحُمُر الأهلية ، ثم خرة الحمام وهو أفضل الأزيال كلها جملة . . . ولم يذكر

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٠٥-١٠٦ .

طبائع هذه المفردات التي عدّها ، فوجدت ذلك في كتاب ابن بصال إلا أنه لم يستقص بل قال . . .»^(١) .

ثم قام مؤلف «مفتاح الراحة» باستدراك ما أخل به كتاب «الفلاحة النبطية» بخصوص طبائع هذه الأزبال ، اعتماداً على فلاحة ابن بصال الأندلسي ، يقول صاحب «مفتاح الراحة» : «فأمّا زبل الخيل والبغال والحمير ، فحارّ رطب ، وحرارته أكثر من رطوبته . . . وأمّا زبل الآدمي ، فطبيعته للزوجة والرطوبة ولا حرارة فيه . . . وأمّا زبل الضأن ، فهو دون ما تقدم من الزبول . . . وأمّا زبل الحمام ، فهو ذو حرارة مفرطة ورطوبة شديدة»^(٢) .

د- التعقيب على ما جاء في «الفلاحة النبطية» ومحاولة عرضه وتبسيطه، لجعله قريباً من أفهام الفلاحين، وذلك بتكثيف المادة المطولة والمتناثرة أو دمجها:

يقول صاحب «مفتاح الراحة» في حديثه عن السراقين التي ركبت في «الفلاحة النبطية» : «فجعل الرمان ، والسفرجل ، والتفاح ، والكمثرى ، والزعرور ، والخوخ ، والمشمش ، والعناب ، والسبستان وما أشبهه مما ثمرته باردة شيئاً واحداً ، وركب له زبلاً يوافقه ويصلحه . . . وجعل الموز ، والبطيخ الهندي ، وسائر أنواعه جنساً واحداً ، وركب له زبلاً يوافقه ويصلحه ، وهو أن يؤخذ سرقين البقر والحمير ويخلطان . . . وجعل التين ، والأترج ، واللوز ، والفسق ، واللوز المر ، وما أشبهها مما ثمرتها حارة صنفاً واحداً ، وركب له زبلاً يوافقه ويصلحه ، وهو أن يؤخذ سرقين البقر وما يبقى من الشعير والحنطة بعد الحصاد . . . وجعل الخيار ، والقثاء ، والقرع ، واللفت ، والجزر ، والكراث الشامي وما يشبهها من المكنونة تحت الأرض صنفاً واحداً ، وركب له سرفيناً يُعمل من عيدان نبات الحنطة مع

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣-١١٤ .

أصولها والشعير والباقلاء ، والشوك والعوسج ، وخشب التين وورقه ويحرق ذلك جميعه ...»^(١) .

ويستمر مُصنّف «مفتاح الراحة» في تقسيم النباتات إلى عائلات أو فصائل متشابهة ، واصفاً لها السراقين التي تلائمها ، ومقدماً للفلاح هذه الأنواع النباتية مقسمة إلى زمر أو مجموعات ، كل واحدة منها يلائمها سرقين مناسب ، وقد وصف طريقة تركيب هذه الأزبال ، وكيفية استعمالها وإضافتها إلى التربة . وبناء على ما تقدم ، فإن هذه الخصيصة المنهجية تُعدُّ من أبرز ما قدمه صاحب «مفتاح الراحة» إذ أظهر براعة وقدرة على جمع المادة المتناثر في ثنايا سفر ضخم بل موسوعة فلاحية هي «الفلاحة النبطية» ، ثم قام بضم النظر إلى نظيره ، وجمع بين المتشابهات ، ناجحاً في جودة تقسيمها إلى زمرٍ أو جماعات نباتية ، ثم اختار السماد المناسب لكل واحدة منها .

هـ- النقل عن «الفلاحة النبطية» بلا عزو أحياناً:

والقارئ لكتاب «مفتاح الراحة» يلاحظ أن مصنّفه كان يعزو منقولاته عن «الفلاحة النبطية» ، حيث جاء ذكرها صريحاً في الباب الأول من «مفتاح الراحة» : «قال ابن وحشية في كتاب «الفلاحة النبطية» : إن الأمطار والسيول ...»^(٢) ، وقال في مرة أخرى : «ومن الفلاحة النبطية ، قال ابن وحشية»^(٣) ، وفي مرة ثالثة : «قال ابن وحشية في فلاحته»^(٤) ، وجاء في مرة رابعة : «قال ابن وحشية في كتاب «الفلاحة»»^(٥) ، ولكن جمهرة منقولات

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١١٥-١١٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .

صاحب «مفتاح الراحة» عن كتاب «الفلاحة النبطية» كانت مسبوقه بالقول : «وقال ابن وحشية» دون ذكر لاسم الكتاب تصريحاً أو بالمعنى ، وجميع هذه الاقتباسات المأخوذة بهذه الطريقة تؤكد لدينا عند مقابلتها على نصوص «الفلاحة النبطية» أنها منقولة عنها حرفياً أو شبه حرفي في الأعم الأغلب أو بتصرف وإعادة صياغة وهو في الأقل منه .

وعلى الرغم من هذه الأمانة العلمية الواضحة التي تثبت ، وتقيد صاحب «مفتاح الراحة» بقاعدة عزو الأقوال إلى قائلها وردّها إلى أهلها ؛ لأن في ذلك بركة العلم ، واعترافاً بأهل الفضل^(١) ، إلا أن بعضاً مما أخذه من «الفلاحة النبطية» ورد غير معزوّ إليها ، ولم ينسب لأي مصدر آخر ، ونورد على ذلك بعض الأمثلة :

جاء في كتاب «الفلاحة النبطية» :

«باب ذكر الحِمص : الحِمص من المنابت المألحة التي تجذب ملوحة الأرض إليها ، وهو يزرع في وقت الماش ، ويوافقه من الأرض النّزة النّزّاليسير والمألحة ، وإنما نذكر في كل نبات ما يوافقه من الأرضين . . . فإذا أردت أن يكون حمل الحِمص نبيلاً كبيراً ، ويوجد نباته فانقع قبل أن تزرعه بيوم في ماء حارّ قليل الحرارة ، حتى ينبل قليلاً ، ثم ازرعه في الأرض بنداوتة . . .»^(٢) .

ورد في «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» :

(١) الدروبي ، سмир : ظاهرة التعدد والكثرة في مؤلفات السيوطي ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، وزارة الثقافة الأردنية ، عمان ، ٢٠٠٥م : ص ٥٠-١٢٠ . وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد بـ : الدروبي ، ظاهرة التعدد والكثرة في مؤلفات السيوطي . وانظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) : مقامات جلال الدين السيوطي . بتحقيق وشرح ودراسة : سмир محمود الدروبي . ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ج ٢ ، ص ٥١-٥٩ ، وسيشار إلى هذا المصدر فيما بعد بـ : السيوطي ، مقامات جلال الدين السيوطي .

(٢) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية : ج ١ ، ص ٥٠٦-٥٠٧ .

«والقول في إفلاح الحِمص : وهو من النباتات المالحة التي تجتذب ملوحة الأرض إليها ، ووقت زرعه من أول كانون الآخر إلى آخر شباط ، وربما زرع في أول تموز ، فيكون ضعيفاً ، ويوافقه من الأرضين المالحة والنزة . وإذا أريد أن يكون حملة كثيراً فلينقع قبل الزرع بيومين في ماء فاتر حتى يبتل قليلاً ، ثم يزرع في الأرض بنداوته . . .» (١) .

وإليك مثال آخر حول هذا الموضوع ، فقد جاء في «الفلاحة النبطية» ما نصه :

«باب ذكر اللوبياء : هذا نوعان : أحمر وأبيض ، وربما خرج في بعض الأحمر أسود ، لكنّه قليل . وهو يزرع في السنة مرتين : مرّة في الربيع ، ومرّة في الصيف . والذي يزرع منه في الربيع يحصد في الوقت الذي يزرع فيه الصيفي . فأما الربيعي فيزرع في أوّل آذار إلى خمسة عشر يوماً تمضي منه ، وأما الصيفي ففي أوّل حزيران إلى عشرين يوماً تمضي منه . وهو من النباتات التي لا تقوم على ساق ، بل تنبسط على وجه الأرض انبساطاً ليس مثل الكروم ، بل هو أقوم قليلاً . وما زرع منه في الربيع أبطأ نشؤه وخرج قوياً كبار الحبّ ، وما زرع في الصيف أسرع نشوه ، وكان أضعف وحبّه ألطف . وذكر ينوشاد أنّه لا يخرج في البرّ لنفسه البتّة .

ويوافقه من الأرضين النديّة والتي فيها أدنى ملوحة يسيرة . ويريد كثرة الرطوبة وينشأ عليها . وما يناله من رطوبة الأرض النديّة أنفع له من كثرة سقي الماء . وربما وافقته الأرض التي توافق الحمص ، التي يزرع منه في الربيع خاصّة . ويحتاج أن يسرقن ويزبل ، ويوافقه الزبل المركّب من خُرء الناس وأخشاء البقر ، والأوراق والأغصان ، وتلك الأشياء المعفنة «مع الأزبال . وتزييله يكون بأن يطرح [في أصوله] قليلاً أو يسبّ عليه الماء الداخل إليه في السقي ليقوم في

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٢٨ .

أصوله ، وربما غبر بذلك الزبل المجفف المعفن»^(١) .

وورد في «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» :

«القول في إفلاح اللوبياء : زعم بعض أرباب الفلاحة أنها اثنا عشر نوعاً ، وذكر أن منها ما هو قدر الزيتون ويسمى الصقلابية ، ومنها ما هو مجزع قدر بيض الحمام ، ويسمى الحبشية ، ومنها ما هو في قدر حب الكرم ويسمى الرومية ، وهي بيضاء مائلة إلى الصفرة ، وفيها الأبيض والأسود . وفيها الأحمر الملمع بسواد ، وهي تزرع في السنة مرتين : مرة في الربيع ، ومرة في الصيف ، والذي يزرع منها في الربيع ، يزرع في أول آذار إلى النصف منه . وما زرع منها في الربيع أبطأ نشؤه ، وكان أضعف وألطف حباً . ويوافقها من الأرضين ، الأرض الندية والتي فيها أدنى ملوحة ، وهي تحب كثرة الرطوبة ، وتنبت عليها وتنشأ ، وما ينالها من رطوبة الأرض أنفع لها من كثرة سقي الماء ، وربما وافقها الأرض التي توافق الحمص . وينبغي أن تزرع ، ويوافقها من الزبل المركب من خرد الناس ، وأخثاء البقر ، والأغصان والأوراق . وتزبلها بأن يطرح في أصولها قليلاً قليلاً ، أو ينثر على الماء الداخل عليه في السقي ، ليقوم في أصولها»^(٢) .

والناظر في المثالين المتقدمين يمكنه ملاحظة أربعة أمور في الأقل :

أولها- إن صاحب «مفتاح الراحة» قد أخذ جملاً ، بل أسطراً أحياناً من كتاب «الفلاحة النبطية» دون تحديد المصدر المأخوذ منه ، وربما وقع ذلك منه سهواً لكثرة اقتباساته من فلاحة النبط من جانب ، وربما اكتفى صاحب «مفتاح الراحة» بإشاراته المتقدمة أو المتأخرة لابن وحشية من جانب آخر ، علماً بأن بعضاً من النصوص التي سبقتها أشار فيها لابن وحشية ، وبعض إشارته وردت في النصوص التالية لها .

(١) ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٥١٠ .

(٢) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٣٠ .

ثانيها- يتضح أن صاحب «مفتاح الراحة» قد أفاد من مصادر أخرى في هذه المواطن المفتقرة إلى التوثيق والعزو ، ويدل على ذلك قوله في إفلاح اللوبياء : «زعم بعض أرباب الفلاحة» مما يعني هنا أنه رجع إلى أكثر من كتاب من كتب الفلاحة ، وكان كتاب «الفلاحة النبطية» من بينها ، ولكن المادة الأساسية في هذه الموضوعات مصدرها الأساس هو كتاب «الفلاحة النبطية» .

ثالثها- إن المادة التي التقطها مصنف «مفتاح الراحة» عن «الفلاحة النبطية» في هذه المواطن لا تغني عن الرجوع إلى الأصل وهو «الفلاحة النبطية» التي نجد فيها توضيحاً وتفصيلاً ، وزيادة وإفادة لا نجدها في «مفتاح الراحة» ، وليس الخبر كالخبر ، ولا الفرع كالأصل - وإن كان منه - كما يقال .

رابعها- إن الحالات التي تأكد لدينا فيها سلخ مصنف «مفتاح الراحة» ، لمادة «الفلاحة النبطية» لا تتجاوز عدد أصابع اليدين^(١) ، وقد تزيد عن ذلك بقليل ، ولكن ذلك لم يمنع الاطراد في العزو عند مؤلف «مفتاح الراحة» ، وهو المنهج الذي اختطه في أغلب أبواب كتابه ، ومواده الفلاحية الكثيرة ، فالأساس والقاعدة في «مفتاح الراحة» هو العزو الدقيق الموثق ، والاستثناء والخروج عن القاعدة هو عدم العزو الذي ربما لم يكن مقصوداً أو وقع سهواً .

و- بروز الموقف النقدي لصاحب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة»:

فقد تبين لنا ما سلف أن جامع «مفتاح الراحة» قد اعتمد اعتماداً كلياً على «الفلاحة النبطية» وأخذ كثيراً من موادها وموضوعاتها الفلاحية وغير الفلاحية ،

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، وقارن بما

ورد في ابن وحشية ، الفلاحة النبطية ، ج ١ ، ص ٤٢١ ، ٤٢٠ ، ٥٠٩ ، ٥٢١ ؛ ج ٢ ، ص ٨٣١ ، ٨٣٣ .

بل يمكن القول بكل اطمئنان : إن ما أخذه صاحب «مفتاح الراحة» من فلاحه النبط يزيد على خمسين بالمائة من مادة الكتاب ، فمادة النبط هي هيكله العظمي وعموده الفقري ، وروحه النابضة بل هي لحمته وسداه ، وما زاد على ذلك سوى اليسر منه ، ويُعدُّ من قبيل الحشو ، بل هو مجرد إضافات وملح وحكايات ، وأخبار وتوليدات يمكن للقارئ أو الفلاح نبذها واستبعادها .

والقارئ لكتاب فلاحه النبط يدرك أن فيه كثيراً من الآراء ، والأفكار المناقضة للروح الإسلامية ، ولا غرو في ذلك فهو يمثل الفكر الوثني والأسطوري الذي كان سائداً لدى شعوب بلاد النهرين كالبابليين والكلدان والآراميين والصابئة ، من حيث الاعتقاد بالكواكب والنجوم وتأثيرها في الحيوانات والنباتات^(١) .

وفوق ذلك ، فإن صاحب «الفلاحه النبطية» يتحدث عن الصلاة والقرايين للكواكب ، وعن وحي القمر للأصنام إلى غير ذلك من الأفكار الوثنية القديمة التي جاء الإسلام بمحوها وإبطالها ، يقول ابن وحشية في حديثه عن رب الكواكب والنجوم السائرة : «فغدا صليتم له وهو ساخط ، فأعيدوا له الصلاة والقربان وهو راضٍ ، وذكروه تلك الصلاة ، وكرّروا عليه ذكر ذلك ، فلعلكم أن تنجون [من شره أمين ، واعلموا أنه معطي الفلاحه للأرض . . . وهو أوحى إلى القمر بما أودعته كتابي هذا ، وأوحاه القمر إلى صنمه ، وعلمنيه صنم القمر ، كما علمتكم ، فاحتفظوا بذلك ، فإنه معاشكم الذي إليه تسكنون . . .»^(٢) .

وتأسيساً على ما تضمنه «الفلاحه النبطية» من الأفكار الوثنية التي ترعرعت بين شعوب بلاد النهرين ، والجزيرة ، والشام ، وأرض النبط وكنعان ، فإننا نتوقع من أصحاب كتب الفلاحه الشامية أن يكون لهم موقف نقدي واضح

(١) ابن وحشية ، الفلاحه النبطية ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١ .

من هذه الطلّسمات والسحر والأصنام ، كما هو حال علماء الفلاحة ومؤلفيها في الأندلس كابن العوام الإشبيلي الذي هجر كثيراً من الأفكار الفلاحية النبطية ، وأصل محلها الفكر المستقيم القائم على العقل والتجربة^(١) .

إن نظرة مؤلف «مفتاح الراحة» لمؤلف كتاب «الفلاحة النبطية» ، ولترجمه ابن وحشية تقوم على التقدير والاحترام العلمي ، وهو يُعده الأستاذ الذي به يُقتدى في هذا الباب ، والمبدع في هذا الفن ، ولذا فإن الناس يقلدونه كما يقلدون الأئمة ، ويتبعونهم لعلمهم ومعرفتهم ، وسعة إطلاعهم على مصادر العلم ، يقول : «وذكر ابن وحشية في الحبوب المقتاتة : الخشخاش ، والسمس ، وبزر الكتان ، والشهدانج ، بعد أن ذكر الحلبة ، ونحن نورد ما حكاه ، فنقتدي به ، فإنه المقلد في هذا الفن والشأن ، لاطلاعه على كتب الأوائل من الحكماء والأطباء»^(٢) .

وعلاوة على ذلك ، فإن جامع كتاب «مفتاح الراحة» قد تيقن من القيمة العلمية الكبرى لترجمات ابن وحشية ومؤلفاته في المعرفة الفلاحية وتطبيقاتها العملية ، وأن كتبه قد تفردت في كثير من المعارف التي لا توجد في غيرها من كتب أصحاب الفلاحة . ففلاحة النبط لها هيمنتها على فكر الشرق الفلاحي ، وذلك لموسوعيتها واستيعابها لأغلب النباتات من جانب ، ولعدم وجود ما يسد مسدها ويقدم معارفها من جانب آخر ، يقول صاحب «مفتاح الراحة» عند حديثه عن شجر السبستان : «لم أجد لأحد المتكلمين في الفلاحة كلاماً في صفة غرس شجرة إلا أنه بري ، والظاهر أن العمل فيه كالعمل في سائر الشجر

(١) ابن العوام الإشبيلي ، الفلاحة الأندلسية ، ص ١٣٣-١٣٨ ، ٢٠٩-٢١٥ . وانظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : مقدمة ابن خلدون . تحقيق : علي عبدالواحد وافي ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م ، ج ٣ ، ص ١٠٢٨-١٠٣٢ . وسيشار إليه فيما بعد : ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون .

(٢) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٣٢ .

ذي النوى المنقول من الجبال إلى البساتين . ثم إنني وقفت على كتاب ابن وحشية في التعافين الذي سماه «أسرار القمر» ، قال فيه : وإن خلطتم البيروح الرطب ، بنوى الصبار وهو التمر الهندي ، وزرعتموه في الأرض الحارة ، وصببتم عليه الماء وقت زرعكم له وتركتموه ، خرج بعد خمسة وثلاثين يوماً منه نبات إذا كبر كان شجر السبستان»^(١) .

واللافت للنظر في النص السابق ، أن صاحب «مفتاح الراحة» يستخدم القياس عندما قال : «والظاهر أن العمل فيه كالعمل في سائر الشجر ذي النوى المنقول من الجبال إلى البساتين» ، ثم يورد بعد ذلك طريقة لتوليد نبات السبستان من كتاب «التعافين أو أسرار القمر» لابن وحشية ، فهو قد تقبل ما وجدته عند ابن وحشية ، واطمأن إلى صحته ، وكأنه مسلمة من المسلمات أو حقيقة ثابتة لا تقبل المناقشة ؛ لأن المنهج النقلي غلب على كتابه ، ولم يجعل للعقل الذي يستمد أحكامه من المشاهدة والتجريب مكاناً أو فسحة في مصنفه إلا في القليل النادر وعلى تردد واستحياء من مصنف «مفتاح الراحة» .

وعلى الرغم مما تقدم ، فإن هناك وقفات نقدية قليلة في كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ، ومن ذلك قوله : «زعم ابن وحشية : أن الباذروج إذا حُصد ، وصير إلى البحر الأخضر ربما صار شاهفسرماً»^(٢) .

وقوله : «فإذا خلط بزر الكرنب ببذر السلجم ، وترك ثلاثة أشهر ، ثم زرعا خرج كلُّه سلجماً ، فإذا أخذ هذا البذر وزرع ثانياً خرج كرنباً على ما زعم ابن وحشية ، وقال أيضاً : من أحرق النعنع والجرجير في موضع ندي بقرب شجرة أو زرع ، وخلط النبات بالرماد ، وألقى معهما قشر بيض النعام ، ودُفن في الأرض على مقدار دون الشبر ، وصب عليه ماء ، وأغب أربعة أيام ، ثم سقاه كما يسقى النعنع والجرجير ، أخرج ذلك الموضع الدُّلب ، فإذا نبت فليتحول الغرس ويغرس

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٠١-٢٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .

في موضع آخر ، فإنه ينبت . وزعم أن ذلك لا يتم إلا إذا كان في نيسان ، إذا قارب القمر الشمس في برج الحمل أو الثور»^(١) .

ويقول صاحب «مفتاح الراحة» في أثناء حديثه عن شجرة الكرمة : «وقد ركب ابن وحشية لهذا النبات زبلاً زعم أنه يوافقه ، وينفعه من الآفات التي تلحقه ، وهي إما من عطش أو شرق من غرق ، أو ماء وقف في أصله ، أو يرقان . وهو أن يؤخذ خرق الناس والحميم ، وبعر الغنم الماعز ، والضأن العتيق منه الذي أسود لونه ، ويُضاف إليه ورق الكرم ، وورق القرع ، والفجل وورقه ، ويعفن تعفيناً جيداً ، ويحرق الخفاش والفأر والعصفور ميتة كانت أو حية مما قدر الأكرة عليه بعيدان التين ، أو بخشب الصنوبر ، أو بخشب السرو ، ويخلط الرماد بتلك ، وليكن جزؤها الأوفر ورق العنب ، أو رماد خشبه وورقه أو هما معاً ، وتلقى هذه كلها في الحفائر ، ويصب عليها من دماء الناس ، أو دماء البقر ، أو المعز ، ما قدر الأكرة عليه ، ويخلط الجميع في الحفائر خلطاً جيداً ، أو يقلب تقليباً كثيراً ، ثم تبول الناس عليه ، ويقلب دائماً في كل يومين أو ثلاثة ، فإذا اسود وأنتن يبسط على وجه الأرض ، حتى يضربه الهواء ويجف جفافاً جيداً ، ثم يزرل به الكرم ، والتي قد أصابها اليرقان ينبغي ألا يكثر عليها منه ، بل يتعاهد في كل خمسة عشر يوماً ، ويرش عليه الماء رشاً ، أو يصب صباً خفيفاً ، والتي قد استحکم داؤها تزرل في كل عشرة أيام أو سبعة مرة ، وإن كان قد اسود عود الكرم أو قشف أو تقشر بعض لحاه ، فليزرل بهذا الزبل في أصله ، ويُصب عليه ماء فاتر ، ويتعاهد مع المتابعة بذلك ، فإنه يشفيه . وإن خلط بهذا الماء شيء من الزيت كان أبلغ»^(٢) .

وجاء في كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» ما نصه : «مُلح : قال ابن وحشية ؛ ينبغي إذا زرع البصل أن يزرعه وهو خالي المعدة ، غير محتاج إلى البول

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٩٢-٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

والغائط ، فإن من زرعه وهو حاقن من أحد الثقلين فسد ولم ينجب . ومتى أريد خفيف الحرافة ، فليزرع والقمر زائد النور ، متصلاً بالزهرة أو مقارناً لها ليكثر بذلك ماؤه ، وتقل حرافته ، وإن لوث بزره بعسل خرج حلواً لا حرافة فيه . وما ينبغي أن يفعل عند زرعه أن يلقي الزارع له بزره إلى خلف في الأرض ، ولا ينظر إليه بعينه ليتضاعف نموه ونشوؤه ، وقال : إن الإنسان إذا زرع البصل وهو يأكل التمر أو شيئاً حلواً ، فإنه يكون طيب الطعم ، خفيف الحرافة»^(١) .

ويبرز الموقف النقدي عند مصنف «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» في الآتي :

إن الناظر في النصوص السابقة يمكن أن يخرج بالآتي :
أولاً- استخدم جامع «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» لفظة «زَعَمَ» في نصوصه السابقة الذكر ، والزَعَمُ لغةٌ : «حكاية قول يكون مَظَنَّةً للكذب ، ولهذا جاء في القرآن في كُلِّ موضع ذَمُّ القائلون به»^(٢) .

ثانياً- بلغ عدد المرات التي استخدم فيها كاتب «مفتاح الراحة» لفظة «زعم» خمساً ، وهو عدد ضئيل إذا ما قيس بعدد المرات التي رجع فيها إلى «الفلاحة النبطية» والتي كان يصدرها غالباً ب «قال ابن وحشية» أو «حكي ابن وحشية» .

ثالثاً- استعمل لفظة «مُلِحَ» مرة واحدة ، والملح جمع مُلحة وهي ما استحسن واستملح من الأحاديث والطرائف ، والملحة من المجاز ، وتعني بياضاً

(١) مؤلف مجهول ، مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٥١ .

(٢) الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (ت ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م) مفردات ألفاظ القرآن . تحقيق :

صفوان عدنان داوودي ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص

٣٨٠ . وميشار إليه فيما بعد : الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن .

يخالطه سواد ، ويقال امتلح الرجل إذا خلط كذباً بحق ، وقد تعني
البياض الذي يخالطه سواد^(١) .

وبناء على ما تقدم من الدلالة اللغوية للفظ «مُلح» فإن جامع «مفتاح
الراحة» قد صدر بها كلامه على أن ما يسوقه من «الفلاحة النبطية»
في هذا المقام ، لا يزيد عن أن يكون من باب المُلح والفكاهات ، جاء به
تظريفاً وتقليحاً للكلام ، ولم يزد على كونه أحاديث وحكايات
مستحسنة لا تدل على علم فلاحي صحيح مجرب يمكن الأخذ به
وتطبيقه عملياً ، ويقبله الفكر السليم الذي يبني أحكامه على العقل .

رابعاً- يبدو أن رفض مُصَنِّف «مفتاح الراحة» لهذه الأخبار والطرائف المتعلقة
بإفلاح الأرض ، وتوليد النباتات كان نتيجة لما فيها من فكر وثني من
حيث الاعتقاد بتأثير القمر والكواكب في النباتات من ناحية ، كما أن
فيها منافاة للعقل ، والمنطق بل هي وصفات زائفة مضحكة لا تدل على
عقل فلاحي تجريبي .

(١) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) : تاج العروس من شرح جواهر القاموس ،

(١٤م) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، المجلس الوطني للثقافة ، الكويت ، ١٩٥٦-

٢٠٠١م ، ج ٧ ، ص ١٤٥-١٥٤ .

الزراعة في بلاد الشام
من خلال كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر
لشيخ الربوة الدمشقي (٦٥٤-٧٢٧هـ/١٢٥٦-١٣٢٧م)

حنان ملكاوي (*)

المقدمة:

شيخ الربوة، لقب أشتهر به شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أبي طالب الأنصاري، الصوفي الدمشقي، الذي ولد في دمشق بتاريخ ٦٥٤هـ/١٢٥٦م وعاش في القرنين السابع والثامن الهجريين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. عرف في أول أمره بلقب شيخ حطين حيث كان يعمل هناك، وعندما انتقل إلى دمشق، وتولى مشيخة الربوة من قبل الأفرم والي دمشق، أطلق عليه لقب شيخ الربوة، وتوفي في صغد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م. ألف شيخ الربوة عدة كتب في مواضيع مختلفة فكتب في الأتعممة والفراسة والسياسية والفلاحة، ومن كتبه «السياسية في علم الفراسة» و«الدرّ الملتقط من علم فلاحي الروم والنبط» وهو مخطوط. و«نخبة الدهر في عجائب البر والبحر»^(١).

(*) قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

(١) شيخ الربوة الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب (٦٥٤-٧٢٧هـ/١٢٥٦-

١٣٢٧م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، لايبزج، ١٩٢٣م، وسيشار له فيما بعد شيخ

الربوة: نخبة الدهر.

ويُعد كتابه «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» من أشهر الكتب الجغرافية ، أودع فيه نخبة المعارف الجغرافية ، وما وقف عليه بنفسه في رحلاته ، وبناءه على تسعة أبواب ، وتوج أبوابه بخارطة تمثل بخطوطها وألوانها الثمانية كل ما ذكره من فصول الجغرافيا في الكتاب ، وقدم لها بما يفسر ما فيها من مصطلحات ، وختمه بصورة جغرافية مرسومة بالألوان .

ووصف في الكتاب الأقاليم السبعة وفصول السنة ، وبحث في الجواهر الثمينة ، ووصف الأنهار ، والعيون ، والآبار ، والبحار ، كما بحث في ممالك الشرق والغرب ، من الهند وإيران والشرق الأدنى ومصر وأفريقيا الشمالية ، كما بحث في طبقات الأرض .

وقد أجاد في وصف جغرافية بلاد الشام ، فصّور حالتها في زمان ، والأرجح أنه زارها كلها . فقد ذكر في كتابة معلومات مهمة عن مصادر المياه وأنواع المزروعات وبعض الصناعات الزراعية في بلاد الشام آنذاك .

جاءت أهمية هذا الكتاب لأنه معاصر للفترة التي أُرخ لها ، وكونه ابن دمشق فقد أعطى وصفاً دقيقاً لطريقة صناعة ماء الورد التي كانت وما زالت تشتهر بها دمشق .

أ- مصادر المياه وطرق الاستفادة منها:

تعتمد الزراعة في بلاد الشام بالدرجة الأولى على المطر ، أما المناطق المروية ، فهي قليلة المساحة ، وتتركز في الغوطة وحوض نهر الأردن والعاصي ، وهناك أماكن متفرقة من بلاد الشام تعتمد على الري ، وتقع بالقرب من العيون والآبار والينابيع والقنوات .

١- الأمطار:

أشارت بعض المصادر الجغرافية إلى أن الزراعة في بلاد الشام تعتمد على مياه الأمطار فقد ذكر المقدسي أن حمص من المناطق التي يعتمد أهلها في

حياتهم وشربهم على مياه الأمطار بالرغم من وجود نهر العاصي فذكر «حمص ليس بالشام بلد أكبر منها ، . . . ، أكثر شربهم من ماء المطر ولهم أيضاً نهر»^(١) . أما أبو الفداء فذكر أن سميرين^(٢) «بلدة ذات أشجار كثيرة زيتون ، وغيره وليس لها ماء إلا ما يجمع من الأمطار في الصهاريج»^(٣) . وأورد شيخ الربوة عن معرة النعمان قوله : «تعرف بذات القصرين ، . . . ، وسائرهما يشرب من ماء السماء»^(٤) . أما النويري فقد ذكر : «فإن قانون البلاد الشامية مبنى على نزول الغيث ، ووقوع الأمطار في أبانها وأوقات الاحتياج إليها»^(٥) .

٢- الأنتهار

تُعدُّ الأنتهار مصدراً مهماً من مصادر الري في بلاد الشام . وترد في كتاب نخبة الدهر على النحو الآتي :

- (١) المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٥٣٩٠هـ / ١١٩٩م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، طبع في مطبعة بريل بمدينة ليدن ، ١٩٦٧م ، ص ١٥٦ ، وسيشار له فيما بعد المقدسي : أحسن التقاسيم .
- (٢) قرية سميرين السورية تقع إلى الشرق من محافظة أذلب على بعد ٧ كم منها .
- (٣) أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) ، تقويم البلدان ، بدار الطباعة السلطانية في مدينة باريس ، ١٨٤٠م ، ص ٢٦٣ ، وسيشار له فيما بعد أبو الفداء : تقويم البلدان .
- (٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٥ .
- (٥) انظر للمزيد العماد مصطفى طلاس : المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، ٥ ج ، مركز الدراسات العسكرية ، دمشق ، ١٩٩٢م ، مجلد ٣ ، ص ٢٦٣ . وسيشار له فيما بعد مصطفى طلاس : المعجم الجغرافي ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، مجلد ٣ ، ص ٦٦٠ ؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) ، نهاية الأرب ٢٣ ج ، مصر ، د . ت . ج ٨ ، ص ٢٥٥ ، وسيشار له فيما بعد النويري : نهاية الأرب .

- نهر العاصي : أشار شيخ الربوة إلى أن أهل مدينة شيزر^(١) يشربون من هذا النهر ، ويستخدمون مياهه كذلك في ري مزرعاتهم^(٢) . ونهر العاصي فيما بين حماة والرستن يسمى النهر الأرنت ، وهو ينبع من قرية تسمى اللبوة من بلدة بعلبك «من قرية تسمى الرأس» ويجري إلى جهة حمص وينضم إليه ينبوع غزير يسمى عين الهرمل . ثم يمتد تحت حصن الأكراد ومأؤه صاف كالدموع ، إلى أن يدخل بحيرة حمص ، ثم يخرج منها إلى السويدية ويصب في البحر الرومي» (البحر المتوسط)^(٣) .
- نهر الزبداني ، الذي ينبع من عين الزبداني ويصب في نهر بردى^(٤) .
- نهر بردى : الذي ينبع من عين الفيحجة ومن عين الزبداني ، التي ينبع منها نهر الزبداني حتى يلتقي بنهر بردى ، وبذلك يشكلان روافد لنهر بردى ، الذي يتفرع قبل دخوله دمشق إلى سبعة فروع تشكل الأنهار المدرجة أدناه :
- نهر يزيد : سمي بذلك نسبة إلى يزيد بن معاوية الذي أمر بحفره .

(١) شيزر : تقع على الضفة اليسرى لوادي العاص إلى الشمال الغربي من مدينة حماة وتبعد عنها ٢٥ كم ، للمزيد انظر : مصطفى طلاس ، المعجم الجغرافي ، مجلد ٤ ، ص ٨٩-٩٠ ، ويذكر ناصر خسرو (ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م) في كتابه : السفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، ط ١ ، مصر ، ١٩٩٣م ، ص ٥٧ عن نهر العاصي بقوله : «ويسمى هذا النهر بالعاصي لأنه يذهب إلى بلاد الروم ، فهو يخرج من بلاد الإسلام ليدخل بلد الكفر ، وقد نصبوا عليه سواقي كثيرة» . والصحيح انه سمي بذلك لأنه يسير عكس باقي الأنهار في بلاد الشام فهو يجري إلى الشمال .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٥ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٧ ، وانظر كذلك شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري (ت ٥٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج ٢٥ ، تحقيق محمد خريسات وعصام عقلة ويوسف بني ياسين ، مركز زايد للتراث ، ٢٠٠٠-٢٠١٠م ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ ، وسيشار له فيما بعد العمري : مسالك الأبصار .

(٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٤ .

- نهر ثورا :
 - نهر بليناس : نسبة إلى بليناس الحكيم اليوناني .
 - نهر القنوات : تسمى بذلك لكثرة القنوات التي تتفرع عنه لتغذية مدينة دمشق بالمياه .
 - نهر مزة : نسبة إلى قرية المزة وكان اسمه المنزة «لما بها من صحة الهواء ، وصفاء الماء وحسن القصور وكذلك الزهور والورد» .
 - نهر دارياً : نسبة إلى قرية دارياً^(١) .
- ونهرها بليناس والقنوات يدخلان مدينة دمشق ويتفرقان في المصارف والبرك والقنى والحمامات والطهارات^(٢) .
- ويصف شيخ الربوة أهمية الأنهار ، كمصدر لري المزروعات بقوله : «وسابع النهور نهر البردا الجاري في قرارة الوادي ، ولا يقبل إلا الارتفاع من مجراه» منه تقسمت الأنهار المذكورة ، ثم ينقسم من هذه الأنهار فرق وجداول تتفرق

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٨ ، للمزيد حول وصف تلك الفروع السبعة انظر كذلك أبي البقاء عبد الله بن محمد البدري المصري الدمشقي ، ول (٨٤٧هـ / ١٤٤٣م) ، نزهة الأنام في محاسن الشام ، القاهرة ، ١٣٤١هـ ، ص ٩١-٩٣ ، وسيشار له البدري : نزهة الأنام ؛ وانظر محمد كرد علي : غوطة دمشق ، ط ٣ ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ص ٨٦ ، وسيشار له فيما بعد محمد كرد علي : غوطة دمشق ، وداريا هي منطقة إدارية تتبع محافظة دمشق ، تتألف من ناحيتين قرى مركز داريا وصحنايا للمزيد انظر : مصطفى طلاس : المعجم الجغرافي ، مجلد ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٤ ، بينما يصف العمري هذين النهرين بأنهما نهر المدينة ، فيدخل نهر بليناس قلعة دمشق ، والجامع الأموي ثم ينقسم إلى أقسام عديدة داخل المدينة ، أما نهر القنوات فيدخل ماؤه في أحياء دمشق من خلال قنوات مدفونه تحت الأرض ، ويستخدم في شرب الأهالي ، للمزيد انظر : مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣١٦-٣١٧ .

متشعبة بأراضي الغوطة ، حتى لا يبقى فيها بقعة يمكن وصول الماء إليها إلا ويصل»^(١) .

- نهر الاعوج : ينبع من جبل الشيخ ويصب في بحيرة الهيجانة جنوب دمشق ، وقد وصفه شيخ الربوة بقوله : «يتكون هذا النهر بعد ذوبان الثلج » ومن عصارات المياه والمواص»^(٢) ، وطوله حوالي ٧٠ كم وينبع من جبل الشيخ في سوريا بالقرب من قرية عرنة ويمر بغوطة دمشق ثم ينتهي في بحيرة الهيجانة ، وهو يعد ثاني أهم مجرى مائي في حوض دمشق^(٣) .
- نهر الأردن : يُعد من أهم أنهار بلاد الشام في ري المزروعات وهو المسمى في زمن شيخ الربوة الشريعة وهو «نهر غزير الماء ، ينبع من بانياس ، ثم يصب

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٨ ، بينما يصف ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) في رحلته المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ، ج ٤ ، ط ١ ، الرباط ، ١٩٩٧م ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ ، تلك الأنهار بقوله : « ينقسم الماء الخارج منها على سبعة أنهار كل نهر أخذ في جهة ويعرف ذلك الموضع بالمقاسم وأكبر هذه الأنهار النهر المسمى بتوره . . . ، وتلك الأنهار السبعة تذهب في طرق شتى فتحار الأعين في حسن اجتماعها وافتراقها واندفاعها وانصبابها» ، كما وصف العمري في كتابه المسالك تلك الأنهار بتفصيل أنظر للمزيد ، ج ٣ ، ص ٣١٦-٣١٧ ، أما عبدالغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) في كتابه «الملاحة في علم الفلاحة ، تحقيق عادل محمد علي الشيخ ، عمان ، ٢٠٠١م ، ج ١ ، ص ٣٦ ، فيذكر أن ماء النهر العذب الصافي يصلح لسقي جميع النبات على الإطلاق ولا سيما الخضر» . وسيشار له : النابلسي : الملاحة في علم الفلاحة ؛ وانظر مؤلف مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق محمد عيسى صالحية وإحسان العمدة ، ط ١ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ١٩٨٤م ، ص ١٢٠ ، وسيشار له فيما بعد مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٨ .

(٣) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٦ ، ط ١ ، المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٢٥م ، ج ٤ ، ص ١٤٨ ،

وسيشار له محمد كرد علي : خطط الشام .

في بحيرة طبريا ويمتد إلى الحولة فيعمل بحيرة تسمى بحيرة قدس ، ثم يمر بوسط الغور ، ثم يخرج منه حتى يصب في بحيرة لوط (البحر الميت) بأسفل الغور ، ثم لا يخرج منها فكان نهر الأردن «فلك دائرة يطلع من أول الغور من بحيرة قدس ويتوسط ببحيرة طبرية ويغور في بحيرة زغر»^(١) . وأهم ما يمتاز به هذا النهر أنه يصلح للري في منطقة جنوب الشام لدوام جريانه بفضل ذوبان الثلوج عند منابعه مما يمكنه من ري الأراضي على ضفتيه طوال العام .

- نهر قويق : والذي يسميه أهل الخلاعة «أبا الحسن» حسبما ذكر شيخ الربوة وهو ينبع من «دابق ثم يجري إلى حلب ثمانية عشر ميلا ، ثم إلى قنسرين عشرين ميلاً ، ثم إلى المرج الأحمر اثنا عشر ميلاً ، ثم يصب في بحيرة المطخ وهي بحيرة كبيرة»^(٢) .

- نهر الساجور : وهو نهر ينبع من عين تاب وبالس ، وهي مدينة قديمة على الفرات^(٣) .

ويذكر أنه ذكرو وجود نهر في حلب ، حيث يستخدم لري المزروعات للبساتين المجاورة له^(٤) .

- النهر الأبتري : وهو نهر غزير بين بانياس وجبله ، وسمي بذلك «لقصر جريته وقلة الانتفاع به فلا يتشعب منه شعب ، ولا يتفرع فروع مع غزارته وقوته»^(٥) .

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠١ ، وانظر حول نهر الأردن ، محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٤ ،

ص ١٤٨ ، وانظر كذلك فالح حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ط ١ ،

عمان ، ١٩٧٨ م ، ص ٣١ ، وسيسار له فيما بعد فالح حسين : الحياة الزراعية في بلاد الشام .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٢ ، للمزيد انظر المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٥٥ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

- نهر طرابلس وذكر في طرابلس نهر يسقي بساتينها ويصب في البحر الرومي (البحر المتوسط) ومن أهميه هذا النهر في ري المزروعات ذكر ولا «يكاد يوجد فيها دار بغير شجر لكثرة تحرق أرضها بالمياه» وهذا النهر ينبعث من جبل لبنان^(١) .
- نهر ليطه : أشار مؤلفنا إلى وجود هذا النهر في صفد . حيث «ينبع من أرض كرك نوح ثم يصب إليه أعين وأنهار ، وهو يمتد في ذيل جبل لبنان حتى يمر بجبال مشغرا ، ثم يمر بالجرمق ثم الشقيف وهي قلعة عظيمة حصينة ، ثم يصب في البحر الرومي بالقرب من صور»^(٢) .
- نهر الفرات : وسمي أحد الرافدين وحماء (دجلة والفرات) ، وهما يجريان في جانبي بغداد ، دجلة من الشرق والفرات من الغرب ، وقد أشار المؤلف إلى المناطق التي يمر بها نهر الفرات في بلاد الشام وهي ، ، ثم يمر بسميساط إلى جسر منبج ثم يتجه إلى الجنوب حتى يصل إلى بالس ، ويمر بنصيبين ، والرقة ثم يدخل الأراضي العراقية فيمر بالرحبة ، والعانة ، والحديثة^(٣) . ويذكر أن نهر الفرات هو نهر داخلي يشكل الحدود الشرقية لبلاد الشام ، وهو أكثر فائدة في العراق منه في سوريا . ويمكن القول أن هذه كانت أهم الأنهار في بلاد الشام وما زالت ذات فائدة في الري والزراعة .

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٧ ، هذا ولم يذكر شيخ الربوة نهر الذهب في حلب ، بينما أشار إليه زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٧٨٢هـ / ١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص ٢٠٨ ، بقول : «ومن عجائبه إن أوله يباع بالميزان وآخره بالكيل ومعنى هذا الكلام أن أوله يزرع عليه القطن وسائر الحبوب ، وآخره وهو أفضل من الزروع يذهب إلى بطحة طولها فرسخان في عرض مثله ، فيحمد هناك ويصير ملماً»

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٤-١٢٥ .

٣- البحيرات:

ذكر شيخ الربوة في حديثه عن بلاد الشام مجموعة من البحيرات دون وصفها وصفاً دقيقاً لها ، مع بيان استخدامات البعض منها وهي : بحيرة قدس وبحيرة لوط أو زغر «المالحة المنتنة» وتسمى بحيره لوط ، (البحر الميت)^(١) . وكذلك بحيرة المطخ التي يصب فيها نهر قويق وهي بحيرة كبير^(٢) .

أما بالنسبة لبحيرة طبرية فقد وصفها بقوله : «طول البحيرة اثنا عشر ميلا وعرضها ستة أميال والجبال تكتنفها وفيها يخرج نهر الشريعة وعلى شاطئ بحيرة طبريا منابع حارة شديدة الحرارة تسمى الحمامات وماء هذه المنابع ملحي كبيرتي نافع من ترهل البدن»^(٣) .

كما أشار لوجود بحيرة في حطين متسعة تتجمع فيها مياه الأمطار «تشرب مياهها الأرض وكل ما جف مكان فيها زرعه الزراع كما يفعل أهل مصر»^(٤) . أما بحيرة فامية فقد وصفها بقوله «بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيها نوع من السمك شبيه بالحيات يسمى انكليس

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠١ ، ويذكر ابن بطوطة في الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، حولها « بحيرة لوط وهي إجاج يقال إنها موضع ديار قوم لوط » ، وانظر كذلك القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٩٣ ، ص ١٤٠ .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، بينما وصفها ابن بطوطة برحلته بقوله «أما البحيرة الشهيرة طولها نحو ستة فراسخ وعرضها أزيد من ثلاثة فراسخ» ، ج ٤ ، ص ٢٦ ، وانظر : العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ ، ويصف القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢١٨ بحيرة طبرية بقوله : «وبها بحيرة عشرة أميال في ستة أميال وهي كبيرة أحاطت بها الجبال يذهب إليها فضلات أنهار تأتي منه حمة بانياس» ، وحول بحيرة طبرية أنظر ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٦٣-٦٤ .

(٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١٢ ، ص ٤٠ ، ص ٢٦٠ ، وانظر العمري : مسالك الأنصار ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

والسَّلور لحمه شبيهة بآلية المشوية»^(١) .

وبحيرة حمص «مكونة من بناء جص محكم وفيها أسماك كثيرة كبار يدخل إليها نهر العاصي ثم يخرج منها الماء عكر مثل ماء النيل ولا يصفو بعد ذلك إلى ان يدخل أرض السروج»^(٢) .

وبحيرة الحولة وهي بحيرة تقع في مجرى نهر الأردن ، حيث تصب فيها منابع نهر الأردن الرئيسية ، ثم يخرج منها النهر نحو الجنوب»^(٣) .

يلاحظ بما ذكر أن تلك البحيرات كانت قليلة الأهمية في استخدامات الري .

٤- الآبار:

أشار شيخ الربوة في كتابه إلى وجود مجموعة من الآبار ، التي كانت تتجمع فيها مياه الأمطار ، والتي تستخدم للشرب وكذلك في الزراعة ، وقد وصف بعضها بتفصيل ، بينما ذكر البعض الآخر دون توضيح وهي :

أ- بئر الرحمة : يستخدم لتخزين المياه في قلعة بعلبك وقد روى شيخ الربوة معلومات خيالية حول هذا البئر حسبما سمع من أهالي المنطقة فذكر : «في قلعة بعلبك بئر يقال له بئر الرحمة يقولون لا يوجد به ماء ما دام الأمن موجوداً . وإذا كان الحصار والخوف امتلأ ماء واستمر ملأنا يسقون الناس منه إلى أن يأمنوا فيذهب ماؤه»^(٤) .

ب- بئر الساتورة : في حصن صنفد يكفي أهل الحصن من السنة إلى السنة وأشار إلى استخدامه للشرب وقد وصفه فذكر «عمقة مائة وعشرين أذرع

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠١ ، وانظر فالح حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام ، ص ٣٧ .

(٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٩ .

في ستة أذرع بذراع النجار والدلاء التي لها بتاتي من الخشب تسع البتية نحو قلة من الماء وهما بتيتان في حبل واحد (يسمى سرباق) ، كغلط زند الإنسان ، وكلما وصلت بتية إلى الماء وصلت الأخرى إلى رأس البئر ، وكلما وصلت واحدة من رأس البئر ، وصلت الأخرى إلى الماء . وعلى رأس البئر ساعدان من حديد بكفين وأصابع ، تتعلق الأصابع في حافة البتية الملانة ، وتجذبها الكفاة فينصب الماء في حوض يجري فيه إلى مقرة فإذا أنصب الماء من البتية حصل الفصد والجاذب لهاتين البتيتين مرقة هندسية بقسى ودوائر وحركات»^(١) .

٥- الينابيع : عندما جاء شيخ الربوة على ذكر مدينة بايناس ووصفها أشار إلى وجود مياه نابعة غزيرة فيها^(٢) . كما ذكر وجود عين ماء في حمص وعين تسمى عين الهرمل^(٣) . وفي حديثه عن الشوبك أشار إلى كثرة عيون المياه الغزيرة فيها^(٤) . ولا ننسى عين الفيحة التي تغذي نهر بردى^(٥) . والمعروف أن أهميتها العظيمة لكونها مورد هام للأنهار ، كما أنها كانت وما زالت تستخدم في الري وفي العمل الزراعي كذلك .

٦- النواعير (نواعير حماة) أشار شيخ الربوة إلى النواعير المقامة على النهر لنقل الماء من النهر إلى المدينة والبساتين المحيطة به . وقد وصف النواعير بقوله : «وعلى العاص النواعير الكبار التي لم يُر في الأفق مثلهن يحملن من

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١٠-٢١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٤-٢٠٠ ، وانظر كذلك المقدسي فقد ذكر وجود عيون مياه ثلاثة في قدس

وجبل عاملة والأردن دون تحديد أسمائها ، أحسن التقاسيم ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

- العاص انهاراً من الماء يسقون به البساتين والأماكن»^(١) .
- ٧- القنوات : أشار شيخ الربوة إلى وجود قناة كبيرة في حماة «تحمل المياه من سلمية إلى حماة ، تسقى بساتينها وأراضيها»^(٢) .
- ٨- الفوارات : أشار إلى وجود موضع في بعلبك يفور منه الماء فوراً بالقرب من كرك نوح»^(٣) وكذلك في طرابلس الشام عين تفور منها المياه .بينما يذكر المقدسي إلى اشتهاار دمشق بكثرة الفوارات بقوله : «دمشق هي مصر الشام ، . . . ، لا ترى أحسن من حماماتها ولا أعجب من فواراتها»^(٤) .

ب- الزراعة في بلاد الشام؛

تعد الزراعة عصب الحياة الاقتصادية في بلاد الشام وتتم الزراعة في الجهات التي تسقط عليها كميات جيدة من الأمطار مما تساعد على الزراعة البعلية ، أو في المناطق التي يمكن أن يستفاد فيها من مياه الري ، وقد ذكر شيخ

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٦ ، أما النويري فيفرق بين النواعير في بلاد الشام ومصر فيذكر «وبحماة النواعير ، إلا أن النواعير تدور بالماء ، وهذه تدور بالأبقار ، ويزرعون عليها بتلك الأرض ما أحبوه واختاروه من أصناف المزروعات والغروس» ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٥٤ ، أما ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي (ت : ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) في رحلته المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» فذكر «عليها النواعير كالأفلاك الدائرات يشقها النهر العظيم المسمى العاصي ، ابن بطوطة : الرحلة ، ج ٤ ، الرباط ، ١٩٩٧م ، ص ٢٦٧ ، وأنظر كذلك العمري : مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٧ ، وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم ، ص ١٩٤ ، كذلك وجود قناة معلقة في صور ، أحسن التقاسيم ، ص ١٩٤ ، كما أشار أبو الفداء إلى وجود قناة في الرحبة تستخدم للشرب انظر : تقويم البلدان ، ص ٢٣١ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٩ .

(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٥٧ .

الربوة بعض المزروعات في بلاد الشام ، علماً أنه لم يتطرق إلى ذكر الكثير منها وخاصة الخضروات والحبوب لذلك سنقوم بذكر الأنواع المختلفة من تلك المزروعات التي تطرق إليها بكتابه^(١) وهي :

أ- الأشجار المثمرة والفواكه:

بلاد الشام من المناطق الشهيرة بكثرة أشجارها وفواكهها وجودة ثمارها ، ووفرة إنتاجها ، وقد أحاطت البساتين معظم مدن بلاد الشام ، وتحتوي على مختلف الأصناف وأهم الأشجار المثمرة في بلاد الشام :
- الزيتون : لقد ازدهرت هذه الزراعة في بلاد الشام منذ القدم ولغاية الآن ، واشتهرت مدينة نابلس بزراعته حيث كان ينقل ويبيع زيتها إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ، وكان يستهلك منه جامع بني أمية في دمشق سنويا ما يعادل ألف قنطار دمشقي^(٢) . وذكر شيخ الربوة أماكن زراعة أشجار

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٥-٢١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ ، ويصف ابن بطوطة مدينة نابلس عندما زارها بقولها : وهي مدينة عظيمة كثيرة الأشجار ، من أكثر بلاد الشام زيتوناً ، ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق ، الرحلة ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ ، ويشير ناصر خسرو في كتابه : سفر نامه ، ص ٦٧ ، «إن القدس تشتهر بزراعة أشجار الزيتون والتين والتي تنبت كلها بغير ماء والخيرات كثيرة وفيها أبواب عائلات يملك الواحد منهم خمسين الف رطل من زيت الزيتون يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم» . والقنطار الدمشقي يعادل ١٨٥ كغم . فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٨ م ، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : هنتس ، المكاييل ، ص ٤٢ .

الزيتون في حلب (١) صفد (٢) وجبل عامل (٣) .

وذكر شيخ الربوة أنه في ليلة منتصف شعبان «كان يستخدم خمسين قنطاراً دمشقياً زيت زيتون لإضاءة المسجد الأموي ، بالإضافة إلى استخدام الزيت كذلك لإضاءة باقي المساجد والترب والخوانق والربط والمراستانات في دمشق (٤)» .

- التين والفسق : وقد اشتهرت مدينة حلب بزراعته (٥) ، بينما نجد أن البدري حدد أهم أصناف التين التي تزرع في قرى دمشق وخاصة قرية برزة وإليها ينسب تين برزة بأنواعه المختلفة (٦) .

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ ، كما أشار إلى صناعة الزيت في صيدا لكثرة زيتونها ، ص ٢٥٨ ، وانظر العمري : مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، صفد من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية ، تقع في الجليل الأعلى وتطل على بحيرة طبريا ومرج بيسان الواقعين إلى الجنوب الشرقي منها وعلى جبل الجرمق إلى الغرب .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١١ ، ويذكر المقدسي أن عكا فيها «غابة زيتون» ، أحسن التقاسيم ، ص ١٦٢ ، جبل عامل أو جبل الجليل أو جبل الخيل وهو المنطقة التي يطلق عليها اليوم لبنان الجنوبي أو جنوب لبنان وسمي بذلك نسبة إلى أهله الذي يعود نسبهم إلى قبيلة عامله اليمينية وهم أقدم من سكن لبنان .

(٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، بينما يشير البدري إلى كثرة زراعة أشجار الزيتون في دمشق وأشار كذلك إلى وجود معصرة للزيتون في قرية كفر سوسة من زمن عيسى عليه السلام ، نزهة الأنام ، ص ٢١٢ ، محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٨٢ .

(٥) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ ، واشتهرت معرة النعمان بهذان الصنفان ، ابن بطوطة ، ج ٤ ، ص ٢٧١ ، العمري : مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ ، كما اشتهرت مدينة الرملة بزراعة التين ، انظر للمزيد المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٦٤ ، محمد كرد ، غوطة دمشق ، ص ٨٣ .

(٦) البدري : نزهة الأنام ، ص ٢٦١-٢٦٤ .

- الكمثرى^(١) والأترج^(٢): كان يزرع في صور حسب ما وصفه شيخ الربوة فذكر: «الكمثرى المسكى المعطر الرائحة والأترج وقد وصف حجم ثمرة بقوله: «ما تكون الثمرة الواحدة نحو ست أرطال دمشقية»^(٣).
- النخيل: ذكر شيخ الربوة أن مدينة زغر بالغور تشتهر بكثرة زراعة أشجار النخيل «وبها رطب شبيه بالبرني والأزاد بالعراق»^(٤).

(١) الكمثرى هو الأجاص وأنواعه (عثماني، عيلاني، خلاني، سمرقندي، صيني، ملكي، صقلاني، ماوردي، عقرباني، شتوي، سكري وغيره، أنظر محمد كرد علي، غوطة دمشق، ص ٨٤-٨٥، النابلسي، الملاحه في علم الفلاحة، ص ١٣٦، وانظر كذلك حول وقت غرس الكمثرى، الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا البعلبكي دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، غير منشورة، أعداد وائل عبد الرحيم مصطفى، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م، ص ٢٩٧.

(٢) الأترج: هي شجرة تغرس غرساً ولا تكون برياً، وتستمر الشجرة في إنتاج الثمار لما يزيد عن عشرين سنة، ولها ورق يشبه ورق الجوز له رائحة عطرة، ولون الثمر شبيه بلون الذهب ذو رائحة طيبة، له بذر شبيه ببذر الكمثرى للمزيد أنظر ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج ٢، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ١، ص ١٣-١٥، وسيشار له فيما بعد: ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية.

(٣) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١١، الرطل الدمشقي وحدة وزن تعادل ٨٥٠.١ كغم للمزيد انظر هنتس، المكايل، ص ٣٣، واشتهرت بيت المقدس بزراعة الأترج. وللمزيد انظر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٩، وأيضاً العمري: مسالك الأبصار، ج ٣، ص ٢٥٨.

(٤) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ٢١٣، وأكد المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم، ص ١٩٢-١٩٤ أن بيسان مشهورة بكثرة أشجار النخيل، وكذلك الرملة وبيت المقدس وأريحا، ويشير القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٤٢، إلى كثرة زراعة أشجار النخيل والسكر والموز في أريحا، ويذكر ناصر خسرو في كتابه: سفر نامه، ص ٥٧ ان حول مدينة طرابلس «المزارع والبساتين وكثير من قصب السكر وأشجار النارج والترنج والموز والليمون والتمر، وعسل السكر»..

- التفاح والرمان^(١) : زرع بكثرة في لبنان وحلب^(٢) وجبل عاملية^(٣) .
- اللوزيات : تعتبر اللوزيات من المحاصيل القديمة في بلاد الشام فقد كان يزرع في لبنان اللوز المر والحلو والأبهل والقراصيا^(٤) والزيزفون وكذلك أنواع عديدة من أشجار الفاكهة^(٥) . كما اشتهرت مدينة حلب كذلك بزراعة اللوز^(٦) . أما بالنسبة للمشمش فقد اشتهرت حماة بزراعة المشمش «الكافوري

(١) وحول الرمان يذكر النابلسي في «كتابه الملاحه في علم الفلاحة» ، أنه يحتاج إلى السقاية الكثيرة ، أنظر ، ص ٣٧ .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ ، انظر للمزيد العمري : مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٨-٢٥٩ ، اسهب البدري في ذكر أصناف التفاح المزروعة في دمشق وهي (سكري ، مسكي ، فقي ، صيني ، شتوي ، بلدي ، صيفي ، قاسمي ، فاطمي ، حلواني ، دهشوي وغيره ، انظر نزهة الأنام ، ص ٢٠١-٢٠٥ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، للمزيد عن التفاح والأعشاب انظر ما أورده المقدسي : المرجع نفسه ، ص ١٧٣ وكذلك العمري : مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ ، وأشار أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان ، ص ٢٤٥ ، إلى اشتهار مدينة السلط بالرمان ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٥ .

(٤) القراصيا : شجر مثمر ، ويعرف بالشام بالخوخ المجفف وهو سبعة أنواع منها رشيدية ، بعلبكية ، أو فجية ، رومية ، بزرية ، للمزيد : البدري : نزهة الأنام ، ص ١١٦ ، الأبهل هو صنف من العرعر كبير الحب وهو شجر كبير له ورق وثمرته حمراء تشبه النبق في قدرها ولونها وما داخله له نوى ولونه أحمر إذا نضج كان حلواً المذاق وفيه بعض طعم القطران ويجمع وقت قطاف العنب ، ابن البيطار : الجامع لمفردات ، ج ١ ، ص ٩ .

(٥) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ ، وأشار المقدسي إلى زراعته كذلك في بيت المقدس ، المصدر نفسه ، ص ١٩٩ ، العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ ، ونقل البدري في كتابه نزهة الأنام ما قيل من الشعر في وصف لوز دمشق كما ذكر أنواعه المزروعات في دمشق ، أنظر ، ص ٢٣٥-٢٤٧ ، وحول أنواع اللوز انظر مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٦٢ .

- اللوزي»^(١) كما اشتهرت حلب بزراعة المشمش يختلف أنواعه^(٢) .
- السفرجل : أشتهر جبل بقيعة في صغد ، بزراعة أشجار السفرجل^(٣) .
- أشجار الحمودة والاشتوان : ذكر شيخ الربوة أن شجرة الحمودة^(٤) والاشتوان والزراوند^(٥) لا يزرع إلا في جبل لبنان من إقليم دمشق^(٦) .
- الحمضيات : ورد في كتاب شيخ الربوة أنه كان يزرع في طرابلس الجميز والحمضيات والقلقاس^(٧) «الذي لا يوجد مثله»^(٨) . كما زرعت بكثرة الحمضيات في مدينة بانياس^(٩) .
-
- (١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٦ ؛ العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .
- (٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ ، واشتهرت كذلك بيت المقدس بزراعة الاترج ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٩٩ ، وأكد أبو الفداء أن مدينة الشوبك كانت مشهورة بزراعة المشمش الذي يصدر إلى مصر ، تقويم البلدان ، ص ٢٣٧ .
- (٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، والسفرجل في دمشق أنواع منها برزي ، قصبي ، صيني ، رقي ، عباسي ، أنظر البدري ، نزهة الأنام ، ص ٢٥١-٢٥٣ .
- (٤) الحمودة هو نبات يمتاز بوجود المادة اللبنية في أنسجته ، ويحمل أوراقاً كالسهم ، يستخدم نباتها كمسهل ، للمزيد محسن عقيل : معجم الأعشاب المصورة ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٧٥ .
- (٥) الزراوند : هي شجرة لها أوراق طيبة الرائحة مع شيء من الحدة ، وأغصان طوال وزهر أبيض وهو عدة أنواع للمزيد أنظر ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية ، ج ٢ ، ص ٤٦٣-٤٦٤ .
- (٦) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٩ .
- (٧) القلقاس : هو نبات له ورق كبير أملس يشبه ورق الموز ، وليس له ساق ولا ثمر ، للمزيد البدري : نزهة الأنام ، ص ٢٠٩ .
- (٨) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٦ ، بينما يشير المقدسي في أحسن التقاسيم إلى أن عسقلان معدن الجميز ، ص ١٧٤ ، ووصف النابلسي كيفية زرع نبات القلقاس ، أنظر الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٦٦ ، ص ١٣٧ .
- (٩) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، للمزيد أنظر أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢٣٩ ، بانياس هي مدينة على الساحل السوري تتبع محافظة طرطوس وتقع شمال طرطوس بحدود ٤٠ كليومتراً .

- الخروب والبطم : فأكثر ما كان يزرع في جبل عامل أشجار الخروب والبطم^(١) .
- الشامم (البطيخ الأصفر) : زرع بكثرة في قرية داريا من أعمال دمشق ، واشتهر بحلاوته^(٢) . كما زرع في نابلس أيضاً^(٣) .
- القصب (قصب السكر) : كان يزرع في طرابلس^(٤) ومناطق الأغوار وشرقي دمشق^(٥) في قرية عذراء^(٦) .
- الكروم (العنب) : عرفت بلاد الشام بزراعة الكرمة (شجرة العنب) فقد

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ ، وأشار البدري أن الصنوبر ينبت كذلك في جبال بيروت وبعليك ، انظر نزهة الأنام ، ص ٣١٥ .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٨ ، بينما أشار البدري إلى الأنصاف العديدة للبطيخ الأخضر « قرية داريا هي إحدى القرى اللبنانية من قرى قضاء الشوف في محافظة جبل لبنان ، مصطفى طلاس ، المعجم الجغرافي ، مجلد ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ ، محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٨٣ ، وأنظر حول أنواع وأصناف البطيخ ، مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٤١ .

(٤) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ ، وقد ذكر البدري أنواع القصب ، هو أبيض وأسود وأصفر ، انظر نزهة الأنام ، ص ٢٥٤ ، وأشار ناصر خسرو في كتابه : سفرنامه ، ص ٦٠ ، إلى كثرة زراعة قصب السكر في صيدا .

(٦) قرية عذراء ، من قرى غوطة دمشق وهي أول قرية تلي الجبل من قرى دمشق ، أشار النابلسي في كتابه إلى الوقت المناسب لزراعة قصب السكر وحده بعشرين آذار ، كما ذكر عمر القصب الحلو بثلاثة أعوام ، أنظر الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٦٥ .

اشتهر جبل عاملة وكذلك جبل بقيعة التابعان لصفد بزراعته^(١) ، بينما يذكر المقدسي ان طرابلس «مدينة قديمة فيها مزارع وهي ، معدن الأعناب»^(٢) .

نستطيع القول مما سبق أن أنواع المحاصيل الزراعية والأشجار المثمرة في بلاد الشام لا تختلف مما هي عليه الآن مع أن شيخ الربوة لم يتطرق إلى زراعة القمح والشعير والبصل والثوم والعدس والحمص والتي كانت تزرع في مختلف المناطق . أما الأشجار المثمرة في بلاد الشام فإن أقدمها وأهمها بل وأكثرها انتشار هي شجرة الزيتون والتين والكرمة .

ب- النباتات الطبية:

أشار شيخ الربوة لوجود مجموعة من النباتات الطبية في بلاد الشام ومنها :

- الكثيراء^(٣) والريباس^(٤) :

وزع في جبل لبنان وإذباله نحو تسعين عقاراً ونباتاً نافعاً مباحاً بلا ثمن وله

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، وحول الكروم أنظر مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ٢٠٧-٢١١ .

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٧٥ ، وحدد النابلسي فترة الربيع لغرس الكروم ، للمزيد أنظر الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٤٣ .

(٣) يذكر البدري في كتابه نزهة الأنام ، أن قرية يلدا في دمشق مشهورة بكثرة كروم العنب فيها وعرائشة ، والعنب أنواع تجاوزت ٥١ نوعاً ، أنظر ص ٢٢٣-٢٣٤ ، الكثيراء وهي شجرة لها أغصان صلبه تنتشر على وجه الأرض لها ورق صغير بينها أشواك . للمزيد ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية ، ج ٤ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

(٤) الريباس يكثر وجوده في بلاد الشام وهي بقله ذات عساليح (أضلع) ، غضة حمراء إلى الخضرة ولها ورق كثير عريض مدور وطعم عساليجها (أضلعها) حلو بحموضه ، للمزيد ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية ، ج ٢ ، ص ٤٤٦ .

قيمة جيدة ما يكتفي به الجاني الجامع طول سنته له ولأهله ومن ذلك :
الكثيراء والريباس والفاونيا^(١) والبرباريس «وهو عود الصليب» والقيسه
والبقس^(٢) والقيقب «الذي يعملون منه المرامل والملاعق والآلات المموه بالذهب
والفضة»^(٣) .

- ولم يذكر شيخ الربوة المزروعات وأنواعها في جرش وعجلون والكرك وغزة
واكتفى بقوله عنها بأنها « ذات أشجار كثيرة وأرزاق غزيرة»^(٤) . أما المقدسي
فذكر «عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ، رستاقها البلقاء معدن
الحبوب والأغنام بها عدة أنهار وأرحيه يديرها الماء»^(٥) .

ج- الرياحين

اشتهرت دمشق وقراها وخاصة المزة ، بكثرة زراعة الورد الجوري والزهور
فيها ، وقد وصف شيخ الربوة قرية المزة بقوله : « . . . ، إلى قرية تسمى المزة ، لما

(١) الفاونيا (عود الصليب) ، يذكر ابن البيطار في كتابه الجامع لمفردات الأدوية ، ج٣ ص ٢٠٨ ، بقوله
هو ورد الحمير عند عامة الأندلس وهو نبات له ساق طولها نحو شبرين تتشعب منها شعب كثيرة ،
له ورق يشبه ورق الجو ما كان يسمونه اليونان الذكر ، أما ما يسموه الأنثى فورق مشرق مثل ورق
النبات وعلى طرف الساق غلف تشبه غلف اللوز إذا أنفحت يظهر منها حب أحمر يشبه حب
الرمان .

(٢) البقس هي شجرة يشبه ورقها ورق الآس وعودها أصفر ولها حب أسود كحب الآس للمزيد أنظر ابن
البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠-٢١١ ، فيما أشار المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم ، ص ١٩٠ ، إلى أن
حوران «معدن القموح والحبوب ، والحولة ، معدن الأقطان والأزهار .

(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٧٥ ، ونلاحظ أن أبا الفداء في كتابه تقويم البلدان ، ص ٢٣٦ ، ذكر
أن الوسمة التي يعمل بها النيل تزرع في أريحا .

بها من صحة الهواء وصفاء الماء وحسن القصور ، وطيبة الثمار وكذلك الزهور والورد واستخراج الماء فيه حتى أن حراقتة تلقى على الطرقات وفي دروبها وأزقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظيراً ويكون ألد من المسك إلى مدة انقضاء الورد»^(١) .

٣- الصناعات الزراعية:

أدى توافر بعض المنتجات الزراعية كالزيتون والقصب ، وكذلك الورد إلى قيام بعض الصناعات الغذائية التي اشتهرت بها بلاد الشام ، حيث أشار شيخ الربوة إلى وجود بعضها بشكل مباشر وأشار إلى البعض الآخر ، عرضاً عندما تحدث عن المنتجات الزراعية لبعض المناطق وأهم هذه الصناعات هي :

١- صناعة الزيت : كانت صناعة الزيت منتشرة في بلاد الشام بالرغم من عدم ذكر شيخ الربوة لتلك الصناعة بشكل مفصل فقد أشار إلى استخدام

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص١٩٤-١٩٥ ، علماً أن شيخ الربوة لم يعطي وصفاً دقيقاً لأنواع الزهور والورد في دمشق ، بينما وصف العمري بتفصيل الرياحين في دمشق فذكر «وبها أنواع الرياحين الأس ، والورد ، والبنفسج ، والنيلوفر ، والخلاف والترجس ، والمنثور والياسمين ، والترنجمان ، والمرزنجوش ، والنمام» ، العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٢٥٩ ، ووصف ابن بطوطة في رحلته دمشق وإزهارها بقوله : «قد تحلت بأزاهير الرياحين وتحملت في حلال سندسية من البساتين» ، ج٤ ، ص٢٩٧ ، وللمزيد حول تلك الأنواع من الورد والرياحين أنظر البدري : نزهة الأنام في محاسن الشام ، ص١٠٣-١٧٧ ، حيث ذكر فيه المؤلف جميع أنواع الورد ووصف المؤرخين لها وأبرزها (الجوري وهو ستة أنواع ، والترجس ، والبنفسج والياسمين ، والمنثور والسوسن ، والأقحوان والأس ، والريحان ، وشقائق النعمان ، والنيلوفر بأنواعه ٨ ، والبان ، وأشار النابلسي إلى كيفية غرس أنواع الرياحين والورد ، أنظر الملاحه في علم الفلاحة ، ص٦٢-٦٤ ، ص١٦٢-١٦٥ ، وأشار القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢٢٢ إلى كثرة بساتين الزهور في غوطة دمشق وكذلك الأشجار والأنهار .

الزيت لإضاءة مسجد بن أمية وكذلك تصديره إلى بلاد مصر والحجاز^(١) . وقد أشار شيخ الربوة إلى اشتهار مدينة نابلس به . بينما وصف كرد علي كيفية استخراج الزيت بقوله : «أنه يتم سحق الزيتون بواسطة اسطوانة من حجر يديرها بغل داخل وعاء مستدير من حجر ثم يتم كبس الزيتون المسحوق لتفريق الزيت عن الثقل ويكون بمكبس عادي أو مكبس مائي وبعد ذلك يتم تفريق الزيت عن الماء والعناصر المختلطة به وذلك يترك العصير يرون فيعرف الزيت الصافي لأنه يطفو على وجه العصير أما الثقل فهو يسحق ويكبس فيخرج منه زيت أسود يسميه الدمشقيون (زيت الجفت) ، يستعمل في صناعة الصابون^(٢) .

٢- صناعة الصابون : من الصناعات المهمة التي اشتهرت بها بلاد الشام صناعة الصابون ، وكان من أنجح الصناعات وأهمها ، كانت بلاد الشام مشهورة بكثرة أشجار الزيتون فيها ، إذ تعددت المناطق التي اشتهرت بزراعتها بحلب وأنطاكية ودمشق وطرابلس واللاذقية ونابلس وحيفا . ولقد اشتهرت مدينة نابلس بصناعة الصابون الذي أمتاز بجودة نوعيته وعرف بالصابون النابلسي . فقد ذكر شيخ الربوة «يعمل فيها الصابون الرقي الذي يحمل إلى سائر البلاد المصرية والشامية وإلى جزائر البحر الرومي»^(٣) . كما

(١) للمزيد حول طرق عصر الزيتون واستخدام الزيت انظر محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج٤ ، ص ٢١٠ ، كما أشار ابن بطوطة إلى صناعة الزيت في صيدا وتصديره إلى مصر للمزيد رحلته ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج٣ ، ص ٢١٠ ، وأشار جمال الدين القاسمي وخليل العظم في قاموس الصناعات الشامية ، عن أهمية هذه المهنة ، انظر للمزيد ج١ ، ط١ ، شباط ١٩٠٠م ، ص ١٧٣ ، وسيشار له فيما بعد جمال الدين القاسمي وخليل العظم : قاموس الصناعات الشامية .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٠ ، وأيضاً محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج٤ ، ص ١٥٧-١٥٩ ، وأشار ابن بطوطة في كتابه الرحلة ، ج٤ ، ص ٢٧٤ ، إلى صناعة الصابون الأخوري الذي اشتهرت فيه مدينة سرمين .

أشار محمد كرد علي لصناعة الصابون عندما وصف بشكل دقيق طريقة استخراج الزيت^(١).

٣- صناعة السكر: لم يذكر شيخ الربوة أن أهل الشام كانوا يقومون بتصنيع السكر بالرغم من ذكره لزراعة قصب السكر في مناطق الأغوار من بلاد الشام، علماً أن أهل الشام مشهورين بصناعة الحلويات التي يدخل السكر بصناعتها بينما نجد أن النويري ذكر بتفصيل هذه الصناعة بقوله: «وأما أقصاب الشام فهي تختلف أوضاعها بحسب البقاع والنواحي والأعمال، فمنها ما هو بالسواحل الطرابلسية والبيرونية والعكاوية، ولهم اصطلاح في نصب الأقصاب واعتصارها: فمنها ما يعتصر بحجارة الماء، ومنها ما يعتصر بالأبقار، ومنها ما يعتصر بالسهم (الأعواد من الخشب)^(٢). كما أشار المقدسي إلى وجود معامل السكر في منطقتين رئيسيتين المنطقة الساحلية من أنطاكية حتى يافا، ومنطقة الأغوار لوفرة زراعة قصب السكر فيهما^(٣)، بينما يذكر كرد علي «كان يعمل على ضفاف نهر الأردن في جنوبي الغور في مطاحن السكر، وكان السكر أكثر مستغل تلك البلاد يحمل إلى الشرق والغرب وكان يصنع السكر في أنطاكية وطرابلس وعكا ويافا ويحمل منها إلى الآفاق»^(٤).

٤- صناعة ماء الورد:

كانت الورود والزهور تزرع وتغطي مساحات كبيرة من الأراضي في دمشق وضواحيها، وانفرد شيخ الربوة في كتابه في ذكر تفصيلي لطرق صناعة ماء

(١) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص ١٥٧-١٥٩.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٨، ص ٢٧١.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٦٢.

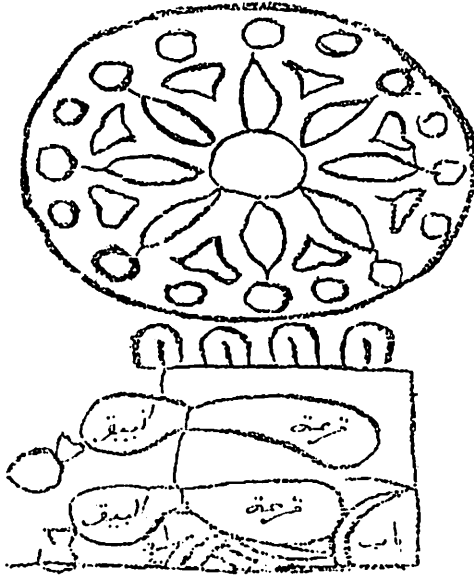
(٤) كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص ١٧٤، وانظر حول هذه المهنة جمال الدين القاسمي وخليل

العظم، قاموس الصناعات الشامية، ج١، ص ١٨٤.

الورد التي كانت متبعة آنذاك ، وربما لكونه دمشقي فقد كان على إطلاع فنقل لنا تلك الطرق مع صور توضيحية بذلك وفي يلي تلك الطرق الأربعة التي وصف بها بشكل مفصل صناعة ماء الورد ، وكذلك رسوم توضيحية لها .

وهذه الصناعات ما زالت موجودة لغاية الآن إضافة لظهور الكثير من الصناعات الأخرى التي واكبت التطورات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام .

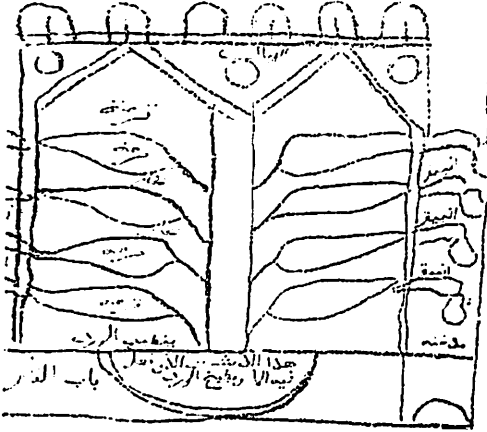
١- الطريقة الأولى^(١) :



يتم حفر حفرة مربعة بطول ٢,٥ وعرض ٢,٥ ذراع ، ثم يبنون على الحفرة بالطوب بناءً مستطيلاً له باب من جهة ومنفس للهواء من جهة أخرى ، ومن الجهة العلوية تترك تهوية لصعود البخار . ثم يتم وضع دست كبير فوق ذلك البناء المستطيل ، وفوق الدست يتم بناء على صورة خزانة الحمام بارتفاع نصف ذراع ، يتم ملؤه بالقصب الفارسي الطري الغليظ

على شكل شبكة ، ثم توضع أوعية زجاجية سماها (القرعة) فوق القصب ، يجعل فم القرعة الزجاج إلى خارج البناء . وبعد أن يقوموا بإدارتها إدارة كاملة يتم البناء فوقها ببناء جديد يرتفع من الأرض نحو أربعة أصابع ، ثم يملؤها

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٥-١٩٦ .



بالقصب الفارسي مرة أخرى ، ثم يضعون فوقها قرعيات مرة أخرى حسب الحاجة ومن خلال الرسم الوارد في الكتاب . الأول به أربع قرعيات والثاني به قرعيتان وهكذا نستدل على وجود نوعين ، إلى أن يصل البناء طول قامة ونصف من طول الإنسان ، طبقة من القرعيات وطبقة من القصب الفارسي .

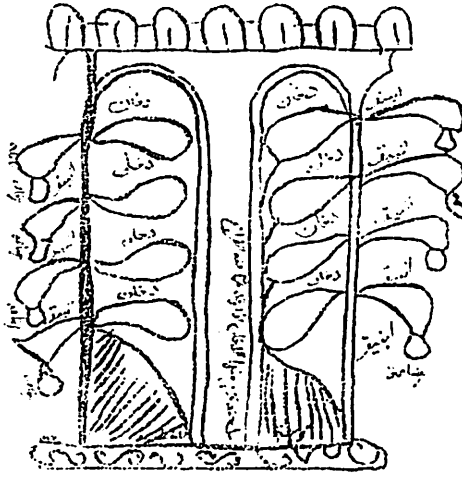
وفي وسط البناء يقام عمودا من خشب من وسط الدست إلى أعلى البناء ثم يعلقون على القرعات أنابيب سماها (انبيقا) ثم على الأنبيق أواني لينزل بها ماء الورد سماها (رضاعات) ، حيث يقومون بإدخال الورد وغيره من الزهور التي يستخرج ماؤها في القرعات لينزل الماء المستخرج بالنار عبر الأنابيب إلى الرضاعات ثم يصنعون تحت البناء كله الخشب ويوقودونه . ثم تفرغ ما تحويه الرضاعات في وعاء زجاجي كبير يسمى قرابة أو وعاء كبير من النحاس تسمى قمقم .

٢- الطريقة الثانية^(١) :

هناك طريقة أخرى أوردتها يستخرج منها ماء

الورد بوقود الحطب تختلف عن الأولى بأن الأولى يخلط في القرعة الورد مع الماء ، أما الطريقة الثانية فتحشى القراع بالورد ويضاف له نبات (لسان الثور) وزهر النوفر أو زهر البان أو زهر النارج أو الشقيف أو الهندباء أو القرنفل المزروع بدمشق .

(١) شيخ الربوة ، نخبه الدهر ، ص ١٩٦-١٩٧ .



أما طريقة استخراجها فتتم ببناء فرن (أتون) في صورة بئر مقلوبة يصعد منه اللهب والدخان كالمدخنة ويحاط بسور مبني عليه على شكل دائرتين ، ثم يضعون القراع بين السور والبئر ، ويكون أسفل القرعة إلى البئر ، وفمها خارجاً من السور ، ويصنعون بين القرعيات في البئر حشوات يخرج منها النار والدخان لتسخينها بمقدار ما يحتاجون

من تسخين ، ثم يبنون على البئر والسور والقراع بناء طوله أكثر من قامة الإنسان ، ثم يسقفون المنطقة ما بين البئر والسور . ويضيقون رأس البئر الذي هو المدخنة ويوقدون الحطب فقط .

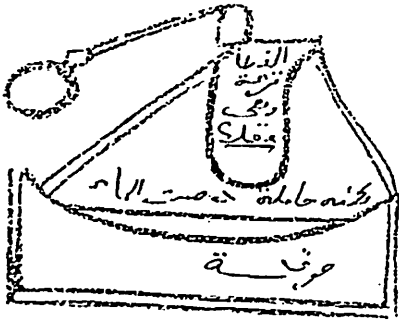
٣- الطريقة الثالثة^(١) :

ذكر شيخ الربوة طريقة ثالثة سماها الماء البيتوني من خلال فرن للورد ومقلى رصاص مبني على شكل البرج الصغير على طبقتين الأولى فيها نار والثانية بها الحطب وهي مثقوبة حتى يصعد منها الدخان والحرارة إلى القراع ، وكان يوضع ما بين ثلاثة إلى أربع قراع أو أقل . وغطاء المقلى أما أن يكون من الرصاص أو الزجاج ، ثم يضعون تحته طبقة من الملح والطوب ، ثم يوقدون النار فيتقطر ماء الورد .



(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٧ .

٤- الطريقة الرابعة^(١)؛



أما الطريقة الرابعة فسمها الزجاج الحكمي لأنه منقول عن اليونان المعروفون بأهل الحكمة لدى المسلمين لذلك سميت باسمهم .

والتقطير بهذه الطريقة لا يكون إلاً ببخار الماء المغلي ، وهي لا تختلف كثيراً عن الطريقة الثالثة إلاً عن طريق التقطير بالبخار لا بالدخان .

وذكر شيخ الربوة ان ماء الورد كان يصدر إلى الحجاز ومصر والهند وبلاد السند والصين وإلى ما وراء ذلك^(٢) .

وحول طيب رائحته ذكر : «حتى ان حرقته تلقى على الطرقات وفي دروبها وأزقتها كالنزابل فلا يكون لرائحته نظير ويكون ألد من المسك إلى مدة انقضاء الورد»^(٣) .

كما أشار محمد كرد علي إلى وجود صناعة ماء الورد في حلب والمعروفة باسم ماء الورد النصيبي كما أشار إلى وجود زهر القرنفل في حلب أيضاً الذي كان يستقطر ماؤه^(٤) .

ويذكر ان ابن بصال في كتابه الفلاحة ، قد أفرد في الباب الخامس عشر

(١) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٧-١٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ ، وذكر محمد كرد علي عن ماء الورد أنه لا يقارب شيء مما يجلب إلى الديار المصرية من الشام ولا يدانيه مع أن المجلوب من دمشق عند المصريين القدماء في غاية العظمة بحيث يصف أطباؤهم للمرض منقوع ماء ورد شامي ، خطط الشام ، ج ٤ ، ص ٦٧٤ .

(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٩٥ .

(٤) محمد كرد علي : خطط الشام ، ج ٤ ، ص ٦٧٤-٦٧٥ .

من كتابه طرق زراعة الرياحين ذوات الزهور ، وحول زراعة الورد وذكر : «وده العمل فيها أن تطيب الأرض وتقام أحوضاً وتزرع فيها زريعة الورد كما يزرع القمح ثم يبسط على الأرض من الرمل مقدار غلظ الأصبع ويسقى بالماء وتكون زراعة الزريعة في شهر يناير وتسقى مرتين في الجمعة ، . . . ، ويأتي هذا النبات قويا متمكناً» كما أنه يذكر وبشكل مفصل أنواع الرياحين كالبنفسج والسوسن والنرجس والقرنفل والمرزنجوش والترنجان وطرق زراعتها بالتفصيل^(١) .

وعلى الرغم من اشتهاار بلاد الشام بالكثير من الصناعات وخاصة صناعة الخمر ، والمربيات وغيرها إلا أنه لم يتطرق إليها واكتفى بأعضاء وصف دقيق لأهم وأشهر صناعة في دمشق وهي ماء الورد ، وربما يعود ذلك لكون هذا الكتاب كتاب جغرافي وليس كتاب زراعي .

(١) أبو عبد الله إبراهيم الطليطلي المعروف ابن بصال (ت ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) ، الفلاحة ، نشره وترجمة

خوس ماريه مياس ومحمد عزيمان ، ط ١ ، ١٩٥٥م ، ص ١٩٣ ، ص ١٦٥-١٦٩ .

النقوش الكتابية المملوكية مصدراً لتاريخ الزراعة في بلاد
الشام (٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م)
نقوش العمائر في بلاد الشام أنموذجاً

فرج الحسيني (*)

مقدمة

تعتبر بلاد الشام من المناطق المهمة جغرافياً وتاريخياً ، ومن المعروف أن من العوامل المهمة التي تؤثر على التاريخ هو العامل الجغرافي ، ومن ثم فإن لجغرافية بلاد الشام أثرها الواضح في التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية عبر التاريخ ، وهكذا تكون دراسة تاريخ الزراعة في بلاد الشام - التي تقوم على العامل الجغرافي - في فترة من أهم فترات التاريخ الوسيط وهو العصر المملوكي يعتبر من الأهمية بمكان لرسم صورة جلية وواضحة عن للتأثيرات المتبادلة بين ازدهار الزراعة أو تدهورها على الأحوال السياسية والاقتصادية وبالعكس أثر الاستقرار السياسي وحسن الإدارة أو الفراغ السياسي سوء الإدارة على الزراعة والاقتصاد .

وهذا البحث يلقي الضوء على الزراعة في العصر المملوكي من خلال ما ورد في النقوش الكتابية الإسلامية وهي النصوص المنقوشة على العمائر بأنواعها والتحف الفنية الأخرى وبشواهد القبور وهي تلعب هذه دوراً بارزاً لأنها وثائق أصلية ومصدراً أصيلاً من مصادر التاريخ الإسلامي ، وهي تتميز بأصالتها وكونها معاصرة للأحداث التي تؤرخها وتقوم بدور وثائقي مهم من خلال ما تنطوي عليه

(*) مديرية الآثار ، أسيوط ، جمهورية مصر العربية .

من جوانب دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية للعصور الوسطى ، لذا فهي عظيمة الشأن جليلة الفائدة في دراسة الحضارة الإسلامية وهي مورد ينهل منه للتعرف على نواحي إدارية وعادات وقيم وسلوكيات وصور للحياة اليومية ووسائل كسب المعيشة وحدود جغرافية وطرق ومسالك وتقاسيم وغيرها^(١) .

وقد تناولت في هذا البحث أربعة مباحث هي على الترتيب أنواع الأراضي ، والأراضي من حيث إدارتها وطبيعتها ، والمحاصيل والأشجار وما يتصل بصناعتها وتسويقها وضبطها ، وأخيرا المكوس والمغارم على النشاط الزراعي ، وبهذا يمكن تناول ما ورد بهذه النقوش من معلومات عن النشاط الزراعي في العصر المملوكي في بلاد الشام على النحو الآتي :

أولاً: أنواع الأراضي:

أهم أنواع الأراضي التي وردت في النقوش الكتابية موضوع الدراسة هي أراضي الوقف فقد انتشرت الأوقاف^(٢) في العصر المملوكي انتشاراً كبيراً حتى

(١) فرج حسين فرج حسين : النقوش الكتابية الفاطمية على العمائر في مصر ، مكتبة الإسكندرية ،

٢٠٠٧م ، ص ٦ .

(٢) الوقف في الشريعة الإسلامية : حبس العين «عقارا أو أرضا أو غير ذلك» في حياة الواقف ويستمر

بقاؤها بعد مماته ، تخصص لوجوه البر والخير كإعانة الفقراء أو بناء مسجد أو مدرسة وما شابه ذلك

شريطة بقاء واستمرار هذه الصدقة ، وهي لا تباع ولا تشتري ولا توهب ولا تورث ، يصرف من ريعها

على جهة من جهات البر ، ويرجع أصله إلى فكرة الصدقة الجارية التي تنضح من قول النبي ﷺ :

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث منها صدقة جارية» الحديث ، وقد انتشر هذا النظام

منذ بداية العصر الإسلامي في كل الأقطار ، وشمل المؤسسات الدينية وطلبة العلم والصوفية وأبناء

السبيل والأيتام والحرمين الشريفين ونظافة شوارع المدينة وغير ذلك من الأمور (محمد محمد أمين :

الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م) ، دراسة تاريخية وثائقية ،

دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ١٦٠ .

شملت بلاداً بأكملها ، الأمر الذي يمكن القول معه أن عصر سلاطين المماليك يمثل العصر الذهبي لنظام الأوقاف ، فكل من كان لديه أرضاً أو عقاراً أو مالاً كان يتطلع لوقفه لسبب أو لآخر ، وتنوعت من حيث مصارفهما إلى أوقاف خيرية «حكومية» وأوقاف أهلية ، فالأوقاف الخيرية هي الموقوفة جهات على البر المختلفة من مساجد ومدارس وإقراء القرآن وغير ذلك ، أما الأوقاف الأهلية فيوقفهما الواقف على نفسه وذريته حين انقراضهم ، ثم من بعدهم لجهة من جهات البر أو لعتقائه ، وطبيعياً أن هذا الوقف -أحياناً- لم يكن خالصاً لوجه الله حين دخوله في جهات البر ، إنما كان الغرض الأساس منه في هذه الحالات هو تحصين الأموال ضد المصادرات^(١) ، وقد تنوعت الأوقاف من حيث نشاطها الاقتصادي فشملت كافة الأراضي الزراعية والعقارات وأدوات الإنتاج والطواحين والمعاصر والفنادق والحوانيت وغيرها .

ولما كانت معظم أراضي ودور البلاد موقوفة ، بالإضافة إلى تمتع الأوقاف بالإعفاءات الضريبية المختلفة ، فكان له تأثير في قلة حصيلة ديوان النظر «بيت المال» ، وأصبح في مرات عديدة غير قادر على مواجهة النفقات ، الأمر الذي جعل كثيراً من السلاطين يلجئون إلى فرض الأموال ومصادرة الأوقاف^(٢) ، ولهذا جرت محاولات حثيثة للنيل من الأوقاف خصوصاً في نهاية العصر المملوكي نظراً للضائقة المالية التي بدأت منذ بداية عصر الجراكسة ، فمثلاً عقد السلطان قايتباي مجلساً بالقلعة عام (١٤٦٧هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م) بعد هزيمة الجيش على يد شاه سوار وقال «إن بيت المال مشحوت من المال وأن سوار الباغي استطال على البلاد وقتل العباد ولا بد من خروج العسكر ليحمي بلاد السلطان ، وأن العسكر يحتاج إلى نفقة وليس في بيت المال شيء . وأن الأوقاف قد كثرت

(١) البيومي إسماعيل الشربيني : النظم المالية في مصر والشام زمن المماليك ، سلسلة تاريخ المصريين

(١١٨) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ١١٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١١٩ .

على الجوامع والمساجد وأن قصد السلطان يبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ، ويدخل الفائض إلى الذخيرة» فوقف له العلماء والمشايخ ومنعوه من ذلك (١) .
وفى النقوش الكتابية موضوع الدراسة ، يوجد ١٧ نقش وقفية لجوامع مساجد ومدارس ومشاهد وترب وزوايا وكتاتيب وخانات وأسبله وغيرها وقفية كثيرة لأوقاف وقفها أصحابها تذكر كل جهة من جهات الوقف كل على حده والقدر الموقوف منها ، كأن تكون حصة منها أو بكاملها مع ذكر مقدار الحصة فدائماً إن كانت أو سهماً كجزء من العين الموقوفة التي تقسم إلى أربعة وعشرين سهماً ، وأحيانا يذكر شهرة العين إن كانت لها شهرة ، وأحيانا يذكر مالكيها قبل الشراء لاشتهارها به ، وفى بعض الحالات يذكر ثمن شراءها من مالكيها .
وغالب هذه الأوقاف قرى كاملة أو أراض زراعية ومزارع وحقول وبساتين وكروم وجنائن بقرى متناثرة في البقاع المختلفة من بلاد الشام خصوصاً القرى والبساتين والبقاع من أعمال الجولان وأذرع «درعا الحالية» والشعرا والقنيطرة ، بالإضافة إلى ذلك وقفت الأسواق والخانات والحوانيت والدور والطواحين والمعاصر وغيرها ونذكر مثالا لتك النقوش هو :

نقش وقفية جامع التوريزى (٢) بدمشق (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) :

هو من أطول نقوش كتابي في العمارة الإسلامية في سوريا ، نقش في ثلاثة أضلاع دركاة المدخل ، وداخل الدخلة التي تضم النافذة بالجهة الشمالية منها ،

(١) محمد بن أحمد بن إياس (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد

مصطفى زيادة ، الجزء الثالث ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر (٣٦-٤٠) ، القاهرة

١٩٩٨م ، ص ١٤ .

(٢) أنشأ هذا الجامع الأمير غرس الدين خليل بن يوسف بن التوريزى ويقع في محلة قبر عاتكة بدمشق

ويعتبر من أجمل الجوامع بها ومنشوة كان من كبار أمراء دمشق وأثريائها ولى نيابة الإسكندرية

عام (٨١٥هـ/١٤١٢م) ثم استقر حاجب حجاب دمشق في ربيع الآخر عام (٨١٧هـ/١٤١٤م) ==

بالحفر البارز يفصل بين سطوره خطوط بارزة ، ، يحتل المداميك ذات الأحجار البيضاء في خمسة أسطر ، بحيث يشغل كل سطر من الأسطر الثلاثة الأولى مدماك كامل ، في حين يشغل السطرين الأخيرين المدماك السفلى ، ويبلغ إجمالي طول النقش ما يزيد عن ١٠٠ متر وهو يعتبر سجلاً تاريخياً وطبوغرافياً لمدينة دمشق ، وبه ذكر كثير من بساتينها وأراضيها ووديانها وأنهارها وقراها وجبالها وأوديتها وخطوطها وأزقتها وأبوابها وحماماتها وخاناتها وحوانيتها وبيوتها وحراراتها وذكر بها دور وأراضي وأفراغ وإصطبلات وطواحين ومعاصر طبقات وبساتين وأراضي غرسية ومزارع وحقول داخلها وظاهرها وقرى في غوطتها ، وكذلك خانات وقرى ومزارع وجبال وأودية وأنهار وأراضي جبلية معطلة وأراضي خراجية وغيطان وجنائن من أعمال صفد وبانياس ونوى والجولان ، وهذه الأوقاف كثيرة جداً بحيث تجعلنا نشك في أن الواقف وقفها فعلاً لمصارف الجامع وهو جامع صغير ولم ينص الواقف في نقش الوقفية أنه رتب فيه طلبه ومدرسين ، ولكن كون التدريس وظيفة ثانوية فيمكن أن تكون ذكرت في كتاب الوقف ، وحتى إن نص على ذلك فإن كثرة الأوقاف تجعلنا نرجح أنه وقف تلك الأملاك تحصيلاً من المصادرات .

ففي مدينة دمشق وحدها وقف الواقف بيتاً يعرف ببيت كزل في محلة قبر عاتكة جوار الجامع المشار إليه ، وحنوتاً يعرف بالجرفادني ، وأربعة حوانيت في المحلة المذكورة خارج باب الجابية ، وخان خليل التوريزي الواقع بالمحلة المذكورة أيضاً ، وأربعة حوانيت أخرى بالمحلة المذكورة ، وداراً أخرى جوار الجامع المشار إليه ، وثمانية عشر حانوتاً غربي خان الواقف المذكور في باب الجابية ، وفرناً في

== ثم ولي نيابة صفد ونقل إلى حجوبية طرابلس فاستعفى منها ثم ولي حجوبية دمشق ثانياً في المحرم (١٤٢٣هـ/١٤٢٠م) توفي بدمشق في رجب عام (٨٢٦هـ/١٤٢٢م) (نقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٨ ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ج ٤ ، القسم الثالث ، القاهرة ، ٧٠ - ١٩٧٣م ، ص ٦٥١ .

حارة العبسية وحنوتاً وبيت الجايك تجاهها وحنوتاً وداراً أمام حمام يلبغا .
 أما البساتين والحدائق ظاهر دمشق فبستان يعرف بالمغاربة وحصنة تعرف
 بابن البطيش وبستان يعرف بالسنبوسكة وآخر يعرف بشف الطيب ، وجنينة
 الفراء وبابها الحجري والقاعة بها ، وبستان يعرف ببستان القليعة من أراضي كفر
 سوسة ، وبستان الجوخى ، وثلاثة بساتين في سكة الحمام أحدهما يعرف
 ببستان البعلبكي والآخر يعرف ببستان الثعلبي والثالث لم يسم ، وبستاناً في
 أراضي المزة ، وآخر يعرف بالشموليات ظاهر دمشق ، وقطعة أرض تتبع قرية
 قينية ظاهر دمشق ، وجنينة تسمى بجنينة عبد السيد وبستاناً يعرف ببستان
 الفلك ظاهر دمشق ، وبستان بقرية داريا وآخر في قرية برزة ، وآخر في أراضي
 قرية أرزونا من الغوطة ، وبستان آخر في سكة الحمام يعرف ببستان الخواجى
 وبستاناً ونصف غيطة تعرف بابن الجنان في الوادي التحتانى ظاهر باب الشرقي
 من غوطة دمشق ، وبستان وغرساً في الأراضي المعروفة بالحقول الحمر في وادي
 باب شرقي ظاهر دمشق ، وقيسارية وبيوت في قصر حججاج الذي في قبر
 عاتكة ، وحناناً في بعلبك يعرف بخان طقنجى وجنينة جواره .

وكما وقف الواقف أيضاً قرى كاملة وحصص من قرى أخرى مثل : جميع
 قرية تنورية ومزرعتها ساروبية من أعمال الجولان ، وخمسة أسهم من قرية كفر
 شمس من أعمال نوى ، وجميع قرية النجنجية ومزرعتها ، وقرية الخوخة من
 البطيحة وثلث قرية الجزيرة المعروفة بجزيرة بنى صدر من أعمال صفد ، وجميع
 الحصنة بقرية النفور من وادي العجم ، وجميع القرية المعروفة بقرية خضر من
 أعمال بانياس ، وإسطبلاً في قرية الظاهرية من أعمال صفد ، ومزرعة زيتون من
 أعمال صفد أيضاً ، وبلغ عدد العيون الموقوفة ٥٤ عينا وبلغ عدد القرى التي ورد
 ذكرها في هذا النقش ٣٧ قرية في محيط دمشق بالغوطة وصفد وبانياس وقد قرأ
 هذه الوقفية Gaube⁽¹⁾ وأشكل عليه كلمات كثيرة قام الباحث بقراءتها

(1) Gaube, H., Arabische Inschriften aus Syrien, Beirut, 1978, pp.93-96, n 178.

وصحح بعضها الآخر وقد وضعت تحتها خطأ ليعرف ، شكل (١) ونصه على النحو الآتي :

- ١- هذا ما أوقفه وسبله وحبسه وأبده وحرمه المقر الكريم العالي المولوى السيدى المالكي المخدمى الغرسى خليل ابن المرحوم الجمالي يوسف ابن عبد الله التوريزى الأشرفى أعز الله أنصاره على الجامع المعمور يذكر الله تعالى أنشأه المشار إليه وذلك «جميع قرية تنورية من الجولان ومزرعتها ساروبية حدها من القبلة ينتهي إلى قرية الفرغ وإلى أراضي أم الدنانير وتمام الحد مفصل ، ومن الشرق الساروبية والفرج ومن الشمال أراضي قرية الخشتية والسبتية ومن الغرب واردى الدواب وأراضي نخيلة وجميع الحصة المقسومة المفروزة ومبلغها خمسة أسهم من قرية كفر شمس ومن نوى^(١) حدها من القبلة يأخذ إلى مزرعة فوى وخسفين وما كان منشأ فمن . . .» كفر شمس ومن الشرق يأخذ مشتملاً في الأراضي المعتلة والمعطلة والأرحا من الحجارة الفاصلة بين أراضي هذه القرية المذكورة وبين أراضي القرية العاعة وما كان منه مشرقاً من أراضي العاعة وما كان مغرباً من أراضي كفر شمس ومن الشام إبتداه وجميع قرية النجنجية ومزرعتها حدها من القبلة التعينية .
- ٢- (و) أراضي قبلة أسقوفية والشرق أراضي سير البروج وتامة العدكية وراسية ومن الشام الوادي ومن الغرب قرية الكرسي وأراضي قرية أم شقوعينوش

(١) نوى من أعمال حوران بفتح النون والواو ، وهى بلدة صغيرة قديمة من أعمال دمشق الجنوبية ، بها قبر النبي أيوب عليه السلام ، إليها ينسب الشيخ محيى الدين النووي الشافعي انظر : (أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ١٠ ج ، سلسلة الذخائر (١٣٣) ، ج ٤ ، طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص ١٠٥

وعين وجميع قرية خوخة من البطيحة^(١) من صفد حدها من القبلة كنف الفوقاق ومن الشرق أراضي عنابة وزيتا ومن الشام الوادي وعين النمر، ومن الغرب أراضي النوابية ووادي الجبلية وجميع الخان بمدينة بعلبك المعروف بخان طقنجي والجنينة حدهم (من) القبلة الحمام ومن الشرق الباب الحجار وحوانيت تنكزبا والطريق وفيه الباب ومن الشام فرن تنكزبا والحوانيت ومن الغرب الجنينة والطريق والنهر وجميع البستان المعروف بالمغاربة، حده من القبلة بستان سواكين ومن الشرق حارة رستم وبيت عمر شاه والباب ومن الشام الدرب السلطاني^(٢) ومن الغرب ملك الواقف وجميع الحصاة المناصبة المعروفة بابن البطيش حدها من القبلة بستان المرستان وبراسق ومن الشرق ملك الواقف ومن الشام جنينة الفراء ملك الواقف ومن الغرب الدرب .

٣- وجميع الحصاة بقرية النفور من وادي العجم^(٣) وهي أربع قيراط (هكذا)

(١) قرية البطيحة من قرى فلسطين الشمالية، تقع على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية تتمتع بجو معتدل وأراض خصبة، يعمل غالب أهلها بالصيد من البحيرة المذكور، ويربون الأبقار ويسكنها بعض عشائر الشمالية والتلاوية، أحمد وصفي زكريا: عشائر الشام، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧م، ج٢، ص ٦٥، وقد سار عليها ما سار على قرى ومدن أهل فلسطين بعد النكبة .

(٢) الدرب السلطاني أو الطريق السلطاني أو الطريق العظمى هو الطريق من دمشق متجها نحو الجنوب إلى حوران والحجاز، وهو طريق الحج، نشأ على جانبيه خارج أسوار دمشق بعد باب الجابية حتى الميدان ومحلة القبيبات، ويتجه إلى الكسوة ثم حوران، عبد القادر الريحاوي، مدينة دمشق تراثها ومعالمها التاريخية، دمشق، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٧٤ .

(٣) وادي العجم ورد ذكره في وقفية الخانقاة الدويرية بدمشق قال النعيمي ومن وقفها . . . الحصاة المقسومة المفروزة سهمين من أربعة وعشرين وهي نصف السدس من القرية المعروفة بالبويضة من وادي العجم قرب البريج» عبد القادر بن محمد الدمشقي النعيمي، (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م): تنبيه الطالب وإرشاد المدارس إلى أحوال دور القرآن والحديث والمدارس، المعروف «بالدارس في ==

ونصف حدها من القبلة كراكرز ومزرعة نوح ومن الشرق أرض المزرعة ومن الشام اللجاء ومن الغرب أراضي القليعة وجميع ثلث قرية الجزيرة من صفد تعرف بجزيرة بنى صدر والطاحون بها حدها من القبلة مزرعة الخلفاء ومن الشرق الشريعة^(١) ومن الشام المقساسية ومن الغرب أراضي الأصفرية وجميع الفرن الكاين بحاره العبسية الذي كان قديماً معصرة والحانوت وبيت الحايك قبالة وجميع مناصبة البستان المعروف بالسنبوسكة حده من القبلة الدبيسي والنهر ومن الشرق الدرب ملك الواقف ومن الشام الطريق ومن الغرب بستان المرستان وجميع البستان، المعروف بدف الطيب حده من القبلة ملك الواقف ومن الشرق كذلك ومن الشام الدرب السلطاني وفيه الباب ومن الغرب جنيئة الفراء ملك الواقف وجميع الجنيئة المعروفة بجنيئة الفراء والباب الحجر والقاعة بهم وجميع القرية الخراجية المعروفة بقرية خضر من بانياس وجميع الحانوت والبايكة .

٤- بباب الجابية (و) العرصة^(٢) القمح حدها من القبلة الدخلة الغير نافذة من

== تاريخ المدارس، ج٢، تحقيق جعفر الحسيني، الجزء الثاني، المجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترفي، دمشق، ١٣٦٧ - ١٩٤٨م، ص ١٤٨، والبريج مرقع بين دمشق وحمص كان من محطات البريد في العصر المملوكي تبعد حوالي ٦٠ كم عن شمال دمشق .

(١) نهر الشريعة يسمى أيضا نهر الأردن وأصله من أنهار تنبع من جبل الثلج إلى بحيرة بانياس ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب في بحيرة طبرية ويمتد جنوبا، وهناك يصب في اليرموك بين بحيرة طبرية المذكورة وبين القصير، ويمتد في وسط الغور جنوبا حتى يجاوز بيسان ويمتد في الجنوب كذلك إلى أريحا، ولا يزال يمتد في الجنوب حتى يصب في بحيرة زغر وهي البحيرة المنتنة المعروفة ببحيرة لوط (البحر الميت) الفلقشندي : صبح الأعشى، ج٤، ص ٨١ .

(٢) العرصة هي البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها أو بها بناء مؤقتا بسيطا أو الأرض الفضاء التي هدم ما كان بها من بناء، ويطلق عموما على الساحة الخالية من البناء، محمد عبد الستار عثمان : الإعلان بإحكام البنين لابن الرامي دراسة أثرية معمارية، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٢٠٢.

الغرب خان الأعرج وجميع البستان المعروف ببستان القليعة من أراضي كفرسوسة^(١) حد(ه) من القبلة الشموليات والشرق الزقاق ومن الشام الطريق والباب ومن الغرب شموليات الفراء وجميع البستان المعروف ببستان الجوخى سكة الحمام حده من القبلة الطريق والباب ومن الشرق الطريق الآخذ إلى الطاحون ومن الشام نهر الزلف^(٢) ومن الغرب بستان القواس والحكر الذي كان عليه اشتراه الواقف بماية وعشر أفلورية^(٣) وجميع البيت

(١) كفر سوسة قال عنها ابن طولون «هي إحدى قرى غوطة دمشق تقع جنوبيّ المزة، بها جامع وحمام وهي بليدة جامعة، بها معصرة للزيتون لأن الزيتون بها كثير، خرج منها محدثون منهم الشيخ شمس الدين الكفر سوسى، شمس الدين محمد بن طولون الصالحي الدمشقي ابن طولون، (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م): ضرب الخوطة على جميع قرى الغوطة، بتحقيق محمد أسعد طلس، مجلة الجمع العلمي العربي، دمشق، كانون الثاني وشباط ١٩٤٦م، ص ١٦٠، ويمر بها نهر دارينا، ولما اتسعت مدينة دمشق صارت حياً من أحياءها الجنوبية، كانت بيوتها فيما مضى مبنية من الطين والخشب، وزرع أهلها الزيتون والخضر، وبضمها إلى مدينة دمشق واتصالها بها فقدت كثير من أراضيها الزراعية وارتفعت أسعارها. العماد مصطفى طلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ٥ ج، مركز الدراسات العسكرية بدمشق، ط ١، دمشق، ١٩٩٢م، ص ٥٤.

(٢) نهر الزلف هو نهر داعية ومعنى الزلف هنا الحياض الممتلئة أو الحوض الممتلئ، فإذا كان بالضم فمعناه ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من الليل، ويطلق عليه أيضاً نهر حيوه ونهر الصبورة، يوسف بن عبد الهادي بن المبرد، (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م): غدق الأفكار في ذكر الأنهار، ضمن كتاب رسائل دمشقية لابن المبرد، ط ١، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٣٣.

(٣) أفلورية أو أفلورى أو فلورى هو العملة الذهبية «دينار» التي ضربتها فلورنسا عام (١٢٥٢م/٦٥٠هـ) وأطلقوا عليه فلورين وعرف في الأسواق الشرقية باسم فلورين، ولم يكن لها رواج البنديقي، وقد استخدمت في دفع مرتبات أرباب الوظائف في بعض المنشآت الدينية في العصر المملوكي الجركسى رأفت النبراوى، النقود الإسلامية في مصر، عصر المماليك الجراكسة، ط ٢، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٤٠. وتختلف عن الدنانير الإسلامية في العصور ==

والحانوتين الذي قبالة حمام يلبغا وحانوت الحاط وحانوت الإسكاف وجميع الأسطبل الكبير الذي كان خرابة وعمره

- ٥- الواقف حده من القبلة الدار ومن الشرق خان يعرف بقطليجا وحانوت الحمام ومحاكرة القطان ومن الشام الطريق وفيه الباب ومن الغرب الدخلة وجميع القلد^(١) الكاين بباب الجابية حده من القبلة والشرق والشام والغرب قبر عاتكة وجميع الأسطبل بالزقاق المعروف بزقاق ابن كجك حده من القبلة ملك الحلبي ومن الزقاق وفيه الباب ومن الشام ملك ناصر الدين ومن الغرب ملك ناصر الدين بن رستم وجميع البستان بسكة الحمام الذي كان سلخة حده من القبلة نهر الزلف ومن الشرق غيطة الدفنة ومن الشام .
- ٦- غيطة المنجنيقية ومن الغرب غيطة الواقف وجميع البيت المعروف ببيت كزل حده من القبلة محاكرة ناصر الدرب القابون وهو الآن الجامع ومن الشرق الزقاق وفيه الباب ومن الشام الطريق والمعروف من المسجد وجميع البستان بأراضي المزة بزقاق الماء حده من القبلة بستان يعرف بابن طيان وورثة ناصر الدين ومن الشرق بستان يعرف بابن رستم ومن الشام الدرب

== الوسطى أن صور ملوكهم منقوشة على وجوهها ومن هنا كان يطلق عليها وعلى ما يماثلها من النقود الغربية بالمشخصة أو المصورة ، وكان ينقش على وجهها الأول صورة الحاكم المعاصر لضربها وعلى الوجه الآخر صورتا القديسين بطرس وبولومي الحواريين محمد أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٠ م ، ص ١٨

(١) لكلمة القلد معان كثيرة في المعاجم اللغوية ؛ ما ينطبق على الكلمة الواردة بالنقش هو القلد : السقى ، يقال قلد الزرع أي شرب ، ويقال كيف قلد نخل بنى فلان ؟ فيقال تشرب في كل عشرة مرة محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري ، ت ٧١١هـ / ١٣١١م) : لسان العرب ، ج ١٥ ، ط ١ ، الجزء الثالث ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) ، ص ١٦٥ وبهذا يمكن أن يكون المقصود منه أنها حوض لسقى الدواب وهو ما ينطبق من موقعه خارج باب الجابية عند مرابط الدواب ، مما يؤيد ذلك أيضا ورود لفظ البائكة في النقش ضمن الأوقاف وهي كانت تستخدم كأسطبل للدواب .

السالك وفيه الباب ومن الغرب الزقاق الآخذ إلى المزار وجميع البستان المعروف ببستان البعلبكي بسكة الحمام وقديماً يعرف ببستان جندك حده من القبلة الزقاق الغير نافذ وفيه الباب ومن الشرق البستان ومن الشام الطاحون ومن الغرب الزقاق الآخذ إلى طاحون الزاخ

٧- وجميع البستان الملاصق له ويعرف قديماً ببستان التغلبي حده إلى القبلة حده محقل يعرف بالخادم ومن الشرق حقل الواقف ومن الشام نهر الزلف ومن الغرب البستان المقدم ذكره وعمراً وجميع الأسطبل القائم بأرض الظاهرية من صفد والفرن من غير الزقاق هذا وقف على الكركه الذي في صفد إنشاء الواقف وجميع حانوت الجرفادني بقبر عاتكة حده من القبلة السوق ومن الشرق وقف سببة أم القباني ومن الشام والغرب كذلك وجميع الأربع حوانيت والدار الملاصق لهم خارج باب الجابية بمحلة قبر عاتكة بالصف الغربي حد ذلك من القبلة ملك الواقف ومن الشرق الطريق وفيه باب الدار ومن الشام وقف مسجد جعفر^(١) ومن الغرب الحانوت .

٨- بياض وجميع القطعة الأرض السلتحة ويحدها المنطقة من أراضي قينية^(٢) ويعرف بالحكيمية وجميع نصف الغيطة المعروفة بابن الجنات بالوادي

(١) هو من المساجد التي كانت في حي العقيبية ذكره ابن المبرد في ثمار المقاصد في ذكر المساجد قال «الرابع والثلاثون : مسجد آخر بالعقيبية على طريق المقبرة يعرف بجعفر الضرير فيه بئر ، ابن المبرد : يوسف عبد الهادي (ت ١٥٠٣/٨٩٠٩م) ثمار المقاصد في ذكر المساجد ، ٣ ج ، تحقيق محمد أسعد طلس ، مجموعة النصوص الشرقية ، الجزء الثالث ، المعهد الفرنسي للشرق الأوسط بدمشق ، بيروت ، ١٩٤٣م ، ج ٣ ، ص ١١٣ .

(٢) قينية قرية كانت جوار مدينة دمشق خارج حي باب السريحة تقريبا غربي مصلى العيدين ، خربت في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وصارت بساتين ، كان بها مسجد معاوية رضى الله عنه وكانت بعض بساتينها وقف للمدرسة الصابونية ، أنشئت عليها جزء من جامعة دمشق خصوصا كلية الطب محمد كرد على : غوطة دمشق ، مطبعة الترقى ، دمشق ، ١٩٤٩م ، ص ٢١٨ .

التحتاني حدها من القبلة النهر والطريق من الشرق المناصية ملك الواقف ومن الشام نهر دار(يا)^(١) ومن الغرب ملك الواقف وجميع البستان المعروف ببستان الشموليات .

٩- حدها من القبلة الشموليات التحتاني ومن الشرق الطريق ومن الشام الطريق وفيه الباب ومن الغرب جنينات عبد السيد وجميع الخان الكاين بقبر عاتكة المعروف بخان الواقف حده من القبلة السوق ومن الشرق ملك الواقف ومن الغرب الحوانيت ملك الواقف ومن الشمال وجميع الأربعة حوانيت بقبر عاتكة بسوق المشار إليه حد ذلك من القبلة السوق .

١٠- ومن الشرق الطريق ومن الشام الدار يعرف بابن الطباخ ومن الغرب ملك الواقف وجميع الجنينة المعروفة بجنينة عبد السيد حدها من القبلة الشموليات ومن الشرق كذلك ومن الشام .

الطريق ومن الغرب مجرى الماء وجميع القيسارية والبيوت الذي في قصر حجاج^(٢) وقف الست المصونة المرحومة بركة زوج المشار إليه حد ذلك من القبلة الدهليز الشرك

١١- وفيه الباب الذي للبيوت السبعة ومن الشرق الطريق وفيه باب الخان ومن الشام الخان الصغير ومن الغرب خان الجوزة وجميع البستان المعروف ببستان الفولك حده من القبلة الشموليات ومن الشرق كذلك ومن الشام دف الطيبة .

(١) نهر داريا هو المعروف بالداراني ومقسمه في الشاذرون وهو نهر نظيف يسقى أراضي داريا وما والاها ابن المبرد غدق الأفكار في ذكر الأنهار ، ص ٣٢ .

(٢) قصر حجاج من القصور الدائرة محله ظاهر باب الجابية وقبر عاتكة بدمشق ، وهو ينسب إلى حجاج بن عبد الملك بن مروان ، وكانت نبلة أرضاً تسمى بالحجاجية كانت ملكاً للحجاج بن يوسف الثقفي ، فلما ولد لعبد الملك بن مروان ولده المذكور نحله الأرض المذكورة وبنى له القصر فعرف به ، ونسب إليه وما برحت محلة قصر حجاج عامرة ولم يتغير اسمها بعد . محمد كرد علي ، غوطة دمشق ، ص ٢٢٨ .

١٢- ومن الغرب مكان بطليس وجميع السكن المشار إليه وجميع الأسطبل تجاه الدار المذكور حدها من القبلة ملك الواقف ومن الشرق الأسطبل الكبير ومن الشام الطريق و الأسطبل المذكور ومن الغرب الجامع والأسطبل وجميع .

١٣- الأسطبل غربى الجامع إنشاء المشار إليه وجميع الزيتون القايم بأرض ناية من صغد وجميع البستان المعروف بحقول الحمر بوادى باب شرقى^(١) حدها من القبلة ملك المشار إليه ومن الشرق كذلك ومن الشام غيطة ابن البعمورى ومن الغرب قسمها مما طريق وجميع البستان .

١٤- الخراجى من أراضي قرية داريا^(٢) يعرف بالشمس لؤلؤ حد من القبلة

(١) باب شرقي باب روماني سمي بذلك لأنه يقع شرقي مدينة دمشق وهو باب روماني باق إلى الآن بحالة جيدة وهو مكون من ثلاث فتحات الوسطى أوسعها وأعلاها والجانين صغيرين ويعلو الفتحات الثلاث عقود نصف مستديرة ويكتنفها أعمدة كبيرة ، دخل منه القائد الفاتح خالد بن الوليد عند فتح دمشق ، ويوجد جواره جامع باسم خالد بن الوليد ، وبجانب الباب مئذنة ترجع إلى عهد نور الدين محمود بن زنكي ، ومازال على البوابة الشمالية منه نقش تجديد الباب وسور دمشق من عهد نور الدين ، وكانت أمامه باشورة من العصر الإسلامي هدمت أواخر القرن التاسع عشر الميلادي أحمد الإيش وقتيبة الشهابي ، معالم دمشق التاريخية ، منشورات وزارة الثقافة بالجمهورية العربية السورية ، دمشق ، ١٩٩٦م ، ص ٥٢ .

(٢) داريا قرية من قرى الغوطة قال عنها ابن طولون «بلده كبيرة جيدة عزبة بها جامع وبها أراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصوفية والفقراء ، وبها قبر سليمان الداراني ، وإليها ينسب البطيخ الجيد ، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم والفقهاء والحديث ، ابن طولون ، ضرب الحوطة ، ص ١٥٧ ، وتقع إلى الجنوب الغربي دمشق بحوالي ٨ كم ، تسميتها قديمة تعنى بالسريانية الدار على وجه التكثير بإضافة ياء ، وتقع في أراضي سهلية فسيحة تكتنفها الجبال من الشمال الغربي والجنوب ، يعمل غالب أهلها بالزراعة المرواة من نهر الداراني ، الذي يخترق أراضيها الشرقية وكذلك على أحد فروع نهر الأعوج الذي يخترق أراضيها الغربية ، مصطفى طلاس ، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، ج ٣ ، ص ٢٩٩-٣٠٠ .

الطريق وفيه الباب ومن الشرق مكان يعرف بغيط التاج ومن الشام نهر تورا^(١) ومن الغرب كذلك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وعلى باب الجامع تكملة الوقفية السابقة في أربعة أسطر بنخط الثلث بالحفر البارز نقشت على الحجر بما نصه :

١- وجميع الغرس القائم بأرض البستان المعروف بلك المزرعة المعروفة بالحقول بحسن بن . . . بقرية برزة وجميع الدار العامرة الكائن ذلك لصيق المكان الجامع المعمور بذكر الله تعالى وجميع الغرس القائم بالأراضي المعروفة بالحقول الحمر من أراضي الوادي الشرقي من غوطة دمشق^(٢) وجميع القطعة التي تجاهاها وجميع الزيتون

(١) نهر تورا أكبر الأنهار المتفرعة عن نهر بردى وهو نهر عظيم مقسمه عند الشادروان قبل الربوة ، وهو تحت نهر يزيد ، وعليه أماكن كثيرة بيوت وحمامات وبساتين وغير ذلك وعليه بعض النيرب وجميع جنوب الصالحية بين دمشق والصالحية ، وبيت أبيات وقسما من جوبر وغالب قرى الغوطة الشمالية وينتهي إلى قرية عذراء من قرى المريج ، ابن المبرد ، غدق الأنكار في ذكر الأنهار ، ص ٣٠-٣١ ، وهو يأخذ ١٤-٢٤ من مياه نهر يزيد ويسير موازيا له ثم يتجه نحو الشمال الشرقي مارا بحي الصالحية ، وينتهي عند قرية عذراء بعد أن يروى مساحة يتراوح طولها بين ١٦-١٨ كم وعرضها ٣ كم ، مصطفى طلاس ، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، ص ٢٧٧ .

(٢) الغوطة هي كل ما أحاط بدمشق من قرى مشجرة ومن الأرض المطمئنة التي تروى بنهر بردى وما تفرع منه من الأنهار والجداول والقنى الصغيرة ، وعلى هذا فإن حد الغوطة يبدأ غربا من فوهة الربوة فالزة فداريا وتنتهي في الجنوب بصحنايا والأشرفية وسبيينة وسبينات وحوش الريحان ، ومن الشرق قرى الريحانة والشفونية وحوش مباركة وحوش الأشعرى وحوش المتبن وحوش خرابو والفضالية والنشابية وبيت نايم ، ومن الشمال جبل قاسيون وجبل قلمون ، ويقدر طولها بنحو عشرين كيلو مترا وعرضها بين عشر وخمسة عشرة كيلو مترا ، محمد كرد على ، غوطة دمشق ، ص ١٦ .

٢- بالشموليات التحتاني من أرض الحميرية جوار . . . وجميع الحانوت المتخذ لبيع الفلات وجميع الإصطبل تجاه الدار المذكورة ، ثم يستطرق إلى إصطبلين متلاصقين ، وجميع البستان الذي من أراضي الوادي التحتاني ظاهر باب شرقي من غوطة دمشق القطعة المعروفة بالشام النوري القائم بأراضي

٣- الفلك وجميع الحوانيت الأربع والدار الملاصقة الفقاني لصف الغربي الباب وجميع الملك لصف الحانوت وجميع البستان من أراضي قرية أرزونا^(١) من غوطة دمشق يعرف ببستان ابن الشمس لؤلؤ وجميع البستان من أراضي الوادي الشرقي بالحلة المعروفة بسكة الحمام يعرف ببستان الخواجي على حافة نهر الزلف . . . معاملة صنف وعدة أصولة

٤- بحلة قبر عاتكة بالصف الغربي تجاه حمام الواقف المذكور أعلاه وجميع الحانوت الملاصق له صف . . . وجميع الفرن تجاه الخان المذكور يفصل بينهما الطريق وجميع الدكاكين الذي عدتهم ثمانية عشر حانوتاً من ذلك خمسة حوانيت غربي الخان المذكور ، وعشرة حوانيت قبلي الخان وثلاثة حوانيت شرقي الخان المذكور^(٢) .

(١) أرزونا : من قرى دمشق . خرج منها أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن الحكم الحجوري الأرزوني حكى عن أهل شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) : معجم البلدان ، ج ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ج ١ ، ص ٩٦ . وقال ابن طولون : هي تحت القابون التحتاني ، وهي متوسطة ولها جامع ومثذنة وشربها من نهر تررا ، وهي أملاك لناس مختلفين ، وقع بها تحديث بأجزاء وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث (ابن طولون : ضرب الحوطة ، ص ١٥٤ .

(2) Gaube, op. Cit, pp. 100- 101, n 174.

الأراضي من حيث إدارتها وطبيعتها

وقد أعطت المادة التي قدمتها النقوش الكتابية معلومات عن أنواع الأراضي مثل الأراضي الخراجية وهي التي يؤدي ملاكها مال الخراج^(١) والتي نجدتها ترد في نقوش الوقف موضوع الدراسة بعبارة «القرية الخراجية» أو «البستان الخراجي»^(٢) أو «البستان الشائع الخراجي»^(٣) أو ما يرد عن إبطال ما أستحدثت على العامة من مكوس ما عدا «الخراج والهاللي»^(٤) كذلك جاء ذكر الضياع السلطانية التي كانت تسمى «الغياض السلطانية»^(٥) وذلك في نقش لمرسوم

(١) الخراج هو الأموال التي تتولى الدولة أمر جبايتها وصرفها في مصارفها من الأرض الخراجية المغنومة من أصحابها مقابل زراعتها واستقراره تحت حكم الإسلام وصونه ، وقد طبق الخراج في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، حين ازدادت الفتوحات الإسلامية واتسعت رقعة الدولة وزادت نفقاتها ، ورأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لا يقسم الأراضي المفتوحة عنوة بين الفاتحين بل يجعلها وقف على جميع المسلمين ، ويضرب على من يقوم بزراعتها خراجا معلوما محمد عثمان بشير ، أحكام الخراج فى الفقه الإسلامى ، دار الأرقم ، الكويت ، ١٩٨٦م ، ص ١٣ ، ٢٢ .

(٢) ورد في نقش وقفية جامع التبريزي بدمشق (تاريخه ٨٢٣هـ/١٤٢٠م) .

(٣) ورد في نقش إنشاء ووقفية مسجد القرشي بدمشق ، تاريخه ٨٢٠هـ/١٢ أكتوبر ١٤١٧م .

(٤) ورد في نقش لمرسوم بالجامع الأموي بدمشق لإبطال ضرائب عن أهل كرك نوح الواقعة في البقاع اللبناني ، تاريخه ٨٥٥هـ/ديسمبر ١٤٥١م .

(٥) الغياض هي الأحراج الكثيفة المتشابكة من شجر السدر وغيره ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٣٠٧ ، ويقصد بها الغابات الطبيعية التابعة للدولة ، وقد أشار ابن كنان في إطار حديثه عن محاسن دمشق فقال «ومن المحاسن غيضة السلطان وتسمى غيضة حمد وقفها على الجامع وهو مغيض من الأرمات المشتبكة ولا يدخل لداخله من المهالك الحيوان والإنسان . (محمد بن عيسى ابن كنان الصالحى الدمشقي ، (ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠م) : المواكب الإسلامية في الممالك الشامية ، تحقيق حكمت إسماعيل ، منشورات وزارة الثقافة بالجمهورية العربية السورية ، دمشق ، ١٩٩٣م ،

أصدره السلطان العادل طومان باى عام ٩٠٥هـ/١٥٠٠م كان مثبتا على عيين الداخل من الباب الغربي بالجامع الأموي بدمشق ينص على إعفاء الاوقاف الخاصة بالجامع الأموي من الأموال التي كانت تدفع لخزائن السلاح وتصرف في شراء وإصلاح الأسلحة ، وكانت حوالى (خمسين ألف فضة شامية) في مقابل ذلك يبطل تزويد الجامع الأموي بالأخشاب من الغابات الطبيعية الخاضعة للدولة^(١) .

أيضا قدمت لنا النقوش الكتابية موضوع الدراسة معلومات قيمة وثرية عن أنواع الأراضي من حيث طبيعتها مثل المناطق الزراعية الخصبة مثل المزارع والغيطان والكروم والبساتين والجنائن والقرى الزراعية وكذلك ورد ذكر المناطق الجبلية كالجبال والوديان وأراضي الرعي مثل ما ورد في نقش لمرسوم بمعبد بل بتدمر للسماح لأهلها بالرعي في أراضي جبل البطم وغيره بدون قيد (ربيع الآخر ٨٦٨هـ/ديسمبر ١٤٦٣ - يناير ١٤٦٤م)^(٢) ومعلومات عن مصادر المياه وطرق الإفادة منها فقد جاء ذكر أسماء لأنهار ووديان مثل أنهار مدينة دمشق مثل نهر بردى ونهر داريا ونهر تورا ونهر الزلف ونهر المجدول والقنوات وجاء ذكر نهر الشريعة وكذلك نهر الساجور بحلب ونهر العاصي وسواقي ونواعير عديدة وفي أحد النقوش الوقفية جاء ذكر شراء الدلاء وحبال وإصلاح مصنع الماء الذي بمثابة الخزان أو الصهريج المعد لتجميع مياه الأمطار والثلوج أو أن يغذى بماء أحد العيون لاستعمالها في وقت الحاجة ، ناهيك عن الأسبلة والقساطل الكثيرة المنتشرة في المدن السورية .

(1) Sobernheim, M., Inschriftliche Wirtschafts- und Verwaltungs-Verordnungen der

Mamluken- Sultane aus der Omajjaden- Moschee von Damaskus, Aus fünf Jahrtausenden morgenlandischer Kultur, Berlin, 1933, n°4, P. 116.

(2) Cantineau J., Inventaire des inscriptions de Palmyre, publications du Musee Nationale Syrien de Damas, Beyrouth, 1930, Pp.68-69.

Sauvaget, J., Inscriptions arabe du

Temple de Bel a' Palmyre, Syria, Tome XI, 1931, p.151.

أما من حيث نظم توزيع الماء بين السكان والمزارعين فقد ورد إلينا في النقوش موضوع الدراسة إشارات كثيرة عن طائفة القنوات التي كانت تمتهن عمل القنوات في الشوارع والبيوت وورد إلينا أيضا نقش لمرسوم فريد سنتناوله بالدراسة كأحد النماذج التي نستنبط منها القواعد الحاكمة لاستغلال مصادر المياه الطبيعية وهو منقوش على واجهة الجامع الكبير بكفر سوسة التابع لدمشق منفذ بخط الثلث تاريخه (١٠ ذي القعدة ٨٥٣هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٤٤٩م) ، أصدره السلطان الظاهر جقمق لإبطال ما أحدثه الأمير سودون من عبد الرحمن الذي كان يشغل كافل دمشق في الفترة (المحرم ٨٢٩هـ - شعبان ٨٣٥هـ) ، حين أجرى قناة من أصل نهر داريا المعروف بالديراني ، الذي يشترك فيه إلى جانب أهل داريا ، أهل المزة وكفر سوسة وبلاد أخرى وساق الماء فيها إلى قرية تسمى بالقصور مما أدى إلى تأثر منسوب المياه في باقي النهر الأمر الذي عاد بالضرر على أهل القرى المذكورة ، مما دعاهم إلى التظلم من هذا الأمر ولذلك صدر المرسوم ما استجد بخصوص أخذ ماء من نهر داريا لمن لا حق له فيه ، وربما كانت قلة المياه بعد سد الخرق سببا في اندثار قرية القصور لأن ابن طولون الدمشقي المتوفى في منتصف القرن العاشر الهجري أشار إلى اندثارها والمدة بين تاريخ المرسوم وبين وفاته ليست بالطويلة ، شكل (٢) ونصه كالتالي :

- ١ . بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢ . لما كان بتاريخ عاشر ذي القعدة سنة ثلاثة وخمسين وثمان
- ٣ . مائة ورد مرسوم شريف ظاهري مربع بسد الخرق الذي أحدثه سودون عبد الرحمن^(١) (هكذا) من
- ٤ . أصل نهر داريا والمزة وكفر سوسة وشركتهم وساق الماء فيه غصبا إلى قرية تسمى
- ٥ . بالقصور بغير حق وإعادة الماء المغصوب إلى مستحقه وإبطال هذه

(١) صحيحها «سودون من عبد الرحمن»

- ٦ . المظلمة أهد الأبددين وملعون ابن ملعون من يسعى فيما يخالف ذلك
٧ . ولعمرة الله عليه والملايكة والناس أجمعين والحمد لله وحده^(١)

وحقيقة القول يصعب الإشارة إلى كل النقوش التي ورد بها قرى وبساتين وجنائن وغيطان وأنهار وغيرها من ثم نعرض بعضها في الفهرس الأبجدي الآتي :

نوع النقش وتاريخه	الموضع	نوع النقش وتاريخه	الموضع
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	بستان سواكين بيبلك	وقفية (١٢٧٦هـ/١٢٧٧م)	أذرعاع (درعا)
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	بستان الشمس صلؤلؤ بالغوطة	وقفية (١٤٠٨هـ/١٤١١م)	أروم الكبرى قرية بجبل سمعان
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	بستان الفولك بالغوطة	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	أسقوفية قرية من عمل نوى
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	بستان القليعة بكفر سوسة	وقفية (١٢٧٦هـ/١٢٧٧م)	الأشرفية - قرية - تتبع الغور
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	بستان القواس بدمشق	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	الأصفرية «قرية» تتبع صفد
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	بستان المغاربة بيبلك	مرسوم (١٤٣٣هـ/١٤٣٦م)	الأغوار
وقفية (١٣٤٩هـ/١٣٥٠م)	بستان ملك ظاهر دمشق	وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٦م)	أمزراع «قرية» تتبع نوى
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	البطيحة قرية بفلسطين	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٠م)	أم الدنانير «قرية» من الجولان

(1) Sauvaget, J., L'enceinte primitive de La ville D'ALep., Memorial Jean Sauvaget, tome

I, Institut Fraçais de Damas, Damas, 1945., p.78.

وقفية (١٣٩٨/هـ٨٠٠م)	البقاع اللبناني	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	أم شقوعينوش «قرية» تتبع نوى
وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بعلبك	مرسوم (١٣٧٤/هـ٧٧٥م)	الباب مدينة
مرسوم (١٤٤٨/هـ٨٢٥م)	بلاطنس	مرسوم (١٤٩٧/هـ٩٠٢م)	بارين قرية كبيرة
مرسوم (١٤٦٤/هـ٨٦٨م)	تدمر	وقفية (١٢٧٧/هـ٦٧٦م)	بانياس
وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	تنورية قرية من الجولان	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	برزة
وقفية (١٤٠٨/هـ٨١١م)	جبل سمعان	مرسوم (١٢٧٤/هـ٧٧٥م)	بزاعا
مرسوم (١٤٧٨/هـ٨٨٣م)	جبله مدينة	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان ابن رستم بدمشق
وقفية (١٤٣٠/هـ٨٣٣م)	الجبول - موضع ظاهر حلب	وقفية (١٢٧٧/هـ٦٧٦م)	بساتين ابن سلام ظاهر دمشق
وقفية (١٣٩٨/هـ٨٠٠م)	جبة العسال	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان ابن طيان بالمرزة
وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	الجزيرة قرية تتبع صفد	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان البعلبكي بدمشق
وقفية (١٣١٩/هـ٧١٦م)	الجيب منطقة بحصن الأكراد	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان التعلبي بغوطة دمشق
وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	جنائن عبد السيد بالغوطة	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان الجوخى بكفر سوسة
وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	جنينة الفراء بدمشق	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان جندك بدمشق
وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	الجولان	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان الخواجي بالغوطة
وقفية (١٣٩٨/هـ٨٠٠م)	الحريمية قرية بالبقاع	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	بستان دف الطبيب
وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	حقل الخادم بالغوطة	وقفية (١٢٧٧/هـ٦٧٦م)	بستان السبتية ظاهر دمشق

تحديد (١٢٦١هـ/١٢٦١م)	سيس	وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٧م)	حقول الحمر ظاهر باب شرقي بدمشق
وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٧م)	الشرف الشمالي بدمشق	في نقوش كثيرة	حلب
وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٧م)	الشعرا	في نقوش كثيرة	حماة
وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٧م)	الشعيرة قرية بالبقاع	في نقوش كثيرة	حمص
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	الشموليات منطقة بكفر سوسة	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	الخشتية قرية بالجولان
وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٧م)	الشهم الشرقي لسفح قاسيون	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	خضر قرية ببانياس
مرسوم (١٤٣٧هـ/١٤٤١م)	شيزر	وقفية (١٣١٩هـ/١٣١٩م)	الخلخال قرية ظاهر دمشق
في نقوش كثيرة	صفد	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	خوخة قرية بصفد
مرسوم (١٤٥٢هـ/١٤٥٤م)	صهيون قلعة	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	داريا
وقفية (١٢٩٧هـ/١٢٩٦م)	الضمران قرية بالشعرا	مرسوم (١٤٧٧هـ/١٤٧٧م)	دركوش مدينة
وقفية (١٤١٧هـ/١٤٢٠م)	صيدا	وقفية (١٢٩٧هـ/١٢٩٦م)	دسيا قرية بالغوطة
مرسوم (١٣٥٤هـ/١٣٥٥م)	طرابلس	في نقوش كثيرة	دمشق
وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٦م)	الطرة قرية بأذرعان	وقفية (١٢٧٧هـ/١٢٧٦م)	الزراعة قرية بالخور
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	الظاهرية أراضي بصفد	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	زيتا قرية بصفد
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	العاعة قرية بنوى	مرسوم (١٤٦٦هـ/١٤٧٠م)	الرصافة - غير رصافة هشام
وقفية (١٤١٧هـ/١٤٢٠م)	عانوث قرية بصيدا	مرسوم (١٤٩٦هـ/١٤٩١م)	ساقية سلمية
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	العديكية قرية بنوى	وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	السبتية قرية تتبع الجولان
مرسوم (١٤٦١هـ/١٤٦٥م)	عزاز	وقفية (١٣١٩هـ/١٣١٩م)	السحارة قرية
وقفية (١٤٢٠هـ/١٤٢٣م)	عين النمرور منطقة بصفد	مرسوم (١٣٦٩هـ/١٣٧٠م)	سرمين

سفح جبل قاسيون	وقفية (١٢٧٦هـ/١٢٧٧م)	عناية قرية بصفد	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)
سكة الحمام بدمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	الغريبات ولاية تتبع سرمين	مرسوم (٧٧٠هـ/١٣٦٩م)
سلمية	مرسوم (٩٠١هـ/١٤٩٦م)	الغوراء الأغوار	مرسوم (٨٣٦هـ/١٤٢٣م)
سويحة قرية بالغور	وقفية (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)	غوطة دمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)
سيب البروج منطقة بنوى	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	الغياض السلطانية	مرسوم (٩٠٦هـ/١٥٠٠م)
غبيطة ابن الجنات بالوادي بدمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	كنف القوقان بصفد	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)
غبيطة ابن اليعمورى خارج دمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	اللجاء منطقة بين دمشق وحمص	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)
غبيطة التاج بقرية داريا	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	المزة	في نقوش كثيرة
غبيطة الدفنة بدمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	المرقب	مرسوم (٨٦٨هـ/١٤٦٤م)
غبيطة المنجنيقية بدمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	مزرعة فوى وخسفين بنوى	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)
فرعم قرية بصفد	وقفية (٦٦٦هـ/١٢٦٧م)	مزرعة السمان	وقفية (٧٧٣هـ/١٣٧٢م)
الفرج قرية بالجولان	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	مزرعة ساروبية بالجولان	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)
الفوعة قرية بسرمين	إنشائي (٧٩٥هـ/١٣٩٢م)	المرج بدمشق	في نقوش كثيرة
قارا مدينة	في نقوش كثيرة	مصيف مدينة	مرسوم (٨٧٠هـ/١٤٦٦م)
القبيبات قرية ظاهر دمشق	في نقوش كثيرة	المرعة مدينة	في نقوش كثيرة
القصور قرية بالغوطة	مرسوم (٨٥٣هـ/١٤٤٩م)	المعمورة قرية بجبة العسال	وقفية (٨٠٠هـ/١٣٩٨م)
القصير قلعة وبلدة	مرسوم (٨٦٤هـ/١٤٥٩م)	المقاسية منطقة بصفد	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)

القطنان منطقة بغوطة دمشق	وقفية (١٣٤٩/هـ٧٥٠م)	ناية أرض بصفد	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
قينية قرية ظاهر دمشق	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	النجنحية قرية بنوى	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
كازو قرية ظاهر حماة	مرسوم (١٤٩٨/هـ٩٠٤م)	نخيلة قرية بالجولان	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
الكبرى قرية بجبة العسال	وقفية (١٣٩٨/هـ٨٠٠م)	النفور قرية بوادى العجم	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
الكرسى قرية بنوى	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	نهر ثورا بغوطة دمشق	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
كرم طاعة بستان بانياس	وقفية (١٢٧٧/هـ٦٧٦م)	نهر داريا بغوطة دمشق	في نقوش كثيرة
كرك نوح مدينة البقاع	مرسوم (١٤٦٩/هـ٨٧٣م)	نهر الزلف بغوطة دمشق	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
الكسوة قرية تتبع دمشق	إنشائي (١٣٦٣/هـ٧٦٤م)	نهر الساجور بحلب	مرسوم (١٤٩٧/هـ٩٠٢م)
كفر بطنا قرية بالغوطة	مرسوم (١٤٢١/هـ٨٢٥م)	نهر الشريعة بالغور	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
كفر سوسة تتبع دمشق	ورد في نقوش كثيرة	النوابية منطقة بصفد	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
كفر شمس قرية بنوى	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	نوى	في نقوش كثيرة
كفر لاهة قرية ببارين	وقفية (١٣١٩/هـ٧١٦م)	وادي باب شرقي بدمشق	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
الوادي التحتاني بدمشق	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	واردى الدواب بالجولان	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)
وادي الجبلية بصفد	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	الباروقية قرية بحلب	وقفية (١٤٣٠/هـ٨٣٣م)
وادي العجم بين دمشق وحمص	وقفية (١٤٢٠/هـ٨٢٣م)	يلدا قرية بالغوطة	وقفية (١٣٢٢/هـ٧٢٢م)

المحاصيل والأشجار وما يتصل بصناعتها وتسويقها وضبطها

قدمت لنا النقوش الكتابية موضوع الدراسة أيضا معلومات مفيدة عن النشاط الزراعي من خلال ما ورد بها من أسماء للسلع والبضائع والمأكولات التي كانت منتشرة آنذاك في أسواق تخصصية أو أسواق عامة وهي إما منتجات زراعية خضر أو فاكهة أو بقوليات وبذوريات وإما منتجات صنعت من المنتجات الزراعية ، وهي إشارات كثيرة في نقوش المراسيم خاصة حيث كان على كل من هذه السلع والبضائع مكوس ومن ثم صدرت المراسيم لإبطالها ، هذا بالإضافة إلى ما ورد في نقوش الوقفيات وسبق الإشارة إليه حين نستنبط أنواع المزروعات من كلمات مثل «كرم وبستان وجنيئة وغيظ وحقل ومزرعة» فمن أنواع الخضر والفاكهة التي جاء ذكرها في نقوش المراسيم تلك المراسيم التي صدرت لإلغاء المكوس عن تلك المنتجات والثمار مثل الخيار والقلقاس والليمون والجزر والفاكهة والبطيخ والتمر والحنة القمح والشعير والقضامة^(١) والعفص ، ومن المنتجات التي يتم تصنيعها من المنتجات الزراعية جاء ذكر السكر والزبيب والتبن والبن والغلال والأرز والحلوى والزيت والبيض والخبز والقريشة والطعم البلدي^(٢) والكتان والقطن والأردية والقماش والحصر والثياب والفحم والصابون وغيرها .

(١) القضامة : هي البزوريات التي تؤكل للتسلية مثل اللب والحمص وغيرها ، وكان بدمشق سوق يسمى بسوق القضمامانيين شرقي سوق الصابون . ابن المبرد : يوسف بن عبد الهادي (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م) نزهة الرفاق في شرح الأسواق ، تحقيق صلاح محمد الخيمي ، ضمن كتاب رسائل دمشقية لابن المبرد ، ط ١ ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص ٧٧ .

(٢) الطعم هو لباب الفستق الذي يوجد في داخل قشرته حيث أن قشره الصلب يكون منفصلا بعضه عن بعض عند كسره يظهر الطعم الذي في جوفه وهو دسم يعصر منه زيت . انظر

Dozy.R., Supplement aux dictionnaires arabes, tome second, Maisonneuve Freres, Paris, 1927, p.45.

كما وردت أيضا أسماء لأنواع من الحيوانات مثل الأغنام والأضاحي والأبقار والجواميس والخيل والجمال والحمير وكذلك ذكر الاسطبلات التي تخصص للخيل وكذلك المنتجات حيوانية مثل اللحم والسمك والسمك البوري والبيض والعسل ومنتجات حيوانية تم تصنيعها مثل والسمن والجبن التركماني والنصارى والشرايح والدهنية واللبن الياغرت^(١) والخمور والخوابى (أواني الخمور) والجلود والصوف والصوف المنسوج والمسك والقز والحرير والابسطة .

كذلك أمدتنا النقوش الكتابية موضوع الدراسة ببعض المهن والصنائع المرتبطة بالنشاط الزراعي والثروة الحيوانية مثل الفلاحين و التجار والباعة والمتسبين (الباعة الجائلون) والدباغين (دباغو الجلود) والقصابين (بائعو اللحم) والطحانين والحبالين والحياك والمكارية (الذين يقومون بتوصيل الناس إلى حيث شاءوا بالحمير) ووقد ورد في أحد نقوش المراسيم من عصر الظاهر خشقدم بالجامع الأموي بدمشق تاريخه (شعبان ٨٦٨هـ/ أبريل - مايو ١٤٦٣م) التصدي للسلوكيات السلبية للمكارية وهي سرقة التبن من أجرانها في عبارة «ومنع مقدم المكارية وأتباعه من التعرض إلى أتبان فلاحى القرى والمزارع المجاورة بدمشق المحروسة» وهى أيضا إشارات التنظيم النقابي في ذلك الوقت وعلى كل الأحوال مورد يغترف منه للتعرف على وسائل الكسب والمعيشة اليومية وحال الأسواق ، أيضا جاء ذكر منشآت صناعية مثل المسالخ ومبيضة الكتان ومبيضة القطن بدمشق والمصبغة في القصير .

أما الأسواق واخانات والقيساريات الخاصة بتسويق المنتجات الزراعية

(١) اللبن الياغرت هو اللبن الرائب وقد دخلت هذه الكلمة العامية عن طريق الفارسية أو التركية وهى مغولية الأصل ، ووصلت إلى بعض اللغات الأوروبية وبقيت فيها حتى اليوم ولكنها بادت من العامية الشامية ، جعفر المهاجر : حاشية على كتاب التعليق لابن طوق ، ٤ ج ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ٢٠٠٠-٢٠٠٤م ، ج ١ ، ص ٥٣٢ ، حاشية ٢ .

والحيوانية فقد ورد ذكر الكثير منها في نقوش الوقفيات والمراسيم منها دار الطعم بصالحية دمشق التي كانت تفرض عليها مكوس وهي كانت كسوق الجملة الكبير تباع بها الحبوب كالفستق والجوز والبزوريات الزيتية والزيتون والتوابل والبهار وغيرها ، وقد جرت العادة أن يطلق على مثل هذه الأماكن باسم ضرب من ضروب الثمار التي تباع فيها فمثلا دار التفاح بالقاهرة مسمى للمكان الذي تباع فيه الفاكهة عموما ، ودار البطيخ بدمشق اسم لنفس المكان^(١) ، حيث كانت تلك المؤسسات يتم وقفها على المدارس والجماعات وأيضا ورد ذكرها في نقوش المراسيم إما بصورة عامة تحت اسم الأسواق في دمشق وضواحيها حين تشمل مسامحة جميع الأسواق من المكوس والمغارم أو يرد ذكر اسم سوق بعينه كما في الجدول الآتي :

نوع النقش وتاريخه	الموضع	نوع النقش وتاريخه	الموضع
مرسوم (٨٤٧هـ/١٤٤٣م)	دار الطعم بصالحية دمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	حانوت الإسكاف بدمشق
مرسوم (٨٤٨هـ/١٤٤٤م)	سوق الأمتعة بدمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	حانوت الجرفادني بقبر عاتكة
وقفية (٧١٦هـ/١٣١٩م)	سوق البز بحصن الأكراد	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	حانوت الحاط بدمشق
مرسوم (٩١١هـ/١٥٠٥م)	سوق جقمق بدمشق	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	حانوت الحمام بدمشق
مرسوم (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)	سوق الحراج بحلب	وقفية (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)	حوانيت تنكز بغيا بيبلياء
وقفية (٧١٦هـ/١٣١٩م)	سوق الحضرية حصن الأكراد	وقفية (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)	خان الأصطبل ظاهر دمشق

(١) صلاح الدين المنجد : دور البطيخ بدمشق ، ضمن كتاب خطط دمشق للمؤلف ذاته ، المطبعة

الكاثوليكية ببيروت ، ١٩٤٩م ، ص ١٠٦ .

مرسوم (١٤٩٨/٨٩٠٣م)	سوق الخيل بحلب	وقفية (٨٢٣/١٤٢٠م)	خان الأعرج بدمشق
وقفية (١٣١٩/٧١٦هـ)	سوق السمانيين حصن الأكراد	وقفية (١٣١٩/٧١٦هـ) الأكراد	خان بكتمر بحصن
وقفية (١٤٢٠/٨٢٣م)	سوق قبر عاتكة بدمشق	وقفية (١٢٧٦/٢٧٧م)	خان ببسيت جنا بدمشق
مرسوم (١٤٩٧/٨٩٠٢م)	سوق القطن بحلب	وقفية (٨٢٣/١٤٢٠م)	خان خليل التوريزي بقبر عاتكة بدمشق
وقفية (١٣٢٢/٧٢٢هـ)	قيسارية جوار المدرسة النورية بدمشق	وقفية (٨٢٣/١٤٢٠م)	خان الجوزة بدمشق
وقفية (١٢٧٧/٦٧٦هـ)	قيسارية القواسين بدمشق	وقفية (٦٩٦/١٢٩٧م)	خان الشبلي بدمشق
وقفية (١٢٧٧/٦٧٦هـ)	قيسارية الشرب بدمشق	وقفية (٨٢٣/١٤٢٠م)	خان طقنجي ببعلبك
مرسوم (١٢٧٧/٨٥٤هـ)	مبيضة الكتان والقطن بدمشق	وقفية (٨٢٣/١٤٢٠م)	خان قطليجا بدمشق
مرسوم (١٤٥٩/٨٦٤هـ)	مصبغة بقلعة القصير	مرسوم (٨٦٤/١٤٤٢م)	خان الكتان بحلب
وقفية (١٣٢٢/٧٢٢هـ)	خان بقصر حجاج بدمشق	وقفية (٦٩٠/١٢٩١م)	خان خارج باب الجابية بدمشق

ولم تغفل النقوش الكتابية موضوع الدراسة ذكر المقاييس والمكاييل التي كان يتم على أساسها قياس وتعبئة وبيع الأشياء ، ففي نقوش الوقف كثيرا ما يرد ذكر السهم فيقال «والحصّة . . من القرية الفلانية . . ومبلغها سهمان من أصل أربعة وعشرين سهما» كذلك يذكر مقدار الأراضي الموقوفة بالقيراط فيقال مثلا «وأوقف على ذلك قيراطا وربع وسدس من قرية كذا » اما بالنسبة للحبوب فقد ورد ذكر الغرارة^(١) في نقش لمرسوم على جامع العجمي بدمشق لضبط سعر سمسرة الغلال بما نصه « أمر بأن لا يؤخذ من جميع الحبوب القمح والشعير وغيره وأن لا يؤخذ من الغرارة سمسرة إلا درهم ونصف وربع من البائع درهم ومن المشتري نصف وربع على ما جرت به العوائد القديمة»^(٢) أيضا جاء ذكر المكوك^(٣) في عدة نقوش مراسيم .

(١) وهي الجوال والجمع جوالق أو الأكياس التي تعبأ بها الحبوب ، وتستعمل في دمشق ومكة ، أما حماة وحلب فتعامل بالمكوك وجمعه مكايي ، وفي مصر يكون التعامل بالإردب ، وقد اختلف في تحديد مقدار الغرارة ، فقد حدد المقرئزي مقدارها كيلاً بثلاثة أراذب مصرية ، المقرئزي : السلوك ، ج ٣ ، القسم الثالث ، ص ١١٢١ .

(2) Gaube, op.cit.p.68- 69,no 126.

(٣) المكوك جمعه مكاييك وهو مكيال للحبوب قال القلقشندي عن أهل حلب الذين يتعاملون بالمكوك» وأخبرني بعض أهلها أن المكوك بنفس مدينة حلب معتبر بسبع وبيات بالكيل المصري» والوبية ثلاث كيلات مكوكين ونصف تساوي غرارة واحدة القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

المكوس والمغارم على النشاط الزراعي

تعتبر المكوس^(١) والمغارم^(٢) من أكثر القضايا التي صدرت بسببها المراسيم المنقوشة على العمائر في سوريا وذلك لشيوع جباية هذه الأموال على كل نشاط زراعي أو صناعي حتى أن القلقشندي يصف الأثر الاجتماعي للمكوس بقوله « وقد عمت البلوى بهذه المكوس وخرجت في التزايد عن الحد ودخلت الشبهة في أموال الكثير من الناس بسببها»^(٣) من أثر على حركة الأسواق المملوكية وأصابها بالضرر ولجأ التجار إلى الهرب وغلقت الأسواق ، مما نتج عنه انكماش حركة التجارة ومن هذه الأمور سياسة طرح البضائع (البيع الإجمالي) على الأسواق تقوم فكرة طرح البضائع التي كانت تختلف وتتنوع كثيراً ما بين الأبقار والأقمشة والثياب والفرايج والزيت والعسل والسكر والصابون وغيرها وكانت

(١) المكوس هي الضرائب أو كل ما يتحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفي الدولة خارجاً عن ما أقره الشرع من الخراج والعشر وغيره من الموارد الشرعية ، وتسمى المكوس أيضاً بالهلالية تمييزاً لها عن المال الخراجي الذي يجبي مسانهة «أي سنوية» ، أما المكوس فهي طارئة تستأدى مشاهرة ، وفي معناها الواسع تدل على ضريبة غير مباشرة تفرض على البضائع وكل شئ عند وروده إلى المدن ، كما كانت مقررة على البيوت والحوانيت والحانات والحمامات والأفران والطواحين والبساتين والمراعي ومصائد الأسماك والمعاصر والحجاج المسافرين والمراكب والثروة الحيوانية والأفراح والفواحش ، إبراهيم على طراخان : حاشية على كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ، ج ١٥ ، ص ١٢١ ، حاشية (٥) ، بتصرف ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) ما يلزم أداءه تأديباً أو تعويضاً ، وهي شكل من أشكال المصادرات لأن الغرامة والمصادرة وجهان لعملة واحدة ، وتختلف عن المكوس في كونها عارضة وكانت العامة تسميها بالعوارض ، البيومي إسماعيل الشربيني : مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية ، عصر سلاطين المماليك ، سلسلة تاريخ المصريين (١١٠) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ج ١ ، ص ٢٩ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ٤٦٦ .

هذه البضائع تتوفر للدولة من الهدايا الواردة صحبة السفارات ، أو من الأسلاب والغنائم التي تغنمها الحملات التأديبية ، وكانت الدولة تلزم التجار بتسديد أثمانها في الحال ، مما سبب لهم متاعب مالية ، وكانت أحد عوامل انكماش حركة الأسواق الداخلية وارتفاع الأسعار^(١) .

ونقوش المراسيم الكثير منها يشير إلى إبطال طرح الغلال أهمها إبطال طرح السكر المتحصل من الأغوار وهو ما يشير إلى زراعة وصناعة قصب السكر في بلاد الشام إبان عصر المماليك فقد اشتهرت بها منطقة الأغوار بالأردن^(٢) ، نظراً لوفرة الماء من الأنهار حيث نهر الأردن الكبير الذي يمر من بنياس في الشمال حتى يصب في البحر الميت ، وكذلك نهر الشريعة «نهر الأردن الصغير» وهما يسقيان الغور وضياعه فتكثر زراعة قصب السكر ، ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشام ، كما قال ياقوت الحموي «وأكثر ما يزرع فيه قصب السكر» وقد عرف بالتجربة أنه لا يوجد أرض بالشام صالحة لهذه الزراعة نظير الغور ، وكان به معامل للسكر كما هو الحال بجنوب مصر^(٣) ، كما كان بدمشق مطابق للسكر ،

(١) قاسم عبده قاسم ، عصر سلاطين المماليك ، التاريخ السياسي والاجتماعي ، مطبوعات الهيئة العامة

لقصور الثقافة (٢٤) ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٢٤٤ .

(٢) الأغوار أو غور الأردن وهي المنطقة الشرقية من المملكة الأردنية ، حول البحر الميت على حدود فلسطين -فك الله أسرها- عينه ياقوت الحموي قائلاً «موضع بالشام بين بيت المقدس ودمشق وهو منخفض عن أرض دمشق وبيت المقدس ولذلك سمي بالغور ، طوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم ، فيه نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة ، وعلى طرفه طبرية وبحيرتها ومنها مأخذ مياهها وأشهر بلاده بيسان بعد طبرية ، وجوه شديد الحر غير طيب الماء ، وأكثر ما يزرع به قصب السكر» ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

(٣) محمد كرد علي ، معامل السكر في بلاد الشام ، مقال أعيد نشره في كتاب دمشق مقالات مجموعة ، سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام (٥) ، دار قتيبة ، دمشق ، ١٩٨٥م ، ص ١١٠-

وكان لها وظيفة تسمى نظر مطابخ السكر^(١) كما في المرسوم المنقوش على أحد أعمدة الباب الغربي للجامع الأموي بدمشق تاريخه (آخر ذي الحجة ٨٣٦هـ/أغسطس ١٤٣٣م) شكل (٣) ونصه على النحو الآتي :

- ١ . بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢ . لما كان بتاريخ سلخ ذى الحجة سنة ست وثلاثين وثمان مائة ألقى الله تعالى
- ٣ . في الخواطر الشريفة السلطانية مولانا السلطان الملك الأشرف
- ٤ . أبو النصر برسباى خلد الله ملكه النظر في مصالح الرعايا فوجد المهم
- ٥ . من ذلك ما يباع على أهل دمشق من السكر المتحصل من الأغوار
- ٦ . للديوان الشريف وأن ذلك يضر بحالهم فبرزت المراسيم الشريفة
- ٧ . إلى المقر الأشرف مولانا ملك الأمرا السيفى شارقطللى كافل المملكة
- ٨ . الشريفة بالشام المحروس أعز الله أنصاره على يد الفقير إلى
- ٩ . الله تعالى محمد ابن المزلق عفا الله عنه بإبطال هذه المظلمة عنهم وأن
- ١٠ . لا يباع عليهم شئ من السكر مدا الدهر وأن ينقش ذلك في الجامع الأموي

- ١١ . وعلى باب القلعة المنصورة وعلى باب دار العدل الشريف وأن يعفوا من
- ١٢ . ذلك رجا لعفو الله تعالى واستمراره أبد الأبدين إلى أن يرث الله الأرض
- ١٣ . ومن عليها وهو خير الوارثين فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين
- ١٤ . يبدلونه إن الله سميع عليم ولعنة الله والمليكة والناس أجمعين
- ١٥ . على من يعتمد إهمال هذا أو يسعى فيما يخالفه وصلى الله على محمد وآله

١٦ . وصحبه وسلم^(٢)

(١) الفلقلشندی : صبح الأعشى ، ج ١٢ ، ص ٣٩٠ .

(2) Sobernhim, op.cit, N° 9, P. 122.

وكانت تفرض مكوس على بيع الاصناف المختلفة من المنتجات الزراعية من الخضر والفاكهة والسلع المرتبطة بالإنتاج الحيواني على المسالخ والمصايغ والجلود ومن يعمل بها وغيرها من مصادر الدخل ومكوس كثيرة وردت في نقوش المراسيم منها نقش لمرسوم بالجامع الأموي بدمشق لإبطال المكوس عن أطعمة وبضائع وحرف بدمشق تاريخه (١٨ المحرم ٨٥٢هـ / أبريل ١٤٤٨م) شكل (٤) ونصه على النحو الآتي :

- ١ . بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على سيدنا
- ٢ . محمد وآله وصحبه أجمعين لما كان بتاريخ ثامن عشر المحرم سنة اثنين وخمسين وثمان مائة أمر
- ٣ . مولانا السلطان الملك الأعظم أبو سعيد جقمق بإبطال المكوس المتعلقة
- ٤ . بالدولة الشريفة بدمشق المحروسة وهي فرع الدباغة وفرع القماش الحمصي وفرع
- ٥ . الأردنية وفرع القطن وفرع الخيار والباذنجان وفرع البياض وعرفة المكارية
- ٦ . والحمالين ومصبغة القطن بمسجد القصب وفرع الجبن التركمانى والصنارى وفرع الأشنان^(١)
- ٧ . وفرع الحبالين وفرع القريشة وفرع الحدادين (و) حلقة الزيت قيسارية الشرفى اللقرط (?)
- ٨ . وجهة بعلبك وفرع اللبن الياغرت وفرع الدهنية وفرع القلى وفرع المسالخ وربع

(١) الأشنان والقلى وهو سائل يستخدم في تنظيف الثياب والأيدي والأواني وهو يشبه الصودا الكاوية ، وكان يسمى أيضاً بالحُرص ويقال له أيضاً الفسول والقلى ويصنع من شجرة الأشنان ، أو الخريزى وهي من الأشجار الحمضية تحرق وهي رطبة ثم يرش الماء على رمادها فينعقد ويصير قلباً ، ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ١٨ ، بتصرف .

٩ . الوكالة وتلثين الزكاة وصوف الجز وفرع القلقاس وفرع جلود الجواميس خارجا
عن ما

١٠ . و في ديوان النيابة بدمشق المحروسة والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على سيدنا محمد

١١ . وملعون بن ملعون من يسعا في تجديده^(١) .

ومن المكوس التي كانت تفرض على مصادر الدخل مشاهرة الحسبة أو مقرر الحسبة وهي ضريبة شهرية تجبى عن طريق المحتسب وتورد لديوان النظر «بيت المال» أو لديوان النيابة كانت تفرض على كافة أوجه النشاط الاقتصادي والصناعي وكافة الأنشطة التي كانت ضمن اختصاصات المحتسب مثل الأسواق والحوانيت والتجار والمتسببين وأصحاب الحرف والصناعات كالحبازين والطحانين وأرباب المعاش والحمالين لأموال المسلمين وعلى سكان الأوقاف^(٢) وذلك نظير مزاولة البيع والشراء في الأسواق والاتجار في أسواق وأقاليم الدولة ، منه مرسوم منقوش علي أحد أعمدة المدخل الغربي للجامع الأموي بدمشق لإبطال والقدموم (هي إتاوات تجبى لصالح النواب أو أرباب الوظائف عند قدومهم) ومشاهرة الحسبة عن أهل الأسواق وعن الطواحين وغيرها (الجمعة ١٨ ربيع الأول ٨٦٣هـ / ٢٤ يناير ١٤٥٩م) شكل (٥) ونصه على النحو الآتي :

١ . بسم الله الرحمن الرحيم

٢ . لما كان بتاريخ نهار الجمعة المبارك ثامن عشرين

٣ . شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثمان مائة برز المرسوم

٤ . الكريم العالی المولوی الكافلی السیفی قانباى

(1) Sobernhim, op.cit. cit., n°5, p.117

(٢) سهام مصطفى أبوزيد ، الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر المملوكي ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٥٢-٥٣ .

- ٥ . الحمزاوي الأشرفي كافل المملكة الشريفة
- ٦ . الشامية أعز الله أنصاره بإبطال المقرر للحسبة
- ٧ . على الأسواق والطواحين وغيرها بدمشق
- ٨ . من التجار والوصايفية والصنایعية والمتسببة وغيرهم
- ٩ . وأن لا يؤخذ منهم درهم الفرد لا مشاهرة و
- ١٠ . لا قدوم وملعون ابن ملعون من يجده
- ١١ . أو يسعا في تجديده وعليه لعنة الله والملائكة
- ١٢ . والناس أجمعين والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (٥٥)

ومن السياسات الاقتصادية التعسفية تحكير أو تحجير البضائع وهو منع بيع السلع حتى يبيع السلطان أو الكافل بضاعته ، أو هو منع شراء السلع إلا من المتجر السلطاني ، وهو أيضاً منع دخول البضائع المجلوبة إلى داخل المدن وشرائها لجهة الدولة بثمان رخيص ، وبيعها بالمدن بأثمان باهظة ومنها مرسوم كان منقوشاً بمدخل الباب الغربي للجامع الأموي بدمشق تاريخه جمادى الأولى ٨٨٢هـ/أغسطس ١٤٧٧م) شكل(٦) نصه على النحو الآتي :

- ١ . رسم بالأمر الشريف السلطاني الملكي الأشرفي أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه وثبت
- ٢ . قواعد دولته الشريفة عند حلول ركابه الشريف بالمملكة الشامية أن يبطل التحكير على
- ٣ . البضائع الذي تدخل إلى دمشق المحروسة من الزيت والسمن والعسل والتمر والشرائح و
- ٤ . والليمون والخيار والتين والفحم والقلقاس والقصب والبادنجان والسّمك

وجميع البضائع

٥ . و أن لا يؤخذ غير ذلك وينزلوا حيث يختاروا ومنع الخطابة من قطع الأشجار من البساتين إلا بئمنها (١) .

ومن المغارم التي ورد ذكرها في النقوش الكتابية موضوع الدراسة الدورة هي نوع من التقادم «الهدايا الجبرية» كانت تجبى عند خروج السلطان أو النواب أو الأمراء أو الولاة إلى الأقاليم وكانت تعرف أيضاً بالسرحة حيث كان للسلطان أو غيره من أرباب الوظائف والولاة سرحاتهم لتفقد البلاد أو للنزهة والصيد فيقدم لهم الأهالي شيئاً من قبيل الضيافة ، ثم صارت فرضاً مفروضاً ، تؤخذ كل عام سواء خرج السلطان إلى ذلك الإقليم أم لا فأصبحت عادة لا بد منها يخرج الأمراء لجمعها في حالة عدم فراغ السلطان وسميت بالدورة لأنها كانت تجبى بصفة دورية كل عام وفي مواعيد محددة ، ومن النقوش مرسوم منقوش بالجامع الكبير بحماه تاريخه (٢ شعبان ٨٩١هـ / ٤ أغسطس ١٤٨٦م) صدر لإبطال الدورة عن قرى معرة النعمان وفلاحيتها ونصه على النحو الآتي :

١ . لما كان بتاريخ نهار الخميس ثانی شعبان المكرم سنة أحد وتسعين وثمان مائة برزت المراسيم الكريمة العالية المولوية المالكية المخدمية السيفية سيباى الظاهرى الأشرفى مولانا ملك الأمرا كافل المملكة الشريفة الحموية أعز الله تعالى أنصاره

٢ . وقدره على فعل الخيرات وأعانه بإبطال ما جدد على بلاد المعرة وفلاحيتها من الدورة للكفمال بحماة وأن تسطر هذه المثوبة في الصحائف الشريفة

(1) Sauvaget, J., Décrtes Mamlouks de Syria, Bulletin d'Etades orientales, X11, 1948, no 42.

- والكرمة نظرا في حال الرعية وعمارة البلاد ابتغاء
٣ . مرضات الله تعالى وطلبا لثوابه والملعون من يجدد ذلك
٤ . أو سعى في إعادته وعفى لمن كان السبب في ذلك (١)

ومن المغارم التي وردت في النقوش المذكور الحماية وهي مغارم يفرضها السلطان أو الأمراء أو ذوى الجاه على أوجه النشاط الزراعي والصناعي والتجاري نظير ما يقومون به من حماية الشخص الذي يدفع هذا المقرر (٢) وكذلك وردت بالنقوش إبطال المصادرات منها مرسوم على أحد أعمدة قبة الخزنة بالجامع الكبير بحماه لنقل حماية قرية كازو التابعة لحماه والتي كان تتمتع بالحماية من «الأمير أخور» وهي وظيفة جلييلة بالنيابة يتولاها أمير جليل وكانت حماية القرية تحميها من فرض المكوس والمصادرات وينص المرسوم على نقل الحماية إلى ديوان النيابة ورفع قيمة الحماية تبعاً بأربعين مكوكاً من الغلال (مكيال للحبوب) تاريخه (٤ ربيع الأول/٩٠٤هـ/٢٠ أكتوبر ١٤٩٨م) شكل (٧) ونصه على النحو الآتي :

- ١ . لما كان بتاريخ رابع شهر ربيع أول سنة أربع وتسعمائة
 - ٢ . برز مرسوم كريم بنقل حماية كازو من أمير أخور إلى
 - ٣ . حماية الديوان السعيد وقرر على القرية المذكورة
 - ٤ . كل سنة أربعين مكوك شعير وكان على القرية المذكورة حماية أمير أخور
 - ٥ . كل سنة عشر مكاكى شعير وردت المراسيم الكريمة أن يؤخذ من
- الحاصل

(1) Sauvaget, J., *Décrites Mamlouks de Syria*, Bultetin d. stades. orientales, 1998, BEO.III, no 18, pp.3-4.

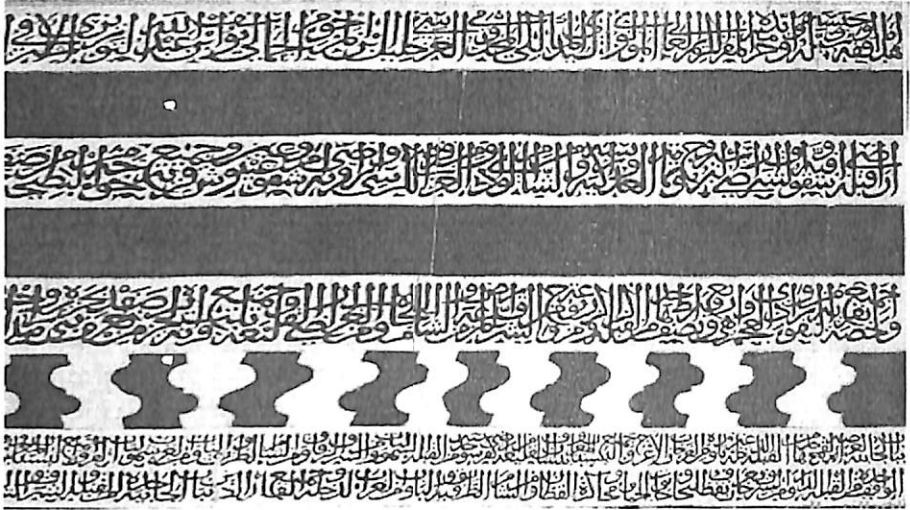
(٢) إبراهيم على طراخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٤٧٩.

٦ . برسم أمير آخور عشر مكاكى شعير عوضا عن ذلك الملعون بن ملعون إلى يوم القيامة من يجدد ذلك^(١) .

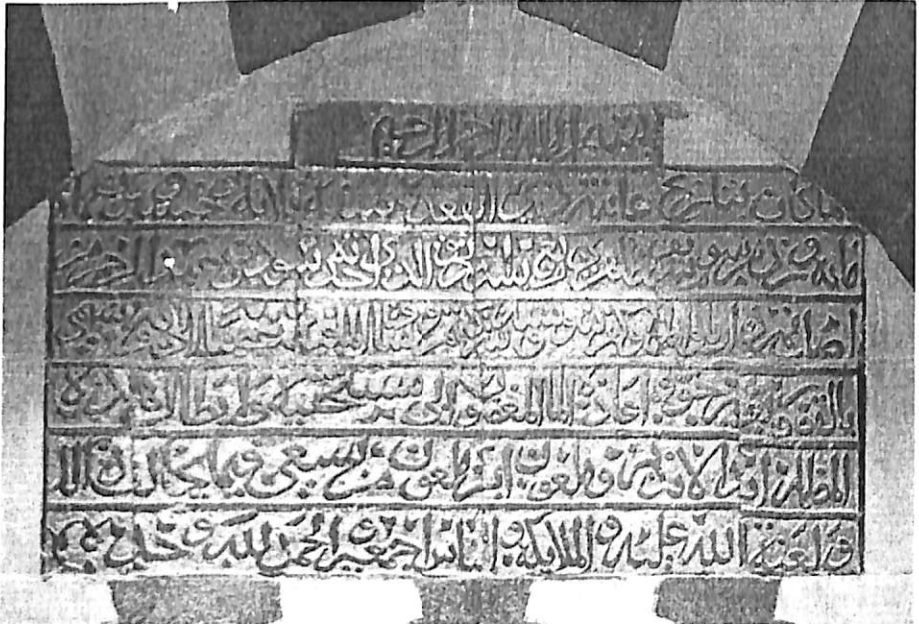
وفي الخاتمة تبرز أهمية النقوش الكتابية تعتبر النقوش الكتابية مصدرا أصيلا وخصبا لدراسة تاريخ بلاد الشام في العصر المملوكي وذلك من خلال ما يرد من معلومات قلما وجدت في المرويات التاريخية ، تكتسب النقوش الكتابية موضوع الدراسة أهمية كبرى من الناحية الجغرافية من خلال ما يرد بها من أسماء الأقاليم والتقسيم والقرى والأسواق والمعاصر والحوانيت والقيساريات والخانات والأنهار والجبال والجسور والبلاد والبقاع والبيوت والأسبلة ومجارى الأنهار والبساتين والقاعات والقصور والقبور والمشاهد والميادين والمعالم والقلاع والمدن والطباق والشوارع والخطط والدروب والرباع والجوامع والمساجد والخوانق والمدارس وغيرها ، وتتعاظم أهميتها حين نعلم أن كثيرا مما ورد ذكره بها قد دثر مع الأيام .

(1) Van Berchem-Von Oppenheim., Arabische inschriften, Inschriften aus Syrien, Mesopotamin, und Kleinasien, Leipzig, 1909, n°28, Tafell, III.

اللوحات والأشكال

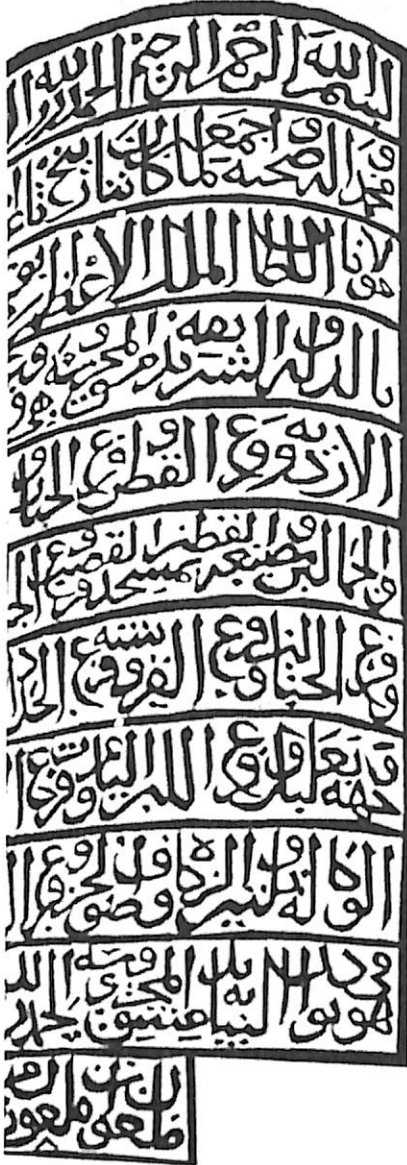


شكل (١) جزء من نقش وقفية جامع التوريزي بدمشق (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)



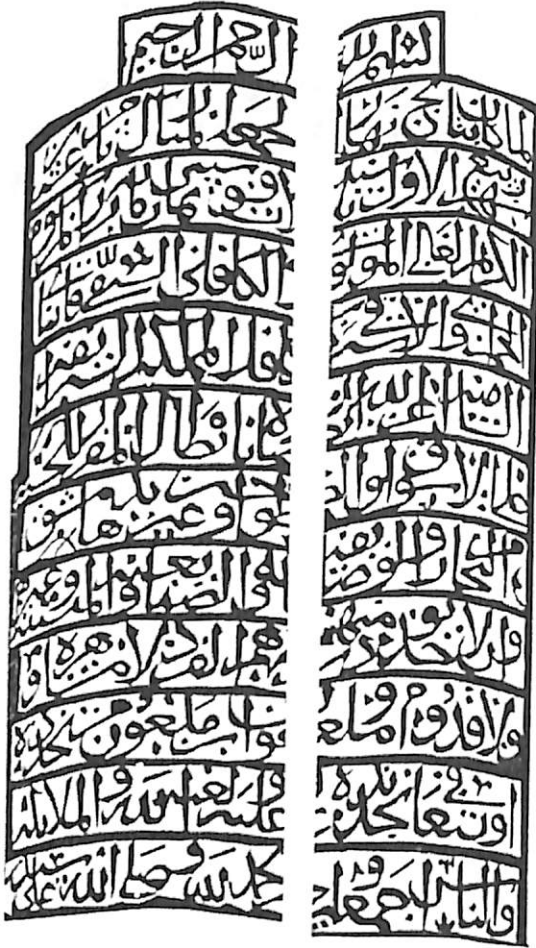
شكل (٢) نقش لمرسوم بالجامعة الكبير بكفر سوسة لإبطال الجبايات عنها تنفيذاً

لمراسيم سلطانية بهذا الشأن (ذي القعدة ٨٢٤هـ/نوفمبر ١٤٢١م)



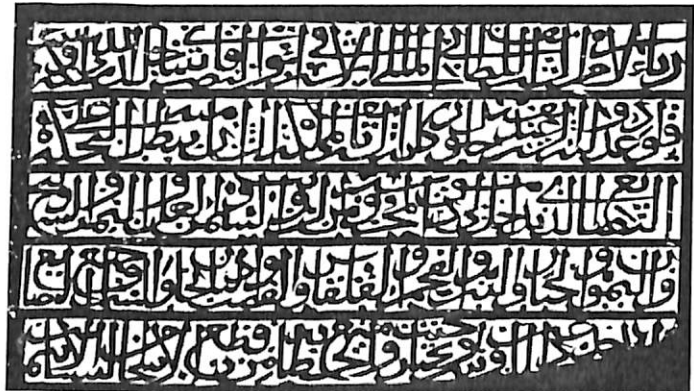
شكل (٣) نقش لمرسوم بالجامعة الأموي بدمشق لإبطال طرح السكر على أهل دمشق (آخر ذي الحجة ٨٣٦هـ/ أغسطس ١٤٣٣م)

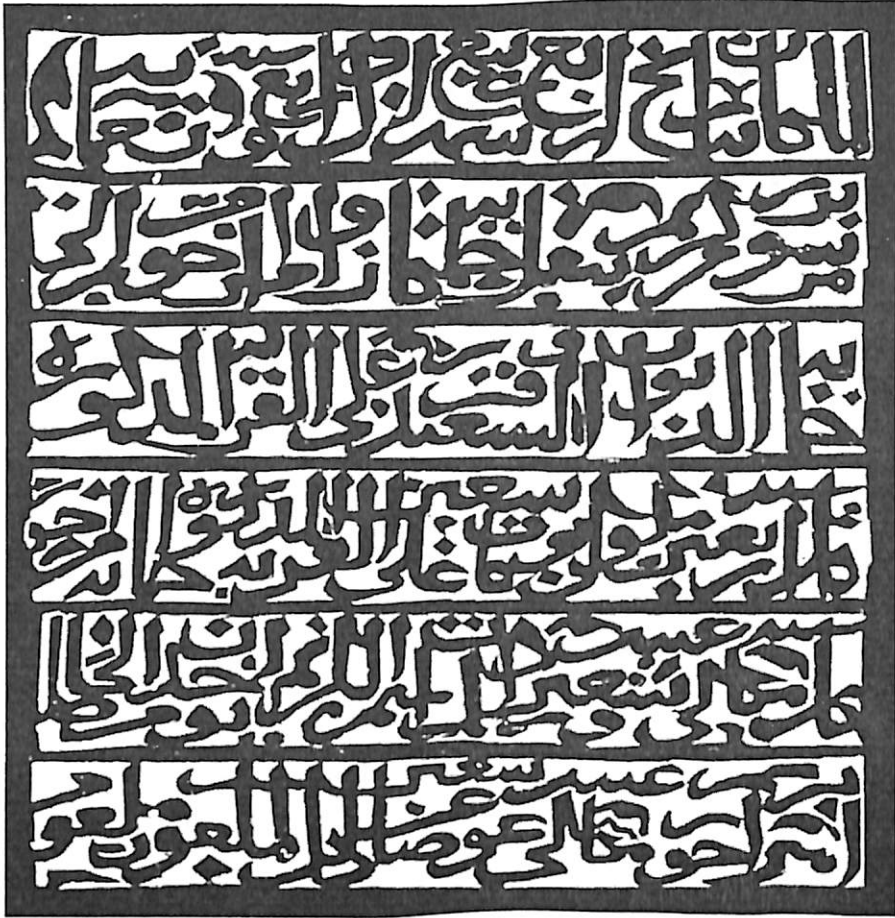
شكل (٤) نقش لمرسوم بالجامعة الأموي بدمشق لإبطال الضرائب عن أطعمة وبضائع وحرف وصناعات بدمشق (١٨ المحرم ٨٥٢هـ/ أبريل ١٤٤٨م)



شكل (٥) نقش لمرسوم بالجامع الأموي بدمشق لإبطال مقرر الحسبة (المشاهرة والقدوم) عن أهل الأسواق وعن الطواحين وغيرها (الجمعة ١٨ ربيع الأول ٨٦٣هـ/ ٢٤ يناير ١٤٥٩م).

شكل (٦) نقش لمرسوم بالجامع الأموي بدمشق لإبطال حجر دخول البضائع المجلوبة إلى المدينة (جمادى الأولى ٨٨٢هـ/ أغسطس ١٤٧٧م) ..





شكل (٧) نقش لمرسوم بالجامع الكبير بحماة لنقل حماية قرية كازو من أمير آخور إلى ديوان النيابة ورفع قيمة الحماية تبعاً لذلك (٤ ربيع الأول ٩٠٤هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٤٩٨م) .

الزراعة في بلاد الشام في عصر المماليك
من خلال مصادر مخطوطة
٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م

عمار محمد النهار(*)

المقدمة:

امتد عصر المماليك بين عامي ٦٤٨-٩٢٣هـ = ١٢٥٠-١٥١٧م منذ سقوط الأيوبيين إلى مجيء العثمانيين . ومنذ تأسيس دولة المماليك وحتى مقدم العثمانيين عام ٩٢٣هـ = ١٥١٧م حكم المماليك أكثر من (٢٧٥) عاماً ، انقسموا خلالها إلى دولتين هما : الدولة البحرية ومؤسسها عز الدين أيبك ، وحكمت نحو (١٣٥) عاماً بين سنتي ٦٤٨-٧٨٤هـ = ١٢٥٠-١٣٨٢م ، وكلمة البحرية أطلقت على طائفة من المماليك قبل تأسيس دولتهم ، وهذه الطائفة هي التي أسكنها سيدها الصالح نجم الدين الأيوبي بقلعة الروضة في نهر النيل فعُرفوا بالبحرية ، وصاحبهم هذا الاسم .

والدولة الثانية هي دولة المماليك الجركسية ، وأصل ملوكها من بلاد الجركس ، لذلك سمو بهذا الاسم ، وسموا باسم آخر هو البرجية ، لأن المنصور قلاوون عندما أكثر من شرائهم حتى بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف وسبعمائة أسكنهم في أبراج قلعة الجبل ، وقد استمرت هذه الدولة قرابة (١٣٩) عاماً ،

(*) قسم التاريخ ، جامعة دمشق / الجمهورية العربية السورية .

ويعد مؤسسها الظاهر برقوق العثماني الجركسي^(١) .

لقد اعتمدت دولة المماليك على موارد مالية كبيرة ، نتجت عن اقتصاد سليم ، اعتمد على صناعة قوية وزراعة متنوعة وتجارة عالمية^(٢) . ولذلك اهتم سلاطين المماليك بالزراعة كثيراً لأنهم أدركوا أهميتها ، فنالت عناية كبيرة ، وأقاموا إصلاحات عديدة كعملية الروك (إعادة حصر الأراضي الزراعية وقياسها وإثباتها في سجلات الديوان) وبناء الجسور وشق الترع ؛ لما لها من فائدة في تطوير الزراعة^(٣) .

تقول المؤرخة الأمريكية إيسن أتبول (Esin Atule) مبيّنة قوة دولة المماليك الناجمة عن اقتصادها القوي : «لقد أسس المماليك دولة تمتعت بنظام جعلها تتمتع بالقوة والاستقرار مع كل الظروف الصعبة ، وكان أهم الأسس التي سبّبت هذا النجاح الثراء الواسع للدولة المتحصل من مختلف الضرائب المفروضة على التجارة العابرة لبلاد الشام ومصر وعلى الأراضي الزراعية والخدمات البلدية

(١) أحمد بن علي المقرئزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : الخطط ، مجلدان ، ، دار صادر بيروت ، ١٩٨٠م ،

ج ٢ ، ص ٢٤١ . وسيُشار إليه عند وروده فيما بعد بـ المقرئزي : الخطط . أحمد بن علي المقرئزي :

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٦ مجلدات ، صححه ووضع حواشيه أحمد زيادة ، مطبعة لجنة

التأليف ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٢) أحمد غسان سبانو : نظام الحكم والإدارة في بلاد الشام في العصر المملوكي ، أطروحة دكتوراه ،

جامعة دمشق ، ٢٠١٠م . ص ٤٢٦ .

(٣) انظر عن ذلك المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٨٧ - ٨٩ ، ج ٢ ، ص ١٦٥ - ١٧١ . محمد بن أحمد بن

إياس (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٥ مجلدات ، تحقيق : محمد مصطفى ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ . عبد الرحمن

بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) : تاريخ ابن خلدون مع المقدمة ، ضبط وحواشي خليل شحادة ، ،

دار الفكر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٨م . المقدمة ، ص ٦٤٠ .

والمنتجات الزراعية وغيرها»^(١) .

ولقد تحدثت مصادر مملوكية عديدة عن الزراعة ، وأغلبها خص الديار المصرية في هذا الموضوع ، فلم تكن الكتابات عن بلاد الشام بحجم ما كُتِبَ عن مصر ، ومع ذلك وُجِدَت مصادر متعددة تحدثت عن الشام وزراعتها وثروتها المائية ، وقد حاولت هنا استقصاء أهمها ، وجهدت أن أقدم مصادر مخطوطة لم تظهر من قبل ، وكان ذلك من خلال ثلاثة مخطوطات .

وعملت في هذه الدراسة على تتبع المعلومات المتعلقة بعنوان البحث في هذه المخطوطات والتقاطها ، وتبويبها أو ترتيبها أو تحليلها أو وصفها . . . ، فطبيعة الموضوع جعلت المادة العلمية تتحكم بمنهجي وأسلوبه ، وليس العكس .

أما المخطوطات الثلاثة ؛ فهي :

- ١- مخطوط : الفلاحة المنتخبة ، لطبيغا الجركلمشي التمارتمري .
- ٢- مخطوط : نزهة النفوس والأفكار في خواص النبات والحيوان والأحجار ، لابن داود .

- ٣- مخطوط : ضرب الحوطة على جميع الغوطة ، لابن طولون الصالحي .
- وقد بذلت ما أمك من جهد ، عسى أن أقدم ما هو نافع ، وما هو معين لمن يريد المتابعة أو التوسع أو التوثق .

وقبل البدء بدراسة هذه المخطوطات ، أُشير إلى قول الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الذي زار المشرق العربي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي : «إنني لم أجد مثل فاكهة دمشق وأشجارها في العالم»^(٢) ، وهو قول ستعكسه مضامين المخطوطات الآتية .

(1) Atule (Esin) : Art of The Mamluks. Smithsonian Institution, Washington, D. C. 1981 pp.

12-21.

(٢) بنيامين التطيلي (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) : رحلة بنيامين ، ترجمة عزرا حداد.

تحقيق عبد الرحمن الشيخ .المجمع الثقافي .أبو ظبي ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٧٠ .

أولاً - مخطوط: الفلاحة المنتخبة، لطيبغا الجركلمشي التمارتمري (القرن الثامن الهجري).

ذكر اسم المؤلف «طيبغا الجركلمشي التمارتمري»، وهو من علماء القرن الثامن الهجري^(١). ولم أقف على أي ترجمة له في جميع المصادر المتوفرة بين يدي.

المخطوط مهم جداً، إذ فيه تفاصيل كثيرة عن الخبرة الزراعية بتشعباتها المتعددة، وفيه عن زراعات بلاد الشام الشيء الكثير أيضاً، كما سيأتي في دراسته. وتوثيقه ومصدره (دار الكتب المصرية، زراعة ٣٨).

يبدأ طيبغا الكتاب بما يلي: «هذا كتاب الفلاحة المنتخبة في أفلاح الأراضي والزروع، وغرس الأشجار وتدبيرها، وعلاج أدوائها، وصرف المهالك عنها، وذكر ما فيها من المنافع والمضار لأبناء البشر، وتركيب الشجر وأكل الثمار وتجريدها، وغير ذلك من المنافع والخواص، وذكر الأزمنة والفصول الأربعة».

ثم يبين غايته من تأليف هذا الكتاب بقوله: «فإن الحاجة إلى علم الفلاحة ماسة، لأننا نجد النبات... قد ينمو أو يزيد إلا أنه لا يكون مثل الذي يتخذه الفلاحون ويقومون عليه ويعالجون من العاهات العارضة له بالمدارات التي عُرفت بالتجارب واستخرجت بالقياس وحصلت بالوحي والإلهام؛ كالحرث والغرس والكسح واللقاح والتزليل والتسبيح وإزالة ما يضرها من الحشائش المؤذية لها، وغير ذلك من الأوقات الموافقة لشيء من ذلك، ومتى تُغوفل عن شيء من

(١) طيبغا الجركلمشي التمارتمري (القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي): الفلاحة المنتخبة،

المخطوط، دار الكتب المصرية، زراعة ٣٨، ورقة الغلاف الأولى من المخطوط، وسيُشار إليه عند وروده

فيما بعد بـ طيبغا: الفلاحة المنتخبة. وانظر كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ٩ ج، ترجمة

عبد الحلیم نجار وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م، ج ٦، ص ٥٦٦؛ وسيُشار إليه عند

وروده فيما بعد بـ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي.

الأمر التي يجب مراعاتها كان الفساد بحسبه»^(١) .

والأهم في هذا المخطوط أن طيبغا اتبع فيه منهجاً علمياً سليماً ، حيث اطلع على الكتب المختصة عن ذلك ، ثم مارس وجرب الزراعة بنفسه ، يقول : «ولما وقفت على فلاحه ابن وحشية وفلاحه الروم وغير ذلك ، وزرعت وغرست وجربت واطلعت على منافع وعجائب وغرائب لا ينبغي لعاقل أن يفرط في مثلها ؛ فرأيت أن أحرر لنفسي وطن ولمن شاء مختصر ، يحتوي على ما يحتاج إليه من له رغبة وعناية بهذه الصناعة التي هي أفضل الصنائع» .

أما أسلوبه في كتابته فكان بتقسيمه إلى «مقدمة وأبواب»^(٢) .

وقد ضمن المقدمة عدة فصول : فصل عن الأرض المختارة للزراعة شروطها وصفاتها ، وفصل عن الأرض المتعرضة للشمس ، وفصل عن الأراضي الفاسدة ، وفصل عن احتباس الأمطار^(٣) .

أما الأبواب فكانت على النحو الآتي:

١- باب الماء : وذكر أهميته بالنسبة للأراضي ، وأفضل المياه لها ، وما ذكره : «باب الماء ؛ اعلم أن الماء مقيم الحياة لكل حيوان ونبات ، يحفظ الرطوبة الأصلية التي هي مركب الحرارة الغريزية ، ويبرد الأحشاء ويعينها على الهضم . . . ويقوم قوى الأبدان . . . وطبعه أن يكتسب بما يمر به أو يقف عليه ، فهو يختلف إلى طعوم كثيرة بحسب ما يخالطه ، إما من أصل منبعه أو غيره ، وجميع طعوم الأراضي فمثلها في الماء ، ويزيد عليها بما يقبلها المطر من السحاب ، وهو أيضاً بحسب البخار الصاعد من الأرض مع ما فيه من

(١) طيبغا : الفلاحة المنتخبة ، المخطوط ، ورقة ١ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٢ .

عفونة الرطوبة . وأفضل المياه الجاري على تربة نقيّة ، البعيد المنيع المنكشف لحرارة الشمس وبرد الهواء»^(١) .

ومن خلال هذا الباب تحدث عن الرياح وأنواعها وفوائدها ومضارها^(٢) .

٢- باب أوقات الغرس والزراعة على الشهور الشمسية ، وفيما يخص الشام ، تحدث هنا طبيغا عن ما يأتي :

أوقات الزراعة فيها ، ووقت التقاط الزيتون ، ورش الأشجار بالماء البارد^(٣) ، ونضوج الدراقن والسفرجل .

وزمن قطع الخشب كي لا يُسوس .

ومواسم نضج الأترج والرمان والبلح والليمون والتفاح والسفرجل والكمثرى^(٤) .

وسقوط ورق الأشجار في أول أربعانيات الشام^(٥) .

وذكر وقت زراعة قصب السكر بالشام أيضاً^(٦) .

ونختار مما ذكره في هذا الباب قوله : «اعلم أن ليس لكل المنابت يكون بكل بلد ، وكل نبت يختص بالبلاد الحارة يضره البرد ولا يكون بالبقاع الباردة إلا نادراً ، وإذا وُجد فيها كان ضعيفاً ومحتاجاً إلى التعاهد والحفظ أوقات البرد . والنبات المختص بالبلاد الباردة بالعكس من ذلك ، فلزم أن يزرع كل نبت في الوقت الذي إذا نبت وهو ضعيف يجد زماناً يعيش فيه حتى يشتد ويقوى .

(١) طبيغا : الفلاحة المنتخبة ، الورقتان ٨ ، ٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٢ .

(٣) المصدر نفسه ، الورقتان ١٣ ، ١٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ورقة ١٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ورقة ٢١ .

وغرس الشجر ؛ أما في الأماكن الحارة من أول تشرين الآخر إلى عشرين كانون الأول ، وفي الأماكن التي هي أبرد وأرطب من أول شباط إلى أواخر آذار كان أجود ، وأما الشهور الشمسية فالاعتماد عليها في الزراعة وشرب الدواء واستنتاج الحيوان .

وقوله : «يلقط الزيتون بالشام ، وفي هذا الوقت ينبغي رش الشجر بالماء البارد بالقرب من مغيب الشمس ، وفيه يعمل فتايل من شعر الماعز الأسود والأبيض وحيوط ويشد بها أغصان الكرم الذي لحقها اليرقان وقضبائها ، وبعد الشد يرش عليها الماء البارد تبرئ ، وإن هب مع ذلك ريح كان أكمل . وفي هذا الشهر يكون بمصر البلح والرطب والرمان والموز وبقية التين وزهر السنط والغاب الأخضر ، ويجيء الدراقن والسفرجل من الشام» .

وقوله : «من هذا اليوم وهو رابع وعشرين تشرين الأول إلى حادي عشر شباط . . . ومن زرع من أيام من بابه القمح والشعير والبقول نجب ، ويغرس الزيتون واللوز والجوز والفسق ، وينبغي أن يصب في أصول الكرم أبوال البقر المعتق والجمال بعد إذ يحفر حول الشجرة حفائر برفق ، ويلقي فيها تراب مخلوط بزبل الحمار والبقرة والغنم . . . وثامن وعشرين منه بدو زرع الشام ، وفي هذه الشهر يجيء بذرة الأترنج ، ويكثر الرمان والبلح والبسر والليمون ، ويجيء السفرجل والتفاح والكمثرى من الشام»^(١) .

وتحدث عن أوقات الزراعة وخاصة بالشام ، فقال : «خامسه أول آذار . . . أوان زرع القصب السكر والقطن والباذنجان والخشخاش ، وآخر غرس الكرم والنارنج والليمون ، ويكثر زهر النارنج والبان وسابعه آخر المستقرضات ، وتاسعه يطلع سعد الأخبية مع الفجر ، ويحضر دود القز ويزرع السمسم ، وفي ثاني عشره يزرع المقات بالخراير وتفتح عيون الحيات ، وثالث عشره أول فصل الربيع وتنزل الشمس برج الحمل ويزرع الفستق والبندق والتوت

(١) طيبغا : الفلاحة المنتخبة ، المخطوط ، الأوراق ١٣ - ١٥ .

والمشمش ، ويطعم بعيون الشجر ويركب غصونه وفروعه وهو الثوت الأبيض والمشمش . . . ويزرع في هذا الشهر الجوز إلى عشرين يوم منه وقبله بعشرة أيام ، وصفته أن يحفر في أرض ندية صلبة طاهرة ، ويرمى فيها من جوزتين إلى خمسة ، ويطعم بالتراب عليها ويزيد سقيه ، ويترك مكانه حتى ينبت ، ويوافقها الماء الحار سقياً ورشاً ، وإن أضيف إليه دم جمال كان أبلغ ، وكل الدم ينفعها ويضر الزبل جميعه ، قال وإذا تتابع هبوب ريح الشمال من أول آذار إلى عشرة من نيسان ولم تهب جنوب سلمت الفواكه من الأدواء والدود ، وسابع وعشرين منه يزرع القصب السكر بالشام»^(١) .

٣- باب شجر الزيتون ، وتحدث عن كيفية غرس هذه الشجرة ، وسقيها وكل ما يتعلق بذلك ، ثم تحدث عن منافع الزيتون^(٢) .

ونختار مما ذكره هنا قوله : «باب شجر الزيتون ؛ غرس الزيتون إما أصول فيها عروق أو أغصان محذوفة على استواء ، من حين تنزل الشمس النصف الآخر من الحوت إلى كونها في أول من الثور ، وينبغي أن يكون القمر متزايد الضوء إما في بيتي زحل أو ناظر إليه بعض المناظرات ، وأن يتولى الغرس أسمر اللون أو أسود ، وسنه من الثلاثين إلى الشيوخية ، فهو أعون وأوفق ، وليحفر الحفاير ويقطع لها الأرض ويصب الماء ثم يغرسها ويردم التراب ، ويكبس التراب برجله حول الغرس كبساً خفيفاً ، يسويه ويمسكه ، ثم يسقيه ثاني يوم ، ثم يستمر السقي على العادة فإنها تحمل بعد أربع عشرة سنة شمسية ، وإذا صببت في أصل الغرس أو على فرعه حتى يصل إلى أصله مقدار أوقيتين زيت طيب مخلوطاً بمثله من الماء العذب فإنه يحييها ويدفع لها الأدواء عنها ، وتعلق على كل أصل غرسه شيء من الحديد بنحيط صوف ؛ فإنه يعين على نجابتها ويدفع الآفات عنها ، ويكون

(١) طيبغا : الفلاحة المنتخبة ، ورقة ٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، الأوراق ٢٧-٤٢ .

- عملُ ذلك بعد سبع سنين»^(١) .
- ٤- باب شجر النخيل ، وتحدث عن أنواعه ، وكيفية زرعه ، وتلقيحه ، وعلاجه^(٢) .
- ٥- باب شجر الرمان ، وذكر فيه كيفية زرعه وتزييله ، وأوقات ذلك ، ومنافعه^(٣) .
- ٦- باب شجر التفاح ، وذكر كيفية زرعه وتزييله ، وفوائده^(٤) .
- ٧- باب شجر السفرجل ، وتحدث عن كيفية غرسه ، ثم عن فوائده^(٥) .
وهكذا ما تبقى من ذلك ، ونكتفي بذكر الأبواب .
- ٨- باب شجر الكمثرى ، ٩- باب شجر المشمش ، ١٠- باب شجر الخوخ ،
١١- باب شجر اللوز ، ١٢- باب شجر التين ، باب شجر الجميز^(٦) .
- ١٣- باب شجر التوت ، وتحدث فيه عن التوت الشامي ومنافعه ، ١٤- باب شجر الجوز ، ١٥- باب شجر الأترج ، ١٦- باب شجرة الحَسْبَتَا وهي الليمون ، ١٧- باب شجر النارج ، ١٨- باب شجرة الغبيرا .
- ١٩- باب شجر الآس ، وهنا يستشهد بكلام ابن النفيس عن فوائده هذه الشجرة ، ٢٠- باب شجر الخروع ، ٢١- باب شجر الغار ، ٢٢- باب شجر العناب^(٧) ، ٢٣- باب شجرة السبستان ، ٢٤- باب شجر الخروب الشامي ، ٢٥- باب شجرة السدر المباركة .

(١) طبيغا : الفلاحة المنتخبة ، المخطوط ، الورقتان ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، الأوراق ٤٢-٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، الأوراق ٥٣-٥٦ .

(٤) المصدر نفسه ، الأوراق ٥٦-٥٧ .

(٥) المصدر نفسه ، الأوراق ٥٦-٥٧ .

(٦) المصدر نفسه ، الأوراق ٥٧-٦١ .

(٧) المصدر نفسه ، الأوراق ٦١-٧٠ .

- ٢٦- باب شجر الميس ، وذكر أنه يُزرع في حرم القدس الشريف ودمشق ، ٢٧-
 باب شجر السرو ، ٢٨- باب شجر الأثل ، ٢٩- باب شجر أمير باريس (١) .
 ٣٠- باب شجر الأجاص ، ويذكر طبيغا : «أفضله الشامي» ، ٣١- باب شجر
 البرقوق ، ٣٢- باب الخيار الشنبر ، ٣٣- باب شجر السنط ، ٣٤- باب شجر
 السنديان ، ٣٥- باب البنفسج ، ٣٦- باب الورد (٢) ، ٣٧- باب النوفر ،
 ٣٨- باب النرجس .
 ٣٩- باب الياسمين ، ويتحدث فيه أن الياسمين «إذا وُضع في دهن السمسم
 سُمي دهن الزنبق ، والزنبق زهر كبير طويل الساق كثير في دمشق
 ويعلبك» ، ٤٠- باب الريحان ، ٤١- باب السوسن ، ٤٢- باب الخطمي ،
 ٤٣- باب الأقحوان ، ٤٤- باب النعنع (٣) ، ٤٥- باب الهندباء ، ٤٦- باب
 الرجله وهي البقلة ، ٤٧- باب الخس ، ٤٨- باب السداب ، ٤٩- باب
 الرشاد ، ٥٠- باب الشبث ، ٥١- باب الكرفس ، ٥٢- باب الفجل (٤) .
 ٥٣- باب الطرخون ، ويقول طبيغا عنه : «وهو كثير بدمشق» ، ٥٤- باب
 البصل ، ٥٥- باب الثوم ، ٥٦- باب الإسفاناج ، ٥٧- باب القرع .
 ٥٨- باب الهليون ، ويذكر طبيغا عنه : «وهو نبات شامي ، لا يوجد نباته في
 أرض مثل ما يوجد بالشام» ، ٥٩- باب الكرنب (٥) ، ٦٠- باب الباذنجان ،
 ٦١- باب البامية ، ٦٢- باب الخيار والقثاء ، ٦٣- باب البطيخ ، ٦٤- باب
 الكرم ، ٦٥- باب قصب السكر ، ٦٦- باب الرازيانج (٦) .

(١) طبيغا : الفلاحة المنتخبة ، الأوراق ٧٠-٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، الأوراق ٧٥-٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ، الأوراق ٨-٩٠ .

(٤) المصدر نفسه ، الأوراق ٩٠-١٠٠ .

(٥) المصدر نفسه ، الأوراق ١٠٠-١٠٥ .

(٦) المصدر نفسه ، الأوراق ١٠٥-١١٥ .

وبعد أن انتهى طبيبنا من استعراض هذه الأبواب وهذه المحاصيل الزراعية ،
وكيفية زرعها وسقيها وتزليلها وجنيها . . . ، وبعد أن بين فوائدها ، انتقل
إلى أبواب أخرى تتعلق بعلم الزراعة ، وبدأ بـ :

٦٧- باب تركيب الشجر أي تطعيم بعضها ببعض ، وبين الطريقة في ذلك ،
وما هي الأشجار التي تقبل التطعيم ، وفوائد كل ذلك^(١) .
ثم انتقل بنا إلى باب آخر هو :

٦٨- باب التعفين ، وهو كما عرّفه : «استحالة النبات إلى الحيوان والحيوان إلى
النبات»^(٢) .

وختم الكتاب بالبواب الأخير الذي أسماه :

٦٩- الخواص المنتخبة المجربة ، ويتحدث فيه عن طبخ النبات مع بعضه البعض
ومع غيره ، لينتج من ذلك وصفات طبية تعالج فيها الأمراض ، وقدّم عن
ذلك أمثلة كثيرة^(٣) .

وختم مخطوطه بذكر (الوصايا العشر) التي تتعلق بحفظ الصحة وتجنب
الأمراض ، وذكر بعد ذلك : «والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم»^(٤) .

**ثانياً - مخطوط؛ نزهة النضوس والأفكار في خواص النبات والحيوان
والأحجار، لابن داود؛**

مؤلفه هو : عبد الرحمن ابن الشيخ تقي الدين أبي الصدق أبي بكر ابن
الشيخ نجم الدين أبي سليمان داود بن عيسى الحنبلي الدمشقي الصالحي

(١) طبيبنا : الفلاحة المنتخبة ، المخطوط ، الأوراق ١١٥ - ١٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، الأوراق ١٢٤ - ١٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، الأوراق ١٣١ - ١٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ، الأوراق ١٣٩ ، ١٤٠ .

الصوفي ، ويعرف بابن داود ، ولد سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م بجبل قاسيون بدمشق ، ونشأ بها ، ثم تفقه على جماعة من العلماء . زار بيت المقدس والخليل ، وحج .

ذُكر أنه كان بشوشاً ، ويعبد الله بقضاء حوائج الناس ، لذلك كان محبوباً يتردد إليه الناس والنواب والقضاة والفقهاء من كل مذهب . توفي في ربيع الآخر سنة ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م .

اشتغل في فنون كثيرة ، وألف كتباً عديدة ، منها : «الكنز الأكبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ، و«الدر المنقى المرفوع في أورد اليوم والليله والأسبوع» ، و«المولد الشريف» ، بالإضافة إلى كتابه : «نزهة النفوس والأفكار في خواص النبات والحيوان والأحجار» ، كما أثبتته هكذا أصحاب ترجمته ، ذكر عنه السخاوي أنه «في ثلاث مجلدات»^(١) .

وقد ذكر بروكلمان أن اسم هذا الكتاب هو : «نزهة النفوس والأفكار في معرفة النبات والأشجار»^(٢) ، وبالعودة إلى نص المخطوط ، ثم إلى مترجمي المؤلف ، تبين لي عدم صواب ما ذهب إليه بروكلمان ، والصحيح ما أثبتناه أعلاه . وتوثيق المخطوط ومصدره (مكتبة الشيخ فيض الله أفندي في استنبول ،

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ج ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج ٤ ، ص ٦٢-٦٣ ، عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ١٠ج ، تحقيق محمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج ٩ ، ص ٤٢١ ، ٤٢٢ ، وسيُشار إليه عند وروده فيما بعد ب ابن العماد : شذرات الذهب . عبد القادر بن محمد النعمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) : الدارس في تاريخ المدارس ، ٢ج ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ج ١ ، ص ٥٨ ؛ ، وترجم له أثناء حديثه عن زاويته الداودية التي دُفن فيها .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٦ ، ص ٥٧٧ .

وتحت رقم ١٧٦٦). مع العلم أن المختصرات الواردة تعني مايلي : و = وجه المخطوط ، ظ = ظهر المخطوط .

تكلم في هذا المخطوط عن كثير مما اختصت به بلاد الشام من الأشجار والنباتات ، ومن ذلك : الجوز (١٢٥و) ، والجميز (١٢٥ظ) والتوت الشامي (١٠٧و) والبطيخ الشامي (٩٦ظ+و) والباقلاء (٩١ظ) والآس (٤٨و) والبرباريس (٨٣ظ) والجزر (١٢٩و) والحنطة (١٥٤ظ) و(١٥٥و) والعنب والخوخ وإجاص الزبداني. (١٦٨و) والخلاف (١٦٩و) والخزامى (١٧٤ظ) ، وغير ذلك مما سيأتي الحديث عنه .

ما يدلل أن المؤلف أراد التأريخ للزراعة في بلاد الشام بشكل خاص ، وهذا ما أشار إليه كثيراً ، (في حين تندر الإشارات إلى مصر) ، ويؤكد على ذلك أن المؤلف وُلد في الشام ونشأ وعاش وتوفي فيها كما جاء في ترجمته . وهذا يضعنا أمام كتاب غاية في الأهمية ، وخاصة إذا استطعنا الوصول إلى المجلدين الآخرين لهذه (الموسوعة) ، وقد بذلت كل جهدي في ذلك ولم أوفق حتى اعداد هذا البحث .

بدأ ابن داود مخطوطته بتبيين سبب تأليفه لهذا الكتاب ، وهو وقوفه على «كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لمؤلفه ابن فضل الله العمري . ثم قدّم لنا هدفه من هذا الكتاب لما قال : «أردت أن أجمع منه شيئاً من خواص الأشجار والنبات والأحجار» . ثم حدد الأمر الأهم ، وهو النطاق الجغرافي الذي سيعمل عليه ، فقال : «مما ظهر لي أنه موجود بالمماكتين المصرية والشامية ، أو ما يليها من الممالك الإسلامية ، أو كان وارداً عليها ، ومجلوباً من البلاد إليها» .

ثم ذكر منهجه في هذا الكتاب ، يقول : «و اثبتته كتاباً مرتباً على حروف المعجم ، معنعناً باصطلاح مفهوم محكم ، وأن أقدم في أول كل حرف ما كان من الحيوانات المشهورة ، ذات الخواص المذكورة ، وأختمه بذكر خواص ما اشتهر من المعادن على اختلافها ، والأحجار على تباين أنواعها وأصنافها ، فانتقيت من

الكتاب المذكور ما استحسنته من خواص الأشجار ، وما أعجبني تأليفه من منافع الأحجار ، ثم راجعت كتب اللغات ، ومنافع الحيوانات ، مما نقله الأصاغر عن الأكابر ، وتداولته الألسنة من الأوائل والأواخر ، فجمعت منها ما بلغ إليه جهدي ، وتناهدت فيه إرادتي وقصدي ، ثم أضفت إليه ما اخترته من كتب الأطباء الألباء ، والعلماء الكرماء الفضلاء النبلاء ، مما يطرب لفظه ، ويجتنب رفضه ، ويتعين على ذي الدراية حفظه»^(١) .

ثم بين المؤلف قصده السامي من كل ذلك ، فقال : «قاصداً التنبيه على عظمة الخالق جلّت نعماه وتقدست ذاته وأسماءه ، حيث ألهم المصالح ، وهدى إليها ، ومنح الفوائد ودل عليها ، وليزداد من أمعن النظر فيه إيماناً ، ويوقن بانفراد الله بالقدرة إيقاناً ، ويتأمل دقائق حكمته التي أتقنها إتقاناً»^(٢) .

ثم وضح طريقته في تأليف الكتاب ، فقال : «وابتدأته حين شرعت فيه بمقدمة نافعة ، في عدة فصول جامعة ، تجمع كثيراً من الأغراض المهمة ، والمقاصد العارضة الملزمة ، التي لا بد من إقامة وظائفها ، وأداء مناسك واقفها ، كما سيأتي في أقسام الحروف وتركيبها ، وتسهيل معرفتها بترتيبها ، وأردفه - إن شاء الله - بذكر أشياء لم تدخل في الأسلوب ، ولا وافقت الاصطلاح المطلوب ، حيث لم تكن من الحيوانات ولا من الأحجار والنباتات ، ثم أختمه بفصل مشتمل على طرف من المركبات المعتمد عليها ، والمحتاج في المهمات إليها ، لئلا يخلو الكتاب من ذلك المعيار ، ولا يقتصر التأليف عن هذا المقدار»^(٣) .

(١) أبو النرج عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الصالحي الحنبلي (ت ٨٥٦ هـ/٤٥٢ م) نزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأحجار ، مخطوط ، مكتبة الشيخ فيض الله أفندي في استنبول ، وتحت رقم ١٧٦٦ ، ص ٢ (ورقة او) . وسيُشار إليه عند وروده فيما بعد ب ابن داود : نزهة النفوس ، المخطوط ، وما سيأتي من أرقام بين القوسين هو أرقام ورقات المخطوط .

(٢) ابن داود : نزهة النفوس ، المخطوط ، ص ٣ (ورقة ظ) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣ ، ٤ . (ورقة ٢ ظ +و) .

ثم تحدث عن الداء والدواء والعلاج ، وأورد عن ذلك الآيات والأحاديث التي تتناسب مع ذلك ، وكذلك استشهد بالكتب المشهورة في هذا الباب ، ككتب ابن قيم الجوزية ، وكتب ابن الجوزي (أبو الفرج) (١) .

وتحدث عن أصول الطب وواصفوه ، وما قيل من روايات في ذلك (٢) .
ثم عقد فصلاً عن «فضيلة علم الطب وشرفه شرعاً وعقلاً» (٣) .

وتحدث بعد ذلك عن نعمه الصحة والعافية (٤) ، ثم تحدث عن حفظ الصحة والبدن ومداواة المرضى (٥) ، ثم تكلم عن كيفية حفظ الصحة وطرق ذلك (٦) .

ثم عقد فصلاً عن الحمية (٧) .

ثم عقد فصلاً عن مداواة الرسول لنفسه (٨) .

و فصلاً عن الأطباء وشروط مهنتهم (٩) .

ثم عقد فصلاً تحدث فيه : م يتركب الدواء ، وأشار إلى أن الدواء لا يكون إلا «من حيوان أو نبات أو معدن أو حجر . . .» (١٠) .

(١) ابن داود ، نزهة النفوس ، المخطوط ، ص ٨ حتى ص ١٦ (من ورقة ٤ و حتى ورقة ٨ و) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧ ، ١٨ (من الورقة ٩ ظ + و) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨ - ٢٠ (الورقة ٩ و ، والورقة ١٠ ظ + و) .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣ ، ٢٤ (الورقة ١٢ ظ + و) .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ، ٢٦ (الورقة ١٣ ظ + و) .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦ - ٢٩ (الأوراق ١٣ و + ١٤ ظ و + ١٥ ظ) .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٩ - ٣٢ ، الأوراق (١٥ ظ + و) حتى (١٦ ظ + و) .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، الورقتان (١٦ و + ١٧ ظ) .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٣٣ - ٣٥ ، الأوراق (١٧ ظ + و) حتى (١٨ ظ) .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٥ ، الورقة (١٨ ظ) .

ثم بدأ حديثه عن الحيوان^(١) .

ثم حديثه عن النبات^(٢) .

ثم حديثه عن الأحجار والمعادن^(٣) .

ثم بيّن أن مقدمته وتمهيدته قد انتهت ، وعاد وذكر لنا شيئاً من منهجه الذي سيتبعه في ذكر موضوعات كتابه ، فقال : « حين أذكر شيئاً من الحيوانات أو أكثر المفردات (النبات والأحجار والمعادن) أذكر غالباً بلده وجيده ودرجته وماهيته ومزاجه ، وما اشتهر من خواصه ، ومقدار ما يُتناول منه ، وكيفية استعماله . . . وحررت الأوزان التي ذكرها الأطباء في استعمال الأدوية على أوزان الرطل الدمشقي .

وجعلت كل حرف من حروف المعجم باباً يشتمل على فصلين : الأول في خواص الحيوان ؛ وفيه أربعة أنواع : الأول في الدواب من الأهلي والوحشي ، والثاني في الطير ، والثالث في ذكر الهوام والحشرات ، والرابع في ذكر حيوان الماء . والفصل الثاني من كل باب فيه ثلاثة أنواع : الأول في الأشجار ، والثاني في النبات ، والثالث في الأحجار»^(٤) .

وبدأ الكتاب بحرف الألف^(٥) ، وبالحدِيث عن الحيوان ، فقال : «باب حرف الألف ، وفيه فصلان : الفصل الأول في خواص الحيوان ، وفيه أربعة أنواع : النوع الأول في الدواب من الأهلي والوحشي»^(٦) ، و«النوع الثاني في

(١) ابن داود ، نزهة النفوس ، المخطوط ، ص ٣٦ - ٥١ ، الأوراق (بدءاً من ١٨ ظ) (حتى ٢٦ ظ) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١ - ٥٨ ، الأوراق (بدءاً من ٢٦ ظ) (حتى ٢٩ ظ+ و) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٨ - ٦٤ ، الأوراق (بدءاً من ٢٩ و) (حتى ٣٢ ظ+ و) .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٦ ، ورقة (٣٣ و) .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦٧ ، ورقة (٣٤ ظ) .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٧ - ٨٣ ، الأوراق (٣٤ ظ) (حتى ٤٢ ظ) .

الطير»^(١)، و«النوع الثالث في الهوام والحشرات»^(٢)، و«النوع الرابع من حيوان الماء»^(٣).

ثم بدأ بالحديث عن النبات والأشجار والأحجار، يقول: «الفصل الثاني في خواص الأشجار والنبات والأحجار... وفيه ثلاثة أنواع: النوع الأول في الأشجار»، ومن الأشجار التي ذكرها^(٤):

الأبنوس، وتعمل منه القصاع كما ذكر. والأترج، وذكر خواصه وفوائده، وما قيل في تفضيله^(٥). والأثل، وتحدث عن فوائدها وخواصها^(٦). والأجاص، والأراك، والأرجوان، والأرز، والآس؛ وذكر أنه يكثر في بلاد الشام ومصر. والإهليلج^(٧).

ثم ذكر النوع الثاني، فقال: «النوع الثاني في النبات الذي ليس له ساق يتخشب»^(٨)، ثم ذكر من النباتات مايلي:

اكثر، وقال أنه نبت معروف «ببلاد القيروان من المغرب وبلاد الشام»، وابن الراعي، وأذان الأرنب، وأذان الجدي، وأذان الدب، وأذان الشاه، وأذان الغزال، وأذان الفار، وأذريون.

ثم فصل هنا الحديث عن الأرز، وتحدث عن أسمائه، وفوائده، ومع ماذا

(١) ابن داود، نزهة النفوس، المخطوط، ص ٨٣ - ٨٦، الأوراق (٤٢ظ) (حتى ٤٣ و).

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٦، ٨٧، الأوراق (٤٣و) (حتى ٤٤ظ).

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٧، ٨٨، الأوراق (٤٤ظ) (حتى ٤٤ و).

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٨ ن الأوراق (بدءاً من ٤٤ و).

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٩ - ٩٢، الأوراق (٤٥ظ+ و) حتى (٤٦ظ+ و).

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٢، ٩٣، الأوراق (٤٦ و حتى ٤٧ظ).

(٧) المصدر نفسه، ص ٩٣ - ١٠٢، الأوراق (٤٧ظ حتى ٥١و).

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠٢، الورقة (٥١و).

يُطبخ، وتحدث عن الأسادون (القرع)، وعن الأسفاناج، والأشان، وإكليل الجبل^(١).

ثم بدأ حديثه عن «النوع الثالث في المعادن والأحجار»، وتكلم عن كثير من المعادن؛ كالذهب والفضة والملح والرصاص والكبريت والزنجار والماس والسبذاج، ثم تحدث عن تركيبات وتفاعلات وتكتشفات و... هذه المعادن^(٢). وانتهى بذلك من حرف الألف، وانتقل إلى حرف الباء، فقال: «باب حرف الباء، وفيه فصلان، الفصل الأول في خواص الحيوانات، وفيه أربعة أنواع: النوع الأول في الدواب من الأهلي والوحشي»^(٣)، و«النوع الثاني في الطير»^(٤)، و«النوع الثالث في الهوام والحشرات»^(٥)، و«النوع الرابع في حيوان الماء»^(٦).

ثم انتقل إلى الفصل الثاني «في خواص الأشجار والنبات والأحجار، وفيه ثلاثة أنواع: النوع الأول في الأشجار»^(٧)، ومن الأشجار التي ذكرها: البان الشامي، والبان اليمني، والبرباريس، وقال: «هو اسمه المشهور ببلاد الشام»، والبرقوق والبرنوق، والبشباشة الشامية، وشجر البسر، والبطم، وشجرة البق، والبلسان، والبندق^(٨).

(١) ابن داود: نزهة النفوس، المخطوط، ص ١٠٢ - ١٢٨، ورقة (٥١ و حتى ٦٤ و).

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٨ - ١٣٣ الأوراق (٦٤ و حتى ٦٧ ظ).

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٣ - ١٥٠ الأوراق (٦٧ ظ حتى ٧٥ و).

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٠ - ١٥٦، الأوراق (٧٥ و حتى ٧٨ و).

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٧ - ١٦٢، الأوراق (٧٩ ظ حتى ٨١ و).

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٣ ورقة (٨٢ ظ).

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٣ ورقة (٨٢ ظ).

(٨) المصدر نفسه، ص ١٦٣ - ١٧٤ الأوراق (٨٢ ظ حتى ٨٧ و).

ثم انتقل إلى «النوع الثاني في النبات الذي ليس له ساق يتخشب»^(١) ،
ومن النبات التي ذكرها :

البابونج ، والأقحوان ، وتحدث عن نوع شامي منه ، والبادنجان ، والبازار ،
والباقلي (الباقلاء) ؛ وذكر أنه «ينبت كثيراً في بلاد الشام» ، والبربخ ، والقطونا ،
والبصل ، وتكلم بالتفصيل عن فوائده ومضاره . والبطيخ وذكر أنواعه ، ومنه
البطيخ الشامي ، وذكر أيضاً منه «الشممام بأكثر بلاد الشام» . والبقدونس ،
والبقلة ، والبلوط ، والبنفسج ، والبهق ، والبهمن^(٢) .

ثم انتقل إلى «النوع الثالث في المعادن والأحجار من حرف الباء»^(٣) .

ثم بدأ حديثه عن حرف التاء ، وسار على المنهج نفسه في حرفي الألف
والباء ، وكفي لا نكرر ذلك ، فإني سأذكر ما يهمنا هنا من هذه المخطوطة ، وهو ما
يتعلق بالنبات والأشجار ، وذكر من ذلك^(٤) :

التفاح ، التمرهندي ، والتوت ، ومنه المسمى «بالشامي» ، وذكر أيضاً :
«وتمر هذا التوت الحلو ببلاد الشام أصناف» ، و«أطيبه منسوب إلى زراعة ابن
عبد المحسن من أهل صالحية دمشق» . وذكر : التين ، والترمس ، والترنجان ،
وتفاح الأرض^(٥) .

ثم بدأ بحرف الثاء ، وسار على المنهج نفسه ، ونذكر ما يخصنا من الأشجار
والنبات ، إذ ذكر هنا من ذلك :

الثامر (اللوبيا) ، والثوم ، وذكر منافعه ومضاره ، والثيل^(٦) .

(١) ابن داود ، نزهة النفوس ، المخطوط ، ص ١٧٤ ورقة (٨٧) و .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ - ٢٠٢ ، الأوراق (٨٧) وحتى (١٠١) و .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ - ٢٠٩ ، الأوراق (١٠١) وحتى (١٠٥) ظ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ ، ورقة (١٠٧) ظ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ - ٢٢٥ ، الأوراق (١٠٧) ظ حتى (١١٣) ظ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٣٧ - ٢٤٢ ، الأوراق (١١٩) ظ حتى (١٢١) و .

ثم بدأ بحرف الجيم ، وسار على المنهج نفسه ، وما ذكره عن الأشجار والنبات :

الجميز ، وذكر أنه «ينبت كثيراً بالسواحل لاسيما ببلاد غزة والرملة من الشام» . والجوز ، وقال عنه : «كثير ببلاد الشام» ، ثم ذكر منافعه ومضاره وأنواعه . وذكر : الجرجير ، والجزر ، وذكر عنه : «ومن جزر البر نوع يقال له دوقس . . . فيعقد بالعسل في بلاد القدس ونابلس ويجلب إلى بقية بلاد الشام ومصر وغيرها»^(١) .

ثم بدأ بحرف الحاء ،^(٢) وسار على المنهج نفسه ، وما ذكره عن الأشجار والنبات : الحصرم ، والحمص ، والحنا ، والخور ، والحالوم ، وحب العزيز ، وحب العجب ، والحبق ، وعددٌ منه أعداداً كثيرة . وحب السوداء ، والحرجون ، وحرف الماء ، والحرنبل ، والحلبوب ، والحلبة ، والحماحم ، والحماض ، وشجرة الحمام ، والحنبيل ، والحنطة ؛ ومنها - كما ذكر - حنطة منسوبة إلى الشام ، ولما تحدث عن دقيق البر المسمى طحيناً قال : «والمتحول المسمى أصفر ببلاد الشام» ، ثم فصل فيما يُصنع من الحنطة ، كالتليينة والكنافة والقطايف ، و(المسكر) . وذكر : الحنظل^(٣) .

ثم انتقل إلى الحديث عن حرف الخاء^(٤) ، وسار على المنهج نفسه ، وما ذكر من الأشجار والنباتات :

الخاماً قرطم (الخيزران) ، والخروب ؛ وتحدث عن «الخروب الشامي» . والخروع ، والخمر ؛ وقال : «أكثره في بلاد الشام» . والخوخ ؛ وقال عنه : «شجرة مشهورة ببلاد الشام وغيرها» . والإجاص ؛ وقال عنه : «كثير ببلاد الشام وأجوده

(١) ابن داود : نزهة النفوس ، المخطوط ، ص ٢٤٩ - ٢٦٢ ، الأوراق (١٢٥) ظ حتى ١٣١ و) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ ، ورقة (١٣٣) ظ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ - ٣١٩ ، الأوراق (١٤٣) او حتى (١٦٠) ظ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ ، ورقة (١٦٢) و) .

ما كان بمدينة الزبداني» ، وتحدث عن فوائده فقال : «وأكل يابس الدمشقي منه جيد للمعدة» . وذكر : الخلاف ؛ وقال عنه : «ومرادي به هنا اللبان كما هو مصطلح أهل الشام ، ورسمته بالشامي لثلا يلتبس باليمني» . وذكر : خانق الكلب ، وخانق النمر ، والخردل ؛ وقال عنه : «عروقه الغضة تسميها أنباط الشام بالكبر» . وذكر : الخزامى ؛ وقال عنه : «وأما عامة أهل الشام في زماننا فإنهم يطلقون اسم الخزامى على المرماحوز» . وذكر الحس ، والخشخاش ؛ وذكر أنواعه . والخطمي ، والخيار (١) .

وأخيراً ذكر ابن داود ما يأتي :

«تم الجزء الأول من نزهة النفوس والأفكار في خواص الحيوان والنبات والأحجار ، ويتلوه في المجلد الثاني باب حرف الدال» (٢) .

وانتهى المخطوط بقوله : «فرغ من كتابته نهار الجمعة تاسع عشر شهر رجب الفرد ، من سنة خمس وخمسين وثمانين مائة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل» (٣) .

وقد جهدت في الحصول عن المجلدين الآخرين ، ولكن لم أتوصل إلى ذلك حتى اللحظة ، مع العلم أن السخاوي هو الذي أشار إلى وجودهما كما ذكرنا في ترجمة ابن داود أعلاه .

(١) ابن داود ، نزهة النفوس ، المخطوط ، ص ٣٣٣ - ٣٦٠ ، الأوراق (١٦٧) ظ حتى (١٨٠) و .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ ورقة (١٨١) و .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ ورقة (١٨١) و .

ثالثاً - مخطوط؛ ضرب الحوطة على جميع الغوطة، لابن طولون الصالحي؛

مؤلفه هو: محمد بن علي بن محمد بن طولون الصالحي ، وُلد بصالحية دمشق سنة ٨٨٠ هـ ، وتعلم وأخذ وتفقه على العلماء ، مهر في النحو والفقه والحديث ، ودرّس في عدة مدارس ، وكانت أوقاته معمورة بالتدريس والإفادة والتأليف ، فعَلق ستين جزءاً سماها بالتعليقات ، وله كتب كثيرة ، توفي سنة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م ، ودُفن في الصالحية^(١) .

وتوثيق المخطوط ومصدره (المخطوط مأخوذ عن النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بمكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق ورقمها (٢) ، وهي منقولة عن مكتبة جامعة ليدين [Bibliothèque de runiversite de Leyde. M S. arabe; 1862 Catal. جامعة ليدين Cadicum arabicorum II p. 10 n814] ، وقدمه لي من مكتبته رياض شحادي .

ويبدأ ابن طولون مخطوطته بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، سبحان العظيم العليم المحيط علمه بكل قاص وداني ، الباسط حلمه على كل خاطئ وجاني ... والأشجار تقول سبحان من يسمع جريان الماء في أغصاني ، والزهر يقول سبحان من فتق كمي وغير ألواني ، والفواكه تقول سبحان من أينع بين طعمي : هذا حامض وهذا حلو ومن ماء واحد سقاني»^(٢) .

(١) محمد بن محمد نجم الدين الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، ج٣ ، تحقيق جبرائيل جبور ، دار الأفاق الجديدة ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ج٢ ، ص ٥٢ - ٥٤ . ابن العماد : شذرات الذهب ، ج١٠ ، ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ . خير الدين الزركلي : الأعلام ، ج٨ ، دار العلم للملايين ، ط١٤ ، بيروت ، ١٩٩٩ م ، ج٦ ، ص ٢٩١

(٢) محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م) : ضرب الحوطة على جميع الغوطة ، النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بمكتبة المجمع العلمي العربي بدمشق ورقمها (٢) ، وهي منقولة عن مكتبة جامعة ليدين ، ص ١ ، وسيُشار إليه عند وروده فيما بعد ب ابن طولون : ضرب الحوطة على جميع الغوطة .

ثم ذكر: «فهذا تعليق سميته: بضرب الحوطة على جميع الغوطة، على حسب الإمكان وبالله المستعان».

ثم ينقل لنا قولاً عن دمشق ذكره ابن شداد في كتابه الأعلام الخطيرة؛ يقول: «أما صفتها فإنها من أحسن بلاد الشام مكاناً، وأعدلها هواء، وأطيبها نشراً، وأكثرها مياهاً، وأغزرها فواكه، وأوفرها مالاً، وأكثرها جنداً، ولها ناحية تعرف بالغوطة، طولها مرحلتان في عرض مرحلة، وتشتمل هذه الغوطة على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً، وعلى خمسمائة وخمسين كرمًا، وهي من شرقي دمشق وشماليتها بها ضياع كالمدين؛ مثل المزة وداريا وحرستا ودمر وبلاس وبيت لاهة وعقربا، وبها كلها جوامع»^(١).

ثم ينقل لنا آيات وأحاديث عن فضل الغوطة.

ثم انتقل إلى الموضوع الذي يهمنا، وهو ذكر قرى الغوطة وزراعاتها وسقيها، يقول: «وهاك أسماء ما وقعت عليه منها مرتباً لها على حروف الهجاء».

وهنا سأختار بعض ما ذكره لا كله، لأنني أقدم هنا أمثلة لا تفاصيل، فمما ذكره ما يأتي:

«الإفتريس: وهي قرية بقرب جسرين وهي متوسطة، وشربها من نهر داعية.

أرزة: ...^(٢) وشربها من نهر ثورا.

بيت الآلهة: هي حارة من دمشق شرقيها... وعليها بساتين وأراض كثيرة.

برزة: وهي قرية شرقي الصالحية... وماؤها من أحسن مياه دمشق، يأتي من وادي الجرن، وإليها ينسب نوع من التين الشتوي، هو أجود جنس منه، ونوع من السفرجل هو من أجود أنواعه.

(١) ابن طولون: ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص ٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢.

تل الذهب : و كانت قرية ، وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم وأهلها يزرعونها^(١) .

جسرين : وهي قرية تحت سقبا ... وشربها من نهر داعية .
حزّة : وهي بلدة صغيرة تحت زملكا ، لها مسجد ، وشربها من عين الرشيديّة .

حرسنا الزيتون : وهي قرية كبيرة جامعة ... وشربها من نهر يزيد وثورا ، واليها يُنسب التفاح النبطي .

داريا : بلدة كبيرة جيدة عذبة ... وإليها يُنسب البطيخ الجيد .
دقاينة : وهي قرية صغيرة تحت أرزونا ... وعليها كروم ، وشربها من نهر ثورا .

دومة : وهي قرية كبيرة جامعة شرقي حرسنا ، وهي من أمهات القرى ... وشربها من نهر ثورا^(٢) .

زملكا : وهي من أمهات الغوطة ، وشربها من نهر ثورا .
زبددين : وهي قرية في آخر الغوطة من إقطاع النيابة ، ويُزرع فيها البطيخ كثيراً .

سقبا : وهي بلدة كبيرة جامعة ... ومنها يستحسن بزر الخيار ، وشربها من نهر داعية^(٣) .

عين ترما : وهي قرية جامعة شرقي دمشق ... وشربها من نهر ثورا ، وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية وبعضه من بردى .

عربيل : ويقال لها عربين ، وهي قرية جامعة وشربها من نهر ثورا ، وإليها ينسب العنب البلدي واللوز .

(١) ابن طولون : ضرب الخوطة على جميع الغوطة ، ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥ .

عذرا : وهي قرية شرقي دوما . . . وشربها من نهر ثورا ، وإليها يُنسب البطيخ .

القابون التحتاني : وهي بلدة كبيرة . . . وشربها من نهر يزيد ، وإليها يُنسب الخيار الجيد .

كفرسوسية : وهي بلدة تحت المزة . . . وبها معصرة للزيت لأن بها زيتون كثير (١) .

كفر بطها : ويقال لها كفربطنا . . . وشربها من نهر داعية .

النيرب : من قرى الغوطة ، وهي قرية من محاسن قرى دمشق من إقليم بيت لها ، كثيرة المياه والبساتين .

يعقوبا : وهي قرية صغيرة . . . وشربها من نهر ثورا (٢) .

الخاتمة:

لقد كانت أهم محاصيل بلاد الشام شيوعاً : الغلال (القمح والبقول والشعير) . وشكلت الأشجار المثمرة والفواكه جانباً مهماً في الاقتصاد الزراعي ، مع غلبة أصناف معينة تبعاً للتباين في درجات الحرارة والرطوبة من الجنوب إلى الوسط والشمال ، فنرى الأشجار والفواكه الآتية : النخيل والكرمة والتفاح والرمان والتين والخوخ والمشمش والكمثرى والتوت والحمضيات والبطيخ والشمام والزيتون .

وُزرعت في ذلك العصر أيضاً الخضروات والنباتات الصيفية والبهارات ، فنجد : الكرنب والقرنبيط والبادنجان والبامية والملوخية والجرجير والخيار البلدي والفقوس والفجل واللفت والخس والثوم والبصل ، والبهارات ؛ كالزعفران والكمون والكزبرة وحبّة البركة .

(١) ابن طولون : ضرب الحوطة على جميع الغوطة ، ص ٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧ .

ومعظم المزروعات في عصر المماليك كانت تعتمد على مياه الأنهار ،
والقليل منها كان يعتمد على المطر .

ونستطيع هنا في الخاتمة أن نشير إلى قضية مهمة ، وهي ما يُعرف
بالتطبيقات الطبية النباتية ، فلقد وردت نباتات طبية كثيرة في المخطوطات
والمصادر التي تناولناها في هذا البحث ، وتحدث أصحابها عن فوائدها ومنافعها
وتركيبتها الطبية في أحيان كثيرة (خاصة مخطوطتي طيغنا وابن داود) ، فتكون
هذه الكتب قد جمعت - إلى جانب التجربة والاختبار - إرث الإنسانية في
صناعاتي الطب والصيدلة ، إذ اشتملت على الموضوعات الآتية : نصائح ووصايا
طبية ، صناعة الأشربة ، صناعة المعاجين ، الأدوية المطحونة ، الأقراص النافعة ،
الحبوب ، المراهم ، الأدهان والبخور النافعة ، أدوية الفم والأسنان ، التحاميل
والحقن ، الإسعاف الأولي ، الأدوية البديلة ، الأدوية المفردة ، وما شابه ذلك .

وأذكر هنا بعض الأمثلة ؛ فمادة الأفيون استُخدمت لتسكين الكثير من
الأوجاع ، واستُخرجت من النبات المعروف بالخشخاش .

وأدخل القنب في تحضير بعض الأدوية ، وهو نوعان : البري الذي تُطبخ
أصوله لتضميد الأورام الحادة ، والبستاني الذي له ثمرة ، (كما ورد في
مخطوطات هذا البحث) ، فتُشرط ويُستخرج دهنها ويُستخدم في العلاج .

وأدخل البلسان (أو البلسم بلغة العامة) في تركيب معظم الأدوية ،
واستعمل كعلاج للفعالج وارتخاء الأعصاب ووجع الظهر ، ولكثير من الأمراض
البلغمية ، وخصت ثمار الخيار لتركيب الأدوية المخصصة لعلاج الأمراض
الداخلية .

الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)

عصام مصطفى عقلة(*)

يوسف أحمد بن ياسين(*)

تنبع أهمية كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار^(١) في دراسة الأوضاع الزراعية في بلاد الشام سواء في مجال المياه ومصادرها وطرق الري ، أم في موضوع الحاصلات الزراعية والصناعات القائمة عليها ، ووحدات الكيل والوزن ، والثروة الحيوانية ، وبعض الكوارث والآفات التي تصيب الزراعة ، وأسعار تلك الحاصلات تنبع من أمرين رئيسين :

الأول : المؤلف واتساع علومه وكثرة أسفاره ، ومشاهداته الشخصية ، فهو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، المولود بدمشق في الثالث من شوال سنة ٧٠٠هـ/١١ حزيران ١٣٠١م ، في أسرة كُتّاب عملوا في دواوين الدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام ، ومن ثمّ حرصت أسرته

(*) قسم التاريخ ، كلية الآداب - الجامعة الأردنية .

(١) اعتمدنا على طبعة مسالك الأبصار ، تحقيق محمد خريسات وعصام عقلة ويوسف بن ياسين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، أبو ظبي ، ٢٠٠٠-٢٠١٠م ، وهي طبعة لم تكتمل ، واعتمدنا في الأجزاء التي لم تطبع بعد ضمن تلك الطبعة على مخطوطات مسالك الأبصار ، وميزنا المطبوع من المخطوط بأن المطبوع نشير بعد الجزء إلى الصفحة (ص) بينما المخطوط نشير بعد الجزء إلى الورقة (ق) وسنوضح عند كل جزء من المخطوط أصل المخطوطة التي اعتمدناها عند أول ذكر لها .

على الاعتناء بتعليمه منذ فترة مبكرة من عمره ، فأتقن القرآن وعلومه ، والحديث النبوي ، والفقه وأصوله ، والأدب ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والعروض ، إضافة للتاريخ والجغرافية ، والفلك ، وبعد مضي فترة من حياته في التعلم في حلقات الدرس ، وتحديدًا في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٧م ، تولى كتابة السر (ديوان الإنشاء) بدمشق ثم بالقاهرة ، وبعد عزله من كتابة السر سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م استقر في دمشق التي نشأ وتربى فيها ، عاكفًا على حياته العلمية التي أنتجت مجموعة من المؤلفات المهمة والموسوعية ، أبرزها ، كتب : مسالك الأبصار ، والتعريف بالمصطلح الشريف ، وعرف التعريف في المكاتبات ، وفواضل السمر في فضائل آل عمر^(١) .

زار العمري خلال سني عمره مجموعة من البلدان أهمها : دمشق وقراها التي نشأ بها ، وزار أيضاً مصر ، والخليل ، والقدس ، وتنقل في قراها ، فزار المشاهد والمزارات الموجودة فيها ، كما زار حوران ، وحماة ، ومعة النعمان ، وحلب ، والحجاز ، مما جعل لملاحظاته عن المناطق الشامية صفة الرحالة المشاهد والمعاش لها^(٢)

(١) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، أعيان العصر وأعيان النصر ، ج٢ ، تحقيق علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ج١ ، ص ٤١٧-٤٣٤ ؛ ابن فضل الله العمري ، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، عرف التعريف في المكاتبات ، دراسة وتحقيق سمير الدروبي ، دار ابن الجوزي ، عمان ، ٢٠٠٨م ، ص ١٧-٤٢ ، مقدمة التحقيق ، وقد استوفى المحقق المعلومات المهمة عن حياة ابن العمري وعلومه ورحلاته ومصنفاته .

(٢) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، مخطوطة طوب قابو سراي ، أحمد الثالث ، رقم ١/٢٧٩٧/ نشر بالتصوير الشمسي ، معهد العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٤م ، بإشراف فؤاد سزكين ، الأوراق ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ؛ الدروبي ، مقدمة عرف التعريف ، ص ٧٢-٧٣ .

الثاني : من طبيعة الكتاب ومصادره ، فهو كتاب موسوعي شامل انبرى ابن فضل الله العمري لتصنيفه بدافع إبراز فضل مشرق العالم على مغربه ، وخصوصاً الإسلامي منه . لذا جاءت المادة المقدمة منه ، وفي شتى حقول المعرفة ، مقسمة على أساس جغرافي ، إذ بدأ بالمشرق أولاً ، ثم تلاه بالمغرب ، ثم مصر لتنازع الآراء في تبعيتها بين مشرق العالم أو مغربه ، في رد صريح منه على ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٤م) الذي فضل المغرب على المشرق ، فصنّف هذا الكتاب للرد عليه ، وكان موسوعة شاملة قدم فيها عرضاً لمعظم معارف العالم الذي تناولها بالدراسة آنذاك ، ولهذا بدأ أجزاء الكتاب بالحديث عن جغرافية العالم وأهم أقاليمه وتضاريسه الطبيعية ، ومعالمه المشهورة الدينية أو التاريخية ، ثم تحدث في الأجزاء التالية عن الممالك في عصره في المشرق والمغرب ، ثم تناول المعارف ، فبدأ بقراء القرآن ، ثم المحدثين ، فالفقهاء ، وعلماء اللغة والنحو ، فالصوفية ، والفلاسفة والأطباء ، ثم المغنيين ، فالوزراء ، وكتاب الإنشاء ، ثم الشعراء ، ثم خصص بعض الأجزاء للحديث عن النباتات الموجودة في الأقاليم المختلفة ، والحيوانات ، والمعادن ، ثم تحدث عن الأديان والنحل والفرق الإسلامية ، ثم انتقل بعدها في الحديث عن الدول الإسلامية ، ثم تناول التاريخ على نظام الحوليات منذ آدم وحتى سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م ، ومن ثم تطرق في عموم كتابه للزراعة والمعلومات الزراعية - دون أن يفرد بها بموضوع خاص - في معظم أبواب موسوعته .

أما عن أهمية المعلومات التي قدمها العمري عن الزراعة في بلاد الشام من مصادره التي اعتمدها ، فهي :
أولاً : معلومات حصلها من مشاهداته الشخصية والتي وثقها أثناء زيارته وسفرائه المختلفة والمتعددة لمناطق بلاد الشام ، وخصوصاً أنه دمشقي المولد

والنشأة والإقامة ، إذ عاش معظم حياته فيها ، مع تنقله في أكثر من مدينة وبلدة في بلاد الشام ، كما أسلفنا ، وهو بذلك أقرب إلى الجغرافي أو الرحالة الذي يقدم روايات عما شاهده من معلومات متنوعة وفريدة عن المزروعات ، أو وسائل ري ، أو الصناعات الزراعية ، والمكاييل والموازين ، وغيرها .

ثانياً : معلومات رسمية استقاها عن بلاد الشام من وثائق الديوان المملوكي الذي عمل به لفترة طويلة ، سواء في دمشق أو القاهرة .

ثالثاً : إطلاع على وثائق إخوانية لكتاب وعلماء بارزين في عصره أو العصور السابقة له ، وتضمنت معلومات عن الحياة الزراعية في بلاد الشام .

رابعاً : اعتماده في وصف بعض القضايا المتعلقة بالزراعة على رواة خبروا المناطق التي ينقل بها عنهم .

خامساً : اعتماده على مصادر سابقة له تضمنت معلومات مهمة عن المحاصيل الزراعية أو الصناعات الغذائية ، والثروة الحيوانية في بلاد الشام .

ويجب في النهاية التأكيد على أن العمري لم يكن عالماً في الفلاحة أو الجغرافيا ، ولم يكن يقصد التركيز على الزراعة في كتابه ، إنما ذكرها ضمن الموضوعات التي تطرق لها ، وخصوصاً في الأجزاء المتعلقة بالممالك في عصره ، وبالنباتات وفوائدها الطبية .

لقد جاءت المعلومات التي ذكرها المؤلف في كتابه وتعلقت بالزراعة وميادينها ، في خمسة حقول رئيسة ، انعقد عليها هذا البحث .

أولاً- المياه ومصادرها ومشاريع الري:

أكد العمري في كتابه المسالك أن الزراعة في بلاد الشام تعتمد على الأمطار ، فهي بعلية تقوم في مجملها على أمطار السماء ، في حين أن الزراعة المروية القائمة على الأنهار قليلة ، فقال : «وأما الشام فيزرع غالبه على المطر . . .

ومنه ما هو على سقي الأنهار وهو قليل»^(١) .
ثم استعرض أنهار ، وبحيرات ، وعيون الماء في بلاد الشام ، مبيناً أماكنها ،
والمشاريع المائية القائمة عليها ، من نواعير ، ودواليب ، وطواحين ، وأرحاء ،
إضافة للقنوات المائية والصهاريج والآبار التي ظهرت في بلاد الشام ، والمناطق
المستفيدة منها ، سواء لاستعمالات الشرب والمنازل ، أو لري المحاصيل الزراعية
المختلفة .

أ- الأنهار:

لم يحط العمري بأخبار الأنهار الشامية جميعاً ، بل ذكر في كتابه أبرزها
وهي :

١- نهر بردى : هو نهر دمشق الخاص بها على حد وصف العمري^(٢) ، ثم قام
بوصف منابعه ، حيث حددها بمنبعين ، الأول : نبع يأتي من عين ماء
موجودة في صحراء قرية الزبداني^(٣) ولم يسمها ، والثاني : عين الفيحة
الواقعة بذيل جبل عزتا^(٤) في نهاية سفلى الجبل ، معقود (مبني) على
مخرجها من الجبل قبو رومي البناء ، ويرفد النهر غير هاتين العينين ، منافع

(١) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٢٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ ، ٣١٥ .

(٣) الزبداني : قرية تتبع محافظة ريف دمشق ، تقع في الشمال الغربي لمدينة دمشق وتبعد عنها ٤٥ كم .

انظر : مصطفى طلاس (مشرف) ، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ، مركز الدراسات
العسكرية ، دمشق ، ١٩٩٢م ، ج٣ ، ص٥٣٩ .

(٤) جبل عزتا : جبل يقع غرب نبع الفيحة يسمى الآن جبل القلعة ، يبعد عن دمشق ١٥ كم إلى
الشمال الغربي منها . انظر طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج٤ ، ص٤١٠ .

مائة أخرى تمد مجرى النهر^(١) .

وتحدث العمري عن مجرى نهر بردى ، وأنه يقسم قبل دخوله دمشق جهة الشمال الغربي في منطقة الربوة ، وأثناء مروره بها ، ثم بعد خروجه منها إلى أنهار سبعة بقسم معلوم يقسمها (أي بتوزيع مائي محدد لجميع الأنهار) ، ويوزع مياهها على المناطق المختلفة في دمشق ونواحيها حتى تسقي المدينة ونواحيها جميعاً ، فقال عن ذلك : «والماء حاكم عليها من جميع نواحيها ، بإتقان محكم»^(٢) .

أما الأنهار التي يتفرع إليها نهر بردى فهي : بردى وهو مجرى الوادي ، ونهر داريا الواقع على سمت بردى في الجانب الغربي الأعلى الآخذ نحو الجنوب ، ونهر المزة ، ويقع دون نهر داريا ، ونهر القنوات ، ونهر باناس ، وكلها تقع غرب نهر بردى ، ويقع يسار بردى في الجانب الشرقي الآخذ شمالاً نهرا ، يزيد وثوراً^(٣) .

وحدد العمري نهرا القنوات وباناس ، بأنهما نهرا المدينة ، حاكمان عليها ، ومسلطان على ديارها^(٤) ، حيث يدخل نهر باناس قلعة دمشق ، ثم يتفرع إلى فرعين ، الأول للقلعة ، والآخر للجامع الأموي ، ثم يتفرع الفرعان بدورهما إلى فروع متعددة تتفرق داخل المدينة بأصابع مقسومة ، وحقوق معلومة ، ومثله ينقسم نهر القنوات في المدينة ولكنه لا يدخل القلعة والجامع الأموي ، ويجري ماؤه في أحياء دمشق من خلال قنوات مدفونة

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٣١٥-٣١٦ ، ج١ ، ق٥٣ . انظر أيضاً عن منابع بردى ، شيخ

الربوة ، شمس الدين محمد بن عبد الله الأنصاري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، نخبة الدهر في عجائب

البر والبحر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ص٢١١ .

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٣١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣١٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣١٦ .

تحت الأرض إلى أن تصل إلى مستحقاتها ومنافعها ، وتستخدم في شرب الأهالي ، وتزويد البرك في البيوت والقصور بالماء ، وفي ميساوات المساجد ، وغيرها من الاستخدامات الأخرى ، ثم تخرج فضلات الماء من مدينة دمشق إلى قنوات وفسح معقودة تحت قنوات الماء المشروب ، ثم تتجمع وتشكل نهراً ، ويخرج إلى ظاهر المدينة لسقي الغيطان^(١) جهة الجنوب الشرقي للمدينة .

بينما تتجه الأنهار الأربعة الأخرى : يزيد وثورا وداريا والمزة ، إلى البساتين والغيطان ، ولا تدخل مدينة دمشق ، وذلك ليشرّب منها أهالي قرى دمشق ، ولتسقي المزروعات ، وعلى هذه الأنهار بنى الدماشقة القصور والمنزلات وغيرها من الأبنية ، وخصوصاً ، على نهر ثورا ، الذي وصفه بنيل دمشق ، عليه أجلّ مبانيهم ، وبه متنزهاتهم ، وإليه أكثر سيّارتهم وتوجهاتهم ، يظن من يراه انه زمردة خضراء لكثافة الأشجار فيه ، ويشق نهر يزيد الصالحية - إحدى ضواحي دمشق - من أولها إلى آخرها^(٢) .

أما نهر بردى ، وهو مجرى الوادي الأصلي ، فتدخل منه قناة إلى داخل سور دمشق حيث أقام الدماشقة عليها الأرحاء لطحن الحبوب بقوة الماء ، ويبقى مجرى الوادي مستمراً حتى يخرج من حدود العمارة - المدينة وضواحيها- ويصل إلى ظاهر قرى دمشق حيث يسقي ما يصل إليها ، ثم يصب في بحيرة دمشق (الهيجانة) المتصلة بالبرية جهة حوران ، والواقعة شمالي الغوطة^(٣) . وأقام أهل دمشق على مجرى بردى الأرحاء على طول

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢ ، ص٣١٦-٣١٧ ، وقد قام نائب دمشق تنكز الحسامي بتجديد قنوات دمشق وصيانتها انظر : الصفدي ، أعيان العصر ، ج٢ ، ص ١٢٠ . وانظر عن القنوات المحفورة تحت الأرض وقنوات تصريف المياه ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٢٥٩-٢٦٠ ، دون تفصيل .

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢ ، ص٣١٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ق٥٣ ، ج٢ ، ص٣١٧ ، وانظر عن البحيرة : شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٢٦٥ .

وادي بردى ، وتحف بالوادي من الجانبين الغياض الكثيفة المزروعة بالسفرجل ، والحور ، والبساتين^(١) .

ولفت العمري الانتباه إلى أن كل نهر من هذه الأنهار السبعة يتفرع إلى أنهار كبار وصغار ، وتتشعب منها جداول تتفرق في البساتين والغيطان لسقي أراضيها ، وتستخدم في إدارة الأرحاء العديدة المقامة عليها ، ووصف تلك الأنهار الصغيرة والجداول بأنها مما لا يكاد يعد كثرة^(٢) .

وتستغل هذه الأنهار لسقي سكان دمشق وقرائها ، إضافة لاستخدامهم لها في إدارة الأرحاء العديدة التي تحتاجها المدينة ، وكذلك لري المزروعات من أشجار ، وخضروات ، ورياحين وغيرها ، وأيضاً لسقي الحيوانات ، وللاستخدامات البشرية الأخرى من اغتسال وغسيل للثياب ، ورفد للحمامات المنتشرة في المدينة ، وللميضاوات في مساجدها وغيرها من الاستخدامات .

وقدم العمري وصفاً لقنوات الصرف الصحي المقامة تحت قنوات ماء الشرب لئلا تختلط بها ، وأنها تصرف فضلات ماء البيوت ، والبرك ، ومجاري الميضاوات ، والمرتفعات الأخرى من خلال تلك القنى إلى خارج دمشق ، حيث تتجمع قنوات الصرف الصحي لتصبح نهراً في ظاهر مدينة دمشق ، ويعاد استخدام تلك المياه مرة أخرى لسقي الغيطان في قرى دمشق .

والواضح أن العمري قام بذكر أنهار دمشق بالتفصيل لكونها مسقط رأسه ، وعاش فيها معظم حياته ، ولحبه الشديد لها ، إضافة لمعرفته الدقيقة بها .

٢- نهر الأردن : ذكر العمري أنه لا يسمى بهذا الاسم إلا حين خروجه من بحيرة طبرية ، كما ذكر أنه يسمى في زمانه الشريعة ، وأنه يشق وادي كنعان (الغور) شقاً في الطول حتى ينتهي إلى مصبه في بحيرة زغر (البحر

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .

الميت) . وقال : إنها تعرف في زمانه بالبحيرة المنتنة ، وأن وادي كنعان يعرف في زمانه بالغور
حدد العمري منابع النهر ، حيث قال : وأصل النهر من مرج عيون
والهرماس ، وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاحه^(١) ، إضافة إلى
نهر بانياس^(٢) ، وهذه الأمواه تسمى الشريعة الشمالية ، ويسير حتى يمر
تحت جسر يعقوب^(٣) ، ويدخل إلى بحيرة طبرية ، ثم يخرج من طبرية
ليلاقي الشريعة القبلية بقرية تعرف بالبقرارية (قرية الباقورة الأردنية) ، ثم
يسير حتى يمر على جسر الصنبرة والجسر العادلي تحت عقبة فيق قرب الدير
الأسود ، ثم يجري حتى يصل جسر شامة قرب قرية المجامع^(٤) ، ويواصل
جريانه حتى يلاقي نهر الزرقاء قرب دامية^(٥) ، ثم يجري حتى يصب في
البحيرة المنتنة (البحر الميت) . ثم فصل الحديث في ذكر منابع الشريعة
الجنوبية حيث حددها من دير الهرير ، والجولان ، واليرموك ، ووادي
الأشعري ، والفوار ، والمدان ، سواء من ينابيعها أو مياه الأمطار ، ثم يجري
حتى يصل عقبة فيق^(٦) .

٣- نهر بعلبك : لم يقدم عنه معلومات ذات قيمة ، وذكره عرضاً أثناء حديثه
عن منابع نهر العاصي حيث ذكر أن العاصي ينبع من وراء نهر بعلبك^(٧) .

(١) هذه المناطق جميعاً تقع في محافظة النبطية في جنوب لبنان .

(٢) بانياس : مدينة على الساحل السوري تتبع محافظة طرسوس ، وتقع على بعد ٤٠ كم شمال طرسوس .

انظر : طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ .

(٣) جسر بنات يعقوب : يقع على نهر الأردن على بعد كيلومتر جنوب بحيرة الحولة .

(٤) المجامع : قرية تقع إلى الشمال الشرقي من بيسان على بعد ١٥ كم .

(٥) قرية دامية : قرية في الغور الأردني ، تقع ضمن حدود قرية معدي الجديد ، التابعة للواء دير علا .

(٦) العمري ، مسالك الأمصار ، ج ١ ، ق ٥٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٥٣ .

٤- نهر طرابلس : ينبع من قرية رشعين^(١) في جبل لبنان الممتد على الشام وشرقي طرابلس ، ثم يجري من برشعين حتى يصل إلى طرابلس تحت قناطر معقودة عرفت باسم قناطر الإبرنس نسبة لأحد أمراء طرابلس الصليبيين ، الذي قام بتجديد القناطر ، فيشق النهر مدينة طرابلس ، ثم يصب في البحر الشامي (البحر المتوسط)^(٢) ، وهذا النهر حاكم على ديار طرابلس وطبقاتها ، يتخرق الماء في مواضع من أعالي بيوتها التي لا يُرقى إليها إلا بالدرج العلية^(٣) .

٥- نهر العاصي : ينبع من منابع شتى في منطقة قرية اللبوة^(٤) ومغارة الراهب ، ويجري حتى يصل إلى غربي حمص ، فيصب في بحيرة قدس ، ثم يخرج منها إلى أن يصل إلى حماة ، ثم شيزر^(٥) إلى أفامية^(٦) فيصب في بحيرتها ، ثم يخرج منها ، فيجري في جبال الغرب إلى ديركوش^(٧) إلى بلدة الإقليم ، ثم ينزل العمق إلى أنطاكية ، ثم السويدية ، ويصب في البحر الشامي^(٨) . وأقيم على العاصي قنوات ترفع الماء منه إلى مدينة حمص وخصوصاً دار نائب السلطنة ، ومواضع أخرى لغايات الشرب^(٩) . كما تم

(١) رشعين : قرية تقع في شمال لبنان ، على بعد ٣ كم من زغرنا ، و١٠ كم عن طرابلس .

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ق ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ . وذكره أيضاً دون أن يسميه شيخ الربوة ، نجبة الدهر ، ص ٢٧٥ .

(٤) قرية اللبوة : قرية في البقاع اللبناني ، تبعد ٣٠ كم عن بعلبك . .

(٥) شيزر : قرية سورية تقع على نهر العاصي في محافظة حماة . انظر : طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ٤ ،

ص ٨٨ .

(٦) أفامية : مدينة أثرية في سوريا ، تقع في حوض نهر العاصي الأوسط ، على بعد ٥٥ كم شمال غربي

حماة . انظر : طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ٢ ، ص ١١٨ .

(٧) ديركوش : بلدة تقع إلى الغرب من مدينة إدلب ، على بعد ٣٣ كم عنها .

(٨) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ق ٥٣ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ق ٣٢٣ .

إنشاء النواعير على نهر العاصي في حماة ، وهي تدور بذاتها ، وترفع الماء إلى الدور السلطانية ، ودور الأمراء ، والكبراء ، والبساتين ، والغيطان^(١) ، ويمد في أنطاكية ، من نهر العاصي قناة تدخل إلى المدينة حيث تنحرق أسواقها وطرقها وبساتينها مسافة اثني عشر ميلاً^(٢) .

٦- نهر الساجور : ينبع من جبال الروم (الأناضول) ويجري منها آخذ شرقاً حتى يحاذي مدينة منبج^(٣) ، ثم يصب في نهر الفرات ، وتتشعب منه شعب لولاها لم يذكر الساجور ، كما نصّ العمري على ذلك ، ثم حفر منه السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ٥٧٤٣هـ/١٣٤٢م) نهراً أوصله إلى مدينة حلب ، ويتفرع فيها ليسقي دورها ومساكنها ، إلا أنه قليل نزر ، لا يكفي المدينة^(٤) .

٧- نهر قُويق : وهو نهر حلب القديم ، ينبع من غرب نهر الساجور ، ويجري حتى يصل حلب ، فيسقي الأرض والمزارع ، ثم يجري حتى يصل شرقي قنسرين^(٥) ، فيصب في بحيرات لطيفة هناك^(٦) .

٨- نهر الفرات : يعبر النهر من منابعه في الأناضول إلى التقائه بنهر دجلة في القرنه ليكونا شط العرب الذي يصب في الخليج العربي ، ويمر الفرات في

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص ٣٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، مخطوطة يازمة باغشلار السليمانية ، استانبول ، رقم (٢٢٢٧) نشرت بالتصوير

الشمسي ، معهد العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٨م ، بإشراف فؤاد سزكين ، ق٣ ،

والميل : يساوي ٢ كم . انظر : فالتر هنتس ، المكايل والأوزان الإسلامية ، ترجمة كامل العسلي ،

عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٢م ، ص ٩٥ .

(٣) منبج : مدينة تقع في الشمال الشرقي لمدينة حلب ، وتبعد عنها ٨٠ كم . انظر : طلاس ، المعجم

الجغرافي ، ج٥ ، ص ٣٤٨ .

(٤) العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ص ٥٣ ، ج٣ ، ص ٣٢٦ .

(٥) قنسرين : موقع أثري الآن ، يبعد ٤٠ كم عن حلب .

(٦) العمري ، مسالك الأبصار ، ج١ ، ق٥٣ ، ج٣ ، ص ٣٢٦ .

طريقه بمناطق من بلاد الشام ، فيسقي سكانها ، ويروى مزرعاتها ، وهي مناطق الرقة ، وقرقيساء^(١) والرحبة^(٢) .

إضافة إلى تلك الأنهار الرئيسة ، فقد ألح العمري عرضاً لمجموعة من أنهار بلاد الشام الصغيرة ، مثل : نهر الزرقاء ، ونهر اليرموك ، ونهر بانياس^(٣) ، ونهر ميماس^(٤) بين دمشق وحمص^(٥) ، ونهر العرجان ، وهو من أنهار حلب حيث يقع في سفح جبل جوشن قرب دير مارمروثا^(٦) ، ونهر آخر لم يسمه يقع بين حمص وسلمية بجانب دير إسحاق^(٧) ، ووصف مدينة صيدا بأنها : كثيرة الأنهار ، ولم يذكر عددها ، ولم يسمها^(٨) . وكذلك أشار إلى وجود نهر جارٍ في قرية الكسوة^(٩) . وهو نهر الأعوج^(١٠) .

(١) قرقيسياء : هي قرية البصيرة حالياً قرب مدينة دير الزور السورية . انظر : طلاس ، المعجم الجغرافي ،

ج ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ق ٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٥٣ .

(٤) قرية دير ميماس المنسوب إليها النهر ، تقع في قضاء مرجعيون في محافظة النبطية في جنوب لبنان على بعد ٩٢ كم من بيروت .

(٥) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ق ٢٤٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٢٤٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٢٤١ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ ، والكسوة : مدينة تقع في محافظة ريف دمشق في الغوطة الغربية ، تبعد ١٨ كم جنوب دمشق . انظر : طلاس ، المعجم الجغرافي ، ج ٥ ، ص ٣٣ .

(١٠) أضاف شيخ الربوة ، أنهار إبراهيم وليطة في لبنان ، ونهر الأبتري بين بانياس وجبله ، نخبة الدهر ، ص ١٣٩-٢٧٧ .

ب- الينابيع والفضارات والآبار والصهاريج والبرك والقنوات والنواعير والطواحين:

ذكر العمري في ثنايا كتابه المسالك عدداً من الينابيع والمشاريع المائية والزراعية المقامة عليها ، وسمي بعضها ، في حين لم يذكر أسماء بعضها الآخر ، فقال أثناء حديثه عن دمشق : «نهر دمشق الخاص بها بردى ، وبها غيره من الينابيع فيما حولها»^(١) . وذكر من عيون الماء في دمشق وقراها ، عين الفيحة ، وعين الزبداني^(٢) ، وذكر نبع رأس العين في بعلبك ووصفها بأنها «متسعة الدائرة ، ماؤها في غاية الصفاء ، وحولها الساحات الخضر والبساتين المؤنقة ، يد منها نهر يصل إلى بعلبك وينقسم في بيوتها وجهاتها»^(٣) ، وأشار إلى نبع عين اللجوج في بعلبك أيضاً ، ويبيّن أنها في طرف بساتين بعلبك البعيدة ، وهي خفيفة الماء ، لا يشرب أكابر بعلبك وأهل النعمة بها إلا من مائها ، وحفرت منها قناة تصل إلى الجانب الشمالي من بعلبك ، وتصل إلى قلعتها ، وماؤها مستطاب ، مشهور وموصوف في البلاد^(٤) .

وتحدث عن عين سلوان في القدس ، وأنها تنبع من جبل القدس (الطور) ، وتخرج من صدع فيه ، ثم تجري في وادي جهنم ، وتسقي المباقل والبساتين ، وماؤها قليل ليس بالكثير^(٥) ، وعن عين ماء في الخليل جرها إلى مدينة الخليل بكتمر الجوكندار (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) أحد كبار أمراء المماليك ، في طبقة عالية يصعد إليها من نحو عشرين درجة في العلو^(٦) . وذكر عين ماء في مدينة صفد

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ١١٤ ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

وأشار إلى أنها قليلة الماء^(١)، وذكر أيضاً عيون ماء في الكرك، وسلمية، وصيدنايا، ومرج عيون، والهرماس، وعين ماء قرب دير الطور. وتحدث عن عيون كثيرة في قليب حوران (جبل العرب في سوريا)، تسقي كل عين أرضاً خاصة بها وخصوصاً المباقل، وهي لا تسقي كثيراً لعدم غزارة مائها^(٢).

وأشار أيضاً إلى وجود فوارتين في بلاد الشام، الأولى في وادي الفوارة قرب حصن الأكراد، يفور الماء فيه من بئر له سرداب لمدة يوم في كل أسبوع، فتسقى الأرض والمزروعات والثروة الحيوانية التي يقدم بها التركمان الرحل إلى الوادي لسقايتها، والأخرى تقع داخل البحر الشامي (المتوسط) قرب طرابلس عند منطقة برج البحصاص، داخل البحر برمية حجر، حيث تخرج منه فوارة ماء، حلو عذب، تخرج على وجه ماء البحر بارتفاع ذراع أو أكثر^(٣).

وأورد العمري إشارات تدل على وجود مصادر مياه في جميع منازل الحج الشامي ابتداءً من دمشق مروراً بالكسوة، فالصنمين، ثم زرع، فبصرى، والزرقاء، وزيزاء، والكرك، فقال عنها: «جميع ما قبله [الحسا] قرى عامرة ذات ماء»^(٤).

ولما كانت بلاد الشام تعتمد بشكل كبير على الأمطار في شرب سكانها وري مزروعاتها، فقد أقيم فيها العديد من الآبار وصهاريج الماء (أحواض ماء مغطاة)، وذكر العمري منها مجموعة من الآبار في مدينة بيروت مخصصة لشرب الأهالي^(٥)، وكذلك في غزة^(٦). وذكر مجموعة من الصهاريج عددها

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ق٥٣، ٢٤٧، ٢٦١، ج٢، ق٣، ٣، ص٣٢٩، ٣٣٣، ج٢٣، القسم الأول،

ص١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ق٣٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢١.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣٥.

خمسة عشر صهريجاً في أسفل الحرم القدسي فقط^(١) ، وأشار إلى مجموعة من الصهاريج في مدينة حلب تملأ من ماء المطر يعتمد عليها شرب أهل حلب^(٢) ، وكذلك ذكر مجموعة من الآبار والبرك في قرى حوران تزود من ماء المطر ، ومن عيون الماء في قلب حوران^(٣) ، ومنها بركة الفوار في حوران^(٤) .

وذكر العمري أيضاً بعض القنوات الموجودة في بلاد الشام ، لعل من أبرزها غير القنوات التي ذكرناها في الأنهار والينابيع ، قناة القدس التي بناها وساقها إلى المدينة الأمير تنكز الحسامي (ت ١٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) نائب السلطان في دمشق ، ساقها من بركة تجتمع فيها المياه ، تدخل إلى القدس وسور المسجد الأقصى^(٥) ، وقناة زملكا التي تسقي أهل قرية زملكا^(٦) من عيون الماء خارجها^(٧) ، وقناة قرية المعصرة من قرى دمشق^(٨) ، وقناة صيدا^(٩) ، وقناة حلب الممتدة من منطقة حيلان إلى حلب ، التي حفرها الملك الظاهر غازي (ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) وكلفته أموالاً كثيرة^(١٠) ، وقناة حماة الممتدة من سلمية

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ق ١٠٩-١١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، القسم الأول ، ص ١٨٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٣١-٣٣٢ .

(٦) زملكا : بلدة تتبع منطقة دوما في محافظة ريف دمشق ، تبعد ١٠ كم شرق دمشق . انظر : طلاس ،

المعجم الجغرافي ، ج ٣ ، ص ٥٦٢ .

(٧) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٢٧ ، مخطوطة الكونغرس الأمريكي ، رقم (٢٧٩٧) ، مصورة في مركز

الوثائق والمخطوطات ، الجامعة الأردنية ، رقم (١٠٥٥) ، ق ٣٩٨-٣٩٩ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ٣٦٢ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج ٢٦ ؛ مخطوطة يازمه باغشلار ، السلبيانية ، استانبول ، رقم (١٩١٧) ، نشرت بالتصوير

الشمسي بإشراف فؤاد سزكين ، معهد العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٩م ، ق ١٥٧ .

إلى حماة ، وغايتها ري البساتين الواقعة ما بين سلمية وحماة^(١) .

وانفرد العمري بذكر مقاسم الماء في حوران ، وشبكة الري التي تغذي سهول ووديان حوران بالماء للشرب والزراعة^(٢) ، نقلاً عن رواة من معاصريه خبروا حوران وهم : أوران الحاجب^(٣) ، والقاضي أبي القاسم محمد بن غاز البصراوي ، «أحد من قتل تلك البلاد خبراً ، وقلب أرضها بطناً وظهراً» ، ومحمد بن هلال أمير زبيد ، وقال «حدثني كل واحد منهم في مجلس»^(٤) . فذكروا له أن ثدي حوران (جبل العرب) وهو قليب حوران كما أورد العمري ، فيه مقاسم ماء قديمة تتجه أولها إلى جهة البر المقفر إلى جهتي الجنوب والشرق ، وهي مقسمة في البر المقفر ، تمتد في أودية ثم تنقسم في أودية لطاف كأنها كانت لبلاد عامر أهلة مثل حوران ، وهي غير مستخدمة في زمانه .

في حين يأخذ المقسم الثاني إلى مناطق حوران الغربية والشمالية يمتد من قليب حوران حيث تستمد القنوات الماء من عيون كثيرة فيه ، بالإضافة إلى الأمطار والثلوج التي تسقط عليه ، وتمتد أودية حوران الأربعة عشر ، سبعة في الغرب ، ومثلها في الشرق ، ثم تنقسم في أودية حوران وتتفرع إلى قراها ، فتملاً بركها وأبارها ، وتسقى مواضع من أراضيها المرتفعة المستغلة للزراعة ، وكذلك الأراضي المنخفضة .

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢٧ ، ق٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) أشار أحد الباحثين إلى نفق مائي طويل يمتد من قرية داعل في حوران السورية إلى قرية الطرة في حوران الأردنية . . . وهذا الموضوع بحاجة إلى تحقق واسع .

(٣) اوران الحاجب ، سيف الدين حاجب دمشق (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) . انظر عنه : الصفدي ، أعيان العصر ، ج١ ، ص٦٣٦ .

(٤) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢٣ ، القسم الأول ، ص١٨٠ .

وتجتمع المقاسم بشعبها في وادٍ واحدٍ على مسافة يوم عن قليب حوران ، حيث تمتد مياه هذا الوادي في برية حوران التي لا ماء فيها ، حتى يصل إلى رحبة عنزه^(١) ، وسكانها من عرب عنزة ، يكون مقدار مسيره من الوادي إلى الرحبة ثلاثة أيام ، فيطوف الماء بأرضها ، وتزرع شكاثر يزرعها من ينتجع إليها ، وتخصب خصباً لا يكون مثله ، يستغله الزراع وعرب عنزة ، ثم يصب الماء في حرة سوداء قرب الرحبة على طرف البر العريض ، ويجري هناك في مواضع من الحرة حتى يكون عمقه في بعضها قريب ثلاث قامات وأقل وأكثر ، إلا أنه بين أن الماء لا يصل إلى رحبة عنزة إلا إن نزل الثلج في قليب حوران^(٢) .

وأقيمت مشاريع كثيرة على الأنهار في بلاد الشام ، حيث تم إنشاء مجموعة من النواعير في حماة لنقل الماء من نهر العاصي إلى المدينة وبساتينها وحقولها ، وكانت النواعير تدور اعتماداً على قوة الماء بشكل كامل ، وأكد العمري هذه المسألة ، فقال : «ولها النواعير المركبة على العاصي ، تدور بذاتها ، وترفع الماء»^(٣) . وأشار إلى نواعيرها في ثنايا كتابه ، وخصوصها الناعورة الكبرى في حماة^(٤) . وذكر أيضاً مجموعة من الدواليب المنصوبة على نهر بردى لجر الماء من نهر بردى إلى البساتين والحقول^(٥) . والدولاب يدار بالدواب بينما الناعورة تدور بقوة الماء^(٦) .

(١) رحبة عنزة ، تعرف اليوم باسم رحبة ركاد ، وتقع شمال المملكة الأردنية الهاشمية ، في محافظة

الفرق ، بين بلدية الصالحية ونايفة ، وهي تنسب إلى ركاد بن شبيب من قبيلة عنزة .

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٢٣ : القسم الأول ، ص ١٨٠-١٨١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٦ ، ص ١٧٢ ؛ ج ٢٧ ، ص ٢٤٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١٣ ، مخطوطة السليمانية رقم (٣٤٢٦) ، نشرت بالتصوير الشمسي بإشراف فؤاد

سزكين ، معهد العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٨م ، ص ٣١٢ .

(٦) فالح حسين ، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، عمادة البحث العلمي ، الجامعة

الأردنية ، عمان ، ١٩٧٨م ، ص ٨٦ .

وأورد العمري معلومات نزرّة عن الأرحاء والطواحين التي تدار بالماء المقامة على نهري بردى والعاصي لطحن ما يحتاج للطحن من المنتجات الزراعية^(١)، ولم يفرق العمري في اصطلاحه بين الرحي، وهي الطاحونه التي تدار بالماء والدواب، والطاحونة، وهو لفظ يطلق على الطواحين التي تدار بالماء، وإنما أطلق اللفظان ليدلا على الطاحونه التي تدار بالماء، فذكر عن طواحين حماة في حوادث سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م: «وعزم «الملك شيركوه [الأيوبي حاكم حمص] على قطع نهر العاصي عن حماة، فسد منخرجه من بحيرة قدس التي بظاهر حمص، فبطلت نواعير حماة وطواحينها»^(٢)، وأشار إلى الطواحين المائية على نهر ميماس^(٣)، وفي إنطاكية على نهر العاصي^(٤)، إضافة إلى الأرحاء الكثيرة التي أشار لها في دمشق على أنهارها، وقد ذكرناها سابقاً.

أما البحيرات الموجودة في بلاد الشام، فذكر العمري أشهر تلك البحيرات دون أي إشارات واضحة عن فائدتها للزراعة، أو عن كيفية استغلالها في الري أو تربية الأسماك، وتلك البحيرات التي ذكرها هي: بحيرة طبرية، طولها إثنا عشر ميلاً، وبحيرة زغر (البحر الميت)، واشتهرت في زمن العمري بالمنتنة، وبحيرة دمشق، وبحيرة قدس (بحيرة حمص) التي تستغل لتربية السمك المنقول من الفرات إليها، وبحيرة أفامية، وبحيرة أنطاكية^(٥).

وتحدث عن بعض المياه المعدنية في بلاد الشام، وفوائدها العلاجية، وسماها الحماط جمع حمة، وهي اللفظة التي ما زالت مستخدمة في الأردن وفلسطين، وذكر حمة طبرية، وحمة جدر، وحمة القدموس التي يقصدها

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٣١٧، ٥٥، ص١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢٧، ق٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ق٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ق٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ق٥٩، ج٣، ص٣٣٠، ج٢٧، ق٢٤٣.

الناس للمعالجة بها^(١)، في حين أشار إلى وجود حوضين في حمة جدر أحدهما لعلاج من به ربح، والآخر لعلاج من يعاني من مرض الجرب والأمراض الجلدية، في حين يعالج باقي الماء سائر الأسقام، وربما فصل الماء المستخدم لعلاج الأمراض الجلدية عن غيرها خشية عدواها^(٢)، أما حمة طبرية، التي وصفها بأنها على شكل تنور سعته عشرة أذرع^(٣) يخرج منه ماء يدير رحى يحرق كل ما مسه، لذلك عمل منه جدول في عرض الجبل يمتد نحو ألف ذراع لغاية تقليل سخونة الماء، ويدخل الجدول إلى حمامين مسقوفين أحدهما للرجال والآخر للنساء تعالج من أمراض كثيرة^(٤).

ثانياً: المحاصيل الزراعية؛

اشتهرت بلاد الشام منذ عهود قديمة بوفرة إنتاجها الزراعي، واعتماد اقتصادها بشكل رئيسي على الزراعة، والصناعات الزراعية، والتجارة بتلك المحاصيل التي نقلت لشتى بلدان العالم المعروف آنذاك.

وقد رصد العمري الحاصلات الزراعية الشامية في عصره على مختلف أنواعها، متغنياً مفتخراً بذلك الإنتاج، مبيناً كذلك أنها تستخدم كأماكن للنزهة، وأشار إلى البساتين الكثيرة الموجودة في دمشق خصوصاً، وبلاد الشام عموماً. وأشار إلى بساتين دمشق، فقال: «و بها البساتين الأنيقة تتسلسل جداولها، وتفيء دوحاتها، وتتمايل أغصانها، وتغرد أطيارها، وفي بساتين النزهة العمائر الضخمة، والجواسق (القصور) العالية، والبرك العميقة، والبحيرات الممتدة، عليها العُرش المظلة تتقابل بها الأواوين والمجالس، وتحف

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج١، ق٥٣، ٥٩، ج٣، ص٣٢٨، ٣٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ق٥٣.

(٣) الذراع: تساوي ٦٦ سم. انظر: هنتس، الكايبيل، ص٨٩.

(٤) العمري، مسالك الأبصار، ج١، ق٥٩.

بها الغراس والنصوب ، المطرزة بالسرو ، الملتف البرود ، والجوز الممشوق الحدود ، والرياحين المتأرجحة الطيب ، والفواكه الشهية ، والبدايع التي تُغنيها شهرتها عن الوصف»^(١) ووصف الغوطة بأنها ذات بساتين كثيرة ، وكذلك الصالحية في دمشق ، وذكر وجود ميدانين بدمشق كل منهما مزروع بالنجيل^(٢) ، وأكد على وجود بساتين كثيرة في القدس ، ودير ميماس ، والزبداني ، وأنطاكية ، ودير صليبا ، وتدمر ، وغوطة دمشق ، ومنطقة الميدان بدمشق ، والمزة ، وبرزة ، وبعلبك التي وصفها بأنها متشابكة الأشجار ، وصيدا ، وحماة ، وحمص ، وطرابلس^(٣) .

وقام العمري بالتمييز في المصطلح بين الأراضي المزروعة بالأشجار ، والتي تشكل بساتين فسمها «البساتين» ، وبين الأراضي المزروعة بالحبوب والخضروات ، والبقوليات ، أو الأشجار التي لا تشكل بساتين «بالغيطان» والأراضي الحرجية وسمها «الغيضة»^(٤) .

وقدم العمري أوصافاً عامة لبعض المناطق الشامية في عصره تدل على وفرة إنتاجها الزراعي وأتساعه ، فوصف صيدا ومناطقها بقوله : «وكورتها كثيرة الأشجار ، غزيرة الأنهار ، وهي ولاية جليلة ، واسعة العمل ، ممتدة القرى ، تشتمل على نيف وستمائة ضيعة»^(٥) ، وهو بإشارته إلى كثرة وأتساع ريفها يشير بطريق غير مباشر إلى وفرة إنتاجها الزراعي ، وقال عن بعلبك : «تحف بالمدينة [بعلبك] غوطة عظيمة ، أنيقة ، ذات بساتين مشتبكة الأشجار ، بأنواع الثمرات

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، وانظر : ج ١ ، ق ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ١١٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٨١ ، ج ٢ ، ق ٣ ، ج ٣ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ .

ج ١٣ ، ق ٢٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣١٧ ، ٣٢٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢١ .

الحسان ، والفواكه المختلفة الألوان»^(١) . ثم وصفها «بلدٌ لطيف ، كثير الخير والأرزاق ، لا يكاد يفوتها من دمشق فائت»^(٢) ، وقال عن حماة : «وفي بساتينها الأشجار والغراس المفنن الأفنان»^(٣) . ثم قال : «وبها الفواكه الكثيرة ، والخيرات الغزار ، وأسعارها رخيصة»^(٤) . وأشار إلى الكرك وزراعتها «وماؤه من مطر السماء ، وله واد تتفجر عيونُه بالماء ، وهو بلد خصب وإقبال ومنبت زرع ومسرح مال»^(٥) ، ووصف الشوبك «ذات أكواب من جداول الأنهار وفاكهة . . . جلب [المعظم عيسى] إلى الشوبك غرائب الأشجار حتى تركها تُضاهي دمشق»^(٦) .

ويجدر الإشارة هنا ، إلى أنَّ العمري لم يَقم باستقصاء المحاصيل الزراعية في بلاد الشام بشكل كامل ، وإنما أشار إلى أهم المحاصيل التي اشتهرت بها بلاد الشام عموماً ، ودمشق خصوصاً ، كما أنه لم يتناول إلاَّ في القليل النادر الأنواع المختلفة للمحصول الواحد ، من مثل المشمش الذي لم يشر إلاَّ إلى نوع واحد من أنواعه اعتماداً على أنه ذكر أنَّ تلك المحاصيل لها أنواع كثيرة ، إضافة إلى أنه لم يَقم بتتبع أماكن زراعة المحصول الزراعي من بلاد الشام ، وإن ذكر بعضها أحياناً ، وكذلك الصناعات الزراعية لم يَقم بتتبعها إنما أشار إلى بعضها فقط .

أ- الحبوب والبقوليات والخضار

أورد العمري قائمة شبه متكاملة للحبوب التي تزرع في بلاد الشام ، وقال عن حبوب بلاد الشام «وهو من جميع ما ذكر في مصر من الحبوب»^(٧) . وقدم

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٣٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٢-٣٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٣٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٣٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٨ .

قائمة الحبوب في مصر التي تشابهها حبوب الشام ، وهي : القمح ، والشعير ، والبقول ، والحمص ، والعدس ، والبسلة (البازيلاء) ، واللوبيا ، والدخن ، والأرز^(١) . ولم يحدد العمري أماكن زراعتها من بلاد الشام ، وإن أشار إلى أماكن زراعة بعضها دون استقصاء ، وأضاف بعض المحاصيل إلى قائمته من مثل زراعة العدس ، والقمح ، والسماق في نابلس^(٢) ، والأرز في دمشق^(٣) ، وأشار إلى زراعة الذرة في بلاد الشام^(٤) ، إضافة للجلبان ، والكرابيا ، والكرسنة^(٥) ، والسمس^(٦) . والقطن^(٧) ، والملاحظ أنه لم يشر إلى المنتوجات الزراعية المصنعة لبعض هذه المواد من مثل زيت السمس مثلاً ، كما لم يشر إلى زراعة الوسمة ، التي يعمل منها النيلة^(٨) .

وقدم قائمة طويلة بالخضار ، والبقوليات التي تزرع في بلاد الشام في عصره ، والتي يبدو أنها تزرع في معظم مناطق بلاد الشام ، وأشار إلى البقوليات

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ ، وانظر : ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ١٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٦ ، ص ٢١٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ١٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ١٥٥ ، ج ٢١ ، ق ٣٣٣ ، ٣٣٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، ق ٢٨١ .

(٧) لم يشر إليه صراحة ، ولكنه أشار إلى صناعة الأقمشة وخصوصاً في حمص مما يؤكد زراعته في مناطقها ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ ، وانظر عن زراعة القطن في منطقة سرمين ، ابن بطوطة ، شمس الدين محمد عبد الله الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٨) أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن علي الأيوبي (٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، تقويم البلدان ، مكتبة الثقافة الرئيسية ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص ٢٦٥ .

في أكثر من منطقة دون تفصيل لأنواعها ، فقال عن حوران : يزرع بها مياقل (١) ، وكذلك عن أنطاكيا ودير مار مروثا في حلب ، والقدس (٢) ، وختم قائمة الخضروات بقوله : «وغير ذلك من أنواع الخضروات المأكولة» (٣) مما يؤكد أنه لم يستعرضها جميعها ، إنما أتجه إلى الأشهر .

وأهم تلك الخضار والبقوليات التي ذكرها : الخيار ، والقثاء ، واليقطين ، واللفت ، والجزر ، والقنبيط ، والهليون ، والملوخية ، والبقلة اليمانية ، والرجلة ، والبادنجان (٤) بنوعيه الأسود ، والأبيض الدمشقي (٥) ، والفجل ، والباقلي ، والبصل ، والبقلة الحمقاء (الفرحجين) ، والرشاد المعروف بدمشق في زمن العمري بالحرفَراف (٦) ، والثوم ، والتمرس ، والحلبة ، والحبازي ، والخردل ، الذي يعد الحلبي أجود أنواعه (٧) ، والخس ، والقرع ، والصعتر ، والعكوب ، والطَّرْخُون ، والشومر ، والكرفس ، والكُرَّاث ، والكزبرة ، والهندباء ، والكمون ، والريباس (نبات شبيه بإصلاخ السلق) (٨) ، والبطيخ بأنواعه ، الأصفر الشام (المعروف بالشام باسم دستبونونه في عصر العمري) والأخضر بأنواعه السمرقندي ، والحلبي ، ووصف بطيخ حلب بأنه أجود أنواعه في بلاد الشام (٩) .

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٢٣ ، قسم ١ ، ص ١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٢٧٠ ، ج ٢ ، ق ١١ ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٤١٦ ، ج ٢١ ، القسم ١ ، ص ٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ٣١ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١٦٥ ، ج ٢١ ، ق ٣١٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٦٨ ، ١٨٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ١٩٣ ، ج ٢١ ، ق ٢٢٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ج ٢٢ ،

ق ٢٧ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٤٤ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ ، ج ٢١ ، القسم ١ ، ص ١٠٨ ، وأشار ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ،

ص ٢٥٤ إلى بطيخ نابلس الأصفر

ب- الأشجار المثمرة:

رصد العمري أهم الأشجار المثمرة التي تزرع في بلاد الشام مع تركيز على مدينة دمشق وغطتها، ولم يرقم بتتبع دقيق للمدن الشامية، وأصناف الأشجار التي تزرع بها، ووصف مدناً شامية بكثرة أشجار الفواكه فيها دون تحديد لتلك الفواكه من مثل مدينة حلب، وحماة وبعبك، وبانياس، وغزة، والشوبك، والكرك^(١).

وقدم العمري قائمة لأهم الأشجار المثمرة في مملكة الشام في عصره، وهي: التين، والعنب، والرمان، والسفرجل^(٢)، والتفاح، والكمثري، والأجاص^(٣)، والقراصيا، والتوت، والفرصاد، والمشمش، والزعرور، والخوخ المسمى بالشام الدراقن، وأكد على أن هذه الثمار ذات أنواع متعددة، وأجناس شتى، واكتفى بهذه الإشارة لعدم الخوض في أنواع تلك الثمار، مع تأكيده على معرفته بتعدد أنواعها، وأن أجلاها موجود في مدينة دمشق، وأضاف إليها: الجوز، واللوز، والفسستق، والبندق، والليمون، والأترج، والكباد^(٤)، والموز، وقصب السكر، والنارنج^(٥).

وقدم العمري - بعد إيرادته لتلك القائمة - في ثنايا موسوعته، رسداً جزئياً غير كامل لبعض الأشجار المثمرة، وأماكن زراعتها في بعض مناطق بلاد الشام، وأضاف لتلك القائمة السالفة الذكر، والتي ركز بها على دمشق، بعض الأشجار التي لم يوردها بها أو مناطق زراعة بعض الأنواع التي ذكرها في قائمته

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٢، ق١١، ج٣، ص٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) أشار إلى زراعة الرمان والسفرجل في غوطة دمشق: انظر: مسالك الأبصار، ج٣، ص٣١٧، ج١٦،

ص١٤٠.

(٣) أكد أن أشهر أنواع الأجاص هو الشامي، أنظر: المصدر نفسه، ج٢٠، ق٩٢.

(٤) وانظر أيضاً عن زراعة الكباد والأترج، مسالك الأبصار، ج١٣، ق٣١١.

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٢٥٨.

السابقة ، فذكر أن التين يزرع في حلب ، ومعرة النعمان ، وقرية نوى بحوران ، والقدس ، وغزة^(١) . والغريب أنه لم يشر إلى منتج القطين الناتج عن تجفيف التين ، ولم يشر إلى أنواع التين .

أما العنب ، فذكر أنه يزرع إضافة لدمشق ، في طرابلس ، وغزة ، والقدس ، والغور ، وبلودان^(٢) . ولم يشر إلى الزبيب كمنتج مهم ناتج عن تجفيف العنب . وأشار إلى زراعة التفاح في لبنان بقرية بقرصونا من قرى جبل الطنين^(٣) ، وذكر زراعة التوت في القدس^(٤) ، والمشمش في حماة وخصوصاً الكافوري من أنواعه^(٥) ، والجوز في طرابلس^(٦) ، والنارج في دير كفتون قرب طرابلس ، وأنه يحمل إلى طرابلس ويباع بها^(٧) ، والموز في طرابلس^(٨) ، وقصب السكر في

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ق ٥٣٠ ، ج ٣ ، ص ٣٣٥ ، ج ٥ ، ص ٤٦٣ ، ج ١٣ ، ق ٢١٣ ، ج ١٦ ، ص ٢٤٨ ، وأشار ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٦٠ ، ٢٧١ ، إلى زراعة التين في صيدا ، ومعرة النعمان .

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ق ٥٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ ، ٣٣٥ ، أشار ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٦٠ ، ٢٧٧ إلى زراعة العنب في حلب وفي صيدا ، وأشار إلى زبيب صيدا ، وأضاف شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٧٩ جبل عامل .

(٣) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ، وأشار إلى أن وادي القرية مزروع بشكل كامل بالتفاح ، وأن دودة أصابته ، فأتلفت الموسم ، والجبل هو الآن المعروف بالضنية في لبنان .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٥٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ٣٤٣ ، انظر عنه شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٦٧ ؛ ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

(٦) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ ، إضافة لزراعته بدمشق ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ق ٢٧٢ ، وانظر : ج ١٣ ، ق ٣١١ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ .

طرابلس والغور^(١)، والبلح في طرابلس^(٢)، والخرنوب، ولم يحدد مكان زراعته في بلاد الشام^(٣).

وأفرد الزيتون كمنتج زراعي مشهور لوحده، وقال عنه: «وبإنشام الزيتون الكثير، ومنه يحمل إلى كثير من البلاد»^(٤)، وأشار إلى وجوده في دمشق، والقدس، وحلب^(٥) فقط رغم أن الزيتون من أشهر منتجات بلاد الشام الزراعية، لا تكاد تخلو منه قرية من قرى بلاد الشام، وأشار إشارة عابرة إلى استخراج الزيت منه، وأنه يصدر إلى اليمن^(٦).

ج- الورود والرياحين؛

اشتهرت بلاد الشام منذ القدم بكثرة مروجها، وتنوع الأزهار والورود والرياحين فيها، وارتباطها بصناعة ماء الورد واستخداماته المتعددة، وقدم العمري قائمة بأهم تلك الورود والرياحين مركزاً على وجودها بدمشق، غير معتن بتتبع مناطق زراعتها في غير دمشق من مناطق بلاد الشام إلا في القليل النادر، وأبرز تلك الورود والرياحين: الآس، والورد، والبنفسج، والنيلوفر، والخلاف، والنرجس، والمنثور، والياسمين، والترنجان، والمرزنجوش، والنمام،

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ٢٥٩، ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢١، قسم ١، ص١٨٥، وحدد شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٩، وجود الخروب

في جبل عامل، وذكر ابن بطوطة الرحلة، ج١، ص٢٥٤ وجوده في نابلس.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٥٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ق٥٣، ج١٣، ق٢١٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٤، ذكر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٢، ٢٧٩، زراعة الزيتون في جبل

عامل، ومعرفة النعمان، وزاد ابن بطوطة، الرحلة، ج١، ص٢٥٤، ٢٦٠، ٢٧٢، نابلس، وصيدا،

وسرمين.

والنسرين^(١)، والأس البري المشهور بدمشق باسم قف وانظر^(٢).
وأشار إلى وجود أزاهر مختلفة الألوان في القدس، منها: الشقائق، والبهار،
والأقحوان^(٣)، وفي حمص: النرجس، والأقحوان^(٤)، وفي دير مار مروثا قرب
حلب: النرجس، والبنفسج، والزعفران^(٥).

د- الأشجار الحرجية:

لم تلق الأشجار الحرجية اهتماماً كبيراً من العمري لذلك اقتصر ذكره لعدد
محدود منها رغم كثرة الغابات الحرجية في بلاد الشام، فأورد وجود أشجار
الصنوبر في حصن التينات قرب أنطاكية^(٦)، ووجودها بكثرة في بيروت حيث
تشكل غيضة مساحتها اثني عشر ميلاً^(٧)، إضافة لاهتمامه بأشجار الحور
الموجودة بدمشق، ووصف أخشابها بأنها من خير أخشاب الأرض^(٨)، وشجر
السرو في دمشق^(٩)، وكذلك شجر الغار^(١٠).

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٣، ص٢٥٩، ج١٣، ق٢٢٠، ٣١٢، ج١٦، ص١٧٧-١٧٨، ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢١، قسم ١، ص٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ق١١٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ق٢٤٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ق٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢١.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٣١٣، ٣١٧، ج١٣، ق٢٢٠.

(٩) المصدر نفسه، ج٣، ص٣١٤.

(١٠) المصدر نفسه، ج٢٠، ص١٠٣.

هـ- النباتات الطبية:

أورد العمري عدداً لا بأس به من النباتات الطبية التي تنبت برياً أو تزرع في بلاد الشام ، وذكر وجودها بكثرة في فلسطين والأردن ، فقال : «وأما ما يطلع بجبال القدس وبلاد فلسطين والأردن من الحشائش المنصوص عليها في كتب الأطباء فكثير جداً»^(١) ، وأبرز تلك الحشائش الطبية والرعوية : الأثل ، والأراك ، والعشر ، والقيصوم الموجودة بكثرة في دمشق وقراها^(٢) ، والشيح الموجود بدمشق أيضاً وقراها ، والذي كان يستخدم أيضاً في وقود الأفران بمدينة دمشق^(٣) ، والمريافلون (ذات الألف ورقة) وهي من أصل الأمصال النافعة من السموم القتالة ، تنبت في جبال القدس ، وبلاد فلسطين ، والأردن^(٤) ، وأكثار ، هو نبات طبي يكثر بقصر عفراء من أعمال قرية نوى بحوران^(٥) ، وآلسن ، وهو نبات يعرف بالشام بحشيشة السلحفاة ، يستخدم أيضاً في وقود النار^(٦) . والافتيمون ، وهو نبات طبي يشبه الصعتر ، يوجد بعسقلان والقدس^(٧) ، والبابونج ، وإكليل الملك^(٨) ، وأمير باريس وأجود أنواعه البيروتي والبلعبيكي^(٩) ، وأنيسون ، والقريص ، والريحان ، وبخور مريم ، المعروف بالشام باسم الراهب^(١٠) ،

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ٢٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٠٦ ، ٣١٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣١٦ ، ج٩ ، ص٣٧١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ٢٨١-٢٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢١ ، قسم ١ ، ص١٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٢١ ، قسم ١ ، ص١٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢١ ، قسم ١ ، ص٤١ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٢١ ، قسم ١ ، ص٥٠ ، ٥٢ .

(٩) المصدر نفسه ، ج٢١ ، قسم ١ ، ص٥٧ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج٢١ ، قسم ١ ، ص٦٢ ، ٦٤ ، ٨٠ ، ٨٩ .

وبنتومة المعروف بذرق الطير في دمشق ونابلس ، وبالعتم في الشوبك^(١) ،
والجعدة ، والحاش أو صعتر الحمير والموجود بكثرة في القدس ، ورجل الغراب ،
والسرخس أو الشرد الموجود في جبلي بيروت ولبنان^(٢) ، والأشنان ، وهو نبات
لا ورق له ، ويستخدم أيضاً بعد طحنه لتنظيف الملابس بعد غسلها به^(٣) .
والمثنان الموجود بكثرة في غزة والداروم ، والمستخدم أيضاً من قشره أرسان
الدواب^(٤) .

ثالثاً. الصناعات الزراعية:

أشار العمري إلى بعض الصناعات القائمة على الزراعة ، وإن لم يقيم
بعملية استقصاء لها ، بل أوردتها عرضاً أثناء حديثه عن بعض المنتجات الزراعية
في بلاد الشام ، والصناعات التي ذكرها هي :

١- الخمر : اشتهرت بلاد الشام منذ عصور قديمة بصناعة الخمر المستخرجة من
كروم العنب المزروع بكثرة في مناطق متعددة فيها ، وخصَّ العمري أربع
مناطق مشهورة بالخمر وهي : بلاد الشوف في لبنان^(٥) ، ودير الطور (بين
طبرية واللجون)^(٦) ، وصيدنايا في سوريا ، وأشار إلى شهرة خمرها فقال :

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ١٥٣ ، ١٥٩ ، ج ٢١ ، ق ٢٦٦ ، ٢٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٩٥ ، ج ٢١ ، قسم ١ ، ص ٣٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢٢ ، ق ٢٠ ، وقد تتبع ابن البيطار . عبد الله بن أحمد (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) ،

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، النباتات وفوائدها الطبية ،
فيراجع لمعرفة الفوائد الطبية للأعشاب السابقة ، وخصوصاً أنه جمع النباتات على شكل معجم
على الحروف .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣١١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

«وصيدنايا معدن ذهبها [الخمور] ، وأفق كوكبها»^(١) ، دمشق ، ونبه إلى أن خمورها موصوفة في الآفاق ، وذكر أنواعاً متعددة لها ربطها بالألوان ، فقال : «فمن حمراء . . . ومن صفراء . . . ومن بيضاء . . . ومن وردية»^(٢) .

٢- السكر : اهتم الشاميون بالسكر لدخوله في الكثير من الحلويات التي يصنعونها ، لذلك حولوا قصب السكر إلى نوعين من السكر ، الأول السكر العادي ، واشتهرت به دمشق وطرابلس^(٣) ، والآخر السكر المكرر وهو أعلى جودة ، واشتهرت به مدينة دمشق^(٤) ، وأشار العمري إلى أن أسعار السكر بها أزيد من أسعاره في مصر ، ولكن بزيادة محدودة غير كبيرة ، وأورد أسعار السكر بنوعيه في مصر في زمانه ، فأورد أن متوسط سعر رطل^(٥) السكر العادي يبلغ درهماً ونصف ، في حين يبلغ متوسط سعر رطل السكر المكرر درهمين ونصف^(٦) ، ومن ثم فإن الراجح أن متوسط سعر رطل السكر العادي في بلاد الشام لا يتجاوز الدرهمين ، ورطل السكر المكرر لا يتجاوز الثلاثة دراهم بناءً على تقدير العمري الذي نصّ - كما أسلفنا - على أن سعر السكر في بلاد الشام أزيد من سعره بمصر ولا يكتر^(٧) .

٣- المربيات : لم يتتبع العمري بيان أصناف المحاصيل الزراعية المحولة ثمارها إلى مربيات ، بل ذكر رب الخروب المستخرج من الخروب الياقوتي في بلاد الشام ، ولم يحدد له منطقة محددة من الشام مما يدل على انتشاره وشيوعه

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٣١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣١١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ ، ٣٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٥) الرطل : وحدة وزن يساوي الدمشقي منه ١,٨٥٠ كغم . انظر : هنتس ، المكابيل ، ص٣٣ .

(٦) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٢٥٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

في معظم بلاد الشام^(١) . وذكر أيضاً لعوق الجميز المعمول في بلاد الشام ، وأنه يصنع من نوع من الجميز يسمى الجميز البلبي^(٢) .

٤- ماء الورد : وهو إنتاجٌ تشتهر به دمشق منذ القدم ، وكان يصدر إلى مناطق كثيرة من العالم^(٣) ، وأشار العمري إلى أداة استخراجها ، وهي الكركة^(٤) ، وأشار إلى الأنابيب التي يقطر بها ماء الورد ، وأن تقطير ماء الورد بالكركة يتم بالنار ، إلا أن الطريقة الأجود حسب رأي العمري هي طريقة استخراج ماء الورد بالإنبيق والقرع^(٥) فوق بخار الماء^(٦) .

٥- زيت الزيتون : أشار إليه عرضاً ، وذكر أنه ينقل إلى أماكن كثيرة^(٧) ، ولم يذكر صناعة الصابون التي تقوم عليه سواء في سرمين أو نابلس^(٨) .

وأورد اشتهاً مدينة بعلبك بصناعة الملبن المعمول على أنواع منها ، والذي وصفه بارتفاع الجودة ، وأنه يقل وجود مثله في الأرض^(٩) ، وأشار إلى صناعة

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٢١ ، القسم الأول ، ص ٨٥ . انظر صفة صناعته وصناعة حلواء الخروب منه في نابلس ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

(٢) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٢٠ ، مخطوطة سراي طوب قابي سراي ، احمد الثالث ، نشرت بالتصوير الشمسي ، معهد العلوم العربية والإسلامية ، فرانكفورت ، ١٩٨٠ م ، بإشراف فؤاد سزكين ، ق ١٠٠ .

(٣) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٤) عن الكركة وأقسامها : انظر : شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٦١-٢٦٥ .

(٥) الأنبيق : الأنبوب ، القرعة ، جرة من الزجاج ، وانظر عنها : شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٦١ .

(٦) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ١٦ ، ص ٩٣ ، ٧٥ ، ١٧٦ ، ج ٢٠ ، ص ١٣٧ ، والملاحظ أنه لم يتدماً وصفاً تفصيلاً لعملية تقطير ماء الورد .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ ، ج ٤ ، ص ٢٤ .

(٨) ابن بطوطة ، الرحلة ، ج ١ ، ص ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ .

(١٧٩) العمري ، مسالك الأبصار ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ ، انظر صفة صناعته من العنب ، ابن بطوطة ، الرحلة ،

ج ١ ، ص ٢٩٥ .

الأقمشة في مدينة حمص ، وأن أقمشتها تتلو أقمشة مدينة الإسكندرية في الجودة^(١) .

رابعاً- الثروة الحيوانية:

اعتمد المزارعون على الثروة الحيوانية وتربية المواشي لإكمال الدورة الزراعية ، ولطعامهم ، وللتجارة بفائض إنتاجهم ، وأورد العمري ذكر بعض الحيوانات التي تربي في بلاد الشام عموماً ، ودمشق خصوصاً ، وأبرزها : الإوز ، والدجاج ، والحمام ، وكثير من أنواع الطيور حسب عبارته^(٢) ، ونبه إلى أن الفراريج لا تكون في دمشق إلا بحضانة من الدجاج نفسه حتى يفقس^(٣) ، على عكس مصر التي تفقس الفراريج في معامل خاصة كالتنانير ، ويعمل بها البيض ، وتوقد بنار تحاكي نار الطبيعة في حضانة الدجاج البيض^(٤) . وذكر محاولة لأحد المصريين لإنشاء معمل لتفقيس الفراريج في دمشق ، وأنه نجح في الصيف ، إلا انه فشل فشلاً ذريعاً في الخريف وخسر ، مما أجبره على ترك دمشق وإغلاق معمله ، والعودة إلى مصر^(٥) .

وذكر العمري انتشار تربية الأغنام والمعز في طرابلس بشكل كبير^(٦) ، وكذلك في المناطق الجنوبية من غزة^(٧) وفي دمشق وإن لم ينص عليها ، إلا أنه أشار إلى اشتهار دمشق بصناعة جلود الخراف المدبوغة بالقرظ المضروب بها المثل

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص ٣٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٥٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣٢٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣٣٥ .

في جودة الصنعة ، وأنها تصدر إلى مصر وبقيّة بلاد الشام والعراق ، ومناطق الأناضول^(١) . وأشار إلى تربية دودة القز على أشجار التوت في مناطق شمال بلاد الشام^(٢) ، والنحل وإن لم يسمه ، وإنما أشار إلى وجود العسل بكميات متوسطة في دمشق^(٣) .

واهتم أيضاً بتقديم متوسط لأسعار لحوم بعض الحيوانات ، فأورد أن أسعار اللحم في عصره أرخص في دمشق منها في القاهرة^(٤) ، التي يبلغ أقل سعر له فيها نصف درهم للرطل^(٥) ، في حين أن أسعار الدجاج متماثلة بين دمشق والقاهرة^(٦) ، وأن سعر الجيد منه في القاهرة بدرهمين ، والممتاز بثلاثة دراهم ، والأقل جودة بدرهم واحد^(٧) ، وأن سعر الإوز في دمشق أعلى من القاهرة دون أن يشير إلى سعره^(٨) . وأشار إلى أن أسعار السلع الغذائية في بعلبك أقل أسعاراً من دمشق ، ونبه أيضاً إلى رخص الأسعار في حماة^(٩)

وأشار إلى تربية الأسماك في بحيرة حمص ، وأنه ينقل إليها من نهر الفرات ، فيربى ويتوالد في البحيرة ، ثم يصاد^(١٠) .

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٣١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١٦ ، ص٢٨٨ ، ج٢٠ ، ص٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٥ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٩ ، وقارن ، ص٢٥٥ .

(٩) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٢ ، ص٣٢٥ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٢٣ .

خامساً. المكاييل والأوزان؛

تحدث العمري عن المكاييل والأوزان في عصره ، وخصوصاً في مدينة دمشق ، ولم يقم بتتبع دقيق للمكاييل والأوزان وفروقاتها في مناطق بلاد الشام جميعها ، إنما أشار لبعضها وخصوصاً في المدن الكبرى ، كما لم يتتبع جميع المكاييل والأوزان المستخدمة في بلاد الشام ، بل أشار إلى أشهرها ، والتي يعتمد عليها في الأغلب في المنطقة ، غير أن أهميته تنبع من أنه قام بوصفها في عصره ، وهو من خبرها وتعامل بها وخصوصاً في دمشق .

والمكاييل والأوزان التي ذكرها العمري في بلاد الشام هي :

١- الرطل : أشهر وحدات الوزن استعمالاً في الشرق العربي ، حدد العمري وزنه باثنتي عشرة أوقية ، والأوقية خمسون درهماً ، فيكون الرطل ٦٠٠ درهم تعادل ٥٩٢,٥ درهماً مصرياً على ما قرره العمري من أن الصنجة في الشام تنقص عن مصر بمقدار ١,٢٥ مثقال في كل مئة مثقال^(١) ، وعلى حساب هنتس أن كل درهم مصري في عصر العمري يعادل ٣,١٢٥ غم ، فإن الرطل الدمشقي يعادل ١,٨٥ كم^(٢) . وأكد العمري على أن وزن الرطل يزيد في بر دمشق حتي يكثر تفاوت ما بينهما لعظم زيادة بعض المواضع ، وكذلك فإن رطل حلب وحماة وحمص أزيد من رطل دمشق ، ولكن دون تحديد منه لتلك الزيادة^(٣) .

٢- الأوقية : من وحدات الوزن في بلاد الشام ، حدد العمري وزنها بأنه يعادل خمسين درهماً^(٤) ، وتعادل في النظام المتري ١٥٤,١٦٦ غم^(٥) .

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٢٥٣ .

(٢) هنتس ، المكاييل ، ص٣٣ .

(٣) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص٢٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٢٥٣ .

(٥) هنتس ، المكاييل ، ص٢٠ .

- ٣- الدرهم : المقصود هنا درهم الكيل ، وهو وحدة وزن يقوم عليها تقدير وزن بقية الأوزان ، ويعادل وزن الدرهم ٣,١٢ غم^(١) .
- ٤- الغرارة : وهي وحدات المكايل في بلاد الشام ، وحدد العمري وزنها باثني عشر كيلاً^(٢) ، وتعادل ٢٠٤,٥ كغم وزناً ، ٢٦٥ لتراً بوصفها ميكالا^(٣) ، وما ينطبق على الرطل ينطبق على الغرارة من حيث تفاوت أوزانها بين دمشق وبرها (الولايات التابعة لها مباشرة) إلا أن الرطل والغرارة الدمشقيان هما الاعتباران في البيع والشراء ، وإليهما المرجع^(٤) .
- ٥- الكيل : مكيال يساوي ستة أمداد ، ويعادل ١٧ كغم أو ٢٢,٠٨ لتراً^(٥) .
- ٦- المد : مكيال قدر العمري بأنه ينقص قليلاً عن الربع المصري ، ويعادل ٢,٨٤ كغم أو ٣,٦٧٣ لتراً^(٦) .
- ٧- المكوك : وحدة من وحدات الكيل استخدم في حلب ، وحماة ، وحمص بديلاً للغرارة المستخدمة في دمشق ، وتعادل الغرارة ، مكوكان ونصف ، وتعادل ٨١,٧٥ كغم أو ١٠٥ لترات ، وأكد العمري أن المكوك يختلف مكياله بين المدن الثلاث^(٧) .

(١) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص ٢٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢٥٣ .

(٣) هنتس ، المكايل ، ص ٦٤ .

(٤) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص ٢٥٤ .

(٥) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص ٢٥٣ ؛ هنتس ، المكايل ، ص ٧٠ .

(٦) العمري ، مسالك الأبصار ، ج٣ ، ص ٧٥ ، ص ٢٥٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٧٩ ، ص ٢٥٤ .

المعارف والمهارات الزراعية في بلاد الشام من خلال مخطوطة:
(جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الفلاحاة)
لرضي الدين الغزي المتوفى سنة ٩٣٥ هجرية / ١٥٢٨ ميلادية

إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري (*)

عاشت بلاد الشام في القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين المرحلة الأخيرة من عمر دولة المماليك ، التي كانت تسير نحو الانهيار ، ثم السقوط أمام قوة العثمانيين المتصاعدة ، لتدخل بلاد الشام في حوزتهم إثر معركة مرج دابق الفاصلة سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦ م . وقد أبقت الدولة العثمانية بلاد الشام على تقسيماته الإدارية السابقة ، حيث كان المماليك يعاملون البلاد الشامية على أساس وحدات إدارية رئيسية ست ، يُطلق عليها النيابات ، يحكم كلاً منها نائبٌ يُعيّن من القاهرة مباشرةً ، وهي : دمشق ، وحلب ، وحماة ، وطرابلس ، والكرك ، وصفد . ثم قُسمت هذه النيابات الست إلى وحدات إدارية أصغر (أعمال ، نواحي ، قرى) ، تاركين لكل نائب من أولئك النواب الحرية في حكم نيابته ، مكتفين بإعلان طاعته للسلطان المملوكي في القاهرة ، وإرسال الأموال ، والمساهمة في إمداده بالعساكر وقت الحروب . وقد عبّر القلقشندي عن ذلك بقوله : «إن الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك ، في ست قواعد . وكل مملكة منها قد صارت نيابةً

(*) جامعة العلوم الإسلامية العالمية ، عمان ، الأردن .

سلطنة مضاھيةً للمملكة المستقلة»^(١) .

كما أبقوا على الزعامات المحلية تدير شؤون مناطقها من منطلق الحق العشائري القبلي المتوارث ، أو الإقطاعي ، طالما كان أولئك الزعماء محافظين على الأمن والاستقرار ، ودفعت الضرائب ، وإعلان الطاعة .

ومن التدقيق بالخريطة الإدارية لبلاد الشام نلاحظ أن تنظيم الوحدات الإدارية قد تركّز غربي بلاد الشام ، على العكس من المناطق الشرقية التي تُركت دون تقسيم إداري واضح ، وهذا بسبب الطبيعة الجغرافية ، حيث الخصوبة والاستقرار السكاني في الغرب ، أما الشرق فباديةً أرضاً وسكاناً .

ومن الطبيعي أن يتبع ذلك الاستقرار والخصوبة نشاطاً اقتصادياً مزدهر تميّه التجارة الداخلية . في حين بقيت معظم السواحل مهملةً ضعيفة النشاط الاقتصادي بسبب الحروب الصليبية ٤٩٣-٦٩١هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م ، وما خلفته من دمار ، ولسياسة أتبعها الأيوبيون ثم المماليك بعدهم ، وهي إبقاء موانئء البلاد الشامية «خربةً» ، حتى لا يكون ازدهارها مطمعاً لدول الغرب ، وحافزاً لهم للعودة إليها . ولو عادوا ، وجدوها خراباً ، بل إنهم ردموا مراسيها حتى لا تتمكن السفن الحربية الأوروبية من الدخول إليها»^(٢) .

(١) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٤ج ، تعليق مُحَمَّد شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ج ٤ ، ص ١٨٦ ؛ وانظر : مُحَمَّد بن عيسى بن كنان الصالحي (ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م) ، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ، ٢ج ، تحقيق حكمت إسماعيل ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، ١٩٩٢م ، ج ٢ ، ص ٥ وما بعدها . وعنده أنها خمس نيايات وعملان ، فأسقط الكرك ، وجعلها عملاً ، والعمل الآخر غزة وتشمل القدس والرملة .

(٢) ليلي الصباغ ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني ، ٢ج ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ج ١ ، ص ٢٣٤ وما بعدها . وانظر : وديع عبد الله قسطون ، الإفنج في حلب في القرن الثامن عشر ، مطبعة الضاد ، حلب ، ١٩٦٨م ، ص ١٣٠ .

وحينما أخضع العثمانيون بلاد الشام بعد مرج دابق ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ، والانتهاء من أمر المماليك في معركة الريدانية سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م ، شرعوا في إعادة تنظيم شؤونها لتناسب مع الواقع الجديد ، فجاءت تلك التنظيمات مبنية على ضرورات جغرافية طبيعية ، وسياسية أمنية ، لكنها - في حقيقة الأمر - لم تبعد كثيراً عما كان المماليك قد درجوا عليه ، وذلك لانشغال السلطنة العثمانية بخطرین كبيرین : الصفوي شرقاً ، والأوروبي (البرتغالي) شمالاً وغرباً^(١) ، ولسبب جوهری آخر ، هو تحكّم الطبيعة الجغرافية للأرض والسكان . وقد بذل السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م) وابنه سليمان القانوني (٩٢٧-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) من بعده جهوداً كبيرة في إجراءات تغيير التنظيم الإداري لبلاد الشام بهدف إحكام قبضة الدولة وسيطرتها ، فلا يكاد يمر عامٌ دون تغيير ، والأسبابُ كثيرةٌ : سياسية ، أمنية ، اجتماعية ، اقتصادية ، ثقافية وغيرها^(٢) .

لكن الملاحظة المهمة هنا أن الدولة حينما قسّمت بلاد الشام إلى إیالات (ولايات) ، ربطتها مباشرةً بالعاصمة اسطنبول ، في حين جعلت مناطق أخرى من بلاد العرب أكبر منها مساحةً كمصر والجزائر وحداتٍ إداريةٍ رئيسةً ، متمتعاً بشيءٍ من الاستقلال الذاتي ، وهذا راجعٌ - بالتأكيد - إلى قرب الولايات الشامية من مركز الدولة ، وموقعها المهم الرابط بين المركز وبلاد العرب ، واعتبارها البوابة الجنوبية التي تلج منها جيوش الدولة - وقت الحاجة - إلى ولاياتها العربية ، وخاصة مصر والجزيرة العربية . والحق أن رغبة الدولة في ضمان هدوء ولاياتها المجاورة جنوباً هي التي جعلتها تُكثر من التغييرات

(١) لیلی الصباغ ، المجتمع العربي السوري في العهد العثماني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، مطبعة دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣م ، ص ٢٩ .

(٢) مُحَمَّد أديب آل تقي الدين الحصني ، (ت ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م) منتخبات التواريخ لدمشق ، ج ٣ ، تقديم

كمال سليمان الصليبي ، ط ١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

الإدارية ، وتبديل الولاية ، فهناك ثوراتٌ ، وحركات تمردٌ ، سواء من الولاية (كثورة جان بردى الغزالي والي دمشق ٩٢٣-٩٢٧هـ / ١٥١٧-١٥٢٠م)^(١) أو من الزعماء المحليين (كالأمير فخر الدين المعني الثاني أمير جبل لبنان)^(٢) ، وظاهر العمر الزيداني صاحب النفوذ العشائري الكبير في شمال فلسطين)^(٣) كما أن بلاد الشام منطقة ذات ثقل اقتصادي (ضرائبي) كبير ، وهي في الوقت نفسه الإقليم المؤدي إلى الديار المقدسة في الحجاز .

وتمشياً مع هذه السياسة الحريضة على الهدوء والاستقرار ، تركت الدولة الزعماء المحليين ، وأصحاب النفوذ المتوارث يمارسون سلطتهم ، طالما لا تتعارض مع مصالح الدولة .

لذا ، ظل الناس يعيشون حياتهم كما كانوا أيام المماليك ، وخاصة الفلاح في الريف ، فهو يعمل طوال العام كداً ونشاطاً ، يجمع الضريبة المفروضة عليه للدولة ، سواء بسواء ، المماليك والعثمانيين .

وعلى الرغم من عدم اتفاق الجغرافيين والبلدانيين المسلمين حول حدود

(١) نجم الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزِيّ (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م) ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، ج٣ ، تحقيق جبرائيل جبور ، ط٢ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج٣ ، ص ١٦٨ ؛ الحصني ، منتخبات التواريخ ، ج١ ، ص ٢٤٥ .

(٢) عنه وعن حركته ، انظر : أحمد بن مُحَمَّد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م) ، لبنان في عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني ، ضبط وتنظيم أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني ، منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات التاريخية ، بيروت ، ١٩٦٩م .

(٣) عنه وعن حركته ، انظر : عبود الصباغ (القرن ١٢هـ / ١٨م) ، الروض الزاهر في تاريخ ظاهر ، تحقيق مُحَمَّد محافظة وعصام هزايمة ، ط١ ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، إربد ، ١٩٩٩م ؛ خالد مُحَمَّد عطية صافي ، ظاهر العمر الزيداني ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٧م .

بلاد الشام^(١)، إلا أن التضاريس الجغرافية شكّلت حدوداً طبيعية لها، حيث تحدّها سلسلة جبال طوروس شمالاً، وتفصل بينها وبين بلاد الروم^(٢) (تركيا حالياً)، والبادية شرقاً وجنوباً تفصل بينها وبين العراق والجزيرة العربية، وكذلك نهر الفرات يشكّل حداً شرقياً. أما في الغرب فالبحر المتوسط هو الحد الفاصل بينها وبين العالم الخارجي.

وهذه الوحدة الجغرافية الواضحة المعالم تمتاز بخصوبة عالية مما جعلتها تحتلّ مكان القلب من المفهوم الجيوسياسي (الحديث): الهلال الخصيب.

وهذه الخصوبة وكثرة الخيرات والمحاصيل هل التي جعلت كلّ الأقوام الذين استوطنوها يشتقّون منها نماذج لألهتهم ومعبوداتهم، دلالةً على العطاء والنماء والرخاء، وهي - أيضاً - التي جعلت العرب المسلمين - حينما فتحوها - ينبهرون بها، وبالأغماط والتنظيمات الزراعية السائدة.

كما إن هذه الوحدة الجغرافية كانت - ولا تزال - تتمتع بمناخ متوسطي صالح للجهد الزراعي والنشاط الإنساني الحضاري بشكل عام، رغم تفاوته - داخل الأقاليم - في التضاريس، ودرجات الحرارة، ووفرة المياه.

وعلى الرغم مما تميّز به الفلاح الشامى - على طول التاريخ - من نشاطٍ زراعي وبذل جهد كبير، إلا أنه قاسى كثيراً من الويلات والكوارث الطبيعية والبشرية، فقد أصيبت - في كثير من السنين - الأرض والإنسان معاً بزلازل

(١) جمع تلك الآراء وناقشها فالح حسين في كتابه: «الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي»،

(نشر بدعم من الجامعة الأردنية)، ١٩٧٨م، ص ١١ وما بعدها.

(٢) ناقش هذا المفهوم ومدلولاته، وخاصة في أعمال نجم الدين الغزيّ تيسير خليل الزواهرة في بحثه:

مدلول (الروم) في المصادر العربية الإسلامية / أعمال نجم الدين الغزيّ أنموذجاً، المجلة الأردنية في

اللغة العربية وأدائها، مجلد ٤، عدد ١، ذو الحجة ١٤٢٨هـ / كانون الثاني ٢٠٠٨م.

مدمرة^(١) ، وجذب ومحل نتيجة انقطاع الأمطار ، أو العكس بهطول غزير للأمطار وتلوج مميته . إضافة إلى ما شهدته بعض بلدان الشام من جراد وأوبئة وطواعين^(٢) ، وخاصة ما وقع سنة ٧٤٩هـ حيث عم الطاعون الجارف - كما أُطلق عليه - العالم بأسره ، وفتك بالناس فتكاً شديداً . وقد عمل زين الدين عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي مقامة (النبأ عن الوباء) يتضح منها ما حلّ بمدن الشام وقراه من موت وفرار وتعطل للحياة الاقتصادية^(٣) ، وقد مات هو نفسه بذلك الطاعون .

أما ما حلّ بالأرض من الإنسان ، فيتمثل بالحروب المدمرة التي نشبت في بلاد الشام خلال الصراع العثماني المملوكي ، والثورات وحركات التمرد ضد السلطتين المملوكية والعثمانية ، وما قابلها من جهد عسكري لإخمادها ، فقد كانت الجيوش وأصحاب السلاح يجتاحون الريف ويستغلون ما به من فرص للتحصن والاختباء ، ويفرضون على أهله توفير الطعام والأعلاف لهم ولدوابهم ، يُضاف إلى ذلك التعسف في فرض الضرائب وجمعها ، والابتزاز والرشاوي

(١٠) رصد الزلازل التي ضربت بلاد المسلمين ، ومنها بلاد الشام ، وأثارها وما خلفته من دمار كل من : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة ، تحقيق مُحمّد كمال الدين عز الدين ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٢٠٥ وما بعدها ؛ وأبو الفداء إسماعيل بن مُحمّد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م) ، تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة ، باعثناء سفيان عايش مُحمّد ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، عمان ، ١٤٢٥هـ ، ص ١٠٩ وما بعدها .

(١١) رصد جلال الدين السيوطي السنين التي وقع فيها الطاعون في بلاد المسلمين ، ومنها الشام ، بعد أن قدّم لها بأسباب حدوثها - وفق مفاهيم ذلك الزمان - وأثارها المهلكة ، في كتابه ما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، تحقيق مُحمّد علي البار ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق / الدار الشامية ، بيروت ، ١٩٩٧م .

(١٢) نشرها محقق كتاب السيوطي ما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، ص ١٩٦ وما بعدها . كما نشر أقوال ابن حجلة والسبكي في ذلك الطاعون الأسود ، ص ٢٠٦ .

المفروضة على السكان مدناً وقرى ، وغارات العربان وفرضهم إتاوات على الفلاحين ؛ فكان من نتائج هذه الظروف مجتمعة أن رزح الفلاح تحت وطأة الفقر ، وعدم الاستقرار ، والهجرة ، ومحاولات الهرب ؛ للتخلص من أعباء السلطة وتعسفها ؛ مما أثر سلباً على الريف وعطل فيه - في كثير من الأحيان - عجلة الحياة الاقتصادية والنمو الحضاري . يُضاف إلى ذلك الانقسام في المجتمع بين حاكم رومي (تركي) غريب عن البلاد ، متعسف في فرض سلطته ، مبتزاً لخيراتهُ ، ومحكوم مغلوب على أمره ، هو صاحب الأرض والخيرات والعمل . ورغم ذلك كله ، ظلّ الفلاح الشامي متشبّثاً بالأرض التي نشأ فيها وعليها ، في علاقة حميمة من العطاء المتبادل (١) .

وكان من كرم القدر أن حفظ أثراً زراعياً غاية في الأهمية ، يعود إلى الحقبة الزمنية موضوع الدراسة ، فنستطيع من خلاله رصد الحياة الزراعية في بلا الشام في القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، بما يكتنزه من خبرات عملية طويلة ، تعود إلى مراحل زمنية أقدم بكثير ، ويقدم لنا كثيراً من المعارف والمهارات الزراعية التي كانت سائدة في بلاد

(١) انظر على سبيل المثال : المقدمات الضافية التي وضعها محمد عدنان البخيت لما ترجمه وحققه من

دفاتر الطابو العثمانية ، ومنها :

* دفتر مفصل خاص أمير لواء الشام (طابو دفتري ٢٧٥ سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م) ، مطبعة بنك

البتراء ، عمان ، ١٩٨٩م .

* دفتر مفصل لواء عجلون (طابو دفتري رقم ١٨٥ سنة ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م) ، (بالاشتراك مع نوفان

الحمود) ، منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٩١م .

* دفتر مفصل لواء عجلون (طابو دفتري رقم ٩٧٠) ، (بالاشتراك مع نوفان الحمود) ، ط٢ ، منشورات

الجامعة الأردنية ، ٢٠١١م .

الشام ، ذلك هو كتاب : (جامع فرائد الملاحاة في جوامع فوائد الفلاحاة) (١) الذي وضعه عالمٌ عربيٌّ ، قرشيٌّ ، شاميٌّ ، غزيٌّ ، دمشقيٌّ ، هو رضيّ الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد العامري (٨٦٢-٩٣٥هـ) . والذي تضرب جذور أسرته في غزة ، لكن جدّه التاسع ترك غزة ، وهاجر إلى دمشق ، أكبر مدن الشام وأكثرها نشاطاً سياسياً واقتصادياً وعلمياً ، وهي مجالاتٌ جاذبةٌ لكلّ ذي طموح .

وُلد في دمشق سنة ٨٦٢هـ ، ومات أبوه وهو ابن عامين ، فكفله شيخ الإسلام زين الدين خطّاب بن عمر بن مهنا الغزاوي شيخ الشافعية بدمشق ؛ فربّاه تربيةً حسنةً ، وتعهده بنفسه لتعليمه ، فنشأ طالبَ علم ، منعزلاً عن الناس ، متصوّفاً ، تقياً ، متفقهاً ، وأخذ العلم من كفيله ، ومن كبار علماء عصره ؛ فصار غزير العلم مُتقناً ، مما هيأ له التدريس والإفتاء والقضاء ونظارة البيمارستان النوري والتأليف . وقد صنّف في مجالاتٍ كثيرة ، منها : الأصول والعقيدة والحديث والطب واللغة والبلاغة والبيان والعروض والخطّ والتصوّف والمنطق ، وهذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته (٢) .

(١) نسخته الخطية محفوظة في مكتبة الأسد بدمشق ، برقم ٨٤٠٧ ، تتألف من ١١٣ ورقة ، في كل ورقة صفحتان ، في كل صفحة ٣٠ سطراً . تاريخ نسخها سنة ١١٠٥هـ / ١٦٩٤م ، وناسخها يدعى عيسى بن إبراهيم الجعفري ، وهي المعتمدة في هذه الدراسة ، وهناك نسخ أخرى لم أتمكن من الاطلاع عليها .

(٢) له ذكرٌ وأخبارٌ كثيرةٌ متفرقةٌ عند ابنه بدر الدين مُحَمَّد الغزيّ (المتوفى سنة ٩٨٤هـ / ١٥٧٦م) ، في رحلته المسماة المطالع البدرية في المنازل الرومية ، والتي حقّقها ونشرها المهدي الرواضية ، ط ١ ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي / المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٤م (انظر فهرس الأعلام) . وترجم له حفيده نجم الدين الغزيّ في كتابه : الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، ج ٢ ، ص ٣ وما بعدها ، كما أن أخباره منشورة في أجزاء الكتاب الثلاثة . وأسهب محقق كتابه الآخر لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي ==

وهو كتابٌ موسوعيٌّ يضمُّ مادةً زراعيةً جمّةً ، فضلاً عن كثيرٍ من المعلومات الطبية والصحية المتعارف عليها آنذاك ، والمهارات الفلاحية في معاملة الأرض والمياه والزرع ، والخبرات العملية التي اكتسبها الناس ومارسوها ، والتي تبين عمق الإرث الحضاري للمنطقة .

ولهذا الكتاب ، مختصران ، هما :

١- علم الملاحه في علم الفلاحة ، لعبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) .

٢- رسالة البيان والصرحة بتلخيص كتاب الملاحه في علم الفلاحة ، لمحمّد بن عيسى بن محمود بن كنان الصالحى الدمشقي (ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م) .

ثم توالى الاهتمام على هذا الكتاب ومختصراته ، مما يدلّ على أهميته ، وشهرته ، واستمرار انتفاع الناس به .

لقد وضع الغزّي كتابه في ثمانية أبواب ، هي :

١- بابٌ في الأرض ، وأنواعها ، وجودتها ، وما يصلح منها للزرع وما لا يصلح ، وفي حرثها وقْلحها وقْلَبها وإصلاحها وإعمارها وتغذيتها بأنواع المغذيات .

٢- بابٌ في السقي ، واستنباط الماء ، وحفر الآبار ، ومعرفة أنواع المياه ، وكيفية السقي ، ومقاديره ، واشتياح المطر ومعرفة مواسمه ، ومناسبته للزرع .

٣- بابٌ في الأشجار ، وغراسها ، وكيفيته ، ومعرفة أوقاته ، وقوانينه ، وهياتّه ، والحديث عن كلّ نوعٍ من الشجر ، وخصائصه ، ومنافعه ، وتقليمه ،

== عشر ، محمود الشيخ ، في الحديث عن تاريخ أسرته ومكانتها ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨١م . وله ترجمةٌ كذلك عند : عبد الحي بن أحمد بن مُحمّد العكري الحنبلي المعروف بابن العماد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ١١ج ، تحقيق محمود الأرنؤوط ، ط ١ ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ج ١٠ ، ص ٢٩٢ ؛ الحصني ، منتخبات التواريخ ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ .

- وتشميره وكسّحه ، وتذكيره ، وتحسين حملة ، وحفظه .
- ٤- بابٌ في التركيب وأنواعه ، ويُسمى التطعيم ، وما يصلح وما لا يصلح فيه ، وفي تشكيل الفواكه غيرها . وفيه أمراض النبات وعلاجها .
- ٥- بابٌ في الحبوب والبزور المقتاتة وغيرها ، أنواعها ، زرعها ، واختيارها ، وحصادها ، وموسم كلِّ نوع منها . وألحقه بالبقول ذوات الأصول ، ثم البقول والخضراوات ذوات الأوراق المُستعملة .
- ٦- بابٌ في أصناف الزهور والرياحين ، أسمائها ، وصفاتها ، وكيفية زراعة كلِّ منها ، ومواسمها ، وسقيها ، وتسميدها ، ونقلها ، وخواصّها ، وفوائدها .
- ٧- بابٌ في الطلاسم الدافعة للآفات وخواصّها ، وبعض النوادر والروايات النافعة ، وما يعلم به حال السنة باعتبار الأيام والشهور والفصول .
- ٨- بابٌ في كيفية التخزين والادّخار ، ادّخار الفواكه والحبوب والورود ، وما إلى ذلك من محاصيل ومنتجات زراعية . وألحقه بمفاهيم عامة عن النبات وتقسيماته ومراتبه .

وقد عبّر في مقدمته عن الهدف من وضع الكتاب ، وذلك ليكون مرجعاً معوّلاً عليه في الفلاحة وعمارة الأرض ، وشرح ما يتضمّنه الكتاب بعباراتٍ جامعةٍ دالّةٍ ، حيث أراد إعطاء معلوماتٍ لقارئه عن التربة والمياه والأشجار والتركيب والتطعيم والتوليد والتحسين والتجميل ، وعلاج علل الأرض والنبات ، ودفع الآفات ، وبيان ما يُغرس ويزرع في كلِّ زمان ومكان ، ومعرفة التلقيح والتذكير والكسّح والتشمير ، وحرث الأرض وقلبها وكيفية زرعها وتعميرها بأنواع الأسمدة . وترتيب السّقي ، وما يُسقى بالأمطار ، وحفر الآبار والأنهار ، ووضع الطلسمات الدافعة للحشرات والآفات ، وادّخار الفواكه والأقوات وخزنها ، وعلامات الخصب والجذب .

إن المادة التي قدّمها الغزيّ تعبّر - بطبيعة الحال - عن بيئة بلاد الشام الزراعية ، وثقافة الناس في هذا المجال من مجالات حياتهم . فما جاء في كتابه من مادة زراعية ، إنما هو جمعٌ لمعارف المجتمع الشامي الزراعية في الحقبة الزمنية

التي عاش فيها الغزيّ، وهي - بالضرورة - متكوّنة في ريف بلاد الشام وقراه على مدى قرونٍ من الزمان، مع اعترافنا باختلاف تلك المعارف وتفاوتها بين قرى هذا الإقليم الجغرافي الكبير.

وعلى الرغم من عدم ذكره لأسماء بلدانٍ وقرىٍ إلا فيما ندر، إلا أن بيئة الكتاب وأجواءه هي بيئة بلاد الشام بكلّ وضوح، فتتكرر عنده جملٌ من نحو: «والزيت والكرّم يقلّان في تلك السنة بأرض الشام»^(١)، و«بالمشاهد بغوطة الشام»^(٢). وما يؤكد هذا الرأي ذكره لما يقابل المسمّيات الشامية خارج بلاد الشام، كقوله عن السّواقي: «وهي التي تسمّى في البلاد المصرية بالهمايل»^(٣). كما تظهر شامية المؤلف والكتاب معاً من بعض الألفاظ العامية المستعملة في بلاد الشام إلى الآن، من مثل: «بكّير، البكّير»^(٤)، و«الزريعة»^(٥) و«اليوم الصاحي»^(٦). ورغم شحّه في ذكر بلدان الشام، إلا أننا - وبالقراءة الدقيقة - التقطنا: الأردن، بيت المقدس، الشام، عسقلان، عكا، الغوطة.

ولقد اعتمد الغزيّ التقويم البابلي القديم، والذي ورثه السّريان، حيث كان هو التقويم الزراعي المتعارف عليه في البلاد الشامية، والمتعامل به، وإلى الآن. وهو تقويمٌ مرتبطٌ بالفكر الزراعي وتعلّق الإنسان بالأرض والماء والزراعة في كافة مفاصلها من البذار إلى الحصاد. وشهوره: كانون الثاني، شباط، آذار، نيسان، أيار، حزيران، تموز، آب، أيلول، تشرين الأول، تشرين الثاني، كانون الأول. ولكلّ شهرٍ مدلوله المتعلّق بالزراعة.

(١) الغزي، جامع فرائد الملاحه في جوامع فوائد الملاحه، المخطوط، ، ورقة ١٩٧ ب .

(٢) المصدر نفسه، ورقة ٤٧ ب .

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٣ ب .

(٤) المصدر نفسه، في معظم أوراق المخطوط، ورقة ١٠٩ ب على سبيل المثال .

(٥) المصدر نفسه، ورقة ١٥٦ ب على سبيل المثال .

(٦) المصدر نفسه، ورقة ١٥٠ ب على سبيل المثال .

وتتضح ثقافة الغزيّ من اطلاعه الواسع على أعمال من سبقه من المصنّفين ، فهو - إضافةً إلى معارفه الذاتية وثقافته الشخصية - مطلّع على المصادر المتوفرة آنذاك ، وبعضها أقدم منه بكثير ، ومن المرجّح أن يكون قد عرف بعضها من خلال ما نقله غيره وحفظه ، وليس اطلاعاً مباشراً ، وخاصة بالنسبة لأعمال الكتاب الأوائل . وهذه المصادر - في غالبها - مؤلفاتُ حكماءٍ وأطباءٍ وصيادلةٍ ونباتيين وعشابين ، منهم : أبقرط ، أبلوطس ، أرسطو ، بليانس ، جالينوس ، دانيال ، دورس ، دومقراط ، ديسقوريدس ، صغريث ، قسطوس ، قوثامي ، هرمس . ومن المسلمين : ابن البيطار ، ابن جزلة ، ابن زهر ، ابن العوام ، ابن قتيبة ، ابن وحشية ، جابر بن حيّان ، حنين بن إسحاق ، الرازي ، الكندي ، وغيرهم ممن لم يصرّح بأسمائهم . وأرجّح أن يكون قد أفاد من مؤلفات الأندلسيين الفلاحية ، لكن مصادره المكتوبة لم تكن واضحةً بسبب قلة اقتباساته ونقله .

إن الكتاب - كما قلنا - يشكّل موسوعةً ضخمةً بما حواه من مادةٍ كبيرةٍ عن الحياة الزراعية للمجتمع الشامي إبان القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، ومن خلال هذه الموسوعة الكبيرة يمكن استخراج قوائم بالآلات الأدوات التي استخدمها الفلاح الشامي ، وكذلك الأواني المعروفة آنذاك ، والأوزان والمكاييل المتعارف عليها ، هذا بالإضافة إلى المعارف الزراعية الكبيرة التي حفظها .

ومن خلال رصد تلك الآلات والأدوات وجدنا : أرزبة ، أشفى ، أنبيق ، جرن ، دكشاب ، رحي ، سكة ، سكين سفر الدواب ، صلاية ، طومار ، عدل ، فاس ، فهر ، قادوس ، قدوم ، كانون ، لزاز ، مبضع ، مثقاب ، محراث ، محراك ، مرزبة ، مروود ، مزود ، مرجل ، مسحاة ، مشراط ، معصرة ، مغرفة ، معول ، مكنسة ، منقاش ، منجل ، منخل ، منشار ، منقار ، مهراس .

ومن الأواني : إجانة ، برّنية ، جام ، جراب ، جرة ، حنتم ، خابية ، خريطة ، خزف ، دست ، دّن ، زير ، زبدية ، سكرجة ، صحفة ، طاجن ، ظرف ، غصارة ، قارورة ، قصرية ، قصعة ، قطرميز ، قفة ، قلة ، كوز ، ماجور ، هاون .

ومن الأوزان والمكاييل وجدنا : استار ، أوقية ، حبة ، جراب ، حفنة ، دانق ، درهم ، صاع ، سكرجة صغيرة ، طسوج ، قسط ، قفيز ، قيراط ، كرّ ، كيلجة ، مثقال ، مد ، مكوك^(١) .

وكان الغزيّ قد ختم كتابه بفوائد منشورة وفرائد مأثورة ، كما أطلق عليها^(٢) ، هي في حقيقة الأمر مقدماتٌ كليّة ، كان الأجدد به أن يضعها في المقدمة ويجعلها باباً يلج منه القارئ إلى هذا الكتاب . وأول تلك المقدمات تعريفه للنبات ، حيث قال إن النبات جسمٌ يخرج من الأرض ، يغتني وينمو ، وله سبعُ قوى هي :

- ١- قوة جاذبة ، وهي التي تجذب العصارات وتمتص لطيفها وما فيها من الأجزاء المشاكلة لذلك النوع من النبات .
- ٢- قوة ماسكة ، وهي التي تمسك ما جذبته من العصارات اللطيفة المشاكلة .
- ٣- قوة هاضمة ، وهي التي تهضم تلك العصارات ، وتصيّرهما كيـموساً^(٣) مناسباً لبنائها .
- ٤- قوة دافعة ، وهي التي تدفعه إلى أعماق ذلك النبات وأطرافه .
- ٥- قوة غاذية ، وهي التي تمدّه بالغذاء من ذلك الكيموس .
- ٦- قوة مصورة ، وهي التي تصور كل نوع من النبات بشكله ومقداره في عروقه وعيدانه وأوراقه وزهره وثمره وبزره وسائر صفاته من ألوانه وأكوانه .
- ٧- قوة نامية ، وهي التي تنمّيها .

(١) معظم هذه الأوزان والمكاييل شرحها فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها بالنظام

المتري ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٠ م .

(٢) الفصل الخامس من الباب الثامن من المخطوط .

(٣) الكيموس من مصطلحات علوم الأوائل ، ويعني في أبسط معانيه : الطبيعة الغذائية . انظر : مُحَمَّد

بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، (كمس) ، لسان العرب ، ١٥ ج ، دار صادر ، بيروت ،

١٩٩٤ م .

ثم يقسم النبات إلى شجر ونجم ، ويعرفهما ، فالشجر ما يقوم على ساق ، والنجم ما لا يقوم على ساق ، بل يميل على وجه الأرض أو معلق بالشجر .

كما يبين أن للنبات أربع علل :

- ١- علة فاعلية وهي قوى النفس الكلية .
 - ٢- علة هيولائية ، وهي النار والهواء والماء والتراب .
 - ٣- علة غائية ، وهي كونه من أجل الحيوانات غذاءً ونفعاً ، وتسمى التمامية أيضاً .
 - ٤- علة صورية ، وهي التي تشكل كل نوع على صورته في جميع صفاته .
- والشجر التام الكامل - كما يوضح - ما له تسعة أجزاء ، وهي : الأصل ، والعروق ، والقضبان ، والفروع ، والورق ، والبزور ، والثمار ، واللحاء ، والصمغ . وإذا نقص شيء منه فإن ذلك الشجر يسمى ناقصاً .
- ومن ناحية العلو والدنو ، يقرر الغزي أن أعلى مراتب النبات النخل ونحوه ، ويسمى نبات حيواني ؛ لأن القوة الفاعلة فيه منفصلة من القوة المنفصلة بالتذكير والتأنيث . وكذلك التين . أما أدون مراتب النبات فالكمأة وخضراء الدمن ، وهي تماثل المعادن ، كما أنها ليست سوى غبار يتلبّد على الأرض والصخور ، ثم يصيبه ندى الليل ؛ فيتحوّل إلى ما يشبه النبات ، فهو نبات معدني .

التربة

إن معارف أهل الشام بالأرض والتربة جمعها الغزي ووضعها مرتبة في الباب الأول من كتابه ، فهو يبدأ بكيفية معرفة أنواع التربة وطبائعها وتمييز الجيد من الرديء ، وما يصلح لكل نبات ، وما لا يصلح .

وعلى الرغم من ابتدائه بقول «اعلم»^(١) مخاطباً قراءه ، إلا أن هذا لا يعبر بالضرورة عن معرفة جديدة غريبة على الناس ، وإنما كانت مادته ملتقطة من

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٣ ب .

أفواه الناس وتجاربهم وثقافتهم ، بدليل قوله فيما بعد : «ذلك مما تعرفه العامّة» ، أو «هكذا يعمل أهل الغوطة» ، أو «يسميه أهل الشام أقحواناً ، لا سيما في دمشق» ، وغيرها . وترديده لألفاظ من نحو : «وقيل» ، و«يقال» ، و«بعضهم» ، و«هو عند جماعة من أهل الفلاحة أحسن»^(١) يؤكد ذلك .

وكانت التربة الحارة الرطبة هي أحسن أنواع التربة ، وسوادها دليل حرارتها ، وهذه الجودة تكمن في قدرتها الكبيرة على خزن مياه الأمطار ، وبعد هذه التربة البنفسجية ، وتسمى الهندية ، وهذه تسمية معروفة في إحدى بقاع بلاد الشام . وقد عرف الفلاح الشامي أن الشمس والهواء يصلحان التربة ، لذلك درج على قلبها وحرثها . وهناك مهارات اكتسبها الفلاحون بالخبرة والتجربة ، منها أخذ التربة السطحية التي لامسها الهواء وضربتها الشمس ، وجعلها أسفل التربة المحفورة ثم يزرع النبات المراد ، فيكتسب فائدة من تلك التربة السطحية . وعلى عكس ذلك فإن التربة المأخوذة من أعماق الأرض كالآبار والمطامير لا تصلح للزرع إلا بعد أن يصفحها الهواء ، وتطبخها الشمس . وأراضي الجزائر (الجزر) عالية الجودة لكثرة الحمأ فيها^(٢) .

وهكذا ، فإن كل نوع من التربة يتمتع بقدر معين من الجودة ، ونفعه للنبات بقدر ما فيه غذاء ، وتُعرف وفقاً لونها ، ولزوجتها ، وتشققها ، ودسامتها ، وصلابتها ، وهشاشتها ، وحلاوتها ، وملوحتها ، وقساوتها ، وخلخلتها ، وموقعها من الأرض سهلاً أو جبلاً ، وقدرتها على امتصاص الماء والغذاء ، ونسبة الرمل فيها .

وكان عند الفلاحين طرق - يبدو أنها كانت معروفة - لفحص التربة ومعرفة درجة جودتها ، من ذلك حفر حفرة ، ثم إرجاع الطين المستخرج إلى حفرتة . فإذا زاد الطين عن الحفرة فتلك تربة جيدة ، وإن كان مساوياً لحجم

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٢٢ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٣ ب وما بعدها .

الحفرة ، فإن هذه التربة متوسطة الجودة ، وإن نقص الطين عن الحفرة فهي تربة رديئة . كما كانوا يستطيعون تمييز جودة التربة من تتابع الأمطار عليها ، فإن نشفت ولم تتشقق فهي جيدة^(١) .

ويمكن أن يختبر الفلاح التربة باللمس والشم والذوق والنظر ، فإن مُرس الطين باليد وصار شبيهاً بالشمع ، فإن هذا يعني رداءة التربة ، وإن غُسل التراب بالماء ، فتبين أن الحمأ أكثر منه ، فهذا يعني جودة التربة .

أما مهارة الشم ، فيؤخذ التراب والطين من أسفل الحفرة ، ويُصب عليه الماء العذب ويُخلط ، فإذا كانت رائحته منتنة كريهة ، فهذا دليل رداءة التربة . وكذلك يمكن يُذاق خليط الماء بالتراب أو الطين ، فإن كان مالحاً ، فذلك دليل رداءته . وكانوا يستطيعون الحكم على جودة الأرض بالنظر كذلك ، وذلك بمراقبة العشب ، فكلما غلظ دلّ على جودة التربة ، والعكس صحيح . كما كانت لديهم طرق أخرى كوزنها ، وزرعها ومشاهدة النتائج^(٢) .

إن أحسن ما يصلح التربة المطر ، وماء السيل الكدر ، ثم الزبل . ويعلم الفلاح موسم المطر المفيد للأرض والزرع ، وخاصة مطر الأسبوع الأول من تشرين الأول ، ثم مطر تشرين الثاني . ومن طرق إصلاح الأرض تسميدها بروث الخيل والحمير في الخريف . ثم تُزرع بالشعير والعدس والحمص والباقلی ، ويبذر بين ذلك بزر الكتان ، ويسقى ، شريطة أن يكون هذا الزرع من زرعٍ قد حُصد من أرض طيبة^(٣) .

كما تُصلح بورق الكروم وقضبانه ، وورق جميع الشجر التي يكون حملها دسماً كالجوز واللوز والفسق والبندق والزيتون والخروع وقضبانه . أما الأرض التي تغلب عليها المرارة فهي أشد أنواع التربة ، وأبعد عن الإصلاح ، وعلاجها

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٦ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٥ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٧ ب .

أن يُساق إليها الماء العذب في النصف الثاني من نيسان (لا قبل ذلك) بل في أول أيار ، ويستمر سقيها بالماء الصيف كله إلى أيلول .
ولكل تربة طريقة للإصلاح .

وكان الفلاحون مدركين أن الفلاحة هي : احرث والحفر والزبل والكسح والسقي . بمعنى معرفة ذلك عملاً وتركاً ، ولكل نفعه وفائدته . فالحفر والحرث لأربعة أشياء :

١- خلخلة الأرض لتتنفس الأصول بدخول الهواء .

٢- قلب باطن الأرض ظاهراً ، لتطبخه الشمس فيحمى ويجود .

٣- إمساك الأرض المحروثة للرطوبة والماء الذي داخلها ، فتبرد به الأصول في القيظ وتترطب .

٤- قلع العشب عن الأرض ، كي لا يزاحم الشجر ، ويذهب بطيب غذاء الأرض^(١) .

أما وقت العمارة ، فيتفاوت وفقاً لنوع التربة ، فالأرض الطيبة يبكر بعمارتها من أول الخريف ، والأرض الأقل جودة تعمر بعد الاعتدال الربيعي . أما الأرض الحمراء والبيضاء وأراضي التلول والزبي والمالحة ، فتعمر في الشتاء ، والرملية تعمر في الربيع ، والأرض المشققة تعمر في حزيران^(٢) .

وينبّه الغزي إلى مناسبة كل آلة زراعية لنوع من الأراضي ، فبعضها يعمر بمحراث وسط لا بالمساحي ، وبعضها يحفر بالفأس وشبهه ، ويفضّل أن يُختار للحرث طوال الرجال ، وكذلك لرعي البقر^(٣) .

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٠ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٠ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١١ ب .

إصلاح التربة

أما تعمير الأرض بالزبل والأرمدة ، فهو بسبب أن العالم السفلي من الأرض والماء يغلب عليه البرد واليبس ثم الرطوبة . ولولا إسخان الهواء والكواكب والشمس ، لما أفلح نبات ولا عاش حيوان^(١) .

هذا كلام الحكماء كما نقل الغزي بمقدمة عن تعمير الأرض بالزبل والأرمدة ، لكن المعلومات والخبرات التي يفصلها فيما بعد ، إنما هي من معارف الناس ، جاءت من تجاربهم وتاريخهم الزراعي الطويل ، ويشهد بذلك الكم الكبير من المعلومات والتفصيلات الخاصة بأنواع الزبل وقيمتها الغذائية ومناسبتها لكل نبت ، فلكل تربة زبل يلائمها ، مفرداً أو مركباً ، بل لكل نوع من الزرع زبل يلائمه ، ولكل جزء من الزرع زبل يناسبه . ولكل زبل مدة زمنية تحول عليه كي يصبح جيداً نافعاً ؛ فيعتق لسنة أو أقل أو أكثر .

وأجود الزبل وأعلاهها فائدة ذرق الحمام ، ثم زبل الإنسان ، ثم الحمير ، ثم المعز ، ثم الضأن ، ثم البقر ، ثم الخيل . وأحسنها زبل البغال . وزبل كل طائر نافع إلا الإوز ، أما زبل طيور الماء فريثة للغاية إلا إذا خلطت بغيرها .

كما يُستعمل رماد احتراق الشجر لذلك ، فرماد كل شجرة صالح لمثلها . وكذا يُستعمل التبن ، وهو درجات .

وكان الناس يعرفون كيفية التزبيل بالحفائر والأحواض والسواقي العميقة ، ونسب الخلط ، ومدة التعتيق ، ووقته الذي يكون أنسبه من آب إلى كانون الثاني ، وفي تشرين الأول .

وهناك من الأشجار ما لا يُزبل كالسفرجل والتفاح والزيتون البري والجوز والبندق والبلوط^(٢) .

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٠ ب وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٣ ب .

المياه

ومن خلال الباب الثاني من كتاب الغزيّ، نرى مدى المعرفة الكبيرة والمهارات التي كانت لدى الفلاح الشامي في مجال استنباط الماء من الأرض، وحفر السواقي والآبار، فقد كانت لديه تقنيات في ذلك، تدلّ على خبرة طويلة وإرث زراعيّ بعيد .

لقد كانت لديه معرفة كبيرة بمناسبة المياه، وتخمين وجودها، وكيفية استخراجها من باطن الأرض. ولكلّ نوع من التربة طريقة خاصة. فالأرض الصلبة ليست كالرخوة، والمياه القريبة ليست كالعميقة، وكان يُدرك معنى توسيع استدارة فم البئر وتضييقه، ويفهم دلالة طعم الماء .

وكانت لدى الناس طرقٌ مختلفةٌ في الحفر والاستنباط والحيل، ومعالجة مشاكل الآبار وتجويد مائها، وطرقٌ أخرى لفحص المياه وتشخيص ماهيتها، تتراوح بين اللمس والشم والذوق والنظر بعد المراقبة المتأنية. كما كانت لديهم طرقٌ يستطيعون من خلالها معرفة ما إذا كان الماء قريباً أو عميقاً^(١).

ولعل التجربة العملية جعلت الفلاحين يعرفون مناسبة المياه لأي نوع من الزروع، من المياه العذبة، وهي أخفها وزناً وأوفقها للناس والحيوان والنبات، إلى المياه الحديدية والكبريتية والنحاسية وهي لا توافق شيئاً من النبات، مروراً بمياه الأمطار والأنهار والآبار والعيون والينابيع، والمياه المالحة والمرّة والقابضة والعفصة وغيرها، فهي مختلفة الطبائع، وهم يدركون أحدها وأزداها^(٢).

أما كميات المياه المناسبة لكل نبات، والأوقات والمواسم، وأهمية السقي في كل وقت من أوقات السنة في المواسم والفصول والشهور، بل وفي اليوم والليلة، فالحق أن المادة المفصلة في الكتاب تدلّ على خبرة شديدة في ذلك. وعبارته في خاتمة هذا الفصل الخاص بالسقي تؤكد ذلك، حيث قال: «فيتعين

(١) الغزي، المخطوط، ورقة ١٥ ب.

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٦ ب.

ذكر ما ينفع في معرفة ذلك ، مما يدلّ عليه مما جُرّب» (١) .

ورغم ذلك كان المعوّل على رحمة الله في السقيا ونزول الغيث في وقته وزمانه كما يقول . وقد عقد فصلاً لمعرفة دلائل سنيّ الخير والغيث وسنيّ الجذب والمحلّ ، وفيه مادةٌ جمعها من بعض مصادر التراث العربي ككتاب الأنواء لابن قتيبة ، وأصحاب كتب الفلاحة السابقين ومن ذوي الخبرة والتجربة ، أي من ذاكرة الأمة وثقافة المجتمع . ومعرفة حال السنة من حيث نسبة الأمطار لها أهميةٌ في استعداد الفلاح لتكثير الزرع وتقليله ، وكذلك الثلوج (٢) .

ويُعلم حال المطر في كثرته وقلّته من الشمس والقمر والسحاب والشهب والبرق والرعد والضبّاب والرياح والهواء وقوس قزح . فإذا طلعت الشمس شديدة الحمرة أو اسودّت حمرتها ، دلّ ذلك على مطر شديد دائم ، وربما يكون أياماً . وإذا طلعت وظهر معها سوادٌ وسحابٌ أسود مظلم تخين دلّ ذلك على مطر . وإذا طلعت وفي جرمها ألوان وكان شعاعها مبسوطاً إلى الحمرة ، أو أحد جوانبها كالغمام الأسود ، أو حولها دائرة إلى جانبها الشفق ، أو كان شعاعها إلى الصفرة أو السواد ، فهذا دليل الشتاء والأمطار . وإذا دنت الشمس إلى المغيب في الناحية المباشرة ، وفي موضع مغيبها سحابٌ أسود ، دلّ ذلك على مطر قريب .

وإذا أشرقت وهي طالعةٌ من مشرقها نقية لا يحول بينها وبين الإبصار حائل أو غبار ، دلّ ذلك على صحو ، وكذا إذا كانت وقت غروبها في نقاء من غير غيم ولا حائل دونهما ، دلّ على صحو الغد ، وإن بدا قبل طلوع الشمس غيم ، ثم تقشع ، دلّ على صحو ، وإن كان شعاعها كأنه ينقص وقت طلوعها وغروبها ، وحول جرمها غيوم متكاثفة ، دلّ ذلك على صحو . وإن طلعت صافيةً صحيحةً ، دلّ ذلك على صفاء الهواء وتأخر المطر ، وإن كان قبل طلوع الشمس سحاب

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٧ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٨ أ .

متقطع ، دلّ على تأخر المطر كذلك ، وإن أخفى الشفق شعاع الشمس عند طلوعها وعند غروبها ، وكان ما حولها عميقاً ، دلّ على قحط وقلة مطر (١) .
وهكذا ، فإن كلَّ جُرمٍ وعنصرٍ مناخي دلائله وأماراته التي تعني شيئاً ما بالنسبة للمطر .

الغراس وإنشاء البساتين

وكان الفلاح في بلاد الشام مدركاً تمام الإدراك لقوانين الغراس وكيفيته وأهمية تهيين الظروف المناسبة له . وقد راعى في إنشاء البساتين ملاحظاتٍ مهمةً ، نقلها الغزي . ومن خلال ذلك نلاحظ بعض ملامح الفكر الزراعي في بلاد الشام في حقبة الدراسة ، على أقل تقدير .

لقد كان من المهم أن يُختار لإقامة البستان الأرضُ المستوية أو تُسوّى قبل الشروع بالغراس ، وتُختار البقعة القريبة من الماء . ويُستقبل بالبساتين الشرق إن أمكن للإفادة من الشمس أطول مدة ممكنة ، وتُغرس الأشجار - بعد تقليب الأرض - سطوراً مستقيمة . وكانوا يُراعون الجمال في عدم زرع الأشجار الكبيرة إلى جانب الصغيرة ، وكذلك الحال بالنسبة للأشجار التي تتعرّى أوراقها مع التي لا تتعرّى أوراقها .

وكانوا يراعون غرس الأشجار التي لا تتعرّى أوراقها بقرب الباب والماء ، مثل : الأترج ، والنارنج ، والسرو ، والليمون ، والأس ، والرند . كما كانوا يغرسون السرو في الماشي . أما الشجر ذو الظل مثل الصفصاف والجوز والجميز فيزرع إلى جانب حائط البستان من جهة الغرب والشمال .

كما كانوا يراعون زراعة كلِّ نوعٍ من الأشجار على حدة في جانبٍ من

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٩ ب . وقد عرف العرب الاستدلال بالظواهر الطبيعية على هطول الأمطار ، وجمع

جانباً كبيراً منها أحمد بن مُحَمَّد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) في كتابه الأزمنة والأمكنة ،

ج ٢ ، تحقيق مُحَمَّد نايف الدليمي ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ .

البستان ، وخاصة ما كانت ثمرته في وقت واحد ، مثل : المشمش والتفاح الصيفي ، وذلك لسهولة حراسته وقطافه . ولا يزرعون الأترج إلا في موضعٍ مستور عن الريح الشمالي والغربي ، مكشوف للريح القبلي . وكانوا يفضلون زراعة الورد على السواقي ومجاري المياه التي يُسقى بها ، أو قريب منها .

وكانوا يعرفون خطورة الزرع والقلع في الأيام الشديدة البرد ، ذات الرياح الشمالية ، وخاصة الزيتون ، فهو يضرب بالزرع ويقتلها^(١) . وهناك أيامٌ من الأسبوع أو الشهر محمودُ الزرع فيها^(٢) ، وأخرى مكروه ، فالجمعة والأحد جرت عادة الناس على كراهية الغرس فيها ، ولا يعطي الغزي تفسيراً لذلك ، لكنه ينقل ما يعتقدُه الناس . أما الأيام المفضلة للغرس فهي بدايات الشهور ، ومع زيادة القمر حيث ينمو الزرع ويكبر ، وينقص ذلك النمو بنقصان القمر ومحاقه^(٣) .

ومن النصائح المهمة في إنشاء البساتين المباعدة بين الأشجار كي لا تتقارب الفروع وتتزاخم وتمنع الشمس من الدخول إلى المتداخل منها ، وربما تتكاثف جداً فتمنع وصول بعضها إلى خارج الأغصان فيقل الحمل وتلين الأغصان ، فتعكس إلى الأرض ولا تحمل . كما أن تزاخمها يجعل جذورها تتزاخم أيضاً وتؤثر على بعضها في الغذاء المستمد من الأرض .

وإيراعي ذلك ، وخاصة بين الزيتون والتين والجوز من ٢٥ ذراعاً إلى ١٥ ذراعاً ، والكرم والقراصيا من ١٥ ذراعاً إلى ١٠ أذرع .

وأفضل الأوقات للغراس عند هبوب الهواء الغربي ، وعند الغيم ، وعند

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٢١ ب .

(٢) عقد المرزوقي باباً لبيان الأوقات المحمودة للنوء والمطر وسائر الأفعال ، وذكر ما يتطير منه أو يستدفع

الشر به ، لكنه - كالغزي - لم يعط تفسيرات مقنعة . الأزمنة والأمكنة ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٣) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٢٢ ب .

الرداذ لا في المطر . وإن كان البلد قليل الماء ، فالأولى أن يكون الغراس في الخريف كي يكسب الزرع رطوبة الأمطار خريفاً وشتاءً وريبعاً . أما البلاد الباردة فأحسن وقت للغراس بعد انقضاء شدة البرد . وتُغرس الغروس بعد القَطاف إذا سقط الورق عن قضبان الكروم . ومنهم من يغرس في أول الربيع ، في آخر سبعة أيام من شباط ، وتغرس المواضع السهلة في أول الربيع في أول يوم من آذار ، وتُغرس المواضع النديّة في آخر الأوقات والأرض الرطبة تهيأ في الصيف^(١) .
ويكون الغراس في البلاد الحارة في الخريف ، ويبدأ من نصف تشرين الأول إلى أول كانون الأول ، ثم يُجتنب الغراس إلى سبعة أيام من شباط ، ثم يبدأ بالغرس .

ويجب أن يكون الغرس من الساعة الثالثة صباحاً إلى العاشرة صباحاً وتكون الأرض معتدلة الرطوبة ، وليست رطبة جداً أو يابسة جداً .
وتُغرس الكروم في سائر البلاد في الربيع . أما الأشجار الصلبة العود كالزيتون والبلوط والفسطق فتُغرس في الشتاء ، والمتوسطة العود كالتفاح والسفرجل والخوخ والمشمش والتين في الربيع . ولا يُغرس بعد الاستواء الربيعي شيء من الأشجار البعل^(٢) .

ومن الخبرات العملية التي كانت منتشرة بين الناس أن خير الغروس ما يحول (يأتي عليه الحول) ، وخير غرس الشجر ما يكون من غصونه العالية لا ما ينبت في ساق الشجر ، وتكون الشجرة مختبرةً كثيرة الحمل ، وينزع ما ينبت في أصول الغروس المنصوبة وحولها باليد ، طرياً قبل أن يشتدّ ، لئلا يصير إليها شدة ذلك كله . وما يعوجّ من الغروس يُقوم بالدعائم حتى يشتدّ ويستقيم .

وتُغرس الأشجار بإحدى الطرق الآتية : النوى ، الحبوب (البرزور) ، الأغصان ، العيون ، الأوتاد (العقل) ، النوامي والنواحق (وهي الأغصان النابتة

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٢٢ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٢٢ ب .

في أصول بعض الشجر وبقربها). ولكلَّ طريقته المتبعة ، وقد شرحها الغزيّ بكل تفصيل وتسلسل ووضوح (١) .

وكان الناس يعرفون مساويء نقل الغراس من التربة المسقيّة إلى البعل ، أما نقلها من البعل إلى السقيّ فليس فيه ضير .

كما كانت لديهم خبرة بأهمية كسح الفروع الضعيفة من الشجرة ليكسب الأصل قوةً ، كما كانوا يعرفون أهمية قطع ما ينشأ في غير موضعه من الفروع ، أو ما نشأ مضيّقاً على الأحسن منه . وهذا الكسح لا يتمّ إلا في الشتاء قبل جري الماء في العود ، ثم تسوية موضع الكسح بجسد الشجرة ليكسوه اللحاء سريعاً .

وأورد الغزيّ تقنيةً مهمة في زراعة الجوز ، وهي إحاطته بصوفة منفوشة لتعلق بها الهوام والحشرات ويسلم (٢) . كما أورد تقنيةً أخرى وهي إلقاء كمية من الثلج في أصول بعض الأشجار ليعين على سلامة الثمار من الحشرات التي لا تتحمل تلك الدرجة من البرودة (٣) . أما طواف الناس بالنار حول الكروم وإضاءة المصابيح بينها ، فلم يفسره ، ويمكننا تفسيره بدلاً عنه ، ذلك أن الضوء يجذب الحشرات والهوام فيُحرق بالنار . لكنني لا أستبعد قدم أصول هذه العادة ، ولعلها ترتبط بمعتقدات دينية قديمة .

وكان الغزيّ دقيقاً في وصف الظرف الخاص بزراعة كلِّ نوع من الأشجار على انفراده ، وما يختص به ، ومنافعه المهمة ؛ فأعطى مادة مفصّلة دقيقة عن الزيتون بأنواعه وكيفية غرسها ، ومواسم غرسه وسقيه ، وكمية الماء المناسبة لها ، وما يُستحب ويكره عند ممارسة هذا العمل ، ومنافع زيتته على أنواعه غذائياً وطبياً (٤) .

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٢٣ ب وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٣٥ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٣٨ ب ، ورقة ٤١ ب .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ٢٨ .

وهكذا فعل - إضافةً إلى ذكره كل ما يتعلق بشماره - حينما ذكر :
الغار^(١) ، والخروب ، والفسستق^(٢) ، والبندق ، واللوز^(٣) ، والصنوبر ، والجوز^(٤) ،
والشاهبلوط (الكستناء أو القسطل) ، والبلوط ، والزعرور^(٥) ، والغبيراء ،
والعناب^(٦) ، والنبق ، والكمثري ، والقراصيا^(٧) ، والرمان^(٨) ، والسفرجل^(٩) ،
والتفاح^(١٠) ، والخوخ^(١١) ، والإجاص^(١٢) ، والبرقوق ، والمشمش ، والتوت^(١٣) ،
والتين^(١٤) ، والجميز ، والنخل^(١٥) ، والكادي ، والكروم^(١٦) ، والأترج ،
والنارنج^(١٧) ، والليمون^(١٨) .

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٢٩ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٣٢ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٣٣ ب .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ٣٥ ب .

(٥) المصدر نفسه ، ورقة ٣٧ ب .

(٦) المصدر نفسه ، ورقة ٣٨ أ .

(٧) المصدر نفسه ، ورقة ٤١ ب .

(٨) المصدر نفسه ، ورقة ٤٢ أ .

(٩) المصدر نفسه ، ورقة ٤٤ أ .

(١٠) المصدر نفسه ، ورقة ٤٦ أ .

(١١) المصدر نفسه ، ورقة ٤٧ ب .

(١٢) المصدر نفسه ، ورقة ٤٨ أ .

(١٣) المصدر نفسه ، ورقة ٤٩ ب .

(١٤) المصدر نفسه ، ورقة ٥٠ أ .

(١٥) المصدر نفسه ، ورقة ٥٢ أ .

(١٦) المصدر نفسه ، ورقة ٤٥ أ .

(١٧) المصدر نفسه ، ورقة ٥٩ ب .

(١٨) المصدر نفسه ، ورقة ٦٠ أ .

ثم أخذ بذكر الأشجار غير المثمرة ، والتي يُستعمل بعض أجزائها في الدواء عنصراً ومركباً ، ومنها : السَّرْو^(١) ، والعرعر ، والطرفاء (الأثل) ، والأبهل ، والسبستان^(٢) ، والميس ، وازاد رخت ، وزنزخت^(٣) . ثم ألحق ذلك بأصناف أخرى كالورود ، ومنها : الياسمين ، النسرين ، والأشجار الحرشية كالذلب ، والخلاف^(٤) ، والخور ، والدفلى ، والبشم ، وأنواع القصب كقصب السكر ، وقصب الأقلام ، والقنا^(٥) . وأخيراً أسهب بذكر الموز^(٦) .

إصلاح الزروع

وتتجلى الخبرة العملية المستقاة من المجتمع الزراعي ، في الفصل الذي عقده لبيان كيفية تقليم الأشجار وتشذيبها وتذكيرها وتحسين حملها^(٧) ، وهي معرفة لا تتأتى إلا لذوي الخبرة الطويلة ، والممارسة المستدامة في العمل الزراعي ، وهو ما توفر للشاميين على مدى تاريخهم . ففي هذا الفصل مادة مجموعة عن كيفية معاملة كل نوع من الشجر على حدة ، ووصف عملي له بالخطوات .

لكن الغزي يورد بعض الوصايا التي تبتعد عن الجانب العلمي الذي اعتاد عليه ، فأورد وصفات ونصائح تتقارب من المعتقدات الشعبية التي يصعب رفضها في كل المجتمعات ، وفي كل الأزمان . من ذلك ما ذكره من تعليق لسان الحمل (أو الجمل) على شجرة الرمان حتى يجف ولا يُنزع عنها ، وحتى إن

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٦٠ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٦١ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٦٢ أ .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ٦٣ ب .

(٥) المصدر نفسه ، ورقة ٦٦ أ .

(٦) المصدر نفسه ، ورقة ٧٠ ب .

(٧) المصدر نفسه ، ورقة ٧١ ب .

أسقطته الريح يُعوّض بدله ، فإن ذلك - كما قال - يمنع صغر حمله وفساد لون قشره . وإن تساقط الرمان قبل نضجه ، يعلّق عليها صفائح رصاص ، أو يوضع في أصل الشجرة عظام الكلاب ، وعظام رؤوس الضأن ، فإن ذلك يمنع التساقط^(١) ، وكذلك بالنسبة للخوخ^(٢) . كما إن الخرق الحمراء أو الصوف الأحمر الملقى في المزابل يحمي الخوخ من التساقط كما يعتقد . وهناك وصفة أخرى لحماية الجوز واللوز من التساقط ، وهي تعليق قصبات ريش طير وجعلها في خرق حمراء أو صوف أحمر^(٣) .

كما ينقل أن أفضل ما جرّبه المجربون في إثبات الثمر لئلا يسقط قبل النضج أن تكتب رقعة فيها ﴿إن الله يمك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده﴾ (سورة فاطر ، من الآية ٤١) ، وتعلّق على الشجرة . أو تعليق رقعة فيها ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا﴾^(٤) (سورة الكهف ، من الآية ٢٥) . والأحسن من ذلك تهديد الشجرة بالقطع ، وتضرب ضربة خفيفة ، ويقال لها : أقطعك إذا لم تحملي . ويشفع لها رجل آخر ، بالاتفاق السري ، ويقول : دعها فإنها تحمل العام القادم ، ويتركها ؛ فإنها تحمل في السنة القادمة . وأما التي تحمل سنةً ولا تحمل الأخرى ، فيشفع فيها أحدهم قائلاً : أنا ضامن عنها أن تحمل هذا العام ، وإن لم تحمل اصنع بها ما شئت . ثم يردف قائلاً : هذا ما اتفق عليه الفلاحون والمجربون ، وبهذا استدلّ الحكماء أيضاً أن للنبات نفساً مدركة ، ثم ينهي الفصل بكلمة : والله أعلم^(٥) .
إن هذه المادة هي مادة شعبية كانت منتشرة بين الناس بلا شك ، وهي

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٧٣ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٧٤ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٧٥ ب .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ٧٧ ب .

(٥) المصدر نفسه ، ورقة ٧٨ أ .

متوارثة عن الأقدمين ، ومتأصلة في نفوس الفلاحين ، ولا يستطيع الغزيّ نفيها أو مخالفتها ؛ لأنها معتقداتٌ تصل في بعض الأحيان إلى الإيمان بها كجزءٍ من الدين .

ويتبع ذلك بعضُ المعتقدات الاجتماعية المتأصلة ، كقوله : «ينبغي أن يكون الفلاح شاباً قوياً ، نشيطاً ، ولا يكون في ذراعيه وفي بدنه آفةٌ ولا كسر ولا سلعة ولا تأليل ، ولا يكون محتجماً ولا مفصوداً ، ولا يشكو عينيه ، ولا به التواء ولا بياض ، فإنه لا يصلح أصلاً ، وإن كان فلاحاً محسناً متقناً»^(١) ، وعن زراعة الزيتون يقول : «ولا يتولّى ذلك إلا رجلٌ ظاهر عفيف متنزه عن الفحشاء .»^(٢) ، ومثله التركيز على الأوقات المباركة^(٣) .

ولم يكتفِ الغزيّ بهذا ، بل كان قد أفرد فصلاً من الكتاب لمعالجة الزروع من الآفات والأمراض ودفع الحشرات والهوام ، وحمايتها منها ، ومساعدتها على النمو والقوة والنضارة وحسن الثمر وزيادة الإنتاج^(٤) ، تختلط فيه المعلومات العلمية بالفلكية بالغيبية بالخرافات الشعبية . وأطلق عليه «طلاسم دافعة» . ويصف فيه وصفاتٍ لمساعدة النبات على النمو وحسن الثمر والقوة والنضارة والجمال وحلاوة الطعم ، واستئصال الحشائش الضارة والحماية من البرد والآفات والجراد والحيات . أضع هنا ثلاثة أمثلة منها لنرى تعقيد هذه العناصر المركبة لهذا الطلاسم بين العقاقير الطبية والمؤثرات السماوية والخرافة الشعبية .

طلاسم للكروم يعطيها قوة ونضارة وجمال

يؤخذ إذخر في كانون الأول ، يُنشر في الشمس ، ويُقَلَّب يوماً واحداً في

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١١ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ٢٨ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٢٠٠ أ ، ورقة ٢٠٣ ب .

(٤) المصدر نفسه ، الفصل الأول من الباب السابع من المخطوط .

الهواء حتى يببس جيداً ، ثم يوضع في موضع ندي ، ويُرشّ عليه ماء ، ويُترك مغموساً سبعة أيام أو تسعة حتى يعفن ويسودّ ، ثم يجفف في الهواء والشمس حتى تذهب النداءة ، ثم يسحق ويخلط بمثل سدسه رماد بلوط ، ويُلتَ بيسير عكر زيت ، ويزيل به الكرم والشجر (١) .

طلسم يفرّق الجراد

يُعمل تمثال جرادة من نحاس ، وتُدخل فيه جرادة ، وتُشد بشمع ، ويُدفن حيث يحب الإنسان أن يتفرقوا منه ؛ فإنهم يتفرقون ، ولا تعيش في تلك الناحية (٢) .

طلسم آخر

وهو أن الجارية العذراء التي أن نكاحها إذا أخذت ديكاً ، وهي حافيةً عريانة منشورة الشعر ، ثم طافت به حول الزرع ؛ فإنه يسلم من الآفات (٣) .
ويمكننا تفسير ما جاء به من غيبيات أن الأقدمين كانوا على علمٍ بعَلته ، لكن النتائج وصلت إلى عصره مبتورة التعليل العلمي .
ونحن في هذا الزمن نشهد مثل هذه الحالات ، فكثيرٌ من الجَدّات والأمهات يصرن على وضع ملعقة الشاي في الكوب قبل سكب الشاي الحار ، لئلا ينكسر الكوب كما يعرفن ، لكنهن لا يدركن لِمَ ينكسر إذا لم يضعنها .
كما إنهن يدركن أهمية غسل العين بالشاي الدافىء وفوائده للعين ، دون إدراكٍ للتعليل العلمي .

كما اهتم بخلط بعض العناصر وتركيبها بمقادير معينة ، وتجفيفها ، ثم

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٨٩ ب .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٩٠ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١٩١ ب .

استعمالها للتدخين وذلك لطرد الحشرات والقوراض وبعض الحيوانات الضارة ، فهناك أنواع من الأدخنة لطرد الزنابير والنحل والخنافس والذباب والبقّ وبنات وّرّدان وكلّ ذوات الأجنحة ، وهناك دخنةٌ لطرد الجرذان والفئران ، وأخرى لطرد الحيات والأفاعي من البيوت والبساتين والضياع ، وغيرها لطرد النمل ، وغيرها لطرد الوزغ^(١) .

على أن المستغرب من رجلٍ عالمٍ كالغزيّ أخذه بمفهوم التعاويذ وتصديقه ، وذلك تحت العنوان الذي وضعه باسم الخواص والنوادر ، فقد وصف بعض التعليقات توضع على الشجر المثمر ، فتبعد الطير ، ومنها ما هو مفهومٌ ويُقبل منه كاستعمال الثوم والبصل والدفلى والقطران والبول ، ومنها ما يوصف - في أبسط الأوصاف - غريب ، كأخذ فأرةٍ وسلخ وجهها فقط ، ثم تطلق في البيت ، فيهرب منها كل الفئران^(٢) ، ومنها دفن حافر بغلة سوداء تحت عتبة الباب ليهرب الفأر^(٣) ، ومنها إذا شدّت المفاتيح في حبلٍ وعُلّق حول قريةٍ يُخاف عليها من البرد ، فإنه ينحرف عنها بإذن الله تعالى ، كما يقول^(٤) . وهناك وصفات طعم للطير ، إما لطردها أو صيدها أو لجعلها غير قادرة على الطيران^(٥) .

ومما لا يُفهم منه أيضاً ، إيرادها لأيام وشهور وفصول يُعلم منها حالُ السنة من حيث الغلاء والرخص ، وغيرها من حالات : المناخ ، والفأل ، وحسن الطالع ، والعلاقات بين الناس ، والسفر ، وشراء الحيوان ، والزواج ، والبيع ، والشراء ، ومقابلة الرؤساء والحكام ، والحجامة ، الاستدانة ، والمرض ، والصيد ، والهرب بين السلطة ، ومناظرة الخصم ، والولادة ، والوفاة ، والسعادة ، والرزق ، وغير ذلك

(١) هذا ما في الفصل الثاني من الباب السابع .

(٢) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٩٣ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١٩٣ ب .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١٩٤ ب .

(٥) المصدر نفسه ، ورقة ١٩٦ ب وما بعدها .

الشيء الكثير ، بعضه يمكن تفسيره ولو بصعوبة ، وإيجاد المخرج المقبول ، وبعضه عصيٌ على الفهم والقبول ، ولا يمكن فهم ذلك إلا إذا رددناه للثقافة الشعبية ، وارتباط الناس بالأرض وخوفهم على ما تنتجه من زرع^(١) .

وإن نقل الغزيّ هذا النوع من المعالجات التي تختلط بالسحر أو الشعوذة أو الغيبيات ، فإنه نقل في الوقت نفسه وصفاتٍ وعلاجاتٍ علميةً محضة لا يغفلها حتى العلم الحديث .

والأهم من ذلك - عندي - في هذا المقام التركيزُ على قوله : «أفضل ما جرّبه المجربون .» ، وقوله : «هذا ما اتفق عليه الفلاحون والمجربون .» لأنه يؤكد ما قلناه سابقاً ، وهو جمع مادته من أفواه الناس وثقافتهم ومعارفهم الشعبية .

التركيب

إن هذه الخبرة العملية تمتد عند الناس إلى بابٍ مهم من أبواب الزراعة ، وهو التركيب ، والذي يسمى أيضاً : التطعيم ، والإضافة ، والإنشاب . وكان الفلاحون يعرفون منها خمسة أنواع متداولة ؛ هي^(٢) :

الإنشاب في اللحاء ، وذلك حينما يكون اللحاء غليظاً والرطوبة التي تجري بينه وبين العود كثيرة ، يُشقّ اللحاء ، ويُنشب فيه العود بعد برّيه كالقلم . ويُسمى هذا : تركيب الشقّ . وهذا النوع من التركيب يناسب الزيتون ، كما يناسب التفاح والسفرجل والخوخ والمشمش .

وهناك نوعٌ ثانٍ من التركيب ، وذلك بنزع عين الغصن قبل أن تفتح ، وتُركب في غصنٍ آخر ، وهو تركيبٌ يجري في أشجار الفاكهة . وله طرق كثيرة مختلفة ، وقد بسط الغزيّ تلك الطرق وصفتها وخطواتها ومناسبتها لأي نوعٍ من الشجر .

(١) الفصل الثالث من الباب السابع من المخطوط .

(٢) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٧٨ أ وما بعدها .

أما التركيب الثالث فهو المسمى بالأعمى ، وهو يشبه الغرس والزرع ، وذلك بأن تؤخذ القضبان البارزة للشمس في الشجرة من ناحية المشرق أو الجنوب ، مما كان مثمراً في العام الماضي ، أي المؤكدة جودتها . وتقطع مقدار الشبر ، ثم تبرى من أسفلها ، وتوضع في الماء لئلا يصيبها الهواء . ثم يُعمد إلى الشجرة التي يُراد فيها الإنشَاب أو الإضافة أو التطعيم أو التركيب ، فتقطع بالمنشار من فوق أصلها ، ثم يُشق فيما بقي من الأصل شقاً ويوضع القلم المبري ، في عمليةٍ دقيقةٍ محسوبة الخطوات ، يمكن أن تُسمى عملية جراحية معقدة أو كبرى .

والنوع الرابع يسمى تركيب النقب ، وذلك بأن ينقب أصل الشجرة ويوضع العود في ذلك الثقب المثقوب . وهذا التركيب يصلح في الأشجار التي من جنس واحد أو غير ذلك .

أما النوع الخامس ، فهو تلقيح النوى والحبوب من أنواع النباتات ، ويكون بأصل النبات التي اختفى تحت التراب ، وذلك بكشف التراب عنه ، وشقّه بمشراط على طوله ، وتُدخل فيه حبات البطيخ أو الخيار أو أي نوع يُراد تركيبه فيه ، ثم يُردّ التراب ويغطى أصل النبات ، وهذا يصلح في تركيب البطيخ والخيار والقثاء والقرع والتوت وغيرها .

ولهذه الأنواع المختلفة من التركيب مواسم معروفة ، كان الفلاح يعرفها ويراعيها . كما كان يعرف خصائص الأشجار والزرع وطبائعها ، فيعرف الأجناس المتحابية ، والمتشاكلة ، والمتنافرة ، والمتضادة ، والمتوافقة ، والمتخالفة ، القابلة للتركيب وغير القابلة . فلا يزرع المتضاد أو المتخالف في المكان نفسه (١) .

فالتفاح والكمثرى والأترج يألف بعضه بعضاً ، وينفعه بجاورته ، والآس والرمان متحابان مؤتلفان ، وكذا الجوز يألف التين ، في حين ينافر ما عداهن لأنه مفرط الحر واليبس ، مهلك للشجر والنبات إلا الخضر الشتوية . والتفاح يحب العنب والزيتون .

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٨٨ أ وما بعدها .

وإذا زُرعت الحلبة قرب العنب أماتته ، وكذا السلق يبطل حياة الكرم . أما الترمس فهو عدو الأشجار كلّها ، والعرعر عدو النخل الأول . وبين العنب الأبيض والأسود تنافر وتضاد ، فلا يتجاوران ، وغير ذلك^(١) ، وهذا مثالٌ بسيط من معارف الفلّاحين في هذا المجال ، والذي وثقه الغزيّ .

أمراض الزروع

أما أمراض الأشجار والزروع ، فقد أسهب الغزيّ فيها دلالةً على وفرة المعلومات المتحصّلة لديه في هذا المضمار وغزارتها .

وقد كان قادراً على تشخيص الأمراض ووصف العلاج . وهذه الأمراض تتراوح بين هرم ، وقدم ، وسقم وهو انقطاع الحمل ، وفرض العصر وهو إذا زُبل الكرم سالت منه رطوبة مفطرة ، إن بقيت أضرت به ، وإن أخرجت أضعفته ، وهناك مرض الاسترخاء الذي يبيض به ورق الكرم من ظهره ، واليرقان وهو الجفاف والاسترخاء وسقوط الورق أو الثمر ولا يشرب الماء ، ويحدث اليرقان على وجه الخصوص بالنخل . ومن أمراض الشجر أيضاً : الفساد ، والتعفن ، والتدوّد ، والعقر ، والتآكل ، والذبول ، والأرضة ، والنمل ، والجعلان ، والعظاية ، وشدة البرد والجليد ، والنخر ، والخمج ، والتقبض ، وغيرها . وقد شرح الغزيّ أعراض هذه الأمراض بكل وضوح ، ووصف طريقة علاجها بكل يسر^(٢) .

ومن المهارات والتقنيات التي حفظها الغزيّ ، تفنن أهل الشام في تشكيل الفواكه ، وإعطائها صفات غريبة ، وهو من الترف الاجتماعي فيما يبدو . ذلك أنهم كانوا يستطيعون جعل الثمار تنمو وفق قوالب على أشكال معينة يختارونها ، فتنمو الثمرة داخل القالب وتأخذ شكله ، على صور الحيوان

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الرابع من المخطوط .

(٢) الغزي ، المخطوط ، ورقة ٩٣ أ وما بعدها .

وغيره^(١) ، فالعنب يوضع في قطع من قصب الأقالام الأنابيب ، وتربط فتخرج حبة العنب طويلة غاية في العجب ، بل كانوا يتحكّمون بصورة العنقود وشكله الخارجي كاملاً . وهناك وصفات كثيرة لهذا التدخل الإنساني في نمو الثمار ، لعلّ أغربها ما ينتج عنباً مختلف الألوان من حبّ أبيض وأسود وأحمر وطويل ومدور وغيره . وذلك بأن تؤخذ قضبان من العنب مطعّمة مختلفة ، مثل قضيب عنبه أبيض ، وآخر أسود ، وآخر أحمر ، وما يشاء الفلاح من أنواع وألوان ، وهذا وقت جري الماء في العود ، فيرض كلّ قضيب منها برفق كي تنعم وتلين ، ثم يفتلها كضفيرة ، ويسوي عقدها ، ويجعل عيونها بعضها مع بعض ، ويوثق ربطها ، ويدخلها في قرن ثور أو عظم ويملاه بأخشاء البقر الطري ، ثم يغرس القرن في الأرض بطريقة معينة شرّحها ، ويظل يتعاهد هذه التركيبة ، إلى أن يكشف عنها بعد مدة تتراوح بين سنتين وثلاث ؛ ليجدها قضيباً واحداً ، يطرح عنباً ملوناً مشكلاً^(٢) .

وقد أعطى الغزيّ وصفات أخرى لمختلف الثمار ، تتحكّم بالشكل واللون والطعم والنوى ، مراعيّاً في كل ذلك الموسم المناخي .
ومن أبدع المهارات في هذا المجال ، التحكّم في ألوان الورد ، وإعطائها ألواناً جديدةً مولّدة أو مختلطة^(٣) .

الحبوب والبزور

ووضع الغزيّ كلّ معارفه عن الحبوب والبزور في بابٍ خاص بها^(٤) ، أفرده

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٠١ ب وما بعدها ، وهذا يذكرنا بالبطيخ مربع الشكل الذي أنتجه اليابانيون

مؤخراً ، كي يسهل تصديره .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٠٢ أ .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١٠٥ ب .

(٤) هو الباب الخامس من المخطوط .

ليفصل الكلام عنها ؛ وأسماء : في الحبوب والبزور المقتاتة وغيرها ، وفي زرعها واختيارها وحصادها . وابتدأ هذا الباب بأهمية اختيار الوقت المناسب والتربة الملائمة لكل نوع من الزروع وحصاده ، وأعطى أهمية خاصة لفهم الدورة الزراعية ، والتي لم تكن غائبة عن حاذقي الفلاحين بطبيعة الحال .

إن الفلاحين كانوا يدركون أهمية تتابع زراعة المحاصيل ؛ لتحافظ التربة على قوتها وقيمتها الغذائية ، وساق الغزي أمثلة لذلك ، كالبر الذي يغتذي من الأرض كثيراً ، ويستنفد دسمها ، ويذهب رطوبتها ، أما الشعير فغذاؤه من الأرض أقل من البر ، فإذا أردنا أن لا نحجف بالأرض انتقلنا من زرع البر إلى الشعير ، فإنه أبقى لقوتها وقدرتها على العطاء . وأعطى فائدة في هذا المجال ، وهي أهمية زراعة القطاني (القرنيات) فهي تريح الأرض وتعيد لها قوتها ، لأن أصولها أقصر ، باستثناء الحمص . يقول : والقطاني بعد القمح والشعير يبكر بهما ، بعد انسلاخ البرد ، لا يبالي بالثلج والهواء . أما العدس والجلبان (البازلاء) فإنهما يطيبان الأرض . لكن السمسم يفسد الأرض ، فلا يتابع زرعه في أرض واحدة . وهكذا ، يعلم الفلاح وبالتالي الغزي ، خاصية كل زرع ومدى نفعه وضرة للأرض . فيعدّد من ذلك : الكرسة ، والفل ، والقطن ، والترمس ، والسلت ، والدخن ، والذرة ، والأرز ، والكتان ، والقنب ، والسمسم ، وغيرها (١) .

وتتضح الخبرة العملية للغزي من نصائحه التي يقدمها لمن لا يعرفها ، كقوله : وإذا كان البذر في صحو من الهواء ودفء مع هبوب ريح الجنوب ، فيأتي الزرع كثير البركة . مع ملاحظة أن «كثير البركة» من معتقدات الناس بلا شك . كما تظهر خبرته من قوله في الترمس : فيزرع في الأرض الرقيقة الضعيفة ، وتطيب به الأرض الرديئة ، والفل في الأرض الندية الرطبة ، ويبكر به ، والحمص كذلك ، والسلت توافقه الأرض الرملية المنخفضة ، والذرة في القيعان الرطبة والرملية والمتندية ، ويزرع متأخراً ، وكذلك الدخن ، والكرسة تجود به

(١) انظر الفصل الأول من الباب الخامس من المخطوط .

الأرض الرقيقة ، والأرز أجود ما يكون على السقي ، والقطن يُزرع في القيعان والجزائر المستوية ، في أيار بعد الحرث مراتٍ كثيرة لتترتخي الأرض وتنفرج له (١) .

وينبغي أن تؤخر الزراعة في البلاد الباردة جداً . ولا يُبذر في يوم مطر ، ولا يُبذر شيء في الأرض حتى تأخذ حَقَّها من العمل والمجهود كما ينبغي ، ويُجعل البذر في ثلاث دفعات متفرقات ، ويُتوخى زيادة القمر إلا الكتان جُرَّب في النقصان فلم يفشل ، ويُنقى القمح مما ينبت عليه من العشب والشوك ، فيسمن سنبله ، ويمتلىء . ويستمر في هذه النصائح الكثيرة التي تعبّر عن دراية وفهم ومعرفة زراعية كبيرة (٢) .

وكعادته في نقل معتقدات الناس ، يقول إن برادة قرون البقر والغنم المدقوقة جيداً في الهاون إذا خلطت مع الحبوب قبل زرعها ، ثم بُذرت معها ، تُخصب الحبوب المقتاة ، وتزيد من ريعها (٣) . وهي طريقة لها نصيبٌ من الصحة في العلم الحديث .

كما يعطي طرقاً لاكتشاف حالة الحبوب والبزور هل لحقتها آفة أم لا ، فُيُستنبت منه القليل ، أو ينقع ، وغير ذلك من طرق أكثر دقة . كما يعطي أوصاف الحبوب الصحيحة السليمة من أي آفة ومرض ، وأوقات الحصاد المناسبة لكل نوع من الحبوب ، فكل نوع أوانٌ هو أنسب وقت للحصاد ، وإلا فسد أو قلت قيمته ، كما أجزاء اليوم صباحاً أو ظهراً لها حساب في ذلك (٤) . وهو - في هذا المضمار - من أوائل الذين عرفوا اختبار فحص البزور ، بالاستنبات ، كالقمح والشعير والعنب والكتان والبصل واللفت والكرنب وغيرها .

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٠٨ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٠٨ ب .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ١٠٩ ب .

(٤) المصدر نفسه ، ورقة ١١٠ أ .

ثم أفرد لكلِّ صنفٍ من الحبوب المقتاتة فقرةً للحديث عن طبيعته ، وأنواعه ، وقيمته الغذائية ، واستخداماته العلاجية ، ومنافعه ومضاره (نسبية بطبيعة الحال) ، وأكمل في بعض الأحيان الحديث عن الطعام المعد من تلك الحبوب^(١) ، وخاصة الخنطة ، فمنها السويق الذي يطفىء الحرارة ويسكن العطش ، ومنها النشاء ، ومنها الدقيق ، ومنها الخبز بأصنافه التي عدّد منها : الحواري ، والخشكار ، والمغسول ، والسميد ، والفطير ، وخبز الفرن ، والطابون ، والملة ، والطابق ، وخبز القطايف ، والمطبوخ ، وخبز الأباير ، وخبز الثوم .

ولكلِّ صنفٍ من الخبز صفاته ، وخاصة الطبية . فهو يركز عليها ، ويسهب في جمع شتاتها ، وكأنه صيدليٌّ أو طبيب . وهكذا فعل في ذكره الأنواع الأخرى من الحبوب التي ذكرها : الحمص ، والفاول ، والعدس ، والجاورس ، والذرة ، والدخن ، والكرسنة ، والجلبان ، والنوبياء ، والسّمسم ، والحلبة ، والترمس ، والقرطم ، والكتان ، والقنب ، والقطن ، والفصفاصة ، والقرط ، والخشخاش ، والأفيون ، والفوة ، والحنّاء ، والزعفران ، وبعضها كما يلاحظ ليس من حبوب الطعام وإنما تدخل في باب الأدوية والعلاجات .

ورغم اهتماماته الطبية ، إلا أنه لا ينسى أن كتابه في الزراعة والنبات ، فلا يغفل الحديث عن التربة والتقويم الزراعي ، ومواسم كلِّ حبٍّ من هذه الحبوب . كما أنه لا ينسى أنه لغوي فنراه يحرص على إيراد المسميات المتعددة للشيء الواحد وحشدها ، وهي - بلا شك - مسمياتٌ كانت معروفةً في أجزاء مختلفة من بلاد الشام .

ومن هذه المادة عن الحبوب نعرف أن أكثر اعتماد الناس كان على القمح والشعير ثم الأرز .

وللغزي قدرةٌ فائقة على الانتقال السلس من موضوع إلى موضوع ؛ فانتقل بكلِّ يسرٍ وسهولة إلى الاهتمام الطبي ، فأفرد فصلاً للنباتات ذوات البزور

(١) انظر الفصل الثاني من الباب الخامس من المخطوط .

المستعملة في الأظعمة والأدوية^(١) ، وظهر لنا وكأنه طبيبٌ أو صيدليّ ، فبسط القول في : الكمون ، والكاشم ، والكرأويا ، والأنيسون ، والرازيانج ، والشونيز ، والحرف ، والخردل ، والكزبرة ، متتبعاً - في كلِّ نباتٍ من هذه النباتات - مسمياته المختلفة ، وأصنافه ، وصفاته ، وخصائصه ، وكيفية زراعته ، ومواسمها ، وأماكن زراعته ، مع التركيز على استعمالاته الدوائية . وهو في هذا الفصل يقدم وصفاتٍ دوائيةً وقائيةً وعلاجيةً بتفصيلٍ شديد .

البقول : وسار على هذا المنوال نفسه في ذكر البقول ذوات الأصول ، ومنها : اللفت ، والجزر ، والفجل ، والبصل ، والثوم ، والكرات ، والقلقاس ، حيث أسهب في تفصيل فوائدها العلاجية^(٢) .

وليس بعيداً عن الملاحظة أن أهل بلاد الشام ما زالوا يستعملون هذه النباتات في طعامهم ووصفات طبَّهم الشعبي وعلاجهم إلى الآن ، وبالمسميات والمقادير نفسها ، في غالب الأحيان ، مما يؤكد أن ذلك من الثقافة الطبية للناس ، ومن المهارات التي كانوا يمارسونها في حياتهم اليومية ، وهي ممارساتٌ ومهاراتٌ استمرَّ الكثير منها إلى هذه الأيام .

وهذه المهارات تمتدّ إلى التحكّم في المحاصيل ، أو تجويدها ، وتحسين أصنافها ، وتكثير طرحها ، أو تغزير مائها ، وتحلية طعمها ، وتقليل مرارتها أو حرافتها ، وتنضير لونها ، وتكبير حجمها ، وغير ذلك . وهي مهاراتٌ نسمع عنها الآن أو نراها مستوردةً من بلاد الغرب ، فنعجب بها أو نستغربها وكأنها اختراعٌ حديث ، ولا يعلم معظمنا أنها كانت معروفةً في بلادنا قبل مئتين من السنين .

ولأسبابٍ منهجيةٍ واضحة ، جمع الغزيّ البقول التي تُسمّى اللوابي والمقائي مما ثمرته في رؤوس قضبانها في فصلٍ مستقل^(٣) ، وبسط القول فيها ، مظهراً

(١) الفصل الثالث من الباب الخامس من المخطوط .

(٢) الفصل الرابع من الباب الخامس من المخطوط .

(٣) هو الفصل الخامس من الباب الخامس من المخطوط .

براعته الكبيرة في تقديم مادة تمتزج فيها الفوائد الزراعية بالطبية بالغذائية ، فتحدّث في هذا الفصل عن القثاء ، والخيار ، والقرع ، والبطيخ ، والباذنجان ، والكرنب ، والقنبيط ، وقد خصّ كلّ بقلٍ منها بفقرات تختلط فيها المعلومات والمهارات المتحصّلة لديه من محيطه الزراعي والمجتمعي ، فنجده فلاحاً في نصيحته بجعل سريرٍ حول الخيار ليُعرش عليه ، ويُعلق ، فيجود ويكبر ويكثر . ونصيحته بأن يُغرس القرع بالعشي آخر النهار ، ويُنقل غرساً ويُزرع في حفر ويُتعاهد بالسقي الكثير .

ونجده طبيباً في قوله عن القرع : ومسلوقه يغذو يسيراً ، وينحدر سريعاً ، وهو جيد للصفراويين ، وعصارتة تسكن وجع الأذن مع دهن الورد ، وينفع من أورام الدماغ ، وسويقه ينفع من السعال ووجع الصدر ، ويقطع العطش جداً ويلين البطن . وإذا دُفن بالجمر وشرب ماؤه مع سكر نفع من الحميات . وهو يفسد في المعدة لمخالطته خلطاً رديئاً ، ويضرّ بأصحاب السوداء والبلغم ، ويولّد بلة المعدة جداً ، ويضرّ المعدة والأمعاء والقولون خاصة^(١) .

ونجده صيدلانياً في حديثه عن القنبيط : يفتح السدد ، ويشفي من الخمار ويمنع من السكر ، وهو يغلظ الدم ، ويحدث نفخاً في نواحي الجنب^(٢) .

ونجده طبّاحاً حينما يقول عن الباذنجان : وإصلاحه لمن أراد أكله بأن يُنقع بالماء والملح ، ويُسلق ، ويُبدد ماؤه ، ويُطبخ بالدهن الكثير . وأردأ ما أكل مشوياً ، ويؤكل إذا سلّق الكبار منه مقطّعاً وترك مفرقاً حتى يذهب عنه الماء ، ثم يُقلى جيداً بزيت وسمن مخلوطين ، أو شيرج ودهن لوز مخلوطين ؛ فتذهب حرافته ومرارته ، ويعتدل طعمه . وقوله عن الباذنجان أيضاً : يُسلق سلقاً خفيفة ، ثم يُجعل في إناء ، ويُصبّ عليه الزيت أولاً ، ويُلقى عليه البصل المقطع المنقوع ساعةً في ماء وملح ، ويقطع عليه الكرفس والسذاب مع الكراويا والقرفة

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٥٤ أ .

(٢) المصدر نفسه ، ورقة ١٥٩ ب .

والخولنجان مدقوقة ، ثم يُصبّ عليه الخل وماء الرمان والزيت ، ويؤكل بعد تركه يوماً^(١) .

ومن اللطائف التي جاءت في كتابه كثرة مسميات البطيخ وبعض الإشارات التاريخية ، بغضّ النظر عن مدى صدقيتها ، كأن يقول : إن عبد الله بن طاهر أمير مصر العباسي هو الذي جلب البطيخ إلى مصر من بعض بلاد العجم ؛ ولذلك سُمّي العبدلاوي^(٢) . وقوله : وأما البطيخ الهندي وهو الرقيّ ويُسمّى البطيخ الأخضر ، وهو أنواع ، ثم يسهب في تعدد هذه الأنواع ألواناً وأشكالاً وحجماً وطعماً وغير ذلك ، لكن المهم هنا تأصيله كلمة «رقيّ» المستعملة الآن في العراق وليس في بلاد الشام^(٣) .

وقد سار على المنهج نفسه في ذكره البقول والخضروات ذوات الأوراق كالخسّ ، والإسفاناخ ، والهندباء ، والطرخشقون ، والرجلة ، والبقلة اليمانية ، والقطف ، والسلق ، الحمّاض ، والطرخون ، والملوخية ، والخبازي ، والهليون ، ولسان الحمل ، والكرفس ، والسذاب ، والصعتر ، والجرجير ، والشبث ، والكبر ، والسّمّاق ، والماميثاء ، والحرشف ، والحرمل ، وغيرها^(٤) .

الرياحين والأزهار : ووفرة الرياحين والأزهار في البلاد الشامية^(٥) جعلت الناس يعتنون بها أيما اعتناء ، أو أن الاعتناء الكبير بها جعلها تتوفر بصورة

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٥٧ ب .

(٢) أو العبدلي كما نقل أحمد بن مُحمّد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٩١) ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، ٨ج ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ج ٣ ، ص ٨٨ .

(٣) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٥٤ ب .

(٤) الفصل السادس من الباب السادس من المخطوط .

(٥) وفرة الأزهار والورود والرياحين تلك سجّلها شعراء الشام بكثرة ذكرهم لأصنافها وأوصافها في أشعارهم . انظر على سبيل المثال : أحمد بن مُحمّد الضبيّ الحنبلي المعروف بالصنّوبري (ت ٣٣٤هـ /

١٩٤٥م) ، ديوان الصنّوبري ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨١م .

كبيرة ، يتضح ذلك من الباب الذي عقده الغزّي ليذكر أصنافها ، وصفاتها ، وخواصّها ، وفوائدها ، واستعمالاتها الطبية^(١) ، وقد عدّد منها :

الحبق ، والبازروج ، والترنجان ، والبنفسج ، والرنجس ، والسوسن ، والايروسا (من أصناف السوسن) ، والنيلوفر ، والبهار ، والبابونج ، وإكليل الملك ، والأقحوان ، والأذريون ، والخيري (وهو المنثور) ، والمردقوش ، والخزامى ، والمرو (ويسمى حبق الشيوخ) ، والخطمي ، والنمّام ، والننعع ، وحب الليل ، والأفستين ، والزنجبيل ، واللوب .

واتّبع الغزّي منهجاً واضحاً في ذكر كلّ صنفٍ من الأحياء والرياحين ، فيصفه شكلاً ولوناً ، ويذكر أنواعه ، ويبين وقت زراعة البستاني منه ، وكيفية زراعته ، وخاصّيته ، ثم يقدم نصائحه الطبيّة المتعلّقة بذلك الريحان ، ويذكر من مضارّه إن وُجدت ، فهو يركّز على ما يوافق كلّ داء وما لا يوافقّه .

وهو وإن بدا - في هذا الباب - طبيياً ، فإنّ معلوماته مستمدة من مصدرين

اثنين :

- ١ . كتب طبيّة يذكر بعضها ، ويغفل عن ذكر بعضها الآخر .
- ٢ . ثقافة الناس ، حيث يذكر في أكثر من موضع أنّ ذلك بما تعرفه العامة ، أو «وهكذا يعمل أهل الغوطة» .

وهي معلومات ذلك الزمان ، وما توصل إليه أطباؤهم القدامى (سواء اليونان أو المسلمين) ، وبعضها لا يصمد أمام التقدم العلمي الحديث بطبيعة الحال . ويعطي الغزّي في هذا الباب على وجه الخصوص مسمياتٍ مختلفةً لكلّ صنفٍ من أصناف الرياحين ، ويحرص على إعطاء التسميات المحليّة في بلاد الشام بعد أن يسمّيّه التسمية العامّة أو التسمية الأعجمية (فارسية في غالب الأحيان) ، كأن يقول - على سبيل المثال - : «ويسميه أهل الشام أقحواناً ، لا سيما في دمشق» ، أو : «والخبازي البستاني ، ويسمى بالشام الملوخيا» .

(١) الباب السادس بأكمله من المخطوط خصّصه الغزّي للأحياء والرياحين والزهور .

وعلى الرغم من اعتماد الغزيّ على كتب الأقدمين في كثير من مادة هذا الباب ، إلا أن ثقافة الناس المحلية واضحة جداً من خلال ما جمعه وسجّله (١) .

ادّخار المحاصيل الزراعية والمصنوعات الغذائية

ومن خلال ما أورده الغزيّ ، يبدو أن الشاميين كانوا على درجة عالية ، من المهارة في خزن وادّخار المنتجات الزراعية والمصنوعات الغذائية على اختلاف أنواعها (٢) ، فقد أورد عدّة طرق للادّخار يتناسب كلُّ منها مع نوع من المحاصيل ، وهذه الطرق وإن قدّمها الغزيّ كنصائح إلا أنها من معارف النّاس السابقة ومهاراتهم المكتسبة .

وفي الكتاب وصفاتٌ لادّخار الفواكه اليابسة والرطوبة نحو العنب والزبيب والمشمش والإجاص وغيرها . وبسبب الإنتاج الوفير للعنب في بلاد الشام ، يركّز الغزيّ على طرق حفظه وتخزينه لمدة سنة كاملة في بعض الوصفات . ومن هذه الطرق غمس العناقيد في عصارة البقلة الحمقاء ، أو ماء الشب ، أو رماد حطب التين ، أو نشارة خشب الساج ، والأرز ، ورماد الكرم ، أو التبن ، وبعض تلك الوصفات فيه شيءٌ من الغرابة ، كأن يُحفظ العنب في إناءٍ مصنوع من أحناء البقر ، أو يوضع في الطين الأحمر ، أو في ماء المطر ، أو الصوف المنفوش ، وغير ذلك الكثير من الطرق والنصائح . وهو يردف كلامه في بعض الأحيان بالتأكيد على أنها وصفةٌ مجرّبة .

(١) وكان أبو البقاء عبد الله بن مُحمّد البدري والذي عاش في القرنين التاسع والعاشر الهجريين قد وضع كتاباً جمع فيه محاصيل الشام الزراعية وروداً ورياحين وفاكهةً وخضراوات ، وافتخر بها وتغنّى ، ووصفها ، وبيّن أهميتها الغذائية والطبية ، وجمع أقوال من سبقه عنها . وأسمى كتابه نزهة الأنام في محاسن الشام ، المكتبة العربية ، بغداد ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤١هـ / ١٩٢٢ م .

(٢) خصّص الغزيّ الباب الثامن من الكتاب لبيان طرق ادّخار الحبوب والفواكه والخضر والزهور والمخللات والملوحات والعصير وغير ذلك .

وأما تزبيب العنب ، فيقدّم الغزّي ستّ وصفاتٍ تعطي أنواعاً جيدة من الزبيب . كما يقدّم وصفاتٍ لحفظ التين ، وهو من منتجات بلاد الشام المشهورة ، وتتراوح تلك الوصفات بين حفظ التين الغصّ والتين اليابس ، كما تتراوح بين طرق بسيطة يسيرة ، وأخرى معقّدة .

وهكذا يأتي الغزّي على طرق خزن التفاح والأترج والسفرجل والكمثرى الذي ينوّه بأنه الأنجاص عند الشاميين ، والرمان ، والقراصيا ، والعناب ، والخوخ .

وينبّه إلى أن الفواكه الشتوية أصبر وأكثر قدرةً على المقاومة والخزن ، ويحذر من بعض الأخطاء كوضع حب السفرجل بالقرب من الفواكه المحفوظة ، لأنه يضرّ بالرطب منها .

وأما الفستق واللوز والجوز والقسطل (الكستناء) والبلوط ، فلها طرق مختلفة خاصة بها .

ويقدم الغزّي كذلك نصائح ووصفاتٍ لحزن الحبوب والبزور والخضراوات ، ولكلّ محصولٍ طريقتَه الخاصة ، ويبين خواص الأهراء التي يخزن فيها البُرّ ، فيجب أن يكون لها كوى من جهة الشرق والغرب لتذهب عنها رياح هاتين الجهتين الآفات ، ولا يكون لها من جهة الجنوب منفس ولا كوى .

ويستمر في سرد الطرق الصالحة لحفظ الحبوب كالشعير والعدس والماش والدقيق ، ثم يذكر أن الجاورس (صنف من الدخن) إذا رُفِع في سنابله بقي مائة عام ، لكنه لا يتحمل مسؤولية هذا الكلام ، فيبدأ بقول : «ويقال» . وهذا أمانة منه . أما خزن الخضّر ذوات الأصول المكنونة تحت الأرض كالبصل والثوم ، فهناك طرق كثيرة لحفظها وبقائها .

وأما الدلاع وهو - كما يفسّر - البطيخ السندي ، والقرع ، والخيار ، والقنبيط ، والجزر ، والشلجم ، والبادنجان ، والرازيانج (شومر) ، ونحوها ، فلها طرق متنوعة مختلفة عن طرق خزن الحبوب ، وبعضها يطيل عمر المنتج صالحاً مدة طويلة .

ويفرد الغزيّ فصلاً كبيراً لادّخار المخلّلات والملوحات^(١) ، وكيف يمكن أن تدّخر لشهر أو لسنة ، ويقدم قائمةً طويلةً بما يمكن أن يُخلّل كالبادنجان والليمون وأنواع اللفت وأنواع الزيتون والقبار والعنب والخيار والهلبيون والسفرجل والجوز الأخضر والبصل والجزر وغيرها ، وفق خطواتٍ عمليةٍ ومقادير واضحة ، لكلِّ صنفٍ من هذه الأصناف .

كما يقدم وصفاتٍ لعمل أنواع من الخل والمعاجين المشهية ، وترتيب الفواكه ، ومعالجة الزيت لإصلاحه وحفظه ، وادّخار العصائر وصنع الدبس .
ويبدو من إسهاب الغزيّ في طرق الخزن والادخار أن الشاميين كانوا على درجةٍ كبيرةٍ من المهارة في هذا الجانب الاقتصادي ، وأنهم مولعون بالادّخار للمواسم التي تخلو من تلك المحاصيل للإفادة منها والاستمتاع بأكلها في غير أوانها .

وبعدّ الغزيّ حفظ الورد ، وصنع ماء الورد بما لا يبعد عن حفظ المواد الغذائية . لذلك ، نراه يفرد فصلاً يشرح فيه كيف يمكن أن يُخزن الورد محتفظاً بألوانه وروائحها يابساً وطرياً ، وتفنّن في طرق تقطير الورد والحصول على ماء الورد والزهر بألوانٍ مختلفة^(٢) .

ومن التقنيات المهمة التي حفظها الغزيّ القباب التي كان يضعها الناس على الزروع لحمايتها من البرد والجليد^(٣) لكن من أطف ما ذكر وأذكاه وأبدعه فكرةً مبتكرةً لتحسين المزارع والكروم من غير سور أو حائط ، ولا أدري إن كان ذلك من معارف الناس أم أنها من أفكاره وتُسجّل له ببراءة اختراع؟! وتتلخّص الفكرة في أن ينقع في الماء بزر العوسج ، وبزر الهليون ، وبزر الزعرور ، وبزر العليق ، وما أشبه ذلك . ثم يُطلى بهذا السائل حبلٌ غليظٌ من ليفٍ أو غيره ، مع

(١) الفصل الثالث من الباب الثامن من مخطوط الغزي .

(٢) الفصل الرابع من الباب الثامن من المخطوط .

(٣) المصدر نفسه ، ورقة ٢٠١ ب .

أخشاء البقر ، ويُمدّ هذا الحبل حول البستان مدفوناً بالتراب ، ويُسقى حتى ينبت ويقوى ويشتبك ويصير سياجاً من شوك^(١) .

كما لا نملك إلا أن نعجب بالتقويم الزراعي الذي وضعه ، والذي يمثل الحياة الزراعية في بلاد الشام في القرنين موضوع الدراسة على أقل تقدير . وفيه اهتمامٌ بأربعة عناصر هي : المناخ ، والعمل ، والنبات ، والحيوان .

التقويم الزراعي^(٢)

فصل الربيع

وهو ثلاثة شهور : آذار ، ونيسان ، وأيار .

وله ثلاثة بروج : الحمل ، والثور ، والجوزاء .

وله سبعة منازل : الناطح ، والبطين ، والثريا ، والدبران ، والهقعة ، والهنة ،

والذراع .

أوله : ساعة نزول الشمس للحمل ، وذلك في ثالث عشر آذار .

آذار

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
مارس	خردادماه	برمهات	٣١ يوماً

فيه يعتدل الليل والنهار الاعتدال الربيعي ، ويأخذ النهار في الزيادة ،

(١) الغزي ، المخطوط ، ورقة ١٩٥ ب .

(٢) لخصنا كلام الغزيّ في الأوراق ١٩٩ ب وما بعدها ، ورتبناه وفق هذا السياق . وما سيذكره عن البروج

والمنازل وخصائصها هو تراث عربي ظل قائماً إلى عصر الغزي ، وإلى الآن . انظر : عبد الله بن مسلم

بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ، الأنواء في مواسم العرب ، دار الشؤون الثقافية العامة ،

بغداد ، ١٩٨٨ م .

والليل في النقصان . يُبدأ فيه بالقلب في فلاحه الأرض ، ويُقلب ما تحت الأشجار ، وتُنقى أصولها ، وتُعمر الكروم وتُقطع قضبانها ، وتُنور فيه الأشجار ، ويُذكَر النخل ، وتُعمر أرض الكتان والبعل ، ويعقد الفول في البساتين ، ويقوم بكبير الزرع على ساق ، وتُزرع القطاني (المقائي) . وقد يُزرع فيه القمح والشعير إذا توقف الغيث فيما قبله . ويظهر فيه أول الورد والسوسن الكسروي ، وفيه يُجمع الجلنار ، وتُركب الكروم قبل طلوع الأغصان بالعيون النابتة فيها ، ويُزرع الأسفاناخ المؤخر وبزر الخيار البكيري والحمص والقطن والعصفر والريحان والحبق والمردقوش .

نيسان

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
أبريل	يرماه	برموده	ثلاثون يوماً

في سادسه أول نوء السّماك ، وهو ثالث الأنواء المباركة عند الناس . وفي خمس بقين من آخره مطر نيسان إلى خمس تمضي من أيار . وهو زمن الورد ، وفيه يخرج ماءه ، ويُعمل شرابُه ودهنه ، ويُربى فيه ، وفيه يعقد التين ، ويؤكل الفول والحرفش ، وتزيد مياه العين ، وفيه يدرك اللوز ، وتنعقد الثمار ، ويُحصد الشعير الكبير ، وتؤكل فيه الحنطة ، ويجف العشب ، ويُغرس فيه نقل الباذنجان ، وتُغرس فيه قضبان الياسمين ، وتُضرب فيه أوتاد الأترج ، وتُزرع الحنّاء والأرز واللوبياء البستانية والخيار ، ويدرك النخل ويقلم سعفه .

وتُطلق فحول الخليل على الرّمّاك بعد تمام وضعها ، ومدة حملها أحد عشر شهراً ، ويكون الفحول مع الرّمّاك سبعين يوماً ، أولها نصف نيسان وآخرها يوم العنصرة وهو الرابع والعشرون من حزيران .

أيار

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
مايو	مهرمه	بشنش	واحد وثلاثون يوماً

فيه يبدأ أهل الساحل بالحصاد ، ويُقلع فيه الفول والكتان ، ويظهر فيه زهر السوسن وباكور الثمار كالتفاح والإجاص والتين ، ويعقد الزيتون والعنب ، وتنقص فيه المياه ، وتُسقى فيه الأشجار كلها إلا التين ، وتُحفر الكروم للمرة الثالثة لأن الحفر الأول في آذار ، والثاني في نيسان ، وفيه يُغرس بصل الزعفران .

وفي أول يوم منه تُطلق فحول البقر على إناثها ، وتُترك أربعين يوماً وحمل البقر أحد عشر شهراً .

فصل الصيف

وهو ثلاثة شهور : حزيران ، وتموز ، وآب .
وله ثلاثة بروج : السرطان ، والأسد ، والسنبلة .
وله سبعة منازل : النثرة ، والطرف ، والجبهة والحراثان ، والصرفة ، والعواء ، والسماك .
أوله : وقت نزول الشمس ببرج السرطان ، وذلك في ثالث عشر حزيران .

حزيران

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
يونيوه	ابان ماه	بؤنة	واحد وثلاثون يوماً

فيه ينتهي طول النهار وقصر الليل ، ويأخذ النهار في النقصان ، والليل في الزيادة . وفيه المهرجان الذي يُسمى العنصرة في رابع عشر منه .
فيه يطيب بكبير العنب والتين وبعض التفاح والإجاص ، ويعقد الجوز والصنوبر والفسق ، ويظهر البطيخ . وفي وسطه يُحصد القمح ، وفيه تُشق أصول الكروم ، وتُنقى من العشب وبذلك تعظم عينه ويسرع إدراكه ، وتقوى شجرته . والشق هو الحفر الخفيف .

وفيه تُجزأ أصوافُ الضأن ، وتُسرح الكباش الفحولة على الضأن ، والتيوس على المعز .

تموز

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
يولية	وايدرماه	أبيب	واحد وثلاثون يوماً

فيه السمائم الصيفية ، وهي أربعون يوماً ، أولها الحادي عشر منه . وفيه يطيب الكمثرى والعنب ، وينضج البطيخ ، وفيه يُجمع بزر القرطم والخطمي والريحان والخس والحبق والحرف والفرفحين والبطيخ والقثاء والخيار . وفيه يدرك الرمان ويحمر البُسْر ، ويُقطع القصب القبطي ، وتُشق أصول الزيتون ، وغبار ذلك المشق نافع لثمرها . ويكون قبل طلوع الشمس أو مع طلوعها أو بعد ساعة ، فإن التراب حينئذ بارد ، ويُطَمّ به شقوق الأرض المغترسة المشققة لثلا يصل الحر منها إلى أصول الأشجار . وينبغي أن لا يُغرس فيه شجر ولا يُزرع فيه بزر لإفراط الحر فيه . وفي صدره تذهب البراغيث .

آب

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
اشت	ديماه	مسرى	ثلاثون يوماً

فيه بقية أيام السموم الضعيفة ، وهي عشرون يوماً من أوله . وفيه يبدأ نزول الندى ، وينكسر الحر ، ويبرد الليل آخره . فيه يُجمع اللوز . وقيل : ما يقطع من الخشب بعد ثلاثة أيام منه لا يسوس ، ويؤكل فيه الخوخ الأملس ، ويبدأ الأزغب ليطيب . ويبدأ فيه الرطب والعناب بالنضج ويطيب الدلاع ، ويُحصد الأرز ، ويعقد البلوط ، ويُجمع الخروب وبزر القرطم والحرف وبزر النيل والكزبرة والسمس وبزر البطيخ والقثاء والخيار والأحباق . وإن أبطأ نضج العنب فيه يُغبر بدق المدر ليرتفع الغبار إليه فينضج ، فإن جميع الأشجار ينضجها الغبار عليها ،

وتُشَق فيهِ أصول الزيتون فإن غبار المشق يسرع إدراكها ، وهو أجود لدهنها ، ويُزرع فيه اللفت المدحرج والطويل من أوله ، والخيار المؤخر والقطن .

فصل الخريف

وهو ثلاثة شهور : أيلول ، وتشرين الأول ، وتشرين الثاني .
وله من البروج : الميزان ، والعقرب ، والقوس .
وله سبعة منازل : الغفر ، والزبانا ، والإكليل ، والقلب ، والشوله ، والنعائم ، والبلدة .

أيلول

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
اشتنبير	بهمنماه	توت	ثلاثون يوماً

فيه يعتدل الليل والنهار الاعتدال الخريفي ، ويأخذ النهار في النقصان ، والليل في الزيادة .

وفيه يُغطى شجرُ الأترج والياسمين والموز والريحان والليمون والقلقاس والنارنج لئلا يؤذيها البرد والثلج والجليد ، فتُصنع لها قبابٌ تكون عليها مدة البرد من منتصف آذار إلى نيسان ، فيُنزع عنها . وفيه ينضج الخوخ والرمان والسفرجل ، ويسود الزيتون ، ويطيب القسطل والبلوط ، ويُفرط الجوز ويُجمع الصنوبر والعناب ، ويظهر بعض الهليون .

وفيه يبدأ بالحرث والزرع بعد نزول الغيث في بعض البلاد ، وفيه يُجمع الكراويا والكمون واللوبياء ، وبزر الأحباق والأرز والكزبرة ويقلع الحناء . وفيه تُقلم الجفان التي لا تحمل لتركب ، والحماله ليركب منها ، وربما ركب فيه من كثير الثمر في قليل من الكروم .

وفيه يدرك الحبق والباقلَى ويزرع القَطَف والأسفاناخ والثوم البلدي ، ويُنقل الكرنب والسلق المؤخر والخس والبصل من أوله إلى كانون الثاني .

تشرين الأول

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
اكتوبر	اسفندماه	بابة	واحد وثلاثون يوماً

فيه يستحكم البرد ، ويُجمع بزر الرازيانج والأنيسون ويزر البصل ، ويُجمع الزعفران والبنفسج والفسق وحب الزيتون الأخضر للأكل قبل أن يجري فيه الزيت ويصفّر وتُغطى أصول الأترج بورق القرع ورماده في البلد البارد . وقيل : ما يقطع فيه من الخشب بعد مضي ثلاثة أيام منه لا يسوس ، وتقطف الأعناب في البلاد الباردة ، ويُلقط أول الزيتون ، ويعتصر زيتة ، ونهى صغريث^(١) عن أن يلتقط فيه أو يؤكل زيت ما يعصر في تشرين الأول ومن غيرها فيه .

وفيه يُجرد النخل ، ويُقطع القصب الفارسي ، وتخرج الكمأة ، ويُزرع الثوم الكبير ، ويُقلع للأكل في آذار ونيسان وأيار . ويُزرع فيه اللفت المدحرج والطويل المؤخران ، والقطف ، ويُنقل الخس الكبير المستدير الأوراق ، ويؤكل في آذار وبعده ، ويزرع الأسفاناخ من أوله إلى أيار ، ويزرع البقول . وفيه يتراضع الغنم ويكثر اللبن .

تشرين الثاني

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
نومبر	يرماه	هتور	ثلاثون يوماً

وفيه يشتد البرد والثلج . وفيه يقع جليد . يستحبّ ابتداء الزراعة فيه من منتصفه إذا نزل الغيث ، ويوم ثالث عشر نوء الثريا ، فتمسك الأرض فيه برأسها . وقيل : لم يجتمع قط مطر الثريا في تشرين الثاني . ومطر الجبهة في

(١) أحد الحكماء الأوائل ، وهو من أهم المصادر التي اعتمد عليه ابن وحشية في الفلاحة النبطية .

شباط ، ومطر السماك في نيسان ، في سنةٍ إلا كثر الله تعالى بفضلله خيرها والبركات فيها .

يُزرع فيه القمح والشعير والبقول والكتان ، وفيه تفرخ النخل ، ويُجمع البلوط والقسطل وحب الآس وقصب السكر . وفيه تُزبل الشجر والخضر لئلا يحرقها الجليد . وفيه يُجمع الزعفران وتُزبل الكروم وتُسمد الشجر ، وبعمر المعز فيه بليغ . والكسح فيه يغلظ الزرجون ، ويكثر فروع الجفان ، وفيه يبكر غرس الكروم في المواضع الحارة .

وقال صغريث : ينام الشجر نوماً ثقيلاً فيما قبل هذا الشهر بعشرة أيام ، وفيما بعده إلى آخر كانون الأول ، فإذا نامت فلا تكسع ، ولا يلقط منها حمل إلا أن يكون بقي على بعضها بقية فيلقط منها بغاية الرفق فلا شجرة الزيتون وحدها ، فإنها تقويها وتشدها ولا يضرها لقط حملها في ذلك الوقت . وهذا شهر الزرع والغرس ، وفيه يسكن الماء عروق الشجر ، ويسقط الورق ، ويغرس الخس البلدي الحاد الأوراق ، ويؤكل في كانون الثاني . وفيه يهرب الطير ، كالزراير والخطاطيف والرخم وغيرها .

فصل الشتاء

وهو ثلاثة شهور : كانون الأول ، وكانون الثاني ، وشباط . وله من البروج : الجدي ، والدلو ، والحوت . وله سبعة منازل : سعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، والفرعان (المقدم والمؤخر) ، والبطن . أوله يوم نزول الشمس برج الجدي ، وذلك ثالث عشر كانون الأول .

كانون الأول

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
دجنبر	بهرماه	كيهك	واحد وثلاثون يوماً

فيه ينتهي قصر النهار، ويأخذ الليل في النقصان، والنهار في الزيادة. وفيه سمائم البرد، وتسمى الليالي السود، وهي أربعون ليلة، عشرون من حادي عشر إلى آخره، وعشرون من أول كانون الثاني.

وفي كانون الأول يطيب الأترج، ويظهر النرجس والبهار، وينور اللوز الكبير. وفيه تُزبل الشجر والكروم. وإن زُرِع فيه الباقلَى جاء مجيئاً جيداً، لأن هذا لشهر موافق لطبيعة الباقلَى موافقة عجيبة، وليكن من أوله فإنه يلحق ما زرع قبله. ويُسمد فيه الشجر المثمر، ويُزرع فيه بزر الكراث، ويخدم سنة، ويُقلع للأكل وكذلك الثوم، ويزرع فيه الخشخاش الأبيض.

كانون الثاني

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
ينير	أرد يبهشتماه	طوبة	واحد وثلاثون يوماً

فيه يجمد الماء ويشتد البرد، وبعد عشرين يوماً منه تخرج الليالي السود، وهي الأربعينيات. وفيه تسكن الرياح، فلا تهب، ويجرى فيه الماء في العود، ويؤخذ فيه فراغ النخل، ويُزرع القمح والبقول، وما يُزرع فيه من البزور لا يولد، وكذا في شباط. وفيه ينور اللوز، ويظهر النرجس وفيه يُعمل السكر، ويُجمع الأترج والنارنج والليمون. وتُكرب الكروم، وتُنقى البساتين من الدغل والحشيش، وفيه تُصعد فروع الشجر. ويقال: إن قطع الخشب في السابع والعشرين منه لا يسوى، ويُبدأ فيه بالقلب وعمارة الأرض للأشجار، ولزرع القطن، ويكشف التراب عن أصول الأشجار، ويُفرق الزبل في مواضعه في ذا الحين، ويُبدأ فيه بكسع الكروم بعد مضي ثلاث ساعات من النهار إلى مثل ذلك من آخره، ويُطعم فيه البندق والحوخ واللوز والخروب وشبهها في البلاد الحارة، والتفاح الشديد الحموضة.

ويُقلع الدغل فيه، وفي شباط أيضاً، والقمر ناقص الضوء من السابع عشر

إلى آخر الهلال . وفيه تبذر الزريعة كالباذنجان ، ويُنقل ، وبزر الخس وبزر القنبيط وبزر الأسفاناخ والرجلة البكيرة وحب الثوم وزريعة البصل والكراث والكتان على السقي أفضل أوقاته فيه . وفيه تتزاج العصافير ، وتنقّ الضفادع .

شباط

اسمه بالعجمية	اسمه بالفارسية	اسمه بالقبطية	عدد أيامه
لم يذكره	أذرمه	أمشير	ثمانية وعشرون يوماً

وربع يوم

فيه ينكسر البرد ، ويخرج الدفء من الأرض ، وفي الثالث عشر منه نوء الجبهة وهو أحد الأنواء الثلاثة المعلومة البركة عند الناس .
وقالت العرب : ما امتلأ واد من نوء الجبهة إلا امتلأ عشباً .
ويبدأ فيه بعمارة الأرض ، لزراع الكتان في البعل ، ويفرخ النخل ، وتأخذ الأرض ريبها من الماء ، ويزيد ماء الآبار والعيون والأنهار ، ويجري الماء في العود ، وما يزرع فيه من الحبوب ويُغرس فيه من الأشجار والكروم يجيء ثمره كثيراً موقراً رزينا ، ويتحرك فيه العشب ، ويورق الشجر ، ويُغرس الورد والسوسن وبعض الرياحين ، ويورق الكروم ، وتُزرع زريعة اللفت المدحرج الربيعي في نصفه الآخر ، ويؤكل في نيسان وأيار . وفيه تحضن النساء دود الحرير .

إن الحياة الزراعية في بلاد الشام في القرنين التاسع والعاشر الهجريين رصدها أحد أبنائها من امتازوا بسعة المعرفة والثقافة والتجربة ، وقد أوضح التفوق الذي حازه الشاميون في فهمهم لمعادلات الزراعة ، والقائمة على العلاقة بين التربة والمياه والمناخ ، وما تبع ذلك من نشاط وجهد بشري ولد ازدهاراً زراعياً كبيراً رغم ما مرّت به البلاد من ظروف سياسية وطبيعية متفاوتة التأثير .
لقد بين الغزيّ الأنظمة التي كانت سائدة في عصره في معاملة الأرض والمياه ، وما أنتجته لهم من محاصيل استعملوها في غذائهم وعلاجهم وزينتهم .

وشرح ما ابتكره الشاميون للحفاظ على تلك المحاصيل قبل وبعد قطفها ، في طرق يكاد يكون معظمها صالحاً لحد الآن .

ولا تُغفل أهمية كتاب الغزيّ في دراسة معتقدات الناس الاجتماعية ، وثقافتهم الشعبية المتوارثة ، وأهميته كذلك في دراسة بعض جوانب اللهجة العامية الشامية .

إن أهمية الكتاب بشكل عام تكمن في تفوقه على كثير مما وصل إلينا من تراث زراعي عربي ، فهو يمتاز بالعمق والشمول والقرب من المفاهيم الزراعية الحديثة ، وهو ما يتطلّب إجراء دراسة خاصة تركز على هذه النواحي .

صورة بلاد الشام الزراعية في رحلة أولياء جلبي (١٠٥٩هـ/١٦٤٩م و١٠٨١هـ/١٦٧١م)

عبد القادر محمود الحصان(*)

* نبذة عن حياته :

أوليا جلبي ابن درويش محمد آغا ظلي . وإسمه الحقيقي غير معروف . غير إنه قيل أن اسمه حافظ محمد خواجا . وهو من مواليد إستانبول عام ١٠٢٠هـ/١٦١١م . والده درويش محمد آغا كان مُعَمِّراً ، حيث عاش أكثر من ١١٧ سنة . درس أوليا جلبي سبع سنوات في مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندي ، وعمل على حفظ القرآن الكريم على يد أستاذه أوليا محمد أفندي ، والذي قيل إن اسمه انتقل إليه منه . وتعلّم من والده في هذه الأثناء حسن الخط وفن النحت ، إضافة إلى فنون أخرى .

وقد قُدم أوليا جلبي للسلطان مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/١٦٢٣-١٦٣٩م) في أثناء وجوده في مسجد آيا صوفيا ، فعينّه في مستودعات القصر السلطاني ، حيث عمل فيه أربع سنوات انتقل على أثره إلى فرقة الفرسان (السباهية) بعد تعيينه براتب أربعين أفجة .

توفي أوليا جلبي عام ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م . وقيل أنه توفي عام ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م . كما إن تاريخ وفاته ومكانهما غير واضحين ؛ غير أنه باستقراء المعلومات الأخيرة التي دونها في رحلته يمكن القول بأنه توفي في

(*) مديرية آثار المفرق ، الدائرة العامة .

إحدى هذين التاريخين المذكورين وذلك عن عمر يناهز السبعين عاماً^(١).

الأسلوب والمنهاج المتبع في سياحتنا:

١- أسلوب الجذب وشد الانتباه من خلال الكثير من الروايات والأساطير المحلية والخرافية مع سلاسة في اللغة بل واستخدامه التركية العامية التي تشوبها بعض الأخطاء الإملائية والنحوية أحياناً .

٢- الاعتماد على الكتب والمراجع التاريخية العربية وعلى رأسها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وكذلك بعض كتب التاريخ مثل : الطبري والمقرئزي وغيرها ورغم ذلك كله فقد وقع في أخطاء تاريخية وحقائق علمية راسخة مثل ذكره أن حاتم الطائي من الصحابة وله مقام يزار قريباً من قلعة المفرق وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بفتح بصرى الشام والصنمين وهذا الأمر على سبيل المثال لا الحصر .

٣- ذكر وتوثيق الكثير من الحوادث التي عاشها ميدانياً بكل دقة وبتفصيل لا متناهي . . . مع كتابة التواريخ بكل أمانة وتوثيق الأسماء والشخصيات التي صادفها ورافقها أو سمع عنها .

٤- توثيق مواقع المزارات والمقامات والمساجد والقلاع على طريق الحاج الشامي بكل دقة وأمانة مع دقة متناهية في نقل أسماء القبائل والتقسيمات الإدارية والرتب العسكرية والنقود المالية والمأكولات والضرائب والمنتجات الزراعية وغيرها^(٢) .

(١) أحمد وصفي زكريا ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ،

ص ٨-١٤ .

(٢) سهيل صابان ، أولياء جلبي ورحلته إلى الحجاز في أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، مجلة الدارة ،

٣٤ ، ص ٢٧ ، الرياض ، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ، ص ٦٢-٩٣ .

٥- الاهتمام بالكثير من الأساطير والروايات الشعبية وما يسمى بالاسرائيليات التي يمثلها روح ذلك العصر وربطها بالعديد من المقامات والأضرحة المنتشرة على إمتداد البلاد التي زارها وخاصة في بلاد الشام .

٦- الاهتمام في نقل كافة المعلومات المعمارية للمناطق التي زارها في بلاد الشام وذكر قياساتها وأبعادها المعمارية بدقة بالإضافة إلى الأشرطة الكتابية التاريخية لكل منها مثل قلعة حلب والمسجدين الامويين في حلب ودمشق ومسجدي الأقصى وخليل الرحمن وغيرها كثير ، زد على ذلك قلاع الحاج الشامي الموجودة في الأردن والتي ترجم مادتها كاتب هذا البحث وكتب عنها كتابه الموسوم «القلع والخانات التركية العثمانية في الديار الأردنية» .

٧- الاهتمام باللهجات واللغات المحلية لكل المناطق التي زارها وخاصة مناطق شرق الأناضول ، ولهجاتها الكردية وكذلك اللغة العربية ولهجاتها في سوريا ولبنان وكذلك اللغتين السريانية والعبرانية (السامرية) في جبل نابلس بالإضافة إلى كتابة الآيات القرآنية الكريمة وتوثيقها حسب السورة والآيات زد على ذلك رواية الشعر باللغتين العربية والتركية وأحياناً الكردية .

٨- ومن خلال مطالعات للنصوص الأصلية العثمانية والحديثة التركية يتضح لنا أن أوليا جلبي كان بصدد تنقيح وزيادة المناطق التي تركت فارغة بين قوسين للتأكد منها لاحقاً ولكنه للأسف لم يتمكن من ذلك لأسباب نجهلها .

وصف أوليا جلبي لمنازل الحاج الشامي في بلاد الشام (سوريا والأردن) وملاحظاته الزراعية؛

بدأ أوليا جلبي بمنزل قصر أحمد باشا الصغير ذاكراً : «وعندما رأى جواسيس (عيون) شيوخ البدو هذا الموكب الكبير والمهيب أرسلوا إلى شيوخهم الأتي «ليس هنالك أي مقارنة هذه السنة مع الأعوام السابقة ، لأن مظهر الجيش

ومقدمته تشبه إلى حد كبير الأسد الهزبر الأصفر وهذا الوزير المقدم الشهم بسيفه القاطع يقطر دماً ولن يكون هنالك أي أمان لأي عاصٍ متمرد في هذا الزمان ولن يُبقى أي شيء في طريقه .

فلذلك كله يجب عليكم أن تأتوا جميعاً مع عائلاتكم لتكونوا في خدمة السلطان» ولأجل ذلك ذهب الجواسيس (العيون) إلى كل الشيوخ وأبلغوهم بذلك .

يقع قصر (أحمد باشا) في وسط عدد كبير من الحدائق والبساتين ، وهو قصر جميل حسن المظهر ، وهو مكان استراحة لكل الوزراء . وقد بناه أحمد باشا الصغير الذي استشهد في الحلة في سنة (فتح بغداد) ١٦٣٨ م .

وفي هذا المكان يكون ديوان السلطان ويجتمع فيه كل من : جميع أعيان الشام ، والعلماء وأرباب الديوان بحضور الباشا ويُدور الجمل الذي يحمل المحمل الشريف بيد كتخذا الباشا ثلاث مرات ويسلم عقاله إلى يد الباشا ، ومن ثم يقول الباشا لأمير الحاج : خذ وامضي بمحمل حضرة النبي الشريف .

«تقع على طرف وادٍ صخري مليء بالحدائق والبساتين وفي داخل هذه القرية يمر نهر الكسوة الجاري ويأتي من الجهة الغربية للشام ، من جبل الثلج ومن عين القرفة ويجري ماؤه صافٍ براقٍ ويضيق في صحراء الشام» . ويشرب أهل الشام وأصحاب الذوات من الوزراء من هذه المياه بواسطة السقائين لأن ماءه عذب زلال . ويضرب المثل في الشام بكل من يَسْمُن وي زيد وزنة بأنه شرب من ماء الكسوة . وتمتاز مياه وأجواء هذه البلدة بالجودة والنقاء ويحبها كل القاطنين .

وعن خان طرخانة^(١) يذكر أوليا جلبي أنه يقع «على طرفي الطريق ويوجد فيها فندقان صغيران ، وفي أثناء عودة الحجاج يأتون إلى هذه المحلة وفي يوم عاشوراء بالتحديد يخيمون فيها .

ومن خلال شرط صاحب هذه الفنادق يتم طهي حساء وطبخ مئات القدور

(١) طرخانة : هو طعام مصنوع من العجين واللبن .

من الطرخانة والعاشوراء^(١) كوقف للحجاج ويتم توزيعها عليهم مجاناً ، ولهذا السبب يطلق على هذين الفندقين اسم خان طرخانة . إنه بحق وقف كبير للخير . ومن هنالك يسير الحجاج صعوداً ونزولاً على امتداد الطريق الذي عمل ولاية السلطان بجد ونشاط لتنظيفها وصيانتها ووضع الحجارة على جانبيها ، وفي السابق كانت الجمال والخيول والبغال تغوص أقدامها بالتراب والطين والحجارة . ويعبر (الحجاج) من هذا الطريق بعشر ساعات إلى قلعة الصنمين وهي «قلعة صغيرة مربعة الشكل وقياسها (٦٠٠) خطوة مبنية من الحجر الأسود ، وتقع في أرض الشام تحت حكم حاكم حوران مباشرة في منطقة صحراوية على حافة بحيرة صغيرة .

وليس فيها محافظ قلعة ولا جنود ، ولكن بداخل هذه القلعة يقطن مجموعة من السكان العربان المحليين وعددهم خمسون شخصاً وهم وعائلاتهم معفوون من الضرائب المحلية .

وهذه القلعة القديمة مدشّنة منذ أيام الجاهلية ، ويوجد من الجهة المطلّة على الشمال بوابة مصنوعة من الأشجار (الأخشاب) ، وتقع البحيرة إلى الشرق من القلعة ومحاطة بأربعة جدران مبنية من الحجارة السوداء بشكل منيع وقوي .

وفيهما جامع واحد بمئذنة مستقيمة ومسجدين وحمام واحد وفندق كبير الحجم ، كما لا يوجد فيها سوق . ولكن على جوانب الطريق يخرج أهل البلد بغنيها وفقيرها ، رجالها ونساءها لعرض متاعهم وبيعها على الحجاج العابرين .

وكان في أعلى برج القلعة المطل على البحيرة أيام الجاهلية صنمين (تمثالين) . وكان الناس يجتمعون بأعداد كبيرة تقدر بمئة ألف رجل وإمراة مقابل هذين الصنمين ، وكان يسأل بعضهم بعضاً ويوجهون الأسئلة المطروحة لهما :

«هل ستكون هذه السنة محل ؟! ، أم غلال ، وهل سيقع وباء قاتل ، و!!؟

وفي الجهة القبليّة (الجنوبية) من القلعة يوجد جسر منخفض ، له ١٩ عيناً

(١) عاشوراء : طعام مكون من القمح والعدس والحمص والزبيب .

(قنطرة) صغيرة . ويجري أسفله نهر بُصرى . ويصب في الجهة الغربية في بحيرة مينا ، ولأن أمطار الشتاء كانت غزيرة هذه السنة فالبحيرة ممتلئة بالمياه وطافحة إلى حدها الأعلى . وبعد العبور من الصنمين على مسافة ساعة باتجاه القبلة (. . .) (١) .

يصل الركب إلى زرعا : ويوجد فيها ٦٠٠ بيت وجامع وفندق (خان) وهي قرية مأهولة ومعشورة . وهي تتبع وقفية جامع السليمانية في شام الشريف . ومن هنالك أيضاً باتجاه القبلة (. . .) في ساعة تقع قرية بُصرى الصغرى وهي قرية مأهولة وفيها ثلاثون منزلاً وجامعاً . ويتطرق أوليا جلبي إلى منزل كُتبية ، ويقول عنه أنه : «يقع هذا الموقع ضمن صحراء حوران على تلة حادة . وفي الزمن الماضي كانت بلدة مسكونة وكبيرة ، وبسبب ظلم غارات القبائل البدوية دُمّرت وأصبحت خراب . وهنالك في أعماق التلة توجد نبعة مياه جارية ، وماؤها عذبٌ زلال . وبسبب هذا النبع الباعث للحياة يتوقف الحجيج في الموقع ليتزودوا بالمياه العذبة النقية . وقضاء حوران في جهاته الأربع مسكون بأهله الذين ينعمون بالسعادة والرخاء في بلدة حوران ومحيطها» .

وتعتبر حوران غلةً وأهراء الزعامات وإقطاعيي الشام في تعدد محاصيلها وخصبها . وتقع مجموعة من القرى بأطراف كتبية هذه وتمتاز بناتها بجمال ساحر جذّاب بوجوههن الملائكية التي تشعُّ كالشمس وطلعتهن البهية التي تشبه القمر بدلالهن ودلعهن الذي يجعل العقل حيران هيمان بما أدى إلى أن عدداً من الحجاج عدل عن الذهاب إلى الحج؟! .

هذا وتعتبر كلمة حوران مشتقة من حوران ، لأن سيدنا حضرة آدم عليه السلام استوطن هذه المنطقة وعمل بمهنة الزراعة بداية ، ومن أجل أن يكون له أولاد كثر استجاب إلى أمر الله عز وجل بأن زوج ولديه التؤام لبعضهما البعض .

(١) هكذا في النص الأصلي كما هي باقي الفراغات المتروكة والمحددة بين قوسين .

وحوران بحق تعتبر القضاء المعمور والغني بالمحاصيل والتي من خلالها تعتبر سلّة الطعام للشام والقدس على السواء ، وهذا السهل الخصب الواسع يقع إلى الشرق من نهر كُتبية وتبلغ مساحته ما يزيد عن ألف دوغم .

وهذا التراب العبق برائحة العنبر كل من يزرعه ويستغله ينتج من المد الواحد للقمح مائة مُد . ويكون القمح الحاصل من تلك الزراعة سبعة أنواع . وفي كل أنواعه على السواء لا توجد أشواك للسبل وتبته في غاية الجودة والنظافة .

كما أن شعيره يتكون من سبعة أنواع أيضاً ، وإذا أكل الحصان ما مقداره خمس (أوقية) يكفي لإشباعه ، وذلك لأن شعيره مدهن للغاية ، والحبوب المنتجة في هذه الديار لا تكفي القدس والشام فحسب ، بل تشبع العالم أجمع ، ويأتي العربان بمئات آلاف الأبل لنقل الحنطة عند حصاد المحصول في كل عام من أعماق البادية من : البصرة ، الإحساء ، مكّة ، والمدينة ومن الموصل وأطراف ماردين وتوزيع بعضها مجاناً وحملها لكافة الولايات ، ولا يستطيع أي شخص أن يقف أمامهم (العربان) ويتحدث بأي كلام معهم مهما كان عند غزوهم وسرقتهم لبعض المحاصيل ، حتى أنه لولا سرقة محصول هذه المنطقة مقدّر له أن يصل إلى الشام لكان سعر حمل العلف بـ(أقجة واحدة)» و(وقية الخبز) بنحاسية واحدة ، بالحقيقة فإن حجم القمح كبير جداً وينعكس مفعوله على وجه من يأكله إيجاباً من خلال لون وجهه ، ومن أجل ذلك فإن كيك الشام وخبزها الأبيض مشهور على صعيد العالم أجمع .

وبعد الانطلاق من كُتبية نعب الصحراء ضمن الطرق المُعزلة النظيفة تحيط بنا على اليمين والشمال (٢٦) قرية بداخلها المنازل والمساجد عبوراً بـ (١٥) ساعة يصل الركب إلى منزل قلعة مزيريب ، وفي هذا المكان كان وجود القلعة مهم جداً . وقد تم تدشين هذه القلعة على مرتفع مطل من جهاتها الأربع بالحجارة السوداء بشكل قوي مُحكم . ويبلغ محيطها ٨٠٠ خطوة . ويوجد فيها محافظ للقلعة وثمانين من جنود وحرس القلعة ومن الجهة الشمالية يقع باب

حديدي ومجهزة بكافة الأسلحة والمدافع . كما أن أغا من أغاوات الباشا حاكم حوران يمكث هنا بمعية ٣٠٠ رجل من رجاله . وكذلك يسكن قاضي حوران هنا ويجبي ما قيمته (١٥٠) أقبجة ، وناحيتها تحوي (٢٧٠) قرية .

وفي داخل القلعة توجد غرف تتسع لخمسين شخصاً ، وفيها جامع واحد ، وحمام صغير وليس هنالك أي أثر لسوق أو غيره . كما توجد المخازن بداخلها . ويتم تجميع كل ما يحتاجه الحجاج من مأكّل ومشرب وكافة الأمتعة التي يحتاجونها قبل موسم الحج ب (٥-٦) أشهر في المستودعات والمخازن المخصصة في القلعة من قبل الباشوات وأمراء الحج وكافة الأمناء والمسؤولين على الأموال الأميرية ، وبعد مزيريب نصل إلى منزل نهر حوربان وجميع الحجاج بمعية حضرة حسين باشا قد عبروا الجسر الموجود فوق نهر حوربان وأمر بوضع الخيم في الجهة المقابلة على أطراف النهر وقد مكثوا عشرة أيام بلياليها وكان ذلك في شهر ذي القعدة ، وقد تحضر كافة الحجاج وفي هذا المكان (٣٠٠) دكان لبيع الخبز والطعام وغيره من أنواع القماش والحريز ، ويبلغ طول الخيم مشياً على الأقدام ثمانية آلاف خطوة .

ويصف أوليا جلبي الأخبار عن القبائل وشيوخها قائلاً أنهم يُحَضِّرون (يجهّزون) الإبل لخدمة الحجاج في صحراء مزيريب على ضوء التقليد المتبع لقانون السلطان سليمان خان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) .

أولاً : العمرو (آل عمرو) آل رشيد ، آل معن (المعنيين) ، آل شهاب (الشهابيين) ، آل الترابي ، ابن حرفوش ، ابن هانش ، ابن سعيد ، بني زهد ، بني إبراهيم ، بني سالم ، بني عطا ، بني عطية ، بني صخر وبني وحيدات ، وكذلك شيوخ نابلس ، شيوخ عجلون ، بني زيد وشيوخها ، شيوخ صفد ، شيوخ عكا ، شيوخ الرملة ، شيوخ غزة ، وشيوخ القدس وخليل الرحمن .

وباختصار فإن قانون السلطان ينص على صرف العطايا والأموال من خزينة الشام على (٧٧) شيخ قبيلة . وكل ذلك يكون في صحراء مزيريب ويأتي إليها ما بين ٤٠-٥٠ ألف جمل بمعية شيوخ تلك القبائل بانتظار جموع الحجاج

وقدمهم ، وهذا التقليد من القوانين التي تم إتباعها منذ عهد السلطان سليمان خان .

ويستطرد السائح (الحاج) قائلاً وبعد منزل نهر حوران نصل إلى قرية نوى : وتضم ثلاثمائة منزل وجامع وبركة كبيرة وتعتبر وفقاً للإقطاع ، ومنها إلى منزل قرية طراً : تقع هذه القرية على مرتفع يضم مائتي أسرة من العرب وفيها مسجد ، وكل الحجاج ينزلون في هذه البقعة الخضراء^(١) .

وبعدها نصل إلى منزل قلعة المفرق وتقع في وسط سهل كبير واسع وهي قلعة مربعة الشكل صغيرة الحجم ولا يوجد بداخلها أي إنسان ، وفي بعض الأوقات (الأحيان) يضع فيها العربان أنواع متعددة من الماعز والخرفان ، واديها خصب جداً وأخضر يانع وتكثر فيه أشجار البطم والرتم ، ومياهها غزيرة موفورة . علماً بأننا تزودنا بالمياه العذبة وشربنا منها وأطفأنا العطش والحر وكان الجو عليلاً لطيفاً وذلك بثلاث عشرة ساعة .

ومن المفرق توجهنا إلى قلعة عين الزرقا^(٢) وهي من أراضي ناحية الكرك التابعة لأراضي القدس الشريف . وأسفل هذه القلعة يستريح كل الحجاج دون نصب خيامهم أو إنزال أحمالهم بجانب نهر الزرقاء ويطعمون إبلهم . ويأكلون الطعام ويتم تعبئة آلاف قِرب المياه من المياه العذبة الصافية .

وتأتي مياه النهر عند ذوبان الثلج من جبال زرعاً وينابيعها ، كما توجد أفضل أنواع القصب الذي ينمو بجانب مجرى النهر والذي يقطع الحجاج كهديه لتوزيعه عبر الولايات لأنه جيد ومستقيم . ويقال بأن عدد من الأسود جاءت لتعيش بين هذا القصب الكثيف من صحراء بغداد .

(١) هذا المنزل يعتبر الأول في الديار الأردنية وقد كانت قرية الطراً المنزل الأول قبل بناء بلدة الرمثا .

(٢) من خلال دراسات الباحث الأثرية والمعمارية فإن القلعة رومانية الجذور وأعاد بناءها الأيوبيون ومن

ثم رعمها ووسعها العثمانيون في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) .

وبعد الزرقا يصل ركب الحاج إلى منزل تبريكة^(١) ويقع هذا الخان المتهدم على مرتفع عالٍ ، وأثناء القول بأننا سنستريح قليلاً دون نصب الخيام وإنزال الأحمال هطلت الأمطار الغزيرة . وقد تحيّرت عقول كافة الحجاج ، قائلين : أيا هذا كيف سنعبر صحراء البلقا؟ وكم مرة غرق الحجاج ههنا ، حتّى أن ملك أحمد باشا عندما كان والياً للشام وأثناء عودته من الحج بمعية الحجاج وفي هذه الصحراء بالذات غرق آلاف الناس والخيول والإبل واختنقوا . لأن تربة هذه المنطقة لزجة طينية .

ومنه إلى منزل مضيق البلقا وطوال ذلك اليوم حتى منتصف الليل إستمر المطر بالهطول حتى أبقى الخيام والجمال وكأنها في وسط بحر عائم ، وفي الصباح توقف المطر لخمس ساعات بما حدا بهم إلى نفخ الأبواق إيذاناً للتحرك والرحيل . وبعد ان جهّز الحجاج أنفسهم وحملوا الأحمال على الجمال وفي تلكم الأثناء سمعوا أصوات الرياح الشديدة وتساقطت الثلوج .

وعند حلول الصباح حيثما تنظر على امتداد السهل الواسع تجده بحرأً متلاطم الأمواج .

وفي نهاية الأمر صدحت الأبواق مؤذنة ببداية توزيع الهبات على الرجال المضحين بأنفسهم وذلك عبر سحبهم الجمال العالقة بأقدامهم العارية لكل منهم أربعين - خمسين ذهبية .

ولأن صحراء بلقا ذات أرضية طينية ولا تصلح للإقامة والنزول فقد بدأ الحجاج بالتوجه إلى الجهة اليسرى من الصحراء ؛ إذ يوجد خان (فندق) قديم ، وفي هذا الخان قليلاً من الطين ولا توجد سبخات المياه الموحلة فلذا تحوّل كافة الحجاج إلى تلك الجهة أي إلى الخان .

وبعد ذلك وصل الركب إلى خان عين الطير^(٢) ويحيط في الموقع من

(١) هي قلعة زيزيا .

(٢) هي قلعة خان الزبيب

الجهات الأربع مبانٍ معمارية كبيرة ، وعلى ما يبدو فقد كانت في السابق مدينة كبيرة . وفي هذا الموقع تعرض الموكب لهجوم من قبل العربان وكانت معاناة حقيقية للجميع في هذه القافلة زد على ذلك الظروف الجوية السيئة القاسية .

وأثناء عبور الحجاج من هذا المكان ، جاءت العربان غازية ، وأصبح الجميع بين هرج ومرج ، وبعض الحجاج من شدة الخوف والهلع إنحرفوا عن الطريق الصحيح ، بعد أن هاجت الجمال وانفصلت عنها الأحمال وتساقطت على الأرض . وكل الحجاج تفرقوا عبر هذا الوادي يمنةً ويسرة لا يلوون على شيء سوى الحفاظ على أرواحهم سالمين ، فقد انفصلوا عن أرزاقهم وأموالهم ، كما أن الخيول ، البغال ، الجمال والحمير غاصت وغرقت في الوحل وكم من مئات آلاف القروش ضاعت جراء انتشار الأكياس الكبيرة على الأرض بما تحويه للأسف .

وكم محفةً وهوادجها بما تحويه من النساء والأطفال سقطت لتجد أسفلها البحر وفوقها الأمطار ، البرد والصقيع .

وفي الطرف الآخر عملوا على وضع كم كبير من اللباد والبُسط أسفل أقدام الجمال العالقة في الأرض الطينية كركائز وخاصة تلك غير المحملة . ولكن بقيت الجمال التي تحمل الصرة السلطانية والمؤونة ، مكانها في الطريق . وبعد أن عبر الباشا المستنقع الطيني وتقدم عابراً الحجاج التركمان والعجم وقال :- «في الحال خيموا هنا» وقد تنفس فيها الناس الصعداء لتخيم الباشا بعد أن زالت مئات آلاف المتاعب والعقبات التي عانوا منها واستبشروا خيراً . ومن أجل مصلحة الحجاج فقد عمدوا إلى إرسال أصحاب الجمال إلى داخل الصحراء للبحث والتحري عن كل الأموال المبعثرة في الطرقات وعدم ترك حبة خردل واحدة وكذلك البحث عن الغرباء العالقين وتطبيب خاطرهم وإعادةتهم سالمين . وبدل أن نقطع بلقا بثلاث ساعات قطعناها بعشر ساعات بسبب ما ذكر من متاعب ومعاناة شديتين .

وبعد ذلك توجه الركب إلى منزل سهل البلقا : هذا المكان مليء بالأعشاب والرمال ، ولم تسقط الأمطار بعد .

وفي هذا الشتاء القارس أمر بطبخ عشرة قدور من الحساء الساخن وتوزيعها على بعض الحجاج المحتاجين . ولكن ما أحضرناه معنا من مزيريب من الأطعمة الإحتياطية وغيرها مما يطبخ مع الأرز على ظهور الجمال في بداية دخولنا منطقة بلقا بسبب الأمطار التي واجهناها ليلاً ، فقدنا ثلاثة آلاف من حمولة تلك الجمال وذلك أما بترك العربان «البدو» لها على جمالهم أو تلك التي تفلتت من عقالها لوحدها وهربت .

ومن هذا المكان بدأت معاناة الحجاج وذلك بسبب غلاء أسعار الأطعمة الخاصة بهم وبدوا بهم فقد أصبحت وجبة العلف الواحدة في تلك الليلة خمس ليرات ذهبية ورغيف الخبز المحمص الواحد بثلاث ذهبيات (*) ، ومعظم الحجاج بدأوا باليأس والقنوط من الوصول إلى عرفات وقطعوا الأمل في ذلك .

وفي هذا المكان أيضاً بدأت الرياح تزمجر وتهب بسرعة وقد تسببت في شلح وقلع الخيام من مكانها «أوتادها» كما مزقتها إرباً إرباً . وبعد هذا الحال ما كان على الباشا إلا أن ينصب لهم خيام أخرى جديدة . وفي الحال أمر الباشا الجميع بقراءة القرآن الكريم من سور : الأنعام الشريفة ، الإخلاص الشريفة والصلوات والدعوات الشريفة حتى ساعة متأخرة من المساء ، وبعدها فلله الحمد والشكر توقف المطر .

وفي تلك الليلة كان البرد جافاً ومخيفاً مما أدى إلى وفاة (١١) رجلاً «ونفوق (٢٠٠) رأس من الدواب ما بين جمل ، بغل ، حصان وحمار تجمدا» . كما أن كل المياه الموجودة في القرب تجمدت وأصبحت ثلجاً كما أن برك بلقا ومفرق تجمدت وكذلك صحاري مكة .

وفي صباح اليوم التالي شاهد كل من الخدم والحجاج الحال الذي أصبحوا عليه فلم يجدوا ذرة من طين ولم يبق شيء منها فحمدوا الله وأثنوا عليه آلاف المرات وبعدها نفخت الأبواق إيداناً بالرحيل .

وبعد عبور المضيق العظيم بأربع عشرة ساعة وصل الركب إلى قلعة القطرانة

(*) هذه الأرقام مبالغ فيها . المحرر .

التي تقع ضمن أراضي لواء القدس الشريف في ولاية الشام تحت سلطة مسؤول مياه قلعة الكرك . وأهل هذه المنطقة متمردون عصاة إلى حد كبير . «حتى أن قوة مكونة من ٢٠٠ شخص بخيولها وجمالها وعلى أقدامها تكوّن فاجعة ومأساة كبيرة لهم» ، ومن أجل ذلك وقبل الذهاب بقليل إلى قلعة قطران وعند ظهورها لنا برز ما بين ٤٠-٥٠ فارساً من العربان (البدو) ، ولم يتحركوا من مكانهم لأنهم لم يمتلكوا الجرأة في الهجوم . وقد عبرنا من جانبهم وفي تلك الأثناء برز لنا عن يميننا مجموعة من الفرسان تقدر بمئة فارس من العربان يلوحون برماحهم ويهزونها متقدمين بخيولهم باتجاهنا قائلين : عليهم . . . عليهم (أي إلى الأمام هجوم على الأعداء) .

وفي الحال قام نصف صقورنا (فرساننا الملكية) بالتقدم باتجاههم فاتحين النار عليهم ، وقد وصلنا إلى قلعة قطران بالسلامة وعلقنا الأعلاف في رقاب الدواب لتستريح وتأكل . وقد وجدنا باب القلعة مغلق لأنهم أخذوا الأوامر من باشانا (سيدنا) بعدم إعطاء ولو حبة خردل لأي كان باليد مباشرة .

القلعة صغيرة الحجم تقع وسط الصحراء وهي مربعة الشكل مدشنة بالحجارة ، ويبلغ محيطها ٣٠٠ خطوة وليس لها خندق يحيط بها . وبوابتها تفتح باتجاه القبلة . فيها سبع غرف ومخازن ومسجد واحد . كما يوجد فيها محافظ قلعة ومعه سبعون جندياً لحماية القلعة ، ويتم إحضار الطعام والمؤكولات من ناحية الكرك وبيعها على الحجاج هنا لتكون تجارة كبيرة رابحة أثناء موسم الحج . ووجدنا في هذه القلعة العلف رخيصاً بقيمة قرش واحد للوجبة الواحدة . ويتم إنزال السلال بداية لوضع النقود الخاصة بأثمان الأشياء المراد شرائها ومن ثم يتم إنزال المواد المطلوبة . ويبلغ ارتفاع جدران القلعة ٢٠ ذراعاً ، وأمام جدار القلعة الشرقي توجد بركة مياه كبيرة مربعة الشكل ، وطول ضلعها ٢٠٠ خطوة لكل جهة وفي موسم الشتاء الممطر تكون ممتلئة بالمياه العذبة النظيفة حتى بابها . وعمقها ٢٠ ذراعاً أيضاً . ومن هذا المكان الحقير عبرنا باتجاه الغرب مع خادم القلعة و ٢٠٠ مسلح بالبنادق من مرافقينا على ظهور خيولهم عبر الجبال ،

والطرق الحجرية الصخرية بساعتين من الزمن .

وبعد ذلك يصل الركب إلى قلعة الكرك : وتقع ضمن ولاية القدس الشريف للواء آخر ، تحت مسؤولية المتصرف مباشرة ويحكمها بمساعدة مئتي رجل . ويتبع هذه الناحية سبعون قرية متفرقة ويجبي قاضيها من القرى كل سنة (١٥٠) درهماً فضياً (أقجة) . وبتاريخ (. . .) تم بناؤها في عهد العباسيين . وبتاريخ ٩٢٢هـ / ١٥١٦م تم تسليم مفتاح القلعة من قبل العربان للسلطان سليم ، وهي قلعة عظيمة تمتد جدرانها عالياً على مرتفع عالٍ فوق جبل مبنية من الحجارة بطريقة فنية قوية ومدشنة هذه القلعة بشكل خماسي ، وأبراجها سليمة قوية ذات أشكال سداسية ويقع برج ظاهر بيبرس في الجهة الجنوبية من القلعة وكأنه قلعة قائمة بذاتها .

وبداخل القلعة توجد ١٥٠ منزلاً تريبياً (مقصور بالطين) ، جامع واحد ، فندق (خان) وحمام واحد بالإضافة إلى سوق صغير . أما فيما يتعلق بحدائقها وبساتينها فهي لا تُعد ولا تُحصى .

واختصاراً للقول فقد أخذنا حاجاتنا ونوازمنا من المأكولات والمشروبات على عجلة ومضينا باتجاه الشرق نزولاً للأسفل مشاهدين قلعة قطران بوضوح . وقد كان الحجاج يسرون ضمن القافلة بشكل مزدحم ، وقد ذهبنا إذ وصل مرة أخرى بساعتين إلى قلعة قطران ، وكل الحجاج قد ذهبوا . وبالكاد بقي مؤخرهم . وعند مشاهدة هذا المنظر المريح إستراح الجميع وأخذنا نعبّر أحياناً الطرق الرملية وأحياناً أخرى الطرق الصخرية الحجرية رويداً رويداً بجو معتدل تحيط بنا أشجار الرتم (مغليان) بأربع عشرة ساعة .

ثم وصلنا منزل تابوت^(١) ويقع على حدود القدس الشريف . ولكن لا يوجد في هذا المكان أي أثر لقرية أو بلدة . وبالكاد على مرتفع بسيط بقايا مخيم بسيط . ولكن يحيط في الموقع من جهاته الأربع مجموعة كبيرة من سكانها

(١) هي قلعة الحسا على الأرجح .

العربان الذين يجّهزون أنفسهم بأمّعتهم بجيش متزايد يتحّينون الفرصة للانقراض على قافلة الحج ومهاجمتها والهروب إلى الجبال المحيطة . ويوماً بعد آخر أصبح الجو معتدلاً ودافئاً والطرق رملية ضمن صحراء حارة . وقد استبشرت وجوه وعيون جميع الإبل وكافة الحيوانات الأخرى كذلك . وفي هذا المكان توجد مياه جارية . وتأتي من جبال خليل الرحمن وتضيع في الجهة الغربية داخل الصحراء . وكافة الحجاج شربوا من الماء العذب الرقراق وكذلك سقوا حيواناتهم منها وقريباً من المساء حدثت ضجة كبيرة وذلك لأن ثلاث مجموعات من جمال العربان هاجمت القافلة وأخذت (سرقت) منها بعض إبلها . مما حدا بالباشا على وجه السرعة تعيين خمس سرايا من المقاتلين الأشداء بأعلامهم وسلاحهم لملاحقة ومطاردة المعتدين وقد تمّ قتل ستة منهم وأسر ثلاثة آخرين ، وقد تمّ إنقاذ الجمال المسروقة وإعادتها لأصحابها كما تمّ إعطاء المقاتلين الذين أحضروا رؤوس الجناة وأسراهم أربعون ذهبية وللآخرين ثلاث ذهبيات .

وقد أجبر الباشا الأسرى على الاعتراف (قائلين) :

«يا سلطان ، يجب أن لا تكونوا غافلين صباحاً ، لأن الأعراب سيهاجمونكم ، ومن أجل ذلك أعطاهم الخبر . وبعد ذلك أودعهم السجن ، وفي وسط الليل نفخت الأبواق إيذاناً بالرحيل وقد خرجوا بالفعل» .

والمنزلة الأخرى بعد تابوت هو منزل عنيزة وفي هذا المكان لا توجد قرية ولا بلدة ولا أي شيء سوى صحراء واسعة شاسعة . وفي هذا المكان وأثناء تجهيز الباشا لكافة القوات العسكرية لتكون جنباً إلى جنب كالبنيان المرصوص واقفة مستعدة ، جاءت مجموعة من عربان عنزة من عشيرتي وحيدات وبني زهد يطلبون الصّرة .

وقد تفضل حسين باشا قائلاً لهم :

«ومن أجل ذلك سنّ سليمان خان (القانوني) قانون الصّرة ومن أجلكم أيضاً ولكي تحضرون كافة الأشياء الخاصة بالحجاج (أموالهم ومأكولاتهم) وكي

تكونوا دائماً أمامهم كأدلاء صادقين ، ولا بد أن تكونوا إلى جانب كل الحجاج في كل شيء عبر حمل أمتعتهم كاملة وإرشادهم إلى برك المياه وتعبئة قربهم بالمياه أيضاً .

ومقابل هذه الخدمات تكون لكم الصُرة كأعطية وإحسان مشروع . وإذا أظهر العربان المقدر عددهم بـ (٥-١٠) آلاف والمتواجدون فوق الجبل سوء نية أو خداع لنا فأنتني لن أعطيكم الصُرة فحسب بل لن أعطيكم فلساً واحداً . وأردف قائلاً : «اصرفوا هؤلاء الكفرة» وعند قوله ، قام مسؤول السرية بتقييد إثني عشر منهم عبر ربط أيديهم خلف ظهورهم بالسلاسل الحديدية .

كما تقدم شورباجي يوسف الصغير النابلسي ويان بيك مع اثنين من حملة الأعلام باتجاه شيوخهم وقال لهم :- «تفضلوا ، إذا كنتم صادقين مع السلطان ، فإن السلطان (...) (...) (...)»^(١)

وقالوا «والله نحن رجال جبال (بادية) . وأخاف من لقاء مثل هكذا وزير شهيم مقدم ، لأنني شاهدت سبع مرات (...) (...) (...) عثمانى (...) كما أن باشا غزّة بحيلة ذكية أوقع ابن أخي بشير بقبضته وقطع رأسه وأرسله إلى سلطان الروم»^(٢) .

وإذا الباشا منحنا الصُرة مثل العام الماضي بقيمة عشرة آلاف قرش نأخذها وندعوا له بالخير . وعكس ذلك يبقى الرجال المحتجزين لديه محبوبون عنده .

وفي عهد هذا الوزير عالي المقام لن نمد أيدينا إلى أي شيء يعود للحجاج أو للعابرين غيرهم ، وعكس ذلك عليكم بحبسنا جميعاً «وقد عاملهم يوسف آغا بلطف وتواضع ، وأردف قائلاً» يا شيخ صرُّتكم كما أمر قانون السلطان عبارة عن سبعين قرشاً وحلّة فاخرة . كما يتم إعطاء كل شيخ منكم حصان أكحل

(١) هذه الفراغات كما تركها الرحالة فارغة كما أشرت إليها أنفاً .

(٢) سلطان الروم : يقصد به السلطان العثماني في القسطنطينية لأن الجانب الأوربي يسمى بالروملي

حصار والشرقي آسيوي بالاناضولي حصار .

كهدية . ولن يستطيع الباشا إعطاءكم أي شيء زيادة عن القانون المنصوص عليه «وهذا لا يكون إلا بعد أن تقوموا بالخدمات والمهام الكاملة الموكولة إليكم لتكسبوا هذا الحق» فقال الشيخ «والله ، سأرسل هديته ، لأنني لا أستطيع الوصول إليه» ثلاثة خيول كحلاء ويقدم كل منها صرة من النقود تعادل ثمنها . لأنه ستكون بينها خيول أصيلة كحلاء وسيتم تعليق شجرة عائلة كل منها برقبته لتحدد أصالتها في رقابها لأنها تعتبر من الخيول الغالية جداً والمسماة «صافنات الجياد» بالإضافة إلى تلك الجياد سيكون هنالك خمسون زوجاً من جلود النمر وعشرون زجاجة عطر من العنبر الخالص الخام . ولم يتقبل الباشا هديته ، وأردف قائلاً : «بدءاً بنفسه وكافة العربان إذا لم يقدموا الخدمات المطلوبة منهم للحجاج ، لن يكون هنالك أي احتمال لإعطاءه فلساً واحداً . إن شاء الله عند عودتنا سالمين سأجده ولو كان في أعماق البحر . ولأجل ذلك يجب أن لا ينسوا ما فعلوه بالحجاج العام الماضي . هل نسوه حقاً؟ فأنبهكم بضرورة ضبط ومتابعة هؤلاء الملاحين الذين أتوا قبل قليل بدقة»^(١) . وقد نفخت الأبواق إيذاناً بالرحيل وكان الجو معتدلاً لطيفاً وسارت القافلة ما بين أشجار الرتم البرية على طريق رملية حيناً وحجرية حيناً آخر بأحدى عشرة ساعة .

ثم وصل الراكب إلى منزل قلعة معان : (. . .) بتاريخ (. . .) بناءه . وقد بنيت هذه القلعة الصغيرة على مرتفع بسيط بدون خندق وبشكل مربع . ويبلغ محيطها ٣٠٠ خطوة . ولها باب حديدي يتجه نحو القبلة ويصعد إليها بدرج مكون من خمس درجات . وبداخلها عشرون غرفة صغيرة وزاوية واحدة . وقد كانت في السابق تحت حكم الجيش الجديد الشامي (يني جري) . وبعد ذلك احتلها العربان بحيلة خبيثة بعد أن قتلوا جميع محافظيها . وحتى الآن لا يوجد فيها محافظ للقلعة وغيره من الحراس . ويوجد أعلى البوابة تاريخ القلعة . ولكن

(١) يقصد هنا القصائل على الأرجح وهي البيوت التي تشتهر بها مدينة معان حتى الآن والمحاطة

بالبساتين وبداخل كل منها بئر ارتوازي .

بسبب الازدحام لم يتسن لي قرائتها أو حتى كتابتها .
ويحيط بقلعة معان في جهاتها الأربع العديد من البساتين والحدائق والمياه
الجارية بالإضافة إلى أعداد غير محددة من أشجار النخيل المثمرة زد على ذلك
١٥٠٠ منزل مدشن بطريقة حسنة ومتينة تعود لأصحابها العرب . وفي السنة
الواحدة يجمع كل عربي ما قيمته ٥-٦ آلاف قرش من أرباح التجارة وجميع
الأطفال والكبار من النساء والبنات يرتدون الحلي الذهبية بكثافة واضحة . كما
إنه لا يستطيع وصف جمال عيون رجالها ونساءها الدعجاء الغزلانية . وهي بلدة
مأهولة ورغيدة تقع في ولاية الشام الشريف وفي أراضي لواء القدس الشريف ،
وفيها ثلاثة مساجد وحمام واحد ولا سوق فيها .

وأهل هذه المدينة متمردون جداً . وقد تم الاشتكاء على خمسة من أهل
هذه البلدة ومعاقبتهم بالحبس . كما أخفى أحدهم جملاً (سرقه) ، وعند العثور
عليه وإثبات سرقته له قَطَعَ الباشا رأسه . وبعد هذه الحادثة أحاط الخوف والهلع
بكافة أبناء هذه البلدة ومحيطها من العربان مما حدا بهم لإحضار ألفي جمل
من خلف الجبال لخدمة قافلة الحاج بأجرة زهيدة من معان إلى منزل العلى أي
ما مقداره عشرة منازل متتالية بشرط إعطاءها للحجاج لتكون في خدماتهم .

وقد أمر الباشا من خلال منزله بترك كافة الأشياء غير اللازمة في هذه
القلعة كأمانه لتخفيف الأحمال والأعباء عليهم بشرط كتابة كل ذلك بسندات
خطية . هذا وقد قدّم أعيان المدينة للباشا مساعدات عينية عبارة عن ألفي
أردب^(١) من الشعير ، خمسون كيساً من الطحين ، وخمسون كيساً من الخبز
المحمص (الكعك) وقبل ذلك بحين وفي مزيريب تحديداً بقي ألفي حمل من
الشعير والبقول داخل الأوحال والطين ومن أجل ذلك كله قدّم الشيوخ تلك
العطايا ، فوافق الباشا على عطاياهم وقال : «ليعطوا (ليقدموا) الشيوخ الموجودون

(١) مكيال ضخم يساوي ٢٤ صاعاً .

في قلعة معان عطاياهم» ومن أجل ذلك رفعوا ذلك عبر سندات بخط أيديهم وقدموها ليد الباشا مباشرة .

وقد عرض الكاتب على الباشا تلك السندات والتي أعطى من خلالها الأعيان ما مقداره حمولة ألف جمل شعير وفول وتعهدوا بإعطاء حمولة ألف جمل أخرى أثناء العودة . وبما رأى الحجاج في هذه القلعة من خيرات ومسرات نسوا ما وجدوه ولاقوه من معاناة والآم في قلعة مزيريب .

وفي هذه البلدة الموجودة على الطريق المؤدي إلى الشام مئات أبار جمع المياه العذبة وإلى الجنوب من هذا المكان يوجد طريق ، ومن خلاله يوصل إلى مدينة خليل الرحمن . ومن عين الزرقاء إلى هنا كافة السيول والأنهار تصب في بحيرة (. . .) .

هذا وقد تحركنا من قلعة معان عبر الصحارى نعبر من خلالها أحياناً الطرق الرملية وتارة أخرى الشجرية وأحياناً أخرى الطرق الصخرية الحجرية عبوراً بست عشرة ساعة لنصل إلى منزل عقبة (الشامية) : الذي يقع في منحدر وعر . وعلى طرفيه تمتد الصخور إلى عنان السماء لنصل إلى جرداء موحشة ، وكم من الجمال هلكت .

وفي هذا المكان تصبح قافلة الحاج متفرقة غير منتظمة وكل الناس يصبحون متفرقين ويسحب كل واحد منهم جماله بحذر وينزلوا . أنها مناطق في غاية الخطورة والرعب . ومرات عديدة هاجم الأشقياء العربان قافلة الحج في هذه العقبة^(١) .

وفي الحال قام الباشا بتوزيع كافة حراس القافلة بأعلامهم على المرتفعات وبين الممرات ككمائن للحماية وللسماع لكل الحجاج بالعبور بأمان ودون خوف وقد بدأوا بذلك العبور ، إنه بحق وادٍ عظيم . وقد عبرنا تلك العقبة بعشر ساعات ، واستمرنا ذهاباً حتى .

(١) العقبة : هي عقبة الشامية وسميت كذلك لكثرة العقبات الطبيعية فيها .

قلعة قدرة جغيمان^(١) : تقع هذه القلعة في نهاية السهل من الجهة الجنوبية قريبة من جبل مرتفع مكونة من صخرة واحدة تمثل صنع الإله وقدرته الخالصة . ولكن لا وجود للجدران ولا وجود لأي إنسان بداخلها . وتقع على تلة مرتفعة نسبياً . وإلى الجنوب من هذا المكان وعلى بُعد نصف ساعة منه ، قامت بنت السلطان سليمان خان (القانوني) أسمهان سلطان بتدشين بركة مياه كبيرة وقد تم اختيارها في نهاية جريان الوديان ومصبتها بكل حكمة .

ومن لم يُحضر مياهه من قلعة معان يتزود من ههنا ، ولكنها مالحة قليلاً . ومن غير المُستحب الشرب كثيراً منها ، ولكنها لا تسبب الضرر للحيوانات . وبعد التزود بالمياه من هذا المكان تنفخ الأبواق إيذاناً بالتحرك والرحيل عبر أشجار الرتم وعبر سهل فسيح لا حدود له وتكثر فيه الغزلان والأرانب البرية التي يصطادها الناس أثناء عبورهم هذا الطريق الذي يستمر إثنا عشرة ساعة .

وما ذكر عن الزراعة وتوابعها من خلال رحلة أولياء جلبي - سياحت نامه لبلاد الشام (سوريا ، لبنان ، الأردن وفلسطين) كنماذج على سبيل المثال لا الحصر^(٢)

١ . أنطاكيه : «ومياه هذه البلدة غزيرة ، تنحدر من الجبال العالية المحيطة بها ، فلذلك ترى سبلها وينابيعها غزيرة متعددة ، كما أن أنواع الفاكهة تجود وتزرع أصنافها في البساتين التي تروى بواسطة النواعير المركبة على نهر العاصي^(٣) .

(١) هي قلعة المدورة الحالية أما قدرة جغيمان فهو اسم لصاحب القلعة آنذاك وهو من عيال الحصان - إمامية الحاج الشامي في العهد العثماني ولا يزال أحفاده حتى الآن يعيشون في معان تحت اسم «الجغامين - عيال الحصان» للاستزادة ، انظر كتاب الباحث «القلع والخانات العثمانية في الديار الأردنية» - مادة المدورة .

(٢) رحلة أولياء جلبي - سياحت نامه - المجلد الثالث - القسم الأول ص (٧٨-٩٩) و(١٧٤-١٨٨) والمجلد التاسع - القسم الأول ص (٨١٧ - ٤٦٤) كما هو مبين أدنى كل صفحة .

(٣) المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ٧١ .

٢ . الزنبقيّة : وتقع هذه القرية على بعد ثماني ساعات على شاطيء نهر العاصي ، وهي واقعة على وادٍ خصب ، وفيها الكثير من الكروم والحدايق ذات البهجة فيها نحو ثلاثمئة بيت ، كما اشتهرت بجودة تينها وجمال زنبقها^(١) .

٣ . جسر الشغور : وهو مكان موحش على شاطيء العاصي ، وتحيط به المروج الخضراء من كل جانب وخاصة أشجار الزيتون وفيه خان صغير^(٢) .

٤ . إدلب : «ماؤها وهواؤها جيدان ، وكل السهول التي تحيط بها من جهاتها الأربع مغروسة بأشجار الزيتون ، وكأنها غابة كبيرة يضيع بداخلها الإنسان ويقدر عدد أشجارها ما بين (١٠-٢٠) ألف شجرة زيتون ، وهي جزء من إقطاعية خاصة بالأغا المتولي^(٣) .

٥ . اللاذقيّة : «وتكثر فيها أشجار النخيل التي تقدر أعدادها بمئة ألف شجرة» وكذلك «قصب السكر حلو المذاق ، حب اللذيذ المغذي للغاية ، القثاء ، القطين ، القرقاس ، القرنبيط وأشجار الجميز الكبيرة المثمرة»^(٤) .

٦ . قلعة جبيلة : «وتقع على رأس المشروبات والمأكولات التي تشتهر بها هذه المنطقة المياه العذبة ، الليمون ، البرتقال ، والفواكه المتعددة الأخرى ، الحرير والقطن المشهور»^(٥) .

٧ . قلعة باتيس : . . . «وهي قلعة تمتاز بزراعة أشجار التوت التي تربي عليها دودة القز من أجل صناعة الحرير»^(٦) .

(١) أوليا جلبي ، سياحت نامه ، مج ٣ ، ص ٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ٧٩ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٤١٢ .

(٤) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٤١٧ .

(٥) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٤٢١ .

(٦) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٤٢٧ .

٨ . قلعة قليعات : «عند السهل المحيط بها والذي يعبر منه بساعة مليء بالحدايق والبساتين الغناء على امتداد الساحل» (١) .

٩ . طرابلس الشام : . . . «إن مأكولات ومشروبات وصناعات هذه المدينة لا مثيل لها على وجه الأرض خاصة الخبز خاصة تلك الشبيه بالوردة البيضاء اللهم إلا ذلك المنتج في حوران وخاصة الموجودة في بصرى الشام ، كما أن معجناتها وكُبَّتْها وحلوياتها من : المقله ، القطائف والسكر وكذلك القرقاص ، القرنبيط ، الزيتون ، زيت الزيتون والصابون شهرتها طبقت الآفاق عالمياً ، زد على ذلك قطنها وحريرها وكذلك أغطية الرأس المتنوعة التي توجد بكثرة فيها» (٢) .

١٠ . بيروت : . . . «وفي السابق كان جو هذه المدينة فاسداً ، ولكن بجهود أبناء معن (المعنيين) تغير الوضع إذ أنهم أمروا بزراعة المنطقة القبلية على امتداد السهل بطوله وعرضه ، وعلى مسير ساعة بكل اتجاه ، بعد أن استخدم آلاف الرجال في زراعة خمسمائة ألف شجرة مثمرة ، وهي الآن بمثابة غابة متكاملة ، والإنسان بداخلها يتوه ويضيع بسعتها وكثرة أشجارها ، وللحقيقة فقد عملت هذه الأشجار خيراً كثيراً في صفاء الجو وطيب رائحته بعد أن كان في السابق فاسداً غير صحي ، ولا زال هواء ومياه المنطقة جيدان وكذلك القاطنين فيها من الرجال والنساء على السواء وفي حد ذاتها غابة خاصة بالصنوبر والفسق ، حتى أن الناس هنا يشربون بكوب مصنوع من شجر الصنوبر لأنهم يعتقدون أنه ذو فائدة صحية ، وذلك عملاً بنصائح الحكماء القدامى ، ولا زالت هذه الغابة ومحيطها متنفساً ومنتزهاً لأهالي بيروت ، وقد تم تشذيب أغصان هذه أغصان هذه الشجار لتكون منتظمة سامقة شامخة نحو الأعلى كما أن الجهات الأربع

(١) أولياء جلبي ، سياحت نامه ، مج ٩ ، ص ٤٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٤٤٠ .

من هذه المدينة محاطة بأشجار التوت والزيتون لتبقى محاصيلها خيرة ومنذ القدم كمدينة قديمة ومزينة ، وعلى مقربة من الجسر يوجد مقام حضرة الخضر عليه السلام ، وحوله تكية معمورة محاطة بأشجار الليمون ، البرتقال والنخيل الجميلة»^(١) .

١١ . قرية بورتر : وتبعد عن بيروت مسافة ساعة باتجاه القبلة ، وتقع ضمن وادٍ ويعيش فيها (٢٠٠ قروي من المزارعين) في بيوتهم ويوجد فيها جامع واحد (وبما أن جوها وماؤها جيدان ومناسبان فإن موز «أويس القرني» رضي الله عنه ينتج هنا ، وهذا الموز يكون مصدراً رئيساً لمداخيل آلاف الناس ويكون محصوله السنوي أحد عشر حملاً من الأقدحة (الدرهم الفضي) وهي بحق قرية خصبة ومعطاءة ، وبأمر الله عز وجل تأتي بعد اليمن في المرتبة الأولى في إنتاج الموز في هذه الديار ويتم تصديره إلى الشام ، حلب ومصر عبر تحميل آلاف الجمال بحمولتها من الموز . شكل وخواص شجرة الموز :

تعتبر شجرة الموز شجرة عجيبة ، فيبلغ طولها بمقدار طول قامتي رجلين اثنين ولا تكون أطول من ذلك وجسمها مفرغ من الداخل وسماكتها واضحة وإذا عصرتها يخرج منها الماء لطراوتها ، وكافة أوراقها تطول وتكبر بحجم السجادة وتتدلى على جوانبها بمثل حجم العلم ، وأوراقها غاية في الخضرة اليانعة .

١٢ . حماة : وتعتبر سنجقاً تابعاً لولاية طرابلس الشام ، ويبلغ عدد جنودها نحو ألفين ، وفيها مشايخ ونقيب أشرف ووجهاء وأعيان (ويجبي قاضيها من نواحيها في كل عام ستة أكياس ، كما يجبي أمير لوائها ثلاثين كيساً وفي حماه كثير من القصور الفخمة ، ذات الحدائق الغناء

(١) أوليا جلبي ، سياحت نامه ، مج ٩ ، ص ٤٤٩ - ٤٥٠ .

والأحواض والمياه المتدفقة والتي يبلغ عددها نحو ألف مقامة على شاطئ نهر العاصي وأسواق حماه وإن لم تكن عامرة بقدر أسواق حلب ، إلا أنها تزخر بجميع أنواع البضائع القيمة . . . (أما قمحها فيماثل القمح الموجود في حوران من حيث الجودة وكذلك الأمر في شعيرها وقطنها ويقولها (القول والعدس) والفصّة والبرسيم وكذلك خيولها العربية الأصيلة (١) .

(وفي حماة نواعير عظيمة وكبيرة مدشنة على ضفاف نهر العاصي ، ويسمع القادمون إلى هذه البلدة ضجيجها من مسافات بعيدة ، وعي عبارة عن دواليب مصنوعة من الأخشاب دائرية الشكل بارتفاع ثمانين ذراعاً مثبتة بالأعمدة والمسامير الحديدية على غاية متفاوتة من الطول والفخامة ، ويتم إحضار كافة الأخشاب من جبال بعلبك من أشجار الصنوبر ، وتأتي هذه الأخشاب إلى هنا بمئة وخمسين أوقة مع مساميرها .

وتنصب المياه من هذه النواعير في قناطر ، وفي محيط تلك النواعير آلاف الدلاء التي تحمل المياه ، ويتم إرسال المياه إلى مزارع وقصور البلدة وحماماتها ومساجدها وخاناتها عبر قنوات ، ولكل ناعورة أوقاف ذات إيراد وخدم ونجارون مهيؤون لخدمتها وصيانتها بشكل دائم ويتراوح عددهم ما بين (٤٠-٥٠) شخصاً ، وإذا اقترب الزائر الغريب منها تكاد أذانه تصم من شدة صوت ضجيجها وأنينها .

والغريب في الأمر رؤية عدد كبير من أبناء حماه المتشردين يتعلقون بأطراف الناعورة الخشبية ويدورون معها ، حتى إذا ارتفعت بهم ألقوا بأنفسهم إلى مياه نهر العاصي من عل فيغوصون في مياهه ويسبحون مستجمون ، وفي حماة مئات من الحدائق والبساتين التي تروى من تلك النواعير ، ولا يخلو كل بستان من ناعورتين أو ثلاث ، علماً بأن أعظم وأكبر وأشهر ناعورة هي

(١) أوليا جلبي ، سياحت نامه ، مج ٣ ، ص ٨٤ .

الناعورة المحمدية التي ذكرها كل السياح العرب والعجم على السواء^(١) .
١٣ . حمص : مركز لواء يتبع ولاية طرابلس الشام وفيها أمير ألأاي ورئيس جند
ورئيس مائة أيضاً ، وفيها أرباب زعامات وإقطاع ، وتبعد عن الرستن مدة
ست ساعات . . . (ويأتي الماء إلى بلدة حمص بساقية شقت من نهر
العاصي كما يأتي الماء إلى كافة أرجاء البلدة عبر ناعورة ركبت على
نهر العاصي)^(٢) .

١٤ . قرية النبك : وهي قرية أهلة بالسكان من أعمال ولاية دمشق ، (وهي
ذات مياه غزيرة وكروم وبساتين وأشجار كثيرة كما أن جوها لطيف
أيضاً)^(٣) .

١٥ . قرية حرستا : وهي قرية عامرة وفيها ثلاثمئة بيت ، والعديد من الحدائق
والكروم المزروعة وجامع^(٤) .

١٦ . منزل قلعة جبل عجلون : قلعة مربعة الشكل مبنية من الحجارة المنحوتة
جميلة الشكل ولها باب حديدي وبداخلها جامع وما بين «٧٠-٨٠» غرفة
مغطاة أسقفها بالطين . . مأواها وهوائها جيدان ، وكذلك حدائقها وبساتينها
كثيرة ، وعنبها يشبه إلى حد كبير عنب خليل الرحمن ، كما أن التجار
يأتونها من القاقون واللجون لإبتياح : الخُزامى ، الكُمون ، الحلبة والبرقوق
الأرجواني التي تشتهر هذه المنطقة بها وبمحاصيلها الجيدة ، كما أن كل سنة
في الربيع تأتي قبائل التركمان للمنطقة لاستخدامها كمراعٍ خصبة والتي
تقدر أعدادها ما بين «٤٠-٥٠ ألفاً مع حيواناتهم»^(٥) .

(١) أوليا جليبي ، سياحت نامه ، مج ٣ ، ص ٨٥-٨٦ .

(٢) المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ٨٨ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ٩٢ .

(٤) المصدر نفسه ، مج ٣ ، ص ٩٣ .

(٥) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٥٥٨ .

١٧ . قلعة القنيطرة : وهي من أعمال الوزير لأله مصطفى باشا أيام حكم السلطان سليمان خان ، وقد تم بناؤها لحماية الطريق من قطاع الطرق والحرامية لحظورتها وعزلتها . . . (وتحيط في المنطقة من أطرافها الأربعة السهول الخضراء الخصبة وكلها مخصصة كوقف للوزير لأله مصطفى باشا ، ومراعيها وأعشابها دائمة الخضرة غير منقوصة ، وسهولها الخصبة مخصصة لرعاية حيوانات أهالي الشام ، الباشا ، والحجاج الذاهبين للحج وأجواء المنطقة معتدلة دافئة كما أن حرارتها شتاءً لا تنخفض كثيراً ، وتعتبر المنطقة منجم الشام الخاص بالفحم والحطب لكثرة غاباتها وغناها بالأخشاب الجيدة)^(١) .

١٨ . قلعة سعسع : تم بناء هذه القلعة من قبل فاتح اليمن سنان باشا ، وهي قلعة مربعة الشكل ، ويبلغ طول ضلعها «٦٠٠» خطوة ولها باب حديدي كبير يطل على الجهة الغربية . . . (علماً بأن سهل سعسع لا يوجد فيه أي فراغ من الزراعة ، وكل أعيان الشام لهم فيها مزارع ومحاصيل كثيرة مزينة بحدائقها العامرة الخصبة ، ويتم حصاد المحاصيل من البراري أولاً بأول وكذلك قراها المجاورة ضمن هذا الوادي الخصب)^(٢) .

١٩ . قرية داريا : وتعتبر من أوقاف أحفاد وأبناء حضرة نور الدين الشهيد ابن أق سنقر البرازقي ، وتضم «٦٠٠» حديقة وبستان . . . وكل بساينها وحدائقها متصلة مع بساين الشام على امتداد ساعتين من الزمن^(٣) .

٢٠ . الشام الشريف : . . . (وتمتاز مزارع الشام وحدائقها بتنوع فواكهها وجودتها ويقع على رأسها المشمش المتعدد الأنواع وخاصة المشمش القمري والحموي والذي لا يوجد شبيهه له في العالم ، وكأنك في الجنة ويتم تجفيف

(١) أوليا جلبي ، سياحت نامه ، مج ٩ ، ص ٥٦٦-٥٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٥٦٨ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ٩ ، ص ٥٦٨ .

المشمش الحموي وتصديره إلى كافة الولايات ، ولا يوجد له مثيل في الحجم والشكل ولا يوجد له بذور كبيرة بل صغيرة جداً وتذوقه وطعمه يبقى بعد مرور ساعة من الأكل ، وبقدر ما هو طازج ولذيذ وحلو يعطي الإنسان الحيويّة والنشاط ، ومهما أكلت منه لا تشعر بالثقل وهو سهل الهضم ، أما تفاحها فهو في قمة اللذة «وفوائد التفاح كثيرة جداً» وحتى لو إنك عصرت ما بين «١٠-١٥» حبة وشربته فستعود لك حيويتك ويغذيك ويلطف جوك ويعطيك الرطوبة لأنه شراب ممتاز .

أما السفرجل الخاص بها فمشهور ولذيذ رغم أنه ليس بضخامة سفرجل لفكوشا (نيقوسيا) وإذا نقرت داخل الحبة الواحدة وحشوتها بعلكة المستكة (العلكة العربية) ووضعتها قليلاً على الجمر لتستوي بهدوء وأكلتها لتعطيك القوة والراحة للجسم .

وأما ليمونها ونارنجها فجيدان ، وتمورها متوسطة الحبة والجودة وقصب سكرها فمشهور جداً ، وزيتونها زينة الدنيا ويصبح في حجمه كحبة الجوز الأناضولي ، وإذا أكلت عشر حبات منها تشبع كثيراً وتصبح كمن أكل أوقية لحم خروف .

كما أن تينها وعنبها كثير ومتنوع ، وخاصة العنب المسمى بالزيني وهو لذيذ ومستقيم الشكل وكثير المياه والله أعلم أنه يشبه عنب الجنة!؟ وكأن سورة عَبَس - الآيات ﴿وعنباً وقضباً﴾ وزيتوناً ونخلاً﴾ وُحْدائق غُلباً﴾ صدق الله العظيم «٢٨- ٣٠» من القرآن الكريم نزلت بذكر هذه الفواكه وخاصة العنب الزيني الذي مهما أكلت منه لا تشعر بأي ثقل على معدتك أو على جسمك^(١) .

٢١ . غزة هاشم : تقع ضمن سهل واسع ومستقيم ، ويتكون من مدينة بستة أحياء وعدد منازلها ١٣٠٠ منزل . . . وفيها «٧٠» جامعاً . . . (وتقع ضمن

(١) أوليا جلبي ، سياحت نامه ، مج ٩ ، ص ٥٦٩ .

الإقليم الدافئ ولذلك تتعدد المنتجات الزراعية فيها إذ تبلغ ٢٧ منتجاً يقع على رأسها : القمح الأبيض المسمى «بسن الجمل» والشعير ، الحمص ، الفول ، القطن ، والحريير . . . وفيها سبعة آلاف بستان تزرع بأشجار الزيتون ، التوت ، الليمون ، النارنج ، الرمان ، التين ، العنب ، الشمام ، البطيخ وتورها المتميزة عالمياً ، أما زيت الزيتون فيها فهو مشهور ويصدر إلى مصر عبر قوافل آلاف الإبل لإطعام المصريين من الزيت الممتاز^(١) .

٢٢ . نابلوس : لواء في ولاية الشام ، ويتم تعيين متصرفيها بأمر من السلطان مباشرة ، ويجبي متصرفها (٢٩٦ . ٤٥٠ أقة) وفي هذا اللواء توجد سبع زعامات و«٤٤» إقطاعاً . . . (ويحيط بهذه المدينة من جهاتها الأربع الجبال الصخرية ، المليئة بحدائق الليمون ، النارنج ، الرمان ، الزيتون ، التين وأشجار النخيل المثمرة ، وكل قصر ومنزل له طاحونه تعمل على المياه الجارية وتجري المياه إليها عبر القنوات والبرك والبحرات الصغيرة وتسمع خريرها وهي تسحب المياه إلى السُّبُل العامة ، كما أن الأسواق لها طواحينها المائية الخاصة^(٢) .

(١) أولياء جلبي ، سياحت نامه ، مع ٩ ، ص ١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، مع ٩ ، ص ٤٨٧-٤٨٨ .

فتاوى خير الدين الرملي (ت ١٠٨١ هـ / ١٦٧١ م)
مصدراً لقراءة مظاهر النشاط الزراعي في فلسطين
خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي

عليان الجالودي (*)

غالب العربيات (**)

مقدمة

تعد كتب الفتاوى ومجاميعها إلى جانب سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر الطابو، وكتب الرحلات المعاصرة، مصادر مهمة لدراسة تاريخ بلاد الشام الإقتصادي والإجتماعي في العهد العثماني، ومع أن الالتفات لسجلات الطابو وسجلات المحاكم الشرعية وإستقراء مادتها الأولية في دراسات الباحثين غدا مألوفاً، إلا أن الالتفات للفتاوى على أهميتها في تلمس أوضاع الفلاحين ومستوى معيشتهم وعلاقتهم بالأرض والضرائب لا زال متواضعاً، ولم يلقَ بعد الاهتمام المأمول الذي لقيته المصادر الأخرى، مع ما يمثله هذا المصدر من أهمية في تكوين صورة مكتملة تدعم المادة التي تشتمل عليها المصادر الأخرى وتثريها، ناهيك عن أهميته في استكمال الثغرات التي تعتري هذه المصادر في تسليط الضوء على الممارسات العملية وصددها الواقعي .

وما هذه الورقة إلا محاولة أولية لقراءة فتاوى الشيخ خير الدين الرملي

(*) قسم التاريخ / جامعة آل البيت / الأردن .

(**) قسم العلوم الإنسانية / جامعة البلقاء التطبيقية / الأردن .

(ت ١٠٨١ هـ / ١٦٧١ م) واستنطاق مادتها الأولية في تتبع أحوال الزراعة في فلسطين خلال القرن الحادي عشر / القرن السابع عشر الميلادي ، خصوصاً ما يتصل منها بملكية الأرض والضرائب وأساليب الجباية ، وأساليب الإستثمار الزراعي وأوضاع الفلاحين ، وهو إسهام متواضع من قبل الباحثين في التعريف بهذه الفتاوى أولاً ثم تكوين صورة أولية عن جانب مهم من جوانب تاريخ فلسطين الإقتصادي والإجتماعي .

التمهيد

خضعت بلاد الشام للحكم العثماني في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . وابتداءً من الربع الأخير من هذا القرن وخلال القرن السابع عشر الميلادي بدأت مؤسسات الدولة بالضعف مثلاً ذلك بضعف السلاطين ، وبرز دور الصدور العظام^(١) ، وتزايد نفوذ الانكشارية^(٢) ، والتراجع

(١) هاملتون جب وهارولد برون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي ، قسمان ، منشورات دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، القسم الأول ، ص ٨٣ - ٨٥ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد : جب وبرون ، المجتمع الإسلامي والغرب .

(٢) جب وبرون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ق ١ ، ص ١٠٣ - ١١٥ ؛ خليل أيناالجك ، دونالد كواترت (محرران) ، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للدولة العثمانية ، ٢ م ، ترجمة عبداللطيف الحارس ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م ، ١ م ، ص ١٣٦ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد : ايناالجك ، التاريخ الإقتصادي والإجتماعي ؛ فاضل بيات ، الزعامات المحلية في بلاد الشام في النظام الإداري العثماني ، ضمن كتاب دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٣٥ - ١٦٨ . سيشار إليه عند وروده فيما بعد : بيات ، الزعامات المحلية في بلاد الشام؛

Hurat, C1. "Janissaries", E.12, Vol. 1, pp. 572-574; Stanford J. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: 2Volumes, Reform, Revolution, and Republic: The Rise of Modern Turkey (1808-1975), Cambridge University Press 1977, Vol.1, p. 171.

الإقتصادي الذي انعكس سلباً على مؤسسات الدولة والولايات التابعة لها^(١). تعاضم نفوذ الانكشارية في ولاية دمشق والألوية التابعة لها خلال القرن السادس عشر الميلادي، واحتكروا النشاط الإقتصادي في المدن والريف^(٢)، وتوزعت أراضي بلاد الشام بين أراضي الإقطاع^(٣) والأوقاف، ومع تراجع دور القوى الانكشارية في بلاد الشام ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي، بدأ تصاعد دور الزعامات الإقطاعية، وخضعت الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام لحكم الأسر الإقطاعية والزعامات المحلية، مثل أسرة آل طرباي في اللجون وجنين، وآل رضوان حكام غزة الذين امتد نفوذهم خلال القرن السابع عشر ليشمل

معظم انحاء فلسطين^(٤) وتناوبت المدن والأرياف الفلسطينية خلال القرن

(1) Heyd, U, Ottoman Documents on Palestine (1552-1615), The Clarendon press, Oxford,

1960; Hütteroth, W. D. and Abdulfattah. K, Historical Geography of Palestine, Trans Jordan and Southern Syria in The Llate Sixteenth Century Erlangen, 1977.

(٢) عبد الكريم رافق، مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام من القرن السادس عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر، ضمن بحوث في التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث، ط١، دمشق، ١٩٨٥م، ص٩٢ وما بعدها. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : رافق، بحوث في التاريخ الإقتصادي .

(٣) ليلي الصباغ، المجتمع العربي السوري في العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٧٣م، ص ٢٤-٢٩، ٥٠-٦٦. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الصباغ، المجتمع العربي السوري .

(٤) أنظر على سبيل المثال لا الحصر الدراسات المعمقة التي أنجزها محمد عدنان البخيت بمفرده، أو بالإشتراك مع نوفان الحمود حول المدن الفلسطينية من خلال سجلات الطابو العثمانية، والبحوث التي تناولت مدن حيفا، يافا، اللد، الرملة، نابلس، صفد، اللجون، بيت لحم، اريحا، والدراسات التي تناولت تاريخ الأسر المحلية، والمنشورة في العديد من الكتب والمجلات والتي جمعت أخيراً ==

السابع عشر حالات متعددة من الازدهار والتراجع الإقتصادي والعمراني ، تداخلت فيها عوامل عدة في مقدمتها السياسات التي انتهجتها الدولة العثمانية وحكام السناجق وازدهار الدور التجاري لبعض المدن الساحلية ، وتراجع أخرى ، وازدهار بعض المدن الداخلية نظراً لوقوعها على طرق التجارة التي تربط الشام ومصر ، ناهيك عن تراجع الحياة في الريف الفلسطيني وتناوب العمارة والخراب على قراه ومدنه ، نظراً لكثرة التكاليف الأميرية وأساليب الجباية المرهقة ، وتعاضم دور القوى الإقطاعية^(١) ، وهو ما يستشف من قراءتنا لفتاوى خير الدين الرملي .

١- خير الدين الرملي وفتاواه:

تعد كتب الفتاوى مصدراً مهماً وفريداً في قراءة التاريخ الإقتصادي والإجتماعي في الولايات العربية في العهد العثماني ، إلى جانب سجلات المحاكم الشرعية ، وسجلات الطابو والمظان التاريخية الأخرى ، وقد وظف عدد

== في كتاب صدر تحت عنوان . «دراسات في تاريخ بلاد الشام» (فلسطين) مجلدان ، منشورات أمانة العاصمة ، مطبعة السفير ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٧ م . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : البخيت ، دراسات في تاريخ بلاد الشام ؛ إحسان عباس ، فصول حول الحياة الثقافية والعمرانية في فلسطين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص٩٧ وما بعدها . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : عباس ، فصول حول الحياة الثقافية .

(١) عادل مناع ، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص٩-١١ ؛ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : مناع ، تاريخ فلسطين ، وللمزيد حول دور القوى الإقطاعية انظر : عباس ، فصول حول الحياة الثقافية ص٩٨-١١٥ .

Gerber, Haim, Palestine and other Territorial Concepts in the 17th Century, Journal of Middle East Studies, London, Vol.30, nov. 1990.

من الباحثين كتب الفتوى في دراساتهم لتاريخ البلاد العربية عامة^(١) وبلاد الشام خاصة^(٢)، وحظيت فتاوى شيخ الإسلام خير الدين الرملي بإهتمام مبكر

(١) أنظر على سبيل المثال لا الحصر : محمد مختار ولد العباس ، الفتاوى والتاريخ : دراسة لمظاهر الحياة الإقتصادية والإجتماعية في موريتانيا خلال فقه النوازل ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٠م ؛ محمد الأرنؤوط ، من القيروان إلى تونس والعالم الإسلامي فتاوى البرازلي (ت ٨٤١ هـ / ١٢٣٨م) وأهميتها كمصدر للتاريخ الحضاري : ضمن كتاب أشعاع القيروان عبر العصور ، ج ٢ ، منشورات وزارة الثقافة والمحافظة على التراث ، (د . ط) ، تونس ، قرطاج ، ٢٠٠٩م ، ج ١ ، ص ١٤٧-١٦٤

Macdonald. D. B. "Fatwa", E.I.I. Vol. 11, pp.92-93.

ودراسة الطيب زواوي عن نوازل مغربية في تونس وجوارها :

Zouaroi,T, Quelques aspects de la vie urbaine et rurale d'après les Fatwa d'AL Brzulli : esquisse d'une étude des rapports ville campagne à l'époque hafside. Revue Tunisienne Desscices Sociales, 1993 Tom, 112, pp. 15-65.

ودراسة اورل هايد التي انصبت على شكل الفتاوى ومضمونها في العهد العثماني :

Heyd, U, Some Aspects for the Ottoman Fatwa Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, 1964. 32, pp.35-56.

(٢) أنظر : دراسة مهندس مبيضين ، ملامح من الحياة الإقتصادية والإجتماعية في الريف الدمشقي إبان القرن الثامن عشر من خلال دراسة المجاميع الفقهية ، حيث درس فتاوى محددة للعمادي (ت ١١٧٢هـ / ١٧٥٧م) ، وابن رجب الحائك (ت ١١١٣هـ / ١٧٠١م) ، وحسين بن محمد المرادي (ت ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م) ، وعبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣١م) ، بحث منشور ضمن كتاب دمشق عاصمة الثقافة العربية ، ط ١ . دمشق ، ٢٠٠٨م ، ص ٢٥٣-٢٧٥ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : مبيضين ، ملامح من الحياة الإقتصادية ؛ وأنظر الدراسة المعمقة لفتاوى عبد الغني النابلسي التي نهضت بها الباحثة صفية السلامين في رسالتها للماجستير ، بلاد الشام في مؤلفات عبد الغني النابلسي ورحلاته ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف محمد عدنان البخيت ، ==

من قبل الباحثين (١٠) ، إنطلاقاً من أهمية الفتاوى في كونها مرآة تعكس

== كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١١ م ، ص ١٠٧-٢١٠ . وسيشار إليه عند وروده فيما

بعد : السلامين ، بلاد الشام ؛ ودراسة : انطون عبدالنور عن فتاوى حامد العمادي :

Abdel Nour. Antoine. Traits et Conflits Du Monde Rural Syrien Au XVIIIe siecle D Apres Les. Fatwa De Hamid AL-Imadi Melanges de L'Université. Saint. Joseph. 1984, p.71 - 84.;

ودراسة : بكري الدين خليل عن فتاوى عبدالغني النابلسي .

Bakri, A, Deux Fatwas Du Shayh Abd al-Gani AL-Nabulusi, Bulletin, DEtudes, Grien-tals (B. E. O) 1987-1988, 39-40, p.8-23.

(١٠) تعد محاولة إحسان عباس من المحاولات الرائدة . أنظر دراسته :

Abas, A, Hair A-din al-Ram'lis. Fatawa anew Light on Life in Palestine in the Eleventh Century Lache Welt Zwischen Mittelater and Nuzeit Festsch Rift Fur Hans Robert Roimer, Beyrouth, 1978, pp.1-19;

ودراسة حاييم جرابر الذي تناول فيها الجانب الفقهي في هذه الفتاوى والمتصلة بالاجتهاد والاختلاف والتقاضي بالاستحسان . أنظر دراسته :

Gerber, H, Rigidity Versus Oppennes in late Classical Islamic law: the case of the Sev-enteenth- Century Palestinian Mufti Khayr al-Din,Al-Ramli Islamic Law and Society, Leiden,1990, pp. 165-195.

ودراسة سمير صيقلبي التي عالجت ملكية الأرض من خلال فتاوى الرملي . أنظر دراسته :

Seikaly, S, Land Tenure in Seventeenth Century Palestine in Land Tenure and Social Transformation in the Middle East, edt by T. Khalidi, Beirut, 1984, pp. 397-408.

- وكذلك دراسة حاييم جرابر التي تناولت فلسطين والأقاليم التي حولها .

Gerber, Haim, Palestine and other Territorial Concept in the 17th Century, International Journal of Middle East Studies, London, 1988, 30 (4): pp 563-572.

الممارسة العملية ، والإرث المحلي ، وصدى هذه الممارسات العملية على واقع الحياة الإقتصادية والإجتماعية خصوصاً ما يتعلق بأنظمة حيازة الأرض والضرائب ، وأساليب الجباية ، والضرائب الاضافية ، وأساليب الإستثمار الزراعي ، وهي ممارسات لا تنسجم في كثير من جوانبها مع الشريعة الإسلامية ، وتستند إلى الارث المحلي والعرف ، وهذا ما تندر الإشارة إليه في الوثائق والمصادر التاريخية الأخرى^(١) .

والإشارات التاريخية حول حياة الرملي متواضعة ولا تسعفنا في تكوين تصور شامل حول إسهاماته في الحياة العامة ، وجل المصادر التي ترجمت له عيال على الترجمة التي كتبها تلميذه الشيخ ابراهيم بن سليمان الجنيني (ت ١١٠٨هـ/١٦٩٦م) عن شيخه الرملي^(٢) التي على ما يبدو أعدها بناء على

== ودراسة مايسونوف ولاروس حول أراضي الميري والملك في فلسطين من خلال المدرسة الحنبلية :

Maisonneuve & Larose, Was the land of ottoman Syria Miri or Mulk? and Examination of Juridical Differences Within the Hanafi School, Studia Islamic Journal, paris, 1995, 81(1), pp.121-153.

(١) خير شاهد عليها عقود الإجارة الطويلة للأراضي الموقوفة بنوعها الخيري والذري ، والأراضي الأميرية وأساليب الزراعة ، والإجارة الفاسدة . ناهيك عن ظواهر التحكير ، والضرائب الإضافية وإجبار الفلاحين على العودة إلى قراهم بالقوة من قبل متولي الأوقاف والسباهية التي لا يخفي الرملي رفضه لها في فتاويه كما سيتضح في الصفحات اللاحقة .

(٢) إبراهيم بن سليمان الجنيني ، ترجمة الشيخ الرملي ، مخطوط رقم (٦٥٥٢٧) ، مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، شريط رقم (١٦٩) ، ورقة ٢١-٣٨ ب . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الجنيني ، ترجمة الرملي .

طلب المؤرخ المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م)^(١) وهو خير الدين ابن أحمد بن نور الدين بن عبد الوهاب العليمي الأيوبي الفاروقي الرملي ، وينتهي نسبه إلى علي بن عليم ، من ذرية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب « رَضِيَ اللهُ عَنْهُ » ، ولد في رملة

(١) محمد أمين المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج ٤ ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) ، ج ٢ ، ص ١٣٤-١٣٩ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : المحبي ، خلاصة الأثر . ومن المصادر الأخرى التي ترجمة للرملي : أبو سالم العياشي (ت ١٠٩٠ / ١٦٧٩ م) ، الرحلة العياشية ، ج ٢ ، وضع فهارسها محمد حجي ، ط ١ ، الرباط ، ١٩٧٧ م ، ج ٢ ، ص ٣١١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : العياشي ، الرحلة العياشية ؛ إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني (١٠٨٣ هـ / ١٦٧٢ م) تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، ج ٣ ، تحقيق محمود السامرائي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد (د . ت) ، ج ٢ ، ص ١٧٠-١٧١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الخياري المدني ، تحفة الأدباء ؛ وأنظر : عبد الكريم بن محمد الكتاني ، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والشيوخات والمسلسلات ، ج ٢ ، المطبعة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٤٤-١٣٤٧ هـ ، ج ١ ، ص ٦٧٨ ، ٦٨٨ ؛ إسماعيل البغدادي ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ٢ ، تحقيق : محمد شرف بالتقايا ورفعت بيلكة الكليسي ، مطبعة وكالة المعارف ، استنبول ، ١٩٤٥-١٩٤٧ م ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ ؛ إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين ، المطبعة البهية ، استانبول ، ١٩٥١ م ، أعادت تصويره بالانست مكتبة المثنى ، بغداد ، ج ١ ، ص ٣٥٨ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية ، ١٥ ج ، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥٧ م ، ج ٤ ، ص ١٣٢ ؛

Brockelmann, C. Geschichte der arabischen Literatur. 2.Vol. Brill, Leiden, 1943-1949,

Supplement Band I-III, Brill, Leiden, 1937-1942.

فلسطين^(١) في أوائل شهر رمضان من سنة ٩٩٣هـ/أواخر آب ١٥٨٥م . ونشأ بها وتلقى فيها علومه الأولى ، فتعلم قراءة القرآن وعلومه على يد الفقيه الشافعي ذي الميول الصوفية الشيخ موسى بن الشيخ حسن القبلي الرملي (ت ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م) . وخير الدين الرملي هو الشقيق الأصغر لثلاثة أشقاء اشتغلوا بالعلم وهم : عبد النبي ، وشمس الدين . غير أنه لم يكتب لهما من الشهرة ما كتب للرملي ، ولا شك أن النشأة الصوفية قد تركت أثراً كبيراً في تكوينه العلمي لاحقاً ، وفي مواقفه المدافعة عن المتصوفة وممارستهم في حلقات الذكر والانشاد والسماع والرقص^(٢) .

إرتحل الرملي بصحبة شقيقه عبد النبي إلى مصر لتلقي العلم في الأزهر الشريف سنة (١٠٠٧هـ/١٥٩٨م) ، وكان راغباً في إكمال تحصيله العلمي على المذهب الشافعي ، وتحول بتأثير شقيقه إلى المذهب الحنفي ، المذهب الرسمي للدولة العثمانية ، وفي الأزهر درس الفقه الحنفي على يد عدد من العلماء^(٣) ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الله بن محمد النحرأوي (ت

(١) تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس على الطريق الواصل بين القدس ويافا وتمثل نقطة اتصال بين شمال فلسطين وجنوبها . أنظر حولها :

Zysow, A., "Al-Ramla", E.I.2. Vol. VIII, p.p. 423-424.

وأنظر : محمد عدنان البخيت ، الرملة في القرن لعاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، ١٧م ، أ٢٤ ، (١٩٩٠م) ، ص ١٨٦ - ٢١٦ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : البخيت ، الرملة .

(٢) خير الدين الرملي ، الفتاوى الخيرية لنفع البرية ، مجلدان ، ط١ ، المطبعة الكبرى الميرية ، بولاق ، ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م . وهي الطبعة المعتمدة في هذه الدراسة ، ٢م ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ - ١٨٤ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الرملي ، الفتاوى الخيرية .

(٣) الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٠ + ب .

١٠٢٦ هـ / ١٦١٧ م^(١)، والشيخ محمد بن محمد السراج الحانوتي (ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م)^(٢). والشيخ محمد أمين الدين بن عبد العال الحنفي^(٣) وابن بنت المحب ومحمد إبن بنت الشبلي^(٤)، وقرأ الحديث عن العالم المحدث سالم السنهوري المالكي المصري (ت ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م)^(٥)، وعلوم القرآن عن الشيخ عبدالرحمن اليميني الشافعي (ت ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م)^(٦)، وعلوم النحو عن الشيخ ابو بكر بن إسماعيل الشنواني (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م)^(٧)، والشيخ سليمان بن عبد الدايم النابلسي^(٨).

وبعد أن قضى الرملي ست سنوات في الأزهر عاد بعدها إلى الرملة سنة (١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م) ومرفى طريق عودته بغزة والقدس^(٩)، ولم تفصح المصادر التي ترجمت له انه غادر الرملة حتى وفاته، وقضى سنين عمره فيها يفتي ويدرس، وتؤكد المصادر بأن الرملي لم يتخذ من التعليم والافتاء وسيلة لطلب الرزق، ولم يسعَ لوظيفة، وانما مارس العمل بالزراعة وغراس الأشجار المثمرة بيده^(١٠) وعندما مر الرحالة العياشي بالرملة كان خير الدين قد غرس ما يزيد

(١) المحبى، خلاصة الأثر، ج٤، ص٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٧٦.

(٣) لم نعثر له على ترجمة.

(٤) لم نعثر لهما على ترجمة.

(٥) المحبى، خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٠٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٥٨.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٧٩-٨١.

(٨) لم نعثر على ترجمته.

(٩) هناك فتوى أجاب فيها الرملي على سؤال وجه إليه في بيت القدس. الرملي، الفتاوى الخيرية،

ج١، ص٤٨١؛ الجنيني، ترجمة: الرملي، ص٣٢ ب.

(١٠) المحبى، خلاصة الأثر، ج٢، ص١٣٤، ١٣٩.

على مائة الف شجرة كلها أطعمت وأكل من ثمرها^(١) وتابعه الناس في ذلك ، وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء ، وعلى ما يبدو أنها شملت الرملة وجوارها حتى صارت الرملة أكثر بلاد الساحل فاكهة^(٢) .

وعلى الرغم مما في رواية العياشي من مبالغة إلا أنها تشير إلى النموذج الأمثل الذي تركه الرملي في محيطه من جهة ، ومن جهة أخرى فقد وفر له عمله في الزراعة مصدراً للعيش أغناه عن طلب الوظيفة وحقق له هامشاً من الاستقلالية عن المؤسسة الرسمية ، انعكست على جرأته في قول الحق ، والتصدي للممارسات الشائعة البعيدة عن الدين ، وهذا يتضح من السياق العام لفتاويه ، وحصيلة هذه الاستقلالية «عظم الهيبة فهابه الحكام من القضاة وأهل السياسة ، وكانت الرملة في أيامه من أعدل البلاد وللشريع بها ناموس عظيم لا يتجاسر أحد على ظلم أحد ولا اثبات حق بغير وجه شرعي . . . بل وفي غالب البلاد القريبة من بيت المقدس وغزة ونابلس وقراها»^(٣) ، كما أنها مكنته من جمع الأموال وشراء العقارات ، وتوجيه هذه الأموال نحو فعل الخير ، وإنفاقه الأموال على إعمار وترميم مساجد الرملة ، ومدافن الأولياء ، وإقتناء الكتب^(٤) .

(٢٧) العياشي ، الرحلة العياشية ، ج ٢ ، ص ٣١١ ؛ عباس ، فصول حول الحياة الثقافية ، ص ١٠٩ .

(٢٨) الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٢ ب .

(٢٩) المصدر نفسه ورقة ٣٥ ب .

(٣٠) تعكس ممتلكاته من العقارات والأراضي في الرملة وجوارها مكانته الاجتماعية . أنظر : الوقفية

المنسوبة للرملي ، والتي تشمل على أراضي وخانات ودكاكين ومصبنة أوقفها الرملي ، والتي كتبت

بتاريخ ٧ شعبان ١٠٨١هـ / ٢١ كانون الأول ١٦٧٠ م . وهي سنة وفاة الرملي ، والمحفوظة في سجلات

محكمة القدس الشرعية : سجل رقم (٢٤٤) ، وتصدى لنشرها نوفان الحمود مع دراسة مستفيضة .

أنظر : دراسة تاريخية للأحوال الإدارية والاجتماعية والعمرائية والاقتصادية في الرملة في القرن

١١هـ / ١٧م ، مجلة المنارة ، جامعة آل البيت ، ١٠م ، ٥ع ، ذو القعدة ١٤٢٥ ، هـ / ١٣ ، ٢٠٠٤ م ،

ص ١٢٧-١٦٤ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الحمود ، دراسة تاريخية .

وتعددت شهرة خير الدين الرملي مدينة الرملة ، وانهاالت عليه الفتاوى من جميع انحاء فلسطين ، ومصر ، والشام ، وبلاد الروم ، والحجاز ، والعراق ، وتركت فتاواه بصماتها في إنتشار العدل ، وتطبيق الشريعة ، وأثرت في حياة السكان ، وكانت كلمته نافذة عند العربان عموماً ، من مثل بدو الكرك ، ومعان ، والشراة ، وغيرهم من عربان البوادي ، وكانوا يتلقون فتاواه بالقبول والامتثال والعمل بها مع أنهم -على ما يقول الجنيني وتابعه المحبي- «لا يعملون بالشرع في غالب أمورهم»^(١) .

وكان الرملي ينسخ الكتب طلباً للأجر والمثوبة ، حتى يذكر أنه نسخ بيده ما يربو على (١٢٠٠) مجلد ، وبالرغم مما في هذا الرقم من مبالغة إلا أنه مؤشر على أن ما تم استنساخه لا يتعدى كراسات ومجاميع متنوعة ومحدودة ، وعلى ما يذكر العسلي نقلاً عن الرحالة فولني بأنه كان للرملي مكتبة ضخمة في شتى العلوم انتزعها أحمد باشا الجزائر ، وأودعها مكتبته الاحمدية التي أنشأها في مدينة عكا^(٢) .

وتوفى الرملي ليلة الأحد ٢٧ رمضان ١٠٨١ هـ الموافق اوائل شهر شباط

(١) الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٥ ب ؛ المحبي ، خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ٣٢٩ ؛ عباس ، فصول حول الحياة الثقافية ، ص ١٤٤-١٤٧ . ونجد صدى لهذه الفتاوى في سجلات المحاكم الشرعية المعاصرة للرملي . أنظر : سجلات محكمة القدس الشرعية ، مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، سجل رقم (٨٧) ، ح ٢ ، ١٦ ، ربيع الأول ١٠١٦ هـ / ١٠ تموز ١٦٠٧ م ، ص ٥٧٨ ؛ وسجل رقم (٢٤٤) ، ح ١ ، ٧ ، شعبان ١٠٨١ هـ / ١٩ ك ٢ ، ١٦٧٠ م ، ص ٢٠٠ .

(٢) الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٣ أ ؛ كامل جميل العسلي ، المكتبات الفلسطينية منذ الفتح الإسلامي حتى سنة ١٩٨٥ م ، الموسوعة الفلسطينية ، ٦ م ، القسم الثاني (الدراسات) ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ٣ م ، ص ٢٨٩ .

١٦٧١ م ، ودفن في مقبرة محلة الباشقردي^(١) في مدينة الرملة ، قريبا من مدفن الشيخ أبي عبدالله البطائحي من جهة القبلة بوصية منه ، وصلي عليه صلاة الغائب في المسجد الأقصى وغزة ونابلس وجنين ودمشق وحلب ودمياط^(٢) ، وزار الشيخ عبد الغني النابلسي قبره سنة (١١٠٥هـ/١٦٩٣م) ، وقال إن قبره داخل جنينة نظيفة وعليه قبة مبنية ، وهو الذي على ما أخبرونا (أي الرملي) عُمّر مزاره هذا في حياته ثم دفن فيه بعد وفاته^(٣) .

وباستثناء كتاب «الفتاوى الخيرية لنفع البرية» لا يوجد للرملي مؤلفات تذكر وجل ما تركه هو عبارة عن رسائل ، وشروحات على أمهات الكتب الفقهية ، ومجاميع الفتاوى . وردود على مسائل استفتي بها^(٤) .

(١) محلة الباشقردي : تقع إلى الجنوب الشرقي من الرملة . انظر : غالب عربيات ، ناحية الرملة وجوارها خلال القرن السابع عشر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، إشراف : عبد العزيز عوض ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٩ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : عربيات ، ناحية الرملة .

(٢) الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٦ + ٣٧ أ .

(٣) عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠م) ، الحقيقة والمجاز في الرحلة لبلاد الشام ومصر والحجاز ، تحقيق : أحمد عبدالمجيد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٠ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : النابلسي ، الحقيقة والمجاز .

(٤) يقول ولده في تقديمه لرسالة نزهة النواظر «... ولقد جردت جميع الحواشي المذكورة فكانت تزيد على المائة والخمسين كراسا في مسطرة خمسة وعشرين سطراً في قطع النصف بخط معتدل ، ومن بين هذه الرسائل ، حواشي على منح الغفار لشمس الدين الغزي التمرتاشي (ت ١٠٠٤هـ/١٥٩٦م) في الفقه الحنفي ومسلوك الإنصاف في تبع السبكي والخصاف ، و«الفوز والغنم في مسألة الشرف من الأم» و«مظهر الحقائق الخفية في البحر الرائق» ، و«مطلب الأدب وغاية الإرب» ، و«نزهة النواظر في الأشباه والنظائر» ، و«حواشي على شرح الكنز للعيني» ، وعلى جامع الفصولين ، وجامع الفتاوى ، وعلى مجموعة مؤيد زاده ، وعلى الظهيرية ، والوالواجية . والتتارخانية . وعلى أنفع الوسائل للطرسوسي ، ومشتمل الأحكام ، وجواهر الفتاوى ، ولسان الحكام ، والذخائر ==

وعلى ما يذكر تلميذه الجنيني فأَنَّ الرملي نفسه هو من شرع بجمع فتاويه من بين فتاويه الأخرى وإختر من بينها ما أشكل ، وما عز مثله لكنه لم يرتبها ، وتولى ترتيبها ولده محي الدين (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) فرتبها حتى انتهى إلى كتاب النكاح غير أنه توفى في حياة والده من غير أن يتمها ، فتولى إتمامها تلميذه الجنيني الذي انتهى منها على ما يقول قبل وفاة شيخه الرملي (١) .

وتتلمذ على يد الرملي عدد من العلماء منهم ولداه محي الدين ، ونجم الدين ، وعدد من علماء القدس منهم : محمد الأشعري مفتي الشافعية ، وعبدالرحيم بن أبي اللطف مفتي الحنفية ، ومحمد بن حافظ الدين السروري ، ويوسف بن رضي الدين اللطفي خطيب المسجد الأقصى ، ومن أهل غزة : الشيخ عمر المشرفي مفتي الحنفية ، والشيخ علي مفتي الشافعية ، ومن علماء دمشق : محمد بن كمال الدين النقيب ، ومحمد علاء الدين بن علي الحفصكي مفتي الحنفية ، ومحمد بن عجلان النقيب ، ومن علماء الحجاز : عيسى من محمد الثعالبي المكي ، ومحمد بن سليمان القرشي المكي ، وإبراهيم بن عبدالرحمن الخياري المدني ، ومن العثمانيين : مصطفى باشا ابن الوزير محمد باشا الكوبرلي ، ومن المغاربة : يحيى بن محمد أبي البركات ، وعلاء الدين العياشي ، ومحمد بن عبدالله العياشي (٢) .

وتناولت فتاوى الرملي جملة من الموضوعات المرتبطة بالعبادات

== الأشرافية . وعلى فتاوى شيخه محمد الحانوتي ، وعلى فتاوى قارئ الهداية ، وفتاوى ابن النجيم ، وفتاوى شهاب الدين الحلبي ، وله ديوان شعر مرتب على حروف المعجم . أنظر : الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٥ ب + ٣٦ أ ؛ وأنظر : بطرس البستاني ، مادة : خير الدين الرملي ، دائرة معارف البستاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، (د . ت) ، ص ٥١١ - ٥١٢ .

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٢ - ٣ ؛ الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٥ ب .

(٢) الجنيني ، ترجمة الرملي ، ورقة ٣٣ أ + ٣٤ ب .

والمعاملات^(١)، والمسائل العقدية والعملية وهي أجوبة تقدم صورة حقيقية تعكس أوضاع البلدان الفلسطينية السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، وتصور الواقع السائد آنذاك، وجل هذه الفتاوى تفتقر إلى عنصرى الزمان والمكان، وهما عنصران مهمان للباحث ودارس التاريخ، وباستثناء فتوى واحدة ترتبط بسؤال وجه للرملي^(٢) فجميعها ترد دون تأريخ للحوادث.

كما أن معظمها بمنزلة أسئلة يجهل سائلها مما يصعب على الباحث إمكانية تتبع الحوادث التاريخية المرتبطة بالفتوى في المظان التاريخية الأخرى المعاصرة، باستثناء فتاوى محددة وردت من دمشق الشام^(٣) وإستانبول^(٤) ودمياط في مصر^(٥) وطرابلس الشام^(٦) والمدينة المنورة^(٧) ومن مدن فلسطين: غزة^(٨) وبيت المقدس^(٩) والفتاوى التي ترد مرتبطة ببعض المدن يرد أسمائها في ثنايا الفتوى

(١) تنتهج الفتاوى الخيرية المنهج العام المتبع في ترتيب كتب الفتاوى المتعارف عليه، وتضم كتباً في الصلاة، والطهارة، والزكاة، والصوم، والحج، والنكاح، والرضاعة، والطلاق، والإيمان، والحدود، والشركة، والوقف، والبيوع، والكفالة، وبعض الكتب تضم أبواباً مثل: كتاب السير الذي يضم باب العشر والخراج والجزية وغيرها.

(٢) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ١، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦، ١٦، ٥٢، ٥٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٨،

٢٠٤، ٢٠٥، ج ٢، ص ١٦ - ٢٢، ٢٤ - ٢٤، ٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٤ - ١٨٧، ١٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١ - ١٢، ٧٤ - ٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٧) لمصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٥.

(٨) لمصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣، ج ٢، ص ٩٥، ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٦، ٤٨١، ج ٢، ص ١٩٠، ٢٣٧، ٢٣٩، ١٩٠.

مثل : نابلس (١) ، وصفد (٢) ، واللد وحيفا (٣) ، ويافا (٤) ، وبيت لحم (٥) ، والرملة (٦) ، وعكا (٧) .

ومن خارج المنطقة فتوى واحدة يرد فيها ذكر مدينة بغراس (٨) ، وأما بقية الفتاوى الأخرى ، والتي تشكل أكثر من (٩٥٪) من مجموع الفتاوى لم يرد فيها ذكر لأسماء القرى مما يدعوننا للافتراض أنها في جلها فتاوى محلية تنتمي في مجموعها الى المدن والقرى الفلسطينية .

وجل الفتاوى وردت في صيغ قصيرة على شكل سؤال وجواب وغالبيتها نشرية ، إلا أن هناك فتاوى ترد نظماً (شعراً) ، ويرد عليها الرملي نظماً من شعره (٩) ، وأحياناً يستحضر في فتواه شعراً لغيره ، ويلاحظ أن رده على معظم الفتاوى يأتي بصيغ مباشرة ، وفي كثير منها يستشهد بأراء سابقيه من علماء

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٦٠ ج ٢ ، ص ٢٨ ، ١١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، ٢٠٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٨) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ ، بغراس : مدينة في لحف جبل اللكام ، على بين

القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس . أنظر الحموي ، ياقوت (ت

٦٢٢٨ هـ / ١٢٢٨ م) ، معجم البلدان ، ٥ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) ، ١٠ م ،

ص ٥٥٢ ، - ٥٥٣ ، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : ياقوت ، معجم البلدان .

(٩) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٣١ ، ٤١ - ٤٢ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ج ٢ ، ص ٧ - ٨ ، ٥٣ ، ٧٠ ، ٧٥ -

٧٦ ، ٩٨ ، ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ .

الفتيا وأصحاب المصنفات والمجاميع الفقهية^(١) التي تعضد رأيه الفقهي .
والمدقق في فتاوى الرملي يلحظ فيها مقومات الفقيه الذي ارتفع عن درجة التقليد ، وبلغ مرتبة يستطيع فيها الترجيح بين الأقوال المتعارضة ، فهو يستعرض آراء الفقهاء الذين تناولوا المسألة المعروضة ، ويناقشها بعمق ، ثم يرجح منها ما يراه أنسب ، ويتبنى ما يراه مناسباً لظروف الفتوى المعروضة ، وبما يتلائم مع خصوصية المجتمع الفلسطيني ، وظروفه المستجدة وأعرافه السائدة .
واستند الباحثان في قرأته لهذه الفتاوى إلى إستقراء المادة الأولية المتصلة بالزراعة ، وأنواع ملكية الأرض والضرائب ، وأساليب الجباية ، وأساليب الإستثمار الزراعي ، ومستوى معيشة الفلاحين إلى استخلاص المادة المتاحة ، وتوظيفها دون الإشارة إلى نص السؤال والجواب . إلا في الحالات التي إعتقدا فيها إن إيراد النص أو جزء منه يعطي دلالة أبلغ من الإشارة للمضمون .

٢- ملكية الأرض : تتوزع الأراضي في قرى فلسطين على ضوء الفتاوى إلى أراضي الملك^(٢) ، والأراضي السلطانية (الأميرية)^(٣) ، وأراضي

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج١ ، ص ١٧٩ ، ٩١ ، ٢٠٣ ، ج٢ ، ص ٨ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ٢٣٣ .

(٢) وهي الأرض التي يناط بملكها حق التصرف بربقتها سواء بالبيع أو الرهن أو القسمة أو الشفعة لأنه يعتبر مالاً لها . انظر : نقولا نقاش ، (منترجم) قانون الأراضي العثماني ، بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م ، ص ٢-٣ ، وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : نقاش ، قانون الأراضي .

(٣) وهي الأراضي التي تعود ملكيتها لبيت المال وتشمل المزارع والمراعي والمسارح الشتوية والصيفية والمحاطب والغابات التي يعطى حق التصرف بها من قبل الدولة . نقاش ، قانون الأراضي ، ص ١٤ .

الوقف (١) ، والموات (٢) ، والأراضي المتروكة (٣) ، وتتنوع الأراضي الموقوفة إلى أوقاف خيرية ، وأوقاف ذرية ، وأراضٍ حكر ، وأراضٍ إرصادية .

أ - أراضي الملك:

وأراضي الملك التي يشار لها في الفتاوى محدودة ، والمقصود بها الأراضي التي يملك أصحابها حق التصرف بها بالبيع أو الرهن أو الوقف والإرث والقسمة والشفعة ، وسائر وجوه التصرف المشروعة ، وهي قليلة قياساً بالأراضي الأميرية ، والأراضي الموقوفة ، وتتألف أساساً من الأراضي المخصصة للبناء والخواكير (٤)

(١) الوقف : هو حبس العين على جهة من جهات الخير ، وهو نوعان : الوقف الخيري على المنشآت ذات النفع العام كالجوامع والمساجد والبيمارستانات والزوايا والتكايا والتراب والأضرحة ، وعلى أعمال البر والتقوى ، والوقف الذري الذي يوقفه أصحابه على أنفسهم طوال حياتهم ، ومن بعدهم على أولادهم وأولاد أولادهم وعقبهم إلى أبد الدهر ، وفي حالة انقطاع الذرية فإن الوقف يتحول إلى وقف خيري .
البخيت ، الرملة ، ص ٩٣ .

(٢) وهي الأرض غير الصالحة للزراعة ولا يوجد فيها أثر للبناء والزرع ، وغير المملوكة لأحد ، والمنقطعة عن العمران لأكثر من ميل ونصف وتُملك بالإحياء ، وفي حال الإحياء تصبح أرضاً مملوكة تؤدي العشر . نقاش ، قانون الأراضي ، ص ٧٠ .

(٣) وهي أراضي العرش المخصص للاستعمال العام المشترك لأهالي قرية أو عدة قرى ، وتستغل من قبل المجموع العام للسكان ، وتشمل الأراضي المتروكة لعامة الناس مثل الطرق ، والأراضي المتروكة لأهالي قرية بعينها ، أو مجموعة قرى مثل المراعي والأحراش وأماكن الاحتطاب والبيادر . نقاش ، قانون الأراضي ، ص ٧٠ .

(٤) الحاكورة قطعة أرض تحكر لتزرع بالأشجار وغيرها قريبة من الدور والمنازل . محمد مرتضى الزبيدي ، (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ١١ ، تحقيق : عبدالكريم الغرباوي راجعه : عبدالستار أحمد فراح . مطبعة حكومة الكويت . ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م . مادة (حكر) .
وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الزبيدي ، تاج العروس .

الصغيرة الملحقة بالدور والبساتين^(١) والكروم المغروسة بالأشجار المثمرة^(٢) .

ب - الأراضي السلطانية:

تشكل الأراضي السلطانية مساحات كبيرة من الأراضي المشار إليها في الفتاوى ، وتذكر أحيانا بإسم الأراضي الخراجية ، وأراضي الميري ، وأراضي بيت المال ، وهي إمتداد لمفهوم الأراضي الخراجية ، في ضوء تنظيمات الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب « رَضِيَ اللهُ عَنْهُ » الذي جعل معظم الأراضي في البلاد المفتوحة في العراق والشام ومصر أراضي خراجية ، وجعلها فيئا (وقفا) على مجموع الأمة ، وتركها بيد أصحابها الأصليين يعملون عليها كمستأجرين لا كمالكين ، وفرض عليها الخراج ، وعلى رؤوسهم الجزية ما داموا محتفظين بديانتهم ، إنطلاقا من نظرة الإسلام اليهم بإعتبارهم أهل ذمة ، ووديعة بين المسلمين^(٣) .

واستمرت الأراضي الخراجية طوال فترات التاريخ الإسلامي ملكاً للأمة

(١) وهي أصغر وحدة زراعية في التقسيم الإداري والمالي العثماني ، وهي الأرض التي ينصب فيها رجلا كرما أوغراسا ، وإذا كانت الأشجار قريبة من بعضها البعض بحيث لا يمشی فيها الفدان ولا يمكنه حرثها . أنظر : عبد المجيد شعبان ، ريف دمشق من خلال سجلات المحاكم الشرعية (١٧٠٠ - ١٧٢٥م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة تونس ، ١٩٩٨م ، ص ٧٧ . وسيشار إليه عند وروده ثانية : شعبان ، ريف دمشق .

(٢) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ ج ٢ ، ص ١٣ ، ٢٥ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ١٥٥ ، ١٦٣ .
(٣) حول ملكية الأرض في الإسلام . أنظر : عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، (د . ط) ، (د . ت) ، ص ٩٠ وما بعدها ؛ غيداء خزنة كاتبي ، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٤م ، ص ٨٠ وما بعدها . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : كاتبي . الخراج .

يتصرف بها الخلفاء والسلاطين المتعاقبون ، حتى آلت السلطة للعثمانيين ، على الرغم مما طرأ عليها من تطور وتناولتها الأيدي بالتمليك (أراضي عشر) ، والوقف ، واكتسبت في العهد العثماني صفة الأراضي الميرية .

ومع نشوء نظام الإقطاع الحربي^(١) (العسكري) في العصرين البويهبي (٣٣٤ - ٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) والسلاجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٢م) وتعميمه في العصرين الأيوبي والمملوكي وإتساع نطاقه ليشمل كل العراق وبلاد الشام ومصر ، ومع مجيء العثمانيين توسعوا في تطبيق نظام الإقطاع ، وتوزعت أراضي بلاد الشام عموماً وفلسطين خصوصاً إلى إقطاعات تندرج تحت ما يسمى الخاص^(٢)

(١) حول نشأة الإقطاع العسكري وتطوره . أنظر : إبراهيم طرخان ، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في

العصور الوسطى ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨م . ص ٦٥ وما بعدها . ؛ كلود كاهين ، تطور

الإقطاع العسكري ما بين القرنين التاسع والثالث عشر ، مجلة الاجتهاد ، بيروت ، ١٤ ، خريف

١٩٨٨م ، ص ١٩٣-٢٤٢ . وسيشار إليه عند وروده ثانية : كاهين ، الإقطاع العسكري ؛ عبد العزيز

الدوري ، نشأت الإقطاع في المجتمعات الإسلامية ، مجلة الاجتهاد ، ١٤ ، خريف ١٩٨٨م ، ص

٢٤٣-٢٦٧ ؛ أن لاميتون ، نظرات في الإقطاع ، مجلة الاجتهاد ، ١٤ ، خريف ١٩٨٨م ، ص ٢٦٩ -

٢٩٢ . ؛ وسيشار إليه عند وروده ثانية : لاميتون ، نظرات في الإقطاع ؛ عليان الجالودي ، الإقطاع

العسكري في عصر سلاطين السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره ،

المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، عمان ، ٢م ، ١٤ ، آذار ٢٠٠٨م ، ص ٤٣-٦٨ .

(٢) وهو نوعان خاص همايون أو خاص شاهي أو السلطاني ، وهو أعلى أنواع الإقطاعات دخلاً وتنحصر

للسلاطين ، وتمنح قسم منها كتيمارات ، ويحق للأهالي التصرف بها واستغلالها مقابل ضريبة العشر

التي تدفع لخزينة الدولة ، والنوع الثاني فهو خاص أمير اللواء ، ويمنح هذا النوع من الإقطاع لخواص

السلطان وخواص الوزراء ، وأمير الأمراء وأمير اللواء . أنظر حوله : قوانين نامة آل عثمان تأليف علي

الصوفييري منشور ضمن : خليل ساحلي اوغلو ، تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني ، مركز

الأبحاث للتاريخ والثقافة الإسلامية ، استانبول ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٨٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما

بعد : الصوفييري ، قوانين نامة ؛ جب وبوون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٧٤ -

والزعامت^(١) والتمييز^(٢) ، والذي يرد صداه في الفتاوى الخيرية التي نحن بصدد قراءتها ، ونستخلص من الفتاوى أن الأراضي الميرية ملكاً لبيت المال ، والمزارع المقيم عليها لا يملك سوى حق الإنتفاع بها ، ويؤدي الخراج المقرر عليها لبيت المال^(٣) ويزرعها الفلاح بأحد وسائل الإستثمار الزراعي على الثلث أو الربع أو الخمس ونحو ذلك ، ولا ملك له فيها ولا يجوز له بالتالي التصرف بها بالبيع أو الرهن أو الهبة ، ولا غير ذلك من الأحكام التي تجري في الملك ، وحق الإعطاء والمنح للسلطان او من ينوب عنه^(٤) .

ويفقد الفلاح المستأجر لها حقه فيها لمجرد تركه لها بصفة اختيارية ، ولا يجبر على تركها^(٥) ويحتفظ بحقه في إستثمارها ما دام مقيماً عليها ويؤدي ما عليها من حقوق سلطانية (ضرائب)^(٦) وللفلاح الحق في زراعتها ، وغرس الأشجار المثمرة فيها ، وحق فراغها وبيعها والتخلي عن زراعتها وتأجيرها لغيره ليزرعها نيابة عنه ، والتخلي عنها مادام راغباً في ذلك^(٧) .

وحالات بيع الأرض الخراجية التي أجازتها الفتاوى يمكن تفسير جواز البيع

(١) وهو الإقطاع الذي يدر وارداً ما بين (٢٠.٠٠٠ - ٩٩.٩٩٩) أقة سنويا ، وهو مخصص لكبار رجال

السباهية . البخت ، الرملة ، ص ١٩١ ؛ الصباغ ، المجتمع العربي السوري ، ص ٢٦ .

(٢) وهو أصغر أنواع الإقطاع ويتراوح وراده ما بين (٢٠٠٠ - ١٩.٩٩٩) أقة سنويا ويمنح لصغار السباهية .

أنظر : عبد الكريم رافق ، الفئات الاجتماعية وملكية الأرض في بلاد الشام في الربع الأخير من

القرن السادس عشر ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ١٩٩٠م ، ص ١١٤ ، وسيشار إليه عند

وروده فيما بعد : رافق ، الفئات الاجتماعية ؛ الصباغ ، المجتمع العربي السوري ، ص ٢٦ .

(٣) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ١٥٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ . ج ٢ ، ص ١٤ ، ٧١ .

فيها بأنه حق ممنوح للمنتفعين فيها منذ القدم وهم الذين تشير لهم الفتاوى بأسم ماليتها، وعلى العموم فلا تتعدى عمليات البيع بيع حق الانتفاع والاستغلال لها لا بيع الرقبة^(١).

وفي حالات أجازت الفتاوى لوكيل بيت المال بيع عقار لبيت المال بضعف قيمته لما فيه منفعة لبيت المال^(٢)، ودرجت الدولة العثمانية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين إلى إقطاع الأرض السلطانية للقوات العسكرية وموظفي الإدارة، وجميع الإقطاعات التي أشارت لها الفتاوى هي من نوع التيمار الذي يعطى للسباهية^(٣) نظير عطائهم من بيت المال^(٤) ولم تجز الفتاوى للسباهي حق التصرف بأرض التيمار بالبيع أو إجبار الفلاحين على الخروج منها وإعطائها لغيرهم^(٥) وليس له الحق بإستيفاء شيء سوى المقرر له من بيت المال. فعلاقة السباهي بالأرض علاقة إنتفاع بما هو محدد له من قبل السلطان أو نائبه «فلا ملك له في رقبته ولا يجوز له ولا يصح منه وقفها، ولا

(١) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ١، ص ٩٥، ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٥، ٢٢١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١١٩، ٢٢١. والسباهي هو الجندي الخيال وهو صاحب الرتبة الدنيا في القوات التيمارية في الولايات. أنظر: فاضل بيات، بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، ج ٣، عمان، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ م، ج ١، ص ٣٨٣. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: بيات، بلاد الشام في دفاتر المهمة، وكانت الدولة تمنح للإداريين والعسكريين إقطاعاً يغل على المقطع دخلاً محددًا، ويتعهد المقطع مقابل ذلك بتقديم عددا من الفرسان للخدمة العسكرية. أنظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠ م، ص ٤٣. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: صابان، المعجم الموسوعي.

(٤) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ١، ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١١٩، ٢٢١.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٦، ج ٢، ص ١٦٧.

تصرفه فيها بما يخرجها عن ملك بيت المال ، ولا تورث عنه ، وللسلطان أن يخرجها عنه إلى غيره فيده عليها يد أمانة»^(١) ، وتصدت الفتاوى لظاهرة النزول (التنازل) عن التيمارات التي يبدو أنها كانت شائعته في ذلك العصر . أو كما يقول الرملي «كما هو واقع في زماننا . . لأن التيمار هو عطاء المقاتل ، وما ملكيته من بيت المال ، وولاية الإيعاء والمنع في ذلك للسلطان . لا لمن هو مكتوب عليه فبيعه والنزول عنه بمال غير صحيح»^(٢) .

وفي الوقت الذي يحظر على السباهي بيع الثمار يجوز له إجارة الأرض لمن يرغب بإستئجارها^(٣) .

ج - أراضي الوقف:

حظيت الأوقاف بنوعيتها الخيري والذري بمساحات واسعة من أراضي فلسطين واستحوذت على معظم الفتاوى المتعلقة بالبيع والهبة والرهن والإجارة والمغارسة والمساواة ، وشملت الأوقاف الخيرية جهات كثيرة من الأوقاف المخصصة للحرم الابراهيمي في مدينة الخليل وسماطة والفقراء المجاورين^(٤) ، وعلى المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة^(٥) ، والأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين^(٦) ، وعلى الروضة الشريفة^(٧) والعمارة العامرة في القدس

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج٢ ، ص٦١ ، ٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١١٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٨ ، ١٠٥ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢١٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٠٩ .

(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٩٠ ، ج٢ ، ص١٢٦ .

الشريف^(١) وعلى الصوفية^(٢) والزوايا^(٣) والمدارس^(٤) والعلويين الساكنين ببيت المقدس^(٥) والأوقاف المصرية في الديار الشامية^(٦) ناهيك عن الكثير من الإشارات التي أشارت إلى أراضٍ وعقارات موقوفة ولم تبين الجهات الموقوفة عليها .

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٥٣ . ويقصد بها تكية خاصكي سلطان التي أنشأتها روكسلانة خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩ هـ / ١٥٥١-١٥٥٢ م لإطعام الفقراء والطلبة ، ووقفت عليها عقارات كثيرة في جميع أنحاء فلسطين وهي من أهم المنشآت التي أقامها العثمانيون في بيت المقدس . أنظر حولها : العسلي ، كامل جميل ، من آثارنا في فلسطين ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨٢ م ، ص ٩ - ٣٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : العسلي ، من آثارنا ؛ نجم ، رائف يوسف ، وعبد الجليل عبد المهدي ويوسف النتشه وبسام الحلاق وعبد الله كلبونه ، كنوز القدس ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت ، ط ١ ، عمان ، ١٩٨٣ م . ص ٣٦٤-٣٦٦ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : نجم وآخرون ، كنوز القدس ؛ محمد عدنان البخيت ، حيفا في العهد العثماني الأول : دراسة في أحوال عمران الساحل الشامي ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، ١٩٧٨ م ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (١٥١٦-١٩٣٩ م) ج ١ ، ٢٩٩-٣٢٢ وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : البخيت ، حيفا .

(٢) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ٢١٥ .

(٥) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٥٣ والعلويون هم الإشراف الذين ينتسبون لآل علي بن أبي طالب (عليه السلام) من نسل ولديه الحسن والحسين رضي الله عنهما . أنظر : اردنك ، مقالة شريف ، دائرة المعارف الإسلامية العربية ، م ١٣ ، ص ٢٦٩ ؛ إسماعيل حقي جارشلي ، أمراء مكة المكرمة في العصر العثماني ، ترجمة : خليل مراد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٥ م ، ص ١٩-٢٢ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : جارشلي ، أمراء مكة .

(٦) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٨٨ . ويقصد بها الأوقاف المتصلة ببعض المؤسسات الخيرية الموجودة في مصر ، أو الأوقاف التي أوقفها المصريون في بلاد الشام على وجوه الخير .

والأوقاف الذرية موقوفة على الواقف وذريته ، وتتألف من أراض وبيساتين وطواحين^(١) ، وحفلة الفتاوى بالإشارة إلى حالات كثيرة يستفسر أصحابها عن آلية تقسيم الحصص بين الورثة المنتفعين من الوقف . خصوصاً في الأوقاف التي تقام عليها الزمن ، وانقرض الكثير من الأصول والفروع ، وأتت هذه الأوقاف بدورها إلى فروع الفروع .

وأشارت الأوقاف إلى حالات مشتركة بين الوقف الخيري والوقف الذري ، وغالبا ما تؤول الأوقاف الذرية بعد انقراض الذرية إلى جهة ما من جهات الخير^(٢) ، وهناك إشارات إلى عقارات مشتركة بين الوقف الذري والملك^(٣) وأراضي مشتركة تتداخل فيها أراضي الوقف مع الأراضي السلطانية^(٤) ، وأوقاف مشتركة بين الوقف الخيري والوقف الذري^(٥) .

وأشارت الفتاوى إلى بعض الظواهر المرتبطة بالأوقاف مثل ظاهرة التحكير (الحكر) للبناء باجرة المثل^(٦) ، ويبدو أن التحكير في حالات كثيرة كان وسيلة

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ١١٨ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٥ ، ٢٤٤ . ج ٢ ، ص ٩٥ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٨ .

والتحكير أو الحكر : هو إستئجار الأراضي والعقارات الموقوفة من قبل مالكي الغراس أو ناظر الوقف لمدة طويلة ومنها اشتق الفعل أحكر بمعنى أجر أو استحكر ، وتتجاوز مدة التحكير أحياناً العشرة عقود والعقد الزمني في الاصطلاح القضائي سنتين أو ثلاث سنوات حسب إتفاق المتعاقدين ، والحكر أكثر إرتباطاً بوقف الغراس بنوعية الخيري والذري ، وكان أسلوباً لإستغلال الأرض بمبلغ زهيد . شعبان ، ريف دمشق ، ص ٣٤٠-٣٤١ . وبالمثل : يقصد به بدل الثمن الذي يدفع مقابل العقار .

غير مباشرة للإستيلاء على أراضي الوقف ، ومع أن التحكير نظريا يكون في الأرض القاحلة (الخالية من الزرع) ، وفي الأراضي الخربة والمعتلة التي لا يستفاد منها لجهة الوقف . فتعطى ببدل المثل لعمارتها^(١) . إلا أن هناك حالات تستهدف وضع اليد ، على الوقف من قبل النظار «فأحكر ناظر وقف ابنه الكبير أرض بستان للوقف . . . ولها شرب معلوم تسع سنين بأنقص من أجرة المثل نقصا فاحشا إذ أجرة مثلها أضعاف ما عقد عليه الاحتكار»^(٢) . ومن رجل إشتري من آخر نصف بستان وقف جار في الإستحكار . . . بما اشتمل عليه من آبار وشجر وبركة معدة لجمع الماء وإصطبل والآت بثلاثين عقدا ، كل عقد ثلاث سنوات بأجرة كل سنة تمضي أربعة قروش^(٣) .

ويطلق على الأراضي السلطانية التي يخصصها السلاطين لمنفعة جهة من جهات البر اسم الأوقاف الإرسادية . كأرض القرى الموقوفة من جانب السلطان

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٨ . أما القرش : هناك نوعان من القروش القرش العددي ويعادل (٤٠) مصرية ويعادل (١٢٠) درهما أو أقة أو قطعة معاملة ، وهناك القرش الاسدي الصحيح . فهو نقد أوروبي بالأصل يعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي قلده العثمانيون . وقد بلغت قيمته في النصف الأول من القرن السابع عشر (٣٠) قطعة مصرية ، وفي النصف الثاني منه تراوحت بين (٣٣-٤٠) قطعة مصرية . أنظر : ليلى الصباغ ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٩ م ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الصباغ ، الجاليات الأوروبية ؛ رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي ، ص ٨٦ ؛ عربيات ، ناحية الرملة ، ص ٢٤٢ ؛ خليل ساحلي ، سنو الأزدلاف أو أزومات الإمبراطورية العثمانية المالية ، تعريب عبد الجليل التميمي ، المجلة التاريخية المغربية ، تونس ع ١٢ ، جويليه ، ١٩٨٧ م ، ص ١٤٢ - ١٧٢ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : ساحلي ، سنو الأزدلاف .

على مصالح زاوية منسوبة إلى ولي أو جهات أخرى وفقاً إحصادياً^(١) .
وتشي الفتاوى بأن الأوقاف في فلسطين خلال هذا القرن تعرضت لكثير
من التجاوزات سواء التحكير الذي أشرنا له سابقاً ، أو بوضع اليد والغصب من
قبل المتنفذين والنظار والمتولين وأهل الشوكة وبيع الأوقاف بحجة خرابها^(٢) ، أو
تأجيرها بعقود طويلة الأجل وبأجور زهيدة ، ناهيك عن ظاهرة الإستبدال سواء
بالنقد أو بأرض مماثلة^(٣) وعانت الأوقاف من ظاهرة التنازل عن الوظائف مقابل
المال^(٤) ناهيك عن تضخم أعداد الفئات المستفيدة من ريع الوقف^(٥) حيث لم
يعد هذا الريع قادراً على الإيفاء بمخصصاتهم مثل «وقف على مدرسة - انتصب
لهذا الوقف ثلاثة متولين ، وكاتب ، وجابيان . . . استغرقوا نصف غلة
الوقف»^(٦) ، ومدرسة لها مدرسان حنفي وشافعي ، وثلاثة متولين ، وثلاثة نظار ،
وكاتب ، ومشرف ، وثلاثة جباة ، ونائب ناظر ، وبواب ، ومؤدب ضاق ريع الوقف
عن الوفاء بعلوفاتهم^(٧) .

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٠٠ ، ١٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢١٠ ، ٢٤٢ ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ٢١٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣ ، ١٧٧ ، ١٩٣ ، ١٦٩ ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

ج - الأرض الموات^(١)؛

إن الإشارات للأرض الموات في الفتاوى محدودة مما يشي بندرة الموات ، وقاعدة تملك الموات لم يطرأ عليها تغيير جوهري منذ عهد الرسول (فهي تملك بالإحياء ومحيتها هو أحق بتملك رقبته^(٢) ، وأما الصهاريج (آبار الجمع) الموجودة في المنازل ، والقرى والقصبات لإحراز الماء النازل من السماء فهي مملوكة لأربابها هي والماء المحرز بها^(٣) .

٣- الضرائب وأساليب الجباية؛

تتجسد الضرائب التي أشارت لها الفتاوى بنوعين الأول : فيتمثل بالضرائب الشرعية وفي مقدمتها ضريبة العشر التي تفرض على أراضي الملك ، وأراضي الوقف ويجبي على مقدار الناتج وتتراوح بين عشر الناتج الى النصف ، والخراج المفروض على الأراضي الأميرية (السلطانية) وتجبي عيناً أو نقداً عن المحاصيل والأشجار المثمرة والكروم وأشجار الزيتون والمحاصيل الصيفية والشتوية ، وعداد الحيوانات والنحل^(٤) . وتجبي الجزية من أهل الذمة (اليهود والنصارى) .

(١) وهي الأرض الخالية التي ليست في تصرف أحد وغير مخصصة للأهالي ، وبعيدة عن العمران بدرجة لا تسمع فيها صيحة الرجل الجمهوري في أقصى العمران بمقدار ميل ونصف أو بنصف ساعة كمسافة زمنية ، ومحيتها حق تملكها بإذن الدولة . نقاش ، قانون الأراضي ، ص ٧٠ .

(٢) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٤) جب ويون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٠ - ١١ ؛ مباحات كوتوك اوغلى ، البنية الاقتصادية في الدولة العثمانية ، ضمن كتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، م ٢ ، إشراف وتقديم ، أكمل الدين إحسان اوغلى ، نقله إلى العربية ، صالح سعداوي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، استانبول ، ١٩٩٩ م ، ص ١٠٦ ، ص ٦٤٢ وما بعدها ؛ وانظر كذلك : Houtteruth ،

Historical Geography, p.p. 71- 81.

كما تجبى الدولة الرسوم على الطواحين ورسومها على المعاصر سواء كانت معاصر الزيتون أو السمس أو العنب^(١). أما النوع الثاني فيتمثل : بالعوارض السلطانية : والتي تفرضها الدولة لمواجهة النفقات الطارئة لهذا سميت عارضة ، وفرضت في الأصل لمواجهة النفقات العسكرية في المناطق التي تتعرض للحرب والكوارث الطبيعية ، وتفرض بقرار سلطاني ، لذا فهي تعرف بالعوارض الديوانية^(٢).

ويطلق عليها رسم طيارات (البادهوا)^(٣) مثل رسم جنایات ورسم عروس^(٤) ورسم طابو الأرض ، ورسم طابو البيت ، ورسم الدخان ، والعبد الأبق ، والحيوان الهارب ، ومال الغائب والمفقود ورسوم الحماية ، ورسوم الاحتساب^(٥).

(١) خليل ساحلي أوغلو ، قانون نامه آل عثمان ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، م ١٣ ، ع ٤ ، عمان ، ١٩٨٦م ، ص ١٦٠ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : ساحلي ، قانون نامه .

(٢) ساحلي ، قانون نامه ، ص ١٨٠ .

(٣) بادهوا : مصطلح فارسي مكون من كلمتين هما : باد وتعني ریح ، وهواء العربية ، وتعني الضرائب غير المنتظمة . أنظر :

Lewis, B, "Bad - I Hawa", E.I2. Vol. I, p. 850

(٤) وهو رسم يفرض عند عقد النكاح ويفرض على المسلمات وغير المسلمات المتزوجات والشيب والمطلقات . أنظر حوله :

Lewis, B, "Arus Resmi " E.I2. Vol. I, p. 679.

(٥) حول هذه الرسوم أنظر : أحمد آق كوندز ، التشريع الضريبي عند العثمانيين ، ترجمة فاضل بيات ، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، عمان ، ٢٠٠٤ م ، ص ٧٦ ؛ عربيات ، ناحية الرملة ، ص ٢٠٩ -

وفي ضوء الفتاوى فإن الخراج هو بمنزلة الإجارة للأرض التي تعود ملكيتها لبيت المال ، ويلزم الفلاح دفعه في حال تركه للأرض الخراجية معطلة دون زراعة^(١) ، أما الجزية فيؤديها أهل الذمة عن رؤوسهم^(٢) ، أما أراضي الوقف ، فتؤدي العشر من غلالها الصيفي والشتوي وشجر زيتونها وغيره^(٣) .

وما هو متعارف عليه في عداد الزيتون ونحوه ، إنما يدفعه الغارسون في الأرض الموقوفة أو السلطانية أو المملوكة ويجري عليه ما يجري على الزرع الشتوي والصيفي بجميع ما يزرع في المقاث وسائر الخضروات والغلال^(٤) .

وتميز الفتاوى بين الزيتون المملوك للعامة (الزيتون الغرس) الذي يؤدي عنه مالكة العشر ، والزيتون الرومي^(٥) (الروماني) وهو مملوك لبيت المال ، ويؤدي عنه الفلاح الخراج لبيت المال ، والمساواة بينهما في التعامل هو خارج عن الشرع^(٦) .

وتشير الفتاوى إلى أسلوبيين من أساليب جباية الخراج هما : خراج المساحة

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٨ .

(٥) وهو الزيتون الذي يمتاز بقدمه وجودة إنتاجه ويؤخذ خراج نصف الإنتاج فيكون النصف للفلاح والنصف للدولة ، أما الزيتون الإسلامي فيؤخذ منه أجرة واحدة وأساس التمييز أن شجرة الزيتون الروماني موجودة ولا دخل للفلاح بزراعتها ؛

Hötteruth, Historical Geograephy, p. 51.

(٦) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(الوظيفة)^(١)، وخراج المقاسمة^(٢)، وكثرة الإشارة في الفتاوى إلى خراج المقاسمة يشير إلى أنه الأسلوب المتبع في جباية الخراج في بلاد الشام الجنوبية^(٣)، نظراً لطبيعة الزراعة في جنوب بلاد الشام التي هي من نوع الزراعة البعلية التي تعتمد على مياه الأمطار، والتي تتسم بالتذبذب من موسم لآخر، ولذا، فإن اللجوء إلى أسلوب المقاسمة في جباية الخراج فيه عدالة للطرفين الدولة أو التيماري والفلاح، وتؤكد الفتاوى على ضرورة العدالة في معاملة الفلاحين وضرورة إسقاط الخراج في السنوات التي يتعرض فيها المحصول للاضرار كالغرق، والحرق وشدة البرد، أو الآفات كالجراد، والفئران، والدود، والنمل «لأن العلة عدم القدرة على المنع، وهذا هو الصحيح والأقرب للعدل والأبعد عن الظلم»^(٤)، ولم تجز الفتاوى الحدس والتخمين في تقدير حصص الفلاحين في الشعير والحنطة والقطن^(٥)، وفي حال خراب الأرض وجلاء أهلها عنها بسبب كثرة المغارم، فإما أن يدفعها السلطان لغيرهم ليعمروها، وإن لم يجد من يرغب بأخذها مزارعة عندئذ يعرضها للإيجار، وإن لم يجد من يستأجرها،

(١) وهو أخذ مبلغ محدد من المال يؤخذ بشكل مقطوع على الأرض وفقاً لمساحة الأرض المستغلة ونوع المزروعات. انظر: كُوتوك، البنية الاقتصادية، ص ٦٤١؛

Bakhit, M.A. the Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century. Librairie du Liban Beirut, 1982. p. 147. ; Lewis.B. Study in Clasical and Ottoman Islam (7th-16th) Centuries, Variorum Reprints, London, 1976, pp. 483-485.

(٢) وهو أخذ حصة متفق عليها من الفلاح من ناتج الأرض أو تحديد نسبة ثابتة من المحصول كالثالث أو الربع أو النصف، والذي يحدد هذه النسبة هو كمية الإنتاج ونوع الغلة ودرجة الخصوبة وشروط السقي والعادات والتقاليد والأعراف المحلية. انظر: كُوتوك، البنية الاقتصادية، ص ٦٤١.

(٣) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ١، ص ٩٤، ٩٩. ج ٢، ص ١١٩، ١٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٧، ٩٨.

فانها تُباع وإن لم يجد من يشتريها يدفع للمزارع مقدار ما ينفق في عمارة الأرض على سبيل القرض^(١) .

وفي حالة القرى المشتركة بين الأراضي السلطانية والوقف التي تعرضت للخراب بسبب الظلم وكثرة التكاليف ، وعدم قدرتها على احتمال الربع إضطر متولي الوقف بمعرفة قاضي الشرع إلى تخفيض قيمة المزارعة الى الخمس «لما رأى فيه ان لا عمارة لها بدون ذلك فجعل قسمها الخمس ورفع تلك الوظائف البدعية»^(٢) .

وتشير الفتاوى إلى تطبيق أسلوب الإلتزام بالمقاطعة في جباية الضرائب^(٣) ، من خراج وعداد شجر وغنم وغير ذلك بحال معلوم من أحد النقدين يدفعه الملتزم ويكون له ما يتحصل قليلاً أو كثيراً^(٤) ، ويظهر أن السباهية وكثيراً من يتقاضون عطاؤهم المخصص لهم من قبل الدولة من القرى المخصصة كتيمارات لهم ، كانوا هم أيضا يقاطعون على مال في مقاطعته على القرى والمزارع بمال معلوم يقبضوه مسبقاً ويؤجروه لغيرهم^(٥) .

وأشارت الفتاوى إلى وجوه متعددة من معاناة الفلاح وأبرزها الآثار السلبية المترتبة على الظواهر الطبيعية من جفاف وانتشار الأوبئة كمرض الجذام^(٦)

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(٣) وهو منح إقطاع من قبل السلطان بمال لدفعه للتخزين سنويا ، والمقطوع مبلغ ثابت ومتواضع من المال

يقبضه السباهي كل سنة ممن يقوم باستغلال إقطاعه وتحول المبلغ المقطوع مع مرور الزمن إلى قاعدة

عرفية جرت بها العادة ويمنع المقطع من تغييرها . شعبان ، ريف دمشق ، ص ٤٠٥ .

(٤) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، ٢٢٨ .

ومرض الطاعون^(١) وإنتشار الافات كالجراد^(٢) ، ناهيك عن موجات القحط بسبب الجفاف^(٣) . والغلاء^(٤) ، والعوامل البشرية المتمثلة بالفتن^(٥) التي تسببت بهروب الفلاحين وجلائهم عن قراهم^(٦) ، وإعتداءات اللصوص وقطاع الطرق^(٧) ، وغارات البدو الذين «يستعبدون الفلاحين ويبيعون فيهم ويشترون ويستحلون أموالهم بل وأنفسهم وعيالهم»^(٨) ، وسلوك عربان بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرهم من عربان البوادي «الذين يبيعون الحر ، ويقول بأثمه هذا فلاحي أبيعه لمن شئت وكيف شئت ، وأنصرف به بالرهن كيف شئت»^(٩) . ومن وجوه معاناة الفلاحين سلوك السباهية^(١٠) والقسامين^(١١) ، وأهل الشوكة ، والمتنفذين ، ونظار الوقف ، سواء من حيث التشدد في جباية حصص الدولة من الضرائب ، أو حصص الوقف ، من خلال المعاملة القاسية للفلاحين وحبسهم وضربهم ، أو إجبارهم على بيع أملاكهم بأثمان أقل من ثمنها

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، ١٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٨ ، ١٠٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٧ . ج ٢ ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٩ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

(١٠) الجندي الخيال : وهو من يتقاضى إقطاعاً من فئة التيمار مقابل الخدمة في الجيش أو إرسال من ينوب عنه ، وفي السلم تقتصر إقامتهم في القرى واستغلال أراضيهم المقطعة لهم . أنظر : ساحلي ،

قانون نامة ؛ اينالجك ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، ج ١ ، ص ١٧٣ - ١٧٥ .

(١١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

الحقيقي^(١)، «فرجل متولٍ على أوقاف سيدنا الخليل مسك جماعة من الفلاحين وسجنهم ظلماً بطريق غير شرعي»^(٢)، وشخص أمره سنجق اللواء ببيع عقاره لشخص من توابعه، فباعه خوفاً على نفسه وماله من ذلك السنجق بكى بمقدار نصف القيمة أو ثلثها^(٣)، وفي صاحب ولاية على أهل قرية قادر على إيقاع ضرب وحبس... طلب من رجل من أهلها ببيع عقار له، فباع خائفاً من إيقاع ذلك به، وأقر بأنه قبض الثمن مع أن ثمن المبيع أضعاف الثمن... وأنه كتب صك لدى قاض على صفة التطوع والاختيار^(٤)، وفي ذي شوكة^(٥) وتغلب خسف سقف رحي، وعطل منافعها، ولا قدرة لأرباب الوقف على منعه لشدة تجبره، وانتسب أيضاً إلى بعض الجوربجية^(٦)، وعطلها... ويدهم حجة حاصلها تصادق فلان وفلان وفلان الناظر الشرعي مع فلان وفلان

(١) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ٢، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٥، ١٠٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٣.

(٦) الجوربجية وأصلها جروبة جي: وجورية معناها الحساء من الكلمة الفارسية شوربة المشتقة من الفعل شرب بالعربية، وجورباجي الطباخ أو طاهي الحساء، وهو لقب أطلق على أميرلاي الفرقة الانكشارية (أورطة) وعلى الأعيان في المدن الصغيرة، كما أطلق في الفترات المتأخرة على أعيان القرى في الريف. أنظر: جب وبون، المجتمع الإسلامي والغرب، ج ١، ق ١، ص ١١٠؛ حسان حلاق وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، ط ١، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٦، ٢٣٧. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: حلاق وصباغ، معجم الجامع.

من الينكجيرية^(١) على أن يعمروها من مالهم وينتفعوا بها ، وعليه كل سنة خمسة عشر قرشا . . . وفي ذلك غاية الغبن الفاحش^(٢) .

وتعد الضرائب الاضافية وجهاً آخر من وجوه معاناة الفلاح ، والتي يجبر على دفعها ظلماً ، ويطلق عليها الرملي في فتاويه مسميات عدة منها ما يسمى العوائد السلطانية ، والمغارم السلطانية^(٣) ، والغرامات والمصادرات^(٤) ، والعوائد الظلمية ، أو التكاليف . والإشارات المتكررة لها في الفتاوى تشير بإستفحال هذه الظاهرة ، فهناك ما يسمى الخلعة التي يفرضها المتنفذون على الفلاحين في حال زواج أحدهم أو زواج أحد من أولاده^(٥) وهناك مال المحصول الذي يأخذه القضاة ظلماً في حال إخلاء سبيل شخص محبوس من قبضة الشرطة^(٦) ومال الفصل^(٧) الذي يضربه القسامة على أراضي القسم التي يزرعها الناس بالحصة

(١) واصلها الينكجيرية والتسمية مشتقة من الكلمتين العثمانيتين (Yeni Ceri) وتكتب بالتركية القديمة

يكي شاري ، وتلفظ بني شري أي الجيش الجديد وشاع نطقها الانكشارية . جب ويون ، المجتمع

الإسلامي والغرب ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٦ ؛ الحلاق وصباغ ، المعجم الجامع ، ص ٧٠ .

(٢) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٧ ، ٢٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، ١٤٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(٧) وهو ما يؤخذ من قبل القسامين زيادة عن حقهم من المزارعين . الحمود ، دراسة تاريخية ، ص ١٤٨ .

وأطلق على المفضول اسم المقتوع في بعض نواحي بلاد الشام والمفضول والمقتوع هو مبلغ من المال

على سبيل المقتوع يحصل من القرى عرضاً عن العشر والرسوم المفروضة لجهات الزعامة . سجل

محكمة القدس الشرعية ، مكتبة مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، الجامعة

الأردنية . سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١٤٠) ، ح ٢ ، ٥ ربيع الثاني ١٠٦١ هـ / ٦ نيسان

١٦٥٠ م ، ص ١٣١ .

على وجه الحزر والتخمين ، ويؤخذ قهراً وجبراً ، بأخذ حصصهم الزائدة عن حقهم من الفلاحين^(١) . وما يسمى مال سلطان ومشاهرة وخلعة وعيدية وخميسية^(٢) وكسر فدان^(٣) وياظجية ، ومباشرة ، وكيالة ، وقهوجية ، وقواسية ، وطباخة ، وسياسة^(٤) ، وفلاحة التي تفرض على الفلاح في حال تركه الأرض وتخليه عنها^(٥) ، وفتح المنجل^(٦) ، ونفقات الضيافة التي يُحمل

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٩٧ ، ٩٨ . ويقصد بأرض القسم الخراج المفروض على الأرض السليخ المزروعة حبوباً ، ويطلق أيضاً مقطوع أو عشر ، وإذا كانت الأرض المخصصة لزراعة الخضروات بحيث فرض على كل أرض مبلغ نقدي يعرف باسم الحقوق . كما يطلق على الأرض الزراعية المعدة للبناء . شعبان ، ريف دمشق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٧ ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ١٢٧ . ويفهم منها بأنها ما يؤديه الفلاح للتميارين عند افتتاح موسم الحصاد .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، ١٨٤ . الفدان : وهو مقدار ما يحتره زوج من البقر من الأرض في يوم وليله . وهو وحدة قياس مساحة ويساوي (٤٠٠) قصبه مربعة ، والقصبه تساوي (٣٩٩) سم ، وتساوي مساحة الفدان (٦٣٦٨) م^٢ ، هنتس ، فالتر ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٠ م ، ص ٩٨ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : هنتس ، المكاييل الإسلامية .

ويقصد بكسر الفدان : الضريبة التي تفرض على الفلاحين لتعويض السباهي عن ترك الأرض معطلة بسبب هربهم من الأرض . أنظر حولها : عبدالكريم رافق ، العلاقات الزراعية في ولاية الشام في العهد العثماني ، بحث منشور ضمن دراسات اقتصادية واجتماعية ، مكتبة نوبل ، ط ١ ، دمشق ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٥٩ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : رافق ، العلاقات الزراعية في بلاد الشام .

(٤) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٩١ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٧ . ويفهم من الفتاوى بأنها ضريبة تفرض على الفلاح عند افتتاح موسم الحصاد .

شيوخ القرى مؤونها للفلاحين^(١) .

وهناك ما يعرف بالمقاطعة بمال على الإحتساب^(٢) على القرى ، ومن المتعارف عليه أن الاحتساب وظيفة مختصة بالمدن ، غير أن الإشارات المتعددة تشي عن وجودها في القرى إذ يتضح من الفتاوى وجود الإختلاف بين المتنفذين حولها وحول عوائدها ويحسم الخلاف غالباً بأن يسقط أحدهما حقه بها (أي الحسبة) مقابل مال يدفع له مسبقاً^(٣) وبالرغم من الموقف الشرعي الراض لهذه الممارسات ، ويعدّها الرملي شكلاً من أشكال الظلم ، ولا أصل لها من الشرع ويحرمها^(٤) ، ولكن الرملي يقف عاجزاً أمام استفحال هذه الظاهرة بقوله : «أما زماننا فأكثر النوائب تؤخذ ظلماً ومن تمكن من دفع الظلم عن نفسه فهو خير له وإن أراد الإعطاء فليعط من هو عاجز عن دفع الظلم عن نفسه ليستعين به على الظالم»^(٥) .

وتظهر الفتاوى تشدد الرملي مع كثير من الجهات المسؤولة عن هذه الممارسات واعتبر شهادة مشايخ البلاد والمعرفين من الملاك والعرفاء من جميع الاصناف وجباة المحلات لا تقبل لأنهم على حد قوله فسقة (جمع فاسق) مردودون الشهادة لما يشاهد ويرى من أحوالهم مما يكاد لا يوصف^(٦) . كما أن شهادة أهل القرى والمزارعين في مزارعهم للوقف وشهادة أهل الأرض لوكيل الرعية والشحنة والرئيس والعامل لا تقبل لجهلهم وميلهم خوفاً منهم ، وكذلك

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج٢ ، ص٢٣٧ .

(٢) أو ما تسمى عادة احتساب وهي الرسوم الواجب دفعها للمحتسب وتُجبي عن البضائع عند البيع في السوق . ساحلي ، قانون نامة ، ص٢٤٣ .

(٣) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج٢ ، ص٥٦ ، ١٠٢ ، ١٠٣-١٠٢ ، ١٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٩٩ . ج٢ ، ص١٠٢ ، ١٠٣-١٠٢ ، ١٥٢ ، ١٨٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٤٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٥ .

شهادة المزارعين لرب الأرض اختلف فيها ، والمعتمد عدم القبول لفساد الزمان
والتهمة^(١) .

وترتب على هذه المظالم ظاهرتان بارزتان أشارت لهما الفتاوى:

الأولى : إضطرار الفلاحين وصغار الملاك الى الاستدانة ورهن ممتلكاتهم^(٢) ،
وبيع ممتلكاتهم للغير ومن هذه البيوع ما كان يندرج تحت الاحتيال والبيع
الصوري وهو ما تُطلق عليه الفتاوى ببيع الإلجاء^(٣) ، أو التلجئة ويطلق
عليه العرف المحلي إسم بيع الميمسة^(٤) ، فيتفق الطرفان فيبيعه عقاره
وليس بيع حقيقة وإنما هو لدفع مظلمة^(٥) .

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٢) تدعم سجلات المحاكم الشرعية ما جاء في الوثائق حول ظاهرة الاستدانة ورهن الفلاحين أرضيهم
وممتلكاتهم . انظر : سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١٤٠) ، ح ٢ ، ٥ ربيع الثاني
١٠٦١هـ / ٦ نيسان ١٦٥٠ م ، ص ٢٣١ ؛ سجل رقم (٢٢٧) ، ح ٣ ، ١٧ جمادى الأولى ١١٤٨ هـ /
تشرين الأول ١٧٣٥ م ، ص ٧٢ . وانظر : عربيات ، ناحية الرملة ، ص ١٧٣ وما بعدها .

(٣) الإلجاء لغة : الحماية والإكراه ولجأ إلى الشيء والمكان لجوءاً لاذ إليه واعتصم به ، والتلجئة الإكراه . أما
اصطلاحاً : فهي أن يلجئ صاحب الأرض أرضه إلى حامي ومتنفذ ليحتمي به من ظلم الولاية
وتعسف العمال والجبابة فتكتب الأرض باسم المتنفذ الذي يقوم بدفع الضريبة المتوجبة عليها وفي
الغالب تؤول ملكيتها له في النهاية . انظر : الفيروز آبادي ، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب
(ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) ، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ط ٦ ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٥١ - ٥٢ ؛ ابن منظور ، جمال الدين محمد ابن مكرم
(ت ٦٣٠ هـ / ١٣١١ م) ، لسان العرب ، ١٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، دار صادر ، ط ١ ، ١٩٦٨ م ،
مادة لجأ ، ١ م ، ص ١٥٢ ؛ كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية د . بدر
الدين القاسم ، دار الحقيقة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص ١٨٤ .

(٤) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

الثانية : وهي الأبرز وتتمثل بظاهرة هروب الفلاحين من قراهم ولجوئهم إلى القرى والمدن الأخرى^(١) . وترد في هذا فتويان تستحقان إيراد نصهما أو بعضاً منه . الأولى : «سئل في جماعة رحلوا عن بلدهم مما عليهم من الكُلف والأذى والظلم والبلاء واستوطنوا بلداً غيره ومكثوا فيه مدة سنتين . . . والآن اتبعهم رجلاً ولاء السلطان قساماً على بلدهم الأصلي لياخذ ما تحصل من قسم أرضه نظير عطائه في الديوان يسمى إسباهيا يريد جبرهم على العود الى ذلك الوطن . إلا أن يدفعوا له دراهم تسمى كسر فدان فهل يجبرون على ذلك؟ والحال أنهم تأهلوا في الوطن الثاني وتوسعوا فيه بحيث أن معظمهم لا يعرف حرفة الفلاحة بل منهم الحلاج والمكاري والتاجر وغيره . . . وكانت الإجابة (الفتوى)» تكليفهم بذلك ظلم وشين في الدنيا وشناعة لا يجوز فعلها بين أظهر المسلمين فإن المؤمن أمير نفسه فله الإقامة في أي بلد شاء . . .^(٢) .

وأما الفتوى الثانية : فإنه سئل في قوم رحلوا عن بلدهم بأوقات مختلفة إلى بلد اللد الموقوفة وسكنوا بها لكثرة الفتن ، وحظوظ الأنفس والجور والإختلاف ، فمنهم من لم يعرف بالفلاحة أصلاً ، ومنهم من عرف بفلاحة فقام بها غيره لما رحلوا من البلد من رحل فأقلهم من مدة خمس سنين ، وأوسطهم من رحل من عشر سنين وعشرين سنة وثلاثين سنة ، وغالبهم من أربعين سنة وخمسين سنة وستين سنة وجاءهم أولاد وأولاد أولاد لم ير بلد آباءه أصلاً ، والبلد له مقتطعون فربما ذكر أهل البلد النازلين بها أو غيرهم للمقطع أن هؤلاء اللذين رحلوا من بلدك وسكنوا بلد اللد فلاحوك وأهل بلدك ولو رددتهم اليه كان عامراً وكان فعله وافراً ، فهل يجوز في أهله من المملك لأحد أن يجبرهم على الرحيل من لد إلى البلد المذكور؟

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٥١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

وأفتى الرملي بعدم جواز إجبارهم على الرحيل من بلد «اتخذوه موطناً والفوه ويشق عليهم الخروج إلى وطن هجره، لأن المؤمن أمير نفسه يسكن أي البلاد أحب وأراد، ويعيش بأي بلد رأى الراحة لنفسه فيها من البلدان، ولا يسوغ في ملة من الملل ولا يحل في نحلة من النحل إزعاجهم وأخراجهم، وإن تعطل بسبب ذلك عشرهم وخراجهم... وكيف وخروجهم هروباً من الجور والفتن والظلم والمحن مع الداعي للإقامة من حب الوطن والباعث لملازمة المعتاد من السكن... إذ محبة الوطن مستولية على الطباع مستدعية لفرط الإلتياح»^(١).

٤- أساليب الإستثمار الزراعي:

أشارت الفتاوى إلى عدد من أساليب الإستثمار الزراعي وهي المزارعة، والإجارة، والمغارسة، والمساقاة، وهناك أساليب أخرى أقل شيوعاً وهي المقاطعة والشراكة والإعارة والقرض والمرابعة والقبالة.

والمزارعة هي إتفاق بين مالك الأرض والفلاح والأرض بينهما^(٢)، وشمل هذا الأسلوب كل أنواع الأرض سواء كانت الأرض السلطانية أو الملك أو الوقف^(٣)، وغالبا ما عرفت في الأرض المعدة لزراعة الصيفي والشتوي من حبوب وقطن وخضراوات يزرعها مزارع أو أكثر بالحصة كالنصف أو الثلث أو الربع أو الخمس^(٤)، ويتوقف تحديد حصة كل فلاح بالنسبة للآخر: على ما يقدم كل منهما من الآت الحرت (الفدان) والبذار، والعمل، والشواهد في

(١) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ٢، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ/٧٩٨ م)، الخراج، تحقيق محمد المناصير، دار كنوز المعرفة،

ط ١، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م، ص ٣٣٣-٣٣٥. وسيشار إليه عند وروده فيما بعد: أبو يوسف، الخراج.

(٣) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٥.

(٤) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ٢، ص ٢٨.

الفتاوى كثيرة: «فرجلان إتفقا على الزرع بعملهما وبقرهما وبذرهما سوية مناصفة ، ورجل دفع لآخر ثور على ربع الخارج^(١) ، وفي رجلين تشاركهما في الزرع وقال كل منها للآخر مهما زرعه ببذري وبقرتي فهو لي ولك مناصفة زرعاً^(٢) ، وفي فلاحين قال كل منهما للآخر : إزرع ببذرك ومهما زرعه يكون بيننا نصفان ، ويكون الخارج بينهما نصفان^(٣) ، وفي ثلاثة نفر من أحدهم نصف الفدان وربع البذار ، ومن الآخران ثلاثة أرباع البذر مناصفة والعمل عليهما ، والنتج على قدر البذر فلصاحب البذر ونصف الفدان ربع الخارج ، وللعاملين ثلاثة أرباع مناصفة بينهما»^(٤) .

ويظهر من هذه الإشارات ومن غيرها في الفتاوى^(٥) ، أن الركن الحاسم في تحديد عقد المزارعة وتقدير الحصص هو أدوات العمل خصوصاً الفدان ، الذي يظهر بانه الفيصل في تحديد حصص الشركاء .

وتأتي المؤاجرة (الإيجار) في المرتبة الثانية الأكثر شيوعاً من أساليب الإستثمار الزراعي ، وبما يميزها عن المزارعة هو الإيجار النقدي او العيني الذي يحدد مسبقاً ، ويدفع إما سلفاً (مقدماً) أو لاحقاً ، بعكس المزارعة التي ترتبط بحصة من المحصول عند جنيه ، والإيجار لا يقتصر على الأرض القراح (الخالية من الأشجار) ، بل ويشمل الأراضي المغروسة بالأشجار ، وكما يشمل إلى جانب الأرض العقارات الأخرى كالطواحين ، وتشمل كل أصناف الأرض المملوكة والموقوفة والميرية ، ولعل أهم ركنين أمدتنا الفتاوى بها في تحديد عقد المؤاجرة هما تحديد قيمة الإيجار ، وتحديد المدة الزمنية ، فمثلاً إستاجر رجل

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٨-١٧٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

أراضٍ وقف من المتولي بأجرة معلومة لمدة معينة لبيني ويغرس ما شاء^(١)، وفي أرض نصفها وقف على جهة بر ونصفها وقف على جهة أخرى أجر المتكلم عليها ثلثها شائعا (مشاعا) لرجل بمال يتناول ما يتحصل من الثلث المذكور من الغلال صيفيا وشتويا^(٢)، وفي أراضٍ سلطانية لبيت المال جارية في تيمار شخص أجرها بدراهم لشخص فزرعها المستاجر^(٣)، وفي رجل إستاجر من المتولى على أوقاف الحرمين جميع جهات وقف الحرمين بغزة والقدس ولُد والرملة ونابلس بيوت الوقف ودكاكينه وحماماته وبساتينه ومزارعه بسبعمائة قرش تحل في شهر رجب^(٤).

وما يلفت النظر عقود الإيجار الطويلة الأجل والتي غالبا ما ترتبط بأراضي الوقف المزروعة بالأشجار المثمرة فقد «إستاجر رجل أرض زيتون موقوفة لعشر سنين بخمسائة قرش ليأكل ثمره مدة العشر سنين^(٥)، وإستاجر آخر أرض وقف من متوليها مدة تسعين سنة بأجرة معلومة^(٦)، وأجر ناظر طاحونة موقوفة قيراطين منها تسعين سنة في عشرة عقود كل عقد تسع سنين بأجرة قدرها ثلاثون سلطاني^(٧)، وإستاجر رجل نصف بستان ملك ونصف وقف جار في الإستحكار بما إشتملا عليه من آبار وشجر وبركة معدة لجمع الماء وإصطبل والآت ثلاثين عقداً كل عقد ثلاث سنوات بأجرة كل سنة تمضي اربعة قروش»^(٨).

(١) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج٢، ص ١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ١١٥.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٣.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٢٨، ج٢، ص ١٢٨-١٢٩.

ونظرياً ، فإن الموقف الفقهي يعارض عقود الإيجار الطويلة واعتبرها خير الدين الرملي عقوداً غير صحيحة ، ولا تصح في الوقف والمشاع^(١) ، وعدم جواز الإجارة الطويلة في الأوقاف ، كي لا يدعي المستاجر تملكها ، ولا يجوز إجارتها في سقف يتجاوز الثلاث سنين^(٢) ، إلا أن الممارسة العملية تناقض ذلك وهذا ما نجد صداه في الفتاوى .

ولعل هذه الممارسة إلى جانب غيرها من الممارسات التي عرضنا لها آنفاً كانت وراء إستحواذ المتنفذين عن أراضي الأوقاف في فلسطين وتحويلها بمرور الزمن إلى ملكيات خاصة .

وتُميز الفتاوى بين عقود المغارسة ، وعقود المساقاة ، ومع أن كلاهما يرتبطان بالأشجار ، فالمغارسة غالباً ما تكون في الأراضي القراح التي يتعهد المغارس بغراسها بالأشجار المثمرة ، ويلاحظ أن عقود المغارسة طويلة الأجل ، وبعد نهاية المدة يحصل المغارس على حصته من الأرض بما عليها من شجر ، وقد تكون النسبة الربع أو الثلث أو النصف ، ويتكفل المغارس بأداء ما عليها من ضرائب لجهة الميري طيلة عقد المغارسة .

والإشارات للمغارسة في الفتاوى ترتبط بأرض الوقف سواء كان وقفاً خيرياً أم ذرياً فقد «إستاجر رجل من متولي وقف أرضاً وماءاً للواقف ، وأذن الواقف للمستاجر بالغراس في الأرض والماء لسقي الغراس على شرط أن يكون نصف الغراس تبعاً للأرض والماء ، والنصف الثاني للغراس . . . ومضى على ذلك مدة سبعين سنة^(٣) ، وأجر ناظر وقف قطعة أرض بحق شربها من الماء إجارةً للزراعة والغراس والبناء على أن يكون ما سيغرسه في تلك الناحية ، النصف لجهة

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٠ ، ١٢٨-١٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، ٢١٠ .

الوقف تبعاً للأرض ، والنصف للغارس نظير غرسه وعمله»^(١) .
والمتوقع في حالة المغارسة أن تكون عقود الإجارة طويلة تتراوح بين العشرين^(٢) ، والسبعين سنة^(٣) ، ولعل طول مدة العقود حدت بالمغارسين إزاء حق تملك تلك الأرض ، وكانت مدخلاً للتغلب عليها ، وأدى إلى تملكها من قبل المتنفذين والنظار ومتولي الأوقاف .

وأما المساقاة فتختلف عن المغارسة بأن علاقة المساقى مع الأرض هو تعهد الأشجار المغروسة بالرعاية والسقي مقابل حصة من الناتج ، ولا حق له في تملك الأرض وما عليها من أشجار . فساقى رجل في شجر الوقف بجزء من الف جزء للوقف والباقي للمساقى وإستئجار الأقرحة المتخللة بين الأشجار مدة طويلة بأجرة المثل^(٤) ودفع رجل أشجار الزيتون مساقاة عامين كاملين لآخر على أن يكون له ربع الخارج^(٥) ، ورجل ساقى آخر على حصة مشاعة في أشجار كرم على الثلث^(٦) .

ويلاحظ المتبع للإشارات المتصلة بعقود المساقاة في الفتاوى بانها قليلة نسبياً مقارنة بعقود المغارسة ، وربما يعود هذا لندرة مصادر الري المنظم بسبب طبيعة الأراضي الفلسطينية البعلية التي تعتمد على مياه الأمطار .
وهناك شكل مشترك تتداخل فيه المغارسة مع المساقاة يتضمن المساقاة على الأشجار المزروعة أصلاً والمغارسة في الأرض القراح «فدفع رجل لآخر أرضاً ببعضها شجر والبعض الآخر قراح ، على أن يقوم على الشجر الذي بها وله ربع

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ، ١٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٦ ، ١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .

غلته ، وعلى أن يغرس في الأرض القراح أغراساً وما تحصل من الغراس والثمار له نصفه»^(١) .

وأشارت الفتاوى إلى أساليب استثمار أخرى من بينها المقاطعة^(٢) على الرغم من عدم جواز المقاطعة شرعاً في نظر الفقهاء^(٣) ويتكفل المقاطع بدفع مبلغ معين للمالك أو لجهة الوقف ، ويتكفل كذلك بدفع ما على الأرض من ضرائب لجهة الميري لسنة أو أكثر^(٤) ويحصل مقابل ذلك على مبلغ معلوم يقبضه مسبقاً^(٥) .

ومن الأساليب الأخرى أسلوب الضمان بحيث يتضمن شخص قرية لبيت المال بمال معلوم^(٦) ، وهو من الأساليب التي لم يجزها الفقهاء^(٧) وهناك ما يسمى الإستعارة ، وهي أن يستعير شخص من آخر أرضاً ليزرعها ، وبعد إنتهاء المدة المقررة تُعاد لصاحبها ، وغالباً ما ترتبط الإعارة بالمبادلة ، فإستعمار جماعة من مالك مارساً^(٨) لزراعة المقات^(*) ، وأعاروه مثله لزراع القطن^(٩) . وأشارت

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ، ١٧٥ .

(٢) مبلغ ثابت يقبضه السبهي سنوياً من يقوم باستغلال إقطاعه . شعبان ، ريف دمشق ، ص ٤٠٥ .

(٣) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٨) وهي بالأصل قطعة الحبل الذي يستخدم للقياس ، ويطلق على الأرض السهلية المنبسطة . الجالودي ،

عليان ، قضاء عجلون (١٨٦٤-١٩١٤م) ، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ،

١٩٩٤م ، ص ٢٩١ . وسيشار إليه عند وروده فيما بعد : الجالودي ، قضاء عجلون .

(*) المقات أو «المقاتي» : ويدخل في هذا الصنف البطيخ ، والشمام ، والخيار ، والفقوس ، والقرع

الاخضر ، واليقطين الاحمر ، والكوسا .

(٩) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ١٣١ .

الفتاوى للقبالة^(١) بحيث تقبل نجارين فدادين أهل قرية فسألتهما آخر أن يدخل معهما فأبيا ، فإستاجروه على فدادين معلومة^(٢) .

٥- المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

تحفل الفتاوى بالإشارة إلى المحاصيل الزراعية تشمل : الحنطة^(٣) ، والشعير^(٤) ، والذرة^(٥) ، والسّمسم^(٦) ، والفلول^(٧) ، والقطن^(٨) ، واليانسون^(٩) ، والنيلة^(١٠) .

(١) في اللغة : القبيل هو الكفيل والعريف والضامن والاسم القبالة ، واصطلاحاً تعني أن يجعل الشخص قبيلاً أي كفيلاً يتحصل الضريبة لنفسه مقابل قدر معلوم يدفعه ، ويستفيد السلطان من تعجيل حصوله على المال ، ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله ، وعُرف لاحقاً بنظام الالتزام في جباية الضرائب . الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ص ١٠٤٥ ؛ محمد ضياء الدين الرئيس ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار ، ط ٤ ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٢) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧ ، ٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ . ج ٢ ، ص ٣٨ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٦ . ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٣ . ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٧ ، ١١١ ، ٢٣٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ . ج ٢ ، ص ١١٠ ، ١٦٥ ، ١٧٢ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(١٠) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

ومن الأشجار المثمرة: الزيتون^(١)، والكرمة^(٢)، والتين^(٣)، والجوز^(٤)،
والخرنوب^(٥)، والتمور^(٦).
ومن الخضراوات: القشائيات^(٧)، والبقوليات^(٨)، والبصل^(٩)،
والقربيط^(١٠) إلى جانب إشارتها للتبن (الدخان)^(١١) ناهيك عن الإشارة إلى
المنتجات الحيوانية كاللبن^(١٢) ومنتجات النحل مثل العسل^(١٣).
وأشارت الفتاوى للصناعات الغذائية مثل صناعة زيت الزيتون^(١٤)،

(١) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج١، ص ٢٣، ٩٦، ٩٠٨، ١٠٠، ٢٣٥، ١٨٢، ١٩٨، ٢٠٣، ٢١٠،
٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ج٢، ص ٢٥، ٤٩، ٧٩، ١٣٤، ١٤٩، ١٥٩،
١٦٦، ١٧٢، ١٩٠، ٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠٠، ١٢٠، ١٤٥، ٢٣٠، ١٧٦، ١٩٨، ٢١٥، ٢٢٢، ج٢، ص ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٦، ٢١٠، ج٢، ص ١٧٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠٠، ٢٢١، ج٢، ص ٩٣.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ٩٨، ٢٣١، ج٢، ص ١٣٩.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣١، ٢٢٨، ٢٣٩.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٨.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٠.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص ٨٥.

(١٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٣.

(١٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٣.

(١٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٣، ٩٨، ٩٦، ١٠٠، ٢٢٠، ٢٥٥، ٢٣٥، ٢٤٥، ج٢، ص ٤٩،

٩٧، ٩٤.

وصناعة الصابون^(١)، وحلج القطن^(٢)، وصناعة الدبس^(٣)، وزيت السيرج المستخلص من بذور السمسم^(٤). ناهيك عن الإشارات المتعددة للرحى والطواحين^(٥)، ومعاصر الزيت^(٦)، والسمسم^(٧).

وتشكل الثروة الحيوانية عماد الحياة الإقتصادية للفلاح، والتي تتألف من الأبقار، والجواميس، والخييل، والإبل والأغنام والحمير، والبغال^(٨)، والمواشي^(٩)، والأغنام^(١٠).

وتأتي الأبقار المعبر عنها بالفدان في طليعة ممتلكات الفلاح بحكم الإفادة منها في الفلاحة، وتأمين إحتياجاته اليومية من الغذاء. فهي ركن رئيس من أركان عقود المغارسة والشراكة في فلاحة الأرض وتحديد حصص الشركاء^(١١)، تليها في الأهمية الخيل، والإبل لاستخدامها في التنقل والأعمال الزراعية^(١٢) ومن الطبيعي أن يسهم ذلك في إرتفاع أثمانها فثمن البقرة يصل الى (١٤٠)

(١) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج ١، ص ٤٢، ٩١، ١٢٩، ٢٤٤. ج ٢، ص ٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٢، ٢٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٣. ج ٢، ص ١٩٢.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٨، ١٢٩، ١٥٧، ١٦٧، ١٩٣، ٢١٨، ٢١٩.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩١.

(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٨.

(٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨، ٤٠، ١١٠، ١١١، ١١٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٤٠. ج ٢، ص ٢٣٤.

(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨.

(١٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٥.

(١١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٨-١٢٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢.

(١٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٨.

قرشا^(١)، وثمان الجمل ما بين (٢٣-٣٢) قرشا أسديا^(٢). وقد تحول قدرة الفلاح المادية على إمتلاك راس منها بمفرده، ويتضح من الفتاوى مفهوم الشراء بالتقسيط^(٣).

وهناك ظاهرة تلفت الإنتباه وهي التشارك في إمتلاك حيوان فيما بين أكثر من شخص، فرجلان بينهما بقرة مناصفة^(٤)، وفرس مشتركة بين إثنين مناصفة^(٥)، وواحد له الربع والآخر ثلاثة أرباع^(٦)، وبين ثلاثة لواحد نصفها، ولكل واحد من الإثنين الآخرين ربعها^(٧) أو لأحدهما الثلثان وللآخر الثلث^(٨)، ورجل له في ذلك عشرة قراريط باع منها خمسة لآخر وباع هذا الآخر العشرة قراريط وسلمها مع واحد من نتاجها^(٩).

ونظراً لأهمية الأبقار والخيل في حياة الناس اليومية فهي تدخل في المهوور^(١٠)، وفي مؤخر الصداق^(١١)، وعمليات المقايضة^(١٢)، وسداد

(١) الرملي، الفتاوى الخيرية، ج١، ص ٢٢٢، ٢٢٧، ٤٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٨، ٢٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٩٢، ١١٤، ٢٢١.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٠.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ١١١.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ١١١.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٥، ج٢، ص ٤٧.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠.

(١١) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٨، ج٢، ص ١١٠.

(١٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢١٩.

الدين^(١) . كما يجري تأجيرها للقيام بالأعمال اليومية مما يعود بالنفع على مالكيها^(٢) .

وحفلت الفتاوى بالإشارة إلى ظاهرة الغصب^(٣) ، ووضع اليد من قبل المتنفذين والتيمارية^(٤) ، والسرقه^(٥) ، وإعتداءات الحيوانات المفترسة كالذئاب^(٦) . حتى إن الرملي يشير صراحة إلى ظاهرة اللصوصية وسرقه دواب الناس في بلادنا^(٧) مما يفسر حالة إنعدام الأمن الذي عانى منه الفلاح كظاهرة عامة خلال فترة الدراسة . ويعهد للرعاة (البقارة) برعي الأبقار في المسارح ، وتسميها الفتاوى باسم (الباقورة)^(٨) ، ويقضي العرف في حال ضياع الأبقار عدم الزام الراعي قيمتها ، ويبرأ من المسؤولية في حال إدخالها للبلدة ، وهو غير ملزم بإدخال كل بقرة إلى منزل مالكيها^(٩) .

الخاتمة

شكلت فتاوى خير الدين الرملي مصدراً مهماً يُلقى الضوء على جوانب مهمة من جوانب الحياة الزراعية . خصوصاً أنماط حيازة الأرض وأساليب الإستثمار الزراعي ، والضرائب وأساليب الجباية ، بل إن هذا المصدر من الأهمية

(١) الرملي ، الفتاوى الخيرية ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٩ ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، ٥٢ ، ٧٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٩ - ١٤١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، ١٤٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣٩ - ١٤١ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

بمكان من حيث أنه يعكس واقع الممارسة العملية .
ونخلص من قرأتنا لهذا المصدر إلى الخروج ببعض الإستنتاجات المهمة ،
وفي مقدمتها أن أراضي الأوقاف ، بنوعها الخيري والذري ، قد تعرضت لظاهرة
الإستيلاء عليها من خلال ظاهرة وضع اليد ، والتحكير ، والإستبدال ، وعقود
الإيجار والمغارسة الطويلة الأجل ، وبيع الأوقاف بحجة خرابها . وكثرة الجهات
المنتفعة ببيع الوقف . الأمر الذي لم تعد الأوقاف معه قادرة على الإيفاء
بمخصصاتهم ، ولعل الظاهرة الأخطر التي تم رصدتها من خلال الفتاوى هي
الأوضاع السيئة للفلاح الفلسطيني خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع
عشر الميلادي ، والتي أمكن رصد كثير من جوانب معاناته ، والتي تتمثل
بسلوك العناصر المتنفذة ، وإعتداءات البدو ، واللصوص ، وقطاع الطرق ، وسلوك
السيبائية ، ومتولوا الأوقاف ، وتشددهم مع الفلاحين ، ناهيك عن الأثار السلبية
الناجمة عن القحط ، والجفاف ، وإنتشار الأوبئة ، والأمراض ، إلى جانب سلوك
الجباة والمحصلين ، والضرائب الإضافية التي يتوجب على الفلاح دفعها ، والتي
شكلت بمجملها حالة من المعاناة اضطرت الفلاح إلى التخلي عن أرضه
والهروب منها .

وما هذه الدراسة إلا محاولة متواضعة لإظهار صورة الأوضاع السائدة في
عهد الرملي من خلال فتاواه عن النشاط الزراعي ، وأوضاع الفلاحين في ناحية
الرملة ، خصوصاً وفلسطين ، عموماً ، خلال فترة الدراسة .

الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب «الملاحة في علم الفلاحة» للشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م)

عبير قطناني (*)

مقدمة:

لم يكن اختيار عنوان للبحث بالشيء اليسير ، نظراً لترابط العناوين الداخلية وتشابكها بشكل لا يمكن فصل أي منها عن الآخر ، وجاء اختيار كتاب تحقيق مخطوط^(١) الشيخ العلامة عبد الغني النابلسي «الملاحة في علم الفلاحة» نظراً لما في هذا المخطوط من معلومات قيمة عن الحياة الزراعية والمزروعات وطرق الزراعة والعناية بالأشجار والمزروعات وأهميتها .

يعتمد البحث على كتاب النابلسي «الملاحة في علم الفلاحة» ، حيث يقدم المحقق في البداية فصلاً بعنوان «الفلاحة عند العرب والمسلمين» يبين فيه أن العمل الزراعي المنجز في الوطن العربي هو نتاج مساهمات عديدة وعظيمة

(*) باحثة ، عمان - الأردن .

(١) وفقاً لما أورده محقق المخطوط عادل محمد علي الحجاج ، قائلاً «اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطة مصورة متوفرة في مركز إحياء التراث العلمي العربي التابع لجامعة بغداد ، وأن الكتاب قد طبع مرتين أو أكثر آخرها سنة ١٩٧٩م في بيروت ، فقد كانت طبعات غير محققة ولم تكن كاملة كما هو الحال في مخطوطتنا هذه التي اعتمدنا عليها» . الحجاج ، عادل محمد علي الشيخ حسين ، الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١م ، وسيشار إليه لاحقاً بـ النابلسي ، الملاحة في علم الفلاحة (مقدمة المحقق) .

في وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام والمغرب العربي وحتى مزارع الأندلس ، هذه المساهمة التي تُعدّ من أرقى المساهمات العربية في بناء الحضارة الإنسانية ، ويذكر بعض المزروعات التي اقتبسها الغرب عن العرب ووردت أسماؤها لديهم باسمها العربي كالحروب والحنظل والحناء والبندق ، وغيرها ، ويسجل اعتراف بعض المنصفين من علماء الغرب ومستشرقيه بدور العرب في العلوم ، التي اعتمد عليها الغرب وتابعوا العمل بها .

يستعرض المحقق أهم كتب الفلاحة عند العرب والمسلمون ، ومنها كتاب «الفلاحة اليونانية» لـ اقسطا بن لوقا البعلبكي ، وكتاب «الفلاحة النبطية» لـ أبي بكر أحمد بن علي بن المختار الكلداني المعروف بابن وحشية ، وكتاب «فلاحة الأرض» لـ ابطرليوس ، والمنقول عن كتاب لـ يحيى بن خالد بن برمك ، وكتاب «جامع فوائد الملاحة في علم الفلاحة»^(١) ، لـ رياض الدين محمد بن أحمد الغزي العامري القرشي ، وكتاب الأسس الزراعية لـ «ابن عبدون» والذي يتحدث عن الأوضاع في أشبيلية ، وغيرها كثير .

ثم يقدم «نبذة عن مؤلف الكتاب حياته وسيرته وأعماله» ، ويبين المصدر الذي اعتمد عليه في تحقيقه للمخطوط ، مؤكداً أن تحقيق المخطوط وشرحه هو الأول في اللغة العربية ، ويذكر أنه لم يتم أحد بتحقيقه سابقاً . ويُعدّد مراجع ومصادر المخطوط ، ثم يتبعه بمقدمة عن مؤلف الكتاب ، وأبواب الكتاب العشرة إضافة إلى الخاتمة . ويؤكد المحقق أن مؤلف المخطوط ، الشيخ النابلسي ، قد ذكر في نهاية المخطوط أنه «وقال مؤلفه وهذا مقدار ما اخترناه وانتقينا من كتاب الفلاحة^(٢) على حسب الامكان وتركنا ما لا يليق ذكره بما لا يحتاج إليه الإنسان وبالله المستعان . . .»^(٣)

(١) الاسم الصحيح للمخطوط وصاحبه ، هو «جامع فوائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة» للعالم العربي رضي الدين الغزي .

(٢) المقصود هو كتاب «جامع فوائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة» للعالم رضي الدين الغزي .

(٣) النابلسي ، الملاحة في علم الفلاحة ، مقدمة المحقق ، ص ٢١٠ .

و«المخطوط» كما ذكر صاحبه أنه اختصار لكتاب رضي الدين الغزي ، انتقى منه ما رآه هو صالحاً للنشر ، وحذف ما رآه تكراراً وجمع ولخص غالب ما فيه من المسائل المهمة .

هناك تشابه كبير بين كتابي النابلسي والغزي في أسماء الفصول وحتى مضمونها ، والاختلافات بينهما قليلة جداً ، فضم كتاب الغزي ثمانية أبواب هي :

- ١- باب في الأرض ، وأنواعها وجودتها ، وما يصلح منها للزرع وما لا يصلح ، وكل ما يتعلق بهذا الأمر .
- ٢- باب في السقي ، واستنباط الماء ، وحفر الآبار ، ومعرفة أنواع المياه ، وكيفية السقي .
- ٣- باب في الأشجار وعراسها وكيفيته ومعرفة أوقاته ، وقوانينه ، وهيأته ، والحديث عن كل نوع من الشجر .
- ٤- باب في التركيب وأنواعه ، ويسمى التطعيم ، وما يصلح وما لا يصلح فيه ، وفي تشكيل الفواكه وغيرها ، وفي أمراض النبات وعلاجها .
- ٥- باب في الحبوب والبزور المقتاتة وغيره ، أنواعها ، زرعها ، واختيارها ، وحصادها ، وموسم كل نوع منها .
- ٦- باب في أصناف الزهور والرياحين ، أسمائها ، وصفاتها ، وكيفية زراعة كل منها ، ومواسمها .
- ٧- باب في الطلاسم الدافعة وخواصها ، وبعض النواذر والروايات النافعة ، وما يعلم به حال السنة .
- ٨- باب في كيفية التخزين والادّخار ، ادّخار الفواكه والحبوب والورود ، وما إلى ذلك من محاصيل ومنتجات زراعية .

إن اختيار كتاب «الملاحة في علم الفلاحة» ينبع من أهمية الكتاب من الناحية العلمية والزراعية ، فهو يضم معلومات واسعة في هذا الشأن ، تفيد في

تقدم الأساليب الزراعية ، وأنواع المزروعات ، وطرق الزراعة ، وكل ما يتصل بالعملية الزراعية .

تعريف بصاحب المخطوط:

هو العلامة الشيخ «عبد الغني بن اسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم» الرحالة المتصوف الشهير ، دمشقي الحنفي ، ولد في دار جدّه لأمه أمين الدويكي بدمشق في الخامس من ذي الحجة سنة خمسين وألف للهجرة ، الموافق ١٦٤١/٣/١٨م^(١) ، الواقعة في محلة سوق القطن^(٢) زقاق المصبغة الكيوانية في الدرويشية . ثم انتقل للعيش في دار أبيه وأجداده المعروفة

(١) المرادي ، محمد خليل (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، تحقيق أكرم حسن العلي ، أربعة مجلدات ، دار صادر ، بيروت ، د . ط . ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م . المجلد الثالث ، ص ٣٦-٤٤ ، وسيشار إليه فيما بعد المرادي ، محمد خليل : سلك الدرر ؛ عبد الرحمن بن حسين الجبرتي (ت ١٢٣٣هـ/١٨٢٢م) ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج٣ ، ج٣ ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ج١ ، ص ١٦٥ ، وسيشار إليه في ما بعد : الجبرتي : عجائب الآثار ؛

W.A.S Khalide, ABD AL-GHANI , E.I.2, Vol. I, p., 160.

(٢) سوق القطنين (سوق القطن) : سوق مستقيم مغطى بسائر هرمي من المعدن ، يمتد من الغرب إلى الشرق بين سوق الصوف وسوق النسوان فيه مسجد يدعوه الناس مسجد سراقا ، وما زال هذا السوق القديم محافظاً على تخصصه في تجارة القطن إلى اليوم ، وقد أضيفت إليه تجارة الصوف ، انظر : الشهابي ، قتيبة : أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية ، بحث ميداني بعدسة المؤلف ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٠م ، ص ٣٣٩-٣٤٠ ، وسيشار إليه في ما بعد : الشهابي ، أسواق دمشق .

بدار «آل النابلسي»^(١)، المشهورة بهم، الكائنة في سوق العنبرانيين^(٢).
 تيمم صغيراً، بعد أن شغله والده بقراءة القرآن ثم طلب العلم. فقرأ الفقه
 وأصوله على يدي الشيخ أحمد القلعي الحنفي، والنحو والمعاني والبيان
 والصرف على يدي الشيخ محمود الكردي نزيل دمشق، والحديث ومصطلحه
 على الشيخ عبد الباقي الحنبلي، وأخذ التفسير بالمدرسة السليمية، وفي شرح
 الدرّ بالجامع الأموي، ودخل في عموم إجازته، وحضر دروس النجم الغزي،
 ودخل في عموم إجازته، وقرأ وأخذ على الشيخ محمد بن أحمد الأسطواني،
 والشيخ إبراهيم بن منصور القتال، والشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفوري
 الشافعي، والسيد محمد بن كمال الدين الحسيني الحسني بن حمزة نقيب
 الأشراف بدمشق، والشيخ محمد العيثاوي والشيخ حسين بن اسكندر الرومي
 نزيل المدرسة الكلاسة بدمشق وشارح التنوير، والشيخ كمال الدين العرضي
 الحلبي الأصل الدمشقي، والشيخ محمد بن بركات الكوافي الحمصي ثم
 الدمشقي، وغيرهم، وأجاز له من مصر الشيخ علي الشيراملسي^(٣).
 لما بلغ العشرين من عمره، درّس صباحاً في الجامع الأموي في عدة فنون،
 وبعد العصر في الجامع الصغير، ثم الأربعين النووية، ثم الأذكار النووية وغيرها.

(١) المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص ٣٦-٤٤؛ محمد مطيع الحافظ، علماء دمشق وأعيانها في القرن
 الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ج٣، دار الفكر، بيروت، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٠م،
 ج٢، ص ٧٦، وسيشار إليه في ما بعد: الحافظ: علماء دمشق.

(٢) يقع عند الباب الجنوبي للجامع الأموي، يعمل فيه العنبر ويبيع ثم انتقل العنبرانيون إلى باب
 البريد، الشهابي، قتيبة: معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها
 كما وردت في نصوص المؤرخين، ج٣، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٩م، ج٢، ص ٤٦، وسيشار إليه
 فيما بعد: الشهابي، معجم دمشق التاريخي.

(٣) المرادي، سلك الدرر، ص ٣٦-٤٤.

ارتحل في عام (١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م) أولاً إلى دار الخلافة [استنبول]^(١) ، واستقر بها فترة من الزمن . ثم زار البقاع وجبل لبنان ، وبعد عام زار القدس والخليل . وفي عام (١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م) ذهب إلى مصر ثم إلى الحجاز ، وهي رحلته الكبرى ، التي استغرقت (٣٨٨) يوماً ، قضى منها (٩٩) يوماً في الطريق من مصر إلى الحجاز ، وقضى (١٠٩) يوماً في البلاد الحجازية ، ثم قضى (٤٣) يوماً في طريق عودته من الحجاز إلى الشام وألف كتاب «الحقيقة والمجاز في هذه الرحلة .

سلك الطرق الصوفية المشهورة النقشبندية والقادرية ، ووصفه المرادي بقوله : «الحنفيّ الدمشقيّ النقشبنديّ القادريّ أستاذ الأساتذة وجهبذ الجهابذة»^(٢) .

وللشيخ النابلسي ما يقرب من التسعين كتاباً في التصوف والأدب واللغة والشعر والمنطق^(٣) . وعدّد عبد الرحمن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» مناقب النابلسي ومؤلفاته ؛ وكذلك المؤرخ أبو الفضل محمد خليل المرادي في كتاب «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» وهو ترجمة كاملة عن حياته ومؤلفاته . والمؤرخ أحمد شفيق بك ، الذي طالع كتاب النابلسي «الملاحه في علم الفلاحة» وعلّق عليه في رسالة ، طبعت عام (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) .

صنّف الشيخ النابلسي كتباً كثيرة جداً تزيد على المئتين ، قال عنها الغزيّ إنها تبلغ ثلاثمائة ما بين مجلدات وكراريس ، أورد منها مئة وخمسة وثمانين

(١) النابلسي ، عبد الغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ، تقديم أحمد عبد المجيد هريدي ، مركز تحقيق التراث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٣ ج ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ١٠ . وسيشار إليه فيما بعد النابلسي : الحقيقة والمجاز ، ويعرض في الكتاب أن همه هو زيارة الصالحين من الأحياء والمقبرين ، فلم يترك أثراً أو مزاراً إلا وزاره ، ودوّن ترجمة لصاحبه معتمداً على المصادر المدونة والشفوية ، إضافة إلى تدوينه للكثير من معاصريه من علماء القرن الثاني عشر .

(٢) المرادي ، سلك الدرر ، مج ٣ ، ص ٣٦ .

(٣) زيدان ، جرجي : تاريخ آداب اللغة العربية ، أربعة أجزاء ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ج ٣ ، ١٩١١-

١٩١٢م ، ص ٣٤٨ .

مصنفًا ، وذكر النابلسي قبل موته باثنتين وعشرين سنة في بعض إجازاته أن مصنفاته بلغت مئتي مصنف ، وتناولت مختلف العلوم منها : كتب العقيدة والقراءات والتفسير والحديث والفقه والتصوف والأدب^(١) .

منهج الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه:

ولم يكن النابلسي عالماً زراعياً ، بل تأثر بمحيطه الزراعي بدمشق ، ونما فيه هذا الميل إلى المطالعة في الكتب الزراعية القديمة . ومنها كتاب «الفلاحة» المسمى «جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة» لرضي الدين أبي الفضل محمد بن أحمد الغزي العامري^(٢) ، الذي قام النابلسي بتلخيصه ، وحذف التكرار والزوائد منه . ولا يُعرف إن كان قد استقى مصادره من كتاب «الفلاحة النبطية» لابن وحشية^(٣) ، أو من كتاب «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار^(٤) . لذلك لا يمكن اعتماد المخطوط كمصدر للمعلومات التي جمعها نتيجة رحلاته ومشاهداته وتجاربه الخاصة ، بل يمكن القول بأنها نتيجة لما تحصل عليه من معلومات من الذين سبقوه في هذا المجال ، على الرغم

(١) النابلسي ، الحقيقة والمجاز ، ج ١ ، ص ٢٦٦-٢٨٠ .

(٢) كتاب «جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة» هو مخطوط غير مطبوع ، والنسخة الأصلية منه مودعة لدى مكتبة الأسد في دمشق . ولم استطع الوصول إلى هذه النسخة الأصلية للاستعانة بها ومقارنتها بكتاب الشيخ النابلسي .

(٣) ابن وحشية ، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكلداني (توفي أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) ، والكتاب يقع في سبعة أجزاء ، نشر بالفوتوستات ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية ، ١٩٨٤م ، عن مخطوطة السلطان أحمد الثالث ، مكتبة طوب قابو سراي استانبول .

(٤) ابن البيطار ، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي ، (ت . ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) ، ويقع في أربعة أجزاء ، مكتبة المثنى ، بغداد (د . ت .) .

من عدم ورود اسم أي مصدر ضمن المخطوط استند الشيخ النابلسي إليه في مخطوطه باستثناء كتاب الغزي الوارد ذكره .

الموضوعات التي تناولها الكتاب:

يتناول الباب الأول «في معرفة الأراضي وقلبها وفلاحتها وإصلاحها» وهو سبع صفحات ، يعلمنا فيه أن الأرض الطيبة هي الأرض الحارة الرطبة ، وسواد الأرض دليل على الحرارة ، فالسوداء تحمل الأمطار أكثر من غيرها ، يليها البنفسجية ، ثم الحمراء ، والصفراء ، وأبردها البيضاء (١) .

ويبين مدى حاجة الأرض إلى الرطوبة ، وأهمية الشمس والهواء وفائدة تغليب التربة للزرع والتربة ، والفرق بين أرض الجبل والسهل . ويعطي الفصل نبذة مهمة عن طرق امتحان الأرض ، وطرق إصلاحها من الملوحة أو الحموضة أو المرارة . ولا يغفل عن ذكر فوائد الحرث والحفر ، وهي خلخلة الأرض لتتنفس الأصول ، ولطيبخ باطن الأرض فتحمي بحر الشمس ، ولإمسك الأرض المحروثة بالرطوبة والماء الذي داخلها ، ولقطع العشب عن الأرض لثلا يذهب بطيب غذاء الأرض . كما يقدم نصائح في تعمير الأرض بالزبل والتبن لإصلاحها . ويحدد منافع زبل كل طائر أو حيوان أو حتى إنسان ، ومضاره للأرض . ورماد الشجر الذي يستعمل لعلاج منابت الأشجار . ويشرح فوائد السرجين (٢) ومضاره

(١) النابلسي ، الملاحة في علم الفلاحة ، ص ٢٥ .

(٢) السرجين : روث الحيوانات كالبقر والحمير والخيل . حسان حلاق وعباس صباغ ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية-المصطلحات الإدارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٩م ؛ والسرجين أو السرقين : بكسرهما ، هو الزبل ، معرباً سركين بالفتح ، الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) القاموس المحيط ، تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٦ ، طبعة فنية منقحة مفهرسة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٩٨م ، ص ١٢٥ .

للأشجار المثمرة . وفائدة تراكم الغبار على الكروم .
ويقرر الأوقات الملائمة والضارة لتزبييل الزروع والشجر والمنابت الصغيرة .
ويتحدث الفصل عن أنواع الأشجار التي يهلكها الزبل مثل السفرجل والقراصيا
والتفاح والورد وغيرها . ويتطرق في ختامه إلى تزبييل الكروم ثم الزيتون .
الباب الثاني «في سقي الأراضي» يتحدث فيه عن السواقي التي يجري
فيها الماء ، وطرق حفرها ، واختبار الماء لمعرفة المرارة أو الملوحة التي به . ويحدد
كيفية اختبار الأراضي التي تحتها الماء أو التي لا يوجد ماء تحتها ، ومدى قرب
المياه من سطح الأرض أو بعدها عنها .
ويقرر أن أحمد المياه للسقي على الإطلاق هو الماء العذب ، وهو أخفها وزناً
وأوفقها للناس والحيوان والنبات . وأن ماء المطر يُصلح ما لطف من النبات كالزروع
والقطناني والخضر ويثقل الشجر . أما ماء النهر العذب الصافي فيصلح لسقي
جميع النبات على الإطلاق لا سيما الخضر .
ويحدد أن الخضر كلها تحتاج إلى ماء كثير وزبل كثير . أما ماء الآبار والعيون
يصلح لما له أصل كبير غائر تحت الأرض . وأن حاجة النبات للماء تكون في
ثلاثة أوقات من السنة هي الخريف والشتاء والربيع . أما أردئ الماء فهو المرثم
المالح الزعاف ، والقابض كالعفص ، ثم ما غلب عليه طعم المعدن .
وحدد أن المزارع يمكنه أن يعلم حال المطر في كثرته وقلته وحينه من أحوال
الشمس والقمر والسحاب والشهب التي ترمي بها الكواكب والرعد والبرق
وقوس قزح والضبا وما أشبه ذلك .
ويذكر أن ابن قتيبة قال «كانت العرب إذا رأت البرق لامعاً من جهة
الجنوب وما والاها استبشروا بالمطر وثقوا بالسقي وإذا لمع من جهة الشمال سموه
خلباً ، وهو الذي لا يطر . . .» (١) .
أما ما يتعلق بالباب الثالث «في غرس الأشجار والرياحين والأزهار» ،

(١) النابلسي ، الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٣٣-٣٩ .

فيتناول كيفية اختيار الأراضي كبساتين ، وطريقة غرس كل نوع من الأشجار فيها ، والمسافات الواجب تركها بينها . والغرس إما يكون بالنوى أو من حب الثمر الذي لا نوى له ، أو من أغصان تملخ ملخاً وتقطع من الجهة التي تصلح أو من أوتاد تعمل من أسفل صالحة أو من أغصان نابته في أصول بعض الشجر وبقرها . والطرق التي تستعمل للإكثار من الشجر في مدة قصيرة .

ويسهب في تحديد أن التراب الجبلي الأحمر الذي يوافق زراعة الفستق ، وذوات القشور كاللوز الجوز . وأن الصنوبر ثلاثة أنواع جبلي ، أنثى تثمر ، والذكر ليس كذلك ، وهو الأرز . وقضم قريش يشبه السرو .

وبسبب إقامته في أرض العراق فترة ، فإنه يذكر عن فلاحى بابل حديثهم عن شجرة النبق ، ويصفونها بالعجائب ، قائلين أن شجراتها يتحدثن بالليل فيها بينهن ، ويتساءلن عن الأخبار^(١) .

ثم يذكر شجرة الكمثرى ، التي تزرع في مواضع باردة كثيرة الماء . أما القنبيط ، الذي يفعل العجب في حلاوة الثمرات والكمثرى والتين والعب والقراصيا (حب الملوكة) . أما السفرجل فيغرس أوتاداً . والتفاح تغرس خلفه وملوخه وأصوله بعروقها وقضبانه . والتوت يزرع حباً . والنخل يغرس غرساً وكذا الكروم .

والأترج يغرس في الخريف قرب الحيطان . والكباد المصري يتخذ من حبه ، ويغرس أوتاداً في المشارق التي تطلع عليها الشمس ولا يركب في شيء . أما الليمون فيتخذ من حبه فيزرع في الظروف ويسقى بالماء ولا يجف ترابها حتى تنبت . والسرو يزرع من بزره . والأزدارخت^(٢) الذي يمتد كالياسمين والكرم ،

(١) النابلسي ، الملاحة في علم الفلاحة ، ص ٤٨-٥٢ .

(٢) الأزدرخت أو الأزدارخت : شجر يُعرف «بالززلخت» أزهاره صغيرة زرقاء قائمة ، خشبه صلب جيد .

المنجد في اللغة والأعلام ، الطبعة الثامنة والعشرون ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، ص ٩ ؛ معربة

قديماً من الفارسية ، والفرنسية من المعربة . شجر للتزيين والشوارع من الفصيلة الأزادرختية ، من

ذوات الفلقتين عديدة التويجيات . النابلسي ، الملاحة في علم الفلاحة ، ص ٦٢ .

ويكثر في بلاد عكا من الشام ، وكذلك الورد النسرين كالياسمين .
والخيزران ينقل من البر إلى البساتين . أما الحور (بالحاء المهملة) من خواصه
مع خفته أنه شديد الحمل قوية ، وإذا عتق وانكسر (أي أصبح قديماً) لا يعطي
صوتاً كالخشب الصلب الثقيل بل يتعلق بعضه ببعض . أما الدلب فثمره لا
يؤكل لأنه سام ، وينمو بصورة سريعة ويطول كثيراً .

والشام شجر طيب الرائحة يستاك به ، ويطلق عليه معظم الناس اسم
(البيلسان) ، وهو غيره .

وفيما يتعلق بالورد فهو أنواع وألوان ويحتاج للعمارة والسقي ويتخذ من بزره
ومن ملوحه ومن نقله بعروقه . ويغرس في أول الخريف بعد نزول الغيث ،
وتغرس أصول منه مجتمعة ستة أو ثمانية .

وقصب السكر يغرس في عشرين آذار ويتخذ من فصبه ومن أصوله . والموز
له ورق طوال عراض .

ويغرس أصول القلقاس في موضع شمس دائم ويسقى متتابعاً كثيراً ،
ويكون في موضع لا تناله الرياح حتى ينبت (١) .

الباب الرابع «في تقليم الأشجار وكسحها وتذكيرها وتحسين حملها
وحفظه» ويسدي النابلسي نصيحة تتعلق بضعف الفروع ، حيث ينبغي قطع
الفرع الضعيف ، مما يساعد على رجوع المادة إلى الفرع الأقوى ، ويقطع ما يشاء
في غير موضعه ، ويوضح طرق ومواعيد القطع لكل من الكمثرى ، والسفرجل
والأجاص والبرقوق والتين ، والكروم ، والقراصيا واللوز والجوز ، والبندق
والأنقال ، وذوات الألبان . أما الشجر الكبير فالأحسن أن يقطع بالمنشار أو بغيره
من أسفله ثم يعرك موضع القطع بالطين لئلا يسوس ، والشجر الشاب يبقى
ويجفف عن أغصانه . أما الورد فينقى في تشرين الأول من العشب بالأيدي ثم
يقطع جميع ما حوله من النبات والعليق ويحفر ما حوله .

(١) النابلسي ، الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٥٢-٦٦ .

أما تذكير الأشجار ومنها التين ، الذي يذكر في أيار ، والرمان ، والخوخ ،
والمشمش واللوز والقراصيا والأجاص .

ولمنع سقوط المشمش يوضع عند أصله العظام والشقق والحصى ، والتفاح
يعلق عليه إذا نُوّر بصل الغار يستمسك ثمره وقيل يثقب أصله ويسمّر فيه عود
طري من صنوبره ، فإنه مذكّره ، ويدفع عنه الدود . وذكر فيه الخروب بنوعيه
المذكر والمؤنث ، والعنب . وأن بعض المزارعين كانوا يضعون على الشجر بعض
الآيات القرآنية التي يعتقدون أنها ستكون سبباً في عدم سقوط الثمر عن شجره
ومنها ﴿أن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه أن الله بالناس
لرؤوف رحيم﴾^(١) ، وغيرها .

وعنوان الباب الخامس «في التركيب وأنواعه وهو المسمى بالتطعيم
والإضافة والإنشاب» ، ويتناول هذه الأنواع كما يلي :

النوع الأول (التركيب) : وهو الذي ينشأ في اللحاء والعود ، ويسمى تركيب
الشق ، ويكون هذا الضرب في شجرة الزيتون كثيراً وصفته أنه يؤخذ بعد قرض
الشجر بالمنشار عوداً يابساً يبريه بري القلم فيدخله بين العود والقشر لئلا ينشق
القشر ، وذلك بعد جري الماء في العود والمادة . وهذا فيما له قشر رقيق كالتفاح
والكمثرى والسفرجل والخوخ والمشمش والأجاص والعناب والزيتون الفتى
الحديث ونحوها . وإذا كان الفرع الذي يركب فيه قدر الساعة يجعل فيه قلمان
وإن كان أغلظ فأربعة وأكثر على حسبه والذي له قشر كالرند والقسطل والتين
وما غلظ من الكمثرى والزيتون والسفرجل والتفاح فيما يركب بين القشر
والعود^(٢) .

النوع الثاني من أنواع التركيب : الذي يكون من القشر ينتزع وفيه العين
قبل أن تفتح فيركب في غصن آخر يقشر له ويوضع فيه والعمل فيه بالأنبوب

(١) سورة الحج ، الآية ٦٥ .

(٢) النابلسي ، الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٧٧-٧٨ .

والرفقة وهو الفارسي ، ويكون في الفاكهة والزيتون والخروب والتين فالشجرة الكبيرة يقطع أعلاها ليثبت فيها أغصاناً محدثة يركب فيها ويبقى كذلك^(١) .
النوع الثالث من التركيب ويسمى (الأعمى) : وهو أن تأخذ القضبان البارزة للشمس من الشجرة من ناحية المشرق والجنوب مما كان مثمرًا في العام الماضي وتقطع مقدار شبر وأكثر وتبرأ وفي آخرها الأسفل مقدار نصف شبر وأربعة أصابع برية غير فاحش^(٢) .

النوع الرابع هو تركيب الثقب ويسمى (القرطبي) : وقال الحكماء «أنه ينشب في حبه وفي غيره سواء وافق أو لم يوافق وهو يستعمل في جميع الأشجار المتنافرة والمتباعدة» ، وقال بعضهم إنما يستعمل في أشياء مخصوصة من الأشجار وهي العنب ينشب في الثقب في جنسه وفي عيون البقر والصفصاف والأس والتفاح والجور في جنسه ، وفي الفستق والبطم والتين في الفرصاد والقراصيا ، وذلك دائماً في الشتاء فقط ، ويكون ذلك في الأصل واح ، والثمر مختلف ، والرمان يضاف إلى غيره من الشجر حتى يلتصق ، وكذا قيل في السفرجل والورد ينشب في لحاح التفاح فيورد عند حملة ، وفي اللوز كذلك ، وصفة العمل في العنب وفي عيون البقر والصفصاف والأس ونحو ذلك...»^(٣) .

النوع الخامس (تلقيح النوى والحبوب) في أنواع المنابت كالفرصاد والعنصل والعوسج والخظمى والتين والسوس والنخل وشبهها ، فمن ذلك أن تقصد أصلاً منها قوي النبات ، فيشكف التراب عن أصله ويؤخذ حب البطيخ والخيار أو القثاء ويدخل منها في الشق حبة بعد نقعها بالماء العذب ليلة ويرد التراب الطيب الناعم إلى أصل الشجرة ، ويغطي به موضع الحب غلظ إصبعين أو يزل

(١) النابلسي ، الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٧٨-٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٠-٨١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨١-٨٣ .

إن تيسر ويركب الفرع في العنصل . . . ، ومنها القرع الذي يركب في أصول البطيخ ، والقطن ، والبادنجان الذي يركب في القطن ، ويركب بزر البطيخ في العوسج الخطمي والتين والتوت ، والياسمين الأبيض في الأصفر ، ويركب في الخيزران ، والكتم يرد في الرند ، والدردار في الازدارخت .

وأن كل نوع ينفر الآخر فلا يركب إلا في الثقب أو التركيب الأعمى ، وقد ركب بعض ذوات الأدهان في بعض ذوات الصمغ ، فنجبت . وينجب الكرم في الآجاص الأسود ، والتين ينشب في الفرصاد ، وشاهبلوط وبنديق والتفاح والكمثرى كل هذه يطعم بعضها في بعض ، وقد يركب في اللحاء دون الأصل . والورد إذا أضيف إلى التفاح أو اللوز أو العنب يؤخذ^(١) .

الباب السادس «في الأشجار المتحابة والمتشاكلة والمتنافرة والمتضادة وعلاج أمراضها ودفع ما يضرها . . .» . يذكر فيه النابلسي أنه بين الكرم والسدر مشاكله وكل يهوى الآخر ، فيقوى بقربه ، وكذا الكروم والزيتون بينهما حمية ومشاكله ، أما الآس والرمان فمتحابان مؤتلفان . والكروم والحلبة فتضران الكرم ، كما يضره شجر الغار . والحلبة عدوة للتفاح والتمرس . كما أن التمرس عدو للأشجار كلها ، وكذا العدس والبقول . والعرعر والقطران عدوان للنخل .

ويرى أن الضعف في الأشجار من هرم ، وقد يقطع ما تبين هرمه ، وربما تستأصل الشجرة كلها بأن تقطع من وجه الأرض ويكشف عن عروقها وتسرجن بالسرجين العتيق المخلوط بالتراب الطيب من وجه الأرض الثلث والثلثان بالسرجين . وذكر علاج لجعل الكرم يثمر ثمراً صالحاً .

أما مرض العصر وهو إذا زبل الكرم سالت منه رطوبة مفرطة فجة إن بقيت أضرت وإن خرجت أضعفت وأضرت بالكرم فعلاجه تسهيل طريق هذا الفضل المجتمع في الكرم ليخرج ويجف ، ولذلك طريقة معينة .

واليرقان يصيب بعض الشجر وأكثر المنابت والزروع وعلامته في جفاف

(١) النابلسي ، الملاحة في علم الفلاحة ، ص ٨٣-٨٨ .

واسترخاء وسقوط ورق أو ثمر ولا يشرب الماء ، ويظهر عليها نداء الليل ورطوبته ليست من نداء الليل ، ويحدث اليرقان للنخل والأس يحرق من موضع واحد ويؤخذ رمادها يذر على الكرم ونحوه ، فيدفع مضرة ذلك .

ولعلاج النمل والجعلان والعضاية والدود أن يؤخذ الحنظل والشبرم السمراء وقثاء الحمارشيء ويجفف ويسحق ويطحخ بالماء والنخل والملح حتى يفنى الماء كله ثم يصب عليه ماء وخل وملح جريش ثم يطبخ ويعاد الماء والنخل ثالثاً فوق غمرة ويكرر رابعاً ، . . . (١) . أما النمل في الشجر فيدلك ساق الشجرة الملساء بمقدار شبر بحجر أملس يدار به حتى يتصل طرفاً وليكن ذلكاً جيداً حتى يملس ويبرق ثم يحلق فوقه وتحته بمغرة محلولة بالماء فلا يقربه النمل .

وعلاج الجفاف من شدة العطش ونقص الثمر ، بأن تؤخذ ثمرة الزيتون وهو صغير قدر اللوبيا أخضر يدق في هاون حجر ويرش عليه قليل ماء مطر في إناء نظيف ويغطى ويترك أربعة عشر يوماً ثم يعصر ثم يعاد دقه وعصره قوياً ويؤخذ الماء ثم يدق الباقي ويعصر ويكرر عليه حتى لا يبقى فيه شيء من الماء ويترك في إناء نظيف في موضع بارد ندري ثمانية وعشرين يوماً ثم يستعمله .

ودود التفاح ينفعه بول المعز إذا كشف أصله وصب عليه حتى يروي ويترك أربعة أيام ويسقى الخامس والسادس عند غروب الشمس .

أما الرمان فينفعه بصل الغار ولا يدعه يشقق ويشدد حمرة حبه وإن جعلت تحت الأرض حجارة حول أصله لا يتشقق وقيل تنكيش قضبانه عند الغراس ينفع من ذلك ويسقى أصله بماء خلط برماد الحمام .

الباب السابع «في تشكيل الفواكه وغيرها واكتسابها المنافع الغربية والصفات العجيبة وما يلحق بذلك من النوارد والملح واللطائف» ، ويتناول تشكيل الفواكه والأترج والعنب وغيرها كالحيار والقثاء والقرع والبطيخ إلى أي

(١) النابلسي ، الملاحه في علم الفلاحة ، ص ٩٤-٩٥ .

شكل أردت أن يكون بأن تدخل ما أردت تشكيله في قالب أعدده لذلك غير خشن ينطبع فيه شكل ذلك القالب كيف كان .
والتين مختلف الألوان أن يكون في التينة الواحدة تخطيط ، وهناك طريقة لوصف هذه العملية .

وللكمشى طريقة أخرى حتى لا يكون فيها من داخل ثمرتها مثل الحجارة وعن إمكانية تلوين الورد وغيره .

الباب الثامن «في الحبوب والبرز والبقول وذكر أراضيها وأوقات زرعها وحصاد ذلك واختباره وما يوافق من الأرض وما يحفظه وذكر منافع ذلك وخواصه على التفصيل» ، بين فيه أن القمح يتغذى من الأرض كثيراً ويستفيد دسمها ويذهب رطوبتها ، والشعير غذاؤه من الأرض أقل وليس ينتهي منتهاه في ذلك ، وكثيراً ما تأكل الأرض عند تواليهما عليها ، فإذا أردنا أن لا يكون ذلك انتقلنا من زرع القمح إلى الشعير ، فإنه أبقى لقوتها ، والعدس والجلبان ، وهو الفول وقت الباقلاء ، يطيبان الأرض ، لا سيما الرقيقة ، فإنها لذلك أحوج . والقطن أرضه طيبة للزراعة ، والترمس يزرع في الأرض الرقيقة الضعيفة فتطيب به .

والسّمسم في الأرض الرطبة كالجزائر والقيعان فيجود وتتأخر زراعته إلى الاستواء الربيعي . ويزرع القنب في الأرض النجبية الدائمة الرطوبة في السادس عشر من شباط إلى وقت الاستواء الربيعي الرابع عشر من آذار . والقطن يزرع في القيعان والجزائر المستوية في أيار بعد الحرث مرات كثيرة . والجلبان يؤخر زرعه إلى شباط ويطيب له كالعدس وقيل يزرع في البرز والأرض الندية .

كان بعض الحكماء يأمر الحصادين ومن ينظف القمح والشعير ويجمعها أن يغنوا ويرفعوا أصواتهم بألحان حليلة ، فإن لذلك خاصية مليحة تكسبه نفعاً خاصاً والمبكر بحصاده أطيب طعماً .

الباب التاسع «في أنواع الحبوب المستعملة وما يجعل منها خبزاً وغيره وكيفية زرعها وبعض خواصها وأنواعها الرياحين وباقي المزروعات» ، ويعرض فيه لأهم المزروعات من الحبوب المستعملة ، وهي :

الاسم	الوصف	الصفحة
القمح	ويعد أفضل أصناف الحبوب وأقربها إلى الاعتدال إلا أنه أميل إلى الحرارة معتدل في الرطوبة وبيوسة . ومن القمح الخبز ، وهو أصناف كثيرة وأجوده المطحون في رحاء ، وأجوده ما كان من قمح جيد نقي أحكم تخميره وملحه ونضجه في التنور	١١٧-١١٨
الشعير	أجوده الحديث الأبيض الكبير الحجم وطبعه بارد يابس في الأولى وقيل في الثانية وفيه تحليل وجلاء وغذاؤه أقل من غذاء القمح	١١٩
الرز	قيل أنه ضرب من الخنطة شديد البياض	١١٩
الحمص	أنواع منه الأبيض والأسود والأحمر	١١٩
القول	ويسمى الجرجير ، وهو خطأ فالجرجير نبات آخر ليس له صلة بالقول أو الباقلاء ^(١) ، وهو الباقلى ، والقول أنواع بجائي أسود غليظ ومصري أحمر غليظ وشامي أبيض غليظ	١٢٠
العدس ^(٢)	ويسمى البلى ، يزرع سقياً وبعلاً	١٢٠

(١) النابلسي ، الملاحه في علم الفلاحة ، ص . ١٢٠ .

(٢) العدس : نبات عشبي يعتقد أن موطنه الحبشة أو الهند وتنتشر زراعته في مصر ، محصول شتوي تجود زراعته في التربة الصفراء ، وبذوره ذات قيمة غذائية عالية بسبب البروتين العالية من (٢٥-٣٠٪) ، كربوهيدرات (٦٥٪) ، والألياف (٤٪) . ولقيمتها الغذائية يسمى لحم الفقراء وقشوره تستعمل علفاً للحيوان . البنا ، أحمد عبد الجواد : معجم أسماء ومصطلحات علمي الحيوان والنبات وأسماء يوم القيامة في القرآن الكريم ، وزارة الثقافة ، د . ط ، عمان ، ٢٠٠٨م ، ص . ١٠٥-١٠٦ . وسيشار إليه لاحقاً البنا : معجم أسماء ومصطلحات .

١٢٠	وهو الذرة ، وتزرع سقياً وبعلاً ، وهي بيضاء وسوداء	الجاروس (١)
١٢٠	ويسمى الجاروس ، ويزرع سقياً وبعلاً ، وهو أنواع ، منه أبيض غرنوقي أو أحمر وأسود .	الدخن (٢)
١٢١	تزرع بعلاً ، وهي علف للبقر ، فيكثر لبنها	الكرسنة (٣)
١٢١	ويعرف بالجلبان الأعرج (٥)	الجلبان (٤)
١٢١	وتسمى قرون المعز وقرية وتزرع سقياً وبعلاً	الحلبة (٦)

- (١) الجاروس : حب . المصدر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٥٣٥ ؛ جاوؤس : هو الحب المسمى بالبربرية بإنيل ، وبالعجمية نج ، ويسمى بإفريقية قمح السودان ، قال ابن واقد عنه «هو صنف من الدخن ، صغير الحب ، شديد القبض ، أغبر اللون ، وهو أقل غذاء من سائر الحبوب ، يعقل لبطن ، ويدر البول . النجار ، عامر ، معجم النباتات والأعشاب الطبية ، دار الكتب العلمي للنشر والتوزيع ، ط ١ ، القاهرة ، مصر ، ٢٠١٠م ، ص ١٤٨-١٤٩ . وسيشار إليه لاحقاً ، النجار ، معجم النباتات
- (٢) الدخن : بالضم ، هو حب الجاروس ، أو حب أصغر منه ، أملس جداً ، بارد يابس ، حابس بالطبع الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١١٩٥ .
- (٣) الكرسنة أو الكرسنة : نبات عشبي من فصيلة القطانيات ، معروف في الشرق الأوسط ، له حب في غُلف تعلفه الحيوانات وعلى الأخص البقر . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٦٨١ .
- (٤) الجلبان : نبت ، ويخفف ، والجراب من الأدم ، أو قراب الغمد . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٦٩ ؛ وهو من القطاني المأكولة ، له قصب مربعة ساقطة تنبسط على الأرض وله ورق حوالي القضبان إلى الطول متمنية على القصب ، وله أنوار تخلفه مراد فيها حب مدور إلى البياض وليس بصحيح التدوير . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٥٤ .
- (٥) قال ابن زهير في خواصه أن أردت أن تنقل دهن السمسم إلى غيره من الأدهان فاجعله في قدر واجعل معه قرصاً من عجين وأوقد تحته ناراً حتى يسود العجين ، وصف منه الدهن ، وألقي ما شئت معه من الرياحين والأيازير والعطريات . النابلسي ، الملاحة في علم الفلاحة ، ص ١٢١ .
- (٦) الحُلبَة : ح . حُلب ، نبات عشبي من فصيلة القطانيات الفراشية ، زهره أبيض وقرنه مستطيل . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ١٤٨ .

١٢٢	وهو الباقلاء المصري ويزرع سقياً وبعلاً ، ومنه بري وأصفر وهو أقوى من غيره ، ويكاد لا يحتاج إلى إفلاح ولا تزييل ولا تعاهد	الترمس (١)
١٢٢	وهو حب العصفر ، منه مشوك ومنه غير ذلك ، ويزرع بعلاً وسقياً مرة في الجمعة	القرطم (٢)
١٢٢	ويسمى الشهدانج والشهدانق ، وهو نوعان ذكر لا يحمل حباً وأنثى تحمل الحب وكلاهما له زهر بين البياض والصفرة وقضبانه ملسة	القنب (٣)
١٢٣	ويسمى الكرسف يزرع بعلاً وسقياً	القطن
١٢٣	هي القضييب والرطوبة تسمى إذا جفت الفت والعلف ، وأجودها الأخضر الاملس الورق ، وتعمر نحو عشرين سنة	الفصة
١٢٤	ويسمى القرط ، وهو قصيل مصر وتآلفه الأفيال والزرافات والمعز ، وهو علف للخيل وغيرها .	البرسيم

(١) الترمس : هو حب مفرطح الشكل من الطعم ، منقور الوسط ، والبري منه أصفر ، وهو أقوى ، والترمس إلى الدواء أقرب منه إلى الغذاء ، وأجوده الحديث الأبيض الكبار الرزين ، يؤكل بعد أن يسلق وينقع بالماء أياماً كثيرة حتى تخرج مرارته . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٤٠ .

(٢) القرطم : كزبرج وعصفر : حب العصفر ، جيد للقولنج ، مسهل للبلغم اللزج ، وصب مائه حاراً على اللبن الحليب يُجمده ، وغسل الرأس والبدن به ثلاثاً يدفع القمل والحشونة ، ويحسن الوجه ، ولبّه باهي ، والاحتقان به نافع للبلغم . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١١٤٨ .

(٣) القنب : نبات سنوي من فصيلة القنبيات ، هندي الأصل ، يزرع منذ القدم . ينتج ليفاً متيناً صالحاً لصنع الحبال والخيطان زراعته منتشرة في البلدان المعتدلة المناخ والبرودة (يونانية) . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٦٥٧ ؛ القنب : كدتم وسكر : نوع من الكتان . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١٢٧ .

١٢٤	منه الأبيض والأحمر والأسود والأزرق وغيرها، وزهره أبيض وأحمر وغيرهما	الخشخاش (١)
		الأفيون (٢)
١٢٥	وهي ثلاثة أصناف صنف نواره أصفر وهو الأكبر، وصنف	القوة (٣)

(١) الخشخاش : أصناف : بستاني، ومنتور، ومقرن، وزبدي، والكل منوم مخدر مبرد، وقشره من نصف درهم غدوة، ومثله عن النوم سقياً بماء بارد عجيب جدا لقطع الإسهال الخلطي والدموي إذا كان مع حرارة والتهاب. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص. ٥٩٣؛ هو عدد من الزهور متعددة الألوان تنتمي إلى أسرة الخشخاشيات. ذات ألوان مختلفة يمكن ان تكون بيضاء أو صفراء أو برتقالية أو حمراء أو زهرية اللون وهي تنمو في المناطق الباردة والوحيدة التي تنمو في اقصى الشمال في جرينلاند خلال فترة الصيف القصيرة للغاية وتزهر لأيام قليلة. للخشخاش أصناف كثيرة، ويستخرج من جوزة نبتة الخشخاش مادة الأنيون والهيروين والمورفين.

<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D8%B4%D8%AE%D8%A7%D8%B4>

(٢) الأفيون : عصارة لبنية تستخرج من الخشخاش، يستعملها المدمنون للتخدير، وفيها مواد منومة (فارسية). المنجد في اللغة والأعلام، ص. ١٢.

(٣) القوة : كسُكر : عروق رقاق طوال حمر، يصبغ بها، نافع للكبد، والطحال، وعرق النسا، ووجع الورك، والخاصرة، مدر جدا، ويُعجن بخل فيُطلى به البرص، فإنه يبرأ. المصدر: الفيروزآبادي، مجد الدين: القاموس المحيط، ص ١٢٥١؛ القوة (بالإنجليزية: Madder): هو اسم شائع لنبات من جنس روبيا (Rubia)، ذي أزهار مصفرة، وطول من ٣٠ إلى ١٥٠ سم. يعطي جذر القوة صبغاً أحمر. وينبت في الأراج والأجام (جمع أجمة)، وقد ورد في معجم تاج العروس أن (القوة كسكر عروق رقاق طوال حمر يصبغ بها، نافع للكبد، والطحال، والنسار، وجع الورك، والخاصرة، مدر جداً، ويعجن بخل فيطلى به البرص، فإنه يبرأ). وهو نبات دائم الخضرة بأوراق ذات طول ٥-١٠ سم وعرض ٢-٣ سم، وتنمو الأوراق بشكل حلزوني حول الساق، وهي ٤-٧ أوراق تنمو بشكل نجمي. يمكن للجذور أن تبلغ ١ متر طولاً، وبشخانة ١٢ م، وهو مصدر الصبغ الأحمر المعروف بلون الحمرة الزهري (Rose madder). الثمار ذات لون أسود بعد أن تنضج. أنصح من عنده فقر الدم ==

	نواره أبيض وهو أدق ورقاً وهو قليل ، وصنف صغير دقيق الورق لا يعلو أكثر من إصبع وثمرته صغيرة اسمها نجوية ، تستعمل لصيغ الثياب .	
١٢٦-١٢٥	وتسمى أوقان ، لا تنجب في البلاد المفرطة البرد ، ويختلف عملها بحسب البلدان وأهويتها	الحنّاء (١)
١٢٧-١٢٦	ويسمى الجاري والكركم (٣) وأصله بصل يزرع سقياً وبعلاً ، ينجب في البلاد الباردة المعتدلة ، ولا يوافقه كثرة الماء	الزعفران (٢)
١٢٧	منه بري ومنه بستاني ، وأصنافه الأسود والأصفر الفارسي والنبطي الموجود كثيراً ، وهو الشامي والكرماني والأصفر أقوى من الشامي ، وكلها تزرع سقياً وبعلاً	الكمون
١٢٨	هو الانجذان الرومي . نبات عشبي بري معمر من فصيلة الخيميات ، وهو الانجذان الرومي ، وأجوده الأصفر الطري الكبار الورق ، ويشبه في قوته الكمون	الكاشم (٤)

== أن يتناول القوة على شكل ملعقة من مسحوقها مع شاي أو حليب سخن وأيضاً النفساء لكي تعوض الدم الذي نزل منها .

<http://www.vitiligoteam.com/showthread.php?t=3746>

(١) الحنّاء : واحدها «حنّاءة» ج . حُنّان . نبات يتخذ ورقه للخضاب الأحمر المعروف وله زهر أبيض كالعناقيد . وهو من فصيلة الحنائيات ، مهدد الأصلي الهند ، يزرع في البلدان الحارة . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ١٥٧ .

(٢) الزعفران : جنس نبات بصلي السوسنات . يُستخدم لتطبيب بعض أنواع من المرق أو الحلويات ، وبنوع خاص لتلوينها بالأصفر . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ٢٩٩ .

(٣) الكركم : بالضم : الزعفران ، والعلك ، والمصفر ، والقطعة : بهاء . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ١١٥٤ .

(٤) الكاشم : الانجذان الرومي المصدر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ١١٥٥ .

١٢٨	وهو بري وبستاني وزهرهما أبيض توافقه الأرض الرطبة	الكرأويا (١)
	الكثيرة الرمل	
١٢٨	وهي الكرأويا البرية ، والعمل فيها كالعمل في الاينسيون في السقي ونحوه ، وأجودها الحديد الأصفر الطويل الرزين	القردمانا
١٢٩	وهي الحبة الحلوة وبزر الرازيانج الرومي والكمون الأبيض ، وقيل هو السباس الشامي ، وهو بستاني وبري يزرع بعللاً وسقياً	الاينسيون
١٢٩	ويسمى النافع والشمر والشومر ، وهو بري وبستاني وأجوده البستاني الطري والبري حار يابس	الرازيانج
١٢٩-١٣٠	وهو (حبة البركة) . وهو بستاني وبري وتوافقه الأرض الرطبة	الشونيز
١٣٠	وهو حب الرشاد يزرع سقياً وبعلاً ، وهو أنواع .	الحُرْف (٢)
١٣٠	بري وبستاني ، وأجوده الكبار الحديد الأحمر ، توافقه الأرض السمينة ولا يوافقه الماء الكثير ولا يسقى أكثر من مرتين أو ثلاثة فقط	الخردل

(١) الكرأويا : الكرأويا أو الكروياء : بزر نبات يشبه الرجل وقوته أقرب إلى الأنيسون (يونانية) . المنجد في

اللغة والأعلام ، ص . ٦٨٣ .

(٢) الحُرْف : حب الرشاد . والواحدة حُرْفَة : وهو الخردل . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ١٢٨ ؛ قال ابن

البيطار عنه «هو الذي يتداوى به ويسمى الثفاء بالعربية ، والمقلباتا هو الحُرْف المقلو خاصة ، وسفوف

المقلباتا النافع من الزخخير منسوب إليه ، لأنه نقع فيه مقلواً ، وقوته قوة تحرق مثل بزر الحرمل ،

... » ؛ هو حب الرشاد أو (الثفاء) وحرف اسم جنس مفردة حُرْفه ، يسمى بالسريانية المقلبتا ، وهو

من البقوليات شديدة الحرافة ، والحرف أنواع منها حرف السطوح ويسمى باليونانية ثلسفى

وبالأندلس الأسيرون ، والأطباء يسمونه حُرْفاً بابلياً

١٣١	ويقال كسفرة ، وتزرع سقياً وبعلاً ، في كل الفصول	الكزبرة ^(١)
١٣١	هو السلجم ، بالشين المعجمة والمهملة ، وهو بري وبستاني ، وهو أنواع ، الرومي الطويل ، ومنه المدحرج والمدور الشامي والأبيض المصري ، يزرع مرتين في السنة ، ويزرع بعلاً وسقياً	اللفت ^(١)
١٣٢-١٣١	وهو بستاني وبري ، ومنه ذكر يعسلج ويزرع في الصيف	الجزر ^(٣)
١٣٣-١٣٢	ومنه المروس ومنه الطويل . يزرع الكبير منه في أول الربيع	الفجل
١٣٤-١٣٣	منه الأحمر المستدير ، والأبيض ، وهو مدور مستطيل ، وهو أحرف منه ، والأحمر أحرف من الأبيض	البصل ^(٤)

- (١) الكزبرة: وقد تُفتح الباء: من الأباريز. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص. ٤٦٩؛ بقلة من فصيلة الخيميات، مهدها الأصلي أوروبا الجنوبية. أوراقها وردية اللون أو بيضاء. بزرها من الأفاوية، يُستعمل كتابل ويدخل في تركيب بعض المشروبات. المنجد في اللغة والأعلام، ص. ٦٨٣.
- (٢) اللفت: بقل زراعي من فصيلة الصليبيات، جذوره مستطيلة أو مستديرة مفاطحة وهو مأكول سريع الهضم بعد الطبخ. يُزرع ويُستهلك بكثرة. ويُقال له «السلجم». المنجد في اللغة والأعلام، ص. ٧٢٧؛ بالكسر: هو السلجم، وشق الشيء وصفوه، وشق الشيء وصفوه، والبقرة، والحمقاء، وحياء الدوة، وثنية جبل قديد بين الحرمين ويُفتح. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص. ١٥٩.
- (٣) الجزر: الجزر معروف منه بري ومنه بستاني، ومنه أحمر ومنه أصفر، وهو حار في الثانية، رطب في الأولى، يحرك الباء، والمخلل منه جيد للمعدة والكبد والطحال، ويدر البول، وينفع في لسع الهوام، ومنه الجزر المر. النجار، عامر: معجم مصطلحات، ص. ١٥٣.
- (٤) البصل: هو من أقدم الخضراوات التي عرفها الانسان واستخدمها في طعامه، حار فيه رطوبة، يعمل على فتح الشهية، طارد للبلغم، مانع للقيء، ملين مضاد للإمساك، فيه مادة مسيلة للدم، وبهذا فهو يفيد مرضى الجلطة الدموية للقلب، وله رائحة منفردة، وله استعمالات متعددة. البنا، معجم أسماء ومصطلحات، ص. ٦٨.

١٣٥	منه البري والبستاني ، ومنه الأحمر كبير الحب ، وليس الثوم زريرة أعني بزراً يزرع ويغرس وقت مغيب الثريا	الثوم (١)
١٣٦	منه بستاني يعرف بالشامي ، ومنه نبطي ، ومنه بري وهو أحر وأبيض وزرعه في كانون الآخر إلى آخر شباط	الكراث (٢)
١٣٧	غريب الشكل جميل المنظر وليس له زهر ولا ثمر ، وله أصل مستدير ومنه ما هو إلى الطول ومنه الكبير ومنه الصغير ، وهو ضرب من النيلوفر الأصغر	القلقاس (٣)
١٣٧-١٣٨	وهي أنواع منها أسود اللون معرق مائل إلى الصفرة معرق ، وأخضر غليظ الجسم أجوف ، وطويل رقيق	القتاء (٤)

(١) الثوم : عشب دقيق يرتفع إلى حوالي ذراع واحد عن التربة ، شديدي الحرافة قوي الرائحة ، معروف مشهور ، ويحتوي على انزيمات متعددة أثبتتها الطب الحديث ، وثمة نوعان من الثوم هما : الثوم القصبي الذي يستعمل بديلاً عن البصل ، والآخر هو الثوم المعمر . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٤٦ .

(٢) الكراث : كرمان وكتان : بقل . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ١٧٤ .

(٣) القلقاس : أصل نبات ، يؤكل مطبوخاً ، يزيد في الباه ، ويُسمَن ، وإدمانه يولد السوداء . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٥٦٧ ؛ وهو أذن الفيل أو اللوف (باللاتينية Arum) جنس نباتي ينتمي للفصيلة القلقاسية من أحادييات الفلقة ، يشمل نحو ٢٥ نوعاً ، يتوطن في أوروبا وشمال أفريقيا وغرب آسيا ، وتنوعه الحيوي الأقصى في حوض البحر الأبيض المتوسط .

<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B3>

(٤) القتاء : بالكسر والضم : م ، أو الخيار . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ٤٩ ؛ نبات يشبه الخيار ، وهو مثله يؤكل نيئاً ومختلاً ، يحتوي على نسبة عالية من الماء ، يزيد من قدرة الجسم على الاحتفاظ بالماء ، لذا فهو مفيد جداً لضعاف الأجسام ، يحتوي على مادة قابضة للأوعية الدموية المضادة للحساسية ، وهو مادة ملينة ومهدئة للأعصاب ، وأجود أنواعه الطويل الأملس ، وهو أسرع هضماً من الخيار ، ولكن المداومة على أكله يسبب الانتفاخ ووجع البطن . وهو نبات رطب يساعد المعدة ==

١٣٩-١٣٨	ويسمى (القثد) ويزرع سقياً ولا ينجب بعلاً ، وهو نوعان صغير أبيض وأخضر شديد اللحم وأترجي اللون ، ويحتاج إلى سقي الماء كثيراً	الخيار
١٤٠-١٣٩	وهو الدباء واليقطين ، وهو أنواع ، منه الترابي المعرق الأبيض القصير وهو أفضلها ، ومنه الطويل ، ومنه المستدير كالموز ، ومنه مستدير السفلى طويل العنق أو قصيره ، ومنه ما هو إلى الطول قليلاً أصفر من أسفله بكثير ، ومنه الهندي يشبه ورقه ورق الخيار ونواره أصفر وهو مدحرج أخضر فيه خطوط خضر وحمرة وهو صلب لا يؤثر فيه الظفر	القرع ^(١)
١٤٣-١٤٠	وهو أنواع السكري متوسط الجرم طويل العنق طيب الريح حلو الطعم إذا نضج والأصفر على أصله العقابي عظيم الجرم طويل العنق معوج طيب الرائحة حلو الطعم والمرسيني وهو أغبر اللون أخرس كثير اللحم مفرطح الشكل ، والحاسبي وهو الهوري نسبة إلى قرية ، وهو على شكل الكمثرى لا عنه له ، والجراري كأنه جرة والسمرقندي مفرطح الشكل مدور يميل باطنه إلى الحمرة ، ومنه النفاخ (بالنون) لين اللحم مطرف القشر فواح ، ويسمى في الشام الشامام	البطيخ

== والكبد على أداء وظائفهما ، وذلك بتلطيف درجة حرارتهما ، ويفيد في حالات حصوة الكلى ، وأكله بمفرده يرهق المعدة ، لذا يستحب أن يؤكل على ما يجعله أنسب للمعدة وهو الرطب أو الزبيب أو العسل أو التمر . البنا ، معجم أسماء ، ص . ١١٢-١١٣ .

(١) القرع : الواحدة (قرعة) . نبات سنوي من فصيلة القرعيات ثماره مستطيلة ، مستقيمة أو منحنية . يؤكل مطبوخاً إذا كان رخصاً ، أما إذا نضج فتستعمل قشرته الخشبية كأوعية للسوائل . يزرع على الأخص في البلدان الحارة . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ٦٢٢ .

١٤٣-١٤٤	وهو أنواع الفارسي الحلو ، والمصري لون ثمره أبيض وزهره قرمزي وزهره أزرق إلى حمرة ، وبلدي أسود رقيق الغلاف زهره قرمزي ومنه الرقيق الطويل ، ومنه المطاول المتوسط في الغلظ والرقة ، ومنه المدور المفرطح الكبير	الباذنجان (١)
١٤٤	ومنه البستاني ، ومنه البحري ، والبري ، وكرنب الماء والبري أمر وأحر ، ومنها النبطي الصغير ، وهو أجودها	الكرنب (٢)
١٤٥	وهو نوعان صنوبري مجتمع ملفوف ومفروق رأسه إلى أغصان كثيرة ، ويؤكل رأسه الذي فوق ساقه	القنبسط
١٤٥-١٤٦	منه البري والبستاني ، ومنه طويل الورق حادها وقصير الورق عريضها ، وهو بقل الربيع	الخس
١٤٧	صنفان عريض الورق ودقيق الورق ، وهو بري وبستاني ويوافقه البرد وأول الريح ولا يوافقه الهواء الحار	الهندبا (٣)

(١) الباذنجان : اسم فارسي ، وبالعربية أنب ، والمغد والحديق والوعذ ، وقال الرازي عنه «جيد للمعدة التي تقيء الطعام دائماً ، مولد دماً سوداويماً يسيراً ، ويفتح ويسد الكبد والطحال ، والخل والدهل يصلحانه ، وشر ما يؤكل منه المستوي والنيء ، إذا شق وملح بالملح حتى يجري ماؤه وتذهب حرارته لم يتبين له ضرر . ولكنه رديء الغذاء ، مسود للبشرة ، مصفر للبول إنه بارد ، والصحيح أنه حار ، يابس في الثانية ، مسدد إلا المطبوخ منه بالخل ، . . . النجار ، معجم النباتات ، ص ١١٢ .

(٢) الكرنب : بالضم ، وكسمند : السلق ، أو نوع من أحلى وأغض من القنبسط ، والبري منه مُر ، ودرهمان من سحق عروقه المجففة في شراب ، ترياق مُجرب من نهشة الأفعى . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١٣٠ .

(٣) الهندب والهندبا : بكسر الهاء وفتح الدال ، وقد تُكسر مقصورة وتُمد ، بقلة م ، معتدلة نافعة للمعدة والكبد والطحال أكلاً ، وللسعة العقرب ضامداً بأصولها ، وطابخها أكثر حظاً من غاسلها ، الواحدة : هندباة ، وهندباة ، بالكسر ، أم أبي هندباة الكندي الشاعر الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص .

١٤٧-١٤٨	وهي البقلة الحمقاء ، وهي من بقول القبط وتنتبت لنفسها ، والتي تنبت بغير زرع أفضل . وهي نوعان عريض الورق على ساق ، وغير عريض الورق ، ومنها بري	الرجلة (١)
١٤٨	ومنها البقلة اليمانية وهي الترموز ، وتسمى في الشام جرموز ، ومنها بستاني أبيض وأخضر	البقلة (٢)
١٤٨	وهي السرمق ، وبقلة الروم والبقلة الذهبية ، وهي بستاني وبري	القطف (٣)
١٤٩	وهو أنواع ، منه بستاني ومنه بري ، والبستاني أبيض وأسود ، وكذا البري وزرعه مع الكرب	السلق (٤)

(١) الرجلة : جمع رجّل . البقلة الحمراء لأنها تنبت على طرق الناس فئداس . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٢٥١ .

(٢) البقلة : اليمانية ، وبقلة الضب ، وبقلة الرماة ، وبقلة الرمل أو البراري ، والبقلة الحامضة ، والبقلة الأترجية : حشائش ، وبقلة الأنصار : الكرب ، وبقلة الخطاطيف : العروق الصفر ، والبقلة المباركة : الهندباء أو الرجلة ، وكذا البقلة اللينة ، وكذا بقلة الحمقاء . وبقلة الملك : الشاهترج ، والبقلة الباردة : اللباب ، والبقلة الذهبية : القطف . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٩٦٧ ؛ هي بريوز أو جريوز ، ليس فيها من قوة الأدوية شيء ، مزاجها بارد رطب في الدرجة الثانية ، وهي أكثر ترطيباً من القرع والخس ، وغذاؤها يسير ، ونفوذها ليس سريع فقدمها البورقية ، ويضمده بأصلها الأورام الحارة والحروق . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٢٤ .

(٣) القطف : مُحركّة ، وبهاء : الأثر ، وبقلة يقال لها : السرمق ، وشجر جبلي بقدر الإحاص ، خشبه متين ، يتخذ منه الحلق في أطراف الأزوية . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٨٤٥ .

(٤) السلق : بقل من فصيلة السرمقيات . أوراقه كبيرة غليظة . مرغوب في أكله ومعروف منذ قرون عديدة . السلق والشمندر نوع نباتي واحد . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٣٤٦ .

١٥٠	منه بري ومنه بستاني ، والبري يقال له السلق ، وليس في البري حموضة ، ويؤكل أصله وفروعه ، وينبت لنفسه ، ويعد من البقول البستانية	الحماض (١)
١٥٠	منه بري جبلي ، ومنه بستاني وأجوده الغض البستاني وفي طعمه حرافة تخدر اللسان والفم	الطرخون (٢)
١٥١-١٥٠	وهي الملوكية ، وهي ضرب من الخبازي البستاني توافقه الأرض المفرطة الحرارة	الملوخيا

(١) الحماض : كرمان : عشبة ورقها كالهندبا ، حامض طيب ، ومنه مرّ ، وكلاهما نافع للعطش ، والصفراء ، والغثيان ، والخفقان الحار ، والأسنان الوجعة ، واليرقان ، وبزره إن علق في صرة ، لم تحبل ما دامت ، ويقال له في جوف الأترج : حَمَاض . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ٦٤٠-٦٤١ ؛ هو اقصليس ، عشب من فصيلة الحماضيات ، أوراقه غنية بحامش الأقصليس OSEILLE والحماض أنواع كثيرة ، منه ، نوع دقيق الورق ، محمر الأصول ، له سنابل شعرية بيضاء ، يخلف بذراً أسمرأ أبرقاً ، ومنه ما يشبه السلق تماماً ، ومنه ما يشبه الهندباء . وهو بقلة بالفارسية اللباسة . منه حماض الأرنب قيل هو الكشوت ، وحماض البقر ، وهو الحماض البري ، وهو يشبه البستاني العريض غير أنه أصغر منه ، بذره وورقه يفيدان في علاج الصفراء . نبت جبلي وهو من عشب الربيع ، وورقه عظام ضخمة فطح إلا أنه شديد الحمض . النجار ، معجم النباتات ، ص . ١٩٤-١٩٥ ؛ قال الإشبيلي عنه «من جنس الألسن ، ومن نوع الجنبه ، وأنواع كثيرة ذكر فيها ديسقوريدس أربعة أنواع : وذكر فيها جالينوس ثلاثة أنواع ، ومنه بستاني ، وبري ، وسنجي ، وجبلي ، وحسكي ، وريفين وغيرها) . النجار ، معجم النباتات ، ص . ١٩٥-٢٠٠ .

(٢) الطرخون : نبات ، معرّب ، أصل عروقه العاقرقرحا ، (قاطع شهوه الباه) . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ٢٥٦ .

١٥١	نوع من الملوخيا ، وهي بري وبستاني ، والبري ألطف وأبيض ، والخبازي القرطبي ساعده غليظ وسعة ورقه شبرين ، ويرتفع علو الفارس	الخبازي (١)
١٥٢-١٥١	بري وبستاني وينقل البري إلى البستان ويقلع بعروقه وترابه ويسقى حين غراسه ويتعاهد حتى يعلق ويتمكن	الهليون (٢)
١٥٢	وهو الكبير ، ويسمى عند أهل الشام أذن الجدي ، والصغير والكبير يزرع بزرراً	لسان الحمل (٣)
١٥٣-١٥٢	ينبت لنفسه كثيراً في الأرض الصلبة المحجرة وفي حيطان	البنج (٤)

(١) الخبازي : الخبازي : ويخفف ، والخباز ، والخبازة ، والخبيرز : نبت . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ٥١٠ ؛ خبيرة بقلة مستديرة الورق لها زهر أبيض مشوب بحمرة ، قال الأشيبلي عنه «هو نوع من البقل وجنس من المترسات أعنى أنه من جملة النبات المستدير الورق - ومنه بستاني ، وبري ، وأنواعه كثيرة ، وهو من الذكور فمنه المأكول عند الناس ، وهو أكحل الأغصان ، جعد الورق صغير القدر ، النجار ، معجم النباتات ، ص . ٢٠٨-٢١٠ .

(٢) الهليون : الواحدة (هليونة) . نبات معمر من فصيلة الزنبقيات تمتد جذوره تحت الأرض حيث تنطلق سوقاً عديدة تحمل ثماراً حمراء . مزينة ، تؤكل سوقه مسلوقة . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ٨٧٢ .

(٣) لسان الحمل : نبات عشبي معمر ، من فصيلة الحمليات ، غليظ الورق خشن إلى السواد . زهره مجتمع إلى بعضه تحمله ساق عارية . حبه ترغّب فيه العصافير . له فوائد طبية وتُستعمل كلزوق . سُمّي بذلك تشبهاً باللسان . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ٧٢١ .

(٤) البنج : بالكسر : الأصل ، وبالفتح :ة بسمرقند ، ونبت مسبت ، غير حشيش الخرافيش ، مخبط للعقل ، مجنز ، مسكن لأوجاع الأورام والبثور ووجع الأذن ، وأخيشه الأسود ، ثم الأحمر ، وأسلمه : الأبيض . المصدر : الفيروزآبادي ، مجد الدين : القاموس المحيط ، ص . ١٨١ ؛ من أسمائه البنج الأسود ، عين الشيطان ، هو شجر قضبانه غلاظ وأوراقه عراض صالحة الطول مشققة الأطراف إلى السواد ، عليه زغب ، وعلى القضبان ثمر كالجلنار في شكله متفرق في طول القضبان واحد ==

	البنيان ذات الأحجار ، وهو ثلاثة أنواع : أسود وأحمر وأبيض ، وزهر الأسود أرجواني ، وزهر الأحمر أصفر ، وزهر الأبيض أبيض	
١٥٤-١٥٣	بستاني عريض الورق ، ومنه رقيق الورق يشبه ورق الكزبرة ينبت على شواطئ الأنهار ومجاري المياه ، ومنه بري يسمى (سمورينون) ، ومنه ما ينبت في الماء ويسمى (السير) ، والكرفس الرومي هو المقدونس	الكرفس (١)
١٥٥-١٥٤	منه بري وبستاني	السذاب (٢)

== بعد واحد ، منها مطبق بشيء كالترمس ، وهذا الثمر ملآن بزراً شبيهاً ببزر الخشخاش . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٢٨ ؛ اسمه باللاتينية (Hyoscyamus) جنس نباتي عشبي يتبع الفصيلة الباذنجانية .

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D8%AC_

(%D9%86%D8%A8%D8%A7%D8%AA)

(١) الكرفس : بفتح الكاف والراء : بقل ، عظيم المنافع ، مُدرّ ، محلل للرياح والنفخ ، مُنقّ للكلى والكبد . والمثانة ، مُفتّح سُددها ، مُقو للباءة ، لا سيما بزره مدقوقاً بالسكر والسمن ، عجيب إذا شرب ثلاثة أيام ، ويضر بالأجنة والحبالي والمضروعين . والكرفس : بالضم : القطن . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ٥٧٠ .

(٢) السذاب : الفيجن ، وهو بقل . (المصدر : الفيروزآبادي ، مجد الدين : القاموس المحيط ، ص . ٩٦) وهو نبات عشبي معمر بري وزراعي السذاب ويتكاثر بالبذور يعرف علمياً باسم *Ruta graveolens* ويوجد في المملكة نوع يعرف علمياً باسم *Ruta chalapensis* يحتوي على تربينات وزيت طيار وروتين وفيتامين ب ومواد استرته وكحولية ، اما فوائده فيستخدم تحت اشراف المختصين لأمراض الدم ، معرق ، ضد التشنج ، ضد القيح ، طارد للغازات ، طارد للديدان ، طارد للهوام ، مطمئ

ومجهض . <http://m3loma.com/nabat/sazab.htm>

١٥٥	بستاني وبري وأنواعه كثيرة ، منه طوال الحدق ، وهو أقوى فعلاً والآخر مدور وأجوده الصغار الورق البري ، ومنه نوع زهره أخضر إلى الصفرة يزهر في الصيف . منه زهره أصفر إلى البياض ومن أنواعه : الصعتر الفارسي وزهره أزرق وهو صيفي	الصعتر
١٥٦	منه بستاني وبري وأجوده البستاني وهو عريض الورق خضرتة فستقية ناقصة الحرافة	الجرجير (١)
١٥٦	يزرع بستانياً ، وأجوده الغض الطري الذي خرج من زهره	الشبث (٢)
١٥٧-١٥٦	ويسمى القبار ، بري . ينقل من البر إلى البساتين ، وهو حريف جداً حاد ، وما يزرع في البساتين أطيب وألذ طعماً وأرخص	الكبير (٣)
١٥٧	أجوده الحاد الرائحة ، ويحمل خمسة أغصان لطاف تتفرع من أصل واحد عليها ورق ويحمل حباً يؤكل إذا جف وطحن وخبز منه خبزاً ، وربما قلي على النار قليلاً قبل طبخه . ويزرع حباً	البستان

(١) الجرجير : بكسرهما : بقله . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ٣٦٤ ؛ صنفان : بستاني وبري وكل واحد منهما صنفان ، فالبستاني هو عريض الورق ، فستقي اللون ، ناقص الحرافة ، رخص طيب ، والثاني منه ورقة رفاق فيها تشريف ودخول في جوانبها ، كثير شديدي الحرافة . أما البري ، فأحد صنفيه ورقه كورق الخردل ، شديد الحرافة ، يجمع في حزيران ، وقيل الجرجير البري هو الايهقان ، وهو صنفان أحدهما الحرشاء ويسميه بعضهم خرداً برياً ، والآخر له زهر أحمد . وهناك جرجير الماء ويسمى (قره العين أو كرونوش) . النجار ، معجم النباتات : ص . ١٥٢ .

(٢) الشبث : كظمر : هذه البقلة المعروفة . الشبث : بالكسر : بقله ، وبالتحريك ، العنكبوت ، وذوية كثيرة الأرجل . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ١٥٤ و ١٧٠ .

(٣) الكبّر : أو الأصف : شجيرة صغيرة شائكة من فصيلة الكبريات ، أزهارها جميلة بيضاء . يوجد منها في مناطق المتوسط . تُخلل أزهارها وثمارها فتؤلف تابلاً منبهاً وهاضوماً ، والعامّة تسميها الكبّار (يونانية) . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ٦٧٠ .

١٥٨	توافقه الجبال والصخور والأرض الصلبة ، ومنه خراساني ومنه شامي وهو أخضر والخراساني أحمر وهو بري وبستاني ، ومنه أبيض	السماق (١)
١٥٨	بستاني وبري وهو من أصناف الخشخاش من الطعم ساطع الرائحة زعفراني العصارة ، ولون زهره كلون الزعفران المبلول بالماء شبه الهندباء تعلوه غبرة ويصير له عساكيح في أعلاها أقماع تنشق عن نوار أصفر كالترجس	الماميتا (٢)
١٥٩	منه بستاني وبري	الخرشف (٣)
١٥٩	يزرع في أذار ولا يحتمل الماء الكثير ولا الزبل ويجمع بزره في حزيران وتموز ، وينبت لنفسه كثيراً توافقه الأرض الحجرية ، ورقه كورق الخلاف له نوار كنوار الياسمين أبيض طيب الرائحة ، وهو حار يابس	حرملة (٤)

(١) السماق : جنس أشجار أو جنبات من فصيلة البطميات . مهده الأصلي منطقة المتوسط . تُستعمل

بزوره تابلأ وأوراقه دباغاً . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ٣٥١ .

(٢) الماميتا : ينتشر في كافة أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط وأوروبا بما في ذلك المشرق العربي

والمغرب العربي . يوجد أيضاً في الأمريكتين وأستراليا .

<http://ar.wikipedia.org/wiki/>

%D9%85%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%AB%D8%A7_%D8%B5%D9%81%D8%B

1%D8%A7%D8%A1

(٣) الخرشف : وهو الخرشوف : النبات المعروف بأرضي شوكي (عامية) . المنجد في اللغة والأعلام ، ص .

. ١٧٤

(٤) الحرمل : نبات أوراقه مصفوفة على جانبي الغصن وأزهاره مجتمعة على مستوى واحد . حبه شبيه

بالسمسم . أنواعه متعددة . يزرع في الحدائق وله فوائد طبية منها أنه يوقف الاسهال ويصفي الدم

وينفع من داء المفاصل . المنجد في اللغة والأعلام ، ص . ١٣٠ ؛ حب نبات ورقه كورق ==

١٥٩-١٦٠	وهو أنواع كثيرة ، ويسمى (أكل) في الشام ومصر والحجاز وغيرها ، ومنه الحمامي والصنوبري والحاجبي وهو البادروج ، وله زهر عجيب وورقه كورق البقلة اليمانية قدر كف الإنسان إلى الطول ومنه الصعترى بزهر أخضر إلى صفرة ومنه القرنفلي ، ومنه المشرقي وورقه دقيق وزهره فريغدي اللون إلى سواد عليه دهمه ، ومنه الترنجاني يشبه رائحة الاترج ، ومنه السروي يميل إلى غبرة ونواره إلى حمرة وورقه أبيض ومنه الصقلي قيل هو نوع من الحماحي ومنه الرومي وهو كثير الورق نواره	الحبق (١)
١٦٠	وهو البادروج ، ينقص ذهن أكله وينسيه كثيراً مما كان يذكر ولا تأكله المعز ، والبادروج ثلاثة أصناف : القرنفلي وهو الفرنجمشك رائحته حادة	الحوك (٢)

== الصفصاف وزهره أبيض ، داخله بذر أسود ، كالحردل وهناك حرل أبيض وحرمل أحمر ، وقد اختلف فيه فقيل هو السذاب البري ، من فوائده أنه يدر البول والطمث شرباً ، وطلاء ويحلل الرياح . النجار ، معجم النباتات ، ص . ١٧٨-١٨١ .

(١) الحبق : منه الصعترى والكرماني : الشاهسفرم ، والحبق القرنفلي : الفرنجمشك ، والحبق الريحاني : هو الذي يؤكل من المقل المكبي . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ٨٧٢ .

(٢) الحوك : هو البادروج ، والبقلة الحمقاء . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٩٣٨ ؛ من أنواع الأحباق ، وهو البادروج عن بعض الرواة ، زعم ابن جليل أن البادروج هو الحبق العريض الورق ، وورقه ناعمه ، محدد الأطراف كورق البقلة اليمانية ، إلا أنها عرض ، وفيها خطوط كأنها صنعت بطرف إبرة رقيقة وله ساق غليظة ، مجوفة كساق البقلة اليمانية في غم العقدة ، وفي أعلاها سنابل منحروطة ، صنوبرية الشكل ، ولجمال زهره يزرع في البساتين والدور ، وله بزر دقيق أسود إلى الحمرة ، يشبه بزر البقلة اليمانية شكلاً وقدرأ وهو براق . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٧٢ .

١٦١-١٦٠	هو الباذرنجوية رائحته كالريحان وورقه عريض كالإبهام مفرغ الباطن عليه زهر لطيف شب الغبار ويوجد في البلاد الباردة ، ولا يحب كثرة الزبل ولا الماء . والمقلوب الورق عريضها قصيرها مفرغ الباطن	الترنجان (١)
١٦٢	منه بستاني ومنه جبلي دقيق الورق والبستاني عريض السورق ينبت في المواضع الظليلة الحسنة وتوافقه الأرض الرطبة والجبلية ويزرع بزره في آب ، ولا يؤخذ عنه بعد أن تزبل وجه الأرض	البنفسج (٢)
١٦٢	ويسمى عبهراً ، ومنه خفيف ومنه مضاعف	الترجس (٣)
١٦٣	وهو أربعة أنواع : ما زهره أبيض ، وما زهره أسود ، وأصفر ، ولون السماء	السوسن (٤)

(١) الترنجان : نبات من فصيلة الشفويات عطري الرائحة . ينبت برياً في أوروبا الجنوبية والشرق الأوسط .

يستعمل كالمشروبات الروحية . وله فوائد طبية . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٦١ .

(٢) البنفسج : شمه رطبا ينفع المحرورين ، وإدامة شمه ينوم نوماً صالحاً ، ومُرّاه ينفع من ذات الجنب وذات

الرئة ، نافع للسعال والصداع . المصدر : الفيروزآبادي ، مجد الدين ، القاموس المحيط ، ص ١٨١ ؛ هو

نبات معروف وإذا أطلق أريد به الزهرة ، بارد رطب في الأولى ، ولا شك في برد ورقه ، وهو يسكن

جميع الأورام الحارة ضماداً بمفرده ، أو مع سويق الشعير ، ويسكن الصداع والرمد الحارين شرباً وشماً ،

وضماد ، وينوم نوماً معتدلاً ، ويسكن السعال الحار ويلين الصدر . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٢٩ .

(٣) الترجس : يفتح النون وكسرها : نافع شمه للزكام والصداع البارد ، وأصله منقوعاً في الحليب

ليلتين ، يُطلى به ذكر العينين ، فيقيمه ، ويفعل عجبياً . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٥٤٨ .

(٤) السوسن : هذا المشموم : ومنه : بري ، وبستاني ، والبستاني صنفان : الأزاد ، وهو الأبيض ،

والإيرساء ، وهو الأسماجنوني ، نافع للاستسقاء ، ملطف للمواد الغليظة . والأزاد لطيف نافع من

العلل الباردة في الدماغ ، محلل نافع من حرق الماء الحار ، وأصله جلاء محلل ، وورقه نافع من حرق

الماء الحار ، ومن لسع الهوام والعقرب خاصة . الواحدة : سوسنة . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ،

ص ١٢٠٥ .

١٦٤-١٦٣	ويسمى (حب العروس) ، وهو أصناف ، الأصفر الشامي ، والأحمر ، والأبيض وهو (اليشنين) ، والاسمانجوني ، وينبت في الماء لنفسه	النيلوفر ^(١)
١٦٤	ويسمى (ورد الحمار) . ولون ورده أصفر وورقه أحمر ، ولعله القرنفل ، ومنه أبيض ويزرع في أيار وحزيران	البهار ^(٢)
١٦٥	منه أصفر الزهر ، ومنه أبيضاً وورده كبار وتوافقه الأرض الندية والرطبة والسمينة	البابونج ^(٣)
١٦٥	ويسمى (البانج) . ينبت بغير زرع غالباً ، وأجوده البابونج الطري الزكي الرائحة الأصفر الساطع الضارب إلى البياض الكبار الورد	إكليل الملك ^(٤)

- (١) النيلوفر: نبات مائي من فصيلة النيلوفرديات . ورقه كبير مستدير يعوم على صفحة الماء ، وأزهاره جميلة كثيرة القعالات ، تعوم أيضاً . منه أنواع تعيش في مستنقعات وبحيرات القارة القديمة ، ومنه نوع جعل منه المصريين الأقدمون موضوعاً فنياً (فارسية) . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٨٥٠ .
- (٢) البهار: نبت طيب الريح ، وكل حسن منير ، وللب الفرس ، (والبياض فيه) ، وة بمرق يقال لها : بهارين أيضاً . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ٣٥٥ ؛ هو الاقحوان الأصفر ، وبضعهم يسميه خبز الغراب ، والبهار عند العامة هو النرجس . هو نبات له ساق ، رخصه وورقه كورق الرازيانج ، وزهره أصفر أكبر من زهر البابونج ، شبيهة بالعيون ، وينبت في الدفن ، يحلل الأورام البلغمية . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٢٩-١٣٠ .
- (٣) البابونج : زهرة ، كثيرة النفع . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١٨١ ؛ هو ثلاثة أصناف والفرق بينهما ، إما هو في لون الزهر فقط ، وله أغصان طولها ذراع وأقل ، وفيها شعب دقاق وورق صغار ، ورؤوس مستديرة صغار في باطن بعضها زهر أبيض وفي بعضها زهر ذهبي ، يستخدم كمنشط وطارد للريح . النجار ، معجم النباتات ، ص ١١١ .
- (٤) إكليل الملك : نبتان أحدهما ورقه كورق الحلبة ، ورائحته كورق التين ، ونوره أصفر ، في طرف كل غصن منه إكليل كنصف دائرة ، فيه بزر كالحلبة شكلاً ، ولونه أصفر ، وثانيهما ورقه كورق ==

١٦٥	ومنه الأبيض ، ومنه الأصفر ، والأبيض أقوى ، وهو قصبان دقاق عليها زهر أبيض الورق وسطه أصفر حاد الرائحة والطعم وزهره هو المستعمل	الأقحوان (١)
-----	---	--------------

== الحمص ، وهي قصبان كثيرة تنبسط على الأرض ، وزهره أصفر وأبيض ، في كل غصن أكاليل صغار مدورة ، وكلاهما محلل منضج ملين للأورام الصلبة في المفاصل والأحشاء . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ١٠٥٤ ؛ حشيشة ذات ورق مدور مدرهم أخضر غض ، وأغصان دقاق جداً مخلخلة الورق ولها زهر أصغر صغير يخلفه ، مزود دقاق مدورة كأسورة الصبيان الصغار ، منها حب صغير مدور أصغر من الخردل ، والمستعمل فيها تلك الأكاليل بما فيها ، فيه اختلاف حتى لم يثبت لي حقيقته إلا هذا الذي ذكره اسحق هو عندي أفضل ، وهو نبات طعمه إلى المرارة وله رائحة طيبة ، وأكثر ما يستعمل عندنا نبات آخر يعرف بالفرفولية ، عريض الورق قريب من لسان الحمل . له أكاليل متلوثة منعطفة ضخمة مجزئة ببياض وخضرة وفرفرية فيها بذر اصفر من الحلبة فيه لزوجة وليس له طعم ولا رائحة ، هو نبات هلالى الشكل ، منه الابيض اللون ، والأصفر ، والأصفر أفضل من الأبيض ، ويسمى (ايشعيفون) يقول عنه ابن القاسم الغساني «إنه من جنس البقل ، وهو نوعان أحدهما له ورق يشبه ورق الحمص في الشكل والقدر ، وزهره أصفر ، وتخلله مزاور تشبه الأسورة كأنها أنصاف دوائر ، والآخر مثله إلا أن ورقه يشبه ورق الكرستة في القدر والحلق ، النجار ، معجم النباتات ، ص . ٨٢-٨٣ .

(١) الأقحوان : بالضم : البابونج . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص . ١٣٢٣ ؛ هو برثانيون ، ويسميه القوم إمارقون . ورقه يشبه ورق الكزبرة وزهره أبيض في وسطه أصفر ، ثقیل الرائحة مرّ الطعم ، إذا شرب يابساً بالسكنجبين أو بالملح مثل ما يشرف الافنشيون ، اسهل بلبغماً ومرة سوداء ، وينفع من به ربو ، وينيم ويسبت إذا شُم ، ويدر البول والفرزجة منه ند الطمث . جمعه أقاص واقاح ، من أجمل الازهار ، ألوانه واشكاله منفردة منه أبيض ومنه أصفر ، وهو قصبان من أنواع البانوج . والمعروف أن أوراق زهره مفلجة صغيرة كالأسنان ، أفضل أنواعه ما كان زهره أصفر المُخاط به ورق أبيض هو يشبه البابونج . النجار ، معجم النباتات ، ص ٧٣-٧٥ .

١٦٥-١٦٦	هو الأقحوان عند أهل الشام ، ويسمى رجل الأسد ، ومنه البستاني ، أصفر بحمرة كبير وصغير ، والصغير هو البهار ، ومنه بري جليل الورق ودقيق الورق ويزرع بزره في كانون الثاني وشباط	الأرديون (١)
١٦٦	وهو ثمانية أنواع ، بستاني زهره فرفيرى اللون معروف ، وبستاني أبيض الزهر ، وبستاني أصفر الزهر ، ومنه ما لون بياض وحمرة ، ومنه أزرق ومنه أحمر قاني ، ومنه عصفوري منسوب إلى العصفر ، ومنه سمائي ، ومنه الأسود وهذه كلها البستانية . ومنه بري فرفيرى دقيق ، ومنها يعرف بخير الماء زهره فرفيرى في الصيف	الخييري (٢)
١٦٧	ويسمى الصبقر وحبق الفي وهو بستاني وبـري ، ومنه كبير الورق ، ولا يحتمل الماء الكثير .	المرزنجوس (٣)

(١) الأرديون : هو أذريون ، صنف من الأقحوان ، منه أصفر ومنه أحمر (ابن جريج) ، نواره ذهبي في وسطه رأس صغير اسود . يقول عنه ابن جلجل : «نبات يعلو ذراعاً له ورق إلى الطول ما هو قدر الأصبع إلى البياض عليه زغب وله أذرع بكيرة وزهره كالبابونج (كتاب الفلاحة النبطية) . ورد أصفر لا رائحة له ، فإن سطعت منه رائحة كانت منتنة وهو نبات يدور مع دوران الشمس وينضم ورده بالليل ، منشأه مصر ، من أسمائه (قهيوان ، الأقحوان أو بخور مرجم) . النجار ، معجم النباتات ، ص ٣٧-٣٨ .

(٢) نبات له زهر . وغلب على أصفره لأنه الذي يُسْتَخْرَجُ دهنه ، ويدخل في الأدوية . ويقال للخزّامى : خييري البرّ ؛ لأنه أزكى نبات البادية . <http://kamoos.refnet.gov.sy/?page=entry&id=284952> .

(٣) المرزنجوش : المردقوش (فارسية) . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٧٥٥ ؛ إن شئت جعلته من نوع الأحباق ، وإن شئت من نوع الصعتر ، وهو أليق به . ومنه بستاني ، له ورق كأذن الفأر شكلاً وهو صغار فيها الحفار ، ولونها أخضر إلى الغبرة ، وله قضبان دقاق ، مربعة ارق من قضبان الصعتر ، ==

١٦٧-١٦٨	نبات يحمل ورداً مفروق الورق بنفسجي اللون بل أحسن من لون البنفسج ، ويطول إلى قامة في الأكثر وله أغصان كثيرة والفرس يعظمونه ويتبركون به	الخزما(١)
١١٧٠-١٦٨	ويسمى ورد الزينة والخباز الصقلي ، وإذا درس أخضر صار له رغبة يغسل بها الرأس وغيره . وأنواعه كثيرة ، ينبت في السهول ، وإذا أجذبت الأرض جاد .	الخظمي(٢)
١٧١-١٧٠	وهو أربعة أنواع ، أحدها بري ، والثلاثة بستانية ، أحدها النعنع الأحرش الورق المشرق تسميه العامة الضدل ، والثاني أملس الورق أكحل الساق بالغ الخضرة ، والثالث مدور الورق ريحه ساطع ، والرابع السيسنبر . وللنعنع رائحة حادة ، وهو ألطف البقول المأكولة جوهرأ يغذي المعدة ويسر النفس ويستعمل في آخر الطعام .	النعنع

== غير ، وله رؤوس صغار في قدر الكرسة ، تشبه رؤوس الجعدة ، وله بزر دقيق ، مدحرج أصهب ، يشبه بزر الافرنجيمشك ، ذكره ديسقوريدس وجالينوس ، اسمه باليونانية صمصوخنة ، وبالاعجمية الإسبانية شرخره ، وبالعربية النقر ، وبالفارسية مرددوش ، ويقال مردقوش أو مرزنجوش ، ويسمى حبه المرد ، وحب الغني وريحانة الأورد . النجار ، معجم النباتات ، ص ١٧٤ .

(١) الخزما : والأصح هي الخزماي : كجباري : نبت ، أو خيرري البر ، زهره أطيّب الأزهار نفحة ، والتبخير به يذهب كل رائحة منتنة ، واحتماله في فرزجة محبل ، وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١١٠١ .

(٢) الخظمي : ويفتح : نبات محلل منضج ملين ، نافع لعسر البول ، والحصا ، والنسا ، وقرحة الأمعاء ، والارتعاش ، ونضج الجراحات ، وتسكين الوجع ، ومع الخل للبهق ، ووجع الأسنان مضمضة ، ونهش الهوام ، وحرق النار ، واخلط بزره بالماء أو سحق أصله يجمدانه ، ولعابه المستخرج بالماء الحار ينفع المرأة العقيم والمقعد . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص ١١٠٤ .

١٧١	ويسمى حبق العجب ، وهو صنفان ، أحدهما تصبغ به الثياب اللطاف بعد تدبير ورقه وطبخه في القدور وعقدة . والثاني حب النيل وهو اللبلاب وهو أربعة أصناف : أحدها نواره أزرق ، والثاني نواره أبيض بستاني ، والثالث ينبت في الأشواط أبيض أيضاً ، والرابع ينبت بين العوسج ، ويتعلق به نواره أبيض فواح وورقه فيه لين وغيره ، والأزرق أفضلها .	النيل (١)
١٧٢	وهو أصناف خرساني ، وطرسوسي ، وسوسي ، وسوري ، ونبطي ، ورومي ، وهو حشيشة تشبه ورق الصعتر فيه حرارة وقبض وحرافة وعطرية ، وقيل هو من أصناف الشيح وأجوده الرومي الطرسوسي الحديث الأصفر المعطر الرائحة	الافستين (٢)
١٧٣-١٧٢	البستاني وهو الراسن ، والجناح ، والقسط البستاني ، والرومي ، ومنه نوع كل ورقه من شبر إلى ذراع منفرش على الأرض كالنمام	الزنجبيل (٣)

(١) النيل : نبات يُصبغ به أزرق (فارسية) ؛ نبات ذو ساق صلب وشعب دقاق وورق صغار مرصفة من جانبيين . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٨٥٠ .

(٢) أفسن أو الأفستين : نبات من المركبا الأنوبية الزهر ، ذكي الرائحة ، مُر الطعم ، يستعمل في صناعة بعض أنواع الكحول ، ورقه كورق السعتر (يونانية) . المنجد في اللغة والأعلام ، ص ١٣ ؛ ورقه أشهب في هيئة ورق الجزر ، وزهرته صفراء وهي المستعملة . نبات معروف كما يقول ابن جريج ، أنواعه كثيرة يؤتى به من فارس ونحو المشرق ، وأجوده الصوري والطرسوسي الذي له زغب وفيه عقد كأنها بذر السعتر . وهو الشيح . حشيشة تشبه أوراق السعتر وهو قابض وحريف ، يقول الغساني في حديقة الأزهار هو عند بعض الأطباء صنف من أصناف الشيح الرومي تتفرع منه أغصان كثيرة متكاثفة ببعض شهب تشبه أوراق الجزر . . . النجار ، معجم النباتات ، ص ٦٩٠-٧٠٩ .

(٣) الزنجبيل : الخمر ، وعروق تسري في الأرض ، ونباته كالقصب والبردي ، وله مستخنة هاضمة ملينة يسيراً ، باهية مذكية ، وإن خلط بروبة كبد المعز ، وجُفّف ، وسُحِق واكْتَحَل به أزال الغشاوة ==

<p>١٧٣-١٧٤</p>	<p>ويسمى (قبلحوش)، ومنه صنف كبير وله أصل مستدير، ويقوم على ساق موش مثل جلد الحنش وهو العرطنيشا، ومنه اللوف الجعد، ومن اللوف البسط أرضيته كبيرة، وهو أكثر من الجعد، وثمره أصفر، وطوله شبر وثمره يشبه بصل العنصل والعرطنيشا المستعمل منه أصله وهو بنخور مريم، وهو شوط كثيف قصير له أصل أبيض يغسل به الصوف، يغرس غرساً</p>	<p>اللوف (١٠٠)</p>
<p>١٧٤</p>	<p>حار يابس، مقطوع محلل جيد لأوجاع الوركين، معطش شديد التفتيح للخشم وسدد المصفاء، يدفع الفواق ويسقط الأجنة وينفع السموم وشربه يغني غثياناً عظيماً حتى أنه ربما خنق والجميع يؤدي إلى غثى وسقوط القوة ويداوي بالقي والحقنة القوية</p>	<p>العرطنيشا</p>

== وظلمة البصر. وزنجبيل الكلاب: بقلة ورقها كالحلاف، وقضبانه حمر، يجلو الكلف والنمش، ويقتل الكلاب. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٠١١؛ نبات معمر ساقه أجوف يحمل أوراقاً رمحية الشكل، أزهاره صفراء، وله رائحة عطرية مميزة، وهو من أجمل التوابل وأنفعها، حيث يطيب نكهة الطعام، ويحدث أثراً مسكناً عند أكله، ومن فوائده يقوي الجسم ويعين على الهضم، وملين للبطن، ويطرد الغازات من المعدة والأمعاء ويقوي الطاقة الجنسية. البنا، معجم أسماء: ص ٨٨-٨٩.

(١٠٠) اللوف: بالضم، نبات له بصلة كالعنصل، وتسمى، الصرّاخة، لأن له يوم المهرجان صوتاً، يزعمون أن من سمعه يموت في سنته، وشم زهره الذابل يسقط الجنين، وأكل أصله مدر منعظ، والظلاء به مسحوقاً بدهن يوقف الجذام، واحدته، بهاء، وة، ولُفْتُ الطام لوفاً: أكلته، أو مضغته. واللوف من الكلا والطعام: ما لا يُشتهى، وأكل المال الكلا يابساً. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٨٥٤؛ الواحدة «لوفة» نبات معرّش من فصيلة القرعيات، يكبر كثيراً وتظهر عليه أزهار جميلة صفراء اللون وينتج ثماراً مستطيلة. المنجد في اللغة والأعلام، ص ٧٤٠.

الباب العاشر «في طلاس دافعة وخواص أشياء مانعة وملح ونوادير نافعة وما يعلم به حال السنة باعتبار الأيام والشهور وذكر الفصول الأربعة باختلاف الأمور طلاس» ، ويتناول أنواعاً من الطلاس ، منها ما يسرع نشوء الشجر ويحفظ صحته الثمر ، ومنها غيره . ومنها ما يحدث الكروم والشجر من القوة والنضارة والجمال ما يرى عجباً ، وتعالج به الأشجار الضعيفة فتفلق . وطلسم يحفظ الكروم من الآفات ومن ضرر البرد والسحاب والرياح الشتوية وغيرها . وطلسم يجتمع إليه الجراد من كل مكان . وطلسم يذهب الحشيش المضر بالزرع ، وطلسم يفرغ الحيات ، وطلسم يوضع على المائدة فيهرب الذباب ، وطلسم لطرده الفأر والطيور المؤذي للزرع والحبوب والفواكه . وهناك دخان لطرده الحيات والأفاعي ، وأخرى لطرده الهوام ومنع ظهور النمل .

ويتناول غلاء السعر ورخصه في الخنطة خلال الأيام والفصول .

ويعدد أهمية الأيام لدخول الشهور في كل سنة ، ثم بيان الفصول الأربعة للسنة الشمسية وكل شهر بالسريانية والعجمية والقبطية وما في كل شهر من أعمال الفلاحة وما جرت به العادة من زيادة ونقصان ونزول الغيث والثلج والجليد ، وما لكل فصل من البروج والمنازل وما يصير من خواص الفلاحة وكل أمر عين في شهر متى علم في غيره لم تظهر له منفعة كما تظهر في ذلك الشهر .

الخاتمة «في كيفية الأخران وادخار الحبوب والبزور والفواكه الطرية واليابسة والقطناني وبعض الخضر والزهور والعصير والخل والمخللات والملوحات والورد وماء الورد» فيتناول الطرق التي يمكن اتباعها لادخار الفواكه الرطبة واليابسة كالعنب والزبيب والمشمش والأجاص ، وكذلك كيفية إبقاء عناقيد العنب زماناً ، والتين . وطرق خزن التفاح والكمثري والسفرجل والأترج وغيرها ، إما غضة أو يابسة . وطرق تجفيف الفستق واللوز والجوز بقشره .

وادخار الحبوب الشتائية والبزور والزرائع والخضراوات ، والدقيق والعدس والماش وشبهها .

وتخزين البطيخ والقرع والخيار ، والقنبيط والرازيانج ، والباذنجان ، واللفت الأبيض .

وطرق عمل مخللات وملوحات والزيتون الأسود ، والقبار (الكبير) ، والعنب ، والخيار ، والهليون ، والسفرجل ، والجوز الأخضر ، والبصل ، والكباد .
ويشرح طرق عمل الخل من العنب الحلو النضيج بعد نزول المطر ، حيث يكون طيباً كثيفاً ، حسن الرائحة ، كثير البقاء . كما يمكن عمل الخل من الخروب والأجاص والسفرجل والتين والجميز والمشمش اليابس والتفاح والتمر وغيرها .

ويمكن ادخار العصير وهو حلو طول السنة .

وطرق عمل الدبس

أما الورد ، فإنه يخزن في أواني الفخار الجدد .

ويختتم المحقق الكتاب بأنه قد اختار من المخطوط وانتقى منه ما ارتئ أنه يصلح ، واستثنى منه ما لا يصلح للنشر ، ذاكراً أن صاحب المخطوط الشيخ النابلسي ، قد أنهى كتابة المخطوط في صبيحة نهار الاثنين الثامن من شهر شوال سنة سبع وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية .

فتاوى الشيخ محمد الخليلي (١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) مصدراً لدراسة الحياة الزراعية في فلسطين

مهند أحمد مبيضين (*)

مدخل: فتاوى الخليلي السياق والوصف

جاءت فتاوى الشيخ محمد الخليلي (ت: ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) في سياقها التاريخي، وانتمت إلى مجتمعها، وإلى موروث فقهي كان الشيخ الخليلي، يشير إليه في عدة مواضع من فتاويه، فيستند إلى آراء من سبقه^(١) وأحياناً يثبتها بعد رأيه^(٢)، وهي وإن كانت الأكثر أهمية بعد فتاوى الشيخ الرملي، فإن أهميتها تكمن في شمولية مواضيعها واحتوائها على واقعاتٍ ونوازلٍ جديدةٍ في مجتمعها.

وقد جاءت الفتاوى^(٣) وفق أحكام الفقه وعلى المذهب الشافعي كما أثبت

(*) قسم التاريخ / الجامعة الأردنية .

(١) محمد بن محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) الفتاوى، مطبعة محمد شاهين القاهرة، ١٨٦٧م جزءان، ج ١، ص ٨٨، ص ٢٣٥، ج ٢، ص ١٧ .

(٢) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٦٢ مسألة في أمر الصوفية البسطامية وفيها يورد رأي الشيخ خير الدين الرملي مستقلاً عن رأيه .

(٣) صنف هذه الفتاوى الشيخ أحمد بن أمين الدين البسطامي (ت: ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م)، مفتي نابلس، وتلميذ الشيخ الخليلي، بعد وفاة الأخير، وهو يشير في مقدمتها إلى أن الخليلي كان قيد مسودة للأسئلة التي أجاب عليها السائلين، وقد طلبها البسطامي من السيد محمد الصالح نجل الشيخ الخليلي، والذي أرسلها للبسطامي الذي رتبها وبوبها وقال في ذلك: «بيضتها وجمعتها وعلى أبواب الفقه رتبها...». الخليلي، فتاوى، ج ١، ص ٤ .

في خاتمتها ، علماً أنها تضمنت أسئلة وردت إلى الشيخ من مذاهب أخرى^(١) ، وأما الشيخ الخليلي فقد ولد ونشأ في الخليل ، وتعاطى أعمال التجارة فيها ثم ارتحل إلى القدس ، وصار مفتياً لها ، وعرف عنه بأنه صاحب رحلات علمية ، وله أملاك كثيرة ، أوقفها ذرياً لمنع انتقالها إلى الأجنبي^(٢) ، وجمع الشيخ خزانة كتب نادرة أوقفها على طلبة العلم ومن يرغب في القراءة سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م^(٣) وتوفي العام ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م^(٤) .

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ، سؤال ورد من جماعة من الحنابلة .

(٢) يبدو أن الشيخ الخليلي كان يخشى أن تُصادر الدولة أملاكه ، أو أن تُباع ، أو يُنتفع بها لغير مقاصده ، أو تُؤجر لصاحب نفوذ لمدة طويلة ، فبعد أن أوقف كتبه أوقف ما كان يملكه من عقار وأملاك مشترطاً أن لا يباع الوقف ولا يستبدل ولا يناقل ولا يرهن ، واشترط أن لا يُؤجر أكثر من سنة بعد سنة ، أو يُؤجر لصاحب شوكة ، وهو من حبه للأخرة وبهدف ديني جعل ما في حوزته من أملاك جارية بقصد نفع المسلمين بها ، إذ أن جهة الوقف كانت على الواقف نفسه في مدة حياته ، ومن ثم على أولاده الأحياء وهم محمد الصالح ويوسف المجد وسارة ونسب وبريرة وزينب ، ثم على زوجته أم يوسف ، على أن لها الثمن بعد موت الواقف ... ثم على أولاد الواقف من الذكور والإناث سوية ... ثم من بعد أولاد الواقف الذكور والإناث على أولاده الذكور دون أولاد الإناث ... ثم على أولاد أولادهم ... ثم إذ انقضى عاد وقفاً على أولاد البنات ، ثم إذا انقضى عاد وقفاً على ذوي الأرحام ، فإذا انقضى عاد وقفاً على الزاوية المحمدية الواقعة في المسجد الأقصى ، في صحن الصخرة وعلى مصالحها ولوازمها وعلى الفقراء والمجاورين بها .. وثائق مقدسية ، وقفية الشيخ محمد الخليلي ، تحقيق إسحق الحسيني وأمين أبو ليل ، القدس ، ١٩٧٩م ، ص ٣٥ ، ص ٤٣ .

(٣) وقفية الخليلي ، ص ٣٤ .

(٤) حول حياة محمد الخليلي انظر ترجمته في : محمد بن إبراهيم بن محمد الدكدكجي التركماني الدمشقي (ت : ١١٣٠هـ / ١٧١٩م) مجموع أسانيده وإجازاته ، مخطوط رقم ٩٠٧٣ ، الظاهرية ، مكتبة الأسد ، دمشق ، ورقة ١٣١و ؛ المرادي ، محمد خليل بن علي (ت : ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ط ٣ ، دار ابن حزم ، دار البشائر ، ج ٤ ، بيروت ، ١٩٨٨م .

تقدم فتاوى الخليلي معطيات اقتصادية واجتماعية وثقافية وإدارية عن القدس والخليل ومناطق مختلفة من فلسطين في القرن الثامن عشر الميلادي ، وتعدُّ سجلاً مباشراً للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي^(١) وقد جاء توزيع الفتاوى حسب أبواب الفقه كما يوضح الجدول الآتي .

الباب	ج /ص	الباب	ج /ص	الباب	ج /ص	الباب	ج /ص
باب تفسير القرآن الكريم .	٤٤-٦/١	باب ما يتعلق بالحديث النبوي الشريف .	٦٤-٤٤ /١	باب ما يتعلق بالنحو	٧١-٦٥/١	باب ما يتعلق بالتوحيد	٨٤-٨١/١
كتاب الطهارة	١٠٢-٨٥/١	كتاب الجنائز وما حكم زيارة القبور	١٠٨-١٠٢/١	كتاب الزكاة	١١١-١٠٨/١	كتاب الصوم	١١٤-١١١/١
كتاب الاعتكاف	١١٤ /١	كتاب الحج	١١٥ /١	كتاب البيع	١١٦/١	كتاب التفليس	١٥٧-١٥٤ /١
باب الحجر	١٥٧/١	باب الصلح	١٦٣/١	باب الحوالة	١٦٨ /١	باب الضمان	١٦٩ /١
كتاب الشركة	١٧٨ /١	كتاب الوكالة	١٩٠ /١	كتاب الإقرار	١٩٥ /١	كتاب العارية	٢٠٠ /١
كتاب الغصب	٢٠٤ /١	كتاب الشفعة	٢١١ /١	كتاب المساقاة	٢١٥ /١	كتاب الإجارة	٢١٧ /١
كتاب أحياء الموات	٢٢٩ /١	كتاب الوقف	٢٤٢ /١	كتاب الهبة	٢٢٦ /١		

== ج ٤ ، ص ١٩٤ ؛ وعن رحلته لدمشق ، انظر : ابن كنان ، محمد بن عيسى بن محمد الصالحى (ت : ١١٥٣هـ/١٧٤٠م) . الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية ، ط ١ ، تحقيق أكرم العلبي ، دار الطباع ، دمشق ١٩٩٤م . ص ٢٦٨ وعن مجمل حياته انظر : مقدمة محمد عدنان البخيت ونوفان السوارية لكتاب ، تاريخ القدس والخليل ، للشيخ محمد الخليلي ، منشورات مؤسسة الفرقان ، لندن ، ٢٠٠٤م ، ص ٣-٤٦ .

(١) البخيت والسوارية ، المقدمة ، تاريخ القدس والخليل ، ص ٢٦ .

١٣ / ٢	كتاب الوصية	٤ / ٢	كتاب الفرائض	٣ / ٢	كتاب الجمالة	٢ / ٢	كتاب اللقطة
٦٢ / ٢	كتاب الصدقات	٢٧ / ٢	كتاب النكاح	٢٥ / ٢	كتاب قسم الفيء والغنيمة	١٨ / ٢	كتاب الوديعة
١١١ / ٢	كتاب الرجعة	٧٩ / ٢	كتاب الطلاق	٧٦ / ٢	كتاب الخلع	٧٣ / ٢	كتاب القسم والنشور
١١٥ / ٢	كتاب العدد	١١٤ / ٢	كتاب الكفارة	١١٢ / ٢	كتاب الظهار	١١١ / ٢	كتاب الايلاء
١٣٩ / ٢	كتاب الديات	١٣٧ / ٢	كتاب الجنائيات	١٢١ / ٢	كتاب النفقة	١١٧ / ٢	كتاب الرضاع
١٥٢ / ٢	كتاب السرقة	١٥١ / ٢	كتاب حدّ القذف	١٥٠ / ٢	كتاب الزنا	١٤٥ / ٢	كتاب الردّة
١٦٦ / ٢	الصيد والذبائح	١٦٥ / ٢	كتاب الجزية	١٦٠ / ٢	الصيام (١) الولاية	١٥٥ / ٢	كتاب الأشربة
١٧٠ / ٢	كتاب النذر	١٦٨ / ٢	كتاب الأيمان	١٦٧ / ٢	كتاب الأطعمة	١٦٧ / ٢	كتاب الأضحية
٢٣٨ / ٢	كتاب أمهات الأولاد	١٩٤ / ٢	كتاب الدعوى والبينات	١٨٢ / ٢	كتاب الشهادات	١٧٤ / ٢	كتاب القضاء
		٢٧٠ / ٢	باب مسائل منشورة	٢٥١ / ٢	مسألة بيع المثالثة «نازلة»	٢٣٩ / ٢	باب ما يتعلق بالتصوف

ويظهر الجدول السابق تنوع الفتاوى وشموليتها لكافة أبواب الفقه ، إذ أنها اشتملت على مسائل ونوازل حادثة ومستجدة في حياة مجتمعاتها ، ومنها السؤال عن احكام الصوفية وما يتصل بتقاليدهم من حفلات الرقص والذكر (٢)

(١) الصيام مجردها صول (صال) ، ومعناه الاستطالة والمواثبة والظلم ، جاء في مختار الصحاح : صال عليه استطال ، وصال عليه وثب ، وبابه قال ، وصوله أيضاً ، يقال رب قول أشد من صول ، والمصاولة المواثبة ، وكذلك الصيام والصيالة . محمد بن أبي بكر الرازي (ت : ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م) ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ١٥٦ ، ولكن الاستخدام لمن كان يصنع السكاكين .

(٢) الخليلي ، فتاوى ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، ص ٢٥٥ ، ص ٢٦٢ .

وشرب القهوة والحكم فيها^(١) وغيرها ، كما أنها تمثل سجلاً مختلف تفاعلات الحياة اليومية في مجتمعها .

وفي الناحية الاقتصادية ، تنوعت الفتاوى ، وكان فيها عدد من القضايا المستجدة ، إذ سئل الشيخ الخليلي من قبل مجموعة من السادة الحنابلة عن

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج٢ ، ص٢٩٦ «مطلب فيما يستعمله الناس من شراب القهوة» وفيه «سئل فيما يستعمله الناس من شراب القهوة والمداومة على شربها ، هل هي قديمة في الزمان الأول أو محدثة ، وهل شربها واستعمالها على هذه الهيئة التي يفعل بها حلال مباح كغيرها من المباحات ولا التفات إلى من حرمها وحرم استعمالها بالحرق أو كيف الحال» . وبعد أن اثبت الشيخ قدمها واستعمالها الذي رده إلى زمن النبي سليمان عندما مرّ بعدن ووجد أهلها مرضى فوصفها لهم دواء لداء كان أصابهم ، قال الشيخ الخليلي مستندا في رأيه إلى رأي الشيخ الشهاب ابن حجر العسقلاني ت: ١٤٤٨/هـ٨٥٢ وما سمعه واطلع عليه من جدل حولها قائلا: « . . . وقال الشهاب بن حجر رحمه الله تعالى قبل هذا القرن العاشر شراب يتخذ من قشر البن يسمى بالقهوة وطال الاختلاف فيه حلاً وطهارة وضدهما ، فمن مفرط يفتي بالإسكار والنجاسة نظراً لأنها تورث نشاطاً وطراوة في البدن عند تركها ، ومن مفرط يفتي بأن شربها قربة فضلاً عن الحِلِّ والطهارة نظراً لأنها تزيل ما في النفس من فتور وكسل . . . فتأتي فيها الأحكام الخمسة وذكر بعض المتأخرين من البلغاء في ذلك كلاماً طويلاً ، وخلاصته القول في أنها من الجائز تناوله ومباح شربه كسائر المباحات مثل اللبن والعسل ونحوهما . . . ومن ادعى بتحريمها فدعواه أوهى من بيت العنكبوت . ومنافعها لا تحصى وفضائلها لا تستقصى منها أنها تذهب البلغم وتمنع القي والعي والرطوبة وتقطع البواسير وتمنع بعض أنواع الرمذ وتذهب الجرب وتمنع الأبخرة الرديئة . . . » . ويشار هنا إلى المناظرة الفقهية بين علماء دمشق في زمن الخليلي الذي زار دمشق ولعله اطلع عليها ، والتي جمعها أبو سعيد محمد بن مصطفى الخادمي (ت: ١١٧٦هـ/١٧٦٢) مناظرة علماء دمشق في أمر القهوة ، مخطوط ، شريط رقم ٧٢ ، مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، نسخة مصورة ، مجموعة جاريت ، جامعة برنستون ، ق٤٩٩ .

«العملة المسماة بالمثالثة»^(١) والتي رفضها الفقه بشكل واضح باعتبارها رباً ، ومن الواضح هنا أن الخليلي كفقيه شافعي لم تحلّ مذهبيته الفقهية من أن يلجأ إليه حنابلة في السؤال عن أمر من أمور حياتهم ، إذ أن جماعة التي سألت عن بيع المثالثة ، فوجدته غير جائز ، لكون تبرير جوازه صدر من فقهاء أهل التصوف ، وهو ما يُظهرُ موقفاً واضحاً من جهة الفقهاء وأهل العلم ، بعدم الأخذ بأراء أهل التصوف في الأحكام الشرعية .

وهنا نجد في نصّ أحد الأسئلة ما يؤكد تلك النظرة إذ جاء فيه : « ورد عن بعض علماء السادة الحنابلة . . . سؤال صورته فيما اشتهر في بلادنا في هذا الزمان وهو أن يدفع إنسان لآخر مائتي قرش قرضاً بثلاثمائة إلى أجل ، ويأتيان إلى فقيه . . . ليعمل لهما حيلة لأجل الخلاص من الربا فيقول الفقيه للمعطي بعد الأخذ محرمتك أو سكينك أو الكتاب أو السبحة أو السواك ، أو نحو ذلك بالمائة الزائدة ويكتب الأخذ صكاً بثلاثمائة قرش ويقول الفقيه للأخذ : أنذر له بالقدر الزائد أو يقول له هبه كل مدة كذا مثلاً ، فهل هذا البيع أو النذر والهبة صحيح مع الشرط ، ويخلص من الربا ، مع أن هذا نفع . . . وهل الإثم على الأخذ والمعطي أم على الفقيه الذي حلل لهما مع أن غالب الفقهاء الفاعلين لذلك هم من أهل التصوف ومنسوبيين للعلماء الصوفية وملازمين على الذكر والأوراد والخلوات وغير ذلك ، فهل يجوز منهم ذلك وهل يجوز إقرارهم على ذلك وما يترتب على ذلك من الأحكام ودرء المفسد مقدم على جلب المصالح ، أفيدوا تعطوا أجراً وافياً»^(٢) .

ومع أن السؤال في مثل هذه المسألة يكشف أيضاً عن كيفية سعي الناس للحصول على أحكام من غير أهل العلم ، وبما يضمن سير أعمالهم ، بلجوئهم إلى فقهاء من غير أهل العلم ، إلا أن الشيخ الخليلي وإن مارس في جوابه نقداً

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج٢ ، ص ٢٥١-٢٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥١ .

لتصدي أهل التصوف للإفتاء ، وعاب عليهم توظيف الأحاديث وكلام أئمة العلم لمصالح فاسدة ، فإنه ردُّ ذلك لقصورهم في العلم «وعدم الإطلاع على كتب العلماء من الفقهاء»^(١) إذ خلصُ في جوابه ، إلى أن البيع بشرط إجارة أو إعارة باطل ، كما أن الهبة لا تصحُّ بأنواعها مع شرط مفسد .^(٢) وبعد أن أفتى برأيه السابق خاطب الخليلي فقهاء عصره وأهل زمانه مطالباً إياهم بعدم تصديق كلام من يحمل مثل تلك الأسئلة قائلًا : « . . هل يخال لكم أو يدخل في عقولكم أن المقترض يشتري بهذا الزمن وينذر أو يهب إلا لأجل القرض ويشترط عليه الدافع له ذلك ، ومراده يتخلص من الرِّبَا ، وهو الرِّبَا بعينه ، فحسبنا الله تعالى على من فعل ذلك وحلله من الفقهاء ونعم الوكيل^(٣) . . » .

ومن قضايا الشرع التي وقع السؤال عنها لأنها مثلت ممارسات خارجة عليه ، أخذ الرشوة ، إذ جاء في السؤال : «المسماة عند العامة بالبرطيل وهي إذا زوج الإنسان ابنته أو قريبتها لشخص يتمنَّع من تزويجها حتى يدفع له شيئاً من الدراهم فهل يجوز له ذلك وإذا أخذه كان حلالاً وهل إذا كفله بها شخص تلزم الكفالة ويجب على الكفيل دفعها»^(٤) .

ويقف الخليلي موقفاً واضحاً ضدَّ تعامل الناس بالرهن في القرى ، وأكل المرتهن للريع ، فقد سئل عن رجل رهن عند آخر كرم تين «وعادتهم أن المرتهن يأكل الريع ، فأكله ثلاث سنين ، ثم أن الراهن دفع ما عليه من الدين ، والآن المرتهن يطالب بربع الغلة نظير حرثه له ، وقد حرثه من غير أذنه فهل له ذلك أو

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج٢ ، ص ٢٥١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٩ . وقد أجاب الشيخ بقوله : «هذا البرطيل باطل باجماع المسلمين ولا

يجوز العمل به بل يفسق الولي إذا امتنع من الزواج لأجل اخذ الجعل لأن ذلك من أكل أموال الناس

بالباطل فيجب على ولاية الأمور أيدهم الله المنع من ذلك . . » .

لا؟». فأجاب الشيخ بأن ما يقع في القرى من رهن للأرض والشجر وما يصاحبه من أكل للمرتهن للغلة بعد انقضاء مدة الرهن، «باطل شرعا ولو شرط، فالرهن والشرط باطلان» وهو يؤكد أن ما يقوم به المرتهن من أعمال بالأرض بغير إذن الراهن بعد مدة انقضاء شرط الرهن لا يعطي المرتهن أي حق^(١). وفي هذا الموقف الذي حكم به الخليلي ما يوافق قول الشيخ محمد بن عابدين الحنفي المذهب ت: ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م الذي قال: «إن الرهن ينعقد بالإيجاب والقبول ويتم بالقبض»^(٢).

وبما أن الراهن دفع ما عليه للمرتهن في حالة السؤال الذي وُجّه للشيخ الخليلي، فلا صحة لاستمرار المرتهن بالانتفاع بالرهن، وتعدد الأسئلة التي ترد حول الرهن، والتي يظهر فيها تجاوزا على شروطه التي حددها الشرع، وللأسف فإن مادة الرهن كانت في أغلب الأسئلة عبارة عن كروم وأراضي مزروعة وبساتين، وهو ما الحق ضررا في حياة المزارعين جراء سوء الأوضاع الاقتصادية وعدم قدرتهم على الوفاء بالمال للمرتهن، الذي ظل يأكل ريع الرهن، وهو ما وقف ضده الشيخ الخليلي بشكل لافت، ولكن ذلك انعكس سلبا على حالة الزراعة والفلاحة بشكل عام^(٣).

وتشير الفتاوى إلى العلاقات المتداخلة بين الناس، وموقع الشريعة في

(١) الخليلي، فتاوي، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين (ت: ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م) رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، المعروف بحاشية ابن عابدين، دراسة وتحقيق، عادل عبد الموجود وعلي معوض، ١٤ ج، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣م، ص ٧٨٦.

(٣) للمزيد من الأسئلة حول رهن الكروم والأراضي المزروعة انظر: الخليلي، فتاوى، ج ١، ص ١٤٨ «مطلب في رجل رهن عند آخر كرم غنب ومكث تحت يد المرتهن مدة»، ج ١، ص ١٥٣ «مطلب في رجل تحت يده أرض رهن فباعها مالكمها من آخر بعد الرهن...» ج ١، ص ١٥٤ «مطلب في رجل رهن أرضا وزبوتنا...».

حياتهم ، فقد سُئِلَ الشيخ الخليلي عما « يقع في هذا الزمان في بعض القرى والأعراب ، أن الرجلين مثلاً يقع بينهما نزاع في أمر ما فيطلب أحدهما الشرع القويم فيقول الثاني : أنا فرعي لا شرعي أو نحن لا نعرف الفرع أو دعائم العرب أو دعائم الفلاحين أو هذه المسألة لا توجد في الشرع أو ليس لها الشرع مالها إلا قاضي العرب ... »^(١) .

- مظاهر النشاط الزراعي -

تظهر الأسئلة الواردة للشيخ الخليلي في «كتاب البيع» أنواعاً مختلفة من أوجه البيع في التعامل الاقتصادي^(٢) إذ ورد في أسئلة البيع ما يشير إلى زراعة شجرة العنب بالكروم وانتشارها في كثير من المناطق^(٣) ، وتكثر في أسئلة البيع الفتاوى الخاصة بالزيتون زراعة وبيعا وضمانا^(٤) ومن المحاصيل والأشجار المثمرة التي يرد ذكرها في أبواب الفقه الذرة والقمح^(٥) والليمون^(٦) والتين^(٧)

(١) الخليلي ، فتاوي ، ج٢ ، ص ٢٧٦-٢٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١٦-١ ومنها البيع بخيار الشرط والبيع الأول وبيع القاصر وبيع الولد ملك أبيه بغير أذنه وتأخير الثمن والإدعاء إن الثمن بغير المثل وتقديم بينة الشراء على بينة مدعي الرهن ومطلب بينة البات مقدمة على بينة بيع الوفاء ... وغيرها .

(٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٥٨ ، ١٧٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١٢ ، ١٥٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ج٢ ، ص ٢٠٨ . وانظر : «مطلب في رجل اخذ زيتوناً على الشجر بمائة جرة» . ج١ ، ص ١٣٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٢٧ «مطلب في رجل باع آخر بذرة ليزرعه . . .» .

(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٣ ، «مطلب في رجل له نسيب طلب منه حماراً ليحمله ليمونا إلى بيت المقدس» .

(٧) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٠٠ ، «مطلب في رجل نزل بكرم تين . الخ»

والبطيخ^(١) والقرنبيط^(٢) ويرد في أحد الأسئلة إشارة إلى شراء الرز^(٣) ، والدخان الذي يظهر من الأسئلة أنه كان على أنواع^(٤) . إذ سئل الخليلي : «في رجل اشترى من آخر شوالاً من الدخان بناءً على أنه من دخان جبل ، فأخذه إلى مصر ثم فتحه ، فوجده نوعين جبلياً ورملاوياً ، وهو أقل قيمة من الجبلي فما الحكم الشرعي؟ فأجاب : بالقول : «بيع الدخان في داخل الشوال لا يصح لأن رؤية بضعة لا تدل على رؤية الباقي لأنه لا بد من رؤية المبيع جميعاً . .»^(٥) .

وتظهر الفتوى السابقة أن مصر كانت إحدى جهات التبادل التجاري وبيع المحاصيل الزراعية مع مدن فلسطين . كما وتشير فتاوى أخرى إلى أن بعض المحاصيل الزراعية كانت تباع وتشتري مع مدن فلسطين وشرق الأردن وبخاصة من منطقة البلقاء^(٦) . وتبين أنواعاً مختلفة من بيع البهائم والدواب المستخدمة

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ١٤٨ . «مطلب رجل اشترى من آخر بطيخا . الخ» .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٢ «مطلب رجل له شركاء دفع لكل واحد منهم قنطاراً ونصف من الرز . . .»

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٧ «مطلب في رجل اشترى من رجل دخاناً على أنه جبلي فظهر بخلافه» . وورد في فهرس مخطوطات المكتبة الخالدية عدة رسائل مخطوطة عن الدخان ومنها فتوى في حكم الدخان لعثمان بن حسين اللالشهري (ت : ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م) وتعود للقرن ١٢هـ / ١٨ . وفصل في بيان الدخان لمؤلف مجهول ، (فقه حنفي) تاريخ النسخ ، ١١٧٢هـ . وآخر المخطوط : «هذه خلاصة الكلام في هذا المقام في حرمة أشد التوفيق ولا أقول إنه حلال ولكن نقول أنه مكروه وتركه أولى . .» وهناك رسالة بعنوان : «فصل في بيان الدخان لمؤلف مجهول ، تاريخ النسخ ، القرن ١٢هـ / ١٨م . انظر : نظمي الجعبة ، فهرس المكتبة الخالدية ، مؤسسة الفرقان ، لندن ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٥) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ١٢٧ وانظر ملحق الفتاوى رقم ١ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٨ مطلب «شريكان توجهها إلى البلقاء لبيعا ما معهما . .»

في الفلاحة أو التي تربي لأغراض اقتصادية ومنها الجمل والثور والمهرة والبقرة والبغل والجحشة^(١) والتي تعددت أشكال بيعها إذ بيعت بالربع والثالث والنصف^(٢).

وتكشف الفتاوى عن المكايل والأوزان المستخدمة في زمن الخليلي، فالزيت يكال بالجرة^(٣) والرز بالرطل^(٤) والقمح بالمد^(٥) ويذكر القنطار في وزن السمن^(٦).

(١) الخليلي، فتاوى، ج١، ص ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) المصدر نفسه، ومن أمثلة ذلك: «مطلب رجل اشترى من آخر نصف ثورين يثمن معلوم» و«مطلب في رجل باع ربع جمل ١٠٠ ج ١، ص ١٣٤، و«مطل في رجل باع نصف بقرة» ج ١، ص ١٣ و«مطلب في رجل باع رسا كاملا» ج ١، ص ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٨. والجرة: إناء من خزف كالفخار، وجمعها جرٌّ وجرار، قال ابن دريد: المعروف عند العرب أنه ما اتخذ من الطين. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٤) الخليلي، فتاوى، ج ١، ص ١٤٢. والرطل: وحدة، تعدُّ من أكثر أنواع الأوزان استخداما في الشرق الأوسط، واختلف مقداره من منطقة لأخرى ففي القدس كان الرطل في العصور الوسطى يساوي ٨٠٠ درهم=٢٠٥ كغم، وفي القرن التاسع عشر ٩٠٠ درهم أو ١٢ وقية كل أوقية ٧٥ درهما، بما يساوي ٢,٨٨٦ كغم. فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة، كامل العسلي، ط١، ١٩٧٢، ص ٣٢-٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٠، ص ٢١٤ «في رجل أقرض آخر أربعة أمداد من القمح . .». والمدُّ الشرعي: كان مقداره في فجر الإسلام ٢٥، صاع، وفي بلاد الشام كان يساوي ٢,٨٤ كغم قمحا، أو ٣,٦٧٣ لتراً. فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٧٤-٧٥.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٦ «مطلب في رجل اشترى قنطار سمن . .». والقنطار: وحدة وزن استخدمت في البلاد الإسلامية بمقادير مختلفة، وفي بلاد الشام تُعادل ٢٢٨ كغم. فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٤٠-٤٣.

ويذكر القيراط من البد^(١) والفدان كوحدة أرض^(٢). وسُئِلَ الشيخ عن مقدار «القلتين»^(٣) بالرطل المقدسي؟ فأجاب أنهما ثمانون رطلاً وثلاث رطل . وهو يوضح مقدارهما في زمنه ، فيتابع بالقول : «وأما الآن فهما بالرطل القدسي وهو تسع مائة درهم ، اثنان وسبعون رطلاً وتُسَع رطل ، ومثل ذلك رطل الرملة والخليل ونابلس وبالدمشقي مائة رطل وسبعة وسُبع رطل والله أعلم.»^(٤) .

(١) الخليلي ، فتاوي ، ج ١ ، ص ١٤٩ «مطلب في رجل تحت يده قيراط من بدّ» . وعرف في فلسطين حجر البدّ باسم «المدرس» وهو يشمل على بناية أرضية تستعمل كأساس تعلوها الطاسة ، والطاسة الدائرية تصنع من الحديد أو الصاج السميك ، يُلقى بها الزيتون وتدور حولها الأحجار دارسة الزيتون والطاسة مجهزة بثغرة يفرغ منها الزيتون المدروس ، ويكون المدرس عبارة قطعة أو قطعتان أي حجر أو حجران مركزة في الطاسة وتدار حولها دارسة ما فيها من الزيتون ، ودورانها مرتبط بواسطة قوة الدواب المغماة العيون حيث كانوا يربطونها بالحبال المتصلة بدوار اليد الخشبي ، والقطفة الأولى كان ينتج منها زيت الأكل ، ومن القطفة الثانية زيت الصابون ، ومن الثالثة للإضاءة ، وما تبقى من جفت فيستخدم كوقود . انظر : حول المدرس : علي نصوح الطاهر ، شجرة الزيتون : تاريخها - زراعتها - أمراضها - صناعتها ، مكتبة الطاهر ، يافا ، ١٩٤٧م ، ص ٥٥٣ . وذكر الخليلي وصفا لما يتطلبه حجر البد من أخشاب وثقب في الحيطان لتثبيته ، انظر : الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ٢٤٧-٢٤٨ . والقيراط : مكيال في مصر يساوي ٣٢/١ من القدح أو ٦٤ لترا . فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ٦٨ .

(٢) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ١٤٩ . والفدان : وحدة قياس حُددت في القرن التاسع عشر في مصر بمقدار ٨٣٣،٤٢٠ مترا مربعا . فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ص ٩٨ .

(٣) القلة هي الجرة العظيمة ، والجمع قلال أو قلل ، «وقيل : الجرة العظيمة ، وقيل : الجرة عامة ، وقيل : الكوز الصغير» وهو إناء للعرب كالجرة الكبيرة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٨ ، ص ٦٥٨ .

(٤) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ٨٧ .

- المجتمع والزراعة

ترد في فتاوى الخليل أسئلة تخص حياة العاملين بالزراعة ، ومنها حكم إفطار الحصادين وغيرهم ، إذ سُئِلَ عن «نحو الحصادين في شهر رمضان هل يجوز لهم الإفطار إذا حصل لهم مشقة ولو كانوا مستأجرين أو معينين لأهله ، وهل يجب عليهم تثبيت النية ليلاً؟ . . . وغيرها ، فأجاب : لا شك ولا ريب أن نحو الحصادين كالفرانين والمسافرين سفر قصر وكل عمل شقَّ يحب عليهم تثبيت النية ليلاً ويصبحون صياماً ثم من لحقه مشقة شديدة . . . فله الإفطار بل لو تحقق الهلاك وجب عليه الإفطار وإن صح الصوم لو صام في الحالتين . . .» (١) .

وتطرح الفتاوى الحديث عن المرأة وميراثها في مجتمع الفلاحين ، إذا سُئِلَ الشيخ الخليلي عن «ما يفعله بعض جهلة الفلاحين من عدم توريث الإناث وأخذ مهرهنَّ وخروجهنَّ سفارات الوجوه ، وجعلهم الإناث كالبهائم من جملة الميراث ويقتسمونهن ويكلفونهن من العمل ما ليس بواجب عليهن ويخرجونهن معهم . . . فما حكم الله تعالى؟ فيأتي جواب الشيخ باعتبار ما ورد في السؤال من القبائح «يلحق بفاعلها الوبال والنكال والدمار وغضب الجبار . . . وتلعنه الملائكة الكرام هذا إذا لم يستحل ما ذكر وأما إذا استحل ذلك والعياذ بالله فنعامله معاملة المرتد» (٢) .

ترسم الفتاوى صورة مظلمة لحياة الفلاحين وعلاقتهم مع البدو والزعماء ، وهي تعكس العلاقة بين المدينة والقرى من جهة ، وأهل البادية من جهة أخرى ، فالفلاح عند البدو يباع كما تباع البضاعة ، كما إن نساء الفلاحين غير محصنات من قبل النافذين وشيوخ البدو ، ومع أن هذه النصوص تشير إلى الصراع أو الاختلاف بين البدوي والفلاح ، إلا أنها تدلُّ على أن الفقه حضري

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

مطبوع بطابع المدينة ، كما أنّ الفتاوى في المسائل التي لها علاقة بالبدو تتّسم في الغالب بشيء من الحساسية تجاه عادات البدو وتقاليدهم ، إلى درجة تكفيرهم والدعوة لمحاربتهم .

فقد سئلَ الشيخ الخليلى عن عرب السعدانة^(١) ، وبني عطية^(٢) وغيرهم من عرب البوادي «الذين يطلّقون نساءهم فيتزوج الرجل منهم زوجة الآخر المدخول بها بعد طلاقه بجمعة . . وإذا قيل لأحدهم إنّ ربّنا سبحانه يحيى الخلق بعد موتهم ويحاسبهم على أعمالهم فيقولون : لا ندري ذلك ولا يقيمون

(١) السعدانة عشيرة يقال أن أصلها من مكة ، واسم جدها سعد من الصحابة . ثم انشطرت شطرين : شطر التحق بالجبارات ، وآخر بالتياها ، وكان فريق الجبارات حتى عام ١٩٢٩م متحدا مع الوحيدات برئاسة شيخ واحد إلى أن طلبوا الانفصال ، وهم الآن فريقان : سعدانة النويري ، وسعدانة أبي جريبان ، ومنهم فروع في مصر والأردن ، وينتشرون في فلسطين في منطقة الخليل والبحر الميت . انظر : عارف العارف ، تاريخ بئر السبع وقبائلها ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ١٥١ - ١٥٣ ؛ محمد حسن شرّاب ، معجم العشائر الفلسطينية ، الدار الأهلية للنشر ، ط ١ ، عمان ، ٢٠٠٢م ، ص ٧٨ .

(٢) هذه القبيلة ، يطلق عليها اسم «المعازة» و«العطاونة» وتساكن في القسم الشمالي من حرة العويرض حتى حرة المواهب و تنتسب إلى معز بن أسد بن ربيعة أخى عنزة بن أسد بن ربيع المشهورة : و من أفخاذها الخميسات والعليان والسعدانيين والعقيلات والربيلات وغيرهم ، و بنو عطية ، قبيلة حجازية ، و ما تزال أصولها في الحجاز ، وهم يسكنون اليوم منطقة تبوك ، ويقطن بعض فروعها في منطقة بئر السبع في فلسطين والكرك والقطرانة ومعان في الأردن . و يعرفون ببني عطية الشمال أو الزايدة و يتجول بعضهم في أنحاء الكرك ومعان و يصلون أحيانا إلى ديار بئر السبع والخليل ، فيعملون حصادين في موسم الحصاد ، و حين يسوء المرسم ، يرحلون إلى شمال الأردن حتى يصلون إلى البلقاء : للمزيد انظر : عارف العارف ، تاريخ بئر السبع ، ص ١١١-١١٢ ؛ محمد سليمان الطيب ، موسوعة القبائل العربية ، ٣ مجلدات ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ج ١ ، ص ٢٢١ ؛ شرّاب ، معجم ، ص ٦٧ .

الصلاة ولا يؤتون الزكاة ودأبهم الفساد في الأرض وقطع الطريق . . ويبيعون الحرّ ويقول بائعه هذا فلاحى أبيعه لمن شئت كيف شئت وأتصرف فيه بالرهن كيف شئت مستحلين ذلك ، ومن قبائحهم أن الواحد منهم إذا جاءته زوجة فلاح مغضبة من زوجها وكان بينها وبينه أدنى قرابة يذبح شاة ويطعمها لأهل حيّه ويدخل عليها في الحرام ويجعلها زوجة له معتقداً حلّ ذلك ، فما حكم الله تعالى فيهم . . .» (فأجاب) « . . بما حاصله المرقوم . . . حكمهم مع كونهم كفارا ويحلّ قتلهم مطلقاً والحالة هذه ويثاب قاتلهم وأجر المقاتل لهم كأجر المقاتل لأهل الحرب مع خلوص النية . .» (١) .

- الزراعة المحرمة والمكروهة

لما كان الفقه نوازل تؤرخ للحادث والجديد في حياة المجتمع ، فإنّ من الأسئلة التي وردت للشيخ الخليلي والتي تعكس عادات المجتمع ، ما أظهر حساسية واضحة تجاه أنواع من الزراعات المكروهة ، ومنها زراعة الدخان والزوان (٢) واستهلاكهما ، ففي السؤال عن «حكم الدخان المنتشر في هذا الزمان» ، والذي واجهه الفقهاء بفتاوى مختلفة ، وقبل أن يجيب الخليلي على

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ٢ ، ص ٢٨٣-٢٨٦ .

(٢) الزوان ، حب يخالط الأبر ، انظر : محمد بن مكرم بن علي بن منظر (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) لسان

العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٥٥ م ، مادة «زوان» ، وانظر كذلك : الرازي ، مختار الصحاح ،

ص ١١٦ ، ج ١٥ ، . . وهو باللاتينية (Lolium) جنس نباتي يتبع الفصيلة النجيلية و يحوي عدة أنواع

أهمها الزوان المعمر (باللاتينية : Lolium perenne) ويعد هذا الجنس من أهم محاصيل العلف

ونباتات المروج أو المسطحات الخضراء وموطنه الأصلي حوض البحر المتوسط وأوروبا ، حيث يتواجد

في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي ومعظم مناطق أوروبا . . وانظر :

<http://ww2.bgbm.org/EuroPlusMed/query.asp.TheEuro+Med PlantBase- the Hkinformation>

Resource for Euro-Mediterranean Plant diversity, January 2011.

السؤال الموجه إليه ، أشار إلى اختلاف الفقهاء بأمر الدخان ، وأجاب بعد ذلك بقوله : «وقد اختلفوا فيه اختلافاً فمن قائل بالجواز ومن قائل بالحرمة ، ولكن الذي يشهده الذوق السليم والطبع المستقيم ، أنه لا يجوز تعاطيه لأمر منها : عدم نفعه ورائحته الخبيثة التي تؤذي الملائكة والمخالطين لشاربه ، ومنها ما يرتكب شاربه من تضييع المال في غير محله ولا سيما الفقراء ومنها ما يحصل لبعض الناس من الدناءة عند فقده . .» (١)

ومن الأسئلة التي وردت عن النباتات التي كانت تؤكل ، ما جاء في «مطلب حكم أكل الزوان وحده أو مع غيره من بُرٍّ ، وغيره وبيعه في الخبز مع مشاهدة البزر منه لأناس كثيرين ، وربما أدى إلى خروج الصلاة عن وقتها لتخدر أكله وغفلته بذلك»؟ فأجاب : «أقول إن أكل الزوان للآدمي والحيوان ، تضر به كالحيل والجمال حرام حيث وحّد غيره لأنّه مخدر بل مغير للعقل في بعض الأشخاص ومفوت للصلاة . . . ويحرم بيعه لمن لم يعلم به لأنه غش» (٢) .

❖ فقه الفلاحة

في قراءة نصوص الفتاوى تتنوع الأسئلة التي وردت للشيخ الخليلي ، والتي تظهر الأحكام الفقهية المتصلة بأمور الزراعة واحكامها ، ومنها ما جاء في حالات البيع ، والتي تظهر موقف واضحاً من رفض بيع الربا في غلة ثمار الزيتون ، فقد سئل الخليلي عن أشجار زيتون معلومة وعليها حَبٌّ ، وبيع ذلك الحَبُّ الذي على الشجر بمائة وعشرين جرة من الزيت ، على أن يحصله الآخذ ، ويدفع ذلك المبلغ منه ، فما خرج منه لم يفِ بذلك ، فما الحكم؟ واجاب الخليلي على هذا السؤال بالقول : «هذا الشراء الواقع لحَبِّ الزيتون باطل ؛ لأنه

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج٢ ، ص ١٥٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٥٦ .

ربا ، ملعون فاعله ؛ لأن بيع الشيء بما اتخذ منه ربا ، فالرجل الآخذ أمين مصدق في قدر ما جاء . . .» (١).

ووقع السؤال عن شراء البذار ، وزرعه ثم عدم انباته ، فقد رفع إليه سؤال جاء فيه . . . في رجل باع آخر بذرة ليزرعه ومضى على ذلك مدة نحو ثلاثين سنة والآن يدعي أن ذلك البذر لم ينبت ، لأنه زرعه ولم ينبت ، ويدعي على البائع بثمن الغلة ومنفعة الأرض . . .» ورد الشيخ الخليلي على هذا السؤال مستشهدا بأجوبة مماثلة صدرت عن فقهاء قدامى في نفس المسألة (٢) ، قائلا : « . . دعوى هذا الرجل المشتري لبذر الذرة باطلة عاطلة ، لا تسمع شرعاً ، ولا عرفاً ؛ لعدم جريانها على موجب الشرع . أما الأول ، فلعدم شرط الإنبات حتى لو شرط الإنبات وشهد خبيران أنها لا تنبت كان له الرد بالعيب . الثاني ، من أين يعلم أنها لم تنبت ، الثالث ، إن الإنبات بيد الواحد القهار ولا بيد بائع ولا غيره ، الرابع أن الدعوى بعد هذه المدة توجب لمدعيها البلوى لأنه فتح باب فساد وعناد يخشى على المدعى الغضب من رب العباد ، الخامس الغلة وهي بيد الله تعالى وكيف يلزمه تعب و تعب دوابه وهو لم ينفع بها وهل نسب عدم الإنبات للأرض أو لقلّة العمل أو من ملك السموات والأرض فليتق الله المدعى لهذه الأباطيل ولا يطيل (٣) .

ومما عرضته الفتاوى مسألة بيع ثمار الزيتون ببيع الوفاء وبطلانه (٤) ، والسبب

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ١٣٠-١٣١ .

(٢) كانت استشهاد الخليلي هنا بعبارة ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) في مسألة عدم

ضمان الإنبات . المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(٤) كان نص السؤال «في رجل باع آخر اشجار زيتون ببيع وفاء بثمن معلوم وأباح له استغلال ثمرتها ما

دام المبلغ بذمته ، ومالك الأشجار يريد دفع ما عليها ويرفع يد الرجل المشتري ببيع وفاء ، وهو يتمتع

ويريد أخذ غلتها قهراً فما الحكم الشرعي لمن يؤمن وبغى أفد جواباً لو دعى يظهر الحق ويردع

المدعي؟؟ الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ١٣١ .

في بطلانه كما في إجابة السؤال لأن: «بيع الوفاء باطل من أصله بلا خلاف»^(١)، إذ اعتبر الفقهاء أن هذا البيع احتيال على الربا؛ لأنه بيع المحتاج إلى التقد عقارا على أنه متى وفي الثمن استرد الثمن، ويفترق عن الرهن في غايته، من حيث أن غاية الرهن توثيقه فقط، وغاية بيع الوفاء توثيق الدين وانتفاع المشتري الدائن بالعقار، وهذا البيع فاسد عند جمهور أهل العلم وهو مذهب المالكية والحنابلة والمتقدمين من الحنفية والشافعية، لأن البيع على هذا الوجه لا يقصد منه حقيقة البيع، وإنما يقصد من ورائه الوصول إلى الربا المحرم، وهو إقراض المال إلى أجل بزيادة ربوية، وهي الانتفاع بالمبيع مدة الأجل، ويقول ابن عابدين: «ويسمي به البعض بيع البيع الجائز، ولعله مبني على أنه بيع صحيح لحاجة التخلص من الربا حتى يسوغ للمشتري أكل ريعه..»^(٢).

وتدخل الفتاوى كما يشير ملحق الدراسة المتضمن نماذج من الفتاوى المتصلة بالزراعة إلى دقائق أمور الحياة الزراعية والعلاقات المتداخلة في مجتمعها، ففي حال الشراكة بين صاحب البذر وهو مالك للأرض، مع صاحب الدواب المستخدمة بالزراعة، تبطل الشراكة في الغلة، لأن: «ما يخرج يكون لصاحب البذر لأن الغلة تتبع البذر ويغرم لصاحبه أجره ثوره فقط لأنه عمل طامعاً والله أعلم»^(٣). وفي حال قدم مالك ثور لآخر ثورة ليعمل مع ثور صاحب الأرض يظل «جميع الزرع لمالك البذر وليس لصاحب الثور إلا أجره المثل للثور فقط..»^(٤).

(١) الخليلي، فتاوى، ج ١، ص ١٣١.

(٢) انظر: ابن عابدين، رد المختار، ج ٧، ص ٥٤٥؛ مصطفى أحمد الزرقاء، الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، المدخل الفقهي العام، ثلاثة أجزاء، دمشق، ١٩٦٨م، ج ١، ص ٣٠٥.

(٣) الخليلي، فتاوى، ج ١، ص ١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٩.

والأرض تحمل محل الأجرة في حال الشراكة بين اثنين ، ففي حال اتفاق رجلين على وضع بذار بشكل متساو ، وكان لأحدهما الأرض ، وشرط صاحب الأرض على الثاني جميع الأعمال مقابل حصته من الأرض ، فإن جواب الشيخ على هذا السؤال كان : «ليس على مالك الأرض شيء من الأعمال لأن عمله في نظير الأرض لأن ذلك قائم مقام الأجرة للأرض . . .» (١) .

وتشير الفتاوى إلى أجرة من يستعملون في أمور الزراعة ، فالربع من المحصول هو الأجر المقدّر لمن عمل في الأرض في قشا وحرثا وزرعا وحصدا ودرسا (٢) . ولكن هذا الربع مرفوض شرعا ، برغم أنه كان عادة منتشرة بين الناس ، فقد بين الخليلي أن المحصول يعود لصاحب البذار قائلا : «ما يقع في هذه البلاد من أخذ الربع للعامل في غير العنب والرطب باطل لجهالته ، بل الزرع يتبع البذر فمن له البذر أخذ الزرع ، وعليه لصاحب الأرض أجرتها أجرة المثل» (٣) .

ومن القضايا التي تعرض لها الفتاوى والخاصة بالنشاط الزراعي ، ما يخص الخلاف الذي قد يقع في مواسم الحصاد ، بين الشركاء ، ومنها الخلاف في الحصاد والدّراس ، إذ سئل عن رجل عنده ثور ، «فجاء له آخر وطلبه منه ليحامل به ثورا آخراً ، ويكون له ربع الغلة ويضع هو ربع البذر ، فدفع له البذر وزرع ، ثم وقع بينهما اختلاف من جهة الحصد والدّراس وسائر وجوه التحصيل ، فما الوجه الشرعي في ذلك» (٤) ، ويرى الخليلي هنا أن اختلاف الشريكين في مثل هذه الحالة حكمه بأن تكون : «الغلة تابعة للبذر ، فكل واحد يأخذ ما يقابل بذره ، فلصاحب الثور ربع الغلة ، وعليه ربع الحصاد ونحوه ، ولكن لصاحب الثور

(١) الخليلي ، فتاوي ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

نصف أجرة ثوره ، لأنه عمل له في ربع ما يأكله ، وللعامل على الثور ربع أجرة نفسه . .» (١) .

وتقف فتاوى الخليلي عند الوقف والانتفاع به ، إذ أدرك الفقه أن تأجير العقارات الوقفية وتمكين مستغليها من إعمارها وتهيئتها والإضافة إليها ، تتطلب تمكين مستغل العقار الوقفي من مدة طويلة للاستغلال يتيسر له فيها استثمار الأموال التي أنفقها في الإصلاح والإضافة والتهيئة ، وهذا ما يتطلب أن تكون مدد الاستغلال طويلة ، لكنه الفقه نبه إلى أن طول المدد يؤدي إلى أن يعتبر المستفيد من الوقف ما بيده ملكا له .

وبناء على هذين الاعتبارين فقد اختلفت الأقوال في مدة السماح باستغلال الوقف ، فرأى الحنفية أن الأراضي العارية تكرر لمدة ثلاث سنوات ، ورأى المالكية أنها تكرر لمدة أربع سنوات وتكرر الدور والحوانيت سنة واحدة . وعلى الخلاف من ذلك ذهب الشافعية والحنابلة إلى جواز إجارتها لمدة طويلة وفق شروط معينة . والخليلي هنا وإن اتفق مع الأحناف برأيهم بعدم تأجير الوقف من الأرض الزراعية أكثر من ثلاث سنوات ، كما قال بذلك ابن عابدين بقوله : « . . . ويعلم النفع ببيان المدّة كالسكنى والزراعة . . . ثلاث سنين في الضياع ، وعلى سنة في غيرها» (٢) ، إلا أنه يقيد شرط الانتفاع بأكثر من ثلاث سنوات في حال كان « انقضاء الأجل في إجارة الوقف سبباً في حدوث عيب أو يؤثر بالمنفعة مثل انقطاع ماء أرض اكترت للزراعة . . . » (٣) . وبالمجمل أوضح

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن عابدين ، رد المحتار ، ج ٩ ، ص ٨ ، وقال أيضا في كتاب الوقف بإبطال الأجرة الطويلة ولو بعقود ،

ج ٦ ، ص ٦٠٩ . وبين الشارح أن طول المدّة في إجارة الوقف يؤدي إلى إبطال الوقف .

(٣) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ٢١١ .

الخليلي بأنَّ الحكام «اصطلحوا على منع إجارة الوقف أكثر من ثلاث سنين لثلا يندرس»^(١) وفي ذلك إشارة إلى موقف الدولة العثمانية من عدم تأجير الوقف لأكثر من ثلاث سنوات .

- انتفاع السباهية بالأرض وإحياء الموات منها

تظهر الفتاوى دوراً للسباهية^(٢) في الاستثمار بزراعة الأرض وتأجيرها لوجهاء محليين من شيوخ القرى في نابلس ، إذ سُئلَ الخليلي في اسباهي أقطعة السلطان قرية من قرى نابلس تحت عمل يعمله ، ثم أنه أجر نصفه سنة لزراعتها^(٣) . . . بحسب ما جرت به العادة ، فدفعوا ورقة الضمان لشيخ البلد فضبط البلد جميعاً فهل تطالب أهل البلد بما عليهم ضماناً وغيره»^(٤) .

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٢) تعرف السباهية في التنظيم العسكري العثماني ، على أنها مجموعة من قوات الجند المحلية ، ولها تنظيمها الإداري الخاص الذي يشمل دفتداراً خاصاً ، وبيكاً أو أميراً معترفاً به ، وقد شكل السباهية هيئة تقوم ببعض المهام في الولايات العربية . كما تولوا استثمار وإدارة التيمارات في مدن الشام وفلسطين منذ القرن السادس عشر ، وما وفر لهم ثروة كبيرة جعلتهم يسيطون سلطتهم ونفوذهم على الريف ، انظر : نوفان السوارية ، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، دار الأفاق ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م ، ص : ٥٨-٦٠ ؛ جب ، هاملتون . بوون ، هارولد . المجتمع الإسلامي والغرب ، ج ٢ ، ط ١ ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٠ م . ج ١ ، ص ٩ ؛ عماد ، عبد الغني ، السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر ، ط ١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٦٣ . وانظر أيضاً :

Bakhit, Muhammad Adnan. The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century. Beirut.1982. pp. 99,100,104

(٣) المقصود هنا نصف العمل الذي يعمله بالقرية .

(٤) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

ومثل هذه الفتوى إن دلت على تداخل العلاقات ، مع الأسباهية والفلاحين في القرى ، إلا أنها تحمل إشارات دالة على دور الشيوخ في القرى في ممارسة أدوار وظيفية داخل مجتمعاتهم . وهناك أسئلة تظهر طبيعة القضايا وبخاصة الديون ، وتكشف هذه الأسئلة عن طول مدة الاستثمار لتلك الأراضي ، والتي كانت تحصل بين السباهية ومستثمري الأراضي التابعة لهم ، إذ سئل الشيخ الخليلي في «رجل اسباهي أقطعه مولانا السلطان نصره الله تعالى قرى وأراضي ومزارع تحت خدم يخدمها لعموم المسلمين ، ولها زراع يزرعونها ، فرجل زرع منها حصة نحو تسع سنين ومات وخلف وارثاً وتركه فهل يلزم دفع ما عليها من المعلوم للاسباهي المذكور لكونه يستحقها من طرف السلطان؟ و(أجاب) لا ريب أن منفعة الأرض مضمونة على الزارع للأرض يستحقها الاسباهي المذكور بموجب الإقطاع فهي دين على الرجل الزارع لها يجب عليه وفاؤه لمستحقه المذكور . . . والله تعالى أعلم» .

وهناك إشارات لاستثمار بعض المزارعين في إقطاع الجنود المعينين في خدمة السلطان دون إشارة لصفة هؤلاء الجنود^(١) . وتشير الفتاوى إلى هجرة أهالي بعض القرى بسبب انعدام الأمن والخوف ، من الحكام وهو ما ينعكس سلباً على الزراعة فيها جرأ هجرتها^(٢) . وهو ما يذكر بفتاوى خير الدين الرملي وعبد الغني النابلسي في وجوب هجرة أهل القرى لقراهم ، لمواجهة الظلم^(٣) . وتسمح الأسئلة الواردة على إحياء الأرض الموات ، إظهار أنواع هذا النوع

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣-٢٤ . «سئل في قرية وقع فيها خوف من حاكم فخرج أهلها

وتفرقوا . . .» .

(٣) ظهرت شكوى أهل القرى من المظالم منذ بداية الحكم العثماني ، ويرصد عبدالكريم رافق الجدل

الفقهي الذي دار بين علماء الشريعة والسلطة العثمانية التي كان يمثلها فرسان الجيش «السباهية» ،

الذين أرققوا فلاحي القرى بالضرائب والأتاوات ، وكان رد الفلاحين على مظالمهم إما التحول ==

من الأرض ، وكيفية إحيائه ، فقد سُئل الخليلي عن حدِّ أحياء الأرض للزرع ، وعن الاختلاف بن اثنين في الأحياء إذا ما أقام كل منهم بينة ، فأبي البيهتين تقدم ، وإذا وضع إنسان يده على أرض ولم يعمرها وعمرها غيره فأيهما أحق بها؟ .

وأجاب مبينا أنواع الأرض الموات التي يتمُّ إحيائها ، قائلا : «أعلم أنَّ الأرض أقسام : أحدها أن يعلوها الماء مثل بقاع العراق فهذه أحيائها بحبس الماء عنها وانحساره منها وسدَّ الحُفر التي يأتي منها الماء ، والثاني مثل أراضي الجبال

== إلى قطع الطرق ومهاجمة رجال الدولة ، أو هجرة قراهم كما فعلت غالبيتهم . وساندهم في خيار الهجرة صدور فتاوى من قبل العلماء تدعوهم لهجرة ضياعهم ، وحسب إشارة المؤرخ المجبي فقد جمعت تلك الفتاوى التي تحث الفلاحين على الهجرة في مؤلف لياسين الفرضي بن مصطفى الحنفي (ت : ١٠٩٥م / ١٦٨٤هـ) وسمى ذلك المجموع «كتاب نصرة الفلاحين عن الأوطان على الظلمة وأهل العدوان» . أما موقف الشيخ عبدالغني النابلسي (ت : ١١٤٣هـ / ١٧٣١م) فهو استمرارا لمواقف علماء القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي في رفض تعديت رجال الإقطاع والعسكر في تعديتهم على الفلاحين في القرى ، إذ أُلِّف رسالة يدعم فيها موقف الفلاحين ضد رجال الإقطاع الذين تبادوا في تعديتهم ، وحملت الرسالة اسم «تخيير العباد في سكنى البلاد» ، أيد فيها هجرة الفلاحين ، ضمانا لسلامتهم وأكد على أن خروج أهل القرى وتركهم مساكنهم وأملاكهم بسبب عبادة الله تعالى بتحريم الحرام وتحليل الحلال من فسق الظلمة وعدوانهم عليهم وطلبهم منهم ما لا يرضى به الله ، فإن الذي تفعله أهل القرى من الخروج عن قراهم أمر يثابون عليه . انظر : الغزي ، نجم الدين محمد بن محمد (ت : ١٠٧٠هـ / ١٦٥١م) ، لطف السمر وقطف الثمر ، تحقيق محمود الشيخ ، وزارة الثقافة ، جزءان ، دمشق ، ١٩٨١ ، ج٢ ، ص ٦٩٨-٧٠١ ؛ النابلسي ، عبد الغني بن إسماعيل (ت : ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م) ، تخيير العباد في سكنى البلاد ، منخطوط رقم ٩٠٣٠ ، مجموعة الظاهرية ، مكتبة الأسد ، دمشق ، ق٣ أ ؛ عبدالكريم رافق ، الهوية والانتماء في بلاد الشام في العهد العثماني ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، العددان ٨١-٨٢ ، آذار - حزيران ، ٢٠٠٣ ، ص ١٢٥ .

فهذه لا بُدَّ فيها من الحراثة مع كسح ما فيها من شجر وأحجار بحيث يطلق عليها اسم المعمورة ، الثالث أراضي لا يكفيها المطر فالزبد فيها من جمع التراب حولها وتسوية الأرض بطم المنخفض وكسح العالي وحراثتها وأن توقف زرعها عليها وترتيب مائها بشق ساقية ، وإن لم يحفر طريقه إليها إن لم يكفها المطر المعتاد لتوقف مقصودها عليه بخلاف ما إذا كفاها ، ولا شك أن بيّنة واضح اليد تقدم كما هو مذكور في اختلاف البيئتين ومن عمر الأرض فهو أحق بها ، ويملكها ، وإن أثم لأنه حقق الملك كسواء ما ساقه غيره ، ومثل ذلك المتحجر للأرض فإذا عمرها غيره فقد ملكها»^(١) .

خاتمة:

مثلت الفتاوى التي يقدمها مجموع فتوى الشيخ محمد الخليلي ، رسداً دقيقاً لتاريخ مجتمع فلسطين ، بشكل عام ونواح القدس والخليل بشكل خاص ، فقد دارت الأسئلة الفقهية على مجمل أبواب الفقه ، ويمكن للباحث الوصول إلى تفاصيل دقيقة في حياة المجتمع ، وهي بالمجمل تعكس صورة مجتمع غير متدين ، ويعمُّ فيه الجهل في قضايا الشرع . كما تعكس صوراً من الظلم في قضايا البيع والشراكة في الزراعة واستثمار الأرض ، وتعدي الحكام على أهل القرى وتخويقهم بما ألجأهم إلى هجرتها ، وهو ما الحق ضرراً كبيراً في الزراعة . تؤكد فتاوى الخليلي على أنها تعكس زمانها ، من خلال مجمل القضايا التي تقدمها ، وهي وإن كانت تطلب الإجابة على سؤال في الفقه ، إلا أنها كتبت تاريخ زمانها بدون قصد ، فمن خلالها يمكن إن يجد الباحث معلومات وافرة عن الزراعة ، وأساليب الانتفاع من الأرض ، والتقاليد المتبعة في دفع الأجور والتي كانت غير مقبولة شرعاً ، لكنّها على ما يبدو كانت أقرب إلى

(١) الخليلي ، فتاوى ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

العرف بين الناس ، كما اوضحت الفتاوى أنواع المحاصيل التي كانت تزرع والاحكام المتعلقة بالتعامل في قضايا الشراكة في الزراعة ، وأظهرت تفشيًا لظاهرة الربا ، ومجمل الفتاوى في إطارها العام تعدُّ سجلاً مباشراً لحياة المجتمع الذي عاصرها .

البنك الزراعي ودوره في تنمية الحياة الزراعية ببلاد الشام: دراسة من وثائق الأرشيف العثماني

سهيل صابان(*)

المقدمة

بلاد الشام ضمت مناطق شاسعة ، وتميزت بالزراعة وفلاحة الأرض التي شكلت مصدراً وافراً من الرزق لأهلها ، كما شكلت مورداً مالياً جيداً للدولة العثمانية ذاتها . ومع التطور الحديث في الزراعة تزامن اهتمام الدولة بأمر الزراعة في المنطقة ، ورفع العراقيل التي وقفت أمام المزارعين ، وتسهيل تقديم القروض لهم من خلال البنك الزراعي ، إضافة إلى تقديم المساعدات المالية للمزارعين تعويضاً عن خسارتهم في بعض المواسم .

ولدراسة هذا الموضوع فإن البحث انصب على وثائق الأرشيف العثماني ، التي تتكون من المراسلات المتبادلة بين ولايات المنطقة وألويتها وبين الباب العالي في إستانبول . وعلى الرغم من أن الوثائق لا توضح أبعاد الموضوعات التي أوردتها ، إلا أنها تقدم فكرة مقتضبة عن كثير من الموضوعات المتفرعة عن الموضوع الرئيس وهو دور البنك الزراعي في تنمية الحياة الزراعية . فتلك المراسلات توضح موقف الإدارات الحكومية في المنطقة من المزارعين في منح القروض لهم من البنك الزراعي بشكل عام ، وفي سنوات القحط والجفاف وقلة الأمطار ، وفي المواسم التي تتعرض المزروعات فيها للبرد الشديد أو الجراد بشكل

(*) قسم التاريخ ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية .

خاص . ومن هنا فإن هذه الوثائق تبين لنا جانباً مهماً من تاريخ الحياة الزراعية في بلاد الشام في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بها ، كما تحدد السنوات التي حصلت فيها الانكسار في الحياة الزراعية ، والمواسم التي زادت فيها الأمطار وجرفت السيول المزارع ، وأدت إلى خسائر كبيرة انعكست آثارها السلبية على المزارعين . وتوضح من جهة أخرى مدى وقوف الحكومة مع المزارعين في التخفيف عن خسارتهم وكيفية تعويضها ، وكذلك السنوات التي عمت فيها البركة البلاد وزاد الخير وانتعشت الزراعة ، ووفر البنك بسببه المكائن الزراعية التي تقدم العون للمزارعين في حصاد إنتاجهم .

والحقيقة أن الخدمات التي قدمها البنك الزراعي في بلاد الشام للمزارعين تعكس طرفاً من سياسات الدولة العثمانية للمنطقة ، سواء في إيجاد حلول للمشكلات الطارئة أو العمل على استعمار الأرض وإنعاش الزراعة ؛ إذ إن سياستها في إسكان بعض القبائل البدوية في بلاد الشام - على سبيل المثال - كانت ترمي القضاء على المشكلات التي تتسبب فيها تلك القبائل من جهة ، وتعويدهم على الزراعة التي توفر لهم العيش من جهة ثانية ، وإعمار الأرض من جهة ثالثة ، وتحصيل الضرائب منهم فيما بعد من جهة رابعة .

سياسة الدولة العثمانية في التنمية الزراعية ببلاد الشام

الزراعة كانت عصب الحياة العثمانية ، والمورد العذب لميزانية الدولة وأساس اقتصادها . وتنوعت منها وارداتها العشرية وتكاليدها العرفية^(١) . ولئن انتكست

(١) التكاليف أو الرسوم العرفية : الاسم العام على كافة الرسوم المأخوذة من المواطنين ماعدا الرسوم الشرعية . وكانت الرسوم العرفية متنوعة وكثيرة ، لكنها تصنف تحت نوعين أساسيين ، هما : التكاليف والعوارض . فالتكاليف كانت محددة حسب قوانين كل ولاية ، وهي كثيرة . منها : المجرّد ، وجفت (الزراعة) وبادي هوا ، والعروسية ، والاحتساب والعوارض هي الضرائب المفروضة على المواطنين في الحالات الطارئة ، إلا أنها أصبحت مستمرة وتحولت إلى مبالغ نقدية بعد أن ==

الزراعة في البلاد العثمانية في بعض الأزمان ، إلا أن الباب العالي كان مضطراً لإبراز مزيد من الاهتمام بها ؛ لكونها تشكل أهم مصدر لواردات الدولة . وبناءً عليه فقد أشار مرسوم الإصلاحات^(١) الذي أعلن عنها السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) إلى ذلك الاهتمام بأمر الزراعة بأن «كافة العوائق التي تقف في سبيل التقدم التجاري والزراعي سوف تزال ، وسوف يتم بالتدريج اتخاذ التدابير اللازمة في الاستفادة من التجربة الأوربية في التعليم والعلوم والتقنية والرأسمال»^(٢) .

ولاتخاذ تدابير للتنمية الزراعية في أنحاء الدولة العثمانية ومنها بلاد الشام ، فقد أحدثت في عام (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) إدارات للزراعة في الولايات

== كانت جهداً محدداً ، مثل بناء الجسور وشق الطرق وتقديم التموين وسميت تلك المبالغ بأقجة العوارض ، مع عدم التخلي عن الجهد البشري في القيام بالخدمات التي تتطلبها الظروف الطارئة . سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية : الرياض ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م . ص ١٢٧ .

(١) مرسوم الإصلاحات : المرسوم الذي أعلنه السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثاني في (١١ جمادى الآخرة ١٢٧٢هـ/١٨ فبراير ١٨٥٦م) إثر ما مارسه القوى الخارجية من ضغط على الدولة العثمانية ، بهدف إجراء تغييرات جذرية في مؤسسات الدولة ، وعدم التفرقة بين المواطنين في الحقوق والواجبات ، والسماح للأجانب بامتلاك الأراضي ، وتحديد ميزانية سنوية للدولة ، وإنشاء البنوك ؛ بهدف تطوير اقتصاد البلد إضافة إلى مواد أخرى تتعلق بالزراعة والتجارة ، صابان ، المعجم الموسوعي ، ص ٣٢-٣٣ ؛ سهيل صابان . تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية ، الولايات المتحدة الأمريكية ، هرندون ، فرجينيا : معهد الفكر الإسلامي ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م . ص ١٤-١٧ .

(2) Midhat Pasa'nin Kurdugu Memleket Sandiklari: Ziraat Bankasinin Kokenleri/Secil Akgun

[Uluslararası Midhat Pasa Semineri: Bildiriler ve Tartismalar: Edirne (8-10 Mayıs 1984)]

Türk Tarih Kurumu, 1986. pp. 185-211.

والأقضية والنواحي ، وعينت الحكومة على كل منها مديراً أو نائب مدير في القرى الكبيرة ، واتخذت في العام التالي قرارات للتنمية الزراعية ، تلخص في : تخفيف الضرائب ، وتقديم المساعدات للمحتاجين من أهل الزراعة وأرباب المهن ، وتأخير تحصيل الضرائب من المزارعين لما بعد الحصاد ، وتعبيد الطرق وإصلاح الأنهر . وكان من نتائج ذلك تشكيل وزارة الزراعة عام (١٢٦٢هـ/١٨٤٦م) وافتتاح مدرسة للزراعة في إستانبول بعد سنتين^(١) . إلا أن تلك الوزارة أدمجت فيما بعد مع وزارة التجارة مما قلل دورها كما يجب أن يستفاد منها^(٢) .

كانت بلاد الشام^(٣) بتقسيماتها الطبيعية - التي تشمل حلب وحمص وحمص ولبنان وفلسطين والأردن والشام - من المناطق الزراعية المهمة في الدولة العثمانية ، وتعول الدولة على وارداتها في كثير من الأحيان ، وبخاصة لما تضيق بها السبل في توفير الكميات المطلوبة من الغلال للحرمين الشريفين من مصر ،

(1) 100 Yil Onceki Zirai Bunyemize Bir Bakis/Turgut Yazicioglu[Yuz Yillik Teskilatli Zirai Kredi:1863-1963.T.C.Ziraat Bankasi. 1964].pp. 58-72.

(2) Midhat Pasa'nin Kurdugu Memleket Sandiklari. pp. 185-211 .

(٣) كانت بلاد الشام مقسمة إلى ثلاث ولايات : ولاية حلب وتشمل شمال الشام ، وولاية طرابلس الشام وتشمل وسط البلاد (طرابلس ، حماة ، حمص ، سلمية وجبله) ، وولاية دمشق وتشمل جنوبي الديار السورية (دمشق ، والقدس وغزة ونابلس وتدمر وصيدا وغيرها) . ثم أنشئت ولاية صيدا ، كما استقل لبنان استقلالاً ذاتياً عقب أحداث عام ١٨٦٠م ، وأنشئت متصرفيتان مستقلتان هما القدس ودير الزور ، وأخيراً أحدثت ولاية بيروت عام (١٣٠٥هـ/١٨٨٨م) ، مصطفى مراد الدباغ . بلادنا فلسطين ، الجزء الثاني ، القسم الثاني : في الديار النابلسية - بيروت : (د ن) ، ١٩٧٠ م . ص ٩-١٠ ؛ وحول التقسيمات الإدارية لبلاد الشام طيلة العهد العثماني انظر : عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا : ١٨٦٤-١٩١٤م : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ م . ص ٦١-٦٦ ، ٣٤٠-٣٤٢ .

أو يحتاجان إلى مبالغ مالية طارئة خارجة عن المعتاد ؛ لأسباب سياسية وجغرافية . فكان من الطبيعي - ولاسيما بسبب القرب الجغرافي مع ولاية الحجاز - أن تحتل بلاد الشام المحطة الأولى والأهم لدى الباب العالي في تزويد الحرمين الشريفين بالغلل والنقود^(١) . وبناءً عليه فلا غرو من إبراز الاهتمام اللازم بها ، والعمل على تطوير وارداتها وتنويعها .

ولهذا السبب فإن الباب العالي في مراسلاته إلى ولايات المنطقة كان يركز على إصلاح الزراعة والفلاحة ، وتنمية الحياة الزراعية^(٢) والعمل على كل ما من شأنه الارتقاء بالزراعة ، والاهتمام بأمور المزارعين وتوفير حاجياتهم ، مما ينعكس إيجاباً على واردات المنطقة وبالتالي واردات الدولة . يدل على ذلك قيام الحكومة بتأسيس نظارة للزراعة في ولاية الشام ، وتأسيس مدارس متخصصة في الزراعة بها ، وإعداد مزارع نموذجية ؛ للاستفادة منها في نقل الخبرة إلى أهل المنطقة وذلك بجلب الفنيين المتخصصين في شؤون الزراعة إلى المنطقة .

يضاف إلى ذلك نجاح الحكومة في توطين بعض القبائل البدوية في مناطق من بلاد الشام ، وتقديم التسهيلات الممكنة لها في امتهان الزراعة^(٣) . وكذلك إسكان بعض المهاجرين إلى بلاد الشام بالعمل في الزراعة بعد تقديم المساعدات

(١) إذا تعرضت ميزانية الحرمين الشريفين للنقص ، أو احتاج أهالي الحجاز للغلل ؛ إما بسبب نقص في الغلال الواردة من مصر أو بسبب غرق بعض السفن الحاملة لتلك الغلال بعد خروجها من مصر إلى الحجاز ، أو غير ذلك من الأسباب فإن الباب العالي كان يصدر الأوامر إلى ولاية سوريا والولايات الأخرى القريبة من الحجاز بإرسال ما يلزم - نقوداً أو غلّة - على وجه السرعة . بشأن بعض الأوامر الواردة في دفاتر العينيات في هذا الصدد انظر : سهيل صابان ، المراسلات المتعلقة بالأمور المالية لولاية الحجاز في سجل العينيات رقم ٨٧٣ (١٢٨٩ - ١٢٩٠هـ / ١٨٧٢ - ١٨٧٣م) ، مجلة الجمعية التاريخية السعودية ، ٢٠٤ ، س ١٠ ، الرياض ، (رجب ١٤٣٠هـ / يوليو ٢٠٠٩م) . ص ٧٩ - ١٢٩ .

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف ، A.MKT.MHM.115/70 .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف ، C.DH.6195 .

اللازمة لهم^(١) . كما أسكنت عشيرة عمور^(٢) - القاطنة في منطقة الجبل الأبيض بولاية الشام - في القرية الخربة الموسومة بالأربعين ، ومنحتهم الكمية الكافية من البذور لامتهان الزراعة بها ، وذلك تعويضاً لهم عن تركهم حياة البداوة ، وعدم تحصيل شيء من الضرائب منهم لمدة سنتين ، كما جاءت في مراسلة بتاريخ (٢٠ ربيع الثاني ١٢٦٦هـ / ٥ مارس ١٨٥٠م)^(٣) .

كما يتضح من المراسلات العديدة اهتمام الباب العالي بتقديم الإعانات المالية لأهل المنطقة من بند المصروفات الطائرة بعد وقوع بعض الكوارث الطبيعية فيها ، ودفع مبالغ احتاجها بعض المزارعين ممن لم يتمكنوا من الحصول

(١) من ذلك الأمر السلطاني الصادر في (٢٥ ربيع الثاني ١٢٦٤هـ / ٣٠ مارس ١٨٤٨م) إلى وزارة المالية بتقديم المساعدات المالية اللازمة لمن يعمل في الزراعة من الجزائريين القادمين إلى الشام والذين تم إسكانهم في عجلون . الأرشيف العثماني ، تصنيف A.MKT.MVL.8/47 ومنح منطقة الكسرية في منطقة عكا للمهاجرين الجزائريين وعدم تحصيل الضرائب منهم A.MKT.MHM.416/3 ونقل المهاجرين الشركس الذين أسكنوا بجوار قلعة براق في قضاء وادي العجم إلى أراضي كمرساق بالقنيطرة DH.MKT.1569/103 .

(٢) العمور : توجد عشيرتان بهذا الاسم : (١) عشيرة تنقسم إلى فرق ، مستقل بعضها عن بعض . وكانت قديماً تؤلف وحدة متماسكة قوية الشكيمة . أصلهم فيما زعموا من نجد ، جاؤوا إلى بلاد الشام قبل عزة في أوائل القرن الثاني عشر [الميلادي] ونزلوا بين سلمية وتدمر وحماة . وتنقسم إلى : عمور أبي خربة ، وعمور الخرسان ، وهؤلاء مستقلون ، وعمور الملحم الذين لحقوا الأحسنة ، ثم عمور المهارشة الذين لحقوا الحديديين ، ثم عمور الجراح الذين لحقوا فدعان الولد ، ثم عمور الفراع (٢) عشيرة تقيم في القلمون (النبك) بمحافظة دمشق . ويدعون عمور الديرة ، ينتقلون من شرقي النبك والدير عطية إلى شرقي بحيرتي العتبية والهيجانة ، ولا يبعدون في نجعتهم شتاءً أكثر من بحيرة الصيقل وبئر الأفاعي ، عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط٢ ، - المكتبة الهاشمية ، دمشق : ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م : ج٢ ، ص ٨٣٨-٨٣٩ .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف ، C.DH.6195 .

على القروض من البنك الزراعي ؛ بسبب وجود ديون في ذمتهم^(١) ، أو عدم وجود أراض مسجلة بأسمائهم ، ولاسيما في متصرفية القدس الشريف ؛ إذ كانت الأراضي مشاعية^(٢) ، أي أن أصحابها معروفون ولكن أراضيهم لم تكن مسجلة بأسمائهم^(٣) .

ومن الأمور التي رأت الحكومة أنها عائق كبير أمام التنمية الزراعية في بلاد الشام ، وظيفة «سوباши»^(٤) التي تعني جابي الضرائب . والحقيقة أن الوثيقة المؤرخة في (٥ جمادى الأولى ١٢٧٤هـ/ ٢١ ديسمبر ١٨٥٧م) قد ذكرت معنى آخر غير جباية الضرائب ، وهي إقراض الناس بمبالغ مالية بفائض مبالغ فيه . ويبدو واضحاً أن أولئك الجباة أضافوا إلى مهنتهم الأصلية وظيفة إقراض الأموال للناس ؛ إذ ذكرت الوثيقة أنه بسبب هذه الوظيفة المجحفة بحق المزارعين فقد وقع كثير من الظلم على الأهالي في المناطق الواقعة في أيالة^(٥) الشام ،

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف . DH.ID.85/28 .

(٢) ذكر باحثان أن نظام الأراضي المشاعية قلل من اهتمام الفلاحين بالأرض . فلسطين في نهاية العصر العثماني من خلال الرحلة التي قام بها محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب تحت عنوان ولاية بيروت : الجزء الأول : لواء نابلس ، دراسة زهير عبد اللطيف غنام وتحقيق محمد عبد الكريم محافظة ، عمان ، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ، ٢٠٠٠م . ص ٣١ .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف . DH.MKT.2735/82 .

(٤) سوباши : رئيس الأمور الضبطية في المدن والبلدات . والشخص المنتخب من خيالة قابي قولو لتوفير الأمن في أوقات الحرب ، وتحصيل الضرائب في أوقات الصلح ، أي في الأوقات العادية .

Midhat Sertoglu Osmanli tarih Lugati- Istanbul: Enderun yay. 1986.p.318

(٥) الأيالة (بفتح الهمزة ، ويخطئ من يكسرهما) : تطلق على أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية . فقد كانت الدولة مقسمة إدارياً إلى أيالات ، والأيلات إلى سناجق ، والسناجق إلى أقضية ، والأقضية إلى نواح ، والنواحي إلى قرى . ولقد أشرف على الأيلات في الدولة أمير الأمراء ثم الوزراء بعد القرن السادس عشر الميلادي ، حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين ==

ولذلك فقد جرى إلغاؤها ، على أن يتم تشكيل لجنة خاصة للنظر فيما لأصحاب هذه الأموال من حقوق على الناس (١) .

وكانت الحكومة تهدف - من جانب آخر - من كل تلك الإجراءات الرامية إلى الإصلاح الزراعي في بلاد الشام ورفع العوائق في طريقه ، وزيادة وارداتها من الزراعة وتنويعها ، كما سبق بيانه . لكن يبدو من استقراء الوثائق أنها لم تتمكن من تحصيل الواردات العشرية (٢) من المزارعين في بعض المناطق كما ينبغي ، مما دفعها إلى وضع نظام جديد في تحصيل تلك الواردات ، وهو إحالة أمر تحصيل الواردات العشرية إلى المقاولين بالإقطاع أي الالتزام ، ولمدة خمس سنوات ، تدفع سنة بسنتها . فقد أفادت وثيقة (٣) مؤرخة في (٢١ ربيع الأول ١٢٦٨هـ / ٥ يناير ١٨٥٢م) بقرار مجلس الوزراء القاضي إحالة موضوع

== الحكم الإداري والعسكري للأبالة . وبناءً على ما سبق فإن لفظ الأبالة أعم وأشمل من لفظ الولاية بحسب الاستعمال العثماني في الأغلب . لكن استخدم هذا اللفظ في بعض الأحيان مترادفاً مع لفظ الولاية . وقد اختفى استخدام الأبالة بعد صدور قانون الولايات عام (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م) . سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية . ص ٤٥ ؛ عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا . ص ٧٠ .

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف . A.MKT.MVL.93/84 .

(٢) العشر : باعتبار أصله الشرعي زكاة المحصولات . وكانت نسبته ربع العشر أو حصة من أصل أربعين حصة من ناتج الأرض وغلتها . وفي زمن الدولة العثمانية كانت الأعشار تحسب كضريبة على ناتج المحاصيل الزراعية ، ونسبتها حصة واحدة من عشر حصص من مجمل ناتج الأرض الزراعية لصالح خزانة الدولة . ولكن بعد تردي الأوضاع الاقتصادية في عموم الدولة العثمانية زادت هذه النسبة حتى بلغت حصة من ثمانين حصص ، أو ١٢ ، ٥٪ من ناتج الأرض . وكان الفلاحون والمزارعون يسدونها غللاً من المحصول . عبلة المهتدي ، أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني ، دار مجدلوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . ص ١٠٥ .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف . I.MVL.229/7881 .

تحصيل الواردات العشرية بموجب الأصول الجديدة إلى المقاولين ، واختير لذلك ما سميت بالنواحي الأربع في ولاية الشام ، وصرحت بها بأنها : مرج الغوطة^(١) ، ووادي العجم^(٢) ، وإقليم بيلان^(٣) ، ووادي بردى^(٤) ، وجبل قلمون^(٥) .

(١) الغوطة : قيل هي قصبة دمشق ، وقيل هو موضع متصل بدمشق من جهة باب الفراديس ، جبال ومزارع . وطول الغوطة مرحلتان في عرض مرحلة ، وبها ضياع كالمدن ، وجامع قريب الشبه بجامع دمشق . والغوطة أشجار وأنهار ومياه محدقة تشق البساتين ، وبها من أنواع الفواكه ما لا يحيط به تحصيل خصباً وطيباً . محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار : معجم جغرافي مع فهرس شاملة ؛ تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م . ص ٤٣١ .

(٢) وادي العجم : هي منطقة قطنا . عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ، ص ٧٤ .

(٣) بيلان : بلدة تعلو على سطح البحر ٥٠٠ متر ، يشرطها الوادي السحيق الفاصل ما بين جبل اللكام والجبل الأحمر إلى شطرين . لم يذكرها الجغرافيون العرب بهذا الاسم ؛ لأنها لم تكن عامرة في زمنهم . وربما هي التي كانت تدعى باب إسكندرون ، وهو بلاد سيس من جهة حلب . وذكره الإفرنج باب سوريا . أما الجبل الواقع في جنوبي بيلان فيعرف بقزل طاغ ، أي الجبل الأحمر ، أحمد وصفي زكريا ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، وصف طبغرافي تاريخي أثري عمراني للبقاع والبلدان الممتدة من شمالي الإسكندرونة إلى أبواب دمشق ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . ص ٥٦-٦٠ .

(٤) بردى : أعظم نهر بدمشق ، وهو واد ، أصل مخرجه من قرية يقال لها «قنوا» من كورة الزيداني ، على خمسة فراسخ من دمشق جهة بعلبك ؛ صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ؛ وهو مختصر معجم البلدان لياقوت ؛ تحقيق وتعليق علي محمد الجاوي ، دار الجليل ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م : ١٨١/١ (مادة «بردى»).

(٥) جبل قلمون : يسمى جبل سنبر الممتد غربي قضاءي النيك والقטיפفة في عرف أهل المنطقة قلمون ، ويعتبرون حدود جبل قلمون من الشمال إلى الجنوب من البريج إلى الدريج ، وهي قرية في الشمال الغربي من دمشق ، تقع شرقي عين الفيحة ووادي بردى ، وحدوده من الغرب إلى الشرق ==

وقد تم تشكيل المجلس الزراعي في دمشق (في ٢٥ ذي الحجة ١٢٧٣هـ/١٥ أغسطس ١٨٥٧م). وحددت مهمته بالعمل على تنمية الحياة الزراعية ، واتخاذ التدابير اللازمة في ذلك ، والسعي لتحصيل البقايا من ديون الدولة على المزارعين^(١). وهناك إشارة إلى ترشيح أحد الشخصيات ليكون ناظراً للزراعة في بلاد الشام قبل تشكيل ذلك المجلس^(٢)؛ إذ اقترحت ولاية الشام (في ١٠ محرم ١٢٦٨هـ/٥ نوفمبر ١٨٥١م) لهذا المنصب سعيد آغا ، فاعترض الباب العالي على ذلك ؛ لكون المذكور لا يملك المواصفات المطلوبة لشغل منصب مدير الزراعة ، وهي أن يكون عضواً في المجلس المحلي ، وأن يكون ملماً بالأمر الزراعي قادراً على القيام بأعبائها^(٣).

ومما يجدر ذكره هنا أن الإصلاح الزراعي الذي أولاه السلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م) اهتماماً خاصاً كان يهدف تحويل القطاع الزراعي موجهاً نحو التصدير للخارج ؛ بحيث يصبح أوسع إنتاجاً وانتشاراً

== من المرتفعات المظلة على بعلبك إلى بادية الشام ، والقسم الواقع بعد بردى يضم قضاءي الزبداني وقطنا ، يعدّ من جبل الشيخ أو جبل الثلج . وجبل قلمون مقسوم إلى قسمين : الأعلى والأسفل ، ففي الأعلى يوجد قضاء النبك ، وفي الأسفل قضاء القطيفة ؛ زكريا ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية . ص ٣٧٢-٣٧٣ .

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف . A.MKT.MHM.115/70 .

(٢) ومما يجدر ذكره هنا أن الحكومة أصدرت (في ١٧ شعبان ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) تعليمات خاصة بوظائف مديري الزراعة ، تضمنت كيفية تعيينهم وذلك بانتخاب من المجالس المحلية ، وهم لا يتقاضون راتباً لقاء خدمتهم . وطلب منهم الإشراف على أمور الزراعة في مناطقهم ، والعمل على زيادة ثروة الأهالي وترغيبهم في زراعة أنواع أخرى غير الحبوب ، مثل القطن والأرز ولما صدر قانون الولايات (عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م) ارتبط موظف الزراعة بالوالي على أن يتم تعيينه من قبل الدولة بانتخاب نظارة التجارة والنافعة ، عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا . ص ٢٤٢ .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف . A.MKT.UM.82/59.MVL.243/48 .

وأكثر ربحاً وفائدة . ولتحقيق هذا الهدف الكبير فقد افتتح مدارس للزراعة ، وأنشأ مزارع وحقولاً نموذجية ، وشكل فئة متميزة من المتخصصين في الزراعة . والهدف من ذلك تعريف المزارعين في القرى والمناطق البعيدة بالأساليب الحديثة في الزراعة ، وتسهيل زيادة الإنتاج الزراعي ، وتوزيع البذور المنقحة واستيراد الآلات الزراعية من الخارج وتعريف المزارعين بها^(١) .

ومن جهة أخرى ولأجل القضاء على الاحتكار في المنتجات الزراعية فقد وافقت الحكومة على تأسيس سوق (بورصة) خاصة بالغلل في الشام حتى لو جاء ذلك متأخراً . فقد جاء في قرار مجلس الشورى (في ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٦هـ/ ٥ أكتوبر ١٩١٨م) بتأسيس البورصة للقضاء على التغيير المفاجئ في أسعار الغلال والقضاء على الاحتكار الذي انفرد به تجار الغلال في الشام على غرار الولايات العثمانية الأخرى ، مثل أنقره وقونيا وإزمير^(٢) ، إلا أن القرار لم يطبق ؛ بسبب خروج بلاد الشام من حكم الدولة العثمانية نتيجة للحرب العالمية الأولى .

يتبين لنا مما سبق أن الدولة العثمانية كانت تسعى لتحسين أوضاع الزراعة في بلاد الشام ، فكانت تسن الأنظمة والقوانين وتحاول تطبيقها . ولكن إذا كان تنفيذها بطيئاً فإنما يعود ذلك إلى عدم توافر الإمكانيات المادية ، وعدم كفاءة ونزاهة الجهاز الإداري الذي ورثته عن عصور سابقة ، كما يجب ألا نغفل عن ذكر المقاومة للمشاريع الإصلاحية من بعض الطوائف كالدروز والنصيرية ؛ إذ أضاعت الولاية الجهد والمال في إخضاع ثوراتهم المستمرة خلال عصر التنظيمات^(٣) .

(1) Gelisim Acmazi: 1888-1908: Osmanli Turkiyesinde Ziraat Bankasi ve Ziraat Reformu/ Donald Quataert; ceviren Salih Kis.Turkiyat Arastirmalari dergisi (Konya): Selcuk universitesi Turkiyat Arastirmalari Enstitusu.Sayi.29 (Bahar 2011).pp. 461-482

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف . SD.MLNF.1264/27 .

(٣) عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا . ص ٣٤٥ .

تأسيس البنك الزراعي في الدولة العثمانية

نشأت فكرة تقديم قروض للمزارعين بشروط ميسرة من تأسيس صندوق بما يسمى صندوق البلد Memleket Sandigi في بلدة بيروت^(١) Pirot أثناء ولاية مدحت باشا^(٢)

(١) بيروت (بكسر أوله) : مدينة واقعة في شمال غرب العاصمة البلغارية : صوفيا .

(٢) أحمد شفيق مدحت باشا ابن الحاج علي أفندي (١٢٣٨-١٣٠١هـ/١٨٢٢-١٨٨٤م) : من رجال السياسة والإدارة في الدولة العثمانية . ولد في إستانبول . وأصله من روستجق . وقد نشأ في حجر أبيه ، ولم يتلق من العلم في صباه إلا المبادئ الأولية . وكان ينتقل مع أبيه ويقوم حينما أقام ، حتى استقر في الأستانة (عام ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م) . توظف في مكتب الصدارة في عام (١٢٥٦هـ/١٨٤٠م) وتنقل منها إلى مناصب مختلفة ؛ فأقام في دمشق سنتين ، ثم عاد إلى إستانبول ، وغادرها إلى قونيا وارتقى سنة (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م) إلى سكرتير ثاني لمجلس الولاية ، وصار في سنة (١٢٦٧هـ/١٨٥١م) سكرتيراً أول . وأصبح والياً عاماً على نيش عام (١٢٧٨هـ/١٨٦١م) ، وأثبت فيه نجاح خطته الإصلاحية في تنظيم الوضع الإداري في البلقان ، إلا أنها لم تطبق . ثم ترقى في وظائف مرموقة أخرى بالدولة العثمانية ، مثل رئاسة مجلس شورى الدولة ، وعين والياً على ولاية بغداد عام (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م) . فقام فيها بالعديد من الإصلاحات الإدارية والعسكرية والزراعية . وقام بحملته الشهيرة على الأحساء عام (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) ثم أقيل من منصبه وعين صدراً أعظم عام (١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) إلا أنه عزل من هذا المنصب ونفي إلى أدرنة ومنها إلى طرابزون ، بسبب خصومة بينه وبين أحد أركان الدولة . غير أن السلطان عبد الحميد الثاني لما تولى الحكم العثماني عام (١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) وبعد استقالة رشدي باشا من الصدارة عين مدحت باشا صدراً أعظم (١٩ ديسمبر ١٨٧٦م) . إلا أنه عُزل من هذا المنصب عام (١٢٩٤هـ/١٨٧٧م) ، بسبب الصراع الذي كان موجوداً بين المحافظين وبين الفئة التي يمثلها مدحت باشا وهي فئة المتأثرين بالأراء الغربية . إلا أنه عين بعد ذلك والياً على سوريا ثم على إزمير (عام ١٨٨٠م) . ثم ثبتت لدى السلطات العثمانية علاقته بمقتل السلطان عبد العزيز ، فحكم عليه بالإعدام ، إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني عدل الحكم إلى سجن مؤبد ، فنفي إلى الطائف وتوفي بها بعد ثلاث سنوات ؛ قيل إنه خنق فيها ==

على ولاية طونا (٣٤) Tuna عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) . وكان الهدف الأساس من تأسيس هذا الصندوق - الذي تزامن مع إحياء الأرض الموات في الولاية بعد منح الاستفادة منها إلى المزارعين مقابل رسوم رمزية ضمن سياسة الإحياء الزراعي لمدحت باشا (٣٥) - هو تخليص المزارعين القرويين من جشع المرابحين ، والقضاء على ذلك الكسب غير المشروع الذي كان يصل في بعض الأحيان إلى ٩٠٠٪. وأنّ منه المزارعون كثيراً (٣٦) . فلما أسس الباشا الصندوق المذكور فقد تنفس أولئك الصعداء وشكروه على صنيعه وامتنوا له (٣٧) . وقد جرى تنظيمه

== بأمر السلطان ، وقيل إن ملازماً عثمانياً اسمه إسماعيل هو الذي قتله ، وقيل مات بأجله المحتوم .

Midhat Pasa ve Yıldız Mahkemesi/İsmail Hakkı UzunÇarsılı.- Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1967; Midhat ve Rüstü Pasaların Tevkiflerine Dair Vesikalar/İsmail Hakkı UzunÇarsılı.- Ankara: Türk Tarih Kurumu, 1987; Mithat Pasa (1822-1884)/M.Tayyip Gokbilgin [Yuz Yillik Teskilatli Zirai Kredi:1863-1963.T.C.Ziraat Bankasi, 1964].pp. 75-90

(٣٤) ولاية طونا : ولاية عثمانية في أوروبا ، تشكلت من دمج ولايات : سلستره ونيش وويدين . ذلك أن مدحت باشا لما عني والياً على نيش عام (١٨٦١م) وأظهر مهارة فائقة في الإدارة ، فقد أدمجت (في عام ١٨٦٥م) الولايات الثلاث في ولاية واحدة سميت بولاية طونا ، ونصب مدحت باشا والياً عليها ، كولاية نموذجية يتم فيها تطبيق نظام جديد في التقسيم الإداري العثماني (سنجق ، قضاء ، ناحية) . وبناءً على هذا التقسيم الجديد فإن ولاية طونا التي ضمت ستة آلاف قرية تكونت من سبعة سناجق وثمان وأربعين قضاء ، وخمس عشرة ناحية .

Yusuf Saim Atasagun , T.C.Ziraat Bankasi: 1888-1939-Istanbul: Kenan Basimevi, 1939. p.1

(35) Mithat Pasa (1822-1884)/M.Tayyip Gokbilgin. pp. 75-90

(36) Midhat Pasa'nin Kurdugu Memleket Sandiklari. pp. 185-211

(37) 1863 Yili ve Etrafinda Devletin Kradi ve Bankacilik Siyaseti/Namik Zeki Aral [Yuz Yillik Teskilatli Zirai Kredi:1863-1963.T.C.Ziraat Bankasi, 1964].pp. 45-57

على أسس معينة وأطلق عليه الاسم المذكور وانتشر في أنحاء الدولة بعد عام (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) . وبناءً على وضع نظام^(١) خاص بهذا الصندوق ، فإن أمور الائتمان الزراعي دخلت أنظمة الدولة العثمانية لأول مرة في هذا التاريخ^(٢) . كانت تلك الصناديق التي تحولت تسميتها فيما بعد إلى صناديق المنفعة ، تحت تصرف الإدارات المحلية ولم تكن تسير شؤونها من إدارة مركزية ، وهو الأمر الذي أدى إلى إشراف وزارة التجارة والنافعة عليها فيما بعد ضمن الإصلاح الذي جرى عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)^(٣) . وبناءً على ما سبق فإن الخبرة التي تشكلت لدى الدولة من تلك الصناديق ونظراً للرغبة في القضاء على بعض المعوقات التي عرقلت سير الصناديق المذكورة فقد جرى تنظيمها مجدداً ، وذلك بتسعة موادها على أسس متكاملة ، إذ تشكل النظام الجديد من أربع وخمسين مادة ، وصدر بذلك القانون الخاص به عام (١٣٠٠هـ/١٨٨٣م)^(٤) ويعدّ أساساً للبنك الزراعي الذي تأسس رسمياً في (٦ ذي الحجة ١٣٠٥هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٨٨م) بعد أن ألغيت صناديق المنفعة نهائياً^(٥) .

(١) وقد تكونت مواد النظام من وعشرين مادة تنظيمية ، أضاف الباب العالي عليها فيما بعد تسع مواد .

T.C.Ziraat Bankasi: 1888-1939. Midhat Pasa'nin Kurdugu Memleket Sandiklari.Ibid. pp.

185-211

(2) T.C.Ziraat Bankasi: 1888-1939.2

(3) Ibid. 1888-1939, 2. p11

(4) Ibid., P. 16

(٥) ذكر عبد العزيز محمد عوض أن تأسيس إنشاء مصرف زراعي ينقذ الفلاح العثماني من جشع المرابين تحقق في سنة (١٨٨٧م) . الإدارة العثمانية في ولاية سوريا . ص ٢٤٢-٢٤٣ والحقيقة أن تأسيس ذلك البنك بشكل رسمي قد تم في (٦ ذي الحجة ١٣٠٥هـ) وهو يوافق (١٥ أغسطس ١٨٨٨م) .

وبناءً عليه فإن قانون الائتمان في مجال الزراعة بتشكيل البنك الزراعي أصبح تحت الإشراف المباشر للدولة ، معتمداً في ذلك على أسس قانونية وارتبط البنك بإدارة مركزية^(١) ، وتشكلت مبادئ النظام الجديد للبنك من سبعة فصول واثنين وأربعين مادة ، تضم كافة التعليمات الخاصة بالبنك من حيث التشكيل الإداري والتنظيمي ورأس المال وأسس الاقتراض ، وكيفية الاستفادة من قروض البنك^(٢) إلا أن الأمر المهم في هذا هو حصر الاستفادة من قروض البنك على المزارعين . وحددت نسبة الفائدة ٦٪ إضافة إلى ١٪ يتم تحصيله مرة واحدة أثناء التسجيل . كما حدد توزيع فوائد الأرباح الصافية سنوياً ، بحيث يخصص الثلث لزيادة رأس المال ، والثلث الثاني للتنمية الزراعية في المكان الذي يوجد به فرع البنك بعد إذن خاص من الإدارة المركزية للبنك ، والثلث الثالث يكون تحت تصرف وزارة التجارة والنافعة^(٣) .

البنك الزراعي وفروعه في بلاد الشام

على الرغم من تأسيس البنك الزراعي رسمياً في الدولة العثمانية في ٦ ذي الحجة ١٣٠٥هـ/ ١٥ أغسطس ١٨٨٨م) كما سبق ذكره ، إلا أن الحكومة لم تراسل الولايات في هذا الشأن ولم ترسل لها التعليمات الخاصة بكيفية تأسيس فروع البنك وآلية العمل فيها إلا في (١٢ جمادى الآخرة ١٣٠٦هـ/ ١٣ فبراير ١٨٨٩م)^(٤) . وبناءً على ذلك فإن فروع البنك الزراعي بدأت في الانتشار في مختلف ولايات الدولة . ومنها الولايات الواقعة في بلاد الشام (وهي : ولاية

(1) T.C.Ziraat Bankasi: 1888-1939.Ibid.21

(2) Ibid , P. 22.

(3) Ibid , P. 23.

(٤) بشأن التعليمات المرسلة إلى الولايات انظر :

T.C.Ziraat Bankasi: 1888-1939.Ibid.p.110-117

سوريا ، ولاية حلب ، ولاية بيروت ومتصرفية القدس) .
وأقدم وثيقة عثر عليها الباحث وورد فيها ذكر للبنك الزراعي في بلاد الشام كانت بتاريخ (٧ جمادى الأولى ١٣٠٩هـ/٩ ديسمبر ١٨٩١م) ؛ إذ تحدثت عن تقديم محضر تسليم المبالغ المالية الخاصة بإكرامية أهالي الحرمين الشريفين من البنك الزراعي في بيروت^(١) . أما أقدمها عن فرع البنك في دمشق فهي بتاريخ (٢٥ محرم ١٣١٠هـ/١٨ أغسطس ١٨٩٢م) ، ويضم معلومات في إجراء تحقيق عن موظف البنك الزراعي بدمشق ؛ بسبب قيامه بمنح حصة المعارف لبعض الأشخاص دون وجه حق^(٢) . وأقدم الوثائق التي ورد فيها ذكر فرع البنك الزراعي في حلب كانت بتاريخ (٢٠ ربيع الثاني ١٣١٠هـ/١١ نوفمبر ١٨٩٢م) وقد أشارت هذه الوثيقة إلى مدير البنك الأسبق عزيز أفندي الشامي^(٣) ، ما يدل على أن تأسيس هذا الفرع كان قد تم قبل سنوات عدة . وبذلك نستطيع القول إن فروع البنك الزراعي افتتحت في بلاد الشام بعد (١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) ، وبدأت في الانتشار في مناطق بلاد الشام الأخرى . إذ افتتحت فروع البنك في عدة مدن رئيسة ، هي : دمشق والقدس وبيروت وحلب وحماة ودرعا . كما أشارت وثيقة إلى رغبة الحكومة في فتح فرع له في السويداء (في ٢٣ رجب ١٣٢٩هـ/١٩ تموز ١٩١١م)^(٤) .

كيفية منح القروض من البنك أو آلية العمل فيه

كان المزارعون من أهالي القرى والأراضي الزراعية يتقدمون بطلب الحصول على القروض إلى المنطقة الإدارية التي يتبعونها ، فتقوم الإدارة بالموافقة عليها إذا

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1919/94 .

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف MF.MKT.148/12 .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف MF.MKT.153/107 .

(٤) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3918/293798 .

كانت الطلبات في الحدود المعينة وبالشروط المتعارف عليها . وعلى رأسها شرط الكفالة المتسلسلة^(١) ، وتقديم الرهن العقاري ؛ حتى يسترد البنك المبالغ المالية التي دفعها للمزارع في حال إذا تأخر عن تأدية ديونه . وتشكيل لجنة خاصة محلية للنظر في حاجات المزارع ، وهل يحتاج إلى المبلغ المطلوب أم لا؟

ويتضح من خلال المراسلات المتبادلة بين الباب العالي وبين ولايات المنطقة ، أن تعامل البنك الزراعي مع المزارعين قد تغير فيما بعد ؛ إذ أصبحت موافقة وزارة التجارة والنافعة مطلوبة لصرف القروض للمزارعين . من ذلك إبلاغ وزارة الداخلية لولاية حلب في (١٩ ذي القعدة ١٣٢٦هـ/ ١٢ ديسمبر ١٩٠٨م) بأن وزارة التجارة قد أبلغت شعبة البنك في حلب بصرف المبلغ المطلوب من القروض لأهالي قضاء إدلب المقدر بـ ١١٩ ، ٧٠٠ قرش^(٢) .

أما إذا حصل ظرف طارئ ، فإن وزارة التجارة والنافعة كانت تتدخل في الموضوع بناءً على طلب الولاية المعنية في المنطقة . كأن يحصل جفاف في المنطقة وقلة أمطار ، أو أن تتضرر الأشجار المثمرة من البرد الشديد ، أو أن تتعرض المزروعات لهجوم الجراد ، أو أن تنزل أمطار غزيرة فتقضي على الزراعة . وقد أوردت الوثائق العديد من الأمثلة على ذلك وهي توضح موقف ولايات المنطقة والباب العالي من الكوارث الطبيعية التي حلت بالمزارعين وأهالي المنطقة . من ذلك :

طلب الباب العالي من وزارة التجارة عطفاً على معروض والي حلب بتأجيل قروض البنك الزراعي على المزارعين في ولاية حلب ؛ بسبب الأضرار التي لحقت بزراعتهم وأشجارهم المثمرة من جراء الشتاء القارس لموسم ١٩١٠-

(١) يبدو من وثيقة مؤرخة في (١٥ صفر ١٣٣٠هـ/ ٤ فبراير ١٩١٢م) أن الكفالة المتسلسلة تعني أن يكفل

مختار القرية المزارع المدين ، وأن يكفل أشخاص مختارون من القرية المختار ؛ بحيث تصيح الكفالة

متسلسلة . الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.ID.85/28

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2682/53 .

١٩١١م ، إضافة إلى اجتياح الجراد لمزروعاتهم الصيفية . وذلك بعدم التصديق عليهم في تأدية ديونهم المذكورة والتخفيف من محتتهم^(١) . بل إن الباب العالي لم يكتف بذلك وإنما خطى خطوة ثانية فأرسل مذكرة أخرى في (٥ إبريل ١٣٣١ رومي^(٢) /٤ جمادى الأولى ١٣٣٣هـ /١٨ إبريل ١٩١٥م) طلب فيها عدم تصرف البنك بأراضي المزارعين المذكورين المرتهنة لدى البنك ؛ إذ إن ذلك سوف يحرمهم من مصدر عيشهم ، مما ينافي العدل ، وأكد على تأجيل تلك الديون إلى حين الانتهاء من الحرب العالمية الأولى^(٣) .

من ذلك أيضاً أمر الباب العالي إلى وزارة الداخلية ووزارة التجارة في (٣ صفر ١٣٣٠هـ /٢٣ يناير ١٩١٢م) بتقديم القروض لخمسين بيتاً من المهاجرين الذين جرى إسكانهم سابقاً في أراضي الليمون بالكرك^(٤) ونقلوا بعد ذلك إلى

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.I.UM.E-15/93 .

(٢) التاريخ الرومي اسم للتاريخ المستخدم عند العثمانيين منذ عام ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م . ويذكر في الوثائق الرسمية بالسنة المالية . ونظراً لتقيده بالشهور الشمسية واعتبار بداية السنة فيه «شهر مارس» فيطلق عليه أيضاً التاريخ الرومي . والفرق بين هذا التاريخ والتاريخ الميلادي ٥٨٤ سنة . فإذا أضيف له ٥٨٤ سنة ، كان التاريخ الميلادي . وإذا طرح من التاريخ الميلادي ٥٨٤ ، كان التاريخ الرومي . ولم ينته العمل بالتاريخ الهجري بعد قبول التاريخ الرومي ؛ فقد استخدم التاريخان في الأوراق الرسمية ؛ بل أحياناً قليلة كان يضاف إليهما التاريخ الميلادي أيضاً . صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية . ص ١٣٥-١٣٦

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.I.UM.E-15/93 .

(٤) الكرك : بلد مشهور وله حصن عالي المكان ، وهو أحد المعاقل بالشام التي لا ترام ، وعلى بعد مرحلة منه مؤتة . وتحت الكرك واد فيه حمام وبساتين كثيرة . وهو على أطراف الشام من جهة الحجاز . وبين الكرك والشوبك نحو ثلث مرحلة . السلطان المزيّد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين بن أيوب صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ /١٢٢١م) كتاب تقويم البلدان ؛ اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان . دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ==

موقع عين الحمير^(١) في قضاء السلط^(٢)، وتأجيل القروض السابقة عليهم، ومنح كل بيت منهم ثلاثمائة قرش من البنك الزراعي في دمشق لشراء البذور، إضافة إلى مبلغ مائت يتم دفعه إليهم من المصروفات الطارئة للعيش، وذلك بناءً على الضائقة المالية التي مرت بهم وعدم تمكنهم من زراعة الأراضي التي أسكنوا فيها^(٣).

وإذا لم يتمكن أصحاب القروض من الوفاء بتأديتها، فقد كانت أراضيهم المرتهنة تتعرض للبيع بالمزايمة، فقد جاء في وثيقة بتاريخ (١٠ جمادى الآخرة

== ١٨٤٠ م. ص ٢٤٦-٢٤٧ وبحسب التقسيم الإداري العثماني في أوائل القرن العشرين فإن الكرك كان سنجقاً تابعاً لولاية سوريا، وضم أفضية السلط ومعان والطفيلة. كان عدد سكانه في هذه الحقبة ثمانية آلاف نسمة، وأن أراضي حصبه، وأنه يقع على خط حديد الحجاز.

Osmanli Atlasi: XX.Yuzuyl Baslari/Binbasi M.Nasrullah, Kolagasi M.Rusdu, Mulazim M.Esref; Hazirayanlar: Rahmi Tekin, Yasar Bas.- Istanbul: Osmanli Arastirmalari vakfi, 2003.p.92-93

(١) أفادت وثيقة مؤرخة في (٢٣ ذي الحجة ١٣١٨هـ/١٣ إبريل ١٩٠١م) أن أراضي عين الحمير كانت تابعة للجيش، وأنه لم تعد تلزمه، ولذلك فلا بأس بتخصيص بعض المراعي فيها لإسكان المهاجرين الشركس. الأرشيف العثماني، تصنيف Y.MTV.213/143

(٢) بلدة السلط: تقع على خط العرض ٢ درجة و٣٥ شمالاً وعلى خط الطول ٤٤ درجة و٣٥ شرقي غرينتش. وترتفع ٧٩٥ متراً عن سطح البحر. والمسافة بينها وبين العاصمة الأردنية عمان ٢٩ كلم. كانت قسبة للقضاء المسمى باسمها، تتألف من تسع قرى و٢١ مزرعة و٣ نواح (مأدبة وجيزة وعمان). وتقع على منحدر تَلْ تُتَوَّجِه قلعة، وتحيط به من جميع جوانبه جبال شديدة الانحدار. وهي المكان الوحيد المأهول في مقاطعة البلقاء. كان القسم الأكبر من أهالي السلط مزارعون والأراضي الصالحة للزراعة تبعد عن البلد مسافة ثمانية أميال، وتقع في الأراضي المنخفضة المجاورة الدباغ، بلادنا فلسطين: الجزء الثاني، القسم الثاني: في الديار النابلسية. ص ٦٠١-٦٠٨.

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف DH.ID.85/28.

والشجرة^(٢) ومعذر^(٣) وكفر سبت^(٤) - وكلها من ملحقات قضاء

(١) عُولم (بضم أوله) : تقع في جنوب طبرية وتعتبر هي و«الدلهمية» آخر أعمال طبرية في الجنوب . مساحة عولم ٢٨ دونماً . ومساحة أراضي عولم ١٨٥٤٦ دونماً ، وتحيط بها أراضي قرى سيرين والطيرة ومعذر والحدثا . وقد أنشأ العثمانيون فيها مدرسة . وعولم موقع أثري يحتوي على جدران مهدمة وحجارة أبنية قديمة وحجارة منقوشة مستعملة مرة ثانية ، وعمود ومسنات وصهاريج ، في جنوب وجنوب غربي القرية . الدباغ ، بلادنا فلسطين : الجزء السادس ، القسم الثاني : في ديار الجليل - جند الأردن . ص ٤١٦ .

(٢) الشجرة (ورد اسمها في الوثيقة العثمانية «الشقارة» ، والصحيح : الشجرة) : وهي تقع غرب طبرية بانحراف قليل للجنوب ، كما تقع بين قريتي كفر كما ولوبيا . مساحتها ١٠٠ دوغ . ولقرية الشجرة أراض مساحتها ٣٧٥٤ دونماً . وتحيط بها أراضي قرية لوبيا وطرعان . وتحتوي الشجرة على أساسات كنيسة مطمورة بأعمدة ، وواعد أعمدة وقطع حجر منقوش ومدافن منقورة في الصخر . وتقع بجانبها خربة قيشرون وخربة بيين . الدباغ بلادنا فلسطين ، ج٦ ، ق٢ ، ص٤٢٦-٤٢٧ .

(٣) معذر : تقع في الجنوب من طبرية بانحراف قليل إلى الغرب ، وترتفع عن سطح البحر ٢٠٠ متر . مساحتها ٦٣ دونماً . وتحيط بأراضيها أراضي حدثا وعولم والطيرة وكفر مصر . أنشأ فيها العثمانيون مدرسة (عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م) . وتحتوي معذر على أساسات كنيسة وعتبات أبواب عليا وقطع معمارية مستعملة ثانية ، ومدافن . وتقع في الجنوب الغربي منها خربة سارة ، التي تحتوي على جدران مهدمة وصهاريج ومعاصر وقطع عمود من حجر بركان ، ومدافن منقورة في الصخر . الدباغ ، بلادنا فلسطين ج٦ ، ق٢ ، ص٤١٤ .

(٤) كفر سبت (ذكرتها الوثيقة العثمانية بالياء بدلاً من الباء «السبت» والصحيح السبت) : تقع في الجنوب الغربي من طبرية ، في شمال كفر كما . ترتفع عن سطح البحر ٢٢٥ متراً . مساحتها ٣٠ دونماً . وتحيط بأراضي القرية أراضي قرية لوبيا وكفر كما . وتحتوي كفر سبت وبالتحديد «خربة أم العلق» أنقاض بيوت وحصن وجامع وصهاريج ومعاصر وأعمدة وقطع معمارية . الدباغ ، فلادنا فلسطين ، ج٦ ، ق٢ ، ص٤٠٧-٤٠٨ .

طبرية^(١) في ولاية بيروت - من الوفاء بتأدية تقاسيط الديون التي استقرضوها من البنك الزراعي فقد تقرر طرح أراضيهم القريبة من الخط العالي للبيع بالمزايدة^(٢).

ومن سلبيات البنك الزراعي التي انعكست على المراسلات المتبادلة بين الباب العالي وولايات المنطقة ، عدم منح القروض للمزارعين ما لم تأذن الإدارة العامة للبنك به . فقد جاء في مراسلة لوالي حلب ، وأصلها برقية أرسلت في (٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨م) بناءً على امتناع البنك الزراعي منح القروض للمزارعين سواء لشراء البذور أو غيره ، فقد طلب إصدار الأمر الفوري للبنك باعتماد صرف المبالغ التي احتاجها المزارعون ، مشيراً إلى أنها مبالغ بسيطة ولا تقبل التأخير . لكن على الرغم من أن المبلغ لم يكن مثل ما ذكر ، بل كان مبلغاً كبيراً نسبياً (٤٣٤,٥٠٠ قرش) فقد وافق الباب العالي على

(١) طبرية : مركز قضاء في لواء عكا في العهد العثماني الأخير . تقع على خط عرض ٤٨ درجة و٣٢ شمالاً ، وخط طول ٣٢ درجة و٣٥ شرقي غرينتش . تنخفض عن سطح البحر بنحو ٢٠٠ متر ، وتبعد عن نهر الأردن عشرة كلم . وهي تقع على الشاطئ الغربي من البحيرة الموسومة بهذا الاسم . وهي شديدة الدفء في الشتاء والحرارة في الصيف ، لوقوعها في تلك الهوة المنخفضة عن سطح البحر . مبانيها مبنية من البازلت الأسود . وهي محاطة بسور . وقد بنت فيها الحكومة العثمانية مدرسة ابتدائية (عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م) ، وأخرى رشدية (متوسطة) (عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م) . الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٢) وقد تقدم لشراؤها الأمير علي باشا المغربي - وهو من أعيان الشام - بمبلغ وقدره ٣٧ ، ٨٢١ قرشاً ، فوافقت الحكومة على ذلك بعد المشتري مسلماً ، غير أن وزارة التجارة والنافعة اعترضت على ذلك بكون الأرض قريباً من الخط العالي بمسافة خمسة كلم ، وذلك بموجب القانون الذي ينص على أن الأراضي الواقعة بمسافة عشرة كلم لا يمكن التصرف فيها . لكنها وافقت على ذلك فيما بعد

استثناءً . الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3106/232890

ذلك^(١) . وهذا يدل على أن البنك لم يكن متساهلاً في تقديم القروض إلى المزارعين ، كما يدل في الوقت ذاته وقوف كبار مسؤولي الحكومة في المنطقة مع المزارعين ، وتقديم المساعدات اللازمة في الحصول على القروض المعقولة .

الخدمات التي قدمها البنك للمزارعين

تبين من مجموعة الوثائق الخاصة بالموضوع التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها أن البنك الزراعي قدمت للمزارعين في بلاد الشام الخدمات الآتية :

١ - توفير القروض للمزارعين . إن توفير القروض للمزارعين هو الخدمة الرئيسة للبنك . وعلى الرغم من صعوبة الإحاطة بكل المبالغ التي قدمها هذا البنك للمزارعين في المنطقة خلال ذلك العهد العثماني ، إلا أن البحث سوف يورد جدولاً إحصائياً بعد قليل بالمبالغ المالية التي قرضها البنك للمزارعين من واقع الوثائق التي اطلع عليها الباحث . ومن تلك القروض : الاستجابة لطلب أهالي قرية عين قنينة التابعة للقدس الشريف بمنحهم قرضاً بمبلغ خمسة آلاف قرش ؛ لشراء البذور لزراعتهم (في ٢٠ رجب ١٣٢٠هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٩٠٢م)^(٢) . ومثل ذلك طلب أهالي قرية منحماس التابعة للقدس الشريف بالحصول على قرض بمبلغ ٢٢,٨٠٠ قرش من البنك الزراعي^(٣) . كما عمل البنك على التخفيف على المزارعين من آثار الصقيع التي ضربت الأشجار المثمرة في حلب في عام (١٩١٠-١٩١١م) . فقد قدم مندوبو ولاية حلب في مجلس المبعوثان العثماني طلباً إلى المجلس (في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢٩هـ/ ١٢ إبريل ١٩١١م) بضرورة وقوف الحكومة إلى جانب المزارعين الذين تعرضت مزارع بعضهم لضرر كلي ، وبعضهم الآخر لضرر

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2690/73 .

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1191/21 .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1202/39 .

جزئي ؛ بسبب شدة برد الشتاء ، مما عرضهم لضائقة مالية شديدة ، وطلبوا بتوفير القروض المناسبة لهم ، وذكروا في معروضهم أن المزارعين وبسبب الإجراءات البيروقراطية لا يحصلون إلا على ثلاثمائة قرش وبشق الأنفوس ، ومن خلال شروط الكفالة المتسلسلة . وبناءً على ذلك فقد طلبت وزارة الداخلية من الصدارة العظمى الاستجابة لطلب المندوبين على أن يرفع المبلغ المذكور إلى ألف قرش لكل بيت ؛ للتخفيف على المزارعين^(١) .

٢ - توفير المكائن الزراعية للمزارعين . فقد جاء في مراسلة من الباب العالي إلى وزارة التجارة والنافعة بتاريخ (٢١ رمضان ١٣٢٥هـ / ٢٨ أكتوبر ١٩٠٧م) ومنها إلى البنك الزراعي في ولاية حلب بتأدية قيمة أثمان المكائن الزراعية من حصادات وآلات زراعية أخرى بمبلغ وقدره مائة وعشرين ألف قرش^(٢) . كما أفادت الصدارة العظمى في خطاب آخر لها إلى وزارة التجارة والنافعة بتاريخ (٢٣ صفر ١٣٢٦هـ / ٢٦ مارس ١٩٠٨م) : أن موسم تلك السنة كان مباركاً وأن الزراعة فاضت وانتعشت ، وأنه يجب على البنك الزراعي في حلب توفير المكائن الزراعية قبل موسم الحصاد^(٣) ، مع الإشارة إلى أن تكون المكائن خاصة بالبلاد الحارة^(٤) . وقد بينت الوثائق أن المبلغ المخصص لتلك المكائن من البنك مائة وعشرون ألف قرش^(٥) .

٣ - توفير المبالغ المالية اللازمة لمكافحة الجراد . فقد جاءت في مراسلة من الصدارة العظمى إلى وزارة التجارة والنافعة (في ٢٧ جمادى الأولى ١٣١٠هـ / ١٧ ديسمبر ١٨٩٢م) بضرورة توفير مبلغ مائتي ألف قرش من

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3892/291899 .

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3174/238005 .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3280/245952 .

(٤) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1212/28 .

(٥) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1212/28 .

البنك الزراعي في حلب ؛ لمكافحة الجراد في ولاية حلب^(١) .
واتضح من مراسلة من الباب العالي إلى متصرفية القدس بتاريخ (٢٢ ذي
الحجة ١٣١٦هـ/ ٣ مايو ١٨٩٩م) أن منطقة القدس الشريف أيضاً تعرضت
للجراد ، وأن المتصرفية طلبت مبالغ مالية كبيرة - نسبياً - من الدولة ؛
لمكافحة هذه الآفة ، غير أن الحكومة لم تتمكن من توفير المبلغ المطلوب
لمكافحة الجراد التي ضربت مزارع المنطقة واجتاحتها الذي طلبته
المتصرفية ، وتمكنت فقط من إرسال مبلغ عشرة آلاف قرش ، وأبلغت
المتصرفية بأن عليها أن تتصرف في هذا الحدود^(٢) .

كما أفادت مذكرة الباب العالي في (٩ جمادى الأولى ١٣٢٦هـ/ ٨ حزيران
١٩٠٨م) إلى وزارة التجارة عطفاً على برقية ولاية حلب بتوفير خمسين ألف
قرش للمزارعين في بلدة الرقة ، ليتمكنوا من الشروع في الزراعة الصيفية ،
بسبب تعرض مزروعاتهم الشتوية للجراد ، مشيراً إلى ضرورة تجاوز الشروط
المطلوبة من أمثالهم في الأوقات العادية ودفع المبلغ المذكور لهم على الفور ؛
حتى لا يتأخروا في زراعتهم ، بحيث يتم استكمال باقي المعاملة فيما
بعد^(٣) .

٤ - توفير حاجيات مدرسة الزراعة^(٤) التي تأسست في

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.123/9159 .

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.1289/96661 .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1260/7 .

(٤) من الجدير بالإشارة هنا إلى وجود مدارس عديدة للزراعة في المنطقة . منها المدرسة الموجودة في قضاء بني
صعب ، حيث أشار إلى ذلك موظفان انتدبا من والي بيروت عزمي بك للمنطقة (قبل عام ١٩١٦م)
لإعداد تقرير مفصل عن أوضاعها ، حيث قال : وهذا البناء الذي أمامكم هو مكتب (أي مدرسة) الزراعة
في القضاء . فقد ظهر لعالم الوجود بعد أن صرفنا عليه ألف ليرة تقريباً . وابتعنا له في جانبه أرضاً تبلغ
مساحتها خمسمائة دونم ؛ لتكون نموذجاً زراعياً . محمد رفيق التميمي ، ومحمد بهجت . ص ١٩٧ .

حوران^(١) . إذ أفادت وثيقة (في ٢٣ رجب ١٣٢٩هـ/ ٢٠ تموز ١٩١١م) بأن يتحول مبنى الحكومة في حوران إلى مدرسة للزراعة ، على أن تكون الدراسة فيها ليلية . غير أن الباب العالي اعترض على ذلك ، مشيراً إلى ضرورة اتخاذ مزرعة لتلك المدرسة ، على أن يتم تعيين موظف فني زراعي فيها ، ومدرس للمدرسة ، مع توفير الآلات والأدوات الزراعية اللازمة ، وأن المبلغ المطلوب لكل ذلك ١٤٣ ، ٢٠٠ قرش ، يتم توفيره من البنك الزراعي^(٢) .

٥ - توفير المبالغ المالية اللازمة للمزرعة النموذجية . وقد أبانت الوثائق عن عدة مزارع نموذجية في بلاد الشام ، وليست مزرعة واحدة . منها المزرعة التي اتخذت في ولاية حلب . إذ أشارت عدة وثائق إلى هذه المزرعة التي طلب لها من البنك الزراعي في حلب (في ٤ جمادى الأولى ١٣١٢هـ/ ٣ نوفمبر ١٨٩٤م) توفير مبلغ ٢٥٠٠ قرش لشراء الحبوب والبذور المطلوبة ؛ إذ إن إنتاجها السابق لم يكف حتى للدواب^(٣) .

كما أشارت وثيقة أخرى بتاريخ (٤ محرم ١٣٢٧هـ/ ٢٥ يناير ١٩٠٩م) إلى أن المزرعة النموذجية التي أعدت في دمشق (عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) على

(١) حوران : من أعمال دمشق ، ومدينتها بصرى . تسير في صحراء حوران عشرة فراسخ في منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى ، وهي مدينة حوران . وفي شرق هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها في صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخاً ، فتدخل دمشق ، الحميري ، الروض

المعطار في خبر الأقطار . مرجع سابق . ص ٢٠٦

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3918/293798 .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.509/38170 .

مساحة سبعين دونماً لم تنجح ؛ بسبب قلة المياه في المزرعة ، على الرغم من قوة إنبات الأراضي وخصوبتها في بلاد الشام ، مما دفع الحكومة لاختيار مزرعة أخرى في منطقة الغوطة ، لتكون مزرعة نموذجية ؛ بسبب وجود المواصفات المطلوبة وهي القوة الإنباتية أي خصوبة الأرض ووفرة المياه وقابلية سقيها^(١) .

٦ - الإشارة إلى دور البنك في الإصلاح الزراعي في المنطقة . إذ أفادت وثيقة (١٧ شوال ١٣٢٥هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٩٠٧م) بدور البنك في الإصلاح الزراعي وتوسيعه وافتتاح شعبه في المنطقة^(٢) .

جدول إحصائي تقريبي غير حصري بالقروض التي قدمها البنك الزراعي للمزارعين مع بعض الإعانات الحكومية بحسب تسلسل تاريخي

التاريخ	الحاصلون على القرض	دواعي الصرف	فرع البنك الزراعي	المبلغ المستقرض
٢٧ جمادى الأولى ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م	أهالي حلب	مكافحة الجراد	حلب	٢٠٠,٠٠٠ قرش ^(٣)
٧ ذو القعدة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م	أفراد عشيرة فلاطان ^(٤)	مباني للسكن	بيروت	لم يحدد المبلغ ^(٥)

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2721/3 .

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1212/28 .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.123/9159 .

(٤) تبدو هي القليطات . وهي من قبائل شمالي فلسطين ، تقع منازلها بين عكر والكرمل ، رضا كحالة ،

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . ٩٦٤/٣ .

(٥) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.45/38 .

سهيل صابان

(١)	٢,٥٠٠ قرش	حلب	المزرعة النموذجية	أهالي حلب	٢٨ ربيع الآخر ١٣١٢هـ/١٨٩٤م
(٢)	١٠,٠٠٠ قرش	إعانة من الدولة	مكافحة الجراد	أهالي القدس الشريف	٢٢ ذو القعدة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م
(٣)	١٢٠,٠٠٠ قرش	حلب	المكائن الزراعية	أهالي حلب	١٩ رمضان ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
(٤)	١٢٠,٠٠٠ قرش	حلب	المكائن الزراعية	أهالي حلب	٢٢ صفر ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
(٥)	لم يحدد المبلغ	القدس	شراء البذور	أهالي قرية بيت ساحور/القدس	٢ جمادى الآخرة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
(٦)	٥,٠٠٠ قرش	القدس	شراء البذور	أهالي قرية عين قنية/القدس	٢٠ رجب ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
(٧)	٢٢,٨٠٠ قرش	القدس	لم يوضح	أهالي قرية مخماس/القدس	٢١ شعبان ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
(٨)	١٢٠,٠٠٠ قرش	حلب	المكائن الزراعية	أهالي حلب	١٧ شوال ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م
(٩)	٣٠٠,٠٠٠ قرش	القدس	للزراعة	أهالي القدس وخلييل الرحمن	٢٧ ذو القعدة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م

- (١) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.509/38170 .
- (٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.1289/96661 .
- (٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3174/238005 .
- (٤) الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3280/245952 .
- (٥) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1182/51 .
- (٦) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1191/21 .
- (٧) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1202/39 .
- (٨) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1212/28 .
- (٩) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1203/72 .

(١)	٥٠,٠٠٠ قرش	حلب	تهوين حاجتهم بسبب الجراد	أهالي الرقة	٩ جمادى الأولى ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م
(٢)	١٩,٧٠٠ قرش	القدس	لشراء الآلات الزراعية	أهالي قرية بيت ساحور في القدس	٧ ذو القعدة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م
(٣)	٦,٨٠٠ قرش	حلب	لم يوضح	أهالي حلب	١١ ذو القعدة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م
(٤)	١٩,٧٠٠ قرش	حلب	لم يوضح	أهالي قضاء إدلب	١٩ ذو القعدة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م
(٥)	٣٠٠,٠٠٠ قرش	الشام	لم يوضح	أهالي ٢٢ قرية في قضاء درعا	٣٠ ذو القعدة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م
(٦)	٤٣٤,٥٠٠ قرش	حلب	شراء البذور	أهالي حلب	٤ صفر ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م
(٧)	١٣٦,٠٠٠ قرش	حلب	لم يوضح	أهالي حلب	٢١ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ/١٩١١م

- (١) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1260/7 .
- (٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2671/95 .
- (٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2674/88 .
- (٤) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2682/53 .
- (٥) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2690/73 .
- (٦) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2750/88 .
- (٧) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MTV.52-2/20 .

سهيل صابان

٢١ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ/١٩١١م	المهاجرون في الرقة ومنبج (١) وخناصرة (٢)	بدل البذور	إعانة من الدولة	٣٠,٠٠٠ قرش (٣)
١٥ صفر ١٣٣٠هـ/١٩١٢م	٥٠ بيتاً من المهاجرين المنقولين إلى عين الحمر في السلط	بدل البذور	إعانة من الدولة	لكل بيت ٣٠٠ قرش ومنبج (٤)
٥ ذو الحجة ١٣٣١هـ/١٩١٣م	٣١٩ بيتاً من أهالي سهوة والكرك وعثمان وطرة في متصرفية حوران	لم يوضح	الشام	١٥٩,٥٠٠ قرش ومنبج (٥)

(١) منبج : بلدة كان لها شأن قبل الإسلام وبعده . تبعد عن حلب إلى الشمال الشرقي زهاء ٨٠ كلم ، وعن شاطئ الفرات الأيمن ١٥ كلم . وهي تقع في فضاء واسع مرتفع عما حوله قليلاً ، ينتهي بتلعات ومنبسطة متموجة ، تنحدر نحو الفرات في الشرق ، وتمتد نحو نهر الساجور في الشمال ، ونهر أبو قلقل في الجنوب ، وهما من رافدي الفرات ، وتتجه نحو ضياع وضواحي لدتي الباب وبزاعة في الغرب . وتعلو عن سطح البحر ٤٤٧ متراً . زكريا جولة أثرية في بعض البلاد الشامية . ص ٢١٧ .

(٢) الخناصرة : قرية عامرة على سيف البادية وفي سفح جبل الأحص الشرقي ، بينها وبين حلب (٤٠ كلم) ؛ إذ تقع في طرف البرية شرقي حلب . وقد بقيت خراباً لا سكان فيها سوى أعراب البادية . ولما كانت سنة (١٩٠٢م/١٣٢٠هـ) جاء فريق من مهاجري الشركس من قبيلة القبرطاي فأسكنتهم الحكومة العثمانية فيها ، فعمروها وردوا عيث البادية عنها بسواعدهم . زكريا ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية . ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٣) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MTV.52-2/20 .

(٤) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.ID.85/28 .

(٥) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.ID.70-2/53 .

هذا الجدول - كما ذكرت في عنوانه - ليس حصرياً ، وإنما هو تقريبي لتقديم فكرة عن الأموال التي قرضها البنك للمزارعين . وعلى الرغم من ذلك فقد بين أن المبالغ المالية الممنوحة للمزارعين أكثر بكثير مما ذكره أحد الباحثين^(١) نقلاً عن صحيفة تقويم وقائع^(٢) العثمانية ، إذ أورد جدولاً إحصائياً بالقروض التي قدمها البنك الزراعي في دمشق سنة (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) على النحو الآتي ، علماً أنه لم يذكر أهالي بعض المناطق . مثل درعا ، التي ذكرت الوثائق القروض التي دفعت لأهلها في تاريخ (٣٠ ذي القعدة ١٣٢٦هـ/٢٣ ديسمبر ١٩٠٨م) بأنها بلغت ثلاثمائة ألف قرش^(٣) وهي تتجاوز كل المبالغ التي أوردتها الجدول :

المبلغ بالقروش	القضاء
٣٢,٤٠٠	قضاء الشام
٢٤,٠٠٠	قضاء حوران (دفعة أولى)
٢٦,٧٠٠	قضاء حوران (دفعة ثانية)
١١١,٠٠٠	قضاء عجلون
٧٠,٠٠٠	قضاء الزبداني
٣٠,٠٠٠	قضاء السلط
٢٩٤,١٠٠	المجموع

(١) عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ، ص ٢٤٣ .

(٢) تقويم وقائع : أول صحيفة عثمانية صدرت في (٢٧ جمادى الأولى ١٢٤٧هـ/٢ نوفمبر ١٨٣١م) بأمر من السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) . ومع أنها كانت شبه رسمية ، لكنها كانت تهتم بالأخبار الداخلية والخارجية والفنون والصنائع والتجارة والزراعة . وكان قاضي مكة أسعد أفندي شيخ زاده أول ناظر لها . كانت تطبع مرة في الأسبوع .

بعض المعوقات التي عرقلت التنمية الزراعية في بلاد الشام

على الرغم مما قدمه البنك الزراعي من خدمات للمزارعين في بلاد الشام بعامة ، واستفادة أهل المنطقة من تلك الخدمات ، وتوفير البذور والمكائن الزراعية لهم ، وتقديم المساعدات الآنية في الأوضاع الموسمية الطارئة ، إلا أن مجموعة من المراسلات المتبادلة بين الباب العالي وولايات المنطقة أبانت عن الأعباء الأخرى التي وضعت على عاتق البنك من الحكومة ، قلل من دوره المناط به في توفير سائر حاجيات المزارعين بعده بنكاً للزراعة . فقد كان البنك يقدم القروض للحكومة في بعض الأوضاع الطارئة^(١) ، كما كان يعمل كبنك في تسيير المعاملات المالية ، وعمليات التحويل ، وكان مكلفاً بتحصيل الأموال باسم الحكومة ، وتحصيل حصة المعارف عن المعاملات ، وعمليات صناديق التقاعد والمعزولين ، وغير ذلك من المعاملات التي تقوم بها البنوك العادية^(٢) . بل الأسوأ من ذلك وأمرّ تحديد صرفيات البنك واعتماده المالية على الزراعة إلى أدنى حد ممكن ، وذلك بقرار من مجلس شورى الدولة (عام ١٣١٦هـ/١٨٩٩م) ؛ حتى تستفيد من مصادر البنك في الأوضاع والأزمات الطارئة^(٣) وهو الأمر الذي انعكس سلباً على دور البنك في التنمية الزراعية .

والحقيقة أنه من خلال تكريم مدير البنك الزراعي في ولاية سوريا أحمد حلمي أفندي ، تتضح بعض الخدمات التي كان يقدمها البنك على حساب

(١) م ن ذلك توفير مبلغ مليون وخمسمائة ألف قرش في (عام ١٣٢٢ رومي/١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) لنقل العساكر من اليمن إلى الإسكندرونه . ولم تكن الدولة تقوم بتسديدها في الوقت المحدد ، فيكون ذلك كله على حساب المزارعين ، كما ورد ذلك في وثيقة عن السيولة المالية في البنك بتاريخ ٢٩ رجب ١٣٢٥هـ) . الأرشيف العثماني ، تصنيف BEO.3141/235553

(2) T.C.Ziraat Bankasi: 1888-1939.Ibid.328-333

(3) Gelisim Acmazi: 1888-1908: Osmanli Turkiyesinde Ziraat Bankasi ve Ziraat Re-formu.Ibid. pp. 461-482

التنمية الزراعية في المنطقة ؛ فقد طلب والي ولاية سوريا ناظم باشا في المعروض الذي قدمه إلى وزير الداخلية (في ٢١ شوال ١٣٢٢هـ/ ٢٨ ديسمبر ١٩٠٤م) تكريم المذكور . ومن المبررات هذا التكريم ذكر : إجراء المعاملات المالية لخط حديد الحجاز ، تسيير المعاملات الأساسية للبنك بالاستقامة والتفاني في العمل وبصورة سريعة ومنتظمة دون عرقلة المصالح العامة ، والقضاء على الأوضاع غير المرضية السابقة التي حصلت في الصندوق ، وجلب الموظفين المتميزين بالعمل ، ونجاحه التام في الإشراف على بعض المنشآت البنائية الموجه إليه ؛ إذ رفعت رتبته درجة^(١) . وبناءً على ذلك فقد اتضح أن البنك كان يقوم بأعمال كثيرة ، لم تبق محصورة في تقديم الخدمات للمزارعين ، وإنما أصبح ذلك جزءاً يسيراً من خدماته .

وإضافة إلى ذلك فقد اتضح وجود بعض المعوقات الأخرى التي عرقلت التقدم الزراعي في بلاد الشام ، ووفقت حائلاً أمام التنمية الزراعية المنشودة . وقد اتضح من مجموعة كبيرة من الوثائق التي اطلع عليها الباحث أن البيروقراطية الزائدة وقفت على رأس القائمة ؛ في تأخر التنمية ، إذ كانت المراسلات المتبادلة بين الباب العالي وبين الولايات المعنية في المنطقة تضيّع الوقت والجهد والمال ، وتقف حجر عثرة أمام التنمية الزراعية الحقيقية . فعلى الرغم من الرغبة الشديدة لولاة المنطقة ومتصرفيها في القيام بالنهضة الزراعية الشاملة في بلاد الشام ، واستجابة الباب العالي لطلباتهم في كثير من الأحيان ، إلا أن مركزية الحكم وبعُد العاصمة عن المنطقة ، وعدم تمكن المسؤولين من اتخاذ القرارات دون الرجوع إلى الباب العالي عرقل سير التنمية الزراعية في المنطقة . ولعل التقرير المفصل الذي قدمه متصرف القدس في (١١ جمادى الآخرة ١٣٢٨هـ/ ٢٠ حزيران ١٩١٠م) الذي كان تلخيصاً للزيارة التي قام بها إلى قضائي بئر السبع والحفير خير دليل على ذلك . فقد أشاد المتصرف في

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف ، I.TAL. 292/1324.S-267 .

تقريره بهذه المنطقة التاريخية القديمة ، ولم ينتقد عدم اهتمام الحكومة بها فحسب ، بل ذكر أن مبلغ ثلاثة آلاف ليرة عثمانية التي تم جمعها من قبائل المنطقة ؛ لتأسيس مدرسة للزراعة وكانت كافية لتحقيق هذا الأمر ، لم يصرف في وجهها ، ولم تشرع الحكومة في تأسيس المدرسة ، على الرغم من النظرة الإيجابية لقبائل المنطقة إلى الحكومة وانتظارها لهذا الأمر واستعدادها لإدخال أولادها إلى المدرسة وترك حياة البداوة^(١) .

والحقيقة أن تلك البيروقراطية كانت موجودة أيضاً في البنك الزراعي ، فعلى الرغم من المساهمات التي قدمها هذا البنك لأهل المنطقة ، إلا أن تقديم القروض كان يحتاج إلى العديد من الإجراءات كما سبقت الإشارة إليها . كما أن المزارعين كانوا يلقون الرد السلبي من بعض الموظفين العاملين في شعب البنك ، فيضطر هؤلاء المزارعين - وهم بحاجة ماسة لمبلغ من المال لشراء البذور قبل انتهاء الموسم - لمراجعة الولاية أو المتصرفية للتدخل في الأمر قبل فوات الأوان .

كما أن عدم وفاء بعض المزارعين بتأدية ديونهم في الوقت المحدد دفع البنك إلى التشديد في طلب تقديم الكفالة إليه ، ورهن العقارات والأراضي ، وبالتالي الحصول على الضمانات اللازمة قبل تقديم القروض ؛ لضمان استردادها من المزارعين . ونشأ عن ذلك بطبيعة الحال عدم حصول بعض المزارعين على القروض ، وبالتالي تأخرهم في القيام بالأعمال اللازمة تجاه زراعاتهم .

يضاف إلى كل ذلك أن نظام الالتزام الذي أدى إلى ارتفاع الضرائب على الزراعة ، كان من ضمن العوامل التي أثرت على الزراعة بشكل سلبي ؛ إذ كان يتم تحصيل العشر تبعاً لتقديرات المحمّنين والزيادة التي كان يفرضها الملتزمون

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.ID.25/44 ان هذا التقرير مع ملاحقه من الوثائق جدير بإجراء

دراسة عليه ، لأنه يضم بعض المعلومات عن بئر السبع والحفير ، كما يضم معلومات عن بعض

قبائل المنطقة وحاجاتها الآنية ، ورغبة المتصرف في تأسيس صندوق للبنك الزراعي في بئر السبع .

عند جمعهم العشر ، ما أدى إلى سوء أوضاع المزارعين ، ودفعهم للاستدانة وبالتالي بيع أراضيهم لكبار الأثرياء لسداد ديونهم^(١) .

الخاتمة

اتضح مما سبق أن البنك الزراعي قد قدم - بالتزامن مع سياسة الدولة العثمانية في الإصلاح الزراعي - خدمات جيدة للمزارعين ، كان لها دورها في تحسين العملية الزراعية في بلاد الشام . وعلى الرغم من وجود بعض العراقيل وظهورها بين حين وآخر إلا أن الدولة عملت على رفعها ، وتسهيل الحصول عليها . وبذلك نستطيع القول إن البنك الزراعي قام بدور جيد في تنمية الحياة الزراعية ببلاد الشام . وأقدم فيما يلي عدة توصيات بهذا الخصوص :

التوصية الأولى : أرى الحاجة لإجراء دراسة عن الشتاء القارس الذي ضرب منطقة حلب في شتاء عام ١٩١٠-١٩١١ م . ويوجد ملف كامل في الأرشيف العثماني يضم المراسلات المتبادلة بين الباب العالي وبين ولاية حلب عن الموضوع^(٢) .

التوصية الثانية : أوصي بإجراء دراسة عن أسباب منع الحكومة لمنح سندات الملكية لأصحاب الأراضي في القدس بعد فرزها ؛ إذ تقدم مجموعة من أهالي عين قنية التابعة للقدس الشريف تسجيل أراضيهم المشاعة التي يتصرفون

(١) محمد رفیق التميمي ومحمد بهجت الكاتب ، ولاية بيروت ، ص ٣٢-٣٣ وقد أورد المؤلفان صورة

من الظلم الذي تعرض له أحد الفلاحين في نابلس ، حيث ذكرا : أن المتعهدين والجندرمة (الدرك) ذهبوا إلى الفلاح وأخذوا جميع ما حصل عليه من زراعته ، وسلبوا كافة ما عنده من المؤنة ، فملأوا بها الأنبار (المستودع) غير ناظرين في عملهم إلى التعاليم الموضوعية . وأدى ذلك إلى هجرة كثير من الناس لقراها إلى جهات أخرى . ص ٧٧ .

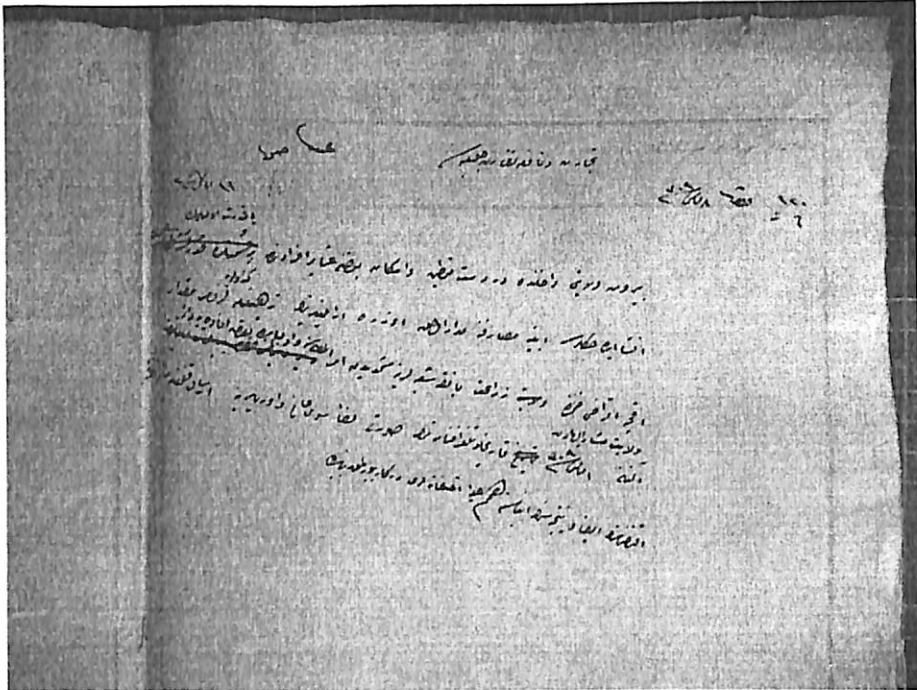
(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MTV.52-2/20 .

فيها ، إلا أنها أبقت على النظام القديم لمخطورات عديدة^(١) .
التوصية الثالثة : أوصي أيضاً بإجراء دراسة عن سياسة الدولة العثمانية في
إسكان المهاجرين من الجزائر والقوقاز والبلقان والمغرب وقبرص وكريت في
مختلف المناطق من بلاد الشام . وهو موضوع دسم من حيث وفرة الوثائق
الخاصة به في الأرشيف^(٢) .

(١) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.2735/82 .

(٢) الأرشيف العثماني ، تصنيف DH.MKT.1667/65, 1949/100. A.MKT.MHM.416/3 .

ملحق ببعض صور الوثائق العثمانية المستخدمة في البحث

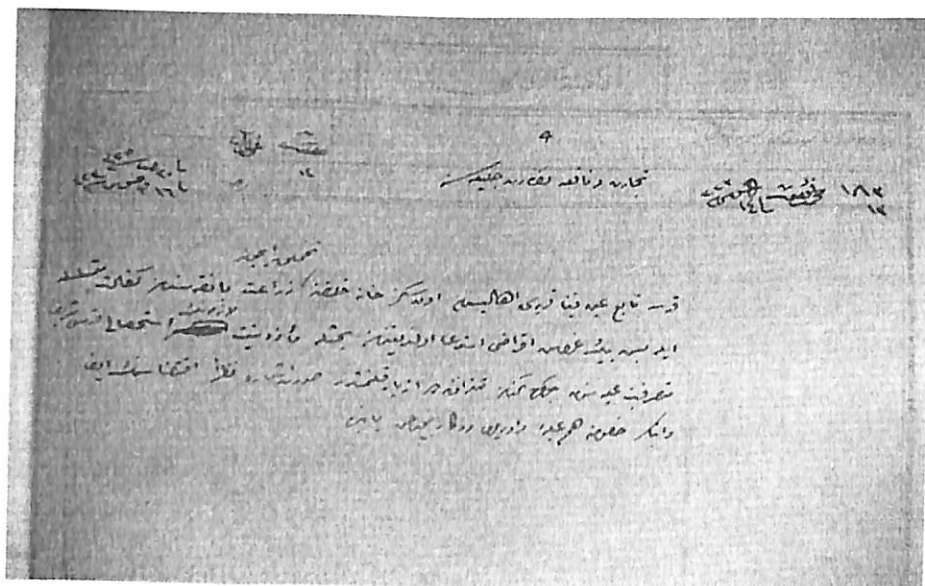


إسكان بعض العشائر في ولاية بيروت ،

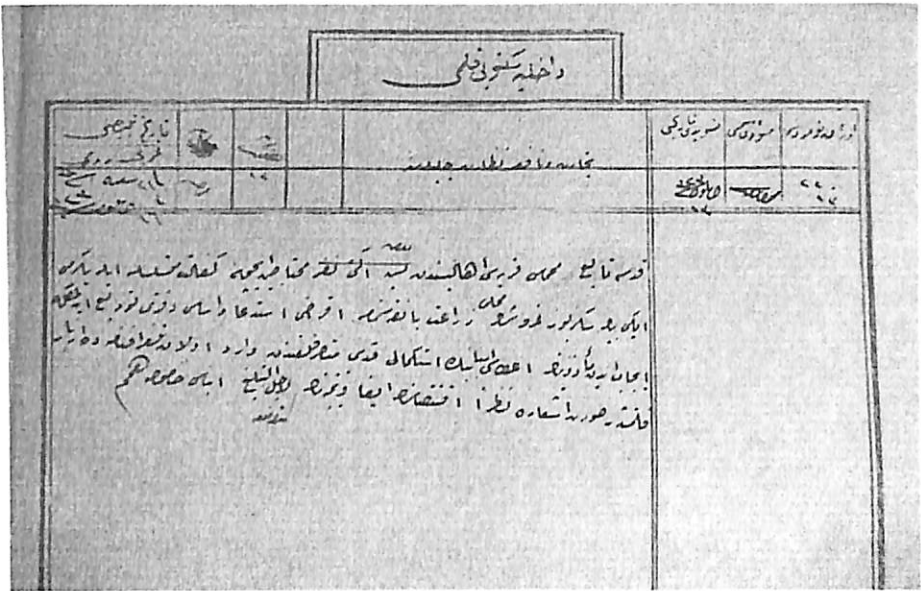
ومنح الأراضي لها وإقراض مبالغ مالية لها من البنك الزراعي لشراء البذور



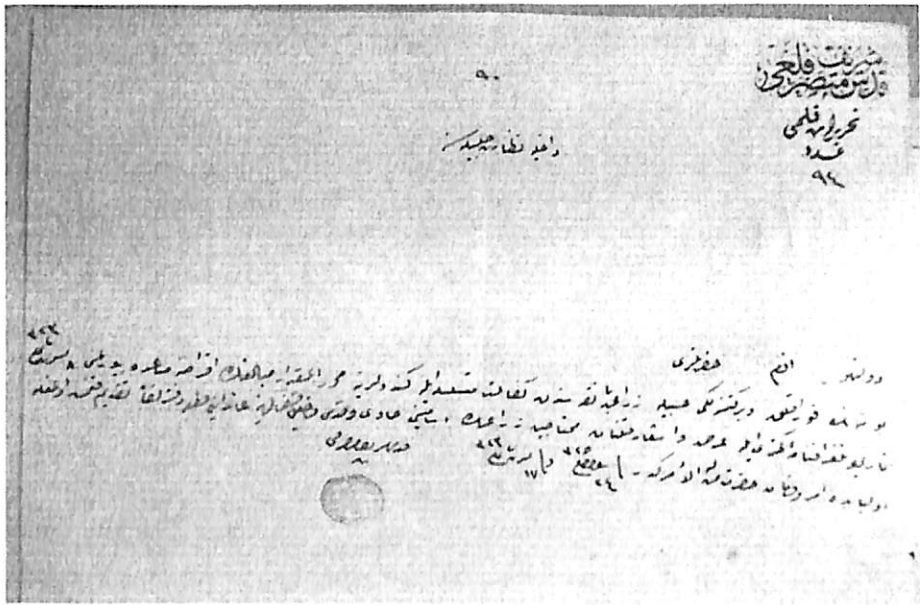
توفير الحاجيات الزراعية لأهالي بيت ساحور التابعة للقدس ؛
بسبب الضائقة المالية التي مرت بهم جراء القحط وقلة الأمطار في المنطقة



منح قرض بمبلغ خمسة آلاف قرش من البنك الزراعي لثمانية عشر منزلاً من قرية عين قيا
التابعة للقدس الشريف بالكفالة المتسلسلة



منح قرض بمبلغ اثنين وعشرين ألف وثمانمائة قرش من البنك الزراعي لبعض المحتاجين من أهالي قرية مخماس التابعة للقدس الشريف بالكفالة المتسلسلة



معروض متصرف القدس إلى نظارة الداخلية المتضمن طلبه في إصدار الأوامر إلى البنك الزراعي في منح القروض للمزارعين في القدس والخليل ؛ بسبب قلة الأمطار في هذه السنة

مصر - بنك الزراعي - ١٣١٢ هـ

قائمة الإحصائية لمعاملات البنك الزراعي في حلب خلال العام المالي ١٣١٢ رومي

رقم الحساب	اسم العميل	نوع الحساب	مبلغ	تاريخ	ملاحظات
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

صفحة من القائمة الإحصائية لمعاملات البنك الزراعي في حلب خلال العام المالي ١٣١٢ رومي

الزراعة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر من خلال تقارير أميركية

مسعود ضاهر (*)

تعريف بمصادر الدراسة وفرضياتها

يقدم الأرشيف الأميركي وثائق بالغة الأهمية دون أن تتم الاستفادة منها إلا بصورة جزئية من جانب عدد محدود للغاية من المؤرخين والباحثين العرب. وهي تساعد على تقديم إشكاليات مهمة لقراءة تاريخ بلاد الشام الاقتصادي والاجتماعي على أسس أكثر دقة وموضوعية. فقد كانت تقارير الدبلوماسيين، ورجال الأعمال، والمرسلين الأميركيين، وغيرهم في تلك المرحلة محايدة أو بالأحرى أكثر موضوعية من تقارير قناصل الدول الأخرى. فقد كان الحضور السياسي والعسكري للولايات المتحدة في بلاد الشام ضعيفا حتى الحرب العالمية الأولى. ونظرا لغياب مشروع أميركي للسيطرة على مقاطعات بلاد الشام، كانت التقارير الأميركية ترسم صورة عيانية دقيقة إلى حد ما عن التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في بلاد الشام من موقع المراقب المنصف والمنحاز أحيانا إلى جانب الطبقات الشعبية التي كانت تعاني

(*) قسم التاريخ، الجامعة اللبنانية / الجمهورية اللبنانية .

من القهر ، والاستبداد ، والظلم ، والسخره ، والنزاعات الطائفية ، والقبلية (١) .
تمحورت إشكاليات هذا البحث على دراسة القضايا الاقتصادية في بلاد الشام
بشكل عام والزراعية منها بشكل خاص ، وذلك من خلال التقارير الأميركية دون
سواها نظرا لأهميتها الخاصة في هذا المجال . فهي تكمل أو تسد نقصا كبيرا في
الوثائق العثمانية والتقارير الدبلوماسية لمختلف الدول الأوروبية حول التاريخ
الاقتصادي لهذ المنطقة . علما أن المرويات المحلية ، والمذكرات الشخصية ، وأرشيف

(١) بلغ حجم الوثائق الأميركية التي حصلت على صفحات كثيرة مصورة منها ، ٩١ ميكروفيلماً ، وهي
على درجة متفاوتة من حيث تنوع وغنى التقارير خلال المرحلة الممتدة ما بين ١٨٣٥ - ١٩٥٩ م .
وتوجد التقارير المصورة الخاصة بهذا البحث في مكتبتي ضمن ملفات تحمل العناوين الآتية :

The National Archives, National Archives and Records Service, General Services Ad-
ministration, Washington 1958

M 188: Dispatches from United States Consuls in Aleppo. Roll I, 1835 -1840.

T 367: Dispatches from United States Consuls in Beirut. The American National Ar-
chives, 23 Reels, 1836 -1910.

M 722: American National Archives, Lebanon, 17 Reels, 1910 - 1929.

T 1178: American National Archives, Lebanon, 5 Reels, 1930 - 1944 .

M 604: Minutes of Meetings of the National Security Council with Special Advisory
Reports. Central Intelligence Agency. 3 reels, 1945 - 1951.

M- 632: Documents of the National Security Council, 5 Reels, 1948- 1951.

M 657: CIA Research Reports: The Middle East 1946 -1976, 3 Reels.

M 792: Confidential United States - State Department- Central Files, 5 Reels, 1945 -
1949.

M 793: International Foreign Affairs, 13 reels, 1950 - 1954.

C 51: Confidential United States - State Department- Central Files 16 reels 1955 - 1959.

العائلات ، وسجلات المحاكم الشرعية ، ومحفوظات الأديرة ، ومصادر الأرشيف الأوروبي ، خاصة وثائق الأرشيف الفرنسي والبريطاني والروسي قد تناولت تاريخ بلاد الشام الاقتصادي على نحو جزئي ، أو شمولي .

تقدم التقارير الأميركية الصادرة عن بلاد الشام في القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى صورة دقيقة عن الزراعة والمشكلات الزراعية في تلك المرحلة . وتتضمن إضافات مهمة في عدد من الموضوعات الاقتصادية التي تقع في صلب المسألة الزراعية في بلاد الشام ، وترسم مراحل تطورها خلال قرن من الزمن . وأبرز تلك الموضوعات : أعداد السكان ، ومناطق تواجدهم ، وتنوع طوائفهم ، وتطور السكن في الواحات والأرياف والمدن ، ومشكلات الريفيين مع سكان المدن ، والتعليم ، والنزوح الداخلي ، والهجرة إلى الخارج ، والانتفاضات الفلاحية ، وأنواع الحرف المحلية ، وزراعة القطن ، وإنتاج الحرير ودوره في تطور التجارة في بلاد الشام ، وغيرها من الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية التي تساعد على تقديم رؤية جديدة لتاريخ هذه المنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى .

كانت التقارير الأولى التي أرسلها القناصل الأميركيون ومساعدوهم من مدن بلاد الشام تعتمد المشاهدات العيانية ، وترسل إلى وزارة الخارجية الأميركية ضمن تقارير متقطعة . وقد تضمنت ، في الغالب ، معلومات وصفية عامة ذات توجه اقتصادي ، دون تحليل معمق^(١) . وكثيرا ما كان هؤلاء يتعمدون الابتعاد الطوعي في تقاريرهم عن نقد السياسة المحليين وسياسة السلطنة العثمانية في بلاد الشام . فاكتفوا بتقديم معلومات عامة وصفية ، وركزوا في

(١) كانت بعض التقارير الأميركية تكتب بخط اليد حتى عام ١٨٩٩م ، ومنها تقارير تصعب قراءتها .

ورغم الأحداث الكبيرة التي عصفت ببلاد الشام إبان تلك الفترة ، كان الاهتمام الأميركي بشؤون تلك المنطقة يختفي لسنوات طويلة ، ثم يعود بشكل واضح في تقارير معمقة ترصد بعض التغيرات المرتقبة .

تقاريرهم على الشؤون القنصلية ، وحاجة القنصليات الأميركية إلى موازنة أكبر لتكون قادرة على مواكبة أحداث المنطقة ، وإقامة التوازن مع زملائهم الدبلوماسيين الغربيين في كيفية استقطاب الزعماء المحليين من طريق المساعدات المالية والخدمات الشخصية^(١) .

عملت الولايات المتحدة الأميركية على تعزيز قنصليتها العامة في بيروت لرعاية مصالحها المتزايدة في شرقي البحر المتوسط . وسرعان ما أصبحت التقارير القنصلية أكثر دقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى . وكانت تستعرض حركة التبادل التجاري بين مدن وولايات بلاد الشام ، وأهم السلع المصدرة منها والمستوردة إليها . وقدمت تقارير أميركية صادرة من حلب وبيروت والقدس وغيرها معلومات تفصيلية عن الزراعة في بلاد الشام ، وأنواع السلع الزراعية التي كانت تهم الأميركيين بالدرجة الأولى ومنها زراعة القطن التي كان يسعى البريطانيون لاحتكار إنتاجها في مصر وبلاد الشام ، ثم النفط الذي بدأ يتكشف في إيران والأراضي العربية بكميات تجارية ، وإنتاج الحرير ، خاصة في جبل لبنان حيث خضع الإنتاج لسيطرة الاحتكارات الفرنسية .

بالإضافة إلى التركيز الثابت على الجوانب الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية ، بدأت التقارير الأميركية توثق لعمل الجامعات ومدارس الإرساليات في بلاد الشام . وتحرض على نشر مبادئ الديمقراطية في السلطنة العثمانية وولاياتها . وتشجع الجمعيات الأدبية والفنية والثقافية في بلاد الشام ، وتدافع عن الحريات العامة والفردية . وأشارت تقارير أميركية عدة إلى أسباب

(١) نظرا لوجود بعض القناصل الأميركيين في عدد من مدن بلاد الشام فقط ، لم تكن لهم في البداية القدرة على معرفة أوضاع المنطقة وتقديم تقارير يومية أو دورية إلى إداراتهم على غرار باقي قناصل الدول الكبرى ذات الحضور الفاعل في بلاد الشام ، خاصة قناصل فرنسا ، وبريطانيا ، وروسيا . لذلك جاءت تقارير تلك المرحلة متباعدة أحيانا ، وغير دقيقة . ولعل هناك تقارير إضافية حول تلك المرحلة ، لم استطع الإطلاع عليها بسبب وجودها في مراكز أميركية أخرى .

النزوح الداخلي من الأرياف إلى المدن ، والهجرة المتزايدة من بلاد الشام إلى الخارج ، وإلى دور بيروت كمركز إستراتيجي للتواجد الأوروبي في هذه المنطقة . وقدمت النصح للدولة الأميركية بتعزيز تواجدها على الساحة البيروتية للتأثير على النخب السياسية والثقافية في بلاد الشام وجوارها ، خاصة مصر . أشارت تقارير أميركية معمقة إلى الإصلاحات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدخلتها الانتفاضات الفلاحية في جبل لبنان ، خاصة انتفاضة فلاحي كسروان التي كان لها دور بارز في قيام نظام المتصرفية . وتناولت تقارير أخرى الانتفاضات الفلاحية في الأرياف السورية ، خاصة في حوران ، وأثرها في زعزعة ركائز النظام الإقطاعي مع بدايات التحول نحو العمل المأجور ، وإنتاج السلع الزراعية المرتبطة بالأسواق الرأسمالية العالمية .

الأوضاع الاقتصادية والإدارية في بلاد الشام من خلال تقارير أميركية

١٨٣٥ - ١٨٦١م

تضمنت تلك التقارير معلومات وصفية متنوعة عن القضايا التجارية ، وأعمال القنصليات ونفقاتها ، وأسعار العملات ، والمكايل والأوزان والمقاييس ، وإشارات وصفية إلى لعادات والتقاليد السائدة في مدن وأرياف بلاد الشام . وهي وثائق غنية بالتقارير التي تبرز نماذج من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مختلف مناطق بلاد الشام^(١) .

(١) يلاحظ في تقارير تلك المرحلة غياب أو تغييب شبه تام للأحداث الدامية التي شهدتها بعض مناطق بلاد الشام ، وبشكل خاص انتفاضة فلاحي كسروان لسنوات ١٨٥٨ - ١٨٦١م . وأغلب الظن أنها مودعة في أماكن خاصة بها من الأرشيف الأميركي . ومع أنني لم أطلع عليها شخصيا ، إلا أنني أرجح وجودها لأسباب عدة وموضوعية . فقد كان هناك وجود أميركي بارز في بيروت وجوارها إبان تلك المرحلة من جهة ، كما حرص القناصل والمرسلون الأميركيون على تقديم تقارير مفصلة عن الأحداث البارزة التي شهدتها مناطق جبل لبنان من جهة أخرى .

كانت تقارير تلك الحقبة متباعدة أحيانا ، وهي تظهر اهتمام الأميركيين الخاص بالسلع الزراعية المعدة للتجارة الخارجية أكثر من السلع الأخرى . مع إشارات وصفية إلى العادات والتقاليد الريفية السائدة ، وأسماء العائلات في مدن وأرياف بلاد الشام . ولم تحظ السياسة باهتمام كبير مقارنة بالجوانب الجغرافية والاقتصادية والسكانية والتربوية التي حفلت بها تقارير ودراسات مطولة تضمنت معلومات غنية جدا . وبالإضافة إلى الكتابة باللغة الفرنسية ، كانت تقارير تلك المرحلة تكتب بخط اليد ، ومنها تقارير باللغة الإنكليزية فقط ، وتقابلها أحيانا ترجمات ركيكة إلى اللغة العربية . وفي ذلك تأكيد على عدم وجود عدد كاف آنذاك من المترجمين الذين يتقنون اللغتين العربية والإنكليزية بشكل جيد ويتعاونون مع القناصل الأميركيين . ومن الواضح أن بعض التقارير المكتوبة بلغة مزدوجة كانت من ترجمة مساعدين محليين .

بعد زوال الحكم المصري عن بلاد الشام عام ١٨٤٠م بات والي بيروت مرجعا لفض المنازعات التي تقدم أمام محاكم المدينة . وسرعان ما تحلق القناصل العامون للقوى العظمى في بيروت ليكونوا على مقربة من الوالي . مما دفع الأميركيين إلى مطالبة حكومتهم بفتح قنصلية عامة لهم في المدينة ، بعد أن أبدوا أسفهم من أن تبقى مصالح أمة عظيمة كالولايات المتحدة الأميركية تحت رحمة بعثات دويلات أوروبية صغيرة مثل سردينيا ، وتوسكانا ، وبلجيكا وغيرها . وهناك مجموعة تقارير مطولة تضمنت موضوعات متنوعة ومرتبطة خلال المرحلة الممتدة من ١٨٣٥م وحتى العام ١٨٦١م^(١) .

(١) نشير هنا إلى تقرير محفوظ جيدا ، ويحيل إلى تقارير سابقة عليه لكنها غير موجودة في الأرشيف الأميركي . وهو مرسل من حلب بتاريخ ٢٥ آب ١٨٣٥م ، ولا يتضمن سوى مجاملات عامة ، وكتب باللغة الفرنسية فقط . لكنه يؤكد وجود قنصل عام في طرابلس هو السيد أنطونيوس بني منذ العام ١٨٣٣م . وهناك تقرير صغير الحجم أرسل من حلب بتاريخ ٢٥ آذار ١٨٣٦م تضمن معلومات عامة عن المدينة وجوارها .

نكتفي هنا بالإشارة إلى نماذج من تلك التقارير المنشورة خلال الفترة الممتدة ما بين سنوات ١٨٣٧م حتى ١٨٥٩م .

ففي ٢٠ تشرين الثاني ١٨٣٧م ، أرسل القنصل الأميركي في حلب ، ألفونس دوريجالو Alphonse De Rigalo ، تقريرا من عشرين صفحة ، كتبه بخط يده باللغة الفرنسية ، وتضمن معلومات تفصيلية مهمة عن ولاية حلب في تلك الفترة . وفيه وصف دقيق للمدينة بأنها من أجمل مدن بلاد الشام ، وتحتل موقعا ممتازا في التبادل التجاري مع الولايات المجاورة . ويأتي في طليعة إنتاجها الاقتصادي الحبوب ، والزيت ، والتبغ ، والقطن والحريز ، والصوف ، والفسق الحلبي . وهي أيضا مدينة صناعية تنتج النسيج ، والموسلين ، والثياب الحريرية والقطنية البالغة الجودة^(١) .

ويشير التقرير إلى أن حلب أعطت اسمها للقطن الحلبي الجيد النوعية والمشهور على مستوى الولاية كلها . ويقدر واضعوه أن عدد سكان المدينة في تلك الفترة كان قرابة ٦٠ ألف نسمة ، ثلثاهم تقريبا من المسلمين ، وفيها حوالي ١٦ ألفا من المسيحيين واليهود . وتليها في الأهمية مدينة أنطاكية ، وموردها الأساسي من الحريز ، وتنتج منه ما بين ٢٢٠ إلى ٢٥٠ كنتالا في السنة . وتنتشر في المدن المجاورة صناعة الجلود للاستهلاك المحلي خاصة في عينتاب . كانت اللاذقية والاسكندرون بمثابة ميناءين بحريين لولاية حلب وعبرهما تتم معظم المبادلات التجارية مع الخارج . أما أهم السلع المعدة للتصدير الخارجي فهي جوز الطيب ، والقطن ، والصوف ، والحريز ، والشمع الأصفر ، والأواني النحاسية القديمة ، وشعر الماعز ، وجلد الأرنب ، والمواد الطبية .

كان التبادل التجاري بشكل خاص مع فرنسا ، وبريطانيا ، وإيطاليا . وكانت تجارة الذهب والفضة ناشطة بكميات كبيرة لدرجة اضطرت معها الحكومة إلى اتخاذ تدابير صارمة للحد منها بعد أن باتت تهدد موارد البلاد بالاستنزاف .

(1) Consul in Aleppo to Secretary of State, 20 Nov. 1837.

وكانت فرنسا تستورد الأقمشة ، والحرائر المطرزة والموشاة بالذهب ، وورق الكتابة وغيرها .وتستورد مدن ليفورنو وجنوى وتريستا المواد عينها ، بالإضافة إلى المواد القطنية المصنعة . وأكد التقرير على أن التجارة الداخلية هي بالكامل بأيدي تجار محليين ، ومنهم نسبة كبرى من تجار بغداد الذين يمولون قوافل التجارة بين حلب والداخل العراقي .

كان حجم القافلة الواحدة ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جمل . وكان العدد الإجمالي ينخفض أحيانا إلى ما بين ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ جمل في العام بسبب تعديات البدو المتلاحقة على القوافل التجارية . وكانت القوافل تنقل كميات كبيرة من التبناك الإيراني ، وجوز الطيب ، وجلد الجاموس ، ومواد الصباغ ، والحريز الفارسي ، وبن مخا (نسبة إلى الميناء اليمني المشهور) ، والمواد الطبية من كل الأصناف . وتعود القافلة محملة بالمواد الأوروبية المصنعة . يضاف إلى ذلك أن قافلة الحجاج السنوية من الإيرانيين في عيد الأضحى كانت تجلب معها كميات كبيرة من الثياب المصنوعة من الكشمير ، والحرائر ، والأحجار الكريمة .

كانت التجارة مزدهرة جدا بين بغداد ودمشق حيث تتبادلان نفس السلع . وكانت القوافل التجارية تنقل إنتاج حلب إلى الأستانة وإزمير ، وتعود محملة بالسلع الأوروبية وبعض المواد المنتجة في أرضه ، وطرسوس ، خاصة القطن ، والصوف ، والشمع الأصفر ، والنحاسيات القديمة ، ويعاد تصديرها إلى أوروبا .

كان التجار المحليون يلعبون دور الوساطة في معظم مدن المنطقة لصالح تجار حلب . وكانت هناك علاقات تجارية مباشرة بين ميناء اللاذقية وجزيرة قبرص . ويعتبر القطن المغزول أهم إنتاج ولاية حلب ويزيد حجمه على ٢٥٠٠ بالة سنويا . وكان الأميركيون يجدون منافسة شديدة من جانب البريطانيين في تجارة هذه السلعة الزراعية المهمة .

كانت الضرائب المجبأة على القطن في ولاية حلب تتراوح ما بين ٣ و ١٠٪ للمواد الفاخرة وتصل إلى ١٨٪ للمواد التي تستهلك بكثرة كالسكر ، والفلفل ،

وجوز الطيب ومواد الصباغة . وتدفع عن السلع ضريبة جمارك بنسبة ٣٪ مرة واحدة عند الدخول استنادا إلى النظم التجارية الصادرة في الأستانة والتي تطبق في ولايات السلطنة ، ومنها بلاد الشام . ومع أن روسيا آنذاك كانت البلد الأكثر حظوة ، إلا أنها كانت تعامل على قدم المساواة مع باقي الدول في مجال ضريبة الجمارك . والسلعة التي كانت تدفع ضريبة الجمارك مع إشعار بالدفع يمكن أن تنقل إلى جميع أنحاء السلطنة دون أن تدفع ضريبة أخرى . أما السلع غير المدرجة على لائحة التعريفات الجمركية فيمكن أن تدفع الضريبة المقررة ٣٪ بما يصل إلى ٢٠٪ من قيمتها .

كان يتوجب على السلع الواردة من أوروبا أو من الولايات المتحدة الأمريكية إلى مرفأ اللاذقية لنقلها إلى حلب أن تدفع ما بين غرش عثمانى واحد إلى أربعة غروش عن الباله أو الطرد . وكانت تلك الضريبة بمثابة رسم ترانزيت ، ولا مثيل لها في مرفأ الإسكندرون ولا في أي من المرافئ السورية الأخرى . وكانت ضريبة الجمارك المقررة ، وقدرها ٣٪ ، لا تفرض على السلع المعدة للاستيراد أو التصدير . وكان أصحاب السلع يدفعون تلك الضريبة في المكان المخصص للبيع . وكان قبطان السفينة غير ملزم بتقديم أي أوراق ثبوتية عند نزوله إلى البر بل يكتفي أحد عمال القنصلية بالتعريف عنه .

كانت السفن الوافدة من بلدان موبوءة بأمراض معدية تجبر على الذهاب إلى الكرنطينا في مرفأ بيروت حيث توجد مفرزة صحية ولا يتم استقبالها في أي مرفأ آخر من المرافئ السورية . وللمفرزة الصحية في بيروت صلاحيات كاملة لملاحقة جميع السفن المخالفة لقوانين الصحة العامة وإجبارها على الذهاب إلى الحجر الصحي فيها .

كانت قيمة الحجر الصحي هي نصف بالمائة (٠,٥٪) للسلع ، و١٠ غروش للركاب ، وغرشان عن كل يوم حجر صحي . وتحدد السلطات الصحية المدة المتوجب على السفن والأشخاص مكوثها في الحجر ، وموعد الإبحار ، والجهة التي عليها التوجه إليها . وتحديث التقرير كذلك على حمولة السفن ، وكيفية

الحصول على ترخيص للسلع المعدة للشحن ، وعن ضرورة احترام الاتفاقيات الموقعة بين السلطنة العثمانية والدول الأوروبية والولايات المتحدة ، مع التشدد في مراقبة تهريب السلاح أو شحنه ، أو الاتجار به .

كانت الاتفاقيات التجارية التي وقعتها السلطنة مع عدد من الدول وأعطت بعضها امتيازات خاصة لم تعطها لدول أخرى ، تعتبر الدول المحظية ذات امتيازات خاصة . وعند حصول نزاعات تجارية ، كانت تشكل محاكم خاصة يشارك فيها القنصل أو من ينوب عنه للدفاع عن رعايا دولته . ثم يورد التقرير لائحة بنسبة الموازين والمكاييل المعتمدة في ولاية حلب ، بالقياس إلى ما يعادلها في النظام الأميركي . ويشير التقرير إلى سيطرة محمد علي باشا على بلاد الشام واحتكار السلع التجارية خاصة القطن والحريز . فكان يرسل قسما كبيرا من إنتاج هاتين السلعتين إلى مصر لتشغيل مصانع الغزل والنسيج فيها .

اتخذ القناصل الأجانب قرارا جماعيا أبلغوه إلى الباشا يعلموه فيه بأن الدول الكبرى أقرت مبدأ حرية التجارة بموجب اتفاقية بالطا - ليمان التي ضربت نظام الاحتكار الذي أنشأه محمد علي في مصر وبلاد الشام . فأعطى الباشا تعليماته إلى المأمورين التابعين له لإطلاق حرية التجارة ، وتوقفت دوائر الاحتكار عن العمل ، وبدأ شراء السلع تبعا لأسعار السوق .

آنذاك ، كان في فلسطين ومناطق أخرى من بلاد الشام أكثر من نائب قنصل : في يافا ، والرملة ، وحييفا ، وعكا ، وصور ، وصيدا ، وهناك وكالة في الناصرة . وكانت تلك المناطق تتبع والي بيروت مباشرة باستثناء حييفا والرملة اللتين تتبعانه بشكل غير مباشر عبر حاكم القدس . وهناك تقارير عدة تبدي الأسف لأن القنصلية الأميركية في بيروت لم تكن على المستوى المطلوب ، ولم تكن تحظى باهتمام وزارة الخارجية الأميركية بتحويلها إلى قنصلية عامة . لكن القنصل الأميركي الجديد توقع أن تتطور بيروت بسرعة لتصبح المركز التجاري الأول في سوريا . إذ من مصلحة الولايات المتحدة الأميركية أن تعزز قنصليتها في بيروت وألا تبقى تعامل كإحدى الدول الأوروبية الصغيرة من قبل حكام

الولايات السورية ، خاصة حاكم بيروت . واقترح أن يستبدل شعار القنصلية من نصه آنذاك «قنصلية الولايات المتحدة الأميركية لسوريا وفلسطين» ، إلى «قنصلية الولايات المتحدة لبيروت وملحقاتها» . فتحققت رغبته بعد أن اتخذت الخارجية الأميركية قرارا بهذا الخصوص ، ووصل القنصل الجديد ، أوغست جونسون ، August Johnson ، في ٢٢ تموز ١٨٥٨م^(١) .

فأرسل تقريراً باسم «قنصل الولايات المتحدة الأميركية في بيروت - سورية» ، بتاريخ ١١ آب ١٨٥٨م ، كتبه بخط يده باللغة الإنكليزية على سبع صفحات . وقد أكد فيه على أن جميع المناطق السورية والفلسطينية ، باستثناء ولايتي دمشق وحلب ، كانت في زمن الحكم المصري تتبع مقر الحاكم في بيروت . فباشا بيروت المصري هو الحاكم العام لسوريا وفلسطين ، ويأتي في المرتبة الثانية بعد السلطان العثماني والصدر الأعظم . وتبعاً لذلك فإن جميع الدعاوى كانت تقدم لمحاكم بيروت ، وأن كل القضايا المهمة تمر عبر القناصل العامين وحكام المقاطعات . لذلك تركز القناصل العامون للقوى العظمى الأربع في مدينة بيروت ليكونوا على مقربة من الحاكم العام . فسارع الأميركيون إلى فتح قنصلية عامة للولايات المتحدة الأميركية في بيروت . وأشار التقرير بوضوح تام إلى تصريح مسؤول البعثة الدبلوماسية الأميركية في بيروت من أن الوجود

(١) تجدر الإشارة إلى تقرير أميركي صغير بتاريخ ٢٩ تموز ١٨٥٢م تضمن معلومات اقتصادية وقنصلية عامة ، وتقرير آخر بتاريخ ٣٠ كانون الثاني ١٨٥٧م ، فيه معلومات شمولية وشبه تفصيلية عن مدينة حلب ومناطق عدة من بلاد الشام . هناك تقرير مفصل عن المرحلة الممتدة ما بين ٢٩ تموز ١٨٥٢م وحتى الأول من تشرين الثاني ١٨٥٧م ، تضمن التقرير معلومات مهمة جداً عن مدينة بيروت خلال تلك الفترة . وأشار إلى أن حجم تجارة مدينة بيروت قد ارتفع عام ١٨٥١م إلى ما يقارب الخمسة ملايين دولار للاستيراد مقابل مليونين ونصف المليون دولار للتصدير عبر مرفأ المدينة ، وأن الولايات المتحدة عازمة على تطوير تجارتها في المنطقة عبر مرفأ بيروت .

القنصلي فيها لن يبقى شكلياً بل ستتحول إلى قنصلية ذات صلاحيات واسعة .

أثار تصريحه دهشة والي بيروت عن عزم الولايات المتحدة على تطوير قنصليتها لتكون قادرة على التفاعل مع التقسيمات الإدارية والسياسية الجديدة في الولايات السورية .^(١)

الزراعة في بلاد الشام من خلال تقارير ١٨٦١ - ١٩٠٦ م

عندما اندلعت الانتفاضات الفلاحية في جبل لبنان ، خاصة انتفاضة فلاحي كثيرة الشهيرة والتي دامت قرابة ثلاث سنوات ، كانت القنصليات الأميركية منتشرة في مختلف مدن بلاد الشام . وكان قنصل بيروت على معرفة أكيدة بما يجري في جبل لبنان من أحداث بارزة بعد الإعلان الرسمي عن

(1) Consul in Beirut to Secretary of State, 11 Aug. 1858.

وقد تضمنت تقارير أميركية مرسلة خلال سنتي ١٨٥٨م و١٨٥٩م من يافا ، وبيروت ، وطرابلس ، وحلب وغيرها ، معلومات مهمة عن تطور الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام ، ودور مرفأ بيروت ، وازدهار تجارة بيروت ، وحركة التجارة في مدينة طرابلس ، ومعلومات اقتصادية واجتماعية متنوعة .
نشير بشكل خاص إلى تقرير مطول يغطي الفترة ما بين ٣٠ كانون الثاني ١٨٥٧م حتى ٣١ كانون الأول ١٨٦٠م . كتب بخط اليد ، وفيه وصف دقيق لأوضاع الأميركيين في مختلف مدن ومناطق بلاد الشام ، وطرق معيشتهم ، وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، وعلاقاتهم بالناس ، وتمركز إعداد منهم في بلدة بحدون بجبل لبنان وجوارها ، ونفقات الإقامة بالفروش . وهناك تقرير أميركي مهم بتاريخ ١٤ حزيران ١٨٦٠م عن أحداث جبل لبنان الدامية ، وتقرير آخر بتاريخ حزيران ١٨٦٠م تناول تاريخ الدروز وأوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وتقرير بتاريخ ٢٣ آب ١٨٦٠م صادر عن اللجنة الأميركية - الانكليزية لمساعدة المتضررين من الأحداث التي شهدتها بعض مناطق بلاد الشام في تلك الفترة ، وإلى تقارير عدة مشابهة .

الملكية الخاصة بموجب قانون الأراضي العثماني في عام ١٨٥٨ م . وقد رافق الإعلان، عنه تسجيل الأراضي ملكا خاصا على أساس سندات الطابو . لكن كبار الإقطاعيين والمتنفذين استغلوا أجهزة الدولة القمعية لتثبيت ما سيطروا عليه سابقا من ملكيات التصرف وغيرها بشكل حقوقي . واستخدموا نفوذهم للسيطرة على قسم كبير من أراضي الدولة وأراضي صغار الفلاحين في أن واحد . بما قاد إلى سلسلة من الانتفاضات الفلاحية وحركات الاحتجاج في مختلف أنحاء بلاد الشام .

تزايد في تلك الفترة إنتاج السلع الزراعية المرتبطة مباشرة بالأسواق العالمية خاصة الحرير والقطن والتبغ . فازدهرت زراعة التوت على نطاق واسع في بلاد الشام لإنتاج الحرير الطبيعي . وأخضعت زراعة التبغ لاحتكار شركة الريجي الفرنسية في مختلف ولايات السلطنة العثمانية . وتمثل مرحلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر قمة الضعف الذي وصلت إليه السلطنة وصولا إلى انهيارها في نهاية الحرب العالمية الأولى . وتجلت بعض مظاهر الضعف برهن أو تلزيم موارد السلطنة وضرائبها إلى الشركات الاحتكارية الأجنبية التي بلغت في التعسف وفرض الضرائب المتزايدة على المزارعين حتى بلغت قرابة المائة ضريبة ، في مختلف مجالات السكن والعمل .

بما قاد إلى مزيد من إفقار الفلاحين ، ونزوح كثيف من الأرياف إلى المدن أو الاحتماء داخل الصحاري ، وبوار قسم كبير من الأراضي الزراعية ، وفتح باب الهجرة إلى الخارج على مصراعيه . وشهدت تلك المرحلة صدمات دموية متكررة بين الفلاحين وكبار الملاكين المدعومين من السلطات العسكرية المحلية . وتكاثر عدد المرابين الذين جمعوا ثروات طائلة من جراء الإقراض بفوائد فاحشة كانت تصل إلى أضعاف حجم الدين أحيانا خلال سنوات قليلة . وسيطر بعضهم على أراض شاسعة حصلوا عليها بأسعار بخسة لأنهم كانوا من القلة التي تمتلك رأسمالا ماليا متحركا وقابلا للتوظيف في صفقات مربحة جدا ، منها الصفقات العقارية بالدرجة الأولى والسيطرة على الأراضي الزراعية عبر

الرهن ، والتحكم بالإنتاج الزراعي عن طريق القروض المسبقة بفوائد عالية جدا ، والتي تسدد عند جمع المحاصيل (١) .

وبنتيجة عوامل متنوعة هيمن كبار الملاكين على المناطق الزراعية ، وسيطر تجار المدن والمرابين والشركات الاحتكارية على الإنتاج الزراعي . وخسرت القوى الفلاحية طاقات شابة منها بسبب التجنيد الإجباري ، والنزوح إلى المدن ،

(١) - تقرير اقتصادي كبير بتاريخ ٩ شباط ١٨٦١م تناول الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام

- تقرير بتاريخ ١٥ شباط ١٨٦١م تناول أوضاعا اقتصادية وقنصلية عامة .

- تقرير شمولي عن العام ١٨٦٤م يبرز عدد السفن الأجنبية التي دخلت مرفأ بيروت وأحجام حمولتها .

- تقارير عن العام ١٨٦٥م تبرز تجارة مرسين ، وطرابلس ، والأوضاع الاقتصادية في المناطق السورية ، وعدد السفن الأميركية التي دخلت المرفأ السوري ، خاصة مرفأ بيروت .

- تقرير مهم بتاريخ ٨ آذار ١٨٦٥م قدر عدد الموانئ في جبل لبنان بحوالي مائتي ألف نسمة مقابل ١٥٠ ألفا من الدروز .

- تقرير شمولي عن المرحلة الممتدة ما بين ١٥ شباط ١٨٦٤م حتى ٢٢ تموز ١٨٦٧م . تضمن وصفا دقيقا لحركة التجارة المزدهرة في بيروت وصيدا وطرابلس وحلب ودمشق . بالإضافة إلى مئات الرسائل القنصلية ، وأسماء السلع التجارية وأسعارها ، ومعلومات اقتصادية دقيقة عن أسعار العملات ، وأسماء البنوك ، ومراكز التسلف وغيرها .

- تقرير شمولي مكتوب بخط اليد يغطي المرحلة ما بين ٧ آب و٣١ كانون الأول ١٨٦٨م . تضمن معلومات دقيقة عن حركة مرفأ صيدا عن العام ١٨٦٦م . يظهر تعاون الجمعيات الأميركية لدعم النشاط الأميركي في بلاد الشام ، وتضمن عشرات الرسائل الواردة إلى القنصليات الأميركية أو الصادرة عنها .

- تقرير شمولي عن العام ١٨٦٩م يظهر أسماء الرعايا الأميركيين في بيروت ، وتاريخ قدوم كل منهم ، وأسماء العاملين معهم . وأسعار العملات الأجنبية في بيروت ، وأخبار عادية عن الأحداث اليومية ، والمناخ ، والطبيعة ، والأنهار ، والزراعة .

والهجرة إلى الخارج ، وتلزم الضرائب والتعسف في طرق جبايتها فتصحر قسم كبير من الأراضي الزراعية تدنى مستوى الإنتاج الزراعي ، وعجز غالبية الفلاحين عن شراء الآلات الزراعية الحديثة بسبب افتقارهم إلى الأموال النقدية . وأصبحت الحرف الزراعية بأزمات حادة أدت إلى إفلاس قسم كبير منها .

تبلور واقع جديد في الأرياف اللبنانية يقوم على قاعدة : «من يملك لا يزرع ومن يزرع لا يملك» . وانهارت الملكيات الفلاحية القديمة التي جعلت من الفلاح المكفي سلطانا مخفيا . ويلاحظ أن القاعدة البشرية للغالبية الساحقة من الحركات الشعبية والانتفاضات المطلوبة والوطنية في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى قدمت آلاف المناضلين من الفئات الفلاحية والحرفية بالدرجة الأولى بسبب أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية البالغة السوء^(١) .

اللافت للنظر أن التقارير الأميركية لم تحلل بالتفصيل إلى تلك الانتفاضات . وما كتب عن الانتفاضات والحركات الفلاحية في الوثائق المحلية ووثائق الأرشيف الفرنسي أو البريطاني لتلك الفترة كان يميل إلى نقد فكرها السياسي والاجتماعي والتنظيمي ، أو يصفها بأنها مجرد حركات احتجاج مرحلية لم تتحول إلى حركات شعبية قادرة على فرض تغييرات بنيوية في

(١) تقارير مفصلة عن العام ١٨٧٢م تضمنت أسعار الحبوب ، والنشاط التجاري ، وتفاصيل عن سكان المنطقة ، وعن تجارة كل من حلب واللاذقية في تلك الفترة . وأشارت تقارير عدة من العام ١٨٧٣م ، مرسله من عملاء الأميركيين في بيروت ، وصيدا ، وطرابلس ، ودمشق ، واللاذقية ، ومرعش ، وصور ، ويافا ، وعينتاب ، وحلب ، وحيفا ، والاسكندرون ، وطرطوس ، بصورة مفصلة إلى أوضاع مناطقهم ، وأسعار الأراضي ، وأحوال التجارة ، والعمران ، وأسعار العملات ، ودور الرعايا الأجانب فيها ، والرسائل الصادرة من القنصليات الأميركية والواردة إليها والتي بلغ عددها ٤٢٢ رسالة حتى ١٦ آب ١٨٧٣م .

النظام السياسي السائد لصالح الفلاحين وجميع القوى العاملة في الزراعة على امتداد المشرق العربي . فجاءت الكتابة التاريخية عن الانتفاضات الفلاحية منحازة ، في الغالب ، ضدها ، ومنها وثائق كانت تصفها بأبشع النعوت وتصف قادتها باللصوص وقطاع الطرق والمجرمين . وأغلب الظن أن التقارير الأميركية تساعد في تصويب الصورة عن تلك الانتفاضات وتقديمها على ضوء واقعها التاريخي كحركات شعبية قام بها الفلاحون ضد الظلم والقمع والإذلال والسخرة . فالتقارير الأميركية لتلك المرحلة كانت من إعداد مرسلين أميركيين من ذوي النزعة الطهرانية الداعية إلى التنوير ، والمساواة بين الناس ، ورفع الظلم عن الجماهير الشعبية^(١) .

ليس من شك في أن أفكار العاميات الشعبية والحركات الفلاحية قد بلغت مسامع القناصل والمرسلين الأميركيين . وعبرت بصدق عن المستوى النظري الذي بلغته القوى الفلاحية في بلاد الشام رغم ارتفاع نسبة الأمية والجهل والتخلف . ولم تناضل تلك القوى بمفردها ضد كبار الملاكين والقوى السلطوية الأخرى بل سعت إلى التعاون الوثيق مع قوى سياسية جديدة من الطبقات الوسطى والبورجوازية الناشئة حديثا . ويظهر تأثيرها جليا في الخطاب السياسي والمصطلحات التي كانت تستخدمها العاميات الشعبية والحركات الفلاحية في بلاد الشام ابان تلك المرحلة ، ومنها مفاهيم المساواة ، المواطن الحر في الوطن الحر ، العدالة الاجتماعية ، شعب حر ووطن سعيد ، الجمهورية وحكم الجمهور ، والدين لله والوطن للجميع ، والأرض الوطنية ، والانتماء الوطني . وكان عدد من المتنورين الذين نشروا تلك الأفكار ، وفي طليعتهم المعلم بطرس البستاني ، على صلة وثيقة بالإرسالية الأميركية في بيروت .

(١) من المحتمل أن تكون مودعة في مراكز أخرى لم نستطع الاطلاع عليها . ولا بد من البحث عنها لإفادة منها وتوظيفها في دراسات علمية للكشف عن الأسباب الحقيقية للانتفاضات الفلاحية في بلاد الشام والنتائج التي تولدت عنها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

نشير هنا إلى تقارير أميركية مهمة تبرز تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية في بيروت ومتصرفية جبل لبنان وباقي مقاطعات بلاد الشام بعد قيام متصرفية جبل لبنان . وهي تبرز اهتمام الأميركيين المتزايد بهذه المنطقة . وقد طالب مرسلوها الإدارة الأميركية بإرسال معونات عاجلة إلى منكوبي الأحداث الطائفية في جبل لبنان وباقي مناطق بلاد الشام وتقديم المعونات الاقتصادية والخبرات التقنية لمساعدتهم في أعمالهم الزراعية والحرفية للبقاء في أماكن تواجدهم .

كانت نسبة كبيرة من تلك التقارير تركز على الأوضاع الاقتصادية والتجارية والمالية ، وحجم التبادل التجاري بين مرفا بيروت وباقي المرافئ ، وحجم تجارة المقاطعات السورية مع باقي الدول . ويلاحظ في تلك الفترة بروز تقارير شهرية منتظمة وتفصيلية حول أوضاع السكان المحليين ، وبشكل خاص المسيحيين والدروز ، ودور السلطنة العثمانية والدول الأوربية في التحريض على النزاعات الدموية . ورصدت بعض التقارير بدقة أثر الخطوط الهمايونية العثمانية ، وسياسة إبراهيم باشا في بلاد الشام ، ودور القنصليات الأوربية في تلك المنطقة . وهناك تقارير مفصلة عن الإنتاج الزراعي والحرفي والتجاري في مختلف مدن مناطق بلاد الشام مع التركيز على إنتاج القطن ، والحريز ، والزيتون ، والتبغ ، والصابون ، والقمح ، والشعير ، وتجارة الجلود . بالإضافة إلى تقارير تفصيلية عن علاقات بيروت بدمشق ، وحلب ، والنمو الاقتصادي المضطرد لمدينة بيروت ، وتطور الزراعة في متصرفية جبل لبنان . هذا بالإضافة إلى تقارير تفصيلية عن الأوضاع التربوية والاجتماعية . وتظهر تقارير من دمشق وطرابلس وحلب والقدس وبافا وغيرها مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها . وترصد تقارير أخرى حركة الملاحة والسفن ، وتجارة المدن السورية وحركة مرافئها ، وتقدم لوائح تفصيلية بأسماء القناصل ومساعدتهم وموظفي القنصليات وقد تجاوز عددهم المئات ، والمساعدات الاقتصادية والتقنية التي كانت تقدمها للسكان المحليين .

نشير هنا إلى تقرير بالغ الأهمية من بيروت بتاريخ أيلول ١٨٧٣م دون تحديد اليوم، يقع في ٣٨٠ صفحة، تتضمن معلومات تفصيلية دقيقة عن الطبيعة، والمناخ، والسكان، والاقتصاد، والحيوانات، والنباتات في مختلف مناطق بلاد الشام. قدر التقرير عدد الموارد بحوالي ٤٠٠ ألف نسمة، والروم الأرثوذكس بحوالي ٤٠٠ ألف نسمة، والدروز بحوالي ٣٥٠ ألف نسمة، والمسلمين المحمديين بحوالي مليون و٢٠٠ ألف نسمة، والأتراك بحوالي ٢٠ ألف نسمة، واليهود بحوالي ٢٠ ألف نسمة، ومجموعات أخرى يصل عددها إلى ١٥٠ ألف نسمة ومجموعات كبيرة من البدو غير محددة العدد. وقدر التقرير الحجم الإجمالي للسكان في بلاد الشام بحيث يصل العدد الإجمالي لسكانها إلى قرابة المليونين و٧٠٠ ألف نسمة. وأشار التقرير إلى أن سكان مدن بلاد الشام يقدر بحوالي ٣٥٨ ألف نسمة عام ١٨٧٣م منهم حوالي ١٧٥ ألف نسمة في مدينة دمشق، و٧٠ ألف في بيروت، و٢٤ ألف في طرابلس، و١٨ ألف في القدس، و١٦ ألف في يافا، و١٥ ألف في نابلس، و١٤ ألف في اللاذقية، و١٠ آلاف في صيدا، و٧٥٠٠ في عكا، و٥٠٠٠ في حيفا، و٤٠٠٠ في صور.

وتبرز تقارير أخرى من بيروت حجم التجارة، وأسعار السلع والأراضي، والتطور المدني. وترصد أخبار الصدمات الطائفية حتى الصغيرة منها، وتقلبات السياسة العثمانية، والبروز المتزايد للعداء العربي - التركي، والتنبيه من مخاطر السياسة العثمانية ضد المسيحيين في مختلف مناطق بلاد الشام، واتهام الإدارة العثمانية بالتحضير الخفي للتهيج الطائفي والعرقى وصولاً إلى تفجير نزاعات دموية. ونشير إلى تقرير مهم أرسل من حلب يغطي المرحلة الممتدة من أول كانون الثاني ١٨٨١م حتى ٣١ تشرين الأول ١٨٨٤م. تتضمن معلومات مهمة جدا عن الأوضاع الاقتصادية في حلب وجوارها. وتقرير آخر من حلب بتاريخ ٣٠ أيلول ١٨٨٣م تتضمن معلومات اقتصادية شمولية ودقيقة. وتقرير مطول باللغة الفرنسية بتاريخ ٣٠ حزيران ١٨٨٥م قدم معلومات دقيقة عن تجارة حلب وعينتاب، وأسعار الحرير، والخضار، والفواكه، والزيت. وتقرير مطول من ١٦

صفحة مرسل بتاريخ ٧ أيلول ١٨٨٥م تضمن معلومات مهمة جدا عن تطور تجارة بيروت وتقرير بتاريخ ٣٠ حزيران ١٨٨٦م تضمن معلومات مهمة عن الأشغال العامة ، والضرائب ، وأسعار الأراضي ، والنفط ، والمدارس ، وحركة التصدير والاستيراد ، وتجارة القطن ، والحريز ، والحيوانات ، والحبوب وغيرها في بلاد الشام . وهناك تقرير اقتصادي شمولي عن بلاد الشام غطى الفترة الممتدة ما بين الأول من تشرين الثاني ١٨٨٤م حتى ٣٠ أيلول ١٨٨٦م . وغطى تقرير اقتصادي الفترة من تشرين الأول ١٨٨٦م حتى ٣١ كانون الأول ١٨٨٧م وتضمن ملفات اقتصادية مهمة ورصد تقرير بتاريخ ٣١ كانون الأول ١٨٨٧م حركة المراكب الأميركية من وإلى مرافئ بلاد الشام ، وأنواع السلع التي كانت تحملها . وتضمنت تقارير العام ١٨٨٧م معلومات عن تجارة التبغ في المنطقة ، والحرف والصناعات المحلية . وأبرز تقرير بتاريخ أول تموز ١٨٨٩م حجم إنتاج الحريز الخام في مناطق بلاد الشام . ورصد تقرير بتاريخ ١٨ أيلول ١٨٨٩م صناعة السجاد في سوريا . وأبرزت تقارير شمولية لسنوات ١٨٨٦م حتى ١٨٩٠م الاهتمام الأميركي المتزايد بقضايا النفط في المنطقة ، مع تقارير مفصلة عن تصدير النفط من باكو بالقطار عن طريق باطوم . وتقرير ٢٠ آذار ١٨٩٠م يشير إلى مشروع التراموي في سوريا ، وتقرير ١٥ أيار ١٨٩٠م تناول ملف المياه في سوريا ، وتقرير اقتصادي مهم بتاريخ ١٩ حزيران ١٨٩٣م حول زراعة القطن في سوريا . وقدم تقرير ٦ تموز ١٩٠٠م معلومات هامة عن خيوط القطن المصنوعة في سوريا وذلك بناء لطلب من الشركات الأميركية ، وتقارير بتاريخ ١٥ و ٢١ تشرين الثاني ١٩٠٢م أشارت إلى انتشار مرض الكوليرا في منطقة الجليل وفي دمشق (١) .

(١) في الغالب ، استمرت التقارير الأميركية حتى نهاية القرن التاسع عشر وصفية ، ولم يرتق معظمها إلى أهمية التقارير الفرنسية والإنكليزية والروسية التي كانت تغطي معلومات شمولية لكل ما كانت تشهده بلاد الشام في تلك المرحلة . إلا أنها حفظت الكثير من الوثائق الأصلية التي تبرز ==

أخيراً ، أكدت تقارير العقد الأول من القرن العشرين على أن الأميركيين كانوا يديرون ١٨٥ مدرسة أو مؤسسة خيرية في ١٤٠ مدينة أو قرية في بلاد الشام منها أربع مؤسسات في مدينة بيروت ، ومركزان في كل من صيدا وطرابلس وصور ، و١٢ مركزاً في البقاع وراشيا - حاصبيا ، وثلاثة مراكز في حوران ، ومركز في حمص ، ومركز في حماه ، وخمسة مراكز في عكار ، وسبعة مراكز في مرجعيون ، ومركزان في صافيتا ، ومركز في كل من المتن وزحلة وجزین وكسروان ، و١٢ مركزاً في الشوف ، وغيرها^(١) .

بعض الملاحظات الختامية

تبدو التقارير الأميركية عن بلاد الشام منذ النصف الأول من القرن التاسع

== اهتماما الأميركيين الكبير بالمسألة الثقافية وبالقضايا الاقتصادية في بلاد الشام ذات النفع المباشر للاقتصاد الأميركي كالنفط ، والقطن ، والحرير ، والتبغ . وتظهر تقارير المرحلة الممتدة من ١ شباط ١٨٩٧م حتى ١٣ كانون الأول ١٩٠١م فتيبرز اهتمام متزايد بها ، ومعظمها تقارير مطبوعة ومبوبة . وتبرز تقارير المرحلة الممتدة من ٦ كانون الثاني ١٩٠٢م حتى ٣١ كانون الأول ١٩٠٤م ، وتقارير المرحلة من ٤ كانون الثاني ١٩٠٥م حتى ٤ شباط ١٩٠٦م إلى الأوضاع المالية الصعبة التي كانت تعاني منها القنصليات الأميركية في مدن بلاد الشام . وهي تتضمن معلومات مكررة في غالب الأحيان .

(١) توسعت أعمال القنصليات الأميركية في بلاد الشام ، خاصة في بيروت ، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وانتظمت تقاريرها . وتحولت بيروت إلى مركز رئيسي للتجارة في جميع الأراضي السورية والفلسطينية ، وإلى مركز رئيسي للبعثات الأميركية . وحفظت تقارير ١٨٦١م - ١٩٠٦م الكثير من الرسائل المهمة لإدارة الكلية الإنجيلية السورية وأساتذتها الذين أولوا اهتماما كبيرا بالمسألة الثقافية في بلاد الشام ودور بيروت الفاعل فيها منذ تلك الفترة . وتضمنت تقارير العام ١٩٠٦م طلبات متكررة مقدمة من القنصل الأميركي إلى السلطات العثمانية في بيروت لإعفاء المؤسسات الثقافية الأميركية من الضرائب أسوة بالمؤسسات الثقافية الفرنسية .

عشر وحتى الحرب العالمية الأولى ذات أهمية خاصة لدراسة القضايا الاقتصادية والاجتماعية فيها . فالمعلومات التي تقدمها تقارير القنصليات والمراكز الأميركية ذات طابع وصفي شمولي في وصف تلك القضايا ، وعمق في قضايا محددة تهم رجال العمال الأميركيين ، خاصة ما له علاقة بالقطن ، والحريز ، والتبغ ، والنفط . وتضمنت معلومات دقيقة وموثقة عن الجوانب الديموغرافية والاجتماعية في مختلف أرياف بلاد الشام . وركزت على دور مدارس الإرساليات الأجنبية والتنافس الحاد في هذا المجال بين الفرنسيين والإنكليز ، ومسألة نشر الديمقراطية في السلطنة العثمانية وولاياتها ، وأخبار الجمعيات الأدبية والفنية والثقافية ، وقضايا الحريات العامة ، وأسباب الهجرة المتزايدة من بلاد الشام إلى الخارج ، ودور بيروت كمركز إستراتيجي للتواجد الأوروبي في تلك المنطقة . وقدمت النصح للإدارة الأميركية بضرورة تعزيز تواجدها في بيروت بهدف التأثير على النخب السياسية والثقافية في بلاد الشام وجوارها . وأكدت التقارير الأميركية الواردة آنذاك من المراكز الأميركية المنتشرة في بلاد الشام ، كحلب ودمشق ، وطرابلس ، والقدس ، وبيروت ، وصيدا ، وحيفا ، وعكا ، وصور ، واللاذقية ، وإسكندرون ، وصولا إلى ترسييس ، وأضنه ومرعش ، وعينتاب ، وغيرها عدم صدقية الفرضية القائلة بتجاهل الولايات المتحدة لما كان يجري آنذاك في تلك المنطقة بسبب تبنيتها لنظرية الابتعاد أو العزلة عن العالم حتى الحرب العالمية الأولى . على العكس من ذلك ، توحى بعض التقارير بوجود مخطط دولي ساهم فيه الأميركيون من خلال وجودهم في بيروت لتصبح لاحقا مركز إشعاع لثقافتهم ، ونقطة ارتكاز لتجارتهم ورساميلهم في بلاد الشام .

كانت التقارير الأميركية من بلاد الشام في القرن التاسع عشر انطباعية وذات محتوى اقتصادي واجتماعي في الغالب . وتعتمد القناصل الأميركيون ومعاونوهم الابتعاد طوعا عن كل ما له علاقة بالسياسة والسياسيين . وقد ساهموا في تطوير المصالح الأميركية في بلاد الشام بشكل ملحوظ منذ النصف

الثاني من القرن التاسع عشر. فكثرت التقارير الدبلوماسية ، والاقتصادية ، والثقافية الدالة عليها ، وهي تعد بالآلاف ، ومحفوظة بشكل جيد في الأرشيف الأميركي . وقد آن الأوان للاستفادة منها في إعداد دراسات علمية تظهر التطور التاريخي لبلاد الشام بالاستناد إلى مختلف المصادر المحلية والأجنبية .

لم يكن من السهل على الأميركيين منافسة الإنكليز والفرنسيين في البحر المتوسط إبان تلك الحقبة . فانصرفوا إلى توسيع دائرة تواجدهم في أكثر من مائة مدينة وقرية في بلاد الشام عبر المدارس ، والمؤسسات الخيرية ، وإستمالة عدد من أبناء الطوائف المسيحية ، خاصة الأرثوذكسية منها ، إلى البروتستانتية . وأدرك الأميركيون ، منذ وقت مبكر ، أهمية مدينة بيروت بعد أن عمل الفرنسيون والبريطانيون على توسيع مرفأها ليلعب دورا مهما في العلاقات التجارية بين أوروبا وشرقي البحر المتوسط .

وأضاف الأميركيون إلى دور بيروت التجاري دوراً ثقافياً مهما بعد أن نقلوا إليها بعض مؤسساتهم الثقافية والتبشيرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وأسسوا أول جامعة أكاديمية في بيروت . مما حفز اليسوعيين على إنشاء جامعة ثانية فيها لتصبح بيروت مركز إشعاع ثقافي تنويري لا مثيل له في تاريخ بلاد الشام . وتحولت بيروت إلى واحدة من أبرز المدن الكوسموبوليتية (العالمية) في بلاد الشام وذلك على حساب باقي المدن اللبنانية كطرابلس وصيدا ، ومركزا لحركة الاستيراد والتصدير وإعادة التصدير بين المشرق العربي ومختلف دول العالم .

في المجال الزراعي ، ركزت التقارير الأميركية من بيروت وباقي قنصليات بلاد الشام على سلع معينة كانت تهتم الأميركيين بالدرجة الأولى ، خاصة تجارة القطن والتبغ والحرير . بالإضافة إلى الاهتمام الدائم بالجوانب الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية ، وعمل الإرساليات ، والتنافس الفرنسي - البريطاني ، ونشر الديمقراطية في السلطنة العثمانية وولاياتها ، وأخبار الجمعيات الأدبية والفنية والثقافية ، وقضايا الحريات العامة ، وأسباب الهجرة المتزايدة من

بلاد الشام إلى الخارج ، ودور بيروت كمركز إستراتيجي للتواجد الأوروبي في بلاد الشام .

هكذا مهدت تقارير القناصل الأميركيين الطريق لمزيد من الاهتمام الأميركي بهذه المنطقة منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى . ونشرت على نطاق واسع مبادئ الرئيس الأميركي ويلسون حول حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها ، ومهدت لمجيء لجنة كينغ - كراين الأمريكية ، فزارت بلاد الشام عام ١٩١٩م للتبشير بانتداب أميركي على بلاد الشام بديلا من الانتداب الفرنسي أو البريطاني .

ختاما ، ليس من شك في أن المادة الغنية التي تضمنتها التقارير الأميركية في تلك المرحلة تساعد ، بعد مقارنتها بوثائق الأرشيف الأخرى وأرشيف الدول الأوروبية ، على تطوير الدراسات التاريخية العلمية عن القضايا الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر . فهي تبرز بدقة أوضاع الزراعة ، والري ، والحرف اليدوية ، والصناعات المحلية ، والتجارة ، والاحتكار ، والتعليم ، والحياة الريفية ، ومشكلات البدو ، والضرائب الزراعية ، والعادات والتقاليد في أرياف بلاد الشام . بالإضافة إلى توصيف دقيق للحياة اليومية ، ونماذج من أشكال العمران في المدن الريفية . وكانت تشجع على فتح المدارس ، ودعت إلى نشر التنوير والعقلانية ، وقدمت تقارير ودراسات مطولة عن مخاطر التعصب الديني والنزاعات الطائفية ، وغيرها .

تغيير أشكال ملكية الفلاح في أرياف ولاية طرابلس من مرحلة نظام الإلتزام إلى عصر التنظيمات من خلال الوثائق العثمانية

فاروق حبلص (*)

مقدمة

تشكل دراسة ملكية الأرض الزراعية وتوزيعها على السكان مدخلاً رئيساً للوقوف على تاريخ الأرياف في المراحل التي إرتكز فيها إقتصاد هذه الأرياف على الزراعة وإستثمار الأرض ، قبل أن تدخل السياحة والإصطياف والتزلج في مكونات إقتصادها . فالأرض الزراعية كانت في تلك المراحل تشكل محوراً أساسياً في العلاقات الإجتماعية ، وبخاصة العلاقة بين المالك والفلاح ، وبالتالي فإن أي إنتقال في ملكيتها من واحد لآخر من هذين الطرفين ، كان يؤدي حتماً إلى تغيير العلاقة بينهما والتأسيس لنشوء علاقات إقتصادية- إجتماعية جديدة .

يبدو أن شيئاً من ذلك بدأ بالظهور في أرياف ولاية طرابلس منذ أواسط القرن السابع عشر ، حيث ألغي نظام الإقطاع ، وحل محله نظام الإلتزام الذي شاعت معه طرق إستثمار للأراضي الزراعية ، سمحت للفلاح بإمتلاك عدد من الأشجار المثمرة التي عمل على غرسها ورعايتها . وكان على هذا الأخير الإنتظار قرنين من الزمن لأستكمال ملكيته هذه التي تحوّلت مع ألغاء نظام الإلتزام

(*) كلية الآداب - الجامعة اللبنانية / الجمهورية اللبنانية .

ودخول عصر التنظيمات ، إلى ملكية مكتملة شملت الأرض والشجر المغروسة فيها .

ويهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على الملكيات الصغرى ، أو بالأحرى ملكيات الفلاحين في عصري الإلتزام والتنظيمات ، وتبيان أشكالها (ملكية أرض ، أم ملكية شجر ، أم ملكية الإثنين معاً) ، وتبيان كيفية حصولهم عليها (بالوراثة أم بالشراء ، أم بوضع اليد أم بالمغارسة ، أم بالحكر الشرعي) ، وتفصيل حقوق الفلاح والوضع القانوني للملكية وديمومتها . كما يهدف إلى تبيان إنعكاسات تملك الفلاح ، على علاقته بالمالك وعلى تفتيت الملكيات الكبرى المشجرة وعلى الزراعة برمتها ، فضلاً عن تأثيرها السلبي على مكانة المالك ونفوذه السياسي والاجتماعي .

مصادر البحث

بعيداً عن أقوال المؤرخين ، لا بدّ لأي دراسة علمية أكاديمية وموضوعية محايدة للملكية الفلاح ، من أن تعتمد بشكل رئيس على وثائق الملكيات الأهلية والرسمية . وهذه الأخيرة متوفرة ومحفوظة في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، التي كانت طيلة مراحل العمل بنظام الإلتزام ، الدائرة الرسمية الوحيدة في هذه الولاية ، وفيها كانت تسجّل كافة أنواع معاملات سكان الولاية . فهي وثائق رسمية إذن ، نظمت بإشراف الحاكم الشرعي ، وحضور الأطراف المعنيين .

ويقارب عدد وثائق الملكيات المدونة في هذه السجلات ، عشرات الآلاف ؛ وهي تغطي المرحلة التاريخية الممتدة من سنة ١٦٦٦م إلى سنة ١٩١٨م . وهي عبارة عن وثائق بيع أراض زراعية ، وعقود إستثمار أراض زراعية مثل حجج المغارسة وحجج الحكر الشرعي ، وحجج الفلوحية ، هذا بالإضافة إلى حجج إيجار أراضي الأوقاف : كالحكر والجدك والمغارسة . وما يجب الإشارة إليه ، أن هذا النوع من الوثائق ، أي وثائق الملكيات تعود لبعض المقاطعات التي كانت

ملحقة بولاية طرابلس ، وهي عكار والضنية والمنية والكورة وجبّة بشري والزاوية فقط ؛ مع الإشارة الى أن الفترة الزمنية التي تناول هذه المناطق الثلاث الأخيرة تتوقّف عند بدايات القرن التاسع عشر ، حيث بدأ ربط هذه المناطق بالإمارة الشهابية أولاً ثم بنظام القائمقاميتين ومتصرفية جبل لبنان . أمّا مقاطعات البترون وجبيل وطرطوس واللاذقية ، فنادرًا ما نجد في هذه السجلات وثائق ملكيات تعود لها ، رغم أنها كانت ملحقة بولاية طرابلس^(١) ، ورغم غزارة الوثائق الإدارية والتجارية المتعلّقة بها . لذلك فإن هذا البحث لا يتناول الملكيات الزراعية فيها .

وتنطق هذه الوثائق بالمعطيات التاريخية الموثوقة التي لا يرقى إليها الشك ، والتي تساعدنا في معرفة قطعة الأرض التي عمل عليها الفلاح ، ونوعها : ملك أم أمير أم وقف ، وموقعها وما إذا كانت مرورية أم بعلية ، مشجرة أم سليخاً . ونجد فيها إسم مالكة وكيف إمتلاكه لها ، بالشراء أو بالوراثة أو بوضع اليد ، والفلاح الذي إستأجرها أو إشتراها ، وسعرها أو قيمة إيجارها ومدّته ، وغير ذلك من المعطيات التي تساعدنا في الوقوف على حالة الفلاح العامل عليها وحقوقه في الأرض التي إستنبتها ، وما إمتلكه من عالم الزراعة ، سواء كان شجراً أو أرضاً أو جزءاً من المحصول . وهي تتضمّن إضافة إلى ذلك ، معطيات تساعد الباحث في الإقتراب من واقع العلاقة بين المالك والفلاح . لذلك لم يعد مقبولاً بعد إكتشاف هذه الوثائق ومعرفة أماكن حفظها ، التآريخ للملكية الزراعية وللزراعة بشكل عام ، دون العوده إليها .

وقد تعاملت مع هذه الوثائق بموضوعية ونجّرد تامين ، فأخذت منها المعطيات التاريخية الواردة فيها بشكل جلي وصریح . ثم أجريت مقارنات بين وثائق إيجار أرض زراعية تعود إلى مراحل زمنية متفرقة ، وتمكنت بخلاصتها من تتبّع تطور العلاقة بين المالك والفلاح .

(١) ينظر خريطة هذه المقاطعات في ص ٥٥٦ .

وكما هو معلوم لدى الباحثين في وثائق سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس والوثائق العثمانية بشكل عام ، فإن وثائقها تضع لقب باشا وبيك وأغا وأفندي أمام أسماء حاملي هذه الرتب ، وتضع كذلك إسم الحرفة أمام أسماء الحرفيين ، لكنها لا تضع كلمة فلاح أمام أسماء الفلاحين . لذلك إعتبرت أن كل أبناء القرى والأرياف الذين لم تسبق أسماؤهم بأي لقب ، كانوا فلاحين . بالإضافة إلى ذلك يعتمد هذا البحث على سجلات المحكمة الشرعية في حلبا ، ووثائقها شبيهة بتلك التي تتضمنها سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس والتي تتحدث عن الزراعة بخاصة ، لكنها لا تعود إلى ما قبل أواسط القرن التاسع عشر .

إلى جانب ذلك ، يعتمد هذا البحث على وثائق محفوظة في بيوتات عكار ، منها محفوظ في منزل علي بك عبد الكريم^(١) ، وأهمها جدول ويركو أملاك قرية مشمش لعام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م . ويقع هذا الجدول في إحدى وأربعين صفحة ، قياس ٤٠/٦٠ سم . وهو جدول رسمي صادر عن معاون مدير مال عكار ، ويحمل طابع عثمانية وختم مدير المال في قضاء عكار . وفيه جداول تتضمن أسماء كافة عقارات هذه القرية ومواقعها ، وقد وضع إزاء كل عقار إسم مالكة ونوعه (ملك- أميرى-وقف-بستان- مزرعة- مروى- بعلي- منزل-حاكورة) ، ورقم سند الملكية ، ومقدار الضريبة المترتبة عليه . بالإضافة إلى جدول أصحاب الأملاك في قرية مشمش لعام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م ، وقد تمكنت بالإستناد إلى هذين الدفترين من معرفة عدد الفلاحين في هذه القرية ، المالكين منهم وغير المالكين ، وحجم ملكية كل منهم ، ونوع محصوله السنوي وكميته . كما تعرّفت من خلاله على الفلاحين الذين تشاركوا مع البكوات في ملكية

(١) كان نائبا في البرلمان اللبناني ١٩٦٠-١٩٦٤م عن قضاء عكار في شمالي لبنان . وهو سليل عائلة آل المرعي الإقطاعية التي إلتزمت عكار منفردة من سنة ١٧١٤-١٨٣٩م ، وهو يحتفظ بأوراق على درجة كبيرة من الأهمية ، توفي سنة ١٩٩٦م .

قطعة من الأرض ، والطريقة التي تمكّن فيها بعض الفلاحين من تملك بيت زراعي في أرض البيك المالك . وتمكنت من خلال إجراء مقارنات على معطياته ، من تحديد نسبة أعداد الفلاحين على أعداد كبار الملاكين وأصحاب الملكيات الوسطى ، ونسبة الفلاحين المالكين على أولئك الذين لم يملكوا . بالإضافة إلى عدد كبير من حجج بيع أراضي وإيجار أراضي زراعية (المغارسة بالشراكة) للفلاحين ، وهي تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

ومنها أوراق بدر بك اليوسف^(١) ، وتتضمن وثائق بيع أراض زراعية في عكار .

أولاً- الملكية الصحيحة الكاملة

يفيد عدد ملحوظ من الوثائق الأهلية المحفوظة في بيوت بعض سكان الأرياف ، عن وجود فلاحين كانوا يملكون قطعاً صغيرة من الأرض . كما تتضمن سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، العائدة إلى بداية مراحل العمل بنظام الإلتزام ، حجج بيع قطع أرض صغيرة عائدة لفلاحين في ناحية عكار وناحية الزاوية وناحية الكورة ومدينة طرابلس ، كانوا قد ورثوها عن آبائهم ، ما يدلّ على أن ملكية هؤلاء لها تعود إلى قبل ذلك التاريخ أي إلى عصر الإقطاع^(٢) .

ويبدو من نصوص هذه الوثائق أن هذه الأراضي كانت حسب التصنيف

(١) ملاك كبير من آل المرعبي من عكار ، توفي سنة ٢٠٠٤ م .

(٢) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس : سجل رقم ١ . تاريخ ١٠٧٧-١٠٧٨هـ/١٦٦٦-١٦٦٧م ،

ص٤٣ . ٤٥ . ٦٧ . ١٥١ . وسجل ٢ تاريخ ١٠٧٨-١٠٧٩هـ/١٦٦٧-١٦٦٨م ، ص٢٥ . وسجل ٣ .

تاريخ ١٠٨٨-١٠٦٩هـ/١٦٧٧-١٦٨٤م ، ص٦٣ . وسأشير إلى هذا المصدر في الصفحات اللاحقة

بمصطلح : سجل رقم ...

العثماني للأراضي من نوع الملك . وتساعد هذه الوثائق الباحث في معرفة كيفية حصول الفلاح على ملكيته . فنجد في بعضها عبارة تفيد أنه « باع ما ذكر أنه له وملكه وبتصرفه ومن إنشائه»^(١) ، وفي بعضها الآخر أنه باع ما « ذكر أنه ملكه ومنتقل إليه بالإرث الشرعي»^(٢) ، أو أنه باع ما هو « ملكه ومنتقل إليه بالشراء الشرعي»^(٣) . وكانت ملكيته هذه ملكية صحيحة ، وكان له كامل الحرية بالتصرف بها ، كما نلاحظ من المقطع الآتي من وثيقه بيع : «بمجلس الشرع المشار إليه حضر محمد بن عبد الله الزيات وباع بوكالته المحكية ما هو ملك موكله ومنتقل إليه بالإرث الشرعي بحيث يملك بيعه وقبض ثمنه شرعاً من أنطانيوس الشدياق . . . وهو إشتري منه بماله لنفسه دون غيره وذلك جميع الحصة الشائعة وقدرها النصف إثنا عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً من كامل الثلاثة كروم الزيتون المشتملة على مائة أصل من الزيتون . . . وسطر في ثالث عشر من شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف»^(٤) .

يبدو من الصعوبة بمكان إعداد جداول على آلاف وثائق بيع الأراضي الزراعية لتبان حجم ملكيات الفلاحين . لذلك لجأت إلى تتبع حركة انتقال ملكية الأراضي الزراعية المملوكة ملكية صحيحة بين السكان ، من خلال إحصاء وثائق بيع هذه الأراضي في ثلاث مراحل مختلفة ومتباعدة من تاريخ ولاية طرابلس ، المرحلة الأولى في سنة ١٦٦٦-١٦٦٧ م ، والثانية في ١٧٣١ م ، والثالثة في سنة ١٩٠٧ م . وتمكنت بذلك من الإقتراب من الواقع التاريخي لحجم ملكيات الفلاحين ، ونسبتها على حجم الملكيات الكبرى والمتوسطة .

(١) مثلاً سجل المحكمة الشرعية في طرابلس ٦ . تاريخ ١١٣٢-١١٤١هـ ، ص ٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٩ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٣٥ .

(٤) سجل ٧ ، تاريخ ١١٤٣-١١٤٤-١١٨٣-١١٨٤هـ/١٧٣١-١٧٣٢-١٧٧٠-١٧٧١ م ، ص ١٥٣ .

وتجنباً للدخول في متاهات لعبة ذكر أسماء الأشخاص والعائلات ، وما قد تثير من مشاكل وإعتراضات من أحفاد هذه العائلات ، فقد آثرت الإكتفاء بذكر لقب المالك فقط في جداول هذه الإحصائيات كما ذكرت في الوثائق ، وإعتبرت أن الذين لم توضع أمام أسمائهم ألقاب ، فلاحين إذا كانوا من القرى ، ومن العامة إن كانوا من المدن .

جدول بالملكيات الصحيحة وأماكنها ووكيفية تملكها

سنة ١٠٧٧-١٠٧٨هـ / ١٦٦٦-١٦٦٧م

البائع	كيف تملكه قبل بيعه	شكل العقار	الشاري	موقعه
باشا	بالشراء الشرعي	بستان شجري	من العامة	نهر البارد-عكار ^(١)
من العامة	إرث شرعي	بستان شجري	من العامة	سقي طرابلس ^(٢)
فلاح	إرث شرعي	كرم زيتون	وجيه	أصنون الزاوية ^(٣)
من العامة	إرث شرعي	بستان شجري	من العامة	سقي طرابلس ^(٤)
أفندي	إرث شرعي	بستان شجري	أفندي	سقي طرابلس ^(٥)
فلاح	إرث شرعي	كرم زيتون	فلاح	علما-الزاوية ^(٦)

(١) سجل المحكمة الشرعية في طرابلس ١ . ص ٦ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٩ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٩ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٤ .

(٥) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٢١ .

(٦) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٢٩ .

تغيّر أشكال ملكية الفلاح في أرياف ولاية طرابلس ...

من العامة	إرث شرعي	بستان شجري	أغا	سقي طرابلس (١)
من العامة	بالشراء الشرعي	بستان شجري	سيد	سقي طرابلس (٢)
من العامة	بالراء الشرعي	بستان شجري	من العامة	سقي طرابلس (٣)
بشة	بالشراء الشرعي	بستان شجري	فلاح	مرليا-عكار (٤)
بشة	بالشراء الشرعي	بستان شجري	بشة	بشمر-عكار (٥)
من العامة	بيده وملكه	بستان شجري	خطيب جامع	سقي طرابلس (٦)
أستاذ	بالشراء الشرعي	بستان شجري	متوسط الحال	سقي طرابلس (٧)
أفندي	بالشراء الشرعي	بستان شجري	متوسط الحال	سقي طرابلس (٨)
بشة	إرث شرعي	بستان شجري	بشة	عرقا-عكار (٩)
من العامة	بالشراء الشرعي	بستان شجري	من العامة	سقي طرابلس (١٠)
أفندي	إرث شرعي	بستان شجري	أفندي	سقي طرابلس (١١)
أفندي	بالشراء الشرعي	بستان شجري	فلاح	تل سبعل-عكار (١٢)

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ١ . ص ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٤٥ .

(٧) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٤٨ .

(٨) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٥٠ .

(٩) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٥١ .

(١٠) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٥١ .

(١١) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٥٣ .

(١٢) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٥٦ .

أردة-الزاوية (١)	أفندي	بستان شجري	بالشراء الشرعي	بشة
بكفتين-الكورة (٢)	خطيب جامع	بستان شجري	بالشراء الشرعي	فخر الأهالي
رشعين-الزاوية (٣)	فخر أقرانه	بستان شجري	إرث شرعي	فلاح
سقي طرابلس (٤)	من العامة	بستان شجري	إرث شرعي	متوسط الحال
سقي طرابلس (٥)	بشة	بستان شجري	بالشراء الشرعي	كتخدا
الكنيسة-عكار (٦)	بشة	حقله شجرية	ملكه ويده	فخر الأهالي
القلمون-الكورة (٧)	ولده	مراح	ملكه وإنشائه	والد
سقي طرابلس (٨)	أفندي	بستان شجري	الشراء الشرعي	أفندي
أسكالة-طرابلس (٩)	بشة	أرض خراب	إرث شرعي	متوسط الحال
سقي طرابلس (١٠)	بنته	بستان شجري	ملكه ويده	كاخية
الحيصه-عكار (١١)	بشة	بستان شجري	ملكه وإنشائه	فلاح
الحيصه-عكار (١٢)	بشة	بستان شجري	الشراء الشرعي	بشة

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ١ . ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٦٠ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٦٤ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٦٧ .

(٥) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٨٨ .

(٦) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ٨٩ .

(٧) سجل ١ ، ص ٩٠ .

(٨) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١١٢ .

(٩) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٢٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٢٥ .

(١١) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٣٤ .

(١٢) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٤٠ .

من العامة	بالشراء الشرعي	بستان شجري	أفندي	سقي طرابلس (١)
من العامة	إرث شرعي	بستان شجري	أفندي	سقي طرابلس (٢)
فلاح	إرث شرعي	بستان شجري	أفندي	علما-الزاوية (٣)
بيك وفلاح	الشراء الشرعي	بستان شجري	سمسار	مرليا-عكار (٤)
أفندي	إرث شرعي	بستان شجري	أفندي	علما-الزاوية (٥)

ماذا نقرأ في هذا الجدول؟

- أن جميع الملكيات الصحيحة التي تمّ تداولها بين السكان في تلك السنة ، بلغ عددها خمس وثلاثون قطعة أرض ، جميعها كانت مشجرة .

- من أصل هذه الملكيات الخمس وثلاثين ، نجد خمس عشرة ملكية كان البائع لها فلاحاً أو من العامة . ما يرجح فرضية أنها كانت ملكيات صغرى . أي أن عدد هذه الأخيرة شكل ٤٢,٨٪ من إجمالي عدد الملكيات الزراعية الصحيحة التي بيعت في أرياف ولاية طرابلس في تلك السنة . ما يعني أن الفلاحين إمتلكوا ، على عكس ما هو شائع بين الباحثين ومثبت في الذاكرة الشعبية ، أعداد ملحوظة من العقارات الزراعية في تلك السنة ، وبخاصة في الأرياف حيث نجد أن الفلاحين التسعة الذين وردت أسماؤهم في هذا الجدول ، تركزت ملكياتهم في مناطق عكار والزاوية والكويرة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الملكيات الصغرى لم تشكل ٤٢٪ من الأراضي الزراعية ، بل من العقارات الزراعية التي تمّ بيعها في تلك السنة .

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ١ . ص ١٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٥١ .

(٥) المصدر نفسه ، سجل ١ . ص ١٥٢ .

- من بين ملكيات الفلاحين والعامّة ، نجد سبع جاءت بالإرث ، ما يعني أنها تعود إلى مرحلة العمل بالنظام الإقطاعي في ولاية طرابلس . وسبع ملكت بالشراء ، ما يعني أن أوضاع بعض الفلاحين الماديّة كانت مقبولة إلى حد ما ، على عكس ما هو شائع عن معاناة الفلاحين الدائمة من الحرمان والفقر . ويدل وجود ملكية واحدة فقط ناتجة عن إنشاء الفلاح لها ، على عدم قدرة أو ربما إنعدام رغبة معظم الفلاحين في تحمّل مشقّة إحياء أرض موات ، ويعزز ترجيحنا أن أوضاعهم المادية كانت مقبولة بحيث أنهم لم يكونوا مضطرين إلى الذهاب في هكذا مغامرة .

- مقابل خمسة عشر فلاحاً ورجلاً من العامّة باعوا أرضهم في تلك السنة ، نجد سبعة فلاحين إشتروا أراض ، خمسة من هؤلاء إشتروا من فلاحين مثلهم ، ما يعني أن حركة تداول الأراضي الزراعية في تلك السنة ، وربما في تلك المرحلة ، كانت تسير على عكس مصلحة الفلاح والزراعة بشكل عام ، وكانت تنذر بتقلّص مساحة الملكيات الصحيحة والصغرى للفلاحين ، وبداية حصرها بالوجهاء فقط ، وشيوع الملكيات الكبرى .

وبصرف النظر عن هذا الإستنتاج الأخير الذي طلّعنا به ، تدلّ وثائق أخرى عائدة إلى تلك المرحلة المخضّرة بين أواخر نظام الإقطاع وبدايات نظام الإلتزام ، على إهمال الفلاحين لأراضيهم وتخليهم عن زراعتها في قرى عديدة من أرياف ولاية طرابلس ، ونزوحهم عن قراهم^(١) . فقد أكّد أكثر من مصدر عثماني رسمي يعود إلى المرحلة الواقعة بين النصف الثاني من القرن السادس عشر والرابع الأول من القرن الثامن عشر ، حصول عمليات نزوح سكاني متكررة عن العديد من مناطق في ولاية طرابلس في تلك المرحلة . فقد جاء في الحكم السلطاني رقم (١٩ ث) أن أهالي ثمانين قرية واقعة في سنجق طرابلس قد

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ١ . ص ٦١-٦٣ .

هجروها ، وأصبحت خراباً ، وطلب الحكم من القاضي التحقيق في الأمر وتبيان أسبابه ، كما نلاحظ من نصه :

«حكم إلى قاضي طرابلس

أرسل أمير سنجق طرابلس محمد ، رسولاً ليبلغ عن أن أهالي ثمانين قرية من لوائه قد تشتتوا ، فتعرضت هذه القرى للخراب . ولهذا طلب إستصدار حكم شريف لأجل القيام بالنظر في الأمر ، ولهذا فقد أمرت :

عند وصول حكمي الشريف تتحقق فيما إذا كان الأمر مثلما عرض وما الذي أدى إلى خرابها؟ وأين ذهبت رعاياها ؟ تكتب كل ذلك وتبلغه . في ٨ جمادى الأولى ٩٧٥هـ/ ١٠ تشرين الثاني ١٥٦٧م»^(١) .

وكذلك تؤكد قيود المحكمة الشرعية في طرابلس ، تكرار عمليات النزوح في القرن السابع عشر عن قرى كثيرة من ولاية طرابلس . فنجد فيها ذكر إضمحلال عشرين قرية في عكار سنة ١٦٦٦م ونزوح سكانها عنها^(٢) . كما تشير هذه الوثائق إلى إضمحلال المواسم في الزاوية في تلك المرحلة ، وتخریب بعض قراها تماماً بعدما هجرها أهلها مثل قرية علما^(٣) . وقد اتسع نطاق التهجير ليطال قرى عديدة من مقاطعة الزاوية الأمر الذي حدا بوالي طرابلس إلى تخفيض ضرائبها كما نلاحظ من نصّ البيورلدي الآتي :

«بعد السلام على الشيخ ناصر الدين سلّمه الله . والتالي نعرفكم هو أن جميع أحوالكم وأحوال الناحية وما صار من إضمحلال وغيره بقي معلومنا فلزم أننا عملنا مرحمة إلى الناحية وعملنا مالها في هذه السنة ثلاث عشر ألف غرش وخمسماية وحررنا لهم ورقة بذلك لطيب خاطرهم وحررنا لكم هذه الورقة المراد

(١) بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة ، ٣ج ، ترجمة فاضل بيات ، منشورات لجنة

تاريخ بلاد الشام ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ٢٠٠٥م ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٢) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ١ . ص ٦١-٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل ٧ ، ص ١١٣ .

في حال وصولها تجيء إلى الناحية وتكونوا طيبين الخاطر من ساير الوجوه وتباشروا في تعمير البلاد وترديد الرعايا بكل ما يمكن . وفي خصوص مال السنة الماضية إذا جيت وتحاسبت مع أولاد البلاد ومع تسليماتكم إلى الخزينة من أصل مال عهدتكم نعمل لكم إنعام بثلاث (كذا) أكياس دراهم ألف وخمسمائة غرش ...»^(١) .

وتبقى الوثائق التي تتحدث عن نزوح سكاني عن الكثير من المراكز السكنية في ولاية طرابلس صامتة عن ذكر أسباب هذا النزوح . غير أن شروط الوالي على ملتزم ناحية عكار سنة ١٦٦٦م الشيخ قانصوه حمادة بعدم إشراك أهاليه وأقاربه في جمع الضرائب من عكار يؤشّر على أن خراب تلك القرى كان على يد آل حمادة .

ويذكر مؤرخو الحوليات أن مناطق حكم آل حمادة قلما عرفت الهدوء والإستقرار في تلك المرحلة ، بسبب خلافاتهم المتكررة مع ولاية طرابلس . وتبين هذه المصادر أن هذه الخلافات إنعكست دائماً خراباً ودماراً على تلك المناطق ، مما حمل أهلها على هجرها والتفتيش عن مكان أكثر أماناً وإطمئناناً .

إضافة إلى هذه الحروب ، جاءت الكوارث الطبيعية آنذاك لتزيد الضغط على السكان وتدفعهم لترك أماكنهم . ففي سنة ١٦٣٦م ضرب الجفاف المناطق المحيطة بطرابلس وغزاها الجراد . وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر تكررت زيارات الجراد والطاعون والسيول والجفاف ، وزادت معاناة السكان . ففي سنة ١٦٦١م ضرب الطاعون المنطقة وأهلك العديد من أبنائها . ثم تلاه محل في المواسم وإرتفاع في الأسعار . وفي سنة ١٦٧٣م ضرب الجفاف المنطقة ، وأتلف الثلج والصقيع ما كان أفلت من قواطع الجراد ، فهجر الكثير من السكان قراهم جرّاء ذلك حسبما ذكر الدويهي .

ولا شك أن هذه الظروف من إنعدام الأمن وتقلبات المناخ التي تكررت أكثر

(١) سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس : سجل : ٣ ، ص ٦٠ .

من مرة في أرياف ولاية طرابلس ، أكرهت الفلاح على تبني سياسة التخلي عن فكرة تملك الأرض التي يعمل عليها ، لأنه قدراته المحدودة ، لم تعد تمكنه من حمايتها .

ويبدو أنه بعد تثبيت نظام الألتزام في مقاطعات ولاية طرابلس في الربع الأول من القرن الثامن عشر ، ظهرت عائلات تمكّنت من تثبيت حكمها في مقاطعات عكار والكورة والزاوية والضنية وجبّة بشري وغيرها^(١) ، ونشأت ظروف أمنية أكثر هدوءاً من السابق ، وحيكت علاقات أفضل بين الملتزم والفلاحين في مقاطعته ، الأمر الذي شجّع هؤلاء على السعي لإمتلاك قطعة صغيرة من الأرض التي يقتات منها .

وتدل وثيقة توزيع حصص مياه الري على البساتين التي كانت تروى من الساقية التي جرّها والي طرابلس سليمان باشا سنة ١١٤٤هـ/١٧٣١م من نهر البارد إلى منطقة المنية ، أن عدداً كبيراً من البساتين التي رويت من هذه الساقية كانت ملكاً لفلاحين . كما نلاحظ من نصّ الوثيقة الآتي :

«حصص ساقية الماء الواصلة إلى بستان الوزير المفخم حضرة سليمان باشا الجاري من نهر البارد الذي أجراه حضرة الوزير المشار إليه أسبغ الله جزيل نعمه عليه في أيام حكومته في إيالة طرابلس شام الواقع في سنة ألف ومائة وأربع وأربعين .

(١) ظهر أغوات آل رعد في الضنية ، وبكوات آل المرعبي في عكار سنة ١٧١٤م ، والأمراء الأيوبيون في الكورة سنة ١٧٢٣م ، ثم شاركهم في إلتزامها مشايخ آل العازار . كما ظهر آل بولص وضاهر في جبّة بشري سنة ١٧٦١م ، وظهر مشايخ آل الشمر والحازن في الزاوية . ينظر بحثنا : التطورات السياسية والعلاقات الاقتصادية - الاجتماعية في لبنان في القرنين ١٧-١٨ . بحث نشر في كتاب «لبنان التاريخ والجغرافيا والقوى السياسية» ، مجموعة من الباحثين ، تيار المستقبل ، بيروت ٢٠٠٨م ، ص

<p>حصّة بستان قبطان حضرة وزير المكرّم الحاج إسماعيل باشا مير حاج سابقاً فقط عشرين ونصف</p>	<p>حصّة بستان نصب مصطفى آغا خضر آغا زادة فقط عشرين ونصف</p>	<p>بستان نصب حضرة أفندينا الوزير المكرّم سليمان باشا حرسه الله تعالى فقط عشرين ونصف</p>
<p>حصّة بستان نصب سيد إبراهيم أفندي البركة فقط عشرين</p>	<p>حصّة بستان بيد عبد الرحمن أفندي البركة فقط ثلاثة غروش ونصف</p>	<p>حصّة خولي العساكر شريك حضرة إبراهيم باشا مير ميران طرابلس سابقاً فقط غروش ونصف</p>
<p>حصّة بستان نصب جديد حاج حسين حصني فقط غرش ونصف وربع</p>	<p>حصّة بستان سيد محمد حصني غرش واحد</p>	<p>حصّة بستان فتح الله مقصود فقط عشرين ونصف</p>
<p>حصّة نصب الحاج درويش (قطعتين) نصف غرش</p>	<p>حصّة نصب صهر الخولي يونس نصف وربع</p>	<p>حصّة بستان حسين بشة الجلده فقط عشرين</p>
<p>حصّة نصب أبو نجم فقط نصف وربع غرش</p>	<p>حصّة نصب صهر الحاج درويش فقط نصف وربع</p>	<p>حصّة نصب السيد علم الدين فقط نصف غرش وربع غرش</p>
<p>حصّة نصب علي نجم وشركة إبراهيم عوره نصف غرش</p>	<p>حصّة نصب إبراهيم العرجا فقط نصف وربع</p>	<p>حصّة نصب يوسف عقيص فقط نصف وربع غرش</p>

تغيير أشكال ملكية الفلاح في أرياف ولاية طرابلس ...

حصّة بستان محمد صالح نصف وربع غرش	حصّة نصب أحمد عثمان نصف غرش	حصّة نصب أحمد طه فقط غرش واحد
حصّة ثلث بستان اليمق سيد محمد نصف غرش	حصّة نصب الحاج عبدي الفواف نصف غرش	حصّة بستان الحاج إبراهيم المسقاوي فقط ثلث وربع
حصّة بستان علي بشه قنيز نصف وربع	حصّة حاكورة خولي يونس نصف غرش	حصّة نصب أبو علي ديب شركة نحلوس ونصب عبد الحق غرش ونصف
حصّة بستان حاج أحمد غزال نصف وربع غرش	حصّة بستان أبو طحنة فقط نصف وربع	حصّة حاكورة بنت برغش غزال ثلث غرش
حصّة بستان شيخ أحمد شرسوحيه نصف وربع	حصّة بستان حاج علي بن سكيك غرش واحد	حصّة بستان يكن غرش واحد
حصّة حاكورة عبد الكرم شركة إبراهيم ماب قرش ونصف	حصّة بستان مصطفى الأشقر فقط نصف وربع	حصّة بستان محمد رومية وشركه كنفان فقط نصف وربع
		حصّة بستان البيطار وسيد علي أفندي غرشين ونصف ^(١)

(١) سجلات المحكمة الشرعية، طرابلس، سجل: ٦. ص ١١٤. ينظر صورة عن هذه الوثيقة في

ص ٥٦٠.

يتبين من التدقيق في هذه الوثيقة المعطيات الآتية :
أولاً- أن عددا لا بأس به من الفلاحين كان يملك قطعة من الأرض المغروسة شجراً . فمن أصل سبعة وثلاثين بستاناً ذكرتها الوثيقة ، نجد ستة وعشرين منها كانت ملكاً لفلاحين ، والباقي وعدده أحد عشر بستاناً كانت ملكاً لباشوات وأفندية وأغا وخولية . أي أن ملكية الفلاحين شكّلت ٧٠ ٪ من عدد العقارات المشجرة التي كانت تروى من هذه الساقية . وبصرف النظر عن مساحة عقارات الفلاحين ، فإن هذه النسبة تفوق بكثير ما كانت عليه في سنة ١٦٦٦-١٦٦٧م ، ولا شك أن هذا يدل على حيوية الفلاحين ونجاحهم في تحويل حركة تبادل الأراضي الزراعية لصالحهم .

ثانياً- أن أثمان حصص ري بساتين الفلاحين كانت قليلة بمقارنتها مع أثمان حصص ري أراضي الوجهاء ، ما يدل على صغر مساحة بستان الفلاح مقارنة ببستان الباشا أو الأفندي .

ثالثاً- نلاحظ في هذه الوثيقة حرص كاتبها على التمييز بين بستان فلان ونصب فلان . وأعتقد أن القصد من هذا التمييز تبيان الفرق بين ملكية أرض البستان وملكية النصب القائم فيه . فالمقصود ببستان فلان ، أن فلان مالك الأرض وما عليها من شجر ، والمقصود بنصب فلان ، أن فلان مالك النصب أي الشجر فقط دون الأرض المغروسة فيها .

وإذا أخذنا بهذا التفسير أو الإجهاد فإنه بوسعنا القول أن أحد عشر فلاحاً من أصل ستة وعشرين إقتصرت ملكياتهم على الشجر فقط ، في حين أن خمسة عشر فلاحاً كانت ملكياتهم صحيحة كاملة إذ أنها شملت الأرض والشجر .

رابعاً- لم تذكر هذه الوثيقة نوعية الأرض التي نصب فيها الفلاح ملكيته من الشجر ، هل كانت أميرية أم وقفاً أم ملكاً صحيحاً لآخرين؟ . ولم تذكر كذلك نوع الإيجار الذي إستثمرها بموجبه ، هل كان الحكر الشرعي في أرض أميرية أو وقف ، أم المغارسة في ملك الآخرين؟ . مع العلم أنني أستبعد الفرضية الأخيرة لأن الوثائق التي تتحدث عن عقود مغارسة بين مالك وفلاح لم تظهر في الوثائق إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أي بعد مرور أكثر من قرن من الزمن على تاريخ هذه الوثيقة .

يبدو أن فرص تملك الفلاح ظلت في إزدياد مع حلول عصر التنظيمات ، حيث شاعت طريقة إستثمار جديدة للأرض ، إقتصرت العمل بها على الأراضي المملوكة ملكية صحيحة ، ولم تطبق إطلاقاً في الأراضي الأميرية والأوقاف حسبما يبدو من نصوصها . وقد عرفت هذه الطريقة بالمغارسة بالشراكة .

ثانياً- المغارسة بالشراكة وتوسع الملكية الصحيحة للفلاحين؛

كان عقد المغارسة بالشراكة ينصّ على أن يقدم المالك قطعة أرض لأحد الفلاحين لتشجيرها خلال مدة محددة ، على أن يصار إلى إعطاء هذا الأخير قسماً منها عند إنتهاء مدة العقد ، لكنّه لم يكن يحدد الحصّة التي ستؤول إلى الفلاح بعد إتمام عملية التشجير وحلول وقت إقتسامها . لذلك كان الفلاح مجبراً على رعاية العقار بكامله . وقد كان هذا النظام ضرورياً لإتمام عملية تشجير جديدة ، تتطلب إضافة إلى العمل والجهد مدة طويلة ، من ثلاث إلى خمس سنوات ، مصاريف ملحوظة ، لم يقابلها في البداية أي مردود مادي . لذلك لجأ المالك إلى هذه الطريقة التي أمّنت له إستثمار أرضه دون تحمّل أعباء أية مصاريف تذكر . ولم يكن المالك يعتبر الجزء من أرضه الذي سيؤول إلى الفلاح ، يشكلّ خسارة عليه في النهاية ، لأن الأرض بحد ذاتها لم تكن ذات

قيمة بمعزل عن ما تحويه من الأشجار . فكان يقدم أرضه للفلاح لكي يغرستها ويتعهدها بالرعاية والخدمة حتى تصبح الأشجار مثمرة ، وعندها يقوم بإقتسام الأرض والشجر بينه وبين الفلاح ، وفقاً لما تمّ الإتفاق عليه في العقد . كانت هذه الطريقة بمثابة فرصة ذهبية للفلاح ، أمّنت له ملكيّة قطعة من الأرض التي غرسها بمقابل عمله هذا .

وتنبئ من نصوص عقود المغارسة بالشراكة ، الشروط التي وضعت على الفلاح والمالك على السواء . وتدل هذه النصوص على أن الإتفاق بين الطرفين ، كان يبدأ بأن يبيع المالك للفلاح حصّة من أرضه ، يتمّ تحديد ثمنها بمبلغ من المال ، دون أن يطلب منه دفعه مباشرة . بل كان هذا المبلغ يبقى ديناً في ذمّة الفلاح ، يؤديه للمالك تدريجاً ، على شكل تكاليف تشجير الأرض وخدمة الغراس . وإذا قام الفلاح بذلك وثمرت الأشجار وباتت مثمرة ، يقوم المالك بتبرئة ذمّته من الدين ، وإلا يبقى الدين في ذمّته ، وتصبح ملكيّة شكلية معرّضة للبيع لقاء تسديد الدين المتوجّب عليه . أمّا الأعمال المنصوص عليها في العقد ، فكانت تشمل إستصلاح الأرض وإعدادها للزراعة ، بمعنى نقيبها وتعمير حيطانها ، وفلاحتها ، وغرستها على أن تكون الغراس على نفقة الفلاح ، وريها ، حتى يصبح الغرس مثمراً ، كما يتّضح من نصّ العقد الآتي :

« حجة مغارسة بالشراكة »

بمجلس الشرع الشريف ومحفل الحكم المنيف المنعقد بسراي قرية برقايل أجله الله تعالى لدى متوليه الحاكم الشرعي الطابع ختمه أعلاه لطف به مولاه ونال مناه حضر عمدة الأماجد والأمراء الكرام نخبة الأعيان ذوي الإحترام محمد بك ابن المرحوم إبراهيم بك زادة وباع بالطوع والرضى والإختيار دون إكراه ولا إجبار وهو في أرقى حال من صحته وجواز تصرفاته الشرعيّة ما ذكر أنه له ومملكه ويده وتحت طلق تصرفه ومنتقل إليه بالإرث الشرعي من أبيه وبالمخارجة مع باقي وراثته بحيث يسوغ له بيعه وقبض ثمنه وأنواع التصرف فيه

شرعاً من حافظي هذا الكتاب الشرعي وناقلي هذا الخطاب المرعي أحمد ابن مصطفى إسرائيل وسليمان ابن مصطفى السليمان كلاهما من مزرعة القنطرة التابعة قرية بقرزلا التابعة قيطع عكار وهما إشتريا منه بمالهما لنفسهما وبينهما مناصفة كما أن الثمن كذلك وذلك جميع الحصّة الشائعة وقدرها الربع ستة قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً من كامل الكرم الكائن في مزرعة القنطرة المذكورة المشتمل على نصاب الزيتون والتين والعريش المحدود والمرتب على كامله بطريق الخراج لجهة المزرعة المذكورة في السنة قدر معلوم شركة أنجال البايع عمدتي الأماجد والبكوات الكرام علي بك وعمر بك وعبد الرزاق بك بالثلاثة أرباع الباقية وبكل حق وتابع هو لذلك شرعاً بيعاً باتاً قطعياً وشراءً صحيحاً مرعياً خالياً من الغبن والضرر والمفاسد الشرعية بالقبول والتسليم والتسليم بثمن قدره وبيانه من الغروش الأسدية الراجحة السلطانية معاماة يومئذ سبعمائة غرش وأرصد البايع المومي إليه الثمن المذكور في ذمة المشتريين المذكورين وأذن لهما بصرفه في مدة سبع سنين في كل سنة مائة غرش في تصليح أرض الكرم ونقبها ما يلزم نقبه وعمل حيطانه وسائر لوازمه وقبل المشتريان منه الإذن المذكور بالمواجهة قبولاً شرعياً فإذا قاما بإتمام العملية في المدة المذكورة تبرأ ذمتهما من كامل الثمن المعين سطر بالطلب في الثالث عشر من شعبان المعظم سنة ثلاث وثمانين ومايتين وألف من هجرة صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وبارك وشرف ومجد وعظم وكرم .

شهود الحال : علي الطحش محمد القرحاني علي عبد الرزاق» (١) .

يبدو أن هذه الطريقة لإستثمار الأراضي المملوكة ، لم تكن شائعة بنفس النسبة في كافة أرياف طرابلس ، ذلك أننا نجد الكثير منها في عكار ، مقابل

(١) أوراق علي بك عبد الكرم .

عدد قليل ونادر في سائر المناطق .

وقد ساعد شيوع هذا النوع من طرق إستثمار الأراضي الزراعية المملوكة في عكار ، على تملك عدد لا بأس به من الفلاحين لمساحات من الأراضي المشجرة ، وإن كانت مساحة ما يمتلكه الفلاح الواحد ضئيلة مقارنة بما بقي في ملكية المالك الأساسي . ويساعدنا جدول ويركو أملاك قرية مشمش لسنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م ، على معرفة عدد الفلاحين الذين إستفادوا من هذه الطريقة ، وخرجوا بملكية صحيحة ولو أنها كانت صغيرة المساحة .

(١) ملخص جدول ويركو أملاك قرية مشمش سنة ١٣٢٥هـ

الملك	حجم الملكية	شكل الملكية	عددها
بستان	١٣	مزرعة	٣٤
محمد بك وعبد الكريم بك	ملكيات كبرى كاملة	زريبة للماشية	١٤
		مطحنة	١
		قطعة أرض بعلية	١٩٩
	ملكيّة جزئية	بستان بمشاركة فلاحين	٤٢
		مسكن زراعي لسكن الفلاحين	١٩
		مسكن كبير	١
٣	ملكيات متوسطة	مزرعة وبستان	٣٦
عائلات	ملكيات جزئية	بستان بمشاركة فلاحين	٢١
٩٥ فلاحاً أرباب أسر	ملكيات صغرى	قطعة أرض بعلية	١٥٧
		مسكن داخل القرية	٦٤

(١) دفتر ويركو أملاك قرية مشمش ١٣٢٥هـ ، من أوراق علي بك عبد الكرم .

يتبيّن لنا من هذا الجدول وجود ثلاثة وستون فلاحاً ، أصبحوا شركاء مع البكوات أصحاب الملكيات الكبرى ، ومع أصحاب ملكيات متوسطة ، في ملكية ثلاثة وستون بستاناً ، وذلك جرّاء عقود مغارسة بالشراكة أبرموها مع هؤلاء . هذه عينة أخذناها من قرية واحدة في عكار ، ولا شك بوجود مثيل لها في قرى أخرى عديدة في عكار ، الأمر الذي يسمح لنا بإستنتاج وجود ملكيات صغرى صحيحة كثيرة للفلاحين في هذه المنطقة في ذلك التاريخ .

ثالثاً- ملكية الشجر دون الأرض؛

كانت ملكية الشجر دون الأرض معروفة في أرياف ولاية طرابلس منذ زمن الإقطاع . فالوثائق الأهلية المحفوظة في بيوت بعض سكان الأرياف والتي تعود إلى ذلك العصر ، تدلّ على وجود فلاحين كانوا يمتلكون عدداً قليلاً من الأشجار المثمرة ، كما نلاحظ من المقطع الآتي من نص وثيقة بيع : «لما كان بتاريخ نهار أحد الجديد رابع يوم مضت من شهر نيسان من شهور سنة سبع آلاف وإثنين وثلاثين للعالم وهو أننا إشترينا من معتوق ابن عبيد متاع بزيزا إثني عشر أصل توت وثلاث عروق زيتون وعريشة»^(١) .

إلى جانب هذه الوثيقة ، نجد وثائق أخرى رسمية تبرز ملكية الفلاح للشجر ، وتهمل نوعيّة الأرض التي زرعت فيها ، ولا تبين ما إذ كانت هذه الأرض أميرية أم وقفاً أم ملكاً ، كما نلاحظ من المقطع الآتي من نص وثيقة بيع شجر : «بمجلس الشرع الشريف المشار إليه حضرت النصرانية حسنة بنت الذمي

(١) وثيقة بيع من فلاح لآخر كتبها ريس دير البلند في الكورة وشهد عليها ثلاثة أشخاص من ثلاث قرى في الكورة . محفوظة في منزل المهندس رفعت سابا في قرية فيع في الكورة - وثيقة بيع ستة أصول زيتون وثلاثة أصول توت في قرية برغون في ناحية الكورة من فلاح إلى آخر سنة ٩٨٠هـ / ١٥٧٢ م ، محفوظة في منزل المهندس رفعت سابا في قرية فيع في الكورة . ينظر صورة عنها في

جرجس السافرة عن وجهها . . . وباعت ما ذكرت أنه لها من مدّة تزيد على خمس سنين المنتقل إليها بالإشترى الشرعي بحيث تملك بيعه وقبض ثمنه شرعاً من الذمي سلمان ولد فرحات وهو كان إشتري منها في التاريخ المزبور أعلاه بماله لنفسه دون غيره وذلك جميع الأحد عشر أصل من الزيتون القايمه بأرض قرية كفرزينا تابع ناحية الزاوية من أعمال طرابلس المحمية المعلومة الحدود بكل حق هو لذلك شرعاً بيعاً باتاً وقطعياً . . . بثمان قدره إثنان وعشرون غرشاً . . . في أوایل ذي الحجّة الشريفة ختام سنة سنين وخمسين ومائة وألف» (١) .

هذا الأمر الذي يبدو مستغرباً اليوم بعدما أهملت الزراعة وتحولت الأرض إلى سلعة تجارية ، كان مألوفاً في عصر سيطرة الإقتصاد الزراعي ، حيث كانت الأرض تثمّن بإنتاجها من المحاصيل ، وكان المثل القائل «كومة شلوش ولا كومة قروش» . من هنا يمكن فهم تركيز الفلاح على ملكية الشجر وسعيه إلى ذلك ، وعدم إستغراب شيوع هذا النوع من الملكية الزراعية في عصر الإلتزام ، عندما كانت الزراعة بمثابة العصب شبه الوحيد للإقتصاد في الأرياف .

وتدلّ الوثائق على أن الأشجار التي ملكها الفلاح في عصر الإلتزام كانت دائماً مغروسة في أرض أميرية للدولة ، أو في أرض وقف ، ولم نجد وثيقة واحدة تدلّ على أن الفلاح إمتلك شجراً على أرض ملك كان يملكها أحد سواه . هذه الملكية حصل عليها الفلاح جّراء عقود إستثمار معيّنة عقدها مع الملتزم للناحية التي وجدت فيها هذه الأرض ، أو مع المتولي على الوقف . غير أن القراءة المقارنة لهذه العقود تدلّ على وجود فروقات معيّنة بين ملكية الشجر القائمة على أرض أميرية ، وملكية تلك المغروسة في الوقف ، لجهة إمكانية توسّع حقوق الفلاح وإلتزاماته في كل منها . لذلك إقتضت منا الدقّة أن نميّز بينها وأن نتناول كل منها على حدة .

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ٧ . ص ١٩٦ .

١ - ملكية المحصول والشجر في الأرض الأميرية:

وتبدو هذه الملكية واضحة في ما عرف في القيود الرسمية بالحكر الشرعي والفلوحية .

أ - الحكر الشرعي:

قضى نظام الإلتزام الذي بدأ تطبيقه في ولاية طرابلس بعد القضاء على آل سيف^(١) سنة ١٦٣٧م ، بإعطاء الملتزم حق الإشراف على الأراضي الأميرية الواقعة في مقاطعته وضمن نطاق إلتزامه ، والعمل على إستثمارها ، وجباية ضرائبها^(٢) . وقد استمرّ الملتزمون بإدارة الأراضي الأميرية إلى إلغاء هذا النظام سنة ١٨٣٩م^(٣) . وبموجب هذا النظام كان الملتزم مفوضاً بتأجير الأراضي الأميرية إلى الراغبين في إستصلاحها وإستثمارها . وكان الإيجار يكتب في عقد ويدون في المحكمة الشرعية في طرابلس تحت عنوان «حجة حكر شرعي» ، كما عرف أحياناً بالإقطاع الشرعي ، ويعطى الفلاح بموجبه حق إستثمار الأرض لمدة معينة تحدد في العقد ، لقاء بدل إيجار سنوي عرف بالحكر الشرعي ، وحددت قيمته بشكل واضح وصريح . وكان بدل الإيجار يحصل بواسطة الملتزم لصالح خزانة الدولة ، مضافاً إليه مبالغ أخرى عرفت بالتكاليف الإقطاعية مثل دخانية وساليان وحوالة إلخ وبموجب هذا العقد منح الفلاح المستأجر حرية العمل في الأرض وزراعتها بما شاء من الحبوب ، وكان ما يزرعه ملكاً له لا يشاركه فيه أحد . وكان تجديد العقد يتم بصورة تلقائية دون أية إجراءات إضافية ، شرط إستمرار الفلاح بأداء قيمة الإيجار . بمعنى آخر كانت ملكية الفلاح للحبوب أو الشجر التي غرسها في أرض أميرية إستأجرها من الدولة ممثلة

(١) المطران يوسف الدبس : تاريخ سوريا ، المطبعة العمومية ، بيروت ١٩٠٣م ، ٧م ، ج٤ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) ينظر نص وثيقة إلتزام مقاطعة ما ، مثلاً سجل ١ . ص ٦٢-٦٣ .

(٣) خط كالحانة سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م .

بالملتزم ، مرهونة بإستمراره في أداء بدل إيجارها . كما نلاحظ من المقطع الآتي من حجة إحكار :

«بمجلس الشرع الشريف بطرابلس الشام حضر الشيخ مصطفى أفندي رافعي زادة الوكيل الشرعي عن كل من عمدتي الأمراء الكرام جناب علي بك وشقيقه شديد بك أسعد زادة . . . وأحكر بوكالته المحكية لحافظ هذا الكتاب الشرعي وناقل ذا الخطاب المرعي الحاج إبراهيم ابن المرحوم الشيخ مصطفى حبيب جده وهو إستحكر منه بماله لنفسه دون غيره جميع القطعتين الأرض البالغتين مشدّ زوجي بقر الأولى كاينة بقرية السمونية التابعة لجناب علي بك ناحية عكار والأخرى في تل كربي التابع لجناب شديد بك المعلومتين عند كل منهما علماً شرعياً نافياً للجهالة شرعاً إحكاراً وإستحكاراً صحيحين شرعيين مرعيين صريحين بإيجاب وقبول قطعيين وتسلم وتسليم مقبولين واردين على مدّة سنة كاملة من تاريخه بحكر وخراج قدرهما من القروش الأسدية ثلاثة قروش ونصف القرش من ذلك عن حكر الأرض التي في تل كربي قرشان والباقي عن الخراج المرتب على الأرض التي بقرية السمونية قرش ونصف وبعد ذلك على الدوام والإستمرار وليس عليه سوى ذلك في كل سنة وأذن له الوكيل المرقوم بغرسهما وزراعتهما حبوباً صيفاً شتاءً حسب العادة . . . وجرى ما يحويه لدى مولانا وسيدنا الحاكم المومى إليه فأجازه وإرتضاه وحكم بصحته . . . في سنة ثنتين وثلاثين ومايتين وألف»^(١) . وتدل عبارة ليس عليه سوى ذلك أن المحصول كان للفلاح وحده .

وفي حجج أخرى يعطى المستأجر بطريق الحكر ، حق زراعة ما شاء من الأشجار ، على أن تكون ملكيتها له وحده ، شرط إستمراره في أداء بدل إيجارها كما نلاحظ في المقطع الآتي من حجة إحكار :

«بمجلس الشرع المشار إليه حضر فخر الأماثل والأقران محمد آغا بن الحاج

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ٤٢ . تاريخ ١٢٣١-١٢٣٢هـ ، ص ٢٠٣ .

موسى ضابط ناحية عكار من قضاء طرابلس وأقرّ بالطوع والرضا أنه أحكر بحسب تكلمه عن الناحية المرقومة وبأذن من جناب امير الأمراء وبمعرفة مشايخ الناحية . . . وحضر عبد لله و . . . وهما إستحكرا منه لنفسهما على وجه الإشتراك وذلك جميع القطعة الأرض السليخ العادمة النفع في أرض مزرعة مرج منس تابع ناحية عكار يحدّها قبلة إحكاراً وإستحكاراً صحيحين واردين لمدة ثلاث سنين وبعدها على الدوام يحكر قدره في كل سنة عشرة غروش . . . وأذن لهما بالقيام بغرسها وإعمارها منذ سنة إستئجارها يدفعان الحكر الموقوم في كل سنة ويكون ما يغرسانه ملكاً من أملاكهما محترماً . . .»^(١) .

وبعد غو الشجر كان الفلاح يعتبر مالكا للأرض المستأجرة ، فيعرف البستان الذي غرسه بإسمه هو ، فيقال عنه بستان فلان المرتب عليه بطريق الحكر الشرعي لجهة الميري ، أو لجهة الناحية ، في كل سنة^(٢) . ويستدل من عبارة «المرتب عليه بطريق الحكر الشرعي لجهة الناحية» التي تتضمنها مئات الوثائق المسجلة في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس^(٣) والمحكمة الشرعية في حلبا ، أن البستان موضوع البيع ، قد تم إنشاؤه في الأساس على أرض أميرية مستأجرة بطريق الحكر الشرعي .

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ٦ . ص ٢٠٠ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ٦ . ص ١٠ .

(٣) نجد مثلاً على ذلك في المصدر نفسه ، سجل ٢ . ص ١٠٠ . وسجل ٣ . ص ٤٢ . ٥٦ . ٦٣ .

وسجل ٥ . تاريخ ١١٢٧هـ ، ص ١٣ . ٧٨ . وسجل ٧ . ص ٣٦٥-٣٦٦ . وسجل ٨ . تاريخ

١١٥١هـ ، ص ٢٠٥ ، وسجل ١٠ . تاريخ ١١٥٩-١١٦٠هـ ، ص ٢٤ . ٦٤ . وسجل ١٥ . تاريخ

١١٧١هـ ، ص ٨٠ . وسجل ٢٦ . تاريخ ١١٨٨هـ ، ص ١٣٢ . وسجل ٣١ . تاريخ ١٢٠٣-١٢٠٥هـ ،

ص ١١٢ . وسجل ٥٥ . تاريخ ١٢٢٦هـ ، ص ٤٣ . ٤٩ . وسجل ٥٦ . تاريخ ١٢٥٥هـ ، ص ٢٢٤ .

وسجل ١٠٩ . تاريخ ١٣٢٧هـ ، ص ١٩٠ .

إذن منحت عقود الإيجار بطريق الحكر الشرعي ، للمستأجر حق التصرف بالأرض شرط أدائه بدل إيجارها وضريبة إنتاجها ، للملتزم الذي لم يكن بوسعه حرمانه منها إلا في حال الإمتناع عن ذلك . وتدل وثائق أخرى على أنه كان يحق للفلاح المستأجر لأرض بطريق الحكر ، بيعها ، وتحويلها إلى وقف^(١) ، بعد موافقة الدولة طبعاً ، وتوريثها لأولاده من بعده ، شرط أن يقوم من تنتقل إليه بأداء ضرائبها وقيمة إيجارها . أو بعبارة أخرى كانت الدولة تسمح ببيع الحكر الشرعي .

ب - الفلوحية:

وهي عبارة عن وضع اليد على قطعة أرض أميرية موات ، وإستصلاحها وزراعتها وأداء ضرائبها دون معارضة أحد . وبمرّ السنين تكرّس حق الفلاح بإستثمار الأرض التي وضع يده عليها وأصبح ما زرعه فيها من الشجر ملكه بالفلوحية حسب ما جاء في الوثائق ، ولم يعد بوسع أحد منازعته في ملكيته هذه . غير أن توقّف الفلاح عن زراعة الأرض لمدة ثلاث سنوات متتالية كان يؤدي إلى حرمانه منها ، وكانت الأرض وما فيها من شجر تؤول في هذه الحالة إلى مجمل أهالي القرية ، فيبيعونها لمن يرغب فيها ، وإلاّ توجّب عليهم أداء ضرائبها للدولة ، كما نلاحظ من الوثيقة الآتية :

بمجلس الشرع الشريف بطرابلس الشام حضر يحيى بن المرحوم درويش نعمان من أهالي قرية تكريت التابعة قضاء جومة عكار من أعمال طرابلس الشام وإدعى على محمد بن المرحوم إسماعيل أغا القواس من أهالي القرية المذكورة الواضع يده على جميع البستان الشجري الكاين في القرية المذكورة المشتمل على أشجار التوت وأنواع الفواكه المحدود قبلة بستان أولاد عبد الرحمن زكريا من أهالي القرية وشرقاً . . . مقررأ في دعواه عليه بأن البستان

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ٢ . ص ١٥ .

المحدد والموصوف أعلاه كان بيد أبي المدعي درويش نعمان المذكور وتصرفه بطريق الفلوحية وكان قائماً بدفع ما عليه كل سنة لجهة الميري ولما مات نعمان المذكور وإنحصر إرثه بكل من زوجته ... وأولاده القاصرين جميعهم إذ ذاك عن درجة البلوغ وهم كل من يحيى المدعي الآن و... وأنه بسبب كون المدعي وإخوته كانوا قاصرين عن درجة البلوغ إذ ذاك ترك البستان المذكور نحو ست سنين ثم بعد الست سنين من نحو عشر سنين قد باع بعض أهالي القرية البستان المرقوم إلى أبي المدعي عليه إسماعيل أغا المذكور وأن هذا البيع غير مصادف محلّه الشرعي وطالب المدعي المدعى عليه برفع يده عن البستان ... وحكم مولانا على المدعى عليه برفع يده عن البستان المذكور^(١) وأمر بتسطيره فسطر في ... سنة ثمان وسبعين ومايتين وألف^(٢).

ونلاحظ من نص هذه الوثيقة أن الملكية بالفلوحية كانت مثل الملكية بالحكر الشرعي تقوم على أرض أميرية، وتتطلب إستمرار زراعتها ودفع ضرائبها، لكنها اختلفت عنها بأنها لم ترتب على الفلاح دفع بدل إيجار الأرض كما كان الحال في الحكر الشرعي. ونستدل من عبارة «الجارية بملكه ومن إنشائه» التي وردت في بعض حجج بيع أرض للتعريف عن كيفية حصول البائع على ما يبيعه، أن ملكيتها كانت بالفلوحية.

ج- أسباب نمو ملكية الفلاح منذ أواسط القرن السابع عشر:

ويبدو أن الحكر الشرعي والفلوحية اللتين طبقتا في أراض أميرية، كانتا تهدفان إلى إحياء الأراضي الموات، لأن الأراضي التي طبقت فيها هاتان الطريقتان كانت في الأساس أراض موات. من هنا كان سماح الدولة العثمانية

(١) أمر بذلك لأن الورثة كانوا لا يزالون قاصرين كما جاء في تفصيل الوثيقة، ينظر نصّها كاملاً في ص

٢٨-٢٩/سجلات المحكمة الشرعية، طرابلس.

(٢) سجلات المحكمة الشرعية، طرابلس، سجل ٦٩ تاريخ ١٢٧٦-١٢٧٧-١٢٧٨هـ/١٨٥٩-١٨٦٠-

١٨٦١م، ص ٢٥٢-٢٥٣.

بهذين النوعين من الإستثمار .

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال عن أسباب التي إنتشار هاتين الطريقتين منذ العمل بتطبيق نظام الإلتزام ، ألم تكن الدولة العثمانية والأقطاعيين معها في الأرياف ، ترغب في إحياء الأرض الموات؟

الإجابة عن هذه التساؤلات نجدها في طبيعة نظام الإلتزام والفروقات بينه وبين نظام الإقطاع الذي ساد قبله ، كما نجدها في الظروف العامة التي مرّت بها الأرياف في ولاية طرابلس في المرحلة الإنتقالية بينهما .

فظروف انعدام الأمن ، وما رافقها من نزوح سكاني عن قرى عديدة ، أدى إلى تعطيل جباية الضرائب ، ما تطلّب من ملتزمي المقاطعات ، تقديم تسهيلات متنوعة للفلاحين لتشجيعهم على العودة إلى قراهم وإستصلاح ما بار من أراضيها . أضف إلى ذلك أن إستبدال نظام الإقطاع بنظام الإلتزام لم يكن مجرد استبدال زعامات قديمة من الإقطاعيين بوجوه جديدة من الملتزمين وحسب ، بل إنه أدى إلى نفس العلاقة بين سكان المقاطعات وحكامهم . فالإقطاعي كان يرى أن الحكم حقاً شرعياً له لمدى الحياة ورثه عن عائلته و يورثه لأبنائه من بعده . على العكس من ذلك كان الملتزم يعطى الحكم لسنة واحدة قابلة للتجديد^(١) إن أثبت كفاءة قتالية^(٢) وقدّم الضمانات اللازمة لتسديد كامل الضرائب المتوجّبة على كافة القطاعات الإنتاجية في مقاطعته . هذه الضمانات حصرها نظام الإلتزام بجملة شروط كان أهمها تامين كفالة مالية من مشايخ قرى المقاطعة أو أحد الممولين القادرين على تغطية مال الإلتزام بكامله^(٣) . من هنا نعتبر أن وصول الملتزم إلى الحكم إرتكز بالضرورة إلى رضا شريحة اجتماعية عنه ، الأمر الذي لم يحتاج إليه الإقطاعي يوماً . و تبعاً لذلك فقد تبدلت

(١) ينظر عقود الإلتزام في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس من السجل ١ إلى السجل ٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ١١ ، ص ٢٣٦ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل ١١ ، ص ٢٣٦ .

العلاقة بين حاكم المقاطعة الذي أصبح من فئة المنتزعين وبين القوى المحلية الصغرى فيها (مشايخ القرى وزعماء العائلات المالكة) ، وبدأت تسير باتجاه التفاهم والتكامل ، الأمر الذي أدى مع مرور الأيام إلى خلق نسيج اقتصادي-اجتماعي جديد ، جعل من المقاطعة وحدة اقتصادية-اجتماعية سياسية متجانسة إلى حد ما . أضف إلى ذلك أن سيادة المنتزعين على الأراضي الأميرية في مقاطعته ، وحقه في توزيعها على الفلاحين لاستثمارها بطريق الحكر الشرعي أو الإقطاع الشرعي^(١) ، كانت المدخل الرئيس لتحسين العلاقة بينه وبين الفلاح الذي غالبا ما اعتبر أن ما أخذه بالقانون هبة أو منة من المنتزعين حجبت عن عينيه المظالم التي ارتكبتها هذا الأخير بحقه . كما أن حاجته لتأمين المال بأكبر قدر ممكن وبالسريعة الممكنة قد دفعته إلى زيادة إحياء الأراضي الموات في مقاطعته ، مما أوجد فرص عمل جديدة للفلاحين وزاد من ارتباط هؤلاء بالمنتزعين وعزز تبعيتهم له ، ونمى نفوذهم بينهم . وكذلك فإن تقليص حجم الوحدة الإدارية ، أتاح لحاكمها المنتزعين فرص بناء علاقة أوثق وأقوى بقاعدته الفلاحية والحرفية مما كانت عليه في زمن الإقطاع . ذلك أن الإقطاعي كان يدير إقطاعا واسعا (مثلا : فخر الدين المعني الثاني أو يوسف باشا سيفا) مما أدى إلى استحالة تقريبه من كافة الفلاحين في إقطاعه . على العكس من ذلك فإن صغر المقاطعة في القرن الثامن عشر ، أتاح لمنتزعيها الذي كان من أبنائها في أغلب الأحيان ، سهولة التعرف على معظم أبنائها وإقامة علاقات شخصية إلى حد ما مع كل منهم أو معظمهم . وكان يلجأ أحيانا إلى تدعيم هذه العلاقة بإعفائهم مرحليا من الضرائب الإضافية التي كانت قد فرضت عليهم ظلما من الحكام السابقين^(٢) ، وتقديم ما يلزم لتمكينهم من زراعة الأرض ، كما نلاحظ من مقطع من الوثيقة الآتية :

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ٥٨ . ص ٢١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل ٢٧ . ص ١٥٣ .

«قضية إجارة قرا ومزارع بناحية عكار

بمجلس الشرع الشريف غبَّ أن حضر كل من الحاج مرعي شيخ قرية حلبا و والجميع من المشايخ والأعيان بقرى ناحية عكار تابع قضاء طرابلس وقرروا بالمجلس المشار إليه بأن من جملة قرى الناحية المزبورة جميع قرية بنين وجميع قرية الجديدة وجميع قرية السفينة وجميع قرية إيزال وجميع قرية حبشيت وجميع قرية دنبو وجميع قرية خريبة الجرد وجميع قرية الحويش وجميع قرية نفس عكار وجميع قرية حدودا وجميع قرية بزبينا وجميع قرية تكريت وجميع قرية بيت ملات وجميع قرية عين ياقوب وجميع قرية عيات وجميع قرية حلبا وجميع قرية حيزوق وجميع جبرايل وجميع قرية رحبة مع لبة وجميع مزرعة قبولا ، وأن القرى المذكورة إضمحلّت ونزح غالب أهلها وتعطلت أملاكها وأجروا الآن من فخر الأمثال والأقران الشيخ قانصوه بن حمادة وهو إستأجر منهم بماله لنفسه دون غيره جميع القرى المزبورة وتعهّد المستأجر المذكور بتعمير القرى المستأجرة المرقومة وبرد أهلها إلى أماكنهم ومواطنهم على أن يمدّهم بأنواع التقوية من فدان وبدار وغيره وإن حصل من جهة السلطنة العلية مرحمة ومن والي الإيالة على الناحية المزبورة وتنزل مالها بعد سنة تاريخه كذلك تنزل عن القرى المزبورة بحسب مالها في أوائل ربيع الأول لسنة ثمان وسبعين وألف» (٧٠)

د- تمدد ملكية الشجر لتشمل ملكية الأرض الأميرية؛

وفي عصر التنظيمات ، طرأ تغير جذري على حقوق الفلاح في الأرض التي إستأجرها بطريق الحكر الشرعي ، وتلك التي إستثمرها بالفلوحية ، إذ أن ملكيته للشجر ، إمتدّت لتشمل الأرض القائمة عليها . حصل ذلك بموجب قانون الأراضي الذي صدر سنة ١٨٥٨م ، وألغى إيجار الحكر والفلوحية ، مع إعتبار

(٧٠) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس : سجل ١ ، ص ٦١-٦٢-٦٣ .

العقود المبرمة قبل صدوره صحيحة ، ويحق للفلاح إستبدالها بسند طابو شرط دفع رسوم تسجيله في دائرة الطابو^(١) . وبذلك تحولت ملكية الفلاح من ملكية للشجر فقط إلى ملكية كاملة تشمل الأرض وما غرسه فيها من شجر أو حبوب .
وللوقوف على أعداد الفلاحين الذين إستفادوا من الحكر الشرعي والفلوحية ، وتحولت عقود إيجارهم إلى سندات طابو ، نعطي مثلاً ما جاء في جدول ويركو أملاك قرية مشمش ، حيث يتبيّن لنا أن خمسة وتسعين فلاحاً أصبحوا في عصر التنظيمات ، يمتلكون مئة وسبعة وخمسين عقاراً بعلياً في تلك القرية بموجب سندات طابو^(٢) ، بعدما كانوا يتصرفون بها سابقاً بالفلوحية أو بالحكر الشرعي .

٢- ملكية الشجر في الأوقاف:

أدت بعض طرق إستثمار أراضي الأوقاف الإسلامية الزراعية ، إلى تملك الفلاح لعدد من الشجر دون الأرض . وقد إنحصرت هذه الطرق في ثلاثة أنواع من الإيجارات وهي : الحكر الشرعي ، والمغارسة ، والجدك .

أ- الحكر الشرعي:

وهو شبيه بالحكر الشرعي الذي طبّق في الأراضي الأميرية . وهو عبارة عن إيجار أرض وقف لقاء أجر سنوي عرف بالحكر ، لمدة معينة تحدّد في العقد ، غير أنه كان يتجدد تلقائياً . وكان من حق الفلاح المستأجر ، زراعة ما شاء من الشجر أو الحبوب ، ويكون ما يزرعه ملكاً له دون الوقف ، شرط أداء قيمة الإيجار ، كما نلاحظ من المقطع الآتي من وثيقة إحكار :

(١) الدستور ، ترجمه من اللغة التركية إلى العربية ، نوفل افندي نعمة الله نوفل ، مراجعة وتدقيق خليل افندي الخوري ، مجلدان ، طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة بالمطبعة الأدبية في بيروت ، سنة

١٣٠١هـ ، ١٤ ص ١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٤ ص ١٣-٢ .

«بمجلس الشرع الشريف المشار إليه حضر محمد بشة ابن الحاج عبد الرحمن الوكيل الشرعي عن زوجته الست أمنة بنت شاهين بشة المتولية الشرعية على وقف مسجد القرطاسية^(١) وأحكر بوكالته المحكية ما هو من ملة الوقف الزبور وله ولاية إحكاره شرعاً من ناصر العشي ابن أحمد وهو إستحكر منه بماله لنفسه دون غيرهه وذلك جميع القطعة الأرض الكاينة فوق الرامة بسفح جبل فضل الله القائم فيها عشرون أصلاً من شجر الزيتون وقف المسجد المرقوم يحدّها قبلة إحكاراً وإستحكاراً صحيحين شرعيين واردين لمدة ثلاث سنوات وبعدها على الدوام بحكر قدره في كل سنة ربع غرش هو حكر المثل حالاً وأذن المتولي للمستحكر أن يغرس في الأرض الموقوفة مهما شاء وأحبّ من أنواع الغراس ويكون ما يغرسه ملكاً من أملاكه ليس عليه شي سوى الحكر المرقوم إذناً شرعياً حرّر في تاسع شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وماية وألف .»^(٢) وبهذا النوع من العقود أصبح الفلاح يملك ما يزرعه من الشجر ملكية دائمة ، طالما أنه يربعاها ويجدد ما يتلف منها .

ب- المغارسة:

على خلاف الحكر الشرعي الذي حرم الوقف من ملكية الشجر الذي زرعه الفلاح المستأجر ، وأعطاه لهذا الأخير وحده ، فإن طريقة المغارسة جعلت للوقف نصيباً من الشجر . وطبقت هذه الطريقة في إستثمار الأوقاف التي تقهقرت أشجارها . وقضت بتأجيرها لأحد الفلاحين لمدة معينة غير قابلة للتجديد ، تحدد في العقد . ولم يكن على الفلاح دفع بدل إيجار في هذا النوع من العقود ، بل كان عليه تجديد الغراس العادمة على نفقته وحده ، والعناية بها حتى إنقضاء مدة العقد ، ثم يصار بعدها إلى إقتسام ملكية الشجر بينه وبين

(١) لا يوجد مسجد في طرابلس بهذا الاسم ، وربما المقصود به مسجد البرطاسية .

(٢) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ٧ . ص ٢١٤ .

الوقف ، وتبقى الأرض ملكاً للوقف وحده ، كما نلاحظ من المقطع الآتي من عقد مغارسة : «بالمجلس الشرعي حضر فخر الطلبة محمد المنصوب متولياً على حصته من وقف جدّه الأعلى الشيخ عبد الجليل السبسي الكائن في مزرعة مرليا وصرح أن حصته المذكورة قد خربت وإنثرت أشجارها ومدخولها لا يفي بمصاريفها العائدة لجهة الميري وحضر الرجل المدعو ضوميط ابن فرح من أهالي الجبّة وإتفق مع علي أن يغرس بياطن أرضها توت ويقوم بعملها ويدفع ما يترتب عليها مدة سبع سنين من تاريخه ويكون له من ذلك أربعة عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً بنظير عمله وعند إنقضاء المدة المذكورة تقسم الغراس المستجدة كما فصل أعلاه . . . » (١) .

إذن بهذا النوع من الإستثمار تمكّن الفلاح من تملك عدد من الأشجار دون الأرض المزروعة فيها . لكن ملكيته هذه كانت مرهونة ببقاء الشجر ، لأن العقد لم يعطه حق تجديدها بعد إنتهاء مدّته .

ج- الجدك:

عرف هذا النوع من عقود إستثمار الأوقاف في ولاية طرابلس في القرن الثامن عشر . وكان يقضي بإعطاء المستأجر حق التصرف بأرض الوقف ، وزراعتها بما أراد ، على أن يكون ما يزرعه ملكاً له وحده دون الوقف . وتبقى ملكيته هذه مصانة طالما أنه مستمر بدفع بدل الإيجار . وكان يحق له أيضاً تجديد الغراس وإقتلاع العادم من الإشجار التي تعود ملكيتها للوقف على إعتبار أنها كانت موجودة قبل إبرام العقد ، وزراعة غيرها ، على أن يكون ما يجده ملكاً له أيضاً ، كما نلاحظ من المقطع الآتي من حجة جدك : « وأجر المتولي المذكور جميع بياطن أرض البستان المحدود قبلة والموصوف أعلاه على طريق الجدك من الراغب فيه وهو إستأجرها منه من ماله لنفسه

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل ٩٠٩ ص ٢٨ .

ببلغ قدره ألف قرش وأذن له بأن يقوم بقلع العادم من الغراس ويغرس فيه ما شاء وأراد من أنواع الغراس ليكون ما يغرسه ملكاً من أملاكه يبقى قائماً على الدوام والإستمرار بطريق الجدك»^(١). وبحسب هذه الصلاحيات التي أعطيت للمستأجر أصبح بوسعنا القول أن هذا الأخير كان يتحوّل إلى مالك لكامل الأشجار القائمة في الوقف بعد مدة وجيزة من إبرام العقد .

في هذه الأنواع الثلاثة من العقود، المغارسة والحكر والجدك، كانت ملكية الفلاح تقتصر على الشجر فقط. غير أنه كان من حقه بيعها وقبض ثمنها لوحده، وكانت قيمة الإيجار تبقى ثابتة، ويقع أداؤها للوقف على عاتق المالك الجديد لها، كما نلاحظ من المقطع الآتي من بيع حكر: «بمجلس الشرع الشريف حضر الذمي جرجس ولد الذمي موسى من سكان قرية القبيات تابع ناحية عكار وباع للحاج محمد ابن علي النشار وذلك نصف النصب التوت المستجد البعل والزيتون الكائن في أرض مزرعة بكفتين وقف الحرمين الشريفين . . . المرتب على كامله بطريق الحكر الشرعي لجهة الوقف المرقوم في كل سنة غرش ونصف الغرش بثمن»^(٢). وكانت ملكيته تنتقل بالوراثة لأبنائه من بعده، كما نلاحظ من المقطع الآتي من حجة بيع شجر في أرض وقف: «بالمجلس الشرعي . . . حضر . . . وباع ماهو ملك موكلته ومنتقل إليها بالإرث الشرعي من أخيها . . . وذلك جميع الحاورة الشجرية الكائنة بأرض مزرعة بشمرا تابع ناحية عكار المرتب عليها لجهة وقف بني الإيجي والمقدّم محمد في كل سنة غرش ونصف»^(٣) كما كان يحق له وقفها أيضاً^(٤).

(١) سجلات المحكمة الشرعية، طرابلس، سجل ١١٠، ص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، سجل ٨، ص ٢٦٥.

(٣) المصدر نفسه، سجل ٨، ص ١١٢.

(٤) المصدر نفسه، سجل ١٠٣، تاريخ ١٣١٩، ص ١٨٨.

ولا شك أن هذه الطرق الثلاث التي إتبعت في إستثمار مساحات واسعة من أراضي الأوقاف ، شكّلت مدخلاً لنمو ملكية الفلاح للأشجار التي غرسها . غير أن قراءة شاملة لأعداد كبيرة من عقود الإستثمار هذه ، تدلّ على أن عدد الفلاحين الذين إستفادوا منها ، كان في الواقع قليلاً نسبياً . ذلك أن الوجهاء دخلوا بقوة على خط إستثمار الأوقاف ، وإستأثروا بملكية أشجارها ، كما يتبيّن من الجدول الآتي :

جدول أنواع إيجارات أراضي الأوقاف ومستأجريها

السنة	نوع الإيجار	مدة الإيجار	اسم المستأجر
	إجارة عادية	٦ سنوات	يوسف بن محمد الغزال (١)
	إجارة عادية	١ سنة	حيدر بن الشعار (٢)
١٠٧٧-١٠٧٨هـ /	إجارة عادية	١ سنة	السيد إبراهيم والمعلم درويش (٣)
١٦٦٦-١٦٦٧م	أشجار التوت فقط	٣٠ سنة	علي بشة الراجل في الباب (٤)
	إجارة وحكر	٣ سنة	محمود بشة الراجل في الباب (٥)
	إجارة عادية	١ سنة	ناصر بن معتوق أحمامي (٦)
	أشجار التوت فقط	٦ سنة	فخر أقرانه مصطفى بشة (٧)

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل : ١ ، ٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل : ١ ، ص ١٠٨ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل : ١ ، ص ١١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل : ١ ، ص ٧١ .

(٥) المصدر نفسه ، سجل : ١ ، ص ٧٢ .

(٦) المصدر نفسه ، سجل : ١ ، ص ٤٨ .

(٧) المصدر نفسه ، سجل : ١ ، ص ٥٢ .

(١) أحمد جلبى بن رجب أفندى	٣ سنة	إجارة عادية	
(٢) نعمة ولد أنطون	دائم	جدك بستان	
(٣) الحاج مصطفى الفطايروجى	دائم	حكر شرعى	
(٤) محمد البيسار	٣ سنة	إجارة عادية	
(٥) السيد مصطفى بن تزلق	دائم	حكر شرعى	١١٩٧-١٢٠٦هـ/
(٦) البلطجى	دائم	حكر شرعى	١٧٨٣-١٧٩١م
(٧) أحمد شحادة الحلاق	دائم	جدك	
(٨) السيد محمد بشة أوطن	دائم	حكر ومساقاة	
(٩) السيد عبد القادر الدلال	دائم	حكر شرعى	
(١٠) الذمى بركات	دائم	حكر شرعى	
(١١) الحاج بكرى المصرى	دائم	حكر شرعى	
(١٢) السيد مصطفى	دائم	جدك	

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل : ١ ، ص ٧١

(٢) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ٢٠ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ١٠٣ .

(٦) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ٣ .

(٧) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ٨ .

(٨) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ٨ .

(٩) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ٤٣ .

(١٠) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ١٣٤ .

(١١) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ١٣٦ .

(١٢) المصدر نفسه ، سجل : ٢٦ ، ص ١٦ .

عبد الحميد الصياد (١)	دائم	جدك	١٢٩٩هـ/١٨٨١م
بهيجة بنت يوسف السيد (٢)	دائم	جدك	
عائشة بنت الحج محمد (٣)	٦ سنة	إجارة عادية	
الحاج عبد الله الحلبي (٤)	دائم	جدك	
عبد الحميد أفندي شنبور (٥)	دائم	جدك	
-	-	-	١٣١١-١٣١٢هـ/
-	-	-	١٨٩٣-١٨٩٤م

يتبن لنا من هذا الجدول أن :

- ثلاثة من أصل ثمانية مستأجرين سنة ١٦٦٦-١٦٦٧م كانوا من الفلاحين .
- وسبعة من أصل أحد عشر كانوا من الفلاحين في السنوات ١٧٨٣-١٧٩١م .
- وأربعة من أصل أربعة كانوا فلاحين سنة ١٨٨١م .
- وصفر فلاح من أصل ثلاثة سنة ١٨٩٣-١٨٩٤م .

انعكاسات نمو ملكية الفلاحين:

كان لتنامي عدد الفلاحين المالكين ونمو الملكيات الصغرى إنعكاسات مباشرة على الزراعة والإقتصاد الريفي ، أدت بدورها إلى تبدل في العلاقة بين

(١) سجلات المحكمة الشرعية ، طرابلس ، سجل : ٨٢ ، ص ٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، سجل : ٨٢ ، ص ٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، سجل : ٨٢ ، ص ٨٣ .

(٤) المصدر نفسه ، سجل : ٨٢ ، ص ٨٧ .

(٥) المصدر نفسه ، سجل : ٧١ ، ص ١٦٦ .

الفلاح والمالك ، وأحدثت تغييرات ملحوظة في وضعية الفلاح ومكانته في مجتمعه وأسرته .

أولاً: على الزراعة:

١- إحياء الأراضي الموات وزيادة المساحات المشجرة :

وجد الفلاح في تشجير الأرض التي إستأجرها بالحكر الشرعي ، سواء كانت أميرية أو وقفاً ، وفي الأرض التي ملكها بالفلوحية ، خير سبيل لتثبيت ملكيته وإستمراريتها . فهو لم يكن في الأساس يملك من هذه الأراضي إلا ما زرعه فيها ، لذلك كان مجبراً على رعاية اشجارها والعمل على زيادة أعدادها . أضف إلى ذلك أن طريقتي الحكر الشرعي والفلوحية اللتين طبقتا في إستثمار الأراضي الأميرية ، أدتا إلى إحياء مساحات واسعة من الأرض الموات وإستصلاحها . كما أن عقود إستثمار الأوقاف ، أدت إلى تنشيط الزراعة فيها ، برعاية أشجارها القديمة وزراعة أخرى جديدة .

٢- تفتيت الملكيات الكبرى :

لعب نظام المغارسة بالشراكة الذي عمل به في إستثمار الملكيات الكبرى ، دوراً كبيراً في إعادة توزيع الملكية الزراعية في الأرياف . فأدى تطبيقه إلى تقليص مساحات بعضها ، وتفتيت بعضها الآخر بالكامل ، بعدما تم إقتسامها بين المالك والفلاح . ولا شك أن هذا الأمر أدى بدوره إلى مضاعفة جهود الفلاح في ملكه ، لأن إنتاجه أصبح بكامله صافياً له وحده . وبصرف النظر عن إيجابيات زيادة إنتاجية الملكيات الصغرى للفلاحين ، يبقى لتوسع هذه الأخيرة على حساب الملكيات الكبرى ، إنعكاسات سلبية على الزراعة في الأرياف بشكل عام . وفي أواخر القرن التاسع عشر تجلّت هذه السلبيات بشكل واضح في ظاهرتين بارزتين طبعتا

ولا تزال الزراعة في هذه الأرياف :

- تدني الإنتاج في بعض ما تبقى من الملكيات الكبرى ، وإنعدامه في بعضها الآخر ، جراء إنصراف الفلاحين الذين باتوا يملكون قطعة أرض تكفيهم ، إلى العمل في أرضهم . وبذلك إفتقرت الملكيات الكبرى إلى الأيدي العاملة ، خاصة وأن أصحابها من الوجهاء كانوا يأنفون من العمل اليدوي وبخاصة من الأعمال الزراعية .

- جمود الزراعة عند الوسائل التقليدية ، وعدم تطورها بإدخال المكننة ، واستخدام الجرارات والحصادات وما شابه من الآلات الزراعية التي يصبح عملها خاسراً لا يفي بأسعرها ، إلا في حال إستخدامها في مساحات واسعة من الأراضي .

ثانياً- على العلاقة بين المالك والفلاح

مما لا شك فيه أن تملك الفلاح لقطعة الأرض التي عمل عليها ، قد أمن له ظروف التفلت من التبعية المطلقة للمالك التي عرفت في عصر الإقطاع . غير أن الرياح أتت بما لا تشتهي السفن . فضعف الفلاح مقارنة بالوجهاء وعجزه عن حماية ملكيته الصغرى ، دفعته للدخول في محسوبة أحد الوجهاء الأقوياء . وتفيد الوثائق عن تعديت واسعة على أملاك الفلاحين^(١) . كما أن الظروف الإقتصادية القاسية التي لازمت حياة الفلاح ، حالت دون تحرره التام من التبعية المطلقة للوجهاء وكبار الملاكين . فكان دائماً مضطراً إلى الإستدانة من هؤلاء لتأمين سعر البذار اللازم لزراعة أرضه الداخلة في ملكه^(٢) . فغالباً ما كانت

(١) مثلاً: سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس، سجل ٣. ص ٦٩. ٩١. وسجل ٨. ص ١٦٣.

وسجل ١٣. سنة ١١٦٤هـ، ص ٣١٠. وسجل ٦٤. تاريخ ١٢٦٨هـ، ص ٥٥. وسجل ٧٧. تاريخ

١٢٨٨هـ، ص ٣٥٥.

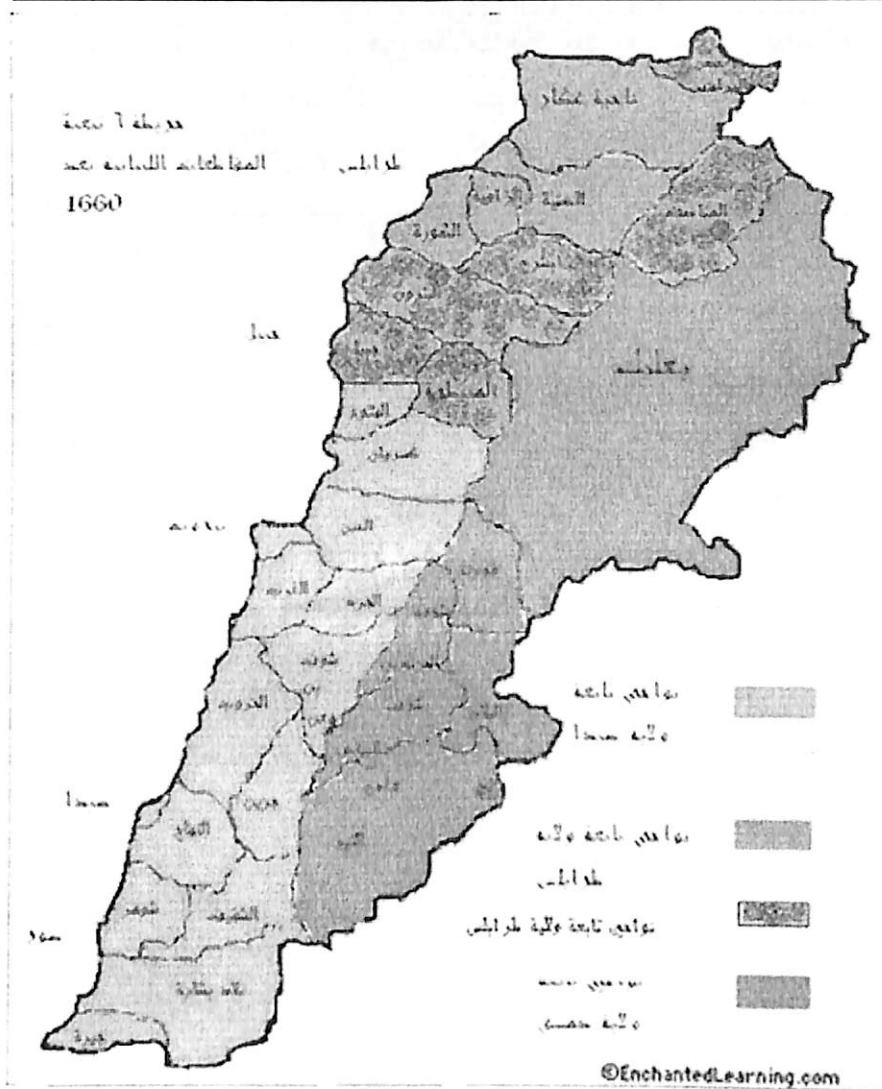
(٢) مثلاً سجل ١٠٩. تاريخ ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، ص ١٩٠.

الديون تتراكم عليه وبخاصة في حالات الكوارث الطبيعية ، الأمر الذي أبقاه في حالة تبعية دائمة للمالك ، وإن بدت هذه التبعية في عصر الإلتزام أخف وطأة مما كانت عليه في عصر الإقطاع . كما أن عددا لا بأس به من الفلاحين كان حتى مطلع القرن العشرين يسكن في بيوت مملوكة من قبل البكوات .

خاتمة

إذن على خلاف ما هو شائع بين الباحثين من أن الفلاح في بلاد الشام كان في العصر العثماني ، مسحوقاً لا يملك سوى قوة عمله ، ولا يحوز على أي شكل من أشكال الملكية الزراعية ، تدل عقود استثمار الأراضي الزراعية في أرياف ولاية طرابلس والمثبتة في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس ، أن بعض الفلاحين في أرياف هذه الولاية كانوا يملكون عددا ملحوظاً من الأشجار القائمة في أراضي الأوقاف ، وكان يحق لهم بيعها وتوريثها . وكانوا يملكون أيضاً حق التصرف بمساحات ملحوظة من الأراضي الأميرية البعلية في مراحل العمل بنظام الإلتزام .

وكذلك فإن امتلاك الفلاح لمصادر رزقه وبخاصة الأرض ، شكّل منعطفاً كبيراً في حياته ، وأدى إلى نمو قدراته المادية ورفع من معنوياته . غير أن نمو ملكيته على حساب الملكيات الكبرى ، كان له إنعكاسات سلبية على الزراعة وتطورها وعلى الإقتصاد برمته .



خريطة النواحي اللبنانية في عصر الإلتزام
وفيهما تظهر النواحي التي تشكل الإطار الجغرافي للبحث

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل
العلم نوراً والعبادة
سجدة

لما كان بتاريخ نهار احد الجديد رابع
يوم مضت من كل نيسان من كل سنة
شعب الابق انتبني وتلاتين للعالم وهو
انا اشترينا من معتوق ابن عبيد متاع
لذينا اثني عشر اصل توت وتلات عروقي
زيتون وعريشة عنب تعلق في ارض قرية
قلجات من محو الدر فوق عيني الما قبله
توت العله وشوق توت يعقوب ابن طنطور
والقوب صار القله وشمال عوايش العنب
للعله واخيه وذلك مبلغ قدره قرشين
وقبض ذلك واربنا درهم الفرد وجوى ذلك
بالنارخ المعيني اعلاه
والشكر لدر الفارسند
من ماله لنفسه

حضر العله وابنه
جوهش وشهد بذلك

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل
العلم نوراً والعبادة
سجدة

3- تراعى بهم بن درويش نعمان من قرية بقرية

الزينة
الاصغر
بناه

بجسدي في غير طرقتي الشام لا شوبه مولانا في نسخة واحدة اولاد سينه بطلم
 حضر في بنه لرحمة درويش نعمان من الالاقية بقرية بقرية ابن بيه وفقا اجوده عطار
 من اجمال طرقتي الشام واولاد علي بن المرحوم اسما عسل اعان العقواس من الالاقية
 المذكورة الواضح اليه على جميع السنان السجود الكائن في القرية المذكورة المشتمل
 على اسمي رالتوت ومنه انج عقود المحدث فله سنانة لولاد عبد الرحمن ذكره من
 الالاقية المذكورة وشرق سنان بيلا المرحوم وسنانة لابن محمد الالاقية وتمام سنان
 المرحوم عليه وقران المذكور للعلوم وضمه به باعترافة وشراوة كل من مصنف
 ابن محمد علي احمد واسما عسل بن عبد الله كلاهما من الالاقية المذكورة المذكورين
 شراوية كل من علي اعان بن المرحوم الشيخ اسد علي عطار والبر محمد علي بن المرحوم
 محمد احمد بن محمد بن مقرر بن محمد بن عبد الله بن السنان المذكور والموصوف اعلاه
 كان يبيد الي المرحوم درويش نعمان المذكور ونصرف بطرقتي الفلده حية

تابع تنمة الوثيقة على الصفحة التالية

نهر الذهب في تاريخ حلب لكامل الغزي
(ت ١٣٥١هـ/١٩٣٣م)
مصدراً للمعلومات الزراعية في حلب ومحيطها

راشد القحطاني (*)

المؤلف كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي ، الشهير بالغزّي (١٢٧١هـ-١٣٥١هـ/١٨٥٣م-١٩٣٣م) وهو مؤرخ ، من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق ، مولده ووفاته بحلب . وسلفه من غزة^(١) . نبت في بيت علم وشرف فقد كان أبوه الحسين من أشهر رجال الشام في الفقه والحديث والأدب ، توطن حلب قادماً من غزة في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة ولبث فيها مدرسا بالمدرسة السيفية في محلة الفرافرة . حرص ذووه على تعليمه وتثقيفه منذ بلغ سن الطلب فدفعوه إلى الكتاب حيث أتم تلاوة القرآن الكريم ، ثم سعى إلى الشيوخ في بلده فأخذ العلم عن الشيخ محمد الكحيل والشيخ مصطفى الكردي وغيرهما . ولم يكتف بما تلقاه عن أساتذته من علوم الدين ، من فقه وحديث وتوحيد وفرائض وما يخدمها من علوم اللسان ، بل أضاف إليها باجتهاده بعض العلوم الأخرى ، مما لم تكن تتسع له مناهج الدرس في أيامه ، ومن ذلك التاريخ الذي عمق معلوماته فيه استناداً إلى مؤلفات من سبقه من فحول المؤرخين كالطبري وابن الأثير وابن العديم وغيرهم . ولقد تقلّد

(*) كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ المملكة العربية السعودية .

(١) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ١٠ ج ، ط ١٦ . دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٥ م ، ج ٥ ، ص ٢١٧ .

عدداً من المناصب الرسمية في بلده . بلغ الغزي بعلمه وجدّه منزلة فريدة عند الحكام ، وقد اشتهر منذ شبابه بسعة الثقافة ، وحب المطالعة ، وبذكاء واضح وعقل راجح ، ونفس لا تعرف التعصب ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان أصدقائه من مختلف الأديان . كما وعرف عنه أنه أولع باقتناء الكتب منذ صباه ، فكان يطوف الأسواق والخزائن في المشرق والمغرب متحرياً النفيس من أصنامها . حتى اجتمعت له منها خزانة نفيسة عامرة عدها البعض أنها واحدة من أشهر خزائن حلب لوقته . هذا الاطلاع الواسع ، وتلك الخزانة العامرة اللذان توفرا للغزي جعلاه يتمتع بثقافة موسوعية مكنته من كتابة مؤلفات كثيرة . تولى تحرير جريدة «الفرات» الرسمية الأسبوعية بحلب نحو عشرين عاما . وعين رئيساً للجنة الآثار بحلب ورئيساً لتحرير مجلتها ، فحمل أعباءهما وحده . وصنّف كتاب «نهر الذهب في تاريخ حلب - ط» ثلاثة مجلدات من أربعة ، و«إتحاف الأخلاف في أحكام الأوقاف - ط» و«جلاء الظلمة في حقوق أهل الذمة - خ» و«الروضة الغناء في حقوق النساء - خ» و«ديوان شعر» ، إضافة على عشرات المقالات العلمية والتحقيقات اللغوية والتاريخية المبثوثة في كبريات الصحف العربية والسورية . وكان مجدداً في نزعته ، دائم النشاط ، حتى أواخر أيامه ، فيه وداعة ورقة وظرف . وله نظم حسن أورد العامري مقتطفات منه^(١) . ولا بد من الإشارة في هذه العجالة إلى أن مؤلفنا الغزي كان رئيساً لمجلس البنك الزراعي في حلب^(٢) .

تحدث الغزي مفصلاً في كتابه الموسوم بـ نهر الذهب في تاريخ حلب عن الزراعة ؛ إذ إنه وضع لها عنواناً أسماه (النباتات في حلب وولايتها) . وقد أدرج

(١) الزركلي . الأعلام . ج ٥ ، ص ٢١٧ .

(٢) فريد جحا ، الشيخ كامل الغزي المؤرخ والأثري . مجلة الموقف الأدبي . س ٢ ، ع ١٠٦-١١ (شباط - آذار

١٩٧٣م) . ص ٢٣٩-٢٤٦ .

تحت هذا العنوان خمسة عناوين فرعية على النحو الآتي :

١- الحبوب : وتكلم فيه عن أنواع الحبوب ومواسم زراعتها ومواعيد إدراكها وأشار إلى اختلاف في ذلك بين المناطق حسب المناخ .

٢- الخضر والبقول والفواكه وغيرها : واشتمل هذا العنوان على مجموعة من المزروعات من تلك الأنواع منها ما هو حديث الزراعة ومنها المزروعات الأصلية في حلب وما جاورها من البلاد .

٣- النباتات الشجرية : وذكر فيها الأشجار التي تكثر أو تقل في حلب ، ومواسم قطف ثمرها مع ذكر أنواعها .

٤- النباتات المعدود بعضها من العقاقير الطبية : وقد استهل هذا العنوان بقوله : لم أذكر في هذا الفصل من هذه النباتات إلا ما وقفت له على اسم مشهور في المفردات الطبية القديمة ، ولذا لم أذكر منها سوى القليل .

٥- النباتات المشهورة عند الحلبيين : وتحدث فيه عن أنواع متعددة من النباتات المشهورة في حلب ، ثم ختم ذلك بقوله «إن الزهور في بيوت حلب كثيرة الأنواع لا تكاد تحصى ، وفي كل وقت يتجدد منها شيء كثير يستجلب بزره من غير جهة ، وتسمية العامة باسم يلائم ذوقها فيه ، فلا نطيل بذكرها وفي هذا القدر كفاية» .

وقد تميز ما أورده العززي عن الزراعة في حلب وما جاورها بعدد من الخصائص يمكن إيجازها على النحو الآتي :

١- إن ما أورده المؤلف عن المزروعات إنما هو عمل حصري ، لا اختياري . وقد أشار إلى ذلك بقوله : «هذا ما تيسر استقصاؤه من المحاصيل الأرضية المستنبته في بساتين حلب وبعض قراها وبلادها» .

٢- إلمام المؤلف بمواسم الزراعة في مختلف فصول السنة ، إذ أشار إلى موسم كل زرع أو شجر بدقة . ويمكن التمثيل لذلك بما أورده عن الذرة ؛ إذ قال : والذرة البيضاء والصفراء المعروفة عندنا بالذرة المصرية يمتد بذرها من آذار (مارس) إلى أواسط نيسان (إبريل) وتدر كان في أيلول (سبتمبر) ويزرعان سقياً

وبعلاً ، وقد تقطف الصفراء طرية من أوائل الصيف إلى أيلول (سبتمبر) وتشوى وتؤكل .

٣- محاولة المؤلف رصد تاريخ ظهور بعض المزروعات لأول مرة ، وقد ذكر ذلك أثناء الحديث عنها مع إيراد الاسم المستخدم في بلادها الأصلية ، كما أورد أسماء بعضها باللغة العثمانية . وشاع في بعض بساتين حلب زرع توت الأرض المعروف عند العثمانيين باسم جِلْكُ (الفراولة) ، وهو ثمر يضارع الفرصاد بشكله ، لطيف يعمل منه مشروب لذيذ وينفع من داء النقرس ، حتى قيل إنه هو الدواء الوحيد لهذا المرض ، وهو مما حدث زرعه في حلب وبعض قراها سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) .

٤- إمام المؤلف - بأنواع الفواكه والمزروعات وألوانها وأشكالها . من ذلك على سبيل المثال ما أورده عن التفاح ؛ إذ كتب يقول فيه : التفاح والموجود منه في حلب وبساتينها على تسعة أنواع : الأول منها ما يقال له عرب كرلي ويزرع فسيلا في صناديق صغار في البيوت ، ويثمر من سنته وشجرته دون قامة الإنسان . ووجود هذا النوع حادث في حلب . الثاني يقال له المسكي ويزرع في البساتين كبقية الأنواع الآتية وحبته تكون في حجم الجوزة الكبيرة وطعمه حلو ولونه أحمر قائم ويشم منه ريح المسك الثالث يقال له الحديدية وهو نوع من المسكي إلا أن في طعمه حرافة وقبض ولهذا يستعمل غالباً للاستقطار . الرابع يقال له خيامي نسبة إلى قرية من قرى عينتاب تبلغ حبته إلى خمسين درهماً رحوى الشكل أبيض أحمر مز الطعم . الخامس يقال له الفلكي وهو دون الخيامي حجماً أصفر اللون ظاهراً وباطناً . السادس يعرف بالليموني ؛ لشبهه بالليمون الحامض شكلاً أبيض أصفر يميل طعمه إلى الحموضة . السابع يعرف بالقصيري البلدي شبيه بالمسكي حجماً أخضر أبيض حامض الطعم . الثامن يعرف بالخشخاشي ؛ لشبهه بالخشخاش حجماً أبيض أخضر حلو الطعم . التاسع يعرف بالأبلق كأنه سفرجلة صغيرة حلو الطعم .

٥- دقة التوثيق عند المؤلف فيما رجعت إليه من المصادر التي أشار إليها ، فمنها قوله : وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان ما يلي : (إن الله خص حلب بالبركة وفضلها على جميع البلاد ، وأنه يزرع في أرضها القطن والسمسم وإن كان بعلياً ومع ذلك يجنى غصاً رويماً يفوق ما يسقى بالمياه)^(١) وكذلك ابن البيطار في كتابه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية»^(٢) وابن الشحنة في كتابه «الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب» ذكر المؤلف لأسعار بعض المزروعات وأوزانها . ومن ذلك ما أورده عن البطيخ إذ قال : يباع رطله بعشرين بارة وهو كبير الحجم قد تبلغ زنة الواحدة منه أربعة أرطال حلبية^(٣) .

٦- تحديده لمنطقة حلب في ذلك العصر العثماني جغرافياً . ونعلم منه أن منطقة حلب كانت واسعة ، شملت كلاً من مرعش وعينتاب وكليس وأنطاكيا وإسكندرونة وباريشا في حارم ، وبيلان ، والباب وتادف . غيرها

٧- إيراده لمصطلحات وأسماء عثمانية عديدة . منها : التتن ، وسيغاره ، وانحصار (الإدارة الخاصة بالتبغ) وينكي دونيا ، واسفناخ ، واللخنا . غيرها

٨- تقيده بالتاريخ الهجري المستخدم في العهد العثماني ، وإلمامه الواسع بالتاريخ المالي أو باسمه الآخر الرومي المستخدم في أواخر العهد العثماني وهو تاريخ شمسي عدد أيامه مثل السنة الميلادية ٣٦٥ يوماً ؛ حيث أسقط عليه مواسم الزراعة ؛ إذ إن بداية شهر السنة فيه شهر مارس .

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) . معجم البلدان ٥ ج ، قدم له محمد بن عبد

الرحمن المرعشلي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ١٤١٧هـ/١٩٩٧م . ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٢) عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) الجامع لمفردات الأدوية

والأغذية : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م ، ج ٤ ، ص ٢٧١ .

(٣) محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب : المطبعة الكاثوليكية للأباء

اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٩م . ص ٢٥٣ .

٩- إلمامه بفوائد بعض الفواكه والنباتات . من ذلك ذكره لفوائد الفراولة بقوله :
وشاع في بعض بساتين حلب زرع توت الأرض المعروف عند العثمانيين
باسم جَلِكْ (الفراولة) ، وهو ثمر يضارع الفرصاد بشكله ، لطيف يعمل منه
مشروب لذيذ وينفع من داء النقرس ، حتى قيل إنه هو الدواء الوحيد لهذا
المرض .

وبناءً على ما سبق فإنني أستطيع القول إن حلب وضواحيها سلة غذاء
ودواء ، كما أنها مصدر للطور والزهور والعقاير الشعبية .
وسوف أدرج فيما يأتي المبحث الخاص بالزراعة في حلب من كتاب
الغزي :

النباتات في حلب وولايتها

الحبوب

الحنطة:

هي أشرف أنواعها ؛ لأن الحاجة إليها في الاقتيات أشد من الحاجة إلى
غيرها . فأقول : أعظم الحبوب التي تستنبت في حلب وأعمالها هي الحنطة ،
التي بها معاش أهلها ، ولأنها من أعظم بضائعهم التجارية : يمتد بذرها من
تشرين الأول (أكتوبر) إلى أواسط شباط/فبراير سقيا وبعلا ، وهو الأكثر والذي
يبنزر منها في تشرين الأول (أكتوبر) ، يقال له غباري . وإذا كان الموسم جيداً
تجيء غاية في الخصب وقلماً يوجد المبنزر منه في شباط (فبراير) وكلها تدرك
في هيار/أيار (مايو) . وفيه تحصد ويقال في هيار بالمنجل^(١) يغار ، وهذا يكون في
ضواحي حلب وقراها الشرقية والجنوبية . أما في أعمالها الشمالية فإن إدراكها
يتأخر إلى أواخر حزيران (يونيه) ؛ لبرودة مواقعها . وهكذا جميع الحبوب والبقول

(١) كامل حسين الحلبي الغزي ، (ت١٣٥١هـ/١٩٣٣م) ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، الطبعة المارونية ،

حلب ١٣٤٢هـ ، ص ١١٥ .

والفواكه والخضر فإنها تدرك في ضواحي حلب وبساتينها وقراها المذكورة قبل إدراكها في أعمالها الشمالية . وأما أعمالها الغربية فمنها ما تدرك فيها النباتات قبل حلب كإسكندرونة ، ومنها ما يتأخر عنها كيبيلان ، ومنها ما يساويها كبقية الجهات . ثم إن الحنطة أنواع لا تكاد تدخل تحت حصر ، وليس في تعدادها كبير فائدة .

الشعير والعدس والجلبان وما هو من فصيلته

ومثلها الشعير وربما أدرك قبلها بأيام قليلة ، والعدس والجلبان وما هو من فصيلته كالخرقي والبيقة والقصاص المعروف بالكرسنة والبسلة والماش والباقلان المعروف بالفول والحمص ، كلها يتأخر بذرها عن الحنطة وتزرع عذبة وتدرج في أواخر نيسان (إبريل) ، والذرة البيضاء والصفراء المعروفة عندنا بالذرة المصرية يمتد بذرها من آذار (مارس) إلى أواسط نيسان (إبريل) وتدرجان في أيلول (سبتمبر) ويزرعان سقياً وبعلاً ، وقد تقطف الصفراء طرية من أوائل الصيف إلى أيلول (سبتمبر) وتشوى وتؤكل . ويوجد في أعمال حلب شمالاً حب شبيه بحب الشهدانج حجماً أبيض أملس ، ينساب كالرمل إذا قبض عليه ، يقال له في بر العثمانين كالكل . وهو نوع من الدخن يستعمله فقراء تلك البلاد خبزاً وربما استعمله أغنياؤها في سنين القحط والمجاعة . وأوان بذره وإدراكه كالذرة البيضاء ويوجد في أنطاكية وقراها حب أشبه بالشعير ، إلا أن حبته أرق من حبة الشمار ، يزرعه أهل تلك الجهات علفاً لدوابهم ، ويرون أنه أنفع لها من الشعير ولا سيما في الأيام الحارة ويسمونه الشوفان^(١) . ومن الحبوب الكثيرة الفائدة في ولايتنا الأرز ، وهو أنواع عديدة ، ويزرع منه مقدار عظيم على السبخ في سهول العمق وجهات مرعش . وأوان زرعه اليوم الرابع عشر من آذار (مارس) ويدرك في أيلول (سبتمبر) . ومن الحبوب الكثيرة الاستعمال اللوبيا وتزرع في بساتين

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١١٦ .

حلب وبلادها وعلى شطوط نهر الفرات ، وأوان زرعها نيسان (ابريل) وتدرک في حزيران (يونيه) ، وما هو من فصيلتها نوع يقال له الفاولة والبعض يسميه فاصولية ، وتزرع سقياً في البساتين فقط في الربيع ، وتدرک بعد مدة قليلة ويتوالى قطفها إلى أواسط الخريف ، وهي واللوبيا يطبخان بغلافهما أخضر ويطبخ حبهما فقط يابساً ، وربما جففتا بغلافها في حال غضاضتهما ، ثم استعملتا طبخاً . وما هو شبيه بالحبوب حب الخروع يزرع في بساتين حلب وأكثر قرى ولايتها عذياً ، وأوان زرعه في حلب وقرها من آذار (مارس) إلى أواسط نيسان (ابريل) ويدرك في حزيران والسّمسم والقطن يزرعان في نيسان (إبريل) عذبين .

-الخضر والبقول والفواكه وغيرها -

ومنذ سنوات قليلة شاع في بعض بساتين حلب وقرها زرع البطاطة ، ونجح سقياً وعذياً ، وشاع في بعض بساتين حلب زرع توت الأرض المعروف عند العثمانيين باسم جِلْكَ (الفراولة) ، وهو ثمر يضارع الفرصاد بشكله ، لطيف يعمل منه مشروب لذيذ وينفع من داء النقرس ، حتى قيل إنه هو الدواء الوحيد لهذا المرض ، وهو مما حدث زرعه في حلب وبعض قرها سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) . ويزرع في حلب وقرها الشونيز المعروف بالحبّة السوداء أو بحبة^(١) البركة والشمرة والكسفرة والأنيسون والخشخاش البستاني والعصفر ، تزرع في نيسان (إبريل) سقياً وعذية وكلها تدرک في حزيران (يونيه) وفي مفردات ابن البيطار^(٢) عن بعض أعراب حلب أن القطن يعظم عندهم شجرة حتى يكون مثل شجر المشمش ويبقى عشرين سنة . قلت هذا النوع من القطن لا يوجد الآن عندنا ، والشهدانج المعروف عندنا بالقنيز وهو حب القنب يزرع على السيح

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١١٧ .

(٢) ابن البيطار . الجامع . ج ٤ ، ص ٢٧١ .

في جهات الرها والعمق والباب ، وأوان زرعه أذار (مارس) ويدرك في تشرين الأول (أكتوبر) . والبطيخ الأخضر ويعرف عندنا بالجَبَسْ وأظن أن هذه اللفظة محرفة عن (الدبسي) وهي اسمه عند سكان جهات الزور وأعرابها ، وسموه بهذا الاسم لأنهم يعملون منه الدبس المعروف والجبس ، يكثر في ضواحي حلب ونواحيها جداً حتى يباع رطله بعشرين بارة ، وهو كبير الحجم قد تبلغ زنة الواحدة منه أربعة أرتال حلبية ، وهو حلو الطعم لذيد جداً لا نظير له في أكثر بلاد سوريا ، وهكذا كان في حلب من قديم الزمان ، وقد ذكره ابن الشحنة^(١) في عداد الأمور المختصة بحلب حيث قال : ومنها البطيخ الأخضر وهو الذي يسميه الأطباء الري ، وربما سموه كما يسميه أهل حلب الزبش ، وهو شديد الحلاوة رقيق الجلد ، ينسبونه في حلب إلى الشوش فيقولون الشوشي ، وهو من المفردات المفقودة في غير حلب من البلاد ، ويجلب بزره إلى غزة من البلاد الشامية في كل سنة ، ويزرع فيخرج في سنته على تلك الخاصة ، صادق الحلاوة . ثم يزرع بزره في السنة الثانية فلا يجيء مثل السنة الأولى وناهيك دليلاً على جودة بطيخ حلب ما أجاب به شهاب الدين السهروردي المقتول^(٢) وقد قيل له وهو يقيم بحلب : إنهم يريدون قتلك فأخرج منها ، فقال : حتى أكل بطيخها وأخرج . والبطيخ الأصفر أنواع كثيرة معظمها نوعان : يعرف أحدهما بالسلطاني والآخر بالعنداني ، والأول هو الأطيب والأحلى وهو المعتبر في أنواع البطيخ التي تزرع من بذرتها في كل سنة والثاني أكثر ماء من الأول ، لكنه دونه في الحلاوة وطيب الرائحة وهذان النوعان يبتدئ نضجهما من أول تموز (يوليه) ، فيتوالى قطافهما إلى أوائل الخريف وربما امتد السلطاني إلى ما بعد العنداني . وأما بقية أنواع البطيخ الأصفر فمنها ما يؤكل في الخريف ومن هذا النوع بطيخ يجلب إلى حلب من البيرة ، لذيد جداً ، ومنها ما يؤكل في الشتاء وهو أنواع

(١) ابن الشحنة الحلبي . الدرر المنتخب . ص ٢٥٣ .

(٢) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١١٨ .

كثيرة ، ومنها ما تستجلب بذرته من إزمير وغيرها ، وتزرع في بلاد حلب .
 وجميع أنواع البطيخ التي تستنبت في قرى حلب سواء كان أخضر أم أصفر ،
 تزرع في عاشر نيسان (ابريل) سقياً وبعلاً وهو الأكثر والأجود ، وتدرک في تموز
 (يوليه) ويتوالى قطفها إلى أواخر الخريف عدا السلطاني والعنداني المتقدم
 ذكرهما فإن قطفهما ينتهي في أوائل الخريف . والمفهوم من كلام ابن الشحنة
 أنه كان يخرج في بلاد حلب بطيخ أصفر يعرف بالسمرقندي والكمالي قال :
 وهو عديم النظير في الشام ، وقد زرع بزر السمرقندي ببعض قرى دمشق فجاء
 طيباً للغاية ، لكن غالبه مشوش ، ثم نقل إلى القاهرة فجاء في غاية الحلاوة ،
 لكنه رخو جداً كثير الماء قال : وبحلب نوع آخر من البطيخ يسمى البابي .
 قلت : الأنواع التي ذكرها ابن الشحنة لم تنزل توجد عندنا حتى الآن ، غير أن
 أسماءها قد تبدلت . ومن المحاصيل الأرضية أيضاً الخيار وبذره يجلب في كل
 سنة من جهات مرعش^(١) ؛ لأنه إذا زرع من بذر الحلبي أثمر خياراً طويلاً غليظاً
 ومنها العجور وهو شبيه بالخيار ، إلا أنه مزغب مخطط بلون يميل إلى البياض ،
 ويستعمل نيئاً ومطبوخاً . قيل وهو من خصائص حلب وقرائها . ومنها القثاء
 وهي أنواع شتى طويلة مخططة بيضاء ، قد يبلغ طول الواحدة منها ثمانين
 سنتيمتراً في غلظ عشرين سنتيمتراً ، أو قصيرة مخططة خضراء دون الأولى ،
 وكلها تؤكل نيئة ومخللة كالخيار ، وأوان زرع هذه الأنواع الثلاثة وإدراكها وقطفها
 كالبطيخ والخيار يزرع مرة ثانية في آب (أغسطس) ويدرك في أيلول (سبتمبر) ،
 وكلها برية وبستانيّة . ومنها القلقاس يزرع في تشرين الأول (أكتوبر) في سويدية
 أنطاكية ، ويدرك بعد سنة . وقد استنبت بحلب مدة فلم يصادف رواجاً . ومنها
 أنواع اليقطين كالقرع السلاحي الطويل الأملس والشتوي المكبب الذي قد يبلغ
 محيط الواحدة منه مائة وعشرين سنتيمتراً ، والكوسة وهو على هيئة الخيار
 الأبيض ، وأوان زرعها وإدراكها وقطفها كالبطيخ وتكون سقياً وعذية ، ولا

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١١٩ .

تستعمل إلا مطبوخة . ومنها قصب السكر ومحل زرعه جهات عينتاب وأنطاكية ، ويزرع في الربيع سقياً ويدرك في الخريف . ويستعمل مصاً ولا يستخرج منه سكر ؛ لقلته وعدم وجود آلة لاعتصاره . ومنها القصب الفارسي وهو من النباتات الخالدة ويوجد في جميع بساتين حلب ووجهات ولايتها ويجمع في أواخر الشتاء وأوائل الربيع ، وتتخذ منه مظلات لليهود في عيد المظال ، وعرائش لشجر الكرام المستنبت في البيوت والبساتين ولنحو النباتات الخالدة الزهرية كالياسمين والنسرين ، وتصنع منه مشاط النسيج وفواصل^(١) الحياكة وغير ذلك ومنها التبغ المعروف بالتوتون وهو المستعمل بالسيغارة والغليون ، ويزرع في حلب وجميع جهات ولايتها سقياً وعذياً . وأجوده المستنبت في ناحية باريشا في قضاء حارم . وقد قل زرعه في هذه الأيام ؛ لكثرة الضرائب الموضوعة عليه من قبل إدارة انحصار الدخان المعروفة بشركة رَجِي ، ويزرع في الربيع ويحول بعد أن ينبت ويدرك في تموز (يوليه) ويتوالى قطافه إلى تشرين الأول (أكتوبر) . ومنها الباذنجان الأسود في بساتين حلب ووجهات ولايتها والأبيض الكبار في تادف والباب . وكلا النوعين يزرعان سقياً وينوعان مطبوخين إلى عدة أنواع ، والأسود يبذر في حلب في أواخر شباط (فبراير) فينبت بعد أربعين يوماً ثم يفرق ويحول وبعد أربعة أشهر من زرعه يثمر ويتوالى قطافه أربعة أشهر ويقال عنه في المثل : أربعة في الجراب وأربعة في التراب وأربعة على ظهور الدواب أي أن بذره يبقى مخبوءاً في الأجرية أربعة أشهر ثم يزرع فيبقى أربعة أخرى ثم يثمر فيدوم ثمره على ظهور الدواب أربعة أشهر . ومنها الباذنجان الأحمر المكبكب المعروف بالبندورة والطماطم ، يزرع سقياً مع الأسود ويثمر قبله بقليل ويتوالى قطافه إلى أوائل الشتاء . واستنباته حادث في حلب وأعمالها استجلب إليها من مصر سنة ١٢٦٨هـ (١٨٥٢م) وكان الناس يعافون أكله ثم ألفوه أشد ألفة ، وكثرت زراعته حتى صار يباع رطله الحلبي بعشرين بارة ، وكثيراً ما

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٢٠ .

يستجلب إلى حلب من البلاد الساحلية قبل إدراكه في حلب . ومنها الفلافلة الحمراء القرنية الهيئة وتقطف في أولها خضراء تستعمل مخللاً ثم تقطف حمراء وتدخر لتفويه بعض الأطعمة ، ويوجد منها نوع حلو^(١) غير حريف أخضر وأحمر ، يستعملونه مخللاً وكلها تزرع سقياً في أوان زرع الباذنجان . ومنها أنواع الكرنب كالذي له ورق كالسلق ملتف على بعضه ويعرف عندنا باللخنا ، والذي له ورق كالسلق ملتف قليلاً على زهره ويعرف عندنا بالقرنبيط ، والذي ليس له الأوراق قليل ، والمستعمل منه جذعه ، ويعرف عندنا بالكرنب ، وكلها تزرع سقياً في أذار (مارس) وتحول شتلاً في حزيران (يونيه) وتدرک في كانون الأول (ديسمبر) . ومنها عود المكنس يزرع سقياً في أذار (مارس) ويقطف متى احمر بزره ، ومنها البامية تزرع سقياً وعذية في أذار (مارس) وتدرک في تموز (يوليه) ويتوالى قطفها إلى غاية تشرين الأول (أكتوبر) . ومنها البصل والثوم والكرات ويعرف عندنا بالبراصة ، وتزرع سقياً في أذار (مارس) وتدرک بعد شهر وقد تزرع مرة ثانية في تشرين الأول (أكتوبر) وتدرک في أواخر الشتاء . ومنها السلق والاسفاناخ ويزرعان سقياً في نصف آب ويدركان في تشرين الأول ويتوالى قطفهما إلى آيار (مايو) . ومنها المقدونس والكرفس والرشاد وحشيشة الوادي تؤكل نيئة بالحمض والزيت وتعرف عندنا باسم درّه اوتي ، وهو اسمها التركي ، وهي نوع من الشمرة والخس ونوع منه يقال له الكبوس ، يستعمل كحشيشة الوادي والهندبا وكلها تزرع سقياً في إيلول (سبتمبر) وتدرک في شباط (فبراير) وتقطف إلى غاية نيسان (ابريل) . ومنها الرجلّة المعروفة عندنا بالبقلة تزرع سقياً في نصف أذار (مارس) وتقطف من أواخر نيسان (ابريل) إلى أواخر الصيف ، وربما زرعت مرة ثانية في تموز (يوليه) وقد نبتت بنفسها في بعض جهات ولاية حلب . ومنها الملوخيا تزرع سقياً في أول أذار (مارس) وتدرک بعد شهرين وتقطف إلى تشرين الثاني (نوفمبر) . ومنها الخرشوف المعروف عندنا

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٢١ .

بأرضي شوكي ويزرع سقياً^(١) وعذياً ورقاً منه في تشرين الأول (أكتوبر) أو في شباط (فبراير) ويثمر في العاشر من نيسان (أبريل) ويصير من النباتات الخالدة . ومنها الجزر والشوندر يزرعان سقياً في تموز (يوليه) وتعلف الدواب من ورق الجزر والشلجم المعروف عندنا باللفت والفجل ويزرعان سقياً في إيلول (سبتمبر) وكلها تدرك في تشرين الثاني (نوفمبر) وتؤكل إلى أوائل نيسان (أبريل) . ومنها الحلبة والفصّة ويزرعان سقياً في أيلول ويدركان في الربيع علفاً للدواب وتصير الفصّة خالدة كلما قطفت نبتت . هذا ما تيسر استقصاؤه من المحاصيل الأرضية المستنبّطة في بساتين حلب وبعض قراها وبلادها .

-النباتات الشجرية -

الكرم(العنب)

الأشجار التي توجد في بساتين حلب وأعمالها وجبالها : منها شجر الكرم الذي لا تكاد أنواعه تدخل تحت الحصر ويزرع سقياً وعذياً أقلاماً في أواسط شباط (فبراير) ويثمر عنباً بعد ثلاثة أعوام في تموز (يوليه) ويقطف إلى أوائل الشتاء متعاقباً على اختلاف أنواعه ، ويعمل من الأبيض منه في عينتاب ومرعش وبيلان العرق المسكر وأنواع الحلاوي كالدبس والبصطيق (جلد الفرس) ، ومن الأسود منه الخمر والخل . ويوجد منه نوع أسود حالك في جهات القصير يعرف بالبخاري ، يتغالى شراب الخمر في خمرة ويباع منه كل سنة في حلب قناطير مقنطرة ؛ لأجل اعتصاره خمراً وكلها تيبس زيبياً . أما العنب الموجود في برية حلب ووجهة تادف والباب فلا يستعمل لغير الأكل . وقد أدركنا حلب وليس في بريتها شيء من هذا الشجر ثم في سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م)^(٢) التفت الناس لغرسه فنجح وكثر حتى عم برية حلب وأكثر أنواع هذا الشجر

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

موجود في البيوت والبساتين من حلب وأعمالها ، وتعظم شجرته وتحمل على عريشة ينتفع الناس من حصرمها وورقها كثيراً وعنبها قليلاً ، وربما ظلت الدالية في بيوت حلب مسافة عشرين ذراعاً في مثلها وقد يبلغ حملها من الحصرم إذا كانت سباعية قنطارين بالوزن الحلبي والسباعية هي التي تحمل في كل عام سبع مرات متوالية .

الزيتون:

ومنها شجر الزيتون وهو نوعان زيتي للزيت وخلخلي يحلى بالماء أو بالقللا والكلس ويؤكل فقط ، وأكثر زيتون بساتين حلب من الخلاخلي وقلما يسلم من الصقيع ومعظم النوع الأول في كليس ، وهو أجود أنواعه ثم في القصير ثم في سلتين ثم في أدلب فأرمناز وكفر تخاريم ومرعش ، ويزرع قطعة من أصول جذعه في أربعينية الشتاء ويثمر مع الخدمة والاعتناء بعد سبعة أعوام ويدرك في أيلول (سبتمبر) .

الفسق:

ومنها الفستق ويكون أنواعاً عديدة وهو من خصائص مدينة حلب في سوريا ، ومحلّه الآخر جبال قلعة الروم وفيها معظمه ، ثم في جهات برية حلب فقط . وكيفية زرعه أن ترمي منه حبة في الأرض في أول الأربعينية وتتعهد بالسقي مدة سنتين وتكون قد نبتت بعد ثلاثة أشهر من رميها ثم بعد السنتين تحول نبتة (شتلة) إلى حفرة لها وتتعهد بالسقي مدة سنة ، ثم تترك حتى يتم على تحويلها أربعة أعوام وحينئذ تصير شجرة في ارتفاع قامة الإنسان فيعظمونها من النوع المطلوب ببراغمه ويعرف عندنا بطعم السمسم ، فثمر من ذلك النوع ويقطف الفستق من تموز (يوليه) إلى أواسط آب (أغسطس) وشجرته لا تثمر من غير تطعيم^(١) وربما أثمرت بُطماً أو فستقاً فارغاً صغاراً يعرف بالشرقي .

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٢٤ .

التين:

ومنها التين وهو أنواع كثيرة أيضاً وكان كثيراً في بركة حلب وجميع جهات ولايتها . قال ابن الشحنة : وبها التين الذي لا يوجد نظيره في بلد من البلاد ، لا في شكله ولا في مقداره ولا في طعمه ولا في كثرته ، فقد بيع منه والمملك الأشراف ابن سيباي بحلب عشرة أرتال حلبية بدرهم فضة . ومنه نوع يقال له الماسوني تبلغ الحبة منه ستين درهماً أو أكثر والسلطاني وهو أجوده والورداني وهو أسود . قلت : والذي أدركنا عليه حلب أنه لم يكن فيها من هذا الشجر إلا القليل النادر وكان يجلب إليها التين من قرية الأنصاري وبلد الحلقة كترمانين وتقاد ثم في حدود سنة ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) غرس منه بستان في جبل الشيخ محمود في شمالي حلب على غلوة منها ، ثم تتابع غرسه في أطراف حلب حتى كثر وأثمر بمدة وجيزة وصار يباع الرطل الأخضر منه بقرش وهو غاية في الجودة . ومع هذا فإنه يوجد منه مقدار كثير في جميع جهات الولاية ويباع منه في التجارة يابساً مبالغ كلية . وكيفية زرعه أن يغرس منه قضيب في أوائل شباط عذياً فيثمر بعد ثلاثة أعوام ويقطف في عشرين تموز (يوليه) إلى أوائل أيلول (سبتمبر) . ويوجد منه نوع لا ينضج إلا في الشتاء وقد يحتالون على تعجيل نضج التين بوضع قطرة من الزيت في ثقب الثمرة ومنها شجرة التين الذكر ويعرف عندنا بالتوب ، والمراد من هذا الشجر ثمرته الشبيهة بالتين الفج ؛ لأن بها تكون مادة التلقيح التي لا يصح التين إلا بها . وهذا الشجر يزرع قرب شجر التين فيتم به التلقيح المطلوب . وكيفية زرعه كشجر التين على السواء^(١) .

اللوز:

ومنها شجر اللوز الحلو والمر ويجنيان في بساتين حلب في هيار (مايو) أخضرين ويعرفان بالعقابية ويكثران في جبل الزاوية وجبال القصير وبقية جبال

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٢٥ .

الولاية ويقطفان فيها يابسين في تشرين الأول (أكتوبر) ويزرعان حبة في الشتاء تبقى من سبع سنوات إلى عشر وتثمر .

الصنوبر:

ومنها الصنوبر وهو كثير منتشر في أكثر جبال الولاية ؛ لكنه يعرف بالأرز لعدم ثمره ولا يثمر منه إلا قليل في لبنان وجبال مرعش .
الصنوبر : ومنها الصنوبر وهو كثير منتشر في أكثر جبال الولاية ، لكنه يعرف بالأرز لعدم ثمره ولا يثمر منه إلا قليل في لبنان وجبال مرعش .

العفص:

ومنها العفص والجهرة وينبتان بنفسهما في جبال مرعش ويقطفان في آب (أغسطس) .

السماق:

ومنها السماق ويوجد في بساتين حلب وجميع جهات الولاية ويعيش عذياً ويزرع شتلة أي فسيلا من فروعه وينمو ويثمر بعد سنتين ويقطف في عاشر تموز (يوليه) . وهذه الشجرة إذا انتشرت في أرض صعب استئصالها .

الزعرور:

ومنها الزعرور ويوجد في بساتين حلب وجميع جهات الولاية وينبت بنفسه ويقطف في تشرين الأول (أكتوبر) ، ومنه نوع كبار لذيد الطعم يعرف بتفاح الجبل ؛ لاختصاصه به وهو يبشر بالشتاء كما أن عجور الجبل يبشر بالربيع وفي المثل العامي (اللي يبشر بالعجور بده عبايه واللي يبشر بالزعرور بده ألف عصايه) .

التفاح:

ومنها التفاح والموجود منه في حلب وبساتينها على تسعة أنواع : الأول منها ما يقال له عرب كرلي ويزرع فسيلاً في صناديق صغار في البيوت ، ويثمر من سنته وشجرته دون قامة الإنسان . ووجود هذا النوع حادث في حلب . الثاني يقال له المسكي ويزرع في البساتين كبقية الأنواع الآتية وحبته تكون في حجم الجوزة الكبيرة وطعمه حلو ولونه أحمر قائم ويشم منه ريح المسك الثالث يقال له الحديدي وهو نوع من المسكي إلا أن في طعمه حرافة وقبض^(١) ولهذا يستعمل غالباً للاستقطار . الرابع يقال له خيامي نسبة إلى قرية من قرى عينتاب تبلغ حبته إلى خمسين درهماً رحوى الشكل أبيض أحمر مز الطعم . الخامس يقال له الفلكي وهو دون الخيامي حجماً أصفر اللون ظاهراً وباطناً . السادس يعرف بالليموني ؛ لشبهه بالليمون الحامض شكلاً أبيض أصفر يميل طعمه إلى الحموضة . السابع يعرف بالقصيري البلدي شبيهه بالمسكي حجماً أخضر أبيض حامض الطعم . الثامن يعرف بالخشخاشي ؛ لشبهه بالخشخاش حجماً أبيض أخضر حلو الطعم . التاسع يعرف بالأبلق كأنه سفرجلة صغيرة حلو الطعم . فهذه الأنواع هي التي توجد في حلب وبساتينها ويجلب إليها من القصير وديركوش نوع شبيهه بالقصيري البلدي يعيش هناك عدياً وكلها تزرع فسيلاً في الكانونين (ديسمبر ويناير) وتدرك بعد أربعة أعوام وتقطف ثمرتها من هيار (مايو) إلى أواخر حزيران (يونيه) سوى الأبلق ، فإنه يدرك في أيلول ويجلب إلى حلب من دمشق والزبداني أنواع من التفاح ويجلب شتاء من عينتاب وملطية وغيرهما أنواع كثيرة منه .

الكمثري:

ومنها الكمثري ويعرف عندنا بالعمروط وهو ثلاثة أنواع أحدها يعرف بقوجه

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٢٦ .

حمزة تبلغ حبته ١٠٠ درهم . وثانيها البستاني نسبة إلى البستان أصغر من الأول بقليل وكلاهما يوجدان في بساتين حلب . وثالثهما الريحاوي أصغر من الثاني ومحله جبل الزاوية . وكل هذه الأنواع تزرع كالتفاح وتقطف من آب (أغسطس) إلى تشرين الأول (أكتوبر) ويجلب من ملطية إلى حلب شتاء نوع من الكمثرى كبار حلو لذيد جداً .

السفرجل:

ومنها السفرجل ويوجد في بساتين حلب وأكثر جهات ولايتها وهو نوعان شتوي كبير (٢١) الحجم كأنه الرمان يميل لونه إلى الخضرة يقطف من أيلول (سبتمبر) إلى تشرين الأول (أكتوبر) وصيفي كالأول حجماً وطعماً وقطافاً سوى أن لونه أصفر ويزرع فسيلاً في الشتاء ويثمر بعد خمسة أعوام . ويوجد منه نوع آخر يقال له الصيني كبار مستطيل لا يؤكل نيئاً لشدة حرافته وقبضه ويستعمل للتربية أو يوضع في البيوت لشم ريحه . ومنها نوع شبيه بالبرقوق يعرف عندها بالجان أركُ وهو سبعة أنواع : الأول أخضر كبار مكبكب في حجم بيضة الطير حلو الطعم يعرف بالأفرنجي . الثاني صغار كالزيتون لوناً وحجماً حامض جداً يعرف بالخالخلي . الرابع المشبه أي الشبيه بالأفرنجي أي أن طعمه حامض . الخامس المعروف بالشحمي ؛ لميله إلى البياض حلو الطعم في حجم الأفرنجي . السادس أبو سره حامض . السابع الأبلق أحد وجهيه يميل للبياض والآخر أحمر قائم . وكلها تلقح على القراصية والأجاص وقلب الطير والخوخ سمسة ونشابة وتدرك في هيار/أيار (مايو) وتدوم إلى حزيران (يونيه) إلا الأبلق فإنه يدرك في تموز (يوليه) ويدوم لآخر آب (أغسطس)

المشمش:

ومنها المشمش وهو خمسة أنواع: الأول العجمي أصفر وبرتقالي أو يميل إلى الخضار في حجم بيضة الدجاجة الصغيرة حلو طيب الرائحة كثير الماء وهو عندنا أقل الأنواع واندرها. الثاني الحموي في حجم العجمي حلو له رائحة عنبرية أبيض أحمر وهو نادر أيضاً. الثالث الشحمي أبيض ناصح دون الأولين حجماً حلو الطعم الرابع سندياني دون الشحمي أبيض أحمر. الخامس الكلابي وهو أصغر الأنواع حجماً وأكثرهما، وكلمة كلابي فارسية مركبة من كول وهو الورد^(١) وآب وهو الماء ومعناها الماوردي. وسمى هذا النوع من المشمش بهذا الاسم؛ لطيب نكهته التي لا يوجد نظيرها في بقية أنواعه. وجميع أنواع المشمش التي ذكرناها تزرع عجواً ينبت بعد أربعة أشهر ويبقى سنتين ثم يحول وبعد مضي سنتين من تحويله يلقح من النوع المطلوب سمسمة أو نشاباً فيثمر بعد سنتين ويقطف في أواسط حزيران (يونيه) الشرقي ويدوم نحو شهر واللوزي من هذه الأنواع قد يلقح على شجر اللوز فنجب ومنها الصبار المعروف عندنا بتين الصبار ولا يوجد منه في حلب إلا شجيرات لا تثمر ويوجد في إسكندرونة كثيراً.

الدراق:

ومنها الدراق المعروف بمصر بالخوخ وهو أنواع ستة كبيرة الحبة يميل لونها للحمرة لوزية العجوة ومخملية الملمس وبرتقالية اللون ومخضرتة إلى بياض يقال لها المزيق وكلاية أي ما وردية وعينتابية، وكلها تزرع عجوة تحول بعد سنة فتدرك بعد سنتين وتلقح من بعضها وتقطف من أول آب (أغسطس) إلى غاية ايلول (سبتمبر). ومنها القراصية وهي نوعان: بلدية وفرنجية والأولى حلوة وحامضة والثانية حلوة جداً مصفرة اللون إلى الخضرة وهي عندنا نادرة قليلة

(١) الغزي، نهر الذهب، ص ١٢٨.

ومنها نوع يقال له قلب الطير لشبهه به ومنها الأجاص وهو كقلب الطير لو لا انعطاف قليل من رأس حبته ومنها الخوخ وهو كالأجاص إلا أن حبته أكبر منه بكثير وهو أنواع قيصري وزجاجي وغيرهما وكلها لذيد يندر وجودها في غير حلب ، وهو ما قبله يزرع فسيلا من شجرتة ويدرك بعدم خمسة أعوام وتقطف ثمرته في ايلول (سبتمبر) وتدوم إلى نحو شهر .

الرمان؛

ومنها الرمان وهو خمسة أنواع : الأول يقال له مليسي أصفر باهت رقيق القشر^(١) لا تزيد الواحدة منه على خمسين درهماً حبه أبيض مضمحل العجم جداً وهو عندنا أرفع أنواع الرمان وأندرها ، ويوجد في بساتين حلب قليلاً وبالرها كثيراً . الثاني يقال له صهيوني أخضر أصفر قد تبلغ الواحدة منه أربعمئة درهم أبيض الحب محمرة قليلاً صلّب العجم يوجد منه في بساتين حلب وتادف والباب ودير كوش وغيرها . الثالث يقال له المصري قد تبلغ الواحدة منه مائتي درهم ياقوتي القشر والحب صلّب العجم الرابع صفروني أصفر القشر إلى البياض أبيض الحب قد تبلغ واحدته مئة درهم صلّب العجم . الخامس يعرف بالأسود ؛ لسواد لون قشرة رديء الحب لا يؤكل غالباً إنما يستعمل هو وقشره في قوابض المعدة ولجميع قشر الرمان رواج عظيم في الصبغ والدباغة ويوجد في كل نوع منها الحلو والحامض والمز ويزرع وتداً أو فسيلا يحول ويدرك بعد ثلاثة أعوام ويقطف في آب (أغسطس) إلى آخر أيلول (سبتمبر) . ومنها الآس ويوجد في بيوت حلب قليلاً وبساتين أنطاكية وجبالها كثيراً ويستعمل ثمره للأكل ومسحوق ورقه مع الزيت شدوداً للأطفال الرضع وأعواده الدقيقة مكانس ويزرع في البيوت حبة وفي الجبال ينبت بنفسه ويثمر في الخريف ومنها الجوز ويكثر في حلب وعينتاب ويزرع حبة منه في الشتاء وتنت في آذار (مارس) وتحول

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٢٩ .

بعد ثلاث سنين ويدرك بعد ثمان إلى عشر سنين وحينئذ يدهن جذعها في كل عام يوم أربعة الزوبعة منطقة بصبغة تراب المورة المعروفة عندنا بالمغره زعما أن هذا يخلصها من الدود وتقطف في ثاني عشر ايلول (سبتمبر) وقد يبلغ حمل الشجرة إلى خمس وعشرين^(١) ألف حبة .

الكرز:

ومنها الكرز ولا أعرف اسمه الحقيقي وهو أربعة أنواع : إستانبولي أبيض أحمر حلو الطعم وعجمي أحمر قاتم حلو وافرنجي احمر قان حامض ووشنة أسود كميتم مز وحبته مكبكة عنبية النضج في عجم حبة العنب وأنواعه الثلاثة تلقح على الوشنة وشجر المحلب وتدرک بعد سنة والوشنة تزرع فسيلا وتدرک بعد أربع سنوات وكلها تقطف من هيار (مايو) إلى أوائل حزيران (يونيه) ويصنع من الوشنة المربى الذي لا نظير له في المربيات في اللذة .

التوت:

ومنها التوت وهو شامي وهزیز : فالأول هو الفرصاد أسود عند استوائه أحمر قبله كبير الحبة مز الطعم إذا استوى حامضة قبل ذلك والثاني يكون أسود وأحمر وأبيض حلو إذا استوى ويقطف بهز شجرته ولهذا عرف بالهزیز أو بضرب أغصانه بهراوة بعد أن يفتح تحت الغصن ملاءة كبيرة تعرف بالقلع والشامي يقطف باليد حبة حبة ويوجد من النوع الثاني مقدار عظيم في أنطاكية والسويدية . وتلك الجهات يعانون زرعه بقصد ورقة ؛ لتربية دودة القز فينجب هناك جداً ويحصل منه قناطر مقلنة من الحرير الجيد وربما ربوا الدودة المذكورة على ورق التوت في بساتين حلب ؛ لكنها لا تنجب عليها كتوت أنطاكية والسبب في ذلك خشونة ورقة لقدم شجره بخلاف ورق توت أنطاكية وما

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣٠ .

والاها ، فإنه غرض رخص لحدائثة شجره وعنايتهم به ويوجد في بساتين حلب نوع من التوت لا عجم له أبيض حلو يعرف بالعجمي أو بالعرب كيرلى وهو حادث منذ سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) وكل أنواع التوت تزرع فسيلا وتلقح من بعضها وتدرك بعد سنة وتقطف بهيار (مايو) وتدموم نحو شهر والشامي يقطف^(١) من حزيران (يونيه) إلى أواخر آب (أغسطس) ومنها شجر العناب وهو قليل في حلب وجهاتها عدا أنطاكية فإنه كثير بها . ومنها الجلوز ويعرف عندنا بالبندق يزرع حبة ويشمر بعد خمسة أعوام ويقطف أخضر من تموز (يوليه) إلى آخر آب (أغسطس) .

البرتقال:

ومنها البرتقال وما هو من فصيلته كالليمون الحلو والحامض والكباد والاترج والنانج وبرتقال الدم والمالطي المعروف عندنا بيوسف أفندي والليمون الهندي المعروف بالأنان وكلها مخصوصة بالبيوت في حلب . ولأهل حلب عناية عظيمة بهذا الشجر بحيث لا يكاد يوجد منه نوع إلا وهو موجود في بيوتهم . ومع هذا فهو لا ينجب إلا بمشقة عظيمة من السقي والتسميد ومحافظة من البرد . ولا يوجد منه الآن شيء في البساتين كما يفهم من كلام دارفيو على ما قدمناه في الكلام على تربة حلب وهو كثير جداً في أنطاكية وجهاتها الغربية وينقل منها إلى حلب . وقد استجد منه جانب عظيم في جهات إسكندرونة المعروفة بالجايات وصار ينقل منها إلى حلب الوف من الأحمال ويباع فيها الرطل الحلبي الصالح للعصير بستين بارة ويجلب منه مقدار عظيم من طرابلس الشام وجهاتها ويستخرج من زهره في جميع الجهات ماء الزهر ويباع منه في حلب مبلغ عظيم وهو يزرع في حلب بزرا يشمر بعد سبعة أعوام على الغالب أو يزرع فرعاً منه بعد استنبات جذوره بواسطة ادخاله في إناء مملوء تراباً وتعدهه بالسقي مدة أشهر

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣١ .

وهذه الوساطة تعرف عندنا بالداروخ ويطعم من بعضه سمسمه كثيراً ونشاباً قليلاً وكل أنواع البرتقال تزهر في نيسان (ابريل) وتقطف في كانون (ديسمبر) الأول وتدوم إلى السنة الثانية^(١) بحيث يجتمع في الشجرة الأصفر والأخضر والزهر والمفهوم من كلام المسعودي في مروج الذهب أن أنواع البرتقال لم تكن موجودة في بلادنا قبل الثلاثمائة ؛ وإنما حمل من أرض الهند إلى غيرها بعد التاريخ المذكور فزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق وانشام حتى كثر في دور الناس في طرسوس وغيرها من الثغور الشامية وأنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف وينقله من الهند عدت منه الرائحة الخمرية الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بارض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد اهـ .

الأنكي دنيا

ومنها الأزكي دنيا أو الأنكي دنيا الشبيهة بالمشمش إذا نضجت المشتملة حبتها على عدة عجوات كبار وثقل في بيوت حلب وتكثر في جهات انطاكية وتزرع حبة لثمر بعد سبعة أعوام إذا خدمت جيداً ويجلب منها من انطاكية إلى حلب مقدار عظيم وتقطف في نيسان (ابريل) وتدوم إلى تموز (يوليه) ومنها النخل وهو بما لا أثر له في حلب بعد أن كان يوجد فيها كما يفهم من كلام أحمد الصنوبري في قصيدة اثبتناها في ترجمته ولا يوجد منه في بلاد حلب سوى القليل في بيرة أسكندرونة هذا معظم الأشجار المطلوبة لثمرتها .
الأشجار غير المثمرة : وأما الأشجار التي يطلب منها منفعة أخرى فهي كثيرة جداً ، منها ما يوجد في بيوت حلب وبساتينها وبساتين بلادها ، ومنها ما هو خاص بجبال ولايتها . فالأول أنواع كثيرة .

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣٢ .

السرو:

منها شجر السرو بنوعية الهرمي والصيواني وقد أدركنا منه القليل في مدينة حلب ثم فقد عن آخره . وكان يوجد فيها بكثرة ويقال إن مدينة حلب كانت من أحسن البلاد^(١) منظراً للقادم عليها ؛ حيث يشاهد مناراتها البيض القائمة بين شجر السرو المحيطات بقلمتها إحاطة الجند بالملك العظيم . وهو يزرع حبة منه ويعمر مئات من السنين ومنها شجر الغار ويوجد في حلب قليلاً وانطاكية كثيراً وقد يعمل من دهنه الصابون فيرغبه الناس لطيب رائحته .

الخور:

ومنها الخور القطراني الذي تبلغ شجرته عشرين قنطاراً حلبية ويعرف بالدلب ويستعمل خشبه في الظروف المكورة الخشبية وغيرها ومنه نوع له ثمر شبيه بالكرز الصغير حريف قابض يعرف بالموز والخور السلطاني يكون أبيض طويلاً أملس يستعمل جذوعاً لسقوف البيوت ويثمر في حلب ظروفها فيها ثقوب يخرج منها البعوض المعروف عندنا بالبق وهو كثير في عينتاب .

الصفصاف:

ومنها الصفصاف وهو نوعان : أحدهما مستقيم الأغصان عظيمة الشجرة يستعمل خشبه آلة للنجارة وعروقه ينسج منها سلات وأطباقاً ، جماعة يقدمون من بلاد وان إلى حلب في كل سنة ويلتزمون شجره من أصحابها ويستعملون عروقه فيما ذكر ويقال لهم عندنا سلات مكبات . وثانيهما منحنى الأغصان إلى الأسفل ويعرف عندنا بالمستحي ويراد منه حسن منظره .

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣٣ .

الزيزفون:

ومنها شجر الزيزفون ويوجد في الخنادق وأنطاكية كثيراً وفي غيرها قليلاً ومنها الدردار وهو شجر عظيم صلب الخشب يستعمل في آلات الفلاحة والزراعة وثمره لسان العصفور . المستعمل في الطب ويكثر وجوده في بساتين حلب .

الزفزخت:

ومنها الزفزخت وهو لفظ فارسي أصله اللازادخت واسمه العربي القيقب ومعناها بالفارسية الشجرة الحرة ؛ لأنها تحمي نفسها بثمرها وهو شجر يشبه ورقه ورق الدردار^(١) يثمر حباً كالزعرور ولا يؤكل لسم فيه ويستعمل عجوه مسابح ويزرع في أطراف بساتين حلب وبعض بيوتها نسيلا ويزهر في الربيع . ومنها شجر شائك لا يطول أكثر من قامتين بل يفتح صيواناً ويرسل عروقاً وفروعاً تحتك ببعضها وتتصل بالشجرة التي بجانبها فتكون كالسياج العظيم محيطاً بالبستان عوضاً عن الجدار ويسمونها الغبيرة ولثمر شبه اللوز الصغير بلا فرق بينهما لولا مرارة قليلة في لبها وكثيراً ما يؤخذ لبها ويستخرج مراره ، ويلبس بالسكر وهي تزرع عجوة في الشتاء وتثمر بعد ثلاثة أعوام

البيان:

ومنها شجر البيان والمقصود زهره لحسن منظره كأنه أصابع ملبسة بالفراء ويزرع قلما ويثمر من سنته .

العوسج:

ومنها العوسج ينبت في برية حلب ويجعل حطبه وقوداً ويدخل ورقه في الأحكال .

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣٤ .

الغرقد:

ومنها الغرقد وهو كبار العوسج ينبت في أطراف القرى الشمالية ويستعمله الفلاحون طبقاً لسقوفهم . هذا معظم الأشجار والنباتات التي توجد في بساتين حلب وبريتها وجهاتها . وأما الأشجار والنباتات التي توجد في جبالها المعشبة فهي كثيرة لا تكاد تدخل تحت حصر ، وبالجملة فإنه يوجد فيها جميع ما يوجد في جبال سورية فلا حاجة إلى إطالة الكلام بعده .

- النباتات المعدود بعضها من العقاقير الطبية -

الأعشاب الطبية:

لم أذكر في هذا الفصل من هذه النباتات إلا ما وقفت له على اسم مشهور في المفردات الطبية القديمة ؛ ولذا لم أذكر منها سوى القليل فأقول^(١) من النباتات المعدودة من العقاقير الطبية الموجودة في برية حلب وبعض جبالها هي : الحزنبل والقسط والدرونج العقاري والغافث والهليون والقنطريون وهو أنواع والحاشا والبادروج والعرطنيسا وهو يعرف عندنا بالمهدة والشيطرج وهو الخامشة والماميثا والبابونج ، وهو أنواع : البرشاوشان وهو كزبرة البئر والذباب وشيبة العجوز والبنج وعنب الثعلب ولسان الثور ولسان العصفور والاسطوخودس والبسفياج والسقمونيا وهي المحمودة ومنابتها في قضاء أنطاكية وجهات جسر الشغر واليبروح والافتيمون والغاريقون والنجيل وهو من أنواع النجم واكليل الملك والخزامي والحماض والخبازي والخيري والرنجس والزنبق وهذه الثلاثة أنواع عديدة والسوكران والراسن والعبيرا والسبستان والنسرين ويوجد في البيوت أيضاً ، والسعد العكوب وهو السلبين والسوسن والخطى وتوجد في البيوت أيضاً والكشوت وعرق السوس وهو كثير في جميع جهات الولاية ولا سيما في العمق وجهات انطاكية وينقل منه إلى أوروبا وأميركا مبالغ وافرة والسيسبان ويوجد في

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣٥ .

البيوت أيضاً والشبت والعليق والحلفاء التي تعمل منها الحصر وحبال الآبار وتكثر في السويدية والعمق وشقايق النعمان والنيلوفر والاشنان والحرملة ويكثران في جهات تدمر ويعمل منها القلي الكثير وثناء الحمار والسدر والخنثى والغاغاليس وهو فساء الكلاب والغاغية ويخص وجودها في البيوت وقرّة العين والقوة والزراوند وهو أنواع والقردمانا والقبار وهو الكبر واللفاع وبزر قطونيا واللوف والخردل والبذور^(١) والطباق والخريق ورجل الحمامة والعذبة والاقحوان هو أنواع واللاعية والفوتنج وهو أنواع والأبهل واللّوفا وهو الحي عالم ويوجد في البيوت أيضاً والعرعر وأذان الجدي وأذان الأرنب وأسد العدس والعنصل ويكثر في جهات انطاكية والسنبل والشيح والقيصوم والعبيشران والدفلي ويوجد منها في البيوت أيضاً وأنواع النعنع البري والبستاني والحرف وهو حب الرشاد والزوفا والحسك والافسنتين والانجرة والهندبا والجرجير وهو أنواع والبان والبنفسج ويوجدان في البيوت والبساتين والجبال والشقاقل وجوز مائل وحشيشة الزجاج والرياس وذنّب الخيل ورعى الإبل والصعتر ويزرع في البساتين أيضاً والكماء وهي تكون في بيرة حلب والصحراء الجنوبية والشرقية في سنة الخصب والنفل على أنواعه .

- النباتات المشهورة عند الحلبيين -

من تلك النباتات الجيجان الشبيه ظاهره بالعرطنيسا وهو من أجود مراعي النحل والسحلب وهو كثير في جهات مرعش وبيع منه في التجارة مبالغ كثيرة والبلسان بشجر يرتفع كشجر الرمان له ورق كورق الملوخيا وأغصان ملس ويزهر جماجم بيضاء تدخل الطب كثيراً وهو يوجد في البيوت كثيراً وغيرها قليلاً والجاي المعروف بالجاي الصيني يوجد في الجهات الجنوبية لكنه خفيف الطعم . قليل جداً . ومن الزهور التي يعتني الحلبيون بتربيتها في البيوت والبساتين -

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣٦ .

شجر الورد بأنواعه^(١) كالحوجم والجوري والوتيرة والقحابي ونوع يقطف سبعة أدوار يعرف بالسباعي وآخر ظاهر ورق زهرته أسود وباطنها أصفر والسباعي والجوري يكثر في البيوت والبساتين وجهات إدلب والقصير ويستقطر منهما الماء الطيب الرائحة ويباع منه في التجارة مقدار عظيم والجوري يعمل منه الحلبيون المربي اللذيذ المعروف (كولبشكر) : ومنها الياسمين الذي يعظم شجره ويعرش في البيوت كالدالية وهو أنواع كثيرة ومنها الياسمين البحري البصلي والزنبق وأنواع النمام والمنثور والفل المفرد والمضاعف والفاغية وزهر المسك والترجس بأنواعه وكثير من النباتات التي عدناها من العقاقير وأغرب ما يعتني به في البيوت نبات غرض له ورق كورق الصعتر تقريباً يقوم على ساق واحد ولا يرتفع أكثر من شبر إذا لمس بإصبع أو نحوه أدنى لمس انكمش على بعضه كأنه في غاية الحس والشعور ثم بعد برهة ينسبط ورقه ويعود إلى ما كان عليه وهو يعرف عندنا بالغناجة واطنه هو المعروف بالسنت الحساس أو العشبة المستحية .

إن الزهور في بيوت حلب كثيرة الأنواع ، لا تكاد تحصى وفي كل وقت يتجدد منها شيء كثير ، يستجلب بزهره من غير جهة ، وتسمية العامة باسم يلائم ذوقها فيه ، فلا نطيل بذكرها وفي هذا القدر كفاية .

(١) الغزي ، نهر الذهب ، ص ١٣٤ .

اهتمام مجلة المشرق اللبنانية بالزراعة في بلاد الشام والدعوة إلى تطويرها خلال الفترة (١٨٩٨-١٩٢٠م)

سهيلا سليمان الشلبي (*)

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة موقف مجلة (المشرق) من القضايا الزراعية ، والتعرف على كم المساحة التي أفردتها المجلة لها ، وكيفية تناولها وعرض المشاكل المتعلقة بها ، والحلول المناسبة لها .

والمشرق كما عرّفت نفسها على أنها مجلة كاثوليكية شرقية تبحث في العلم والأدب والفن ، صدرت في بيروت (١٨٩٨-١٩٥٠م) ، بإدارة آباء جامعة القديس يوسف ، وصاحب امتيازها الأب لويس شيخو^(١) . وقد جاء في مقدمة عددها الأول الصادر في كانون الثاني عام ١٨٩٨م «بأننا أخذنا منذ ذلك نجهز كل ما يقتضيه المشروع من اللوازم لتحقيق أمانى القوم ، فلم ندخر شيئاً من الوسع

(*) باحثة-المفرد- المملكة الأردنية الهاشمية

(١) الأب لويس شيخو: (١٨٥٩-١٩٢٨م) ماردني الأصل ، أحد أفراد الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية ، درس في لبنان وأوروبا قبل أن يصبح يسوعياً ، وأستاذ اللغة العربية في جامعتهم في بيروت ، (جامعة القديس يوسف) ، ظل محرراً لمجلة المشرق لسنوات طويلة ، له منشورات كثيرة تربو على الثلاثين مؤلفاً ، تتناول الأدب وتاريخه ، أشهرها كتاب (مجاني الأدب في حداث العرب) ؛ لمزيد من التفاصيل أنظر : فيليب حتي ، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٥٦٤ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : حتي ، تاريخ لبنان

لوضع المقالات التي رأيناها أنسب لفائدة العموم ، وأوقع لديهم مع تهيئة عدة فقرات ، وتُبدد جامعة لشذور آداب الدنيا والدين ومصنفات تاريخية وفنية ولغوية وطبيعية وغير ذلك من المعارف ، لم نستثن منها سوى السياسة ومتعلقاتها . . . واسم مجلتنا الجديدة ينطق بنفسه عن غايتنا ، ويقوم مقام لائحة مطولة لذا أثرنا باختياره أن نبين لأهل الوطن أن جل مرغوبنا التحري لكل الأبحاث المتعلقة بالشرق والطوائف الشرقية ، ونفضلها على ما سواها»^(١) .

صدرت المجلة حتى العام ١٩٠٧م بواقع عشرين في الشهر ، ثم أصبحت تصدر بشكل شهري ، وفي فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) توقفت عن الصدور .

جاءت موضوعات المجلة منسجمة مع ما ذكرته في مقدمتها من حيث التنوع ما بين مواضيع اجتماعية وأدبية واقتصادية وثقافية وصحية . وكان للقضايا الزراعية نصيباً من هذا الاهتمام ، لا سيما مع التدهور الذي كان يشهده القطاع الزراعي في تلك الفترة ، فحاولت (المشرق) وضع يدها على أسباب الداء ، والتوصية بالدواء الناجع الذي يساعد في النهوض بالزراعة وتطويرها ، وتجلي هذا الاهتمام من خلال المادة المنشورة المتعلقة بالزراعة ، حيث بلغ عدد الموضوعات المتعلقة بالزراعة (١٢٠) موضوعاً ، تراوحت ما بين تحقيق ومقال ودراسة ومشاهدات ومعلومة جاءت تحت باب «شذرات» ، أو تحت باب «سؤال وجواب» ، إذ كان القراء يوجهون استفساراتهم إلى المجلة لتتولى الرد عليهم بوساطة متخصصين . ولعل هذا العدد من الموضوعات يشكل كما لا بأس به ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اهتمامات وألويات المجلة ، باعتبارها تهتم بالدرجة الأولى بالأمر الديني العقائدية .

ويلحظ أن العام الأول للمجلة عام ١٨٩٨م ، هو الأكثر عدداً من حيث

(١) مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، لعدد : ١ ، كانون الثاني ١٨٩٨م ، بيروت ، ص ٣ ؛

وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : المشرق ، العدد : ١ .

الموضوعات الزراعية ، فبلغ عددها (١٥) موضوعاً ، يليه العام ١٨٩٩م وبلغ عددها (١٣) موضوعاً ، كما يلحظ أنه ما بين الأعوام ١٨٩٨-١٩٠٧م بلغ مجموع الموضوعات المتعلقة بالزراعة (٩٨) موضوعاً ، في حين بلغ عدد الموضوعات الزراعية المنشورة (٢٦) موضوعاً خلال الفترة ١٩٠٨-١٩٢٠م ، وكان عاما ١٩١٢م و١٩١٤م الأقل عدداً ، فنشرت المجلة في كل سنة منهما موضوعاً واحداً فقط عن الزراعة ، في حين كان العام ١٩٠٩م الأكثر عدداً ، فبلغت الموضوعات الزراعية فيه ثمانية .

تميزت الموضوعات التي كانت تنشرها المجلة بأنها كتبت من قبل أشخاص ذوي خبرة اكتسبوها من خلال تخصصاتهم العلمية أو وظائفهم منهم : سليم أصفر الذي كان يشغل وظيفة مفتش الزراعة في لبنان - وهو صاحب أكبر عدد من الموضوعات التي اعتمدت عليها الدراسة- ، إذ يتضح من عدد ونوعية كتاباته مقدار معرفته بالمواضيع والأمور الزراعية . وهناك الأب هنري لامنس مدرس الجغرافية الشرقية ، والذي جاءت كتاباته منسجمة مع تخصصه ، وذات صلة مباشرة بالوقت ذاته مع القضايا الزراعية ، منها مقاله بعنوان «تسريح الأبصار في ما يحتويه لبنان من الآثار»^(١) . وكذلك الأب لويس شيخو الذي أسهمت موسوعية ثقافته في رفد المجلة بعدد من المواضيع المختلفة ، ومن بينها تلك المتعلقة بالزراعة ومنها مقال بعنوان «الأغذية في سورية»^(٢) ، ومقال آخر

(١) الأب هنري لامنس ، «تسريح الأبصار في ما يحتويه لبنان من الآثار ، أنهار لبنان» ، مجلة المشرق ،

جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٢ ، السنة : ٥ ، ١٥/٦/١٩٠٢م ، ص ٥٦٦ ؛ وسيشار

إليه عند وروده لاحقاً : لامنس ، «تسريح الأبصار» .

(٢) الأب لويس شيخو ، «الأغذية في سورية» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد :

٥ ، السنة : ٩ ، ١/٣/١٩٠٦م ، ص ٢١٣-٢١٤ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : شيخو ، «الأغذية

في سورية» .

بعنوان «الجراد في سورية»^(١). وهناك أيضاً هنري نكر صاحب مقال «الأغذية في سورية»^(٢)، وكان أحد أساتذة المكتب الطبي الفرنسي. ومنهم أيضاً أنطون عرب صاحب مقال «الحناء»^(٣)، والذي كان يشغل وظيفة صيدلي في مدرسة باريس العليا في بيروت.

ومن تولى الكتابة بالشأن الزراعي في المجلة طلبة أو خريجو المكتب الطبي الفرنسي (مدرسة الطب الفرنسية)، التابع لجامعة القديس يوسف، منهم أسعد ملحمة في مقاله «الحديقة النباتية في مدرسة الطب الفرنسية»^(٤)، والتي يتحدث فيها عن الاهتمام الذي أولته هذه المدرسة للجانب الزراعي، حيث كان هناك مختبرات خاصة يجري فيها اختبارات على فاعلية هذه النباتات، وذلك للاستفادة من الخاصية العلاجية لدى بعضها. وكذلك المقال الذي كتبه شحاتة خزام أحد طلبة المكتب الطبي، والذي يحمل عنوان «الفاكهة عموماً والعنب خصوصاً»^(٥)، ونشرته المشرق في آب ١٩٠٣ م، فتحدث فيه عن أنواع

(١) الأب لويس شيخو، «الجراد في سورية»، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت، العدد: ٨،

السنة: ٢، ١٥/٤/١٨٩٩ م، ص ٣٦٦؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: شيخو، «الجراد في سورية».

(٢) هنري نكر، «الأغذية في سورية: البقول»، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت، العدد:

٥، السنة: ١٩/٣/١٩٠٦ م، ص ٢١٦؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: نكر، «الأغذية في سورية».

(٣) أنطون عرب، «الحناء»، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت، العدد: ٢٠، السنة: ١،

١٥/١٠/١٨٩٨ م، ص ٩١٣-٩١٧؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: عرب، «الحناء».

(٤) أسعد ملحمة، «الحديقة النباتية في مدرسة الطب الفرنسية»، مجلة المشرق، جامعة القديس

يوسف، بيروت، العدد: ٤، السنة: ١٦، ٤/١٩١٣ م، ص ٢٧٧؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً:

ملحمة، «الحديقة النباتية».

(٥) شحاتة خزام، «الفاكهة عموماً والعنب خصوصاً» مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت،

العدد: ١٦، السنة: ٦، ١٥/٨/١٩٠٣ م، ص ٧٤٥؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: خزام،

«الفاكهة».

الفاكهة ، وتركيبها الكيماوي ، ثم خص العنب بالحديث فعرفه وبين صفاته وتركيبته وأشكاله ليخلص إلى النقطة الأهم بالنسبة له ألا وهي خاصيته العلاجية للعديد من الأمراض ، وكيفية استخدامه من أجل هذه الغاية .

كما تولت المجلة نشر موضوعات زراعية كتبها أشخاص تجولوا في أنحاء مختلفة من البلاد ، ودونوا مشاهداتهم المتعلقة بالزراعة في المناطق التي زاروها ، وقاموا بنشرها عبر المجلة ، ومثال ذلك المقال الذي نشره الأب إبراهيم حرفوش ، بعنوان «سياحة أسقفية إلى بلاد بشارة»^(١) ، في تموز ١٩٠٧م ، وذلك بعد الرحلة التي قام بها برفقة أحد الأخبار .

وكذلك ما دونه إميل خاشو - أمين سر مهندس لبنان- في مقاله الذي يحمل عنوان «لبنان نظر في أشغاله العمومية وزراعته ومستقبله الاقتصادي»^(٢) ، والذي نشرته المشرق في تموز ١٩٠٧م ، إذ يصف الطريقة التي جمع مادة بحثه بقوله : «قضيت سنتين في إدارة القلم الهندسي في لبنان ، قطعت كل أنحاء هذا الجبل وعرفت أحواله حق المعرفة ، وذلك ما يسمح لي بتدوين بعض الملحوظات التي لحظتها ، أو إبداء ما خطر لي من الخواطر»^(٣) .

وبما تميزت به بعض المواد الزراعية المنشورة في المجلة ، أنها جاءت خلاصة أبحاث وضعها مختصون نتيجة تجارب واختبارات قاموا بها ، كتلك التي أجراها الدكتور حبيب الدرعوني في مختبرات المكتب الصيدلي الفرنسي التابع لكلية

(١) إبراهيم حرفوش ، «سياحة أسقفية إلى بلاد بشارة» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٨ ، السنة : ١٠ ، ١٥/٩/١٩٠٧م ، ص ١٠٣٤ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : حرفوش ، «سياحة أسقفية» .

(٢) إميل خاشو ، «لبنان ، نظر في أشغاله العمومية وزراعته ومستقبله الاقتصادي» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٩ ، السنة : ١٠ ، ٧/٧/١٩٠٧م ، ص ٣٩٦ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : خاشو ، «لبنان» .

(٣) المصدر والعدد نفسه ، ص ٣٩٦ .

القديس يوسف على نبات الريباس^(١)، وقام بنشر خلاصتها في المشرق، وتناول فيها تعريف هذا النبات، وأماكن تواجده ووصفه النباتي، إضافة إلى ما أسفرت عنه أبحاثه بخصوص خواصه العلاجية^(٢).

ومن ذلك أيضاً البحث الذي أجراه الشيخ يوسف الجميل، - وكان يتولى إدارة المختبر الكيميائي الذي أنشأه المكتب الطبي الصيدلي الفرنسي - حول زراعة التبغ التركي في لبنان، حيث أجرى عام ١٨٩٥م مجموعة من الاختبارات استمرت لعدة سنوات، أجرى خلالها مقارنة بين صفات التبغ اللبناني والتركي، وخلص منها إلى أن التبغ اللبناني لديه ميزة كبيرة وهي تدني نسبة النيكوتين، في حين أن التبغ التركي يتفوق على اللبناني برائحته الزكية لهذا واصل أبحاثه للخروج بتوليفة عام ١٩٠٥م جمعت بين الميزتين، وليتم تعميمها على كل لبنان عام ١٩٠٨م^(٣).

وبشكل عام فقد امتاز نهج مجلة المشرق في تناولها للقضايا الزراعية بما يأتي :-

- التوعية والتثقيف : وهذه الصفة انسحبت على أغلب ما نشرته وله علاقة بالزراعة، فشكل موضوع الزراعة والعودة إلى الأرض هاجساً، لاسيما عند الحديث عن إهمال الأراضي الزراعية أو بعض المحاصيل مما أدى لانقراضها. لذا حرصت على تزويد المزارع بكل ما يلزمه من معرفة وتوجيهات تتعلق

(١) الريباس : نبات معمر، ينبت في البلاد الباردة والجبال ذوات الثلوج، تؤكل ضلوعه، وتربب ويعصر منه شراباً

(٢) حبيب درعوني، «الريباس»، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت، العدد: ٦، السنة: ١٠، ١٥/٣/١٩٠٧م، ص ٢٥٣؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: درعوني، «الريباس».

(٣) يوسف الجميل، «زراعة التبغ التركي في لبنان»، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت، العدد: ١، السنة: ١٤، ١٩١١/١م، ص ٧؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: الجميل، «زراعة التبغ».

بكيفية زراعة المحاصيل والآفات والأمراض التي تهددها ، وسبل مواجهتها ، وكيفية التعامل مع أنواع التربة المختلفة وطرق توفير المياه ، والتعريف بمحاصيل جديدة ذات جدوى اقتصادية عالية . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعدى اهتمامها إلى إيجاد أسواق لتسويق البضائع .

- تنوع المعلومات الزراعية المقدمة وشموليتها : اتسمت الأبحاث التي أوردتها (المشرق) بتقديم معلومات شاملة ، ومادة علمية غنية متخصصة ، ولعل مقال «إغذاء النبات» خير مثال على هذا الطرح ، حيث قدم الباحث تعريفاً علمياً لأصل المادة النباتية وعناصرها الضرورية ، وأرفق جدولاً بالعناصر الأولية والثانوية للنبات ومصادر هذه العناصر^(١) .

والأمر ذاته نجده عند الحديث عن حشرة المألوش^(٢) ، فقدم الأسماء العلمية لأنواعها وأجناسها المختلفة ، ومراحل تكونها وتطورها ، والدراسات العلمية التي أجراها الباحثون عليها ، وما أسفرت عنه من نتائج^(٣) .

- عمومية الطرح بالنسبة للقضايا الزراعية المتعلقة بأقطار بلاد الشام : بالرغم مما قد يستشف من متابعة المقالات والأخبار التي أوردتها مجلة (المشرق) - وتحديداً المتعلقة بالزراعة - من أن اهتمامها ينصب على لبنان فقط - وهو أمر فيه شيء من الحقيقة - ولكنها في معظم الحالات كان حديثها عن البلاد السورية عموماً ، فكان هناك عمومية في الطرح بالنسبة لبلاد الشام ،

(١) سليم الأصفر ، «إغذاء النبات ، أصل المادة النباتية» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٢١ ، السنة : ٣ ، ١١/١٠/١٩٠٠م ، ص ٩٦٠-٩٦٩ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «إغذاء النبات» .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول حشرة المألوش ؛ أنظر (ص ٢٤) من هذا البحث .

(٣) سليم الأصفر ، «المألوش» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٧ ، السنة : ٣ ، ٤/١٠/١٩٠٠م ، ص ٢٩٣-٢٩٨ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «المألوش» .

والأمثلة على ذلك مما ورد في المجلة كثيرة، فعلى سبيل المثال القول: «أراضي سورية مشهورة منذ القدم بحسن تربتها وكثرة خيراتها»^(١).

ومن ذلك ما ورد في مقال لسليم الأصغر، بعنوان «الزراعة السورية» قال فيه: «إن بلاد الشام اشتهرت منذ القدم بريعتها وخصب تربتها، ثم بقيت سورية على حالتها من العمران إلى عهد الرومانيين في القرون الأولى بعد المسيح، أما اليوم فإننا نجد زراعة سورية قد تقهقرت . . . فيا ترى ما سبب هذا الاختلاف أياكون ناتجاً من تغير طراً على هواء بلادنا . . .»^(٢).

ويلحظ أن استخدام كلمة سورية جاءت رديفة لبلاد الشام، ويتضح ذلك من مقال بعنوان «الأغذية في سورية، البقول»، وما ورد فيه: «ومن البقول اليابسة التي يفضلها السوريون لطعامهم الشتوي العدس والحمص . . .» وفي موضع آخر من المقال يقول: «الأرز الذي يعد من أخصب المأكولات في بلاد الشام . . . ومن الثمار الزيتية في بلاد الشام الزيتون»^(٣).

- عرض الصور التوضيحية:

وفي العديد من المقالات الواردة في المجلة غالباً ما كان يتم إرفاق صور توضيحية للمادة التي يتم شرحها، كصور أنواع الحشرات التي تهاجم المزروعات والأشجار وتسبب لها الأمراض، كصورة لحشرة المألوش^(٤)، وصور للحشرة التي

(١) توما كيال، «تجارة صيداء»، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت، العدد: ٣، السنة: ١٠، ٣/١٩٠٨ ص ١٧٨؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: كيال، «تجارة صيداء».

(٢) سليم الأصغر، «الزراعة السورية في الزمن القديم وفي أيامنا»، مجلة المشرق، جامعة القديس يوسف، بيروت، العدد: ١٥، السنة: ٢، ١٥/٢/١٨٩٩م، ص ١٦٨؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: الأصغر، «الزراعة السورية».

(٣) شينحو، «الأغذية في سورية»، ص ٢١٣-٢١٤.

(٤) الأصغر، «المألوش»، ص ٢٦٩.

تصيب البرتقال^(١). وصورة لنموذج آلة تصفية الزيت ، وكيفية عملها^(٢) .

- الاعتماد على مصادر تراثية عربية :

وهي سمة غلبت على معظم الكتابات الواردة في المجلة ، خصوصاً فيما يتعلق بالتعريف بالمحاصيل وتسمياتها ، فعند الحديث عن البرتقال اعتمد على ما جاء لدى المسعودي ، وكتابه مروج الذهب ، وكتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية^(٣) .

أما أبرز القضايا الزراعية التي تناولتها المجلة فتتلخص بما يأتي:

-التوعية بأهمية الزراعة:

ويلمس المطالع لأعداد المجلة هذا الأمر بشكل جلي ، ويدلل عليه الكثير من الإشارات في هذا السياق قولها : «إن جل ما أرمي إليه هو الإشارة إلى بذل شئ في نفع العموم وصالح الكل ووجوب عمل التجربة والامتحان في الأراضي رغبة في إدراك الأفضل والأحسن ، سيما وأننا نرى أن في سواحل سورية وفي داخلية البلاد سهولاً واسعة وأراضي جيدة منحصبة يحسن زراعتها بأصناف عديدة ويسهل إعادة اختبارها لإخراج أحسن المحاصيل . . . يوجد في سورية أراضي كثيرة تناسب وتصلح لزراعة محاصيل جملة مجهولة لدينا»^(٤) .

(١) أوغست جوفروا ، «البرتقال: زراعته وأفاته» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد :

٧ ، السنة : ١٣ ، ١٩١٠/٧م ، ص ٥٣٤ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : جوفروا ، «البرتقال» .

(٢) سليم الأصفر ، «مصفاة لصفق زيت الزيتون» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ،

العدد : ١٥ ، السنة ٤ ، ١٩٠١/٨م ، ص ٦٨٣ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «مصفاة

لصفق زيت الزيتون» .

(٣) الأصفر ، مصفاة لصفق زيت الزيتون ، ص ٣٧١ .

(٤) خاشو ، «لبنان» ، ص ٣٩٦ .

وجاء قولها الأهم في هذا السياق بأنه : «ليس بين العلوم الطبيعية التي ينصب الطلبة والباحثون على درسها علم أوسع نطاقاً وأدق مسائل وأغزر منافع من علم النبات ، فإن فيه ما يبهج الأبصار ويفكه الأرواح ويجدي الإفادة واللذة معاً»^(١) .

واهتمام المجلة بالزراعة هذا لم يأت من فراغ ، بل لحقيقة أن «التنوع العظيم بين نبات بلاد مختلفة لا يروم فقط عين الناظر إذ يرى الأشجار الجبلية كالسنديان والأرز والأشجار الصحراوية كالنخل والبردى ، لكنه أيضاً يجدي الزراع نفعاً ، حيث يمكنه أن يستغني عن كثير من محاصيل البلاد الأجنبية ، كيف لا وهو يجد في وطنه تربة ملائمة لأصناف المزروعات والأشجار المثمرة وضروب الأخشاب ، وفي كل ذلك إيرادات طيبة توفر أسباب الغنى وتفتح أبواب الرزق لطلابه»^(٢) .

وفي محاولة تشجيعية من أحد كتابها لأهل لبنان للإقبال على الزراعة قال : «لو يقدر أهل لبنان قدر جبلهم الذي عليه مدار سعادتهم الزمنية فإنهم يجدون فيه فضلاً عن حسن الموقع وطيب الهواء ، تربة تقوم لهم مقام المناجم الذهبية التي تغنيهم دون أن تعرضهم لآفات التمدن المستحدث»^(٣) .

وقد عرفت المجلة بالفلاح - الذي لا تتم العملية الزراعية بدونه - بأنه «هو الفلاح قد شق السهل بسكته الحديدية ، فجعل الأرض على ما تراها ، وهي

(١) ملحمة ، «الحديقة النباتية» ، ص ٢٧٧ .

(٢) الأب هنري لامنس ، «أثار لبنان - ما تستفيد سورية من لبنان» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٠ ، السنة ٥ ، ١٩٠٢/٦/١٥ ، ص ٤٤٣ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : لامنس ، «أثار لبنان» .

(٣) ميشيل سماحة ، «زراعة قصب السكر» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٤ ، السنة : ١٠ ، ١٩٠٧/٧/١٥ ، ص ٦٥٧ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : سماحة ، «زراعة قصب السكر» .

الآن مزروعة بذر غار وأزهار ، بذل الزراع في سبيل نجاحها من عناية فحّول إليها الجداول لسقيها ، وقلع الحشائش الرديئة النابتة فيها مع الزروع أتت بعدئذ أنداء السماء وحرارة الشمس فكملت صنيع الفلاح»^(١) .

- التربة:

وجهت المجلة اهتمامها للتربة باعتبارها أحد العناصر الرئيسة للدورة الزراعية ، فعرفتتها بقولها : «المراد بالتربة الزراعية هو الطبقة الترابية التي يتولد فيها النبات ، وتقف عند أقصى العمق الذي تتناوله آلات الفلاحة ، وللجزء المستتر منها شأن عظيم في تغذية النبات ، حيث ثبت أن أصول النبات تغوص في التراب إلى حد عميق جداً ، والتربة الصالحة للزراعة هي عضد النبات ، وثروة الفلاح الذي يستطيع أن يتخذ منها حاصلات مختلفة بحسب تركيبها وأوصافها ، والفلاح الذي يعرف خواص التربة والصخور التي تحملها ، يعلم أنواع السماد المناسبة لها والطرق التي يتمكن بها من تحسينها»^(٢) .

والترب تختلف أي اختلاف على قدر ما يدخل في تركيبها من الصلصال والكلس و الثرى ، وعليه تنسب إلى العنصر الغالب عليها ، فالصلصالية إذا شكلت نسبة الصلصال فيها (٣٠٪) ، والرمل إذ كان الرمل فيها بنسبة (٧٠٪) ، أما الكلسية فإذا بلغ كربونات كلسها أكثر من (٢٠٪) ، أما التربة الثروية فلا يقل ثراها عن ١٠٪ ، وإذا ما غلب عنصران على إحداها فيقال للتربة صلصالية

(١) توما كمال ، «إكليل الغار» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٤ ، السنة :

١٥/٧/١٩٠٣ م ، ص ٦٢٧ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : كمال ، «إكليل الغار» .

(٢) سليم الأصفر ، «التربة الزراعية» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٢ ،

السنة : ٣ ، ١٥/١/١٩٠٠ م ، ص ٧٢ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «التربة الزراعية» .

كلسية ، أو رملية كلسية وهكذا^(١) .

ومن فوائد علم الفلاحة أن يتفادى أي خلل يلحق بالتربة ، وذلك لأن النبات لا يقتات بكل صنف من الأغذية دون إفراز ، بل له في طبعه قوة اختيارية يجتذب بها بعض المواد ، دون أن يبالي بنسبة ما هو موجود منها في التربة ، فعلى المزارع الحاذق ألا يدع الأرض تخلو من هذه الأركان ، وأحسن طريقة لذلك هو علم تنسيق المزروعات . فمعرفة تركيب الترب الزراعية يجدي الزراع فوائد عديدة ، لأن مبادئ الحراثة والتسميد واختبار المزروعات كلها مرتبة على هذه المعرفة^(٢) . كما أن معرفة المزارع بنوع التربة ، تمكنه من التعرف على نوع المزروعات التي تصلح لكل نوع ، فعلى سبيل المثال الأراضي الواقعة إلى جوار نهر انطليانس^(٣) مكونة من تربة جرفية ومن الصلصال والرمل ، وكل هذه العناصر في غاية الجودة لزراعة أشجار الليمون والنانج وسائر أشجار الحمضيات ، فإن سقت مياه النهر تلك البقعة أتت بغلات رائعة^(٤) .

وأفضل طريقة لاستغلال التربة خير استغلال هي تنسيق المزروعات ، وهو ما أكدت عليه المجلة في عددها الصادر في الأول من آذار ١٨٩٨م فأشارت إلى ذلك بقولها : «إن لتنسيق المزروعات دواعي اقتصادية مع اختلاف الأمكنة ، وهنا أصول أو أسس عامة يقتضي مراعاتها في اتخاذ هذا التنسيق ، فترتيب المنابت مبني على مختلف ما يزرع فيها ، وينبغي على الزارع في اختيار زرائعه

(١) سليم الأصفر ، «تنظيم التربة الزراعية وتحليلها» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٢ ، السنة : ٣ ، ١٥/٦/١٩٠٠م ، ص ٥٧٣ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «تنظيم التربة الزراعية» .

(٢) المصدر والعدد نفسه ، ص ٥٣٨ .

(٣) نهر انطليانس : سمي بهذا الاسم نسبة إلى قرية انطليانس التي تبعد عن بيروت ما يقارب السبعة

كيلومترات ونصف ، وهو نهر عذب الماء ، يولي البقعة المجاورة له نضارة وخصباً

(٤) خاشو ، «لبنان» ، ص ٢٨١ .

أن يعتبر مقتضيات الهواء والمنبت ، ثم طريقة إغذاء النبات ، وأخيراً إنفاق الصادرات وترويج الأغلال الشتى»^(١) .

ولتحسين التربة لا بد من معرفة ما تحتاجه من سماد طبيعي ، ولأنه قليل وغالي الثمن دعت المجلة المزارعين للاعتماد على السماد الصناعي ، ولكن في حدود المعقول بما لا يضر بنوعية المحاصيل^(٢) .

ومما تحتاجه التربة -بالإضافة إلى السماد - الإصلاح ، وذلك لا يتم «إلا بإزالة نقائصها الطبيعية والكيماوية لتأتي بغلات وافرة ، وأخص ما يفهم بإصلاح التربة أن تكلس وتحمور وتخصب ، وذلك بذر الكلس والحواري والجص عليها لكي تعمل فيها هذه المواد أعمالاً كيماوية من شأنها أن تغذيها وتقويها ، ويلحق بذلك تنظيف التربة من الفضلات ، وإحراق الأعشاب الضارة وفي ذلك فائدتان : إزالة الأعشاب الضارة المؤذية ، والثانية أن الرماد المتبقي من الحرق يحسن صلصال التربة»^(٣) .

ج- الري؛

في البداية حرصت المجلة على التعريف بأهمية المياه بالنسبة للزراعة ، فاعتبرتها «ظاهرة لا يجهل ضرورتها أحد ، بيد أن قليلين يدركون علة ذلك ، وبأي طريقة تعمل المياه في النبات ، فعمل المياه في الفلاحة يكون على وجهين : الأول ببرودته حين ينفذ في الأرض ويلطف حرارتها ، وتبطئ نمو النبات ، إلى أن ينال ما يحتاجه من الغذاء . والثاني يتمثل بالتركيب الكيماوية

(١) سليم الأصفر ، «تنسيق المزرعات» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٥ ، السنة : ١ ، ١٠/٣/١٨٩٨ م ، ص ١٩٣ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «تنسيق المزرعات» .

(٢) جوفروا ، «البرتقال» ، ص ٣٧١ .

(٣) خاشو ، «لبنان» ، ص ٣٩٥ .

للماء ، والذي يساعد النبات على تحليل المواد المغذية وتركيبه منها أجزاء الكربونية ، وعلى امتصاص الأملاح المعدنية من الأرض بما يوفر للنبات من الرطوبة ، وليس كل المياه تصلح كسماد للتربة لأن ذلك يعتمد على تركيبها ، إلا أنها كلها تلتف الحرارة بضرورتها وتفيدها نداوة وتزيدها خفة وتسهل فلاحتها للناس والبهائم»^(١) .

وتركيز مجلة (المشرق) على المياه وري المزروعات جاء انطلاقاً من أن سورية فقيرة بمياهها والمياه كلها تسيل من مشارفها المتوسطة أي من لبنان ، فهذا الجبل وحده يسقي البلاد من أنطاكية شمالاً ، إلى غزة وبحيرة لوط جنوباً^(٢) ، إذ منه تخرج ينابيع العاصي الجاري إلى الشمال ، ومياه الليطاني والأردن السائلين إلى الجنوب ، فيبقى هو محروماً من المياه ويفتقر بإغناء غيره ، لذا ارتأت المجلة «أنه لأفضل أن يصرف اللبنانيون همتهم إلى ما هو أجدى نفعاً من الطرق نريد سقي الأملاك وجلب المياه»^(٣) .

وتكررت الدعوة هذه للبنانيين والسوريين للاستفادة من أكبر قدر ممكن من المياه بقولها : «لقد أتاح الله لبلاد سورية قوى طبيعية عجيبة لو استفاد منها الأهلون لوجدوا فيها موارد ربح لا تفتنى ، فهي تذهب سدى وتتلاشى دون فائدة ، فمجاري المياه اللبنانية كافية لأن تحول بلادنا إلى بقع زاهية بسعي شركات زراعية ، أو تغنيها بالمعامل الصناعية ، فيقتات من أرباحها ألوف من السكان ، إلا أنها تتحدر في الغالب إلى البحر بلا فائدة ، أو تستنقع في البطاح الموبوءة ، لا يستثنى من هذا الحكم إلا نهر أو نهران يستنزف اللبنانيون مياههما

(١) الأب هنري لامنس ، «لمحة اقتصادية في مجاري المياه اللبنانية» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس

يوسف ، بيروت ، العدد : ٢٢ ، السنة : ١٩٠٤/١١/١٥ ، ص ١٠٤٤ ؛ وسيشار إليه عند وروده

لاحقاً : لامنس ، «لمحة اقتصادية» .

(٢) المقصود البحر الميت في الأردن .

(٣) خاشو ، «لبنان» ، ص ٢٧٨ .

لري المزروعات ، أما النتيجة إذ نرى الأرض في الشتاء مغمورة بالمياه المفرطة المضرة بالزراعة ، وبالصحة العمومية معاً ، وفي فصل الصيف تنقص المياه وتنضب إلى أن تيبس البقول ، ويتلف أهل بعض المعاملات عطشاً مع قطعانهم»^(١) .

وبما دعت إليه المجلة كوسيلة للحفاظ على المياه هو غرس الغابات وتكثيرها ، لخاصيتها في امتصاص الأمطار وتخزينها في باطن الأرض ، لتسيل بعد ذلك سيلاً منظماً ، فتكثر العيون والينابيع وتخصب التربة ، كما تمنع فيضان الأنهار في الوديان ، لأنها تؤخر ذوبان الثلوج فلا يسيل ماؤها إلا بالتدرج ونظام ، ولا تتعدى مياه الأنهار حدودها ولا تستنفع به السهول^(٢) .

ولحل مشكلة تكدس الرمل القادم من مجاري الأنهار والبحر على الساحل ، بحيث تقف هذه المواد في وجه الأنهار فلا تقوى مياهه من اختراقها ، فتتدفق جوانبه وتسيل المياه على الجانبين على مساحة واسعة ، وربما شكلت مستنقعات تحدث حميات ملاريا ، لذا يمكن تدارك هذا الخلل بحفر مسيل للنهر عند مصبه^(٣) .

ومن وسائل الحفاظ على المياه-التي اقترحتها المجلة- أن يتم ترتيب وتنظيم الري وجلب المياه في جهات الجبل ، ففي السهول يتم الأمر بخزن المياه ودفعها إلى الجهات المرتفعة ، أما الجبل فيتم بفتح منفذاً أو قناة يسيل فيه فيسقي المزروعات دون التكلف بشيء^(٤) .

(١) لامنس ، «لمحة اقتصادية» ، ص ١٠٤٤ ، ص ١٠٤٥ .

(٢) سليم الأصفر ، «الأشجار والغابات في سورية» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٦ ، السنة : ٢ ، ١٥/٨/١٨٩٩م ، ص ٧٢٤ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «الأشجار والغابات في سورية» .

(٣) لامنس ، «تسريح الأبصار» ، ص ٥٦٦ .

(٤) خاشو ، «لبنان» ، ص ٢٨١ .

د- الاستفادة من تجارب الآخرين:

حاولت المجلة باستمرار اختصار المعاناة والوقت على المزارعين ، من خلال نشر ما يساعدهم في أعمالهم وذلك بتقديم تجارب الآخرين للاستفادة منها ، ومثال ذلك عند الحديث عن آفات البرتقال وطرق القضاء عليها باستخدام البترول ، فقالت : «وقد تحقق أرباب الزراعة أن العلاج بالبترول على نوعيه فعال»^(١) .

والأمر ذاته عند الحديث عن آفة المألوش ، فأشار كاتب المقال إلى أن أحد المواطنين أعلمه بأن أهل الهند يتخذون عصير البندورة لعلاجها^(٢) .
ومن ذلك أيضاً استخدام أحد الأشخاص أبخرة الكحول لمنع تشكل العفونة على وجه الثمار في الأماكن الرطبة ، حيث تستخدم هذه الطريقة تحديداً لحفظ العنب لفترة طويلة^(٣) .

وكذلك ما كان يقوم به المزارعون في الولايات المتحدة ، فيدهنوا ساق الكرمة بدبق يدعونه «مغريّ القوائم» لا يذوب في الصيف ، وهو مركب من الراتينج وزيت الخروع وصمغ كوبال^(٤) .

ومن الأمثلة التي سيقت على كيفية الاستفادة من مياه الأنهار ما قام به أحد الكهنة بالتعاون مع أصحاب الأملاك بتشييد قناة وجروا المياه إلى

(١) جوفروا ، «البرتقال» ، ص ٥٣٥ .

(٢) الأصفر ، «المألوش» ، ص ٢٩٩ .

(٣) سليم الأصفر ، «حفظ العنب» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٢ ، السنة :

١٥ ، ١٠ / ١٨٩٨ م ، ١٣٠ ص ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «حفظ العنب» .

(٤) الأب اسكندر طوران اليسوعي ، «مقاتلة الحشرات الضارة بالزراعة» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس

يوسف ، بيروت ، العدد : ١٢ ، السنة : ١٨ ، ١٢ / ١٩٢٠ م ، ص ٩٩٩ ؛ وسيشار إليه عند وروده

لاحقاً : طوران ، «مقاتلة الحشرات الضارة» .

الأملاك ، في منطقة تدعى بساحل الدامور أو جلّ الدامور^(١) ، تربتها كلها من جرف النهر ، وكانت سبخاً لم تحرث ، فعمرت تلك البقعة وارتفع سعر أراضيها ، وتضاعفت غلاتها مئات المرات^(٢) .

وحملت بعض التجارب المقدمة رسالة تحذير وتنبيه من تصرفات و تجارب لأشخاص ذات نتائج سلبية أو غير مجدية ، ومثال ذلك عند الحديث عن أهالي إحدى القرى اللبنانية «حيث يتراكم في مدخل قريتهم تلال من السماد الذي يحرقونه بالنار بدلا من تسميد أراضيهم فيه ، بحيث يحققون غايتين : الأولى الانتفاع به في تسميد الأرض ، والثانية تجنب الرائحة الكريهة»^(٣) .

ولتوسيع نطاق الغابات ونصب الأشجار ، اقترحت إنشاء جمعيات يقوم أعضائها بزراعة غرسة كل عام في عيد يدعى (عيد الشجرة) ، وذلك تيمناً بما قام به الأمريكيان ، ونجحوا من خلالها في زيادة مساحة الغابات^(٤) .

- الهجرة وأثارها السلبية على الزراعة :

عزت مجلة (المشرق) التغيير السلبي الذي طرأ على لبنان إلى الهجرة إلى أمريكا وأوروبا ، والتي بلغت عام ١٩٠٧م ما يقارب المائة ألف شخص ، الأمر الذي انعكس سلباً على الاقتصاد بشكل عام والزراعة على وجه الخصوص ، فارتفعت أسعار اللحوم والبقول والخضر والفواكة ، وذلك «لقلة العملة ، وعدم

(١) ساحل الدامور : نسبة إلى نهر الدامور ، وهو أحد الأنهر الصغيرة في لبنان ، يقع في قضاء الشوف ، في محافظة جبل لبنان ، وتربة ساحل الدامور كلها من جرف النهر ألقى بها عند مصبه في البحر الأبيض المتوسط .

(٢) خاشو ، «لبنان» ، ص ٢٧٩ .

(٣) حرفوش ، «سياحة أسقفية» ، ص ١٠٣٤ .

(٤) الأصفر ، «الأشجار والغابات» ، ص ٧٢٥ .

توفر الأيدي العاملة في الأرض والزراعة»^(١) . كما أسهمت تحويلات الأموال التي كان يرسلها المهاجرون اللبنانيون إلى أهاليهم ، بهجر هؤلاء أعمال الفلاحة ليعيشوا عيشة الأغنياء ، بدلاً من الاستثمار في مجال الزراعة^(٢) .
ومن الأضرار التي ترتبت على الهجرة أيضاً ، أن عودة كثير من المهاجرين ترافقت بضرية للمزروعات ، وذلك بحملهم بعض نباتات موبوءة ضربت أشجار البرتقال ، ولولا تدارك المشكلة لتفاقم أمرها^(٣) . أضف إلى ذلك أن أعداد قليلة ممن هاجر إلى أمريكا عادوا ومعهم القليل من الدراهم التي جمعوها بأتعاب ومشقات سنوات طويلة ، ولو صرفوا هذه السنوات في وطنهم واشتغلوا بحراثة أراضيهم الخاصة أو بالأجرة لكانوا حصلوا أكثر مما جمعوه هنالك بالذل والعار^(٤) .

- محاربة الوسائل والأساليب التقليدية في الزراعة :

حاولت المجلة في أكثر من موقع وعدد تسليط الضوء على الأساليب التقليدية المتبعة في الزراعة في بلاد الشام ، وأثرها السلبي على الإنتاج الزراعي ، حيث حرصت على بيان هذه الأساليب وإيراد البديل الأجدى والأفضل ، ففي هذا السياق أوردت في عددها الصادر في ١٥ شباط ١٩٠٥م - في معرض نقد تراجع مردود الأراضي الزراعية - قولها : «فلا تثريب على الأرض اللبنانية وإنما تغيرت فقط أحوال سوقها التجارية ، ولعل أرباب الزراعة في لبنان لم يصرفوا نظرهم إلى تحسين طرق زراعتها عن الأساليب المستخدمة ، ولا غرو فإن عصرنا هذا عصر التقدم وقد أصاب الفلاحة من ذلك نصيب كبير ،

(١) خاشو ، «لبنان» ، ص ٣٩٦ .

(٢) المصدر والعدد نفسه ، ص ٣٩٧ .

(٣) كيال ، «تجارة صيداء» ، ص ١٧٥ .

(٤) المصدر نفسه ، العدد ٣ ، ص ١٧٦ .

فلا بد إذن من استعمال الأساليب التي اختبر العلماء منافعها لئلا يذهب شغلنا سدى بمزاحمة الغير»^(١).

كما انتقدت المجلة الأساليب التي اعتاد السوريون اتباعها في تنسيق مزارعهم وتعود لعهد قديم ، «وهي شتى منها منخلّة لا خير فيها ، ومنها حسنة من بعض الوجوه لكنها باقية على حالها السابق لا تنتفع بما نال الوطن من التحسينات الاقتصادية ، وأكثر هذه الأساليب شبيهة بطرائق قدماء الرومانيين التي لا يزال بعض أرباب الفلاحة يستخدمونها ، ففي حوران غلب على تنسيق المزارع تنسيق التحول من البور إلى البذور ، وهذه الطريقة ليست بمستكرهة في البقع اليابسة التي لا تنبت الكلاً لأن الزارع يستثمر بها من الأرض ما أمكن ، وفي سنة البور ترعى المواشي ما أتت به الأرض طوعاً من الأعشاب ، أما في البقاع فإن الفلاحين يعقبون ببور سنة زرعين من البذور هما الحنطة والشعير ، وهذه طريقة سوء حيث تفتقر الأرض إلى مواد أزوتية لا يقدر التسميد وحده يعيدها للأرض ، ولتلافي ذلك يتم باتباع الأسلوب المعروف بـ«الفلمنكي» حيث تزرع الأرض في سنة أولى بالزروع المنظفة كالبطاطا والشمندر ، وفي الثانية تبذر فيها البذور ، وتليها في الثالثة البقول»^(٢).

وهناك طريقة أخرى يستخدمها البعض فيزرعون في السنة الأولى البقول كالحمص والكرسنة والتمرس ، وفي الثانية يزرعون الحنطة ، ويلحقونها في الثالثة بشعير الخريف ، وبعضهم يدعون الأرض باثرة في سنة مع عزقها في فصل الخريف ، وربما فلحوها ثلاث مرات وهي طريقة فضلى ، وفي السنة الثانية يزرعون الحنطة وفي الثالثة الشعير ، وهاتان الطريقتان ليستا سيئتين ، وإن كان

(١) الأب هنري لامنس ، «الفلاحة والأحراج اللبنانية» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٤ ، السنة : ٨ ، ١٥/٢/١٩٠٥م ، ص ١٧٨ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً :

لامنس ، «الفلاحة والأحراج اللبنانية» .

(٢) الأصفر ، «تنسيق المزرعات» ، ص ١٩٨ .

يفضل زراعة السنة الثالثة بزرع من البقول^(١) .

وانتقدت المجلة الأساليب التقليدية التي يتم فيها حراثة الأرض ، حيث يكتفي الفلاحون في بلاد الشام بخمش وجه الأرض بمحراثهم ، ولا يبلغون العمق إلا شبراً أو شبرين ، باستخدام آلات بدائية بدلاً من الحديثة التي «يأنف أرباب الزراعة من اتخاذها لما تستلزم من النفقات الطائلة والاختبار ، الأمر الذي يترتب عليه عدم حفر التربة حفرًا بليغاً يغني أصول الأعشاب الباطلة ويحيي موات الأرض ، الأمر الذي لا يتحقق بالمحراث التقليدي ، بل من خلال استخدام سكة قوية تخذ الأرض وتبالغ في شقها . وينطبق هذا الوصف على بقية الآلات المستخدمة في الفلاحة كألة درس الأكداس مثلاً ، فالنورج^(٢) المتخذ لذلك بطل استعماله في كل البلاد المتمدنة لما فيه من الخلل فكيف يداوم السوريون على استخدامه»^(٣) .

ومن الأمور التي انتقدتها المجلة الطريقة التي يتم فيها فصل زيت الزيتون عند عصره عن الماء ، وذلك باستخدام تقنية بدائية جداً ، الأمر الذي ينتج زيت قليل الكمية والمنفعة^(٤) .

-الدعوة لاستخدام التقنيات والمواد الحديثة:

لم تكتف المجلة بنقد الأساليب القديمة والتقليدية التي يتبعها المزارعون ، بل حرصت على تزويدهم بكل ما هو جديد ومفيد يرفع سوية الزراعة ، فعلى سبيل المثال في عددها في شباط ١٨٩٩م وتحت عنوان « شذرات فوائد زراعية واقتصادية » تحدثت عن سولفات الحديد ، وآثاره الإيجابية على الزراعة ، ففي

(١) الأصفر ، «الزراعة السورية» ، ص ١٧٢ .

(٢) النورج : آلة تستخدم لدرس الحبوب ، لتفكيكها عن بقية أجزاء النبات .

(٣) الأصفر ، «الزراعة السورية» ، ص ١٧٢ .

(٤) الأصفر ، «مصفاة لصفق زيت الزيتون» ، ص ٦٨١ .

حال ذره على النبات يغذيه ويزيد في حجمه كالعنب والكمثري (الخوخ) ، كما يقضي على الأعشاب الرديئة ويجففها دون أن يضر بالبقول ، وذلك خلافاً لمادة سولفات النحاس السامة^(١) .

ومن الأفكار الطلائعية التي ذكرتها - وبهدف إيجاد بيئة مناسبة لكثير من النباتات التي لم تجد في بلاد الشام ما يوافقها من الهواء فتذبل وتموت ، وللحفاظ على كثير من النباتات العزيزة الوجود الغريبة الأصل - عرضت المجلة على المزارعين حلاً بإنشاء بناء مزجج يدعى بـ (المحضنة) ، وهو عبارة عن بناء بقضبان حديد وصفائح زجاج تقسم إلى قسمين : الأول أشد حرارة ، وهو يوافق بعض نبات البلاد الحارة ، والآخر حرارته معتدلة تلائم أشكالاً أخرى من النبات . وأبرز ما يميز هذه المحضنة وجود العديد من الأشجار التي لم يكن موطنها الأصلي بلاد الشام ، بل جاءت من مناطق مختلفة كشجرة الكينا والبن والشاي والكولا ، هذا إضافة إلى ما يزيد على المائة نبات من أجناس وفصائل مختلفة جامعة بين الفوائد العلمية والمنافع الطبية إضافة إلى نباتات الزينة^(١) .

وكبديل عن الوسائل التقليدية في عصر الزيت ، عرضت المجلة لجهاز جديد اخترعه مزارع جزائري ويدعى بـ (الراوق) ، ما كاد يعرف زراع الزيتون تركيبته حتى استعملوه لتصفية زيتهم وفضلوه على سواه لخواصه الكثيرة فهو رخيص الثمن سهل التجهيز والنقل لا كلفة في تنظيفه ، ويمكن استخدامه في المعاصر الكبيرة والصغيرة ، وهو قائم على مبدأ فرق الثقل الموجود بين الزيت والماء^(٣) .

(١) مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ٣ ، السنة ٢ ، ١/٢/١٨٩٩م ، ص ١٤٢ .

(٢) ملحمة ، «الحديقة النباتية» ، ص ٢٨٣ ، ص ٢٨٥ .

(٣) الأصفر ، «مصفاة لصفق زيت الزيتون» ، ص ٦٨٣ .

- الدعوة لإنشاء صناديق مالية محلية:

وتقدم بهذا الاقتراح إميل خاشو وينص على أن تقوم كل قرية أو ناحية بإنشاء صندوق مالي يودعه كل من لديه مال زائد عن نفقته ، ويكون بذلك شريكاً في الصندوق ، حيث يتم استثمار هذا المال بالتعاطي بأعمال تجارية تفيد القرية ، كالقروض الرهنية وأعمال البيع والشراء واستحضار الأدوات الزراعية ، وقد أنشأت مثل هذه الصناديق في أوروبا لاسيما في البلاد الزراعية منها ، فكان بعضها يصنع السماد الكيماوي وبيعه للشركات المحلية ، ثم يشتري أدوات زراعية للحراثة والحصاد والتذرية^(١) .

- إنشاء مدارس زراعية تعليمية:

ولرفع سوية الزراعة وتحديثها ، اقترحت المجلة إنشاء مدارس تهتم بتعليم أصول الزراعة ، وذلك لحاجة بلاد الشام (القطر السوري) الشديدة لمثل هذه المدارس ، باعتبار أن الزراعة تشكل أكبر مرافق الوطن ، وأغنى موارد ثروته ، وذلك إذا ما أخذ بعين الاعتبار أن دراسة الزراعة وإتقان طرق تحسينها سيحقق لخريجي هذه المدارس الأرباح الواسعة^(٢) .

- الترويج لزراعة محاصيل زراعية جديدة :

دأبت المجلة على الترويج لمحاصيل زراعية جديدة لتشجيع المزارعين على الإقبال على زراعتها لارتفاع جدواها الاقتصادية وللتنوع في المحاصيل ، ويلاحظ أن المجلة كانت تفرد لهذه المحاصيل مساحات واسعة من صفحاتها ، حيث يتولى كتابتها كتاب متخصصون في الزراعة ، يقومون بالتعريف بهذه المحاصيل والأجواء المناسبة لزراعتها وفوائدها وأنواعها .

(١) خاشو ، «لبنان» ، ص ٣٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ .

وقد أوضحت المجلة نظرتها وفلسفتها تجاه هذا الموضوع بقولها : « اعتاد مزارعو بلادنا على استغلال الحرير والحنطة والخمر وبعض محاصيل أخرى قد ألفوا زراعتها واستنباتها ، غير أن لزراعة التوت النصيب الأوفر في أعمالهم ويرى البعض أن لشطط في انقطاع المزارعين عندنا على زراعة هذا الصنف بتخصيص الجزء الأكبر من الأراضي الزراعية في استنباته لأنه كثيراً ما تفاجئ مواسمه الطوارئ السيئة والآفات الرديئة فتقضي عليها بالتلف فالواجب على أهل الأملاك أن لا يقصروا نظرهم على صنف واحد . . فيوجد في سورية أراض كثيرة تناسب وتصلح لزراعة محاصيل جمة مجهولة لدينا» (١) .

ومن الأمثلة على المحاصيل التي روجت لها المجلة الحناء ، وذلك من خلال مقال لأنطون عرب في ١٥ تشرين الثاني ١٨٩٨ م ، قام خلاله بالتعريف بتاريخ النبتة ووصفها وأنواعها ، كما حلل التركيب الكيماوي للحناء وفوائدها الطبية والتجميلية ، إضافة إلى استخداماتها الصناعية كاستخدامها بين الثياب لمنع التسوس ، وفي صبغ الخشب الأبيض وصبغ منسوجات الحرير والصوف والقطن (٢) .

وكذلك شجرة القشطة والتي تعود أصولها إلى أمريكا الشمالية ، وهي مخروطية الرأس كالصنوبر ، وحجمها في حجم الليمونة الكبرى ، وهي شجرة معتدلة الطول أوراقها كبيرة ، وبعد التعريف بها وبيان الأرباح التي يمكن تحقيقها ، وسهولة نقل ثمرها من مدينة إلى أخرى ، نصحت المجلة أرباب الفلاحة بتوسيع نطاق زراعة هذه الشجرة (٣) .

ومن المحاصيل التي روجت لها المجلة أيضاً قصب السكر ، باعتبار أن زراعته

(١) سماحة ، «زراعة قصب السكر» ، ٦٥٧ .

(٢) عرب ، «الحناء» ، ص ٩١٣-٩١٧ .

(٣) سليم الأصفر ، «شجرة القشطة» ، العدد : ٩ ، السنة : ٤ : ١/٥/١٩٠١ ، ص ٤١٤ ، ص ٤١٥ ؛

وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ، «شجرة القشطة» .

تجود كثيراً خصوصاً في السواحل والشطوط البحرية ، فغرسه في أراضي جيدة حسب الأصول الزراعية وتقديم الخدمة اللازمة له ، ووجود الأدوات النافعة لتكرير العصاره ، يعود بمحصول وافر ودخل عظيم^(١) .

ومن النباتات التي حاولت التعريف بها (الكاشو) ، فتبعاً لمقال حمل هذا الاسم بقلم عبدالله ميخائيل^(٢) ، بتاريخ ١٥ آب ١٩٠٤م أشار إلى «أن الكاشو شجرة يزرعها أهل الحبشة في كافة بلادهم ، وهي شجرة كثيرة التشعب ومتوسطة الحجم ، وتحوي الثمرة قليل من مادة الغلوكوز ، ومادة حرة وأخرى صابغة ، أما منافعه فالأحباش يتخذونه مشروباً كحولياً ، كما له خواص طبية إذ يعتبر من الأدوية المنعشة للجسم ومقوي للمعدة ودافع للحميات ، فيوصف منقوع ورقه لمن يصابوا بنوبات الحمى»^(٣) .

- تركيز الاهتمام على بعض المحاصيل دون الأخرى:

حثت المجلة من خلال مقالات كتابها على الاهتمام بتكثيف زراعة بعض النباتات التي أهملت ، وتراجع عددها وذلك بالرغم من أهميتها وجدواها الاقتصادية ، ومن ذلك شجرة الخروب التي كانت تنبت من تلقاء نفسها في لبنان ، ولا تحتاج لعناية خاصة ، وتنبت في الأراضي البور ، ولا تؤثر فيها قلة أو كثرة الأمطار ، كما تشكل مصدراً مهماً لعلف الأنعام ، إضافة إلى قيمتها الغذائية والاقتصادية ، إذ كان يتم تصدير الخروب إلى مصر والشام ، وكان قديماً الخروب من الكثرة بحيث دعي إقليم الخروب^(٤) بهذا الاسم تيمناً بها ، ولكن

(١) سماحة ، «زراعة قصب السكر» ، ص ٦٥٧ .

(٢) عبدالله ميخائيل : الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة .

(٣) عبدالله ميخائيل ، «الكاشو» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١٦ ، السنة :

٧ ، ١٥ / ٨ / ١٩٠٤ ، ص ٧٤٥ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : ميخائيل ، «الكاشو» .

(٤) إقليم الخروب : يقع في قضاء الشوف ، في جبل لبنان .

أخذت أعداده تتراجع بشكل كبير بحيث أصبحت بأعداد قليلة^(١) .

ومن النباتات التي دعت لتوسيع زراعتها الصبير أو التين الشوكي ، منوهة إلى أن غاية انتفاع الناس به باتخاذها سياجاً لبيوتهم أو أكل ثمره ، وذلك بالرغم من إمكانية استخدامه كعلف للمواشي ، لاسيما النوع الخالي من الأشواك منه ، وهو لا يحتاج لعناية كبيرة ، خصوصاً وأنه يتحمل درجات عطش عالية جداً^(٢) .

وهناك أيضاً شجرة اللوز- التي تعتبر من الأشجار الوطنية في لبنان- وزراعتها أسهل من سواها ، إذ تنمو في الأراضي القاحلة والتربة الكلسية ، ومعظم لبنان تركيبه من هذا الصنف ، ثم أن هذا الشجر لا يحتاج عناية خاصة ، وثمره يبلغ في الشجرة من ١٥-١٠٠ كغم ، ويباع بأسعار جيدة ، حيث يبلغ معدل محصول الشجرة بين ستة إلى ستين فرنكاً ، ومن ميزاته أنه لا يحتاج إلى تهيئة كبيرة لتصديره ، وهو ليس سريع العطب^(٣) .

ومن أمثلة النباتات المهملة القطن والكتان والقنب والخروع ، إذ أشارت المجلة إلى أن القطن لا يكاد يرى -خلال فترة نشر المقال- أثراً له ، أو هو على شفا الفناء ، والذي كان يزرع في فلسطين في جوار حيفا وعكا وصور وصيدا وفي شمال سورية ، إذ كان هناك إقبال كبير على القطن السوري لشدة بياضه ومرونته ، والآن تغلبت عليه الأقطان الأجنبية ، ولم يبق من القطن السوري إلا القليل ينبت في جهات حلب ويستعمل في حمص وحماة ودمشق . وكانت المجلة قد أبدت استعدادها للتنسيق بين التجار الشاميين ، وبعض تجار القطن في شمال فرنسا لشراء القطن السوري^(٤) .

(١) لامنس ، «الفلاحة والأحراج في لبنان» ، ص ١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٠ ، ص ١٨١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٤ .

(٤) الأصفر ، «الزراعة السورية» ، ص ١٧٢ .

وكذلك أشجار الأرز ، التي نبهت المجلة في أكثر من موضع إلى خطورة تناقص أعدادها ، ففي مقال بعنوان «الأشجار والغابات في سورية» ، طالب سليم أصفر أولو الأمر ضرورة تدارك هذا الخلل ، وإجبار الأهالي على الحفاظ عليها ، وزراعة أشجار بديلة تضاهي شجرة الأرز لتعويض النقص^(١) .

وكانت نبتة السوسن من المحاصيل التي نبهت المجلة إلى إمكانية انقراضها ، ونادت بضرورة الاهتمام بها ، وذلك من خلال مقال للأب بولس اليسوعي بعنوان «السوسن» ، أشار فيه إلى أن «السوسن البري كثير في أنحاء سورية لاسيما في لبنان . . . كذلك في فلسطين ، وإن كان أقل منه في لبنان ، ولعل آثاره ستفنى قريباً في فلسطين لأن الأهلين يقتلعون زهوره مع أصولها فلا تعود تنمو ثانية»^(٢) .

- حفظ المحاصيل لغير موسمها:

نبهت المجلة لقضية مهمة ألا وهي الحفاظ على الثمار إلى ما بعد نهاية موسمها ، وفي هذا تقول : «إن للأثمار المستبقاة بعد أوانها قيمة كبيرة عند من يتأنقون في المآكل ، ولذلك تراهم لا يضمنون بدراهمهم لا بتياعها ، ولكن استبقاء الأثمار في هذه الديار قليل الاستعمال ، لا يكاد أرباب الفلاحة السورية يفقهون الوسائل التي بها يحصل على هذه الغاية»^(٣) .

ومن هذه المحاصيل العنب ، الذي يمتاز بتعدد أنواعه وكثرته ، فحفظه يتكفل بأرباح وافرة ، ويسهل تصديره إلى مدن كبيروت ودمشق ، ولا يصعب نقله إلى مصر ، ولذا قدمت المجلة السبل المثلى لحفظ عناقيد العنب ، والتي تتم في مكان

(١) الأصفر ، «الأشجار والغابات في سورية» ، ص ٧٢٤ .

(٢) الأب بولس ماترون اليسوعي ، «السوسن» مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد :

١٠ ، السنة : ٢ ، ١٥/٥/١٨٩٩م ، ص ٤٦٢ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : ماترون ، «السوسن» .

(٣) الأصفر ، «حفظ العنب» ، ص ١١٢٨ .

معين ، بحيث تتوفر فيه ظروف معينة من حيث درجة الحرارة التي يجب أن تكون بين 6-8 درجات ، وقليل من الرطوبة ، ولضمان ذلك توضع أحجار كلسية يتم تغييرها كل شهر لامتناس الرطوبة الزائدة ، وأن تكون العناقيد بحالة جيدة ، وتوضع على مسطحات مفروشة بالتبن أو الخنشار الناشف (١) .

ومن الاقتراحات التي قدمتها المجلة في محاولة منها لتشجيع الزراعة وتحسينها ، أن يتم تصنيع المحاصيل الزائدة عن الحاجة ، كالعنب بتحويله إلى زبيب ودبس ونبيذ ، وقد عرضت المجلة للطريقة التي يتم فيها تصنيع مثل هذه المنتجات (٢) .

-إنشاء صناعات لتصريف البضائع:

إذ وجهت المجلة دعوة إلى أصحاب رؤوس الأموال لإنشاء مصانع ومعامل كتدوير الرحي بمحرك ، وفتح معمل لنشر الأخشاب بالأدوات الميكانيكية ، وشركات لجمع الألبان وتربية المواشي والخنازير والدجاج وفقاً لطرق علمية مستحدثة (٣) .

- الحشرات والآفات الزراعية:

تولت المجلة التوعية والتعريف بالآفات والأمراض التي تلحق بالمرزوعات ، وذلك بهدف الوقاية منها أولاً ، وسبل مكافحتها في حال حدوثها ثانياً ، فعرفت في مقال بعنوان «مقاتلة الحشرات الضارة بالزراعة» ، في عدد تشرين الثاني ١٩٢٠م هذه الحشرات الزراعية بأنها ذات حلقات متواصلة ببعضها البعض ، فتدعى لذلك بالفصيلة المفصلية ، وهي إذا بلغت نموها تتجنح بالأجنحة فمنها

(١) الأصفر ، «حفظ العنب» ، ص ١١٢٩ ، ص ١١٣٠ .

(٢) نكر ، «الأغذية في سورية» ، ص ٢١٦ .

(٣) خاشو ، «لبنان» ، ص ٤٠٠ .

ماله زوج واحد من الأجنحة ، ومنها ما تجهزه الطبيعة بزوجين أو ثلاثة أزواج من الأجنحة كالفراش والزنبور والذباب والجراد ، والحشرات الغمدية والنصفية الأجنحة ويلحقون بها الفصيلة العنكبوتية^(١) .

وأضر ما تكون الحشرة في حالتها الدودية ، فإنها قبل ذلك وبعده لا تكاد تأتي بضرر ، أما الدودة فتكون ذات نهم عظيم تزدد الطعام لتحصل على نموها وكمال بنيتها ، وإذا صارت فراشة قلما تطعم إلا البعض منها . والدواء يكون بمقاتلتها في حالتها الدودية ومنع فراشها عن البذار . وغو الحشرات في بعض الآونة يدل على اختلال التوازن بين الحشرات الضارة ومناصبيها ، وبما يساعد على هذا الاختلال تقلبات أحوال الجو من حر وبرد وغير ذلك مما يضعف أعداء تلك الحشرات فتزيد هي عدداً وضرراً^(٢) .

ومن هذه الحشرات والآفات :

أ - الفيلوكسيرة (Phylloxera) أو دودة الكروم؛

وهي حشرة غاية في الدقة لا تكاد ترى بالعين المجردة ، وقد انتقلت من أمريكا إلى فرنسا بواسطة لا تزال مجهولة (حتى ذلك الوقت)^(٣) . لتصل عام ١٨٩٨م إلى حيفا ، فأوردت (المشرق) بهذه المناسبة في عددها الصادر في الأول من نيسان ١٨٩٨م مقالاً بعنوان «الفيلوكسيرة أو دودة الكرم» ، بقلم مفتش الزراعة في لبنان سليم الأصفر ، حاول فيه تنبيه وتحذير المواطنين منه ، فعرف حشرة (الفيلوكسيرة) ودورها الحياتية وأشكالها . وليصل إلى النقطة الأهم ألا

(١) طوران ، «مقاتلة الحشرات الضارة» ، ص ٩٤١ .

(٢) طوران ، «مقاتلة الحشرات الضارة» ، ص ٩٤٢ .

(٣) سليم الأصفر ، «الفيلوكسيرة أو دودة الكروم» ، مجلة المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ،

العدد : ٧ ، السنة : ١ ، ١/٤/١٨٩٨م ، ص ٢٩٥ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفر ،

«الفيلوكسيرة» .

وهي كيفية مهاجمتها للكروم والآلية التي تتبعها ، فذكر بأنه « في السنتين الأولتين لهجوم الحشرة لا يدري بوجودها ، لكن بعد ذلك بقليل يأخذ الدوالي الاسترخاء وتصفّر الأوراق وتتناثر قبل الأوان ، ولا يبلغ العنب تمام النضج ويشاهد على الحشرات التضخم وتعقد يتعبان الكرمة ، ولا يلبث التضخم أن يسوق التلف إلى العروق الصغيرة فتتهرى ، وتصبح الحشرات الكبيرة إسفنجية الشكل سهلة التفتت وهكذا تتلف الكرمة»^(١) .

ب- مرض الترميد :

وهو المرض المعروف بالأويديوم (Oidium) ، ويصيب الكروم ، وهو سهل العلاج ، وذلك بالذر عليها شيء من الكبريت ، أو تبخر بأبخرته^(٢) .

ج- الجراد :

وهو الوباء الذي أطلق عليه صاحب مجلة (المشرق) ، الأب لويس شيخو بـ«الضيف الثقيل» ، وذلك في معرض حديثه عن مهاجمة الجراد للبلاد السورية في مطلع نيسان ١٨٩٩م ، حيث قدم تعريفاً شاملاً له ، فهو من رتبة الطير المستقيم الأجنحة ، وإناثه كثيرة البيض تضع في الجراب الواحد تسعاً وتسعين بيضة ، ويبقى بيض الجراد في الأرض خامداً أربعين يوماً . وهو شديد النهم له جهاز قوي على الهضم^(٣) .

وأنواعه تربو على الأربعين صنفاً ، بعضها شائع في أمريكا وأستراليا ، وأنحاء من أوروبا ، أما ما عرفه العرب فهو (البرقان) وهو الجراد المتلون ، (أبو جنحادب) طويل الأرجل ، وإذا كانت مع خضرتها سود الرؤوس يدعونها

(١) الأصفر ، «الفيلوكسيرة» ، ص ٣٠٣ .

(٢) طوران ، «مقاتلة الحشرات الضارة» ، ص ٩٩٩ .

(٣) شيخو ، «الجراد في سورية» ، ص ٣٦٦ .

(الجردم والكردم) ، ومنها أصناف مخططة (المسيح) ، وهناك ماله خطوط بيض وصفرة وما ضرب منه إلى الحمرة ويدعى (الخيفان) ، وأطلق اسم الجندب على أنواع من الجراد ليس بها بأس ، ويسمون صغارها (خندعاً)^(١) .

أما وسائل مكافحة الجراد فتتمثل في الحفر على بيض الجراد قبل أن يفسد ، وتعرضه للهواء والشمس فيفسد ، ويستدل على مواضع البيض من مقامات الجراد الطائر ومنازله ، فتحثرث الأرض بالمحراث ، أما الأماكن التي لا يمكن حرثها فيجمع فيها البيض كما يفعل أهل القرى ويتلف^(٢) .

والطريقة الثانية - وهي السائدة في لبنان وبعض أنحاء الشام - فإذا خرج الدبى (وهو أول خروج الجراد من البيض) يحفرون له خنادق واسعة ، إذ من خصائص الجراد أنه يزحف دائماً أمامه على خط مستقيم ، فإذا بلغ إلى الحفر سقط فيها ، فيهاى عليه التراب . والبعض يجعل أمامه سياجاً من الأعشاب الشائكة كالعليق وغيره ، فإذا تراكم عليه الدبى أوقدت ناراً^(٣) .

ومن ذلك أيضاً حرق شيئاً من الجراد في موضع ما ، فإذا شمّ باقي الجراد الرائحة عدل عن المكان أو مات . ويمكن ترويع الجراد بإصدار أصوات عالية مزعجة بضرب الأواني النحاسية ، فيمنع الجراد من أن يحط في مكان مزروع لاسيما في المساء أيام التزاوج ، لأنه إذا قضى ليلة في مكان ما خلف فيه بيضه . وكذلك احتفاظ المزارعين بالطيور الآكلة للجراد والمعروف في بلاد الشام بـ(السمرمر) ، ويدعوه العرب بالسودانية ، فهو يأكل ألوفاً منه يومياً . والنصيحة الأخيرة التي قدمتها المجلة أن يقوم الناس بأكل الجراد^(٤) .

(١) شيخو ، «الجراد في سورية» ، ص ٣٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٠ .

د- المألوش:

وهو هامة أو حشرة من رتبة الحشرات ذات الجناح المتساوي ، تدخل في صنف الصراصير ، وتتواجد في التربة الخفيفة الرطبة كثيرة الرمل ، تخرج في الليل لصيد الهوام والحشرات ، وأصلح بيئة لنموها السماد لاسيما روث الخيل ، وما يزيد في ضررها حفرها للأسراب ، وتقطع ما تجده في طريقها من جذور . ويعيش المألوش نحو ثلاث سنوات ، وفي سنتيه الأوليين يكون على هيئة دودة ، أما السنة الثالثة فيبلغ كماله ، وتزوجه يتم في شهري أيار وحزيران . وتبلغ فترة حضانة البيضة خمسة عشر يوماً^(١) .

أما طرق مكافحته فتتمثل في وضع حواجز تصده عن حفر أسرابه ، بعمل أخاديد في الأرض وملئها بالحجارة أو الفحم الحجري . والطريقة الأخرى تتلخص بوضع كمية من سماد النبات أو روث الخيل في أرض المزرعة ، وفي اليوم التالي يوضع في الثقب الذي أحدثه ماء وفوقه زيت فيموت خنقاً . أو أن تتم حرارة الأرض على عمق ١٥سم في شهر حزيران وتموز فتكشف أعشاشه ويتلف بيضه . ومن الوسائل أيضاً امتناع المزارع عن ري الأرض لفترة ، ثم يوضع ماء في أنية ، ولحاجة المألوش للماء يغرق في الأنية . ومن ذلك أن تجعل في البساتين العلاجيم أو الضفادع المعروفة بالسامة ، فتأكل المألوش^(٢) .

هـ - الدودة البيضاء:

وهذه الآفة تصيب شجرة القشطة ، فتتسلط على الكبيرة منها وتضربها ، وتصيبها بالعفن ، وتختفي هذه الدودة في الشتاء في شقوق القشرة وفيها تبيض ، ثم تغطي البيض بمادة غروية قطنية تفرزها ، فإذا نما الصغار سرورا إلى أوراق الشجرة ، ثم اجتازوا إلى أثمارها فأفسدوها بسيالهم الأبيض وبرازهم ،

(١) الأصفر ، المألوش ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٥ .

ومنها تتكون عفونة يدعونها فوماجين^(١).

و- الصرصر (الجييز) :

وهذه الحشرة تهاجم أشجار التوت ، وتكمن خطورتها ليس على الشجرة فقط ، بل وتهدد شرانق دودة القز ، وهو ما حاولت (المشرق) تحذير المزارعين منه ، فقالت بشأن ذلك : « كان موسم الشرانق غاية في الإقبال في العام الغابر ، رغماً من أضرار الصرصر ، وقد رأينا من مدة مئات من الصرصر المذكور المنتشر على الطرقات ما بين القرى القريبة من المدينة ، فإذا لم يتدارك أرباب الزراعة هذا الأمر ويهتم له ، فتكون حينئذ لا سمح الله ضربة قاضية على الملاكين في هذه السنة ، وعلى ما ظهر لنا أن البرد الشديد يضر به كثيراً ويميت أغلبه ، لأنه منذ سقوط الأمطار الأخيرة واشتداد البرد اختفى تماماً ولم نعد نراه»^(١).

ز- آفة الأشجار المثمرة:

قدمت المجلة دراسة شاملة في كانون الثاني ١٩١٢م حول أبرز الآفات التي تصيب الأشجار المثمرة ، فذكرت فصيلة كل واحدة منها وأطوار نموها وخصائصها وأشكالها ، والأشجار التي تهاجمها ، حيث أشارت إلى أن هناك ثلاثة فصائل منها موجودة في بلاد الشام لاسيما في بيروت وجهات البقاع^(٣) ومنها الحشرة المستطيلة القرون ، ولكثير منها قرنان يزيدان عن جسمها . وهناك حشرة تدعى (بوبراست) (Buprestes) أي نافخة البقر ، لأنه إذا أكلتها البقر مع الحشيشة نفخت بطونها وسممتها . ويهاجم بعضها شجر الليمون والزيتون بحيث تيبس الشجرة بعد مدة قليلة من مهاجمتها ، وإذا نجحت من الموت تصبح

(١) الأصفر ، « شجرة القشطة » ، ص ٤١٦ .

(٢) كيال ، « تجارة صيداء » ، ص ١٧٧ .

(٣) البقاع : سهل مرتفع واقع بين سلسلي جبال لبنان الغربية والشرقية .

نخرة . ومن أنواعها الكبنوديس ملياريس (Capnodis Miliaris) وتطير حول الزيتون ، وهناك نوع يدعى كبنوديس - كربوناريا (Capnodis carbonaria) ، وهذا النوع يهاجم أشجار الزيتون والفسق والتين والبطم . وكذلك حشرة بيرويتس كلورانا (Perotis Chlorana) ، وهي عدوة الأشجار المثمرة كالحوخ والمشمش واللوز . وأخرى تدعى سيكلوبس (Cyclops) وتكثر في سورية وهي من أشد آفات شجر التفاح والأجاص . وهناك نوع منها تدعى ستيوان (Cetoinis) ، وضررها على البقول أكثر منه على الأشجار ، وهي تتوالد في الجو وتنمو بسرعة^(١) .

كما بينت الدراسة سبل مكافحة هذه الحشرات وتتمثل في وضع ماء في الثقوب التي أحدثتها الحشرات في الشجرة ، ولكن هذا إجراء ضعيف التأثير ، والبعض يحقن الشجرة بسوائل كالبتروك وهذا يضر بالشجرة دون النفع ، أما أنجع السبل فهي باتخاذ أسلاك حديدية رفيعة تدخل في قلب الشجرة إلى أن يبلغ رأس السلك أقصى الثقب فيقتل الدود ، وإن كانت الحشرة الأم هناك خرجت فتقتل عند خروجها . ومن الوسائل المكافحة أيضاً طلي منافذ الشجر عند تقليمه بالقطران^(٢) .

وكثير منها يتقى شرها بإتلاف أعشاشها قبل بلوغ دودها وانتشاره في فصل الربيع ، وبما يعالجون به الأشجار التي تصيب الحشرات أوراقها وتدس بيضها في ثمارها قبل أن يعقد زهرها أن ترش عليها بعض المسحوقات أو الموائع المسممة . ومن الحشرات ما ينفض نفضاً عن الشجرة بهز الجفنة هزاً قوياً فتساقط في

(١) سليم الأصفى ، «آفة الحشرات المثمرة» ، المشرق ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، العدد : ١ ،

السنة : ١٥ ، ١٩١٢/١ م ، ص ٦١-٦٥ ؛ وسيشار إليه عند وروده لاحقاً : الأصفى ، «آفة الأشجار

المثمرة» .

(٢) الأصفى ، «آفة الحشرات المثمرة» ، ص ٦٧ .

وعاء خاص وتحرق . أو استخدام النور الساطع ليلاً لآسيما الفراشات التي تؤذي البساتين والكرم (١) .

ح- هوام البرتقال:

والحشرات التي تهدد البرتقال نوعان : الأولى تتمص السوائل من الشجرة بحيث تستنزف قوة الشجرة . والثانية تفرز من الندى الدبق الذي يمتد على الشجرة وقشرتها وجذورها ، فيختمر فتلتصق باختماره شبه عصارة سوداء تسد مسامها وتمنعها من التنفس فتصبح الشجرة بين آفتين باطنة وظاهرة تؤديان بها للعطب (٢) .

ولمكافحة هذه الحشرات وحماية البرتقال منها يتم رش الأشجار بموائع مسمومة فإذا امتصها الهوام تسمرت وماتت ، ثم أن تلك الموائع تسيل على الشجرة ، وتنفذ تحت الستر الواقي للحشرة فينحل سترها وينكشف عنها فتتلف . أو تسليط الغاز السام على الشجرة بالتدخين ، فتستنشقها الحشرات وتموت . ومن ذلك أيضاً استخدام حشرات صغيرة تدعى ككسينال (Coccinelles) ، تهاجمها وتقضي عليها ، حيث استخدمت هذه الطريقة في بيروت ، بعد أن أحضرها أحدهم من أمريكا ، فانتشرت ونمت نمواً غريباً ، ونظفت حدائق بيروت من الحشرات الضارة (٣) .

خاتمة:-

من خلال ما سبق نجد أن مجلة (المشرق) حاولت فيما قدمته من مادة زراعية ، وتركيزها على القضايا الزراعية المهمة ، ومحاولتها تسليط الضوء على

(١) لامنس ، «تسريح الأبصار» ، ص ٩٩٩ .

(٢) جوفروا ، «البرتقال» ، ص ٥٣١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣٣-٥٣٧ .

المشاكل التي كانت تعاني منها الزراعة في بلاد الشام عموماً ، ولبنان على وجه الخصوص ، ومحاولتها إيجاد الحلول لها ، وتقديم مادة علمية شاملة ، تساعد المهتمين على اختلاف مستوياتهم ، فكانت السباقة في هذا المجال ، حيث شغلت المادة الزراعية حيزاً لا بأس به من صفحاتها وأعدادها .

أسماء المشاركين بحسب حروف الهجاء

- ١ . د . إحسان الثامري
جامعة العلوم الإسلامية العالمية
المملكة الأردنية الهاشمية
- ٢ . د . حنان ملكاوي
قسم التاريخ / كلية الآداب / الجامعة الأردنية
المملكة الأردنية الهاشمية
- ٣ . أ . د راشد القحطاني
كلية العلوم الاجتماعية / جامعة الإمام محمد
بن سعود الإسلامية
- ٤ . أ . د سمير الدروبي
الرياض / المملكة العربية السعودية
قسم اللغة العربية / جامعة مؤتة
المملكة الأردنية الهاشمية
- ٥ . د . سهيل صابان
قسم التاريخ / جامعة الملك سعود
الرياض / المملكة العربية السعودية
- ٦ . د . سهيلا الشلبي
باحثة / المملكة الأردنية الهاشمية
- ٧ . د . عبد القادر الحصان
مديرية آثار المفرق / الدائرة العامة
المفرق / المملكة الأردنية الهاشمية
- ٨ . أ . عبير قطناني
المعهد الدبلوماسي الأردني /
عمان / المملكة الأردنية الهاشمية
- ٩ . د . عصام عقلة
قسم التاريخ / كلية الآداب / الجامعة الأردنية
المملكة الأردنية الهاشمية
- ١٠ . د . عليان الجالودي
قسم التاريخ / جامعة آل البيت
المفرق / المملكة الأردنية الهاشمية
- ١١ . د . عمار النهار
قسم التاريخ / جامعة دمشق
دمشق / الجمهورية العربية السورية

- ١٢ . د . غالب عربيات
جامعة البلقاء التطبيقية
المملكة الأردنية الهاشمية
- ١٣ . د . فاروق حبلص
كلية الآداب والعلوم الإنسانية / الجامعة
البنانية الفرع الثالث
الجمهورية اللبنانية
- ١٤ . أ . د فالح حسين
قسم التاريخ / كلية الآداب / الجامعة الأردنية
المملكة الأردنية الهاشمية
- ١٥ . د . فرج الحسيني
مديرية الآثار / أسيوط / جمهورية مصر العربية
- ١٦ . أ . د مسعود ضاهر
قسم التاريخ / الجامعة اللبنانية
الجمهورية اللبنانية
- ١٧ . د . مهند مبيضين
قسم التاريخ / كلية الآداب / الجامعة الأردنية
المملكة الأردنية الهاشمية
- ١٨ . د . يوسف بني ياسين
قسم التاريخ / كلية الآداب / الجامعة الأردنية
المملكة الأردنية الهاشمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

برنامج
المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام

«الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية
العهد العثماني ١٩٢٠م»

٩-١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ / ١-٥ نيسان ٢٠١٢م

الجامعة الأردنية
عمان

مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية - عمان (١١٩٤٣) الأردن
هاتف : ٥٣٥٥٠٠ (٠٠٩٦٢٦) فرعي : (٢١٠٦٦) أو (٢١٠٦٥) ناسوخ (فاكس) : ٥٣٣٦٤٨٣ (٠٠٩٦٢٦)
E-mail: hbc@ju.edu.jo

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسرني أن أرحب بالزملاء الباحثين المشاركين بأعمال المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام: «الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ١٩٢٠م»، والترحيب موصول إلى كل الضيوف الذين يحضرون الجلسات العلمية لهذا اللقاء العلمي الدولي المتميز والتحية أجلاها إلى الزملاء أساتذة الجامعات وطلاب الدراسات العليا المشاركين معنا .

ويسعدني أن أرفق لكم برنامج جلسات المؤتمر الصباحية في الجامعة والمسائية في الفندق ، وستكون الجلسات الصباحية متزامنة في قاعتين متجاورتين نظراً للعدد الكبير من البحوث المقدمة لأعمال المؤتمر .

ومن الجدير بالذكر أننا صوّرنا هذه البحوث ووزّعناها على المشاركين ليتمكنوا من دراستها قبل تقديم أصحابها ملخصاتها في جلسات العمل في إطار (٢٠) عشرين دقيقة فقط ، من أجل توفير الوقت وإتاحة الفرصة للمناقشة والحوار ، ونرجو الزملاء الكرام جميعاً الأخذ بهذا التوجه من أجل تعميم الفائدة وإتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من الحضور للمشاركة في النقاش والمداخلة العلمية .

وما كان لهذا المؤتمر أن يلتئم في الجامعة في هذا الزمن المفصلي لولا الجهود الكبيرة التي بذلها زملائي في مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام ولقد تفانى العاملون في مختلف دوائر الجامعة وأجهزتها الخدمية والفنية والطبعة في بذل الجهود لتجهيز كل المتطلبات قبل بداية أعمال المؤتمر ، وستكون سعادة الجميع كبيرة في نجاح هذا المؤتمر في تحقيق رسالته في خدمة هوية الأمة

وتاريخها المجيد ، خاصة بعد الزلزال السياسي والاجتماعي الذي شهدته المجتمعات العربية مؤخراً .

وخير ما نختتم به هذه الكلمة الترحيبية أن نقرأ في كتاب الله تعالى :
﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة ١٠٥) .

مدير مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام

(أ . د . محمد عدنان البخيت)

الجامعة الأردنية
٥ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ
٢٨ آذار ٢٠١٢م
عمّان

برنامج حفل الافتتاح

عريف الحفل :	- لينا عوض
٩,٣٠	- السلام الملكي
٩,٤٥-٩,٣٥	- آيات من الذكر الحكيم يرتلها فضيلة المقرئ فادي الجبور مقرئ الجامعة الأردنية .
١٠,٠٠-٩,٤٥	- كلمة مدير مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت
١٠,١٥-١٠,٠٠	- كلمة رئيس جامعة دمشق - الأستاذ الدكتور عامر مارديني
١٠,٣٠-١٠,١٥	- كلمة رئيس جامعة اليرموك - الأستاذ الدكتور عبدالله موسى
١٠,٤٥-١٠,٣٠	- كلمة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة الأردنية بالوكالة - الأستاذ الدكتور رضا الخوالدة
١٠,٥٥-١٠,٤٥	- السلام الملكي
١١,٣٠-١٠,٥٥	- تناول المرطبات في بهو عمادة شؤون الطلبة
١١,٣٠	- بدء الجلسات الصباحية بعمادة شؤون الطلبة بالجامعة الأردنية

اليوم الأول (*)

الأحد (٩ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ / ١ نيسان ٢٠١٢م)

الجلسة (أ)

مدرج الحسن بن طلال

رئيس الجلسة:

١١,٣٠ أ. د. سمير الدروبي

أثر كتاب «الفلاحة النبطية» ترجمة ابن وحشية في مصادر الفلاحة
الشامية: كتاب «مفتاح الراحة لأهل الفلاحة» نموذجاً .

١٢,٠٠ د. إحسان ذنون الثامري

المعارف والمهارات الزراعية في بلاد الشام من خلال مخطوطة (جامع
فوائد الملاحه في جوامع فوائد الفلاحة) لرضي الدين الغزي المتوفى
سنة ٩٣٥ هجرية

١٢,٣٠ Steve Tamari. Dr

The Land and the Earth: Bilād al-Shām and Practical Agriculture
in the Work of Abd al-Ghani al-Nābulusi (D. 1143/ 1731).

١,٠٠ الأنسة عبير قطناني

الحياة الزراعية في بلاد الشام من خلال كتاب الملاحه في علم
الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣١م)

(*) استُنسخت جميع البحوث ووزعت على المشاركين، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر
الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص
مكثف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل
إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم .

الجلسة (ب)

القاعة المجاورة

رئيس الجلسة:

- أ . د . محمد الأرنؤوط ١١,٣٠
بعض مظاهر الحياة الزراعية في ريف دمشق بالاستناد إلى السجل
الشرعي الأول بدمشق رمضان ٩٩١هـ - رجب ٩٩٢هـ .
- الآنسة صفية السلامين ١٢,٠٠
الضرائب وانعكاساتها على المجتمع في بلاد الشام على ضوء بعض
فتاوى الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت ١١٤٣هـ /
١٧٣١م)
- د . عليان الجالودي - د . غالب العربيات ١٢,٣٠
فتاوى خير الدين الرملي (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧١م) مصدراً لقراءة
مظاهر النشاط الزراعي في فلسطين خلال القرن الحادي عشر
الهجري / السابع عشر الميلادي
- د . مهند مبيضين ١,٠٠
فتاوى الشيخ شمس الدين محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م)
مصدراً للتاريخ الزراعي في فلسطين
- ١,٣٠ تناول طعام الغداء في مطاعم الجامعة .
٢,٣٠ المغادرة إلى الفندق للاستراحة .
٥,٠٠ بدء الجلسات المسائية في الفندق .

فندق المريديان (*)

رئيس الجلسة :

Toru Miura. Dr

٥,٠٠

Agricultural Properties of Waqf and Milk Ownership in Damascus
Province from the Mamluk into the Ottoman Period: Preliminary
Survey using the Waqf Survey Registers and the Land Survey
Registers of the Sixteenth Century

٥,٣٠ أ. د. مسعود ضاهر

الزراعة في بلاد الشام في القرن التاسع عشر من خلال تقارير أميركية

٦,٠٠ د. عصام مصطفى عقلة

د. يوسف أحمد بنبي ياسين

الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)

٦,٣٠ د. حنان ملكاوي

الزراعة في بلاد الشام من خلال كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر
لشيخ الربوة الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م)

٧,٠٠ أ. د. صالح درادكة

شجر الزيتون في رقعه الأردن الحالي في القرن العاشر الهجري / السادس
عشر الميلادي ٩٣٠-١٠٠٥هـ / ١٥٢٣-١٥٩٦م : دراسة مقارنة لدفاتر الطابو
العثمانية

(*) استُنسخت جميع البحوث ووزعت على المشاركين ، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر
الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط ، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص
مكتف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل
إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم .

- ٧,٣٠ أ. د. راشد القحطاني
نهر الذهب في تاريخ حلب مصدراً للمعلومات الزراعية عن حلب ومحيطها
- ٨,٠٠ د. أسماء رمضان «الشيخ خليل»
تأثير العسكر وموظفي الدولة في حياة ريف دمشق في القرن العاشر -
الحادي عشر الهجري/ القرن السادس عشر - السابع عشر الميلادي
- ٨,٣٠ تناول طعام العشاء .

اليوم الثاني (*)

الاثنين (١٠ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ / ٢ نيسان ٢٠١٢م)

الجلسة (أ)

مدرج الحسن بن طلال

رئيس الجلسة :

٩,٠٠ أ . د . محمد ضيف الله بطاينة

نظام الخراج تطوره وأثره على الزراعة في بلاد الشام بين عصر صدر الإسلام
والعصر العباسي الأول

٩,٣٠ أ . د . شكران خربوطلي

أنواع الأراضي الزراعية في بلاد الشام من عصر الرسول صلى الله عليه
وسلم حتى نهاية العصر الأموي

١٠,٠٠ د . فائزة حجازي

دور أهل الذمة في الزراعة في بلاد الشام خلال العصر العباسي ١٣٢-

٣٥٩هـ/٧٤٩-٩٦٩م

Dr. Konstantinos D. Politis ١٠,٣٠

Agriculture in the Ghor es-Safi during the Byzantine and Islamic Periods

١١,٠٠ د . أحمد عبد الحميد عبد الحق

المحاصيل الزراعية في بلاد الشام خلال العصر العباسي ومظاهر ازدهارها

١١,٣٠ استراحة وتناول المرطبات .

(*) استُنسخت جميع البحوث ووزعت على المشاركين، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر

الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص

مكثف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل

إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم .

- ١٢,٠٠ أ . د . محمد عبد القادر خريسات
السيدة رابعة مزهر شاكر
التنجيم والزراعة في بلاد الشام (دراسة تطبيقية)
- ١٢,٣٠ د . عادل محمد زيادة
الخانات التجارية في مدن الشام ودورها في تسويق المحاصيل الزراعية خلال
العصر الإسلامي
- ١,٠٠ د . حسين القهواتي
أسواق الفاكهة والخضار ورسومها في نابلس في أواخر العهد العثماني
وبداية الاحتلال البريطاني
- الجلسة (ب)
القاعة المجاورة
- رئيس الجلسة :
- ٩,٠٠ د . ممدوح عبد الحلیم الخرابشة
التقنيات الزراعية في بلاد الشام في العصر البيزنطي
- ٩,٣٠ د . عاطف محمد سعيد الشباب
الزراعة والمياه في منطقة مؤاب (الربة والقصر) بمحافظة الكرك في
أواخر العصر البيزنطي
- ١٠,٠٠ أ . د . فالح حسين
الضرائب الزراعية وجبايتها في بلاد الشام في العصر الأموي على
ضوء الوثائق البردية من عوجا الحفير (جنوب فلسطين)
- ١٠,٣٠ د . إلياس جريج
أراضي بلاد الشام في نظام الأيالت والولاية
- ١١,٠٠ د . حاتم الضمور
المحاصيل الصيفية في بلاد الشام في العصر العباسي (١٣٢-٤٥١هـ/
٧٥٠-١٠٥٩م)

- ١٢,٠٠ د . اكتمال إسماعيل
- المحاصيل الأصيلة في بلاد الشام
- ١٢,٣٠ أ . د . ناصر الدين سعيدوني
- نظرة في العوامل المتحكمة في الزراعة ببلاد الشام أثناء العهد
العثماني
- ١,٠٠ د . صلاح عريبي عباس
- أثر التنظيمات العثمانية على واقع النشاط الزراعي في بلاد الشام منذ
منتصف القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين
- ١,٣٠ تناول طعام الغداء في مطاعم الجامعة .
- ٢,٣٠ المغادرة إلى الفندق للاستراحة .
- ٥,٠٠ بدء الجلسات المسائية في الفندق .

فندق المريديان (*)

- رئيس الجلسة :
٥,٠٠ أ. د. هاني العمدة
ميثولوجيا الأمثال الشعبية الأردنية الزراعية
٥,٣٠ د. فدوى نصيرات
العادات والتقاليد الشعبية المصاحبة للمواسم الزراعية في شمال
الأردن «محافظة إربد نموذجاً»
٦,٠٠ د. زياد طلافحة
الأدب الشعبي والفنون الشعبية وما تحمل من دلالات زراعية في
شمال الأردن بلدة جحفية نموذجاً
٦,٣٠ د. علي محمد فريد مفتاح
المراكز الزراعية ومحاصيلها في بلاد الشام (٥٥٠-٨٠٠هـ / ١١٥٥-
١٣٩٧م) دراسة في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة العرب
والمسلمين
٧,٠٠ د. طه حسين عوض هُدَيْل
الزراعة في بلاد الشام في كتابات الرحالة المسلمين «دراسة تاريخية
تحليلية»
٧,٣٠ د. فرج الحسيني
النقوش الكتابية المملوكية مصدراً لتاريخ الزراعة في بلاد الشام
(٦٥٨-٩٢٢هـ / ١٢٦٠-١٥١٦م) نقوش العمائر في سورية نموذجاً
-
- (*) استُسخنت جميع البحوث ووزعت على المشاركين، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر
الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص
مكثف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل
إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم.

- ٨,٠٠ د . عبد القادر الحصان
صورة بلاد الشام في رحلة أوليا جلبي (١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م -
١٠٨١هـ / ١٦٧١م)
٨,٣٠ تناول طعام العشاء .

اليوم الثالث(*)

الثلاثاء (١١ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ/ ٣ نيسان ٢٠١٢م)

الجلسة (أ)

مدرج الحسن بن طلال

رئيس الجلسة :

أ . ٩,٠٠ المهدي عيد الرواضية

الزراعة في جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري

أ . د . ٩,٣٠ . فاروق حبلص

تغيير أشكال ملكية الفلاح في أرياف ولاية طرابلس من مرحلة نظام

الالتزام إلى عصر التنظيمات من خلال الوثائق العثمانية

أ . د . ١٠,٠٠ أحمد الجوارنة

أ . محمد يعقوب

الزراعة في ولاية بيروت من خلال رحلة التميمي القسم الشمالي/

طرابلس واللاذقية «دراسة تاريخية تحليلية»

أ . ١٠,٣٠ . نايل أبو شقرا

الزراعة في قضاء الشوف (لبنان) ١٢٨٨-١٣٣٨هـ / ١٨٧١-١٩٢٠م

دراسة موثقة وتحليلية

د . ١١,٠٠ . زياد المدني

الزراعة في مدينة القدس وجوارها في القرن التاسع عشر الميلادي

١٨٠٠-١٩٠٠م

(*) استُنسخت جميع البحوث ووزعت على المشاركين ، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر

الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط ، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص

مكثف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل

إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم .

- ١١,٣٠ استراحة وتناول المرطبات .
- ١٢,٠٠ أ . د . رياض مصطفى شاهين
- أثر الغزو الفرنسي الاستيطاني لفلسطين على فئة الفلاحين (٤٩١) -
١٢٥٠ هـ / ١٠٩٨ - ١٢٥٢ م)
- ١٢,٣٠ د . هالا وريكات
- الأوضاع الزراعية في بلاد الشام خلال الحملة الصليبية الأولى
١١٢٣ هـ / ١٠٩٩ م - ١١٦٦ هـ / ١١٢٣ م
- ١,٠٠ أ . د . محمد ماجد الخزماوي
- مبايعة العقارات الزراعية في مدينة نابلس ١٢٥٥ هـ / ١٨٤٠ م -
١٢٧٦ هـ / ١٨٦٠ م
- ١,٣٠ تناول طعام الغداء في مطاعم الجامعة .
- ٢,٣٠ المغادرة إلى الفندق للاستراحة .

الجلسة (ب)

القاعة المجاورة

- ٩,٠٠ أ . د . عمر عبد السلام التدمري
- مزروعات طرابلس الشام وجوارها وفق النصوص التاريخية من الفتح
الإسلامي حتى نهاية دولة المماليك (٢٥ - ٩٢١ هـ / ٦٤٥ - ١٥١٦ م)
- ٩,٣٠ أ . د . نافذ إبراهيم الأحمر
- الزراعة في عكار في العهد العثماني وأهميتها الاقتصادية
١٠,٠٠ د . طلال المجذوب
- زراعة صيدا وسقايتها منتصف القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن
العشرين ١٨٤٠ - ١٩٢٠ م
- ١٠,٣٠ أ . د . محمود يزبك
- برتقال يافا وأثره في التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في مدينة يافا
ومحيطها في القرن التاسع عشر

- ١١,٠٠ د . إبراهيم أبو رميس
الزراعة في بيت لحم وقراها في القرن التاسع عشر
- ١٢,٠٠ د . نائلة الوعري
موقف الإقطاعيين في تسريب وبيع الأراضي الزراعية في فلسطين
١٨٥٦-١٩١٤م
- ١٢,٣٠ د . زكريا السنوار
الزراعة الصهيونية في فلسطين أواخر العهد العثماني (١٨٨٢-
١٩١٤م)
- ١,٠٠ د . زهير غنايم - د . محمود أشقر
الزراعة ومشكلاتها في القرية الفلسطينية في ظل نظام التيمار
- ١,٣٠ تناول طعام الغداء في مطاعم الجامعة .
- ٢,٣٠ المغادرة إلى الفندق للاستراحة .

اليوم الرابع (*)

الأربعاء (١٢ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ / ٤ نيسان ٢٠١٢م)

الجلسة (أ)

مدرج الحسن بن طلال

رئيس الجلسة :

٩,٠٠ أ. د. إلياس سلامة

المعطيات المائية في بلاد الشام وتقنيات استخداماتها التاريخية

٩,٣٠ أ. د. غيداء خزنة كاتبى

الماء واستنباطه من كتب الفلاحة الدمشقية المخطوط والمطبوع

١٠,٠٠ أ. د. سلمان علي البدور

إدارة المياه في بلاد الشام في العهد الأموي

١٠,٣٠ د. جوزيف أبو نهرا

الماء في مناطق الزراعة البعلية في شرقي الأردن خلال القرنين
الأخيرين

Reilly. James A. Dr ١١,٠٠

Patterns and Principles of Irrigated Market-Garden Cultivation in
Ottoman Syria: Damascus, Homs and Hama

١١,٣٠ استراحة وتناول المرطبات

١٢,٠٠ د. عمار محمد النهار

الزراعة والثروة المائية في بلاد الشام من خلال مصادر عصر المماليك

٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م

(*) استُنسخت جميع البحوث ووزعت على المشاركين ، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر

الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط ، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص

مكثف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل

إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم .

- ١٢,٣٠ د . جوني منصور
طواحين المياه في وادي القرن في منطقة الجليل الأعلى من فلسطين
(تقنيات زراعية ، تحولات اجتماعية - اقتصادية)
- ١٢,٣٠ د . إسماعيل أحمد ملحم
تقنيات معاصر العنب في بلاد الشام في أواخر العصر البيزنطي
«الأردن مثالا»
- ١,٠٠ د . خالد عزب
المياه والمنشآت المائية في بلاد الشام

الجلسة (ب)

القاعة المجاورة

- رئيس الجلسة :
- ٩,٠٠ أ . د . أنور البطيحي
المياه في بلاد الشام . . مصادرها ، نقلها ، وطرق استعمالها
- ٩,٣٠ الباحثة ماجدة عمران عبد المجيد
تطور التقنيات الزراعية في مجالي المياه والري والتربة في بلاد الشام
في العهود الإسلامية من القرن ٣هـ - ٨هـ / ٩ - ١٤م طرق الاستدلال
على مواقع المياه وتقنيات رفعها لأغراض الري ، تقنيات الري
لأغراض اقتصادية ،
تقنيات الزراعة في أوساط بديلة عن التربة
- ١٠,٠٠ أ . د . هند غسان أبو الشعر
صورة المناخ والتعامل مع مصادر المياه في دمشق وريفها أواخر العهد
المملوكي (يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق المعروفة بالتعليق
مصدرا) ٨٨٥ - ٩٠٨ هـ / ١٤٨٠ - ١٥٠٢م

- ١٠,٣٠ د . رؤوف أبو جابر
الماء في مناطق الزراعة البعلية في شرقي الأردن خلال القرنين
الأخيرين
- ١١,٠٠ د . جورج فريد الداود
مصادر المياه في منطقة البلقاء خلال فترة التنظيمات العثمانية
١٨٦٤-١٩٢١م
- ١٢,٠٠ د . فتحي درادكه
الموارد المائية في جبل عجلون ١٨٦٤-١٩١٨م (عرض صور لمواقع
المطاحن والمعاصر)
- ١٢,٣٠ د . إسماعيل أحمد ملحم
تقنيات معاصر العنب في بلاد الشام في أواخر العصر البيزنطي
«الأردن مثالا»
- ١,٠٠ د . فوزي الطواهيّة
الكوارث الطبيعية وأثرها على الحياة الزراعية في بلاد الشام في
العصر المملوكي الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)
- ١,٣٠ تناول طعام الغداء في مطاعم الجامعة .
- ٢,٣٠ المغادرة إلى الفندق للاستراحة .
- ٥,٠٠ بدء الجلسات المسائية في الفندق .

فندق المريديان (*)

- رئيس الجلسة :
- ٥,٠٠ أ. د. رضا شبلي
زراعة الزيتون في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي ١٠٥٣م إلى
نهاية العهد العثماني ١٩٢٠م
- ٥,٣٠ د. نعمان عمرو
د. عبد الرحمن المغربي
زيت الزيتون إنتاجه وتصنيعه في نيابة القدس خلال العهد المملوكي
٦٤٨-٩٢١هـ/١٢٥٠-١٥١٦م
- ٦,٠٠ د. بشرى خير بك
الصناعات الغذائية في العهد العثماني في دمشق وريفها «معاصر
الزيت والدبس أنموذجا للدراسة»
- ٦,٣٠ د. يوسف الزاملي
زراعة الزيتون والصناعات القائمة عليه ببلاد الشام في العهد المملوكي
(٦٤٨هـ/١٢٥٠م - ٩٢٣هـ/١٥١٦م)
- ٧,٠٠ د. فاطمة يحيى الريدي
الزراعة والغذاء في بلاد الشام في العصر المملوكي ٦٤٨-
- ٧,٣٠ تناول طعام العشاء .
٩٢٢هـ/١٢٥٠-١٥١٦م

(*) استُنسخت جميع البحوث ووزعت على المشاركين ، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط ، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص مكثف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم .

اليوم الخامس (❖)

الخميس (١٣ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ / ٥ نيسان ٢٠١٢م)

الجلسة (١)

مدرج الحسن بن طلال

- ٩,٠٠ د . سهيلا سليمان الشلبي
موقف الصحافة العربية من القضايا الزراعية في بلاد الشام مجلة
(المشرق) ١٨٩٨-١٩٢٠م «إنموذجاً»
- ٩,٣٠ أ . د . محمد عبده السروري
مقادير بلاد الشام للمقاييس والمكايل والموازن مع مقارنتها بمصر
والحجاز والعراق في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي
- ١٠,٠٠ د . خضر سلامة
المحتسب في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي
- ١٠,٣٠ أ . د . نوفان رجا الحمود السوارية
الزراعة في لواء نابلس في القرن السادس عشر على ضوء دفتر مفصل
لواء نابلس T.D. 258 (١٥٤٨-١٥٤٩م)
- ١١,٠٠ د . زهير غنام
جباية الرسوم والضرائب من الأراضي الزراعية في فلسطين في ظل
نظام التيمار «المقاطعة (الالتزام) والتأجير»

(*) استُنسخت جميع البحوث ووزعت على المشاركين ، لذا يُرجى من الزملاء الكرام مراعاة عنصر الوقت حيث سيُخصص لكل بحث قرابة ٢٠ دقيقة فقط ، نرجو من كل زميل اعتماد ملخص مكثف يتناول القضايا الأساسية في بحثه وتجنب القراءة الكاملة للبحث نظراً لضيق الوقت من أجل إتاحة الفرصة لبقية الزملاء لتقديم ملخصات بحوثهم .

- ١١,٣٠ استراحة وتناول المرطبات .
- ١٢,٠٠ د . شامخ زكريا مفلح علاونة
- نظام الالتزام في فلسطين في أواخر العهد العثماني
- ١٢,٣٠ د . أيمن أحمد محمود
- سياسة محمد علي باشا الزراعية في بلاد الشام (١٨٣٢-١٨٤٠م)

الجلسة (ب)

القاعة المجاورة

- رئيس الجلسة :
- ٩,٠٠ السيدة عبلة سعيد المهدي
- الأراضي الزراعية الموقوفة في منطقة القدس خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي - أرض الصلاحية أنموذجاً من خلال المصادر الأولية
- ٩,٣٠ د . أحمد حسين الجبوري
- أثر الصراعات السياسية على الزراعة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر الميلادي «القدس الشريف نموذجاً»
- ١٠,٠٠ د . إبراهيم ربابعة
- عوائد رسوم قباطية ، مصدر نزاع الباشوات والأغوات في العصر العثماني دراسة وتحليل حجج شرعية
- ١٠,٣٠ د . أمين أبو بكر
- العقبات التي واجهت قطاع الزراعة في فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م
- ١١,٠٠ أ . د . خيرية قاسمية
- الأحوال العامة للزراعة في عهد حكومة دمشق العربية ١٩١٩-١٩٢٠م

- ١٢,٠٠ د . سهيل صابان
البنك الزراعي ودوره في تنمية الحياة الزراعية ببلاد الشام : دراسة من
وثائق الأرشيف العثماني
١,٣٠ تناول طعام الغداء في مطاعم الجامعة .

الفهارس (*)

- الأعلام

- الجماعات والأسر والطوائف

- الأماكن والمواقع

- أنواع المحاصيل الزراعية

(*) قام بإعداد الفهارس كل من الأنسة منال عيد حداد والسيد أحمد عبد القادر خريسات وقامت بطباعتها الأنسة ربحا التميمي ، فالشكر موصول للجميع .

الأعلام

- أ -

٧١	ابتسام فاني
٤٨ ، ٤٧	ابراهيم بن موسى
٥٥٠	ابراهيم - سيد
٥٢٩ ، ٥٠٧	ابراهيم باشا
٥٢٩	ابراهيم البركة - أفندي
٦٠٧ ، ٥٩٥	ابراهيم حرفوش
٣٣٧	ابراهيم بن سليمان الجنيني
٣٨٦	ابراهيم شمس الدين
٥٢٩	ابراهيم العرجا
٣٥٠ ، ١٨١ ، ١٧٤	ابراهيم علي طراخان
٥٢٩	ابراهيم عورة
٥٣٠	ابراهيم مآب
٥٣٠	ابراهيم المسقاوي
٥٣٩	ابراهيم مصطفى الحاج
٣٨٧	ابراهيم بن منصور القتال
٢٦٠	أبقرات
٢٦٠	أبلوطس
٥٦٣ ، ٢٧	ابن الأثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري
٢٤٩ ، ١٥	إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري
١٢٢ ، ٧٠	إحسان صدقي العمدة
٣٦٤ ، ٣٤١ ، ٣٣٤ ، ٢٨٨ ، ٥٢ ، ٢٠	إحسان عباس
٤٥٩	

٣٥٩	أحمد آق كوندز
٤٢٥	أحمد بن أمين الدين البسطامي
١٥٨	أحمد الإيش
٣٨٩، ٢٤٣، ٢١٤	أحمد الثالث - السلطان
٥٥١	أحمد جليبي بن رجب
٤٨١	أحمد حلمي أفندي
١٨٨	أحمد زيادة
٥٥١	أحمد شحادة الحلاق
٥٣٠	أحمد شرسوحة
٤٦٣، ٤٦٢، ٣٨٨	أحمد شفيق مدحت باشا ابن الحاج علي أفندي
٣١٦، ٣١٣، ٣١٢، ٣٠٦، ٣٠٥	أحمد الصغير - باشا
٣١٧	
٥٨٥	أحمد الصنوبري
٥٣٠	أحمد طه
٤٢٢، ٤٠٧، ٤٠٥، ٣٩٩	أحمد عبد الجواد البنا
٤٤٥	أحمد عبد الرحيم مصطفى
٣٨٨، ٣٤٣	أحمد عبد المجيد الهريدي
٥٣٠	أحمد عثمان
٥٣٠	أحمد غزال
١٨٨	أحمد غسان سبانو
٣٨٧	أحمد القلعي الحنفي
٥٣٤	أحمد بن مصطفى إسرائيل
٢٢٨	أحمد ملاعبة
٤٧٩، ٤٦٠، ٤٥٩، ٣٠٤، ١٥٢	أحمد وصفي زكريا
	أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن الحكم الحجوري الأرزوني ١٦٠

٩٩	الأخيطل الأهوازي
٩٠	أدريان فان ليوفن
٢٦٠ ، ٨٩ ، ٨٢ ، ٧٤	أرسطو
٣٥٤	ارندك
٦٢	أرنست رينان
٣٢ ، ٢٤	الأزدي ، محمد بن عبد الله
٢٦	ابن اسحق
٤٢٦	اسحق الحسيني
٩٠	اسحاق بن العباس الهاشمي
٨٣	إسحاق بن عمران
٢٥٢	أسد رستم
٤٨٠	أسعد زادة - شيخ أفندي
٦١١ ، ٦٠٠ ، ٥٩٤	أسعد ملحمة
٦١٩ ، ٦١٨ ، ٦٠٦	اسكندر طوران اليسوعي - أب
٤٦٣	إسماعيل - ملازم عثماني
٥٢٩	اسماعيل باشا
٣٣٨	اسماعيل البغدادي
٣٥٤	اسماعيل حقي جارشلي
٤٧ ، ٤٢	أصطفان بن حانون
٤٢	أصطفان بن عويض
٤٧	أصطفان بن الياس
٤٠ ، ٣٦	أصطفان الميomasي
٨٥ ، ٨٤	ابن ابي أصيبعة ، أحمد بن القاسم بن خليفة
٢٥٢	أفرام البستاني
١١٧	الأفرم - والي دمشق

٤٢٧، ٣٨٦	أكرم حسن العليبي
١٠٠ ، ٩٩	ابن الأكفاني ، محمد بن ابراهيم بن ساعد
٣٥٨	أكمل الدين احسان أوغلي
٦٢	ألفرادفون غوتشميد
٤٩٧	ألفونس دور يجالو
٤٧	الياس بن ابراهام
٤٨، ٤٧	الياس بن سرجيوس
٥٤٧	آمنة شاهين
٦٠٤ ، ٦٠٣ ، ٦٠٢ ، ٥٩٩ ، ٥٩٥	إميل خاشو
٦١٧ ، ٦١٢ ، ٦٠٨ ، ٦٠٧ ، ٦٠٥	
٣٨٦	أمين الدويكي
٤٢٦	أمين أبو ليل
٩٠	أندرى فيري
٣٥٠	آن لاميتون
٥٢٠	أنطانيوس الشدياق
٣٣٦	أنطون عبد النور
٦١٣ ، ٥٩٤	أنطون عرب
٤٩٦	أنطونيوس يني
٦١	أنور أبو سليم
٢٢٨	أوران الحاجب ، سيف الدين
٨٣	أورسولا واير
٣٣٥	اورل هايد
٤٦	الاوزاعي
٦٢٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٣ ، ٥٩٩	أوغست جوفروا
٥٠١	أوغست جونسون

، ٣٠٦، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣، ١٦	أولياء جلبي بن درويش محمد آغا ظلي
، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣١٠، ٣٠٨	
٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥	
٣٢٥	أويس القرني
١٨٨، ١٤٨	ابن إياس؛ محمد بن أحمد
١٨٨	إيسن أتبول - مؤرخة أمريكية
٦٣	أيمن فؤاد سيد
٣٦٣	إينالچك
١٥١	أيوب - نبي الله عليه السلام

- ب -

٨٨	باديس الصنهاجي
٤٦٨	البارون ماك كوكين ديسلان
٣٦٨	بدر الدين القاسم
٥١٩	بدر اليوسف - بك
، ١٣٢، ١٣٠، ١٢١	البدرى؛ أبو البقاء عبد الله بن محمد المصري الدمشقي
٢٩٠، ١٣٧، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣	
٥٣٠	برغش غزال
٨٤	بروكلمان، كارل
٤٢٦	بريرة - ابنة الشيخ الخليلي
٣٥٤	بسام الحلاق
١٤٣، ١٠٥، ٨٢	ابن بصال الأندلسي؛ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطليطلي
١٥٥	بطرس - قديس
٣٤٤	بطرس البستاني
٣٨٤	بطرليوس

ابن بطوطة ؛ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي ١٢٢ ،
١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ،
١٣٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ،
٨٢ بقراط
٢٢٥ بكتمر الجوكندار
٨٤ ابو بكر حامد بن سمحون
٣ ابو بكر الصديق - رضي الله عنه
٣٣٦ بكري الدين خليل
٥٥١ بكري المصري
البلاذري ؛ أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ،
٢٧ ،

٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ ،
٢٦٠ بليانس
١٢١ بليانس - حكيم يوناني
٨٣ بلينوس الحكيم
١٨٩ بنيامين التطيلي
٥٥٢ بهيجة يوسف السيد
٦٢ ، ٨١ بوراوي الطرابلسي
٦١٦ بولس ماترون اليسوعي - أب
١٥٥ بولومي - قدّيس
٣٥٠ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤٤٥ ،
ابن البيطار ؛ ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي الأندلسي ٨٦ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ،
٢٦٠ ، ٣٨٩ ، ٤٠٤ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠ ،
١٤٧ البيومي اسماعيل الشربيني

- ت، ث -

٢٨	تشارلز توريه
١٧٤	ابن تغري بردي
٢٢٧، ٢١٩	تنكز الحسامي - أمير نائب دمشق
٩١، ٨٦	التنوشي؛ المحسن بن علي
١٥١، ١٤٩، ١٤٨	التوريزي؛ غرس الدين خليل بن يوسف بن عبد الله
٦٤	توفيق فهد
٦٢٢، ٦٠٨، ٦٠١، ٥٩٨	توما كمال
٢٥٣	تيسير خليل الزواهرية
٦٢	تيودر نولدكه
٤٤، ٤٣	ثيودور

- ج -

٢٦٠	جابر بن حيان
٤١٠، ٢٦٠، ٨٢	جالينوس
٢٥٢	جان بردى الغزالي - والي دمشق
٤٤٥، ٣٦٥، ٣٦٤، ٣٥٨، ٣٥٠	جب هاملتون
٢٥٢، ٢٠٨	جبرائيل جبور
٢٨٨، ٣٨٦	الجبرتي؛ عبد الرحمن بن حسين
٥٤٩	جرجس بن موسى
٣٨٨	جرجي زيدان
٤٢١	ابن جريج
٢٦٠	ابن جزلة
١٥٣	جعفر الحسيني
١٧٠	جعفر المهاجر

٤١٥ ، ٨٣	ابن جلجل ، أبو داود سليمان بن حسان
١٣٩ ، ١٣٨	جمال الدين القاسمي
٣٤٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٩	الجنيني
٣٤٤	
٤٧ ، ٤٦ ، ٤٣	جورج بن باتريك
٤٢	جورج بن حانون
٤٧	جورج بن رقيع
٤٥	جورج بن فكتور
٣٩	جورج الميomasسي
٢٠١	ابن الجوزي ، أبو الفرج
٤٣	جون
٤٧ ، ٤٦	جون بن اميانوس
٥٠	جون بن ثيودور
٥٠ ، ٤٢	جون بن الزيات
٢٠	جوينبل
٤٤ ، ٤٣	جيورج

-ح-

٧١ ، ٧٠	ابو الحاج ، زيد صالح
٤٠ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤	الحارث بن عبد
٢٥	الحارث بن المضرب
٣٠٣	حامد أفندي - شيخ الإسلام
٣٣٦ ، ٣٣٥	حامد العمادي
٣٣٦	حاييم جرابر
٥٩٥	حبيب الدرعوني

١٥٧	حجاج بن عبد الملك بن مروان
١٥٧	الحجاج بن يوسف الثقفي
٤٤١ ، ٤٢٩	ابن حجر العسقلاني ؛ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي الكناني
٢٥٤	ابن حجلة
٣١٠	ابن حرفوش
٣٩٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٤	حسان الحلاق
٤١ ، ٤٠	حسان بن مالك البحدلي
٣٥٤	الحسن بن علي بن ابي طالب
٨٩	الحسن بن علي المرتضى
٥٣٦	حسنة بنت جرجس
٣٨٧	حسين بن اسكندر الرومي
٣١٧ ، ٣١٠	حسين باشا
٥٢٩	حسين بشة الجلدة
٥٢٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٢	حسين حصني - حاج
٣٥٤	الحسين بن علي بن ابي طالب
٢٠١	حسين محمد قهواتي
٣٣٥	حسين بن محمد المرادي
٨٤ ، ٨٣	حسين مؤنس
٨٧	حسين يوسف خريوش
٢٥٠ ، ١٦١	حكمت إسماعيل
١١٧ ، ١٥	حنان ملكاوي
٨٣	أبو حنيفة الدينوري
٢٦٠	حنين بن اسحاق
٥٥٠	حيدر بن الشعار

-خ-

- الخادمي ؛ أبو سعيد محمد بن مصطفى ٤٢٩
٢٨ خارجة بن حذافة العدوي
٣٥٤ خاصكي سلطان
٨٩ خالد بن صفوان
٢٥٢ خالد محمد عطية صافي
٣٠٤ ، ١٥٨ خالد بن الوليد
٥٢٩ خضر آغا زادة
١٨٨ ، ١١٢ ابن خلدون ؛ عبد الرحمن بن محمد
ابن خلكان ؛ أحمد بن محمد بن أبي بكر
٢٨٨
٣٦٤ الخليل - عليه السلام
٣٣٢ خليل أينالچك
٥٤٦ خليل الخوري - أفندي
٣٦٧ ، ٣٦٣ ، ٣٥٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٠ خليل ساحلي أوغلو
١٨٨ خليل شحادة
١٣٩ ، ١٣٨ خليل العظم
٣٥٤ خليل مراد
١٤٤ ، ٨٢ خوسي ماريه مياس بيبكروسا
٥٣٠ خولي يونس
٨٥ ، ٨٤ أبو الخير الإشبيلي
٨٥ أبو الخير الأندلسي
٣٤٤ ، ٣٣٨ الخياري المدني ، إبراهيم بن عبد الرحمن

خير الدين الرملي

، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣١ ، ١٦
، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٧
، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٢
، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٣٤٩ ، ٣٤٧
، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤
، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٠
، ٣٦٩ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٥
، ٣٧٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٠
، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٥
٤٤٦ ، ٤٢٥ ، ٣٨٠
٥٦٤ ، ٥٦٣ ، ٢٠٨

خير الدين الزركلي

- د -

دانيال ٢٦٠
داود - عليه السلام ٨٩ ، ٧٨
ابن داود ؛ عبد الرحمن بن الشيخ نقي الدين أبي الصديق بكر بن الشيخ نجم
الدين أبي سليمان داود بن عيسى الحنبلي الدمشقي الصالحي ١٩٧ ، ١٨٩ ،
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٢
داود كفولسون - مستشرق روسي ٦٢
درويش - حاج ٥٢٩
درويش - معلم ٥٥٠
درويش نعمان ٥٤٢
ابن دريد ٤٣٥
دورس ٢٦٠

٢٦٠	دومقراط
٣٣٢	دونالد كواترن
٦٩	دوناي البابلي
٢٠	م . ج . دي غويه
٢٦٠ ، ٨٢	ديسقوريدس
٢٩٣	الدينوري ؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة

- ز -

٤٣٩ ، ٤٢٨ ، ٢٦٠	الرازي ، محمد بن أبي بكر
٥٦٣ ، ١٦	راشد القحطاني
١١٥	الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد
١٥٤	رأفت النبراوي
٣٥٤	رائف يوسف نجم
٣٣٥	ابن رجب الحائك
٤٦٢	رشدي باشا
٨٥	رضوان السيد
٣٣٨	رفعت بيلكة الكليسي
٥٣٦	رفعت سابا
٢٢٩	ركاد بن شبيب
٨٤	رمضان عبد التواب
٤٠	روح بن زنباع الجذامي
٣٥٤	روكسلانة خاصكي سلطان
٢٠٨	رياض شحادي
٤٦٨	رينود
٣٤٨ ، ١١٦ ، ٥٦ ، ٥٥	الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني

٨٧	الزمنخشري ، محمود بن عمر
٢٦٠	ابن زهر
٤٠٠	ابن زهير
٤٧٥ ، ٤٥٧	زهير عبد اللطيف غنايم
٥٢	زياد بن أبي سفيان
٤٢٦	زينب - أبنة الشيخ الخليلي

- س -

٤٢٦	سارة - أبنة الشيخ الخليلي
٣٤٠	سالم السنهوري المالكي المصري
٢٥٤	السبكي
٢٠٧ ، ١٩٨	السنخاوي ؛ محمد بن عبد الرحمن
٤٨ ، ٤٧ ، ٤٥	سرجيوس بن جورج بن باتريك
٤٧ ، ٤٦	سرجيوس بن ميناس
٣٩	سعد بن زير
٣٨ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣	سعد بن مالك
٤٦٠	سعيد أغا
١٧٧	أبو سعيد جقمق - السلطان
١٤٩	سعيد عبد الفتاح عاشور
٣١٠ ، ٢١٥	ابن سعيد المغربي
٢٥٤	سفيان عايش محمد
٢٨ ، ٢٧	سفيان بن وهب الخولاني
٥٣٧	سلمان فرحات
٢٢	سلمة الجوهني

٥٩٣، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠١،	سليم الأصفر
٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧،	
٦٠٩، ٦١٠، ٦١٣، ٦١٥، ٦١٦،	
٦١٧، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣،	
٢٥١، ٣١٦،	سليم الأول - السلطان
٤٢٩	سليمان - النبي
٥٢٨، ٥٢٩	سليمان باشا - والي طرابلس
١٥٨	سليمان الداراني
٣٤٠	سليمان بن عبد الدايم النابلسي
٢٥١، ٣١٠، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٢،	سليمان القانوني - السلطان
٣٢٨، ٣٥٤،	
٥٣٤	سليمان بن مصطفى السلیمان
٣٣٦	سمير صيقلی
١٥، ٦١، ٦٤، ٧١، ١٠٧، ٢١٤،	سمير محمود الدروبي
٣٢٨	سنان باشا - فاتح اليمن
١٧٨	سهام مصطفى أبو زيد
٥٧١	السهورودي ؛ شهاب الدين
١٦، ٣٠٤، ٣٥٢، ٤٥١، ٤٥٣،	سهيل صابان
٤٥٥، ٤٥٧،	
١٧، ٥٩١،	سهيلا سليمان الشلبي
١٦٣	سودون عبد الرحمن - أمير
٥٧٧	ابن سيبيائي - الملك الأشرف
٢٦	سيف
٢٥٤، ١٠٧،	السيوطي ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر

- ش -

- ١٧٦ شارقطلبي - ملك الأمرا السيفي
١٤٧ شاه سوار
٥٩٤ شحاتة خزام
٥٧٧ ، ٥٧٢ ، ٥٧١ ، ٥٦٧ ابن الشحنة ؛ محمد الحلبي الحنفي
٢٠٩ ابن شداد
٥٣٩ شديد أسعد زادة - بك
٣٧٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٢ ، ٣٥٥ شعبان
٣٣٩ شمس الدين الرملي
٣٤٣ شمس الدين الغزي التمرتاشي
١٥٤ شمس الدين الكفرسوسي
٩٩ الشمشاطي
٣٤٠ الشنواني ؛ أبو بكر بن اسماعيل
٣٤٤ شهاب الدين الحلبي
٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ١٥٨ الشهابي ، قتيبة
شيخ الربوة الدمشقي ؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي
١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٧ ، ٧٠ ، ٦٩ طالب الأنصاري
١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣
١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨
١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣
١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨
٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ١٤٣
٢٤٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧
٢٣٠ شيركوه - ملك حاكم حمص أيوبي

- ص ، ض -

صاعد الأندلسي ؛ صاعد بن أحمد	٨٣
صالح سعداوي	٣٥٨
صغريث النبطي	٢٦٠ ، ٦٩
الصفدي ؛ أحمد بن محمد الخالدي	٢٥٢
الصفدي ؛ صلاح الدين خليل بن أيبك	٢٢٨ ، ٢١٩ ، ٢١٤ ، ٨٥
صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي	٤٥٩
صفية السلامين	٣٣٦ ، ٣٣٥
صلاح الدين المنجد	١٧١ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٣ ، ٢٠
صلاح محمد الخيمي	١٦٩
السنوبري ؛ أحمد بن محمد الضبي الحلبي	٢٨٨
ضوميط بن فرح	٥٤٨

- ط ، ظ -

أبو طالب أحمد بن الحسين بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الملك الزيات	٦٣
طامثري الكنعاني البابلي	٦٩ ، ٦٦ ، ٦٥
الطبري ، محمد بن جرير	٢٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ،
ابن الطراوة	٥٢ ، ٣٠٤ ، ٥٦٣
ابن طوق	٩٩
ابن طولون : شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن طولون الصالحي	١٧٠
الدمشقي	١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨٩ ،
طومان باي - السلطان العادل	٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١
	١٦٢

١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،	طيبغا الجركلمشي التمارتري
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٢	
١٨٨	الظاهر برقوق العثماني الجركسي
٣١٦	الظاهر بيبرس
١٦٣	الظاهر جقمق - السلطان
٢٥٢	ظاهر العمر الزيداني
٢٢٧	الظاهر غازي - الملك

- ع -

٤٤٤ ، ٤٤٢	ابن عابدين
٤٣٢	عادل عبد الموجود
٣٨٣	عادل محمد علي الحجاج
١٢٢	عادل محمد علي الشيخ
٣٣٤	عادل مناع
٤٣٨	عارف العارف
٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ،	عامر النجار
٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ،	
٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ،	
٤٢١	
٢٥٦	العامري ؛ رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد
٥٥٢	عائشة محمد
٣٩٠	عباس صباغ
٣٤٣	ابو عبد الله البطائحي
٥٥٢	عبد الله الحلبي
٢٨٨	عبد الله بن طاهر - أمير مصر العباسي

٦٢	عبد الله بن عبد الله حجازي
٣٩	عبد الله بن علقمة
٢٦	عبد الله بن عمرو
٣٥٤	عبد الله كلبونة
٨٤	ابو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد التميمي
٣٣٩	عبد الله بن محمد النحراوي
٦١٤	عبد الله ميخائيل
٣٨٧	عبد الباقي الحنبلي
٣٥٦	عبد الجليل التميمي
٣٥٤	عبد الجليل عبد المهدي
٥٣٠	عبد الحق
٥١، ٤٦، ٢٨	ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله
١٩٠، ٨٤	عبد الحلیم النجار
٤٦٢، ٤٦٠	عبد الحميد الثاني - السلطان
٥٥٢	عبد الحميد شنبور - أفندي
٥٥٢	عبد الحميد الصياد
٩٩	عبد الرازق بن علي النحوي
٥٢٩	عبد الرحمن البركة - أفندي
٥٤١	عبد الرحمن زكريا
١٨٩	عبد الرحمن الشيخ
٣٤٠	عبد الرحمن اليميني الشافعي
٣٤٤	عبد الرحيم بن ابي اللطف
١٣١	عبد الرحيم مصطفى
٥٣٤	عبد الرزاق - بك
٣٤٨	عبد الستار أحمد فراح

١١٦	عبد السلام محمد هارون
٤٦٢	عبد العزيز - السلطان
٣٥٠ ، ٣٤٩	عبد العزيز الدوري
، ٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٤٥٨ ، ٤٥٤ ، ٣٤٣	عبد العزيز محمد عوض
٤٨٠ ، ٤٦٤ ، ٤٦١	

عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم النابلسي

، ١٣٤ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٢ ، ١٦
، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٢٥٧ ، ١٣٧ ، ١٣٥
، ٣٨٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٤٣
، ٣٩١ ، ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧
، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢
٤٤٧ ، ٤٢٤ ، ٤٠٠ ، ٣٩٩ ، ٣٩٧

٥٥	عبد الفتاح الحلو
٥٥١	عبد القادر الدلال
١٥٢	عبد القادر الريحاوي
٣٠٣ ، ١٦	عبد القادر محمود الحصان
٣٨٧	عبد القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي
٥٣٥	عبد الكريم - بك
٤٤٧ ، ٤٤٦ ، ٣٦٦ ، ٣٥١ ، ٣٣٣	عبد الكريم رافق
٣٣٢	عبد اللطيف الحارس
٨٥	عبد اللطيف بن يوسف البغدادي
٣٣٢	عبد المجيد حسيب القيسي
٣٤٩	عبد المجيد شعبان
٤٥٣	عبد المجيد بن محمود الثاني - السلطان
١٥٧ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٤ ، ١٩	عبد الملك بن مروان

١٠٠	عبد المنعم محمد عمر
٣٣٩	عبد النبي الرملي
٢٣٤	عبد الهادي التازي
٣٨٤	ابن عبدون
٥٣٠	عبد القواف
٤٥٧	عبلة المهدي
٨٧	عبود الشالجي
٢٥٢	عبود الصباغ
٥٢	عبيد الله بن زياد
٥٤، ٢٥، ٢٤، ٢٠	أبو عبيد؛ القاسم بن سلام
	أبو عبيد البكري؛ عبد الله بن عبد العزيز ٩٠
٢٢	أبو عبيدة عامر بن الجراح
٣٨٣، ١٦	عبيد قطناني
٤٣٤	عثمان بن حسين الأشعري
٢٧	عثمان بن عفان
٣٤، ٣٣	عدي بن خالد
٥٦٣	ابن العديم
١٨٧	عز الدين أيبك
١٨٩	عزرا حداد
٤١، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٣، ٢٠	ابن عساكر؛ علي بن الحسن بن هبة الله
٢٥٢، ٢١٣، ١٢٠، ٢٤، ١٥	عصام مصطفى عقلة
٣٤٤	علاء الدين العياشي
٥٢٩	علم الدين
٥٣٤	علي - بك
٣٤٤	علي - مفتي الشافعية

٥٣٩	علي أسعد زادة - بك
٥٥٠	علي بشة
٥٣٠	علي بشة قنبر
٥٣٠	أبو علي ديب
٢١٤	علي أبو زيد
٥٣٠	علي بن سكيك
٣٨٧	علي الشيراملسي
٣٥٠	علي الصوفيري
٣٥٤ ، ٨٩	علي بن أبي طالب - الإمام رضي الله عنه
٥٣٤	علي الطحش
٥٣٤	علي عبد الرازق
٥٣٥ ، ٥٣٤ ، ٥١٨	علي عبد الكريم - بك
١١٢	علي عبد الواحد وافي
٦١	علي محاسنة
١٣	علي محافظة
٤٥٩	علي محمد البجاوي
٤٣٢	علي معوض
٤٧١	علي المغربي - باشا
٥٢٩	علي نجم
٤٣٦	علي نصوح الطاهر
٣٧٥ ، ٣٥٠ ، ٣٣١ ، ١٦	عليان الجالودي
٢٥٧ ، ٢٠٨ ، ١٩٨	ابن العماد الحنبلي ؛ عبد الحمي بن أحمد
-	عماد الدين إسماعيل بن الملك نور الدين علي بن جمال الدين بن أيوب -
٤٦٨	السلطان المؤيد
٧١	عماد عبد السلام رؤوف

٤٤٥	عماد؛ عبد الغني
١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٣٤، ١٥٤،	العماد مصطفى طلاس
١٥٨، ١٥٩، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢،	
٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧	
١٥، ١٨٧	عمار محمد النهار
٥٣٤	عمر - بك
٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩،	عمر بن الخطاب - رضي الله عنه
٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٦، ٨٨، ١٦١، ٣٤٩،	
٣٣٨، ٤٥٦، ٤٧٦	عمر رضا كحالة
٤١	عمر بن عبد العزيز
٣٤٤	عمر المشرفي
٤٠	عمرو بن سعيد الأشدق
٢٦، ٢٨	عمرو بن العاص
٣٢	عمرو بن عبسة
٣٧، ٣٨	عمرو بن قيس
٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٤١	العمروي؛ عمر بن غرامه
٧٠،	العمري؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله
٧١، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥،	
١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣،	
١٣٧، ١٩٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥،	
٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠،	
٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥،	
٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠،	
٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥،	
٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠،	

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،

٢٤٦ ، ٢٤٧

٤٣٨

عنزة بن أسد بن ربيع

ابن العوام الإشبيلي ؛ أبو زكريا يحيى بن محمد ٦١ ، ١١٢ ، ٢٦٠ ، ٤١٠ ، ٤١١ ،

العياشي ؛ أبو سالم محمد بن عبد الله ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ،

٢٣ ، ٢٦ ،

عياض بن غنم

٢٥٦

عيسى بن إبراهيم الجعفري

٢٤٤

عيسى بن محمد الثعالبي المكي

-غ-

١٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٨ ،

غالب عربيات

الغزاوي ؛ زين الدين خطاب بن عمر بن مهنا ٢٥٦

الغزي ؛ أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد ٢٥٦

الغزي ؛ أبو الفضل رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله

١٥ ، ٧١ ، ٢٤٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٨ ،

العامري القريشي

٣٨٩ ، ٣٩٠

الغزي ؛ كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي ١٦ ، ٥٦٣ ،

٥٦٤ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ،

٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ،

٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ،

٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ،

٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠

٢٠٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،

الغزي ؛ نجم الدين محمد بن محمد

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨
، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣
، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨
، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٣
، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩
٤٤٧، ٣٠٢، ٣٠١
٣٤٩

غيداء خزنة كاتبي

- ف -

٥١٥، ١٦ فاروق حبلص
٥٢٦، ٣٥٩، ٣٥٢، ٣٣٢ فاضل بيات
، ٢٤٢، ٢٣١، ٢٢٣، ١٣١، ١٢٩ فالتر هنتس
، ٤٣٥، ٣٦٦، ٢٦١، ٢٤٧، ٢٤٦
٤٣٦
، ٥٣، ٣٣، ٣١، ٢٣، ٢١، ١٩، ١٥ فالح حسين
٢٥٣، ٢٢٩، ١٢٦، ١٢٣
٥٢٩ فتح الله مقصود
٩٩، ٨٧ الفتح بن خاقان؛ أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي
٩١، ٧٤ فخر الدين ابراهيم بن علي بن دبوqa
٥٤٤، ٢٥٢ فخر الدين المعني الثاني - أمير جبل لبنان
١٤٦ فرج حسين فرج حسين
١٤٥، ١٥ فرج الحسيني
٥٦٤ فريد جحا
٥٠ فكتور بن ثيودوسيوس
٤٧، ٤٦، ٤٤، ٤٣ فكتور (توارنت) بن جورج

فؤاد سزكين
 الفيروز آبادي ؛ مجد الدين محمد بن يعقوب ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٩٠ ،
 ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ،
 ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ،
 ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ،
 ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢
 ١٩٨ ، ٢٠٠
 فيض الله أفندي - الشيخ
 فيليب حتي
 ٥٩١

- ق -

قاسم عبده قاسم
 ١٧٥
 أبو القاسم محمد بن غاز البصراوي - قاضي ٢٢٨
 قانصوه حمادة - شيخ
 ٥٤٥ ، ٥٢٧
 قايتباي - السلطان
 ١٤٧
 ابن قتيبة الدينوري ؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم ٨٦ ، ٢٦٠ ، ٣٩١
 قدامة بن جعفر
 ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢
 قرة بن شريك
 ٣٠ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢
 القزويني ؛ زكريا بن محمد بن محمود ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٧
 قسطا بن لوقا البعلبكي
 ١٣١ ، ٣٨٤
 قسطوس بن أسكورا سينكه
 ٧٠ ، ٢٦٠
 القلقشندي ؛ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ٧٣ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ،
 ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
 قوثامي - تلميذ ماسي السوراني
 ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٦٠
 القيرواني ؛ أبو علي الحسن بن رشيق
 ٨٨
 قيصر - ملك الروم
 ٨٨

- ابن قيم الجوزية ٢٠١
- ك -
- ٦٢ كاترمار - مستشرق فرنسي
- ١٩٨ ، ١٩٠ كارل بروكلمان
- ٧٠ كاماس النهري الفارسي النبطي
- ١٢٩ ، ٢٢٣ ، ٢٦١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٤ ، كامل جميل العسلي
- ٤٣٥ ، ٣٦٦
- ٣٣٨ الكتاني ؛ عبد الكريم بن محمد
- ٣٠٦ كتخذا باشا
- ابن كثير ؛ أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني
- ٤١ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
- ١٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤
- ٨٩ كسرى أنوشروان
- ٣٦٨ ، ٣٥٠ كلود كاهين
- ٣٨٧ كمال الدين العرضي الحلبي
- ٢٥١ كمال سليمان الصليبي
- ابن كنان الصالحي ؛ محمد بن عيسى بن محمود الدمشقي ١٦١ ، ٢٥٠ ،
- ٢٥٧ ، ٤٢٧
- ٤٩ ، ٢٦٠ الكندي ؛ أبو عمر محمد بن يوسف
- ٥٠ كيروس بن اندرو

- ل -

- ٣٣٧ لاروس
- ٣٢٨ لاله مصطفى باشا - وزير
- ٩٩ ابن لبون

لويس شيخو - أب
ليلي الصباغ
٦٢٠ ، ٦١٩ ، ٥٩٨ ، ٥٩٣ ، ٥٩١
٣٥٦ ، ٣٥١ ، ٣٣٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٠
٣٦٥ ، ٣٦٤

- م -

٦٢ مارتين بلسنار
٦٩ ماسي السوراني
٣٣٧ مایسونوف
٣٦١ ، ٣٥٨ مباحات كوتوك أوغلي
١٦٩ ، ١٥٩ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٤ ابن المبرد ؛ يوسف عبد الهادي
٤٤٧ ، ٣٤٢ ، ٣٤٠ ، ٣٣٨ المحبي ؛ محمد أمين
١٣٣ محسن عقيل
٥٣٥ محمد - بك
٥٢٦ محمد - أمير سنجق طرابلس
٥٣٣ محمد بن إبراهيم زادة
٤٢٦ محمد بن إبراهيم بن محمد الدكدكجي التركماني الدمشقي
٣٨٧ محمد بن أحمد الأسطواني
١٥٥ محمد أحمد دهمان
٢٥١ محمد أديب آل تقي الدين الحصني
٣٣٥ محمد الأرناؤوط
١٥٦ ، ١٥٤ محمد أسعد طلس
٥٤١ محمد اسماعيل القواس
٣٤٤ محمد الأشعري
٣٤٠ محمد أمين الدين بن عبد العال الحنفي
٤٣٢ محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الحنفي
٣٤٤ محمد باشا الكوبرلي

٥٥١	محمد بشة أوطن
٤٧٥	محمد البجاوي
٣٨٧	محمد بن بركات الكوافي الحمصي
٤٨٤ ، ٤٧٥ ، ٤٥٧	محمد بهجت الكاتب
٥٥١	محمد البيسار
٣٤٤	محمد حافظ الدين السروري
٣٤٤	محمد الحانوتي
٣٣٨	محمد حجي
٤٣٨	محمد حسن شراب
٣٠	محمد حسين الزبيدي
٥٢٩	محمد حصني
٢١٣ ، ١٢٠	محمد خريسات
٢٠	محمد خليل هراس
١٦	محمد الخليلي - الشيخ
٤٨٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٤ ، ٤٥٧	محمد رفيق التميمي
٥٣٠	محمد رومية
٤٣٨	محمد سليمان الطيب
٣٤٤	محمد بن سليمان القرشي المكي
٣٤٠	محمد ابن بنت الشبلي
٣٣٨	محمد شرف بالتقايا
٢٥٠	محمد شمس الدين
٥٣٠	محمد صالح
٤٢٥	محمد الصالح - ابن الشيخ الخليلي
٣٧٦	محمد ضياء الدين الريس
٥٢٠	محمد بن عبد الله الزيات

- ٥٤٨ محمد عبد الجليل السبسي
 ٥٤٧ محمد عبد الرحمن
 ٥٦٧ محمد بن عبد الرحمن المرعشلي
 ١٥٣ محمد عبد الستار عثمان
 ٤٥٧ محمد عبد الكرم محافظة
 ٤٥٩ محمد بن عبد المنعم الحميري
 ١٦١ محمد عثمان بشير
 ٣٤٤ محمد بن عجلان النقيب
 ، ١٥ ، ١٣ ، ١٢ ، ٩ ، ٧ ، ٣ ، ٢ ، ١
 ، ٣٤٨ ، ٣٣٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٣ ، ٢٥٥
 ٤٢٧ ، ٣٥٤ ، ٣٥١
 ٨٥ محمد العربي الخطابي
 ١٤٤ ، ٨٢ محمد عزيان
 ٣٤٤ محمد علاء الدين بن علي الحفصكي
 ٢٥٤ محمد علي البار
 ٥٠٠ محمد علي باشا
 ٥٤٩ محمد بن علي النشار
 ٣٨٧ محمد العيثاوي
 ١٢٢ ، ٧٠ محمد عيسى صالحية
 ٢٦ محمد أبو الفضل إبراهيم
 ٥٣٤ محمد القرحاني
 ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١
 ، ١٥٦ ، ١٤٣ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٤
 ١٧٥ ، ١٥٩ ، ١٥٧
 محمد بن كمال الدين الحسيني الحسيني بن حمزة ٣٨٧

٣٤٤	محمد بن كمال الدين النقيب
٢٥٢	محمد محافظة
١٤٦	محمد محمد أمين
، ٤٢٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٥	محمد بن محمد الخليلي
، ٤٣٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٠	
، ٤٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٣٧ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥	
، ٤٤٤ ، ٤٤٣ ، ٤٤٢ ، ٤٤١ ، ٤٤٠	
٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٦ ، ٤٤٥	
٣٤٠	محمد بن محمد السراج الحانوتي
٣٣٥	محمد مختار ولد العباس
١٧٦	محمد بن المزلق
١٨٨	محمد مصطفى
١٤٨	محمد مصطفى زيادة
٣٨٧	محمد مطيع الحافظ
٣٧٠	محمد المناصير
٢٦٩	محمد نايف الدليمي
٣٩٠	محمد نعيم العرقسوسي
٢٢٨	محمد بن هلال - أمير زبيد
١٩٨	محمود الأرنؤوط
٥٥٠	محمود بشه
٤٨٠	محمود الثاني - السلطان
٣٣٨	محمود السامرائي
٤٤٧ ، ٢٥٧	محمود الشيخ
٣٨٧	محمود الكردي
٣٤٤	محي الدين بن خير الدين الرملي

- ١٥١ محيي الدين النووي الشافعي
 ٣٠٣ مراد الرابع - السلطان
 ٤٢٦، ٣٨٨، ٣٨٧، ٣٨٦ المرادي؛ أبو الفضل محمد خليل بن علي
 ٢٧٠، ٢٦٩ المرزوقي؛ أحمد بن محمد بن الحسن
 ٥٤٥ مرعي - حاج
 ٤٣ مروان بن الحكم
 ٤١، ٤٠ مروان بن عبد الملك
 ٤٩١، ١٦ مسعود ضاهر
 ٥٩٩، ٨٨ المسعودي؛ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
 ٥٣٠ مصطفى الأشقر
 ٥٢٩ مصطفى آغا
 ٧٠ مصطفى البابي الحلبي
 ٣٤٤ مصطفى باشا بن الوزير
 ٥٥٠ مصطفى بشة
 ٥٥١ مصطفى بن تزلق
 ٥٣٩ مصطفى رافعي زادة - أفندي
 ٥٥١ مصطفى الفطايرجي
 ٤٧١، ٤٧٠، ٤٦٩، ٤٥٤ مصطفى مراد الدباغ
 ٤٩، ٤١، ٤٠، ٣٢، ٣١، ٣٠، ١٩ معاوية بن أبي سفيان
 ٥٨
 ٥٣٦ معتوق بن عبید متاع
 ٤٣٨ معز بن أسد بن ربيعة
 ١١٩، ١١٨ المقديسيك شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
 ١٣١، ١٣٠، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٣
 ١٣٩، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٣، ١٣٢

٣٠٤ ، ١٨٨ ، ١٧٣ ، ١٤٩	المقريزي ؛ تقي الدين أحمد بن علي
٨١ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢	ابن مماتي ؛ الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا
	المنصور قلاوون ١٨٧
٥٦ ، ٥٥ ، ٢٧	ابن منظور ؛ جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري
٣٦٨ ، ٢٦١ ، ١٧٧ ، ١٦١ ، ١٥٥	
٤٣٩ ، ٤٣٦ ، ٤٣٥	
٢٥٦	المهدي الرواضية
٤٢٥ ، ٣٣٥ ، ١٦	مهند أحمد مبيضين
٣٣٩	موسى بن الشيخ حسن القببي الرملي
٦١٤ ، ٦١٣ ، ٦٠٠	ميشيل سماحة
٣٠	ميمون بن مهران
٥٠	ميناس بن كولوثوس

-ن-

١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٥ ، ١٢٠	ناصر خسرو
٥٢٦	ناصر الدين - شيخ
١٥٥	ناصر الدين بن رستم
٥٤٧	ناصر العشي بن أحمد
٢٢٣	الناصر محمد بن قلاوون - السلطان
٥٥٠	ناصر معتوق الحمامي
٤٨٢	ناظم باشا
١٨٧	نجم الدين الأيوبي
٣٤٤	ابن النجيم
٦٣	ابن النديم ؛ أبو الفرج محمد بن اسحاق
٨٤	نزار رضا

٤٢٦	نسب - أبنة الشيخ الخليلي
١٧٦	أبو النصر برسباي
١٧٩	أبو النصر قايتباي - السلطان
٤٣٤	نظمي الجعبة
٥٥١	نعمة أنطوان
١٩٨، ١٥٢	النعمي ؛ عبد القادر بن محمد الدمشقي
١٩٥	ابن النفيس
٣٥٨، ٣٤٨، ٣٤٧	نقولا نقاش
٣٢٨	نور الدين الشهيد ابن أق سنقر البرازقي
١٥٨	نور الدين محمود بن زنكي
٢٥٥، ٣٣٣، ٣٤١، ٣٦٥، ٤٢٧،	نوفان الحمود السوارية
٤٤٥	
٤١	نوفل بن سكن
٥٤٦	نوفل نعمة الله نوفل - أفندي
١٢٨، ١١٩، ٧٢	النويري ؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد
١٣٩	
٢٨	نيوهافن

- ه -

٣٣٢	هارولد بوون
٣٣٢	هاملتون جب
٣١٠	ابن هانش
٥٢	ابن هبيرة
٢٦٠	هرمس
٨٩	هشام بن عبد الملك

٥٩٣، ٦٠٠، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٩،

هنري لامنس - أب

٦٢٤، ٦١٥

٦١٧، ٥٩٤

هنري نكر

- و -

٤٠٠

ابن واقد

٢٦

الواقدي

ابن وحشية؛ أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار الكلداني

١٥، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧،

٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٩٣، ٩٧،

٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،

١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠،

١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٩١،

٢٦٠، ٢٩٨، ٣٨٤، ٣٨٨، ٥٩٩

٢٥٠

وديع عبد الله قسطون

ابن الورددي؛ زين الدين عمر بن مظفر ٧٠، ٢٥٤

٨٧

أبو الوليد بن زيدون

٣١

الوليد بن يزيد

- ي -

ياسين الفرضي بن مصطفى الحنفي ٤٤٧

ياقوت الحموي؛ شهاب الدين أبو عبد الله ١٦٠، ١٧٥، ٣٤٦، ٤٥٩، ٥٦٧،

٢٠

يحيى بن آدم القرشي

٣٨٤

يحيى بن خالد بن برمك

١٢٠

يحيى الخشاب

٥٤١	يحيى درويش نعمان
٣٤٤	يحيى بن محمد أبي البركات
	يزيد الخير ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية ٣
١٢٠، ٤٦، ٤٠	يزيد بن معاوية
٣٢	يزيد بن الوليد
٨٤	يعقوب بكر
٤٢٦	أم يوسف - زوجة الشيخ الخليلي
٢١٣، ١٢٠، ٢٤، ١٥	يوسف أحمد بن ياسين
٥٤٤	يوسف باشا سيفا
٥٩٦	يوسف الجميل
٥٣٨	يوسف الدبس - المطران
٣٤٤	يوسف بن رضي الدين اللطفي
٣١٨	يوسف الصغير النابلسي - شورباجي
٥٢٩	يوسف عقيص
٥٥٠	يوسف بن محمد الغزال
٤٢٦	يوسف المجدد - ابن الشيخ الخليلي
٣٥٤	يوسف النتشة
٣٧٠، ٤٦، ٢٦، ٢٢، ٢٠	أبو يوسف ؛ يعقوب بن إبراهيم
٥٢٩	يونس

Personal Names

- A , B , C -

Abdel Nour , Antoine	336
Abdul Fattah , k	333
Alphonse De Rigalo	497
Atasagun , Yusuf Saim	463
Bakhit , Muhammad Adnan	361 , 445
Bakri , A .	336
Becker , PSRI	29 , 30 , 31 , 45 , 52
Bell , H . I	50 , 51
Brockelmann , C .	338
Cantineau , J .	162

- D , E -

Dozy . R .	169
Esin Atule	188, 189

- F , G -

Faleh Hussein	30 , 45 , 56
Gaube , H .	150 , 160 , 173
George	45
Gerber , Haim	334 , 336
Grohmann , APEL	56

- H,J, K-

Hamid AL - Imadi	336
Heyd , U .	333, 335
Hinz , W.	33
Houtteruth	358 , 360
Hurat , CI .	332
Hutteroth , W, D.	333
Johnson August	501
Kraemer , casper , J .	34, 36, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 47, 48, 51

- L , M -

Larose	337
Lewis , B .	359 , 361
Macdonald , D . B	335
Maisonneuve	337
Midhat Pasa ,	453 , 454, 457, 463

- R, S , Y , Z -

Ramli , Khayr al - Din	336
Sauvaget , J .	164 ,180 ,181
Seikaly , S .	336
Shaw , Stanford J .	332
Sobernhim , M .	162, 176 , 178 ,179
Zouaroi , T .	335
Zysow , A .	339

الجماعات والأسر والطوائف

-أ-

٣٤٧	الآباء اليسوعيين
٥٠٨	الأتراك
٦١٤	الأحباش
١١١	الآراميون
٥١٢	الأرثوذكسية - طائفة
٤٥٩، ٢٥٠	الإفرنج
١٢٠	الأكراد
٥٢٨	آل بولص
٣١٠	آل الترايبي
٥٢٧	آل حمادة
٣١٠	آل رشيد
٣٣٣	آل رضوان
٥٢٨	آل رعد
٥٢٨	آل الشمر
٣١٠	آل شهاب (الشهابيون)
٣٣٣	آل طرباي
٥٢٨	آل العازر
٣٥٩، ٣٥٠	آل عثمان
٣٥٤	آل علي بن أبي طالب
٢١٤	آل عمر
٣١٠	آل عمرو
٥٢٨، ٥١٩، ٥١٨	آل المرعبي

٣٢٤، ٣١٠	آل معن (المعنيين)
٣٨٧	آل النابلسي
٢٤	أمراء الجند
٢٢٢	أمراء طرابلس
٣٥٤	أمراء مكة المكرمة
٢٢٥	أمراء المماليك
٥٢، ٣٢	الأمويون
، ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٩٤، ٤٩٣، ٤٩١	الأميركيون
، ٥٠٧، ٥٠٦، ٥٠٥، ٥٠٤، ٥٠٢	
٥١٣، ٥١٢، ٥١١، ٥١٠	
٢٢٣	الأناضول
٢٦٠، ٨٤	الأندلسيون
٥١٢	الإنكليز
٤٨٧	أهالي بيت ساحور
٥٤٨	أهالي الجبة
٤٧٧، ٤٧٦	أهالي حلب
٤٧٧	أهالي خليل الرحمن
٤٧٨	أهالي الرقة
٤٦٩	أهالي السلط
٣٢٨	أهالي الشام
٤٨٤	أهالي عين قنية
٤٧٧	أهالي القدس الشريف
٤٧٨	أهالي قضاء إدلب
، ٤٠، ٣٨، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٢٩، ٢١	أهالي نصتان
٤٥، ٤١	

٦٧	أهل بابل
٢٢	أهل بصرى
٢٣	أهل الجزيرة
٦١٤	أهل الحبشة
٢٢٧	أهل حلب
١٦٣	أهل داريا
٢١٩، ١٧٦، ٤١	أهل دمشق
٢٣	أهل الرها
٢٩٥	أهل الساحل
٧٦، ٧٥، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٣١	أهل الشام
٢٦٣، ٢٦٢، ٢٠٧، ١٣٩، ٧٩، ٧٨	
٣٠٦، ٢٨٩، ٢٨١	
٣٤٤	أهل غزة
٢٨٩، ٢٦٣، ٦٩	أهل الغوطة
٤٠	أهل فلسطين
٦٠٠	أهل لبنان
١٦٣	أهل المزة
١٢٥، ٧٦، ٥٥	أهل مصر
٦٠٦	أهل الهند
٤٩٨	الإيرانيون
٥٢٨، ٣١١، ١٨٧	الأوروبيون

- ب -

١١١، ٦٨، ٦٦	البابليون
١٨٧	البحرية - طائفة من المماليك

١٨٧	البرجية - طائفة الممالك الجركسية
٥١٢	البروتستانتية - طائفة
٥١٢، ٤٩٨، ٤٩٤	البريطانيون
٣١٠	بني إبراهيم
١٢٩، ١٩	بني أمية
٣١٧، ٣١٠	بني زهد
٣١٠	بني زيد
٣١٠	بني سالم
٣٩، ٣٨، ٣٦، ٣٤	بني سعد
٣١٠	بني صخر
٤٧٤	بني صعب
٣١٠	بني عطا
٤٣٨، ٣١٠	بني عطية
٤١	بني عوف
٤٨	بني وعر

- ت -

٢٢٦	التركمان
٣٢٧	التركمان - قبائل
١٥٢	التلاوية

- ج -

٤٣٨	الجبارات
٤٥٦	الجزائريون
٣٢٢	الجغامين

- ح، خ -

٤٥٦	الحديديون
٥٩٠، ٥٦٥	الحلبيون
٤٣٨	الخميسات
٢٨	الخوارج

- د، ر -

٥٠٨، ٥٠٧، ٤٦١	الدروز - طائفة
٢١٩، ١٣٨، ٨٠، ٧٩	الدمشقيون
٤٣٨	الرييلات
٢٥٣، ١٩١	الروم
٥٠٨	الروم الأرثوذكس
٦٠٩، ٥٩٨	الرومانيون

- س، ش -

٢٥٩	السريان
٤٣٨	السعادنة - عرب
٤٣٨	السعدانيين
٣٥٠	السلاجقة
٦١٠، ٦٠٩، ٦٠٤، ٥٩٨	السوريون
٢٧٤، ٢٤٢، ١٥٢، ٧٩، ٦٧، ٦٦	الشاميون
٦١٥، ٣٠٢، ٣٠١، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠	
٤٧٩، ٤٦٩، ٤٥٦، ١٨٧، ١٤٧	الشركس، الجرركس
١٥٢	الشمالنة
٣١٠	شيوخ الرملة

٣١٠	شيوخ صفد
٣١٠	شيوخ عجلون
٣١٠	شيوخ عكا
٣١٠	شيوخ غزة
٣١٠	شيوخ القدس
٣١٠	شيوخ نابلس

- ص -

٢٢٢	الصليبيون
-----	-----------

- ع -

١٣٠	عاملة اليمانية - قبيلة
٣١٦	العباسيون
١٨٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٣١١ ،	العثمانيون
٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ،	
٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ،	
٤٣٨	العطاونة - قبيلة
٤٣٨	العقيلات
٣٤٤	علماء الحجاز
٣٤٤ ، ٣٨٧ ، ٤٢٩ ،	علماء دمشق
٣٤٤	علماء القدس
٦٧ ، ٦٨	علماء النبط
٣٥٤	العلويون
٤٣٨	العليان
٤٥٦	العمور - عشيرة

٤٥٦	عمور أبي خربة - عشيرة
٤٥٦	عمور الجراح
٤٥٦	عمور الخرسان - عشيرة
٤٥٦	عمور الديرة - عشيرة
٤٥٦	عمور الفراع
٤٥٦	عمور الملحم - عشيرة
٤٥٦	عمور المهارشة - عشيرة
٣٨٧	العنبرانيون
٢٢٩	عنزة - قبيلة
٢٢٩	عنزة - عرب

- ف، ق -

٣٠٣	الفرسان - فرقة
٥١٢، ٥١١	الفرنسيون
٤٧٦	فلابطان - عشيرة
٧٥	فلاحو بلاد الشام
١١٧	فلاحو الروم
٧٧	فلاحو الشام
٨١، ٧٥، ٧٢	فلاحو مصر
٤٣٨	الفلسطينيون
٤٧٩	القبرطاي - قبيلة
٤٧٦	القليطات - عشيرة
١٦٣	القنواتية - طائفة

- ك، ل -

١١١ ، ٦٢ ، ٦٢

الكلدانيون

٦٧ ، ٦٥

الكنعانيون

٦٠٨

اللبنانيون

١٢٥

لوط - قوم

- م، ن -

٤٣٨

المزايذة

، ٣٠ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢

المسلمون

، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ١٦١ ، ١٤٣ ، ٥٦

، ٤٣١ ، ٣٨٣ ، ٣٤٩ ، ٢٨٩ ، ٢٦٠

٥٠٨ ، ٤٩٧ ، ٤٤٥

٥٠٧ ، ٤٩٧

المسيحيون

٥٢٨

مشايخ الخازن

٣٥٤ ، ٣٣٠ ، ٢٤٤ ، ١٧٤ ، ١٤٧ ، ١٤٣

المصريون

٤٣٨

المعازة - قبيلة

٣٢٤

المعنيون

٣٤٤

المغاربة

، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٤٧ ، ١٥

المماليك

٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٤٩ ، ٢٢٥ ، ٢١٢

٤٦١

النصيرية - طائفة

١١٧ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢

النبط

- و، ي -

٤٣٧، ٣١٧، ٣١٠

٥٢٧

٢٨٢

٥٦٧

٥٧٣، ٥٠٨، ٤٩٧

٢٨٩، ١٤٣

٦٧

الوحدات

ولاية طرابلس

اليابانيون

اليسوعيون

اليهود

اليونان - جماعة

اليونانيون

الأماكن والمواقع

- أ -

٥٤٥	إبزال - قرية
٢٥٦ ، ٢١٣ ، ١٨٩ ، ٧١	أبو ظبي
٤٦٢ ، ٣٠٩	الإحساء
٤٦٢	أدرنة
٥٩٠ ، ٥٧٦ ، ٣٢٣ ، ٢٢٢	إدلب
٤٧٨ ، ٤٦٧	إدلب - قضاء
١١٩	أدلب - محافظة
١٦٦ ، ١٦٤ ، ١٤٨	أذرع (درعا حالياً)
١٥١	أراضي أسقفوية
١٥٣	أراضي الأصفرية
١٥١	أراضي أم الدنانير
١٥٧	أراضي داريا
٥٩٨	أراضي سوريا
١٥١	أراضي سير البروج
١٦٦	أراضي الظاهرية
١٥١	أراضي العاعة
١٢٤	الأراضي العراقية
١٥٢	أراضي عنابة
٤٦٩	أراضي عين الحمر
١٢٢	أراضي الغوطة
٣١١	أراضي القدس الشريف
١٥٣	أراضي القليعة

١٥٦	أراضي قينية
١٥٤، ١٥٠	أراضي كفر سوسة
١٥١	أراضي كفر شمس
٤٥٦	أراضي كمرساق
٣١٥	أراضي لواء القدس الشريف
٤٦٨	أراضي الليمون
١٥٥، ١٥٠	أراضي المزة
٣١١	أراضي ناحية الكرك
١٥١	أراضي نخيلة
١٥٢	أراضي النوابية
١٦٠	أراضي الوادي التحتاني
١٥٩	أراضي الوادي الشرقي
٢٥٢، ٢٤	إربد
٧، ٤٠، ٤٨، ٦١، ٨٧، ١٢٧،	الأردن
١٧٥، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤٩،	
٢٥٩، ٣٠٥، ٣٢٢، ٣٨٣، ٤٣٤،	
٤٣٨، ٤٥٤، ٤٧٠، ٦٠٤،	
٥٢٣	أردة
٢٠٩	أرزة
١٥٠، ١٦٠، ٢١٠،	أرزونا - قرية
٦٥	أرض إقليم بابل
٦٥	أرض بابل
٧٧	أرض بيسان
١٥٧	أرض الحجاجية
١٦٠	أرض الحميرية

٦٧، ٦٢	أرض الرافدين
١٢٦	أرض السروج
٣٠٧، ٢٥٩، ٧٧، ٦٩	أرض الشام
١٥٦	أرض الظاهرية
٩٩	أرض العراق
١٢٤	أرض كرك نوح
١١١	أرض كنعان
٦٧	أرض الكنعانيين
١٥٣	أرض المزرعة
١٠٠، ٧٨، ٧٢	أرض مصر
١٦٨، ١٥٨	أرض ناية
١١١	أرض النبط
٧٢	أرض النيل
٥٧٦	أرمناز
١٦٤	أروم الكبرى - قرية
٣٣٣، ١٥٣، ١٣٦، ١٣١	أريحا
٤٦٢، ٤٦١، ٤٩٨	إزمير
٣٣٩	الأزهر الشريف
١٩٨، ٢٥١، ٢٢٧، ٢٢٣، ٢٠٠، ١٩٨	أستانبول، أستنبول
٣٠٣، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٨،	
٣٨٨، ٣٨٩، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٦٢	
٤٦٢، ٤٩٨، ٤٩٩	الآستانة
٤١٤، ٦١٩	استراليا
١٥٠	إسطبلا
١٥٨	الأسطبل الكبير

١٦٤	أسقفوية - قرية
٥٢٣	أسكلة
٥١١ ، ٥٠٥ ، ٤٩٧ ، ٤٨١ ، ٤٥٩	اسكندرونة ، الإسكندرون ، الاسكندرونة
٥٨١ ، ٥٦٩ ، ٥٦٧	
٢٤٤ ، ١٥٣ ، ١٤٨ ، ٧٨	الإسكندرية
٤٠٦	آسيا
١٤٥	أسيوط
٣٤٤ ، ١٥٩	الأشرفية
١٦٤	الأشرفية - قرية
١٦٤	الأصفرية - قرية
٥١١ ، ٤٩٨	أضنه
١٧٥ ، ١٣٩ ، ١٣٤	الأغوار
٢٢٢	أفامية
٢٠٩	الإفتريس - قرية
٤٠٦ ، ٤٠٠	إفريقيا
١١٨	أفريقيا الشمالية
٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٤	إقليم بابل
٢١١	إقليم بيت لهيا
٤٥٩	إقليم بيلان
٦٨	إقليم الجزيرة
٦١٤	إقليم الخروب
٤١ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥	إقليم الخلوص
١٣٣	إقليم دمشق
٦٨	إقليم الشام
٧٠	الإمارات العربية

٣٨٩	ألمانيا الاتحادية
١٦٤	أم الدنانير - قرية
١٦٥ ، ١٥١	أم شقوعينوس - قرية
٢٢٨	أم قيس - قرية
٦٢٤ ، ٦١٩ ، ٦١٨ ، ٥٨٨	أميركا ، أميركا
٦١٣	أمريكا الشمالية
١٦٤	أمزرع - قرية
٣٠٥ ، ٢٤٥ ، ٢٢٣	الأناضول
٤٠٤ ، ١٣٦ ، ١١٢	الأندلس
٥٧٧	الأنصاري - قرية
، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ٢٣	أنطاكية ، أنطاكية
، ٣٢٢ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠	
، ٥٧٣ ، ٥٧٢ ، ٥٦٧ ، ٤٩٧ ، ٣٤٦ ،	
، ٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٢	
٦٠٤ ، ٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧	
٦٠٢	أنطليانس - قرية
٤٦١	أنقرة
، ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٦٣ ، ٤٣٩ ، ٤٠٦	أوروبا
٦١٩ ، ٦١٢ ، ٥٩١ ، ٥٨٨ ، ٥١٢	
٤٠٥	أوروبا الجنوبية
٤٩٤ ، ١١٨	إيران
٤٩٧	إيطاليا

- ب -

٥٨٢، ٥٧٣، ٥٦٧	الباب
٤٥٩	باب إسكندرون
٣٨٧	باب البريد
١٧٢، ١٥٦، ١٥٣، ١٥٢، ١٤٩	باب الجابية
١٥٢	باب الحجارة
١٧٦	باب دار العدل الشريف
٤٥٩	باب سوريا
، ٤٦٠، ٤٥٦، ٤٥٥، ٤٥٣، ٤٥١	الباب العالي
، ٤٧٣، ٤٧١، ٤٦٨، ٤٦٧، ٤٦٤	
٤٨٤، ٤٨٢، ٤٨١، ٤٧٥، ٤٧٤	
١٧٦، ١٦٢	الباب الغزي
٤٥٩	باب الفراديس
١٧٦	باب القلعة
٦٨، ٦٧، ٦٤	بابل
٢٥٣	البادية
٤٦٠	بادية الشام
٤٦٨، ٢٤٠، ١١٩	باريس
٥٦٧	باريشا
٥٧٣	باريشا - ناحية
١٦٨، ١٦٥	بارين - قرية
٣٤٢	الباشقردى
٥٠٩	باطوم
٢٢١	الباقورة الأردنية - قرية
٥٠٩	باكو

١٢٤، ١٢٣	بالس
، ١٥٠، ١٤٩، ١٣٣، ١٢٣، ١٢٢	بانياس
، ١٧٥، ١٦٨، ١٦٦، ١٦٥، ١٥٣	
، ٢٣٦، ٢٢٤، ٢٢١	
٥٤٥	ببنين - قرية
٥١٧	البترون - مقاطعة
، ٤٣٩، ٤٠٦، ٢٥٣، ١٢٤، ١٢	البحر الأبيض المتوسط
٦٠٧، ٥١٢، ٤٩٤	
١٢٤، ١٢٠	البحر الرومي (البحر المتوسط)
٢٢٦، ٢٢٢	البحر الشامي (المتوسط)
، ٢٢٠، ١٧٥، ١٥٣، ١٢٥، ١٢٣	البحر الميت
٦٠٤، ٤٣٨، ٢٣٠	
٢٣٠	بحيرة أفامية
٢٣٠	بحيرة أنطاكية
١٥٣	بحيرة بانياس
٢٤٥، ٢٣٠، ١٢٦، ١٢٠	بحيرة حمص
٢٢١، ١٢٦	بحيرة الحولة
٢٣٠، ٢١٩	بحيرة دمشق (الهيجانة)
٢٣٠، ٢٢٠، ١٥٣، ١٢٥، ١٢٣	بحيرة زغر (البحر الميت)
٤٥٦	بحيرة الصيقل
٢٢٠، ١٥٣، ١٥٢، ١٣٠، ١٢٥، ١٢٣	بحيرة طبرية ، طبريا
٢٣٠، ٢٢١،	
٤٥٦	بحيرة العتيبة
١٢٥	بحيرة فامية
٢٣٠، ٢٢٢، ١٢٧، ١٢٥، ١٢٣	بحيرة قدس

١٢٥	بحيرة كبير
٦٠٤ ، ١٥٣ ، ١٢٥ ، ١٢٣	بحيرة لوط (البحر الميت)
٢٢١	البحيرة المنتنة (البحر الميت)
١٢٥ ، ١٢٣	بحيرة المطخ
٣٠٨	بحيرة مينيا
٤٥٦ ، ١٢٢	بحيرة الهيجانة
٨٠	بخارى
١٥٢	براسق
٢٢٦	برج البحصاص
٣١٦	برج ظاهر بيبرس
٤٦٠ ، ٢٢٥ ، ٢١٠	بردي
١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ٢٠٩ ،	برزة - قرية
٢٣٢	
٢٢٢	برشعين
٥٣٦	برغون
٥٣٣	برقايل - قرية
٤٥٩ ، ١٥٣	البريج
٤٩٧ ، ٤٩٤	بريطانيا
١٦٥	بزاغا
٥٤٥	بزينا - قرية
١٥٠	بستان ابن البطيش
١٥٠	بستان ابن الجنان
١٦٥	بستان ابن رستم
١٦٥	بستان ابن سلام
١٦٠	بستان ابن الشمس لؤلؤ

١٦٥، ١٥٥	بستان ابن طيان
٥٣٠	بستان أبو طحنة
١٦٥، ١٥٦، ١٥٠	بستان البعلبكي
٥٣١	بستان البيطار
١٦٥	بستان التعلبي
١٥٦	بستان التغلبي
١٥٠	بستان الثعلبي
١٦٥، ١٥٦	بستان جنديك
١٦٥، ١٥٤، ١٥٠	بستان الجوخى
٥٣٠	بستان حاج أحمد غزال
٥٣٠	بستان حاج علي بن سكيك
٥٢٩	بستان حسين بشة الجلدة
٩١	بستان الخشاب
١٦٥، ١٦٠، ١٥٠	بستان الخواجي
١٦٥، ١٥٠	بستان دف الطيب
١٥٥	بستان رستم
١٦٥	بستان السبتية
٥٢٩	بستان سليمان باشا
١٥٣، ١٥٠	بستان السنبوسكة
١٦٤، ١٥٢	بستان سواكين
١٦٤	بستان الشمس صلؤلؤ
١٥٧، ١٥٠	بستان الشموليات
٥٣٠	بستان شيخ أحمد شرسوحة
٥٣٥	بستان عبد الكريم بك
٥٣٠	بستان علي بشة قنبر

٥٢٩	بستان فتح الله مقصود
١٦٤، ١٥٠	بستان الفلك
١٥٧	بستان الفولك
١٦٤، ١٥٤، ١٥٠	بستان القليعة
١٦٤، ١٥٤	بستان القواس
٥٣٥	بستان محمد بك
٥٢٩	بستان محمد حصني
٥٣٠	بستان محمد رومية
٥٣٠	بستان محمد صالح
١٥٣، ١٥٢	بستان المرستان
٥٣٠	بستان مصطفى الأشقر
٥٢٩	بستان مصطفى آغا
١٦٤، ١٥٢، ١٥٠	بستان المغاربة
١٦٤	بستان مليك
٥٣٠	بستان يكن
٥٣٠	بستان اليمق
٥٢٢	بشمرا
٥٨٥، ٣٠٩، ٨٠، ٣١	البصرة
٤٧٥، ٢٢٦	بصرى
٣٢٤، ٣٠٤	بصرى الشام
٣٠٨	بصرى الصغرى - قرية
٢٢٤	البصيرة - قرية
٨٤	بطرسبرج
١٦٤، ١٥٢، ١٥٠	البطيحة - قرية

١٥٠ ، ١٣٤ ، ١٢٨ ، ١٢٠ ، ٧٤	بعلبك
١٧٢ ، ١٧١ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٥٢	
٢٣٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ١٩٦ ، ١٧٧	
٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢٣٦	
٢٩٠ ، ١٢٤ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٣ ، ٣٠	بغداد
٤٩٨ ، ٣٨٩ ، ٣٠٦ ، ٢٩٣	
٤٦٢	بغداد- ولاية
٣٤٦	بغراس- مدينة
٢٢١	البقارية - قرية
٣٨٨ ، ١٦٨ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٤٨	البقاع
٦٢٢ ، ٦٠٩ ، ٥١٠ ، ٤٥٩	
٢٢٢ ، ١٦٥ ، ١٦١	البقاع اللبناني
٥٣٤	بقرزلا - قرية
٥٢٣	بكفتين
١٢٠	بلاد الإسلام
٦٧	بلاد برساويا
٥٩٥	بلاد بشارة
١٨٧	بلاد الجركس
٦١٤	بلاد الحبشة
٣٨٨	البلاد الحجازية
٥٧٢	بلاد حلب
٣٤٢ ، ٢٥٣ ، ١٢٠	بلاد الروم
٣٤١	بلاد الساحل
٥٧٤	البلاد الساحلية
١٤٣	بلاد السند

البلاد السورية

بلاد سيبس

بلاد الشام

٦١٩، ٥٩٧

٤٥٩

، ١٢، ١١، ٩، ٧، ٦، ٥، ٣، ٢، ١

، ٤٨، ٢٣، ٢١، ١٩، ١٧، ١٦، ١٥

، ٧٥، ٧٣، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٥، ٥٣

، ١١٨، ١١٧، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٦

، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢٠، ١١٩

، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٦، ١٢٥

، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٢

، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٠، ١٣٩

، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٢، ١٧٥، ١٤٨

، ٢٠٤، ٢٠٣، ١٩٩، ١٩٠، ١٨٩

، ٢١٣، ٢١١، ٢٠٩، ٢٠٦، ٢٠٥

، ٢٢٦، ٢٢٤، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥

، ٢٣٣، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٧

، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤

، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠

، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥

، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١

، ٢٨٥، ٢٦٩، ٢٦٣، ٢٥٩، ٢٥٨

، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٨٦

، ٣٢٢، ٣٠٥، ٣٠٣، ٣٠١، ٢٩٣

، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١

٣٥٢، ٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٣، ٣٤٢

، ٣٦٣، ٣٦١، ٣٥٩، ٣٥٦، ٣٥٤،

، ٣٨٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٦٦
، ٤٤٧ ، ٤٤٥ ، ٤٣٩ ، ٤٣٥ ، ٤٢٩
، ٤٥٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥١
، ٤٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦
، ٤٧٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧٢ ، ٤٦٦ ، ٤٦٤
، ٤٩١ ، ٤٨٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨١
، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢
، ٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٠ ، ٤٩٩ ، ٤٩٧
، ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٣
، ٥١٢ ، ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٩ ، ٥٠٨
، ٥٩٧ ، ٥٩١ ، ٥٥٥ ، ٥٢٦ ، ٥١٣
، ٦١٢ ، ٦١١ ، ٦١٠ ، ٦٠٨ ، ٥٩٨
٦٢٥ ، ٦٢٢ ، ٦١٩

، ٢٨٨ ، ٢٥٩ ، ٢٤٩ ، ١٣٨ ، ١١٩
٥٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٣٠٤

البلاد الشامية

٧٢

بلاد الشحر

٢٤١

بلاد الشوف

٤٥٣

البلاد العثمانية

٣٣٥

البلاد العربية

٣٩٣

بلاد عكا

٢٠٦

بلاد غزة

٨٠

بلاد فارس

٢٠٦

بلاد القدس

١٦٧

بلدة القصير

٢٠٣

بلاد القيروان

١٢٠	بلد الكفر
٢٥٩ ، ١٢٨	البلاد المصرية
١١١	بلاد النهرين
٧٢	بلاد واق واق
٦٧	بلاد اليونانيين
٢٠٩	بلاس
١٦٥	بلاطنس
٤٩٦	بلجيكا
٦٨	بلدان النبط
٢٢٢	بلدة الإقليم
٢٢٩	بلدية الصالحية
٣١٤	البلقا
٤٣٨ ، ٤٣٤ ، ١٣٦	البلقاء
٤٦٩	البلقاء - مقاطعة
٤٨٥ ، ٤٦٢	البلقان
٢٣٧	بلودان
٤٧٤	بني صعب - قضاء
٣٢٥	بورتر - قرية
٣٣٩	بولاق
٢٠٩	بيت الالهه - حارة
١٥٠	بيت الجايك
١٥٣	بيت الحايك
١٧٢	بيت حينا
٩٠	بيت الحكمة - تونس
٤٨٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	بيت ساحور - قرية

١٥٢	بيت عمر شاه
١٥٥ ، ١٤٩	بيت كزل
٢٠٩	بيت لاها
٣٤٦ ، ٣٣٣	بيت لحم
، ١٩٨ ، ١٧٥ ، ١٣٣ ، ١٣١	بيت المقدس
٣٥٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٢٥٩	
٥٤٥	بيت ملات - قرية
٢١٠ ، ١٥٩	بيت نايم
٤٨٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧١ ، ٤٦٦ ، ٤٥٧	بيروت - ولاية
٤٥٦	بئر الأفاعي
٥٨	بئر بيريين
١٢٦	بئر الرحمة
١٢٦	بئر الساتورة
٤٨٣ ، ٤٣٨	بئر السبع
٤٨٢	بئر السبع - قضاء
، ٦١ ، ٥٥ ، ٥٢ ، ٤٩ ، ٤١ ، ٢١ ، ٢٠	بيروت
، ١٢٤ ، ١١٥ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٦٤	
، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٣٣ ، ١٣١	
، ١٨٨ ، ١٧٤ ، ١٧١ ، ١٦٩ ، ١٦٠	
، ٢٣٩ ، ٢٢٦ ، ٢١٨ ، ٢٠٨ ، ١٩٨	
، ٢٥٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤١	
، ٢٨٨ ، ٢٦٩ ، ٢٦١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦	
، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٤	
، ٣٤٧ ، ٣٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٢ ، ٣٣٨	
، ٣٦٨ ، ٣٦٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩	

، ٣٩٢ ، ٣٩٠ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٣
 ، ٤٥٤ ، ٤٤٥ ، ٤٣٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٦
 ، ٤٩٤ ، ٤٧٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٢ ، ٤٥٩
 ، ٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥
 ، ٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤
 ، ٥٢٨ ، ٥١٢ ، ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٩
 ٥٩٢ ، ٥٩١ ، ٥٦٧ ، ٥٦٣ ، ٥٤٦ ، ٥٣٨
 ، ٥٩٧ ، ٥٩٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ،
 ، ٦٠٢ ، ٦٠١ ، ٦٠٠ ، ٥٩٩ ، ٥٩٨
 ، ٦٠٩ ، ٦٠٦ ، ٦٠٥ ، ٦٠٤ ، ٦٠٣
 ، ٦٢٢ ، ٦١٨ ، ٦١٥ ، ٦١٤ ، ٦١١
 ٦٢٤ ، ٦٢٣

٥٨ ، ٥٧

١٧٥ ، ١٥٣ ، ١٣١

٥٦٧

بيرين

بيسان

بيلان

- ت -

٥٨٢ ، ٥٧٣ ، ٥٦٧

٢٢

٥٨٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٤ ، ١٦٥ ، ١٦٢ ، ٢٣

٥١١

٤٥٣ ، ٢٥٣

٤٩٨

١٥١

٥٤٥ ، ٥٤١

تادف

تبالة - جنوب الحجاز

تدمر

ترسيس

تركيا

تريستا

التعينية

تكريت - قرية

٢١٠	تل الذهب - قرية
٥٢٢	تل سبعل
٥٨	تل سيرام
٥٣٩	تل كرّي
١٥١	تمامة العدكية
١٦٥، ١٥١، ١٥٠	تنورية - قرية
٤٩٦	توسكانا
٣٥٦، ٣٣٥، ٩٠، ٨٣، ٦٢	تونس

-ج-

١٢١، ١٦١، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٦،	الجامع الأموي
١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٥،	
٢١٨، ٣٨٧،	
١٢٩	جامع بني أمية - دمشق
١٦١	جامع التبريزي - دمشق
١٤٨	جامعة التوريزي - دمشق
٤٥٩	جامع دمشق
٣٠٨	جامع السليمانية - الشام
١٨٦	الجامع الكبير - حماة
١٦٣	الجامع الكبير - كفر سوسة
١٠، ١٣، ٢٣، ٥٣، ١١٧، ١٢٩،	الجامعة الأردنية
١٣١، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩،	
٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦١، ٣٣٦،	
٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٩، ٣٦٥،	
٣٦٦، ٣٧٥، ٤٢٥، ٤٢٩، ٥٢٦،	

٣٤١ ، ٣٣١	جامعة آل البيت
	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٥٦٣
٤٢٩	جامعة برنستون
٣٥٤	جامعة البصرة
٣٨٣	جامعة بغداد
٣٣١	جامعة البلقاء التطبيقية
٣٤٩	جامعة تونس
٨٣ ، ٧١	جامعة حلب
٣٥٤ ، ٣٥١ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٥٦ ، ١٢	جامعة دمشق
	جامعة العلوم الإسلامية العالمية - الأردن ٢٤٩
٣٨٩	جامعة فرانكفورت
، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩٢ ، ٥٩١	جامعة القديس يوسف
، ٦٠٠ ، ٥٩٩ ، ٥٩٨ ، ٥٩٧ ، ٥٩٦	
، ٦٠٥ ، ٦٠٤ ، ٦٠٣ ، ٦٠٢ ، ٦٠١	
، ٦١٥ ، ٦١٤ ، ٦١١ ، ٦٠٩ ، ٦٠٦	
٦٢٣ ، ٦١٨	
٥١٥ ، ٤٩١ ، ٢٥٢	الجامعة اللبنانية
٤٥١ ، ٦٢	جامعة الملك سعود - الرياض
٦١	جامعة مؤتة
٢٢٨	الجامعة الهاشمية
٣٤٣ ، ١٣	جامعة اليرموك
٢٨	جامعة ييل
١٣٤	جبال بيروت
٢٢٣	جبال الروم (الأناضول)
٥٨٨	جبال سوريا

٢٥٣	جبال طوروس
٢٤٠	جبال القدس
٥٧٧	جبال القصير
٦٢٢	جبال لبنان
٥٧٨	جبال مرعش
١٢٤	جبال مشغرا
٥٤٥	جبرائيل - قرية
٥٢٣	الجبصة
٤٥٦	الجبل الأبيض
٤٥٩	الجبل الأحمر
١٦٢	جبل البطم
١٣٥، ١٣٣	جبل ببيعة
٤٦٠، ٣٠٦، ١٥٣	جبل الثلج
١٣٠	جبل الجرمق
١٣٠	جبل الجليل
٢٢٤	جبل جوشن
٤٧٩	جبل الحص
٣١٧	جبال خليل الرحمن
١٣٠	جبل الخير
٥٨٠، ٥٧٧	جبل الزاوية
٣١١	جبال زرعا
١٦٥، ١٦٤	جبل سمعان
٤٥٩	جبل سنبر
٤٦٠، ١٢٢	جبل الشيخ
٥٧٧	جبل الشيخ محمود

٢٣٧	جبل الطنين
٢٣٨، ١٣٤، ١٣٠	جبل عامل
١٣٥، ١٣٢، ١٣٠، ١٢٧	جبل عاملة
٣٢٧	جبل عجلون
٢٢٨، ٢٢٦	جبل العرب
٢١٧	جبل عزتا
٥٤٧	جبل فضل الله
١٩٨، ١٥٩	جبل قاسيون
٢٢٥	جبل القدس
٤٥٩	جبل قزل طاغ (الجبل الأحمر)
٢١٧	جبل القلعة
٤٦٠، ٤٥٩، ١٥٩	جبل قلمون
٢٥٢، ٢٢٢، ١٣٥، ١٣٣، ١٢٤	جبل لبنان
٥٠٢، ٤٩٥، ٤٩٤، ٤٥٩، ٣٨٨	
٦١٤، ٥١٧، ٥٠٧، ٥٠٤	
٦٠٧، ١٣٤	جبل لبنان - محافظة
٣٤٦	جبل اللكام
٣٠٥	جبل نابلس
٤٥٤، ٢٢٤، ١٦٥، ١٢٣	جبلة
٥٤٨	الجبّة
٥٢٨، ٥١٧	جبّة بشرى - مقاطعة
١٦٨، ١٦٧، ١٦٥	جبة العسال
١٦٥	الجبول
١٦٥	الجبیب
٥١٧	جبیل - مقاطعة

٥٤٥	الجديدة - قرية
١٣٦، ٢٢	جرش
١٢٤	الجرمق
٤٨٥، ٢٨٤، ٢٦٣، ٢٥١	الجزائر
١٣٨	جزائر البحر الرومي
١١١، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٣٠، ٢٦، ٢٣	الجزيرة - قرية
١٦٥، ١٥٣، ١٥٠	
١٠٠	جزيرة الأندلس
١٥٣، ١٥٠	جزيرة بني صدر
٢٥٣، ٢٥١	الجزيرة العربية
٦٨	الجزيرة الفراتية
٤٩٨	جزيرة قبرص
٥١٠	جزين
٢٢١	جسر بنات يعقوب
٢٢١	جسر شامية
٣٢٣	جسر الشغور
٢٢١	جسر الصنبرة
٢٢١	الجسر العادلي
١٢٤	جسر منبج
٢٢١	جسر يعقوب
٢١٠، ٢٠٩	جسرين - قرية
٥٠٩	الجليل
١٨٧، ١٦١، ١٥٨	الجمهورية العربية السورية
٤٩١	الجمهورية اللبنانية
١٤٥	جمهورية مصر العربية

٤٩٨	جنوى
٣٤٣، ٣٣٣	جنين
١٦٥، ١٥٧، ١٥٠	جنينات عبد السيد
١٦٥، ١٥٣، ١٥٢، ١٥٠	جنينة الفراء
١٦٤، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨	الجولان
٢٢١، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥	
٤٦٩	الجيزة

- ح -

٥٧٣، ٥٦٧	حارم - قضاء
١٥٢	حارة رستم
١٥٣، ١٥٠	حارة العبسية
٥١٠	حاصبيا
٥٣٠	حاكورة بنت برغش
٥٣٠	حاكورة خولي يونس
٥٣٠	حاكورة عبد الكريم
١٧١، ١٥٥	حانوت الإسكاف
١٧١، ١٥٦، ١٤٩	حانوت الجرفادني
١٧١، ١٥٥	حانوت الحاط
١٧١، ١٥٥	حانوت الحمام
٥٤٥	حبشيت - قرية
٢١٤، ١٥٢، ١٤٣، ١٣٨، ١٢٩، ٢٢	الحجاز
٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٠٤، ٢٥٢	
٤٨٢، ٤٦٨، ٤٥٥، ٤٣٨، ٣٨٨، ٣٦٣	
٤٥٥	الحجاز - ولاية

٤٧٠	الحدثا - قرية
٥٤٥	حدودا - قرية
١٢٤	الحديثة
٣٢٧، ٢١٠، ٢٠٩	حريستا - قرية
٢١٠	حريستا الزيتون - قرية
٣٥٣	الحرم الإبراهيمي
٢٢٧	الحرم القدسي
٥٤٩، ٤٦٦، ٤٥٥، ٤٥٤، ٣٥٣، ١٤٦	الحرمين الشريفين
١٦٥	الحريمية - قرية
٢١٠	حزّة - بلدة
٢٢٦، ١٧٢، ١٧١، ١٦٥، ١٢٠	حصن الأكراد
١٢٥، ١١٧	حطين
٤٨٣	الحفير
٤٨٢	الحفير - قضاء
١٦٥	حقل الخادم
١٥٦	حقل الواقف
١٦٦، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٠	حقول الحمر
١٣٣، ١٣٢، ١٣٠، ١٢٤، ١٢٣، ١٦	حلب
١٦٦، ١٦٥، ١٦٢، ١٤٣، ١٣٨	
٢١٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٦٨	
٢٣٦، ٢٣٥، ٢٢٧، ٢٢٤، ٢٢٣	
٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٣٩، ٢٣٧	
٣٤٣، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٠٥، ٢٥٠	
٤٦٧، ٤٦٦، ٤٥٩، ٤٥٤، ٣٤٦	
٤٧٥، ٤٧٤، ٤٧٣، ٤٧٢، ٤٧١	

، ٤٨٩ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦
، ٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٤
، ٥٠٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠٢ ، ٥٠١
، ٥٦٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٣ ، ٥١١ ، ٥٠٨
، ٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٦٧ ، ٥٦٦
، ٥٧٥ ، ٥٧٤ ، ٥٧٣ ، ٥٧٢ ، ٥٧١
، ٥٨٠ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦
، ٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٥٨٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨١
٦١٥ ، ٥٩٠ ، ٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧ ، ٥٨٦

، ٤٧٤ ، ٤٧٣ ، ٤٧٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٦
، ٥٠٠ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٨٣ ، ٤٧٥
٥٧٤ ، ٥٠١

٥٤٥ ، ٥٤٠ ، ٥١٨
١٥٥ ، ١٥٠

، ١٦٦ ، ١٣٢ ، ١٢٨ ، ١٢٤ ، ١٢٠
، ١٨٦ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٣ ، ١٦٨
، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢١٤
، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠
، ٣٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥
، ٤٦٨ ، ٤٦٦ ، ٤٥٦ ، ٤٥٤ ، ٣٢٦
٦١٥ ، ٥١٠

، ١٥٣ ، ١٢٧ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ٤٨
، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦
، ٢٣٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠
، ٣٢٧ ، ٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤

حلب - ولاية

حلبا - قرية
حمام يلبغا
حماة

حمص

٦١٥ ، ٥١٠ ، ٤٥٤

١٢٥

حمة بايناس

٢٣١ ، ٢٣٠

حمة جدر

٢٣١ ، ٢٣٠

حمة طبرية

٢٣٠

حمة القدموس

١٧١ ، ١٥٢

حوانيت تنكزبغا

، ٢٢٦ ، ٢١٩ ، ٢١٤ ، ١٥٢ ، ١٥١

حوران

، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧

، ٣٢٤ ، ٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٧ ، ٢٤٠

٥١٠ ، ٤٩٥ ، ٤٧٩ ، ٤٧٥ ، ٣٢٦

٤٨٠ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨

حوران - قضاء

٢٢٨

حوران الأردنية

٢٢٨

حوران السورية

٢٢٨

حوران الشمالية

٢٢٨

حوران الغربية

١٥٩

حوش الأشعري

١٥٩

حوش خرابو

١٥٩

حوش الريحان

١٥٩

حوش مباركة

١٥٩

حوش المتبن

١٢٢

حوض دمشق

١١٨

حوض نهر الأردن

١٢٣

الحولة

٥٤٥

الحويش - قرية

١٥٦

حي باب السريجة

١٥٦	حي العقيبة
١٥٢	حي الميدان
٥٤٥	حيزوق - قرية
١٣٨، ٣٣٣، ٣٤٦، ٣٥٤، ٥٠٠،	حيفا
٥٠٥، ٥٠٨، ٥١١، ٦١٥، ٦١٨،	
٢٢٧	حيلان

- خ -

١٧١	خان الأصطبل
١٥٤، ١٧٢	خان الأعرج
١٧٢	خان بكتمر
١٥٧، ١٧٢	خان الجوزة
١٤٩، ١٧٢	خان خليل التوريزي
١٧٢	خان الشبلي
٣٠٦، ٣٠٧	خان طرخانة
١٥٠، ١٥٢، ١٧٢	خان طقنجي
٣١٢	خان عين الطير
١٥٥، ١٧٢	خان قطليجا
١٧٢	خان الكتان
١٥٧	خان الواقف
٥٣	خراسان
٤٥٦	خربة الأربعين
٤٧٠	خربة أم العلق
٤٧٠	خربة بيّين
٤٧٠	خربة سارة

٤٧٠	خربة قيشرون
٥٤٥	خربة الجرد - قرية
١٦٧، ١٥١	خسفين
١٦٦، ١٥١	الحشتية - قرية
١٦٦، ١٥٣، ١٥٠	خضر - قرية
١٦٦	الخلخال - قرية
٢٢٣	الخليج العربي
١٩٨، ٢١٤، ٢٢٥، ٣١٠، ٣٢١،	الخليل، خليل الرحمن
٣٢٧، ٣٥٣، ٣٨٨، ٣٢٦، ٤٢٧،	
٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٨، ٤٧٧، ٤٨٨،	
٤٧٩	خناصرة - قرية
١٥٠، ١٥٢، ١٦٦،	خوخة - قرية

- د -

١٢٣	دابق
١٥٧	دار ابن الطباخ
٣٨٧	دار آل النابلسي
١١٥	الدار الشامية
١٧١	دار الطعم
١٩٠	دار الكتب المصرية
٨٣	دار المعارف - القاهرة
٢١٠	داريا - بلدة
١٣٤، ١٥٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦،	داريا - قرية
١٦٧، ١٢١، ٢٠٩، ٣٢٨،	
٢٢٨	داعل - قرية

٢٢١	دامية - قرية
٢	دائرة المكتبة الوطنية - عمان
١٥٣	الدبسي
١٢٤	دجلة
٦٤	الدجلة
١٥٦	الدرب السالك
١٥٣، ١٥٢	الدرب السلطاني
٤٧٨، ٤٦٦، ١٤٨	درعا
١٦٦	دركوش - مدينة
٣٨٦	الدرويشية
٤٥٩	الدرنج
١٦٦	دسيا - قرية
١٥٧، ١٥٣	دف الطيب
٢١٠	دقaine - قرية
٤٧٠	الدلهمية
٢٠٩	دمر
٧، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٤١،	دمشق
٤٨، ٦٤، ٨٠، ٩١، ١١٧، ١١٨،	
١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨،	
١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣،	
١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨،	
١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩،	
١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤،	
١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩،	
١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،	

١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥
١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠
١٨٤ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦
١٩٦ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٥
٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٩٨
٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٤
٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٠
٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨
٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤
٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩
٢٤٩ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤
٢٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٠
٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٢٨٩ ، ٢٦٣ ، ٢٥٧
٣٤٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٢٧
٣٥٥ ، ٣٥١ ، ٣٤٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤
٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٧٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٢
٤٣٨ ، ٤٢٩ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٣٨٩
٤٥٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٤ ، ٤٤٧ ، ٤٤٢
٤٧٥ ، ٤٦٩ ، ٤٦٦ ، ٤٦٢ ، ٤٦٠
٥٠٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤ ، ٥٠١ ، ٤٩٨
٥٧٢ ، ٥٦٣ ، ٥١١ ، ٥٠٩ ، ٥٠٨

٦١٥ ، ٥٧٩

٣٣٣ ، ٣٢٧

٣٤٥ ، ٣٤٣

٥٤٥

دمشق - ولاية

دمياط

دنبو - قرية

٢١	الدولة الإسلامية
٥٣، ٤٩	الدولة الأموية
٤٩٥	الدولة الأميركية
٤٩٢	الدول الأوروبية
١٨٧	الدولة البحرية
، ٤٤٥، ٣٥٢، ٣٣٩، ٣٣٤، ٣٣٢	الدولة العثمانية
، ٤٥٨، ٤٥٧، ٤٥٤، ٤٥٣، ٤٥٢	
، ٤٨٥، ٤٦٥، ٤٦٤، ٤٦٢، ٤٦١	
٥٤٣، ٥٤٢	
٢٤٩، ٢١٣، ١٨٨، ١٨٧	دولة المماليك
١٨٧	دولة المماليك الجركسية
٢٢٧، ٢١١	دوما
٢١٠	دومة - قرية
٢٢٤	دير إسحاق
٢٢١	الدير الأسود
٥٣٦	دير البلمند
٤٥٤، ٢٢٤	دير الزور
٤٥	دير سانت سرجيوس
٢٤١، ٢٢٦	دير الطور
٢٢١	دير علا - لواء
١٢٥	ديار قوم لوط
٢٣٧	دير كفتون
٥٨٢، ٢٢٢	دير كوش
٢٣٩، ٢٣٥، ٢٢٤	دير مار مروثا
٢٣٢، ٢٢٤	دير ميماس

٢٢١	دير الهرير
٣٢٢ ، ٣١١ ، ٣٠٥	الديار الأردنية
١٠٠	ديار بكر
٤٧٠	ديار الجليل
٣٥٤	الديار الشامية
١٨٩ ، ١٤٣	الديار المصرية
٤٦٩	الديار النابلسية

-ج-

١٢٠	الرأس - قرية
١٥١	راسية
٥١٠	راشيا
٥٤٧	الرامة
٣٣٨ ، ٢٣٤ ، ١٢٢	الرباط
٥٤٥ ، ٢٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٤	الرحبة - قرية
٢٢٩	رحبة ركاد
٢٢٩	رحبة عنزة
١٢٠	الرستن
٢٢٢	رشعين - قرية
١٦٦	الرصافة
٤٧٩ ، ٤٧٨ ، ٤٧٤ ، ٢٢٤ ، ١٢٤	الرقه - بلدة
٧٤	الرمانة - قرية
٣١١	الرمثا - بلدة
، ٣١٠ ، ٢٥٠ ، ٢٠٦ ، ١٣١ ، ١٣٠	الرملة
، ٣٤٢ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٣٩ ، ٣٣٣	

، ٣٥٦، ٣٥١، ٣٤٨، ٣٤٦، ٣٤٣	الرملة - ناحية
٥٠٠، ٤٣٦، ٣٦٨، ٣٥٩	روسيا
٣٦٨، ٣٥٩، ٣٥٦، ٣٤٣	الروضة الشريفة
٤٩٤	الروم
٣٥٣	الرياض
١٠٠	
، ٤٣٢، ٣٥٢، ٣٠٤، ٦٤، ٦٢، ٤١	الريحانة
٤٥٣	الريدانية
١٥٩	ريف دمشق - محافظة
٢٥١	
، ٣٥٥، ٣٤٩، ٢٢٧، ٢٢٤، ٢١٧	
٣٧٥، ٣٦٦، ٣٦٢	

-ز-

٥٢٦، ٥٢٤، ٥٢٣، ٥٢١	الزاوية
٥٢٨، ٥١٧	الزاوية - مقاطعة
٥٣٧، ٥١٩	الزاوية - ناحية
٤٢٦	الزاوية المحمدية
٥٧٩، ٥٣٢، ٢١٧، ٢٠٧	الزبداني
٤٨٠، ٤٦٠	الزبداني - قضاء
٢١٠	زبدین - قرية
٥١٠	زحلة
١٦٦	الزراعة - قرية
٣١٢، ٢٢٦، ٨٧	الزرقاء
١٣١	زغر - مدينة
٢٢٢	زغرتا

١٥٥	زقاق ابن كجك
٢٢٧، ٢١٠	زملكا - قرية
٣٢٣	الزنبقية - قرية
١٦٦، ١٥٢	زيتا
٢٢٦	زيزاء
- س -	
٦٠٧	ساحل الدامور
٢٢١، ١٣٣	الساحل السوري
١٦٧، ١٥١، ١٥٠	ساروبية - مزرعة
١٦٦	ساقية سلمية
١٦٦، ١٥١	السبتية - قرية
١٥٩	سبينية
١٥٩	سبينات
١٦٦	السحارة - قرية
٥٣٣	سراي
٤٩٦	سردينيا
٢٤٣، ٢٣٨، ٢٣٤، ١٦٧، ١٦٦، ١٣٨	سرمين
١٦٧	سفح جبل قاسيون
١٦٦	سفح قاسيون
٥٤٥	السفينة - قرية
٢١٠	سقبا
١٦٧، ١٦٠، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٠	سكة الحمام
٥٧٦	سلتين
٤٦٣	سلستره - ولاية

٤٧٩ ، ٤٦٩ ، ١٣٢	السلط
٤٨٠ ، ٤٦٩	السلط - قضاء
٤٥٦ ، ٤٥٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ١٦٧	سلمية
٢٢٧	السليمانية
٩١ ، ٨٠	سمرقند
١١٩	سمرين - قرية
٥٣٩	السمونية - قرية
١٢٤	سميساط
٣١٣	سهل البلقا
١٣٩	السواحل البيرونية
٥٩٩	سواحل سوريا
١٣٩	السواحل الطرابلسية
١٣٩	السواحل العكاوية
٢٢٦ ، ١٧٤ ، ١٤٨ ، ١٢٤ ، ١٢٢	سوريا
٥٠٠ ، ٤٦٢ ، ٣٢٢ ، ٣٠٥ ، ٢٤١	
٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٣٨ ، ٥٠٩ ، ٥٠١	
٦١٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٤ ، ٥٩٩ ، ٥٩٨	
٦٢٠ ، ٦١٩ ، ٦١٦ ، ٦١٥	
٤٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٤	سوريا - ولاية
٤٨٢ ، ٤٨١ ، ٤٨٠ ، ٤٦٩ ، ٤٦٦ ، ٤٦٤	
١٧١	سوق الأمتعة
١٧١	سوق جقمق
١٧١	سوق الحراج
١٧١	سوق الخضرية
١٧٢	سوق الخيل

١٧٢	سوق السمانيين
١٦٩	سوق الصابون
٣٨٧	سوق العنبرانيين
١٧٢	سوق قبر عاتكة
١٦٩	سوق القضمانيين
٣٨٦	سوق القطنين
١٧٢	سوق القطن
٣٨٦	سوق القطن - محلة
٤٦٦	السويداء
٢٢٢، ١٢٠	السويدية
١٦٧	سويعه - قرية
٥٨	سيرام
١٦٧	سير البروج
٤٧٠	سيرين - قرية
١٦٦	سيس

- ش -

١٢٥	شاطئ بحيرة طبريا
٣٢٣، ٣٢٦	شاطئ العاصي
٤٧٩	شاطئ الفرات
١٢، ١١، ٩، ٧، ٦، ٥، ٣، ٢، ١	الشام
٢٣، ٢٢، ٢١، ١٩، ١٧، ١٦، ١٥	
٣٣، ٣٢، ٣١، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤	
٦٥، ٥٣، ٥٢، ٤٨، ٤٦، ٤٥، ٤٣	
٧٦، ٧٥، ٧٣، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦	

፡ 100 ፡ 99 ፡ 10 ፡ 79 ፡ 78 ፡ 77
፡ 120 ፡ 119 ፡ 118 ፡ 117 ፡ 111
፡ 120 ፡ 124 ፡ 123 ፡ 122 ፡ 121
፡ 134 ፡ 132 ፡ 129 ፡ 128 ፡ 127
፡ 140 ፡ 139 ፡ 138 ፡ 137 ፡ 130
፡ 147 ፡ 146 ፡ 140 ፡ 144 ፡ 143
፡ 104 ፡ 103 ፡ 102 ፡ 101 ፡ 148
፡ 109 ፡ 108 ፡ 107 ፡ 106 ፡ 100
፡ 188 ፡ 187 ፡ 182 ፡ 176 ፡ 170
፡ 199 ፡ 193 ፡ 192 ፡ 190 ፡ 189
፡ 207 ፡ 206 ፡ 200 ፡ 204 ፡ 203
፡ 216 ፡ 210 ፡ 213 ፡ 211 ፡ 209
፡ 227 ፡ 226 ፡ 224 ፡ 222 ፡ 217
፡ 234 ፡ 233 ፡ 231 ፡ 230 ፡ 229
፡ 240 ፡ 239 ፡ 238 ፡ 236 ፡ 230
፡ 240 ፡ 244 ፡ 243 ፡ 242 ፡ 241
፡ 201 ፡ 200 ፡ 249 ፡ 247 ፡ 246
፡ 206 ፡ 200 ፡ 204 ፡ 203 ፡ 202
፡ 269 ፡ 263 ፡ 262 ፡ 209 ፡ 208
፡ 289 ፡ 288 ፡ 286 ፡ 280 ፡ 281
፡ 303 ፡ 301 ፡ 293 ፡ 291 ፡ 290
፡ 309 ፡ 308 ፡ 307 ፡ 306 ፡ 300
፡ 321 ፡ 320 ፡ 310 ፡ 312 ፡ 310
፡ 331 ፡ 328 ፡ 320 ፡ 324 ፡ 322
፡ 342 ፡ 330 ፡ 334 ፡ 333 ፡ 332

، ٣٥١ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٣
، ٣٦١ ، ٣٥٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٢
، ٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٣
، ٤٣٥ ، ٤٢٩ ، ٤٠٧ ، ٣٩٣ ، ٣٨٨
، ٤٥٢ ، ٤٥١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٥ ، ٤٣٩
، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٢
، ٤٦٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦١ ، ٤٦٠ ، ٤٥٨
، ٤٧٦ ، ٤٧٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧١ ، ٤٦٨
، ٤٨٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨١ ، ٤٧٩ ، ٤٧٨
، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٠ ، ٤٨٥
، ٤٩٩ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٤٩٤
، ٥٠٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٠
، ٥٠٩ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٥
، ٥٢٦ ، ٥١٣ ، ٥١٢ ، ٥١١ ، ٥١٠
، ٥٧٢ ، ٥٦٣ ، ٥٥٥ ، ٥٤١ ، ٥٣٩
، ٥٩٨ ، ٥٩٧ ، ٥٩١ ، ٥٨٥ ، ٥٨٤
، ٦١٤ ، ٦١٢ ، ٦١١ ، ٦١٠ ، ٦٠٨
٦٢٥ ، ٦٢٢ ، ٦١٩
، ٤٥٤ ، ٣٦٦ ، ٣٣٠ ، ٣٢٠ ، ٣١٥
٤٦٠ ، ٤٥٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥

الشام- ولاية

٢٥٥

الشام - لواء

٤٨٠

الشام - قضاء

٤٧٠

الشجرة

٣٤٢

الشراة

١٦٦

الشرف الشمالي

١١٨	الشرق الأدنى
٤٣٥، ٤٠٠، ١٨١	الشرق الأوسط
٢٢٣	شط العرب
٩١، ٨٠	شعب بوان - منتزه في بلاد فارس
١٦٦، ١٤٨	الشعرا
١٦٦	الشعيرة - قرية
١٥٩	الشفونية
١٢٤	الشقيف
١٦٦	الشموليات - قرية
١٦٦	الشهم الشرقي
١٢٧، ١٣٣، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٤١، ٤٦٨	الشوبك
٥١٠	الشوف
١٣٤، ٦٠٧، ٦١٤	الشوف - قضاء
١٢٠، ١٦٦، ٢٢٢	شيزر - مدينة

- ص، ض -

٥١٠	صافيتا
١٥٩، ١٧١، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٣٢	الصالحية
١٢١، ١٥٩	صحنايا
٣١٢	صحراء البلقا
٣١٠	صحراء مزيريب
٩١، ٨٠	صُغد سمرقند - منتزه
١١٧، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٣،	صفد
١٣٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣،	
١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥،	

، ٢٤٩ ، ٢٢٥ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦

٣٤٦ ، ٣٣٣ ، ٣١٠

٩٠

٣٠٤ ، ٢٢٦

، ٥٠٥ ، ٥٠٠ ، ١٣١ ، ١٢٨ ، ١٢٤

٦١٥ ، ٥١١ ، ٥١٠

٤٦٢

، ٢٣٢ ، ١٦٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٠

، ٥٠٠ ، ٤٥٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٢٤

، ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٨ ، ٥٠٥ ، ٥٠٤

٦١٥ ، ٦٠٨ ، ٥٩٨ ، ٥١٢

٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٢٦

١٤٣

١٦٦

٥٢٨ ، ٥١٧

صنعاء - ناحية

الصنمين

صور

صوفيا

صيدا

صيدنايا

الصين

الضمران - قرية

الضنية - مقاطعة

- ط ، ظ -

٤٦٢

٤٧١ ، ٤٧٠ ، ٢٤١ ، ١٧٥

٣١١

٤٦٢

، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٢٨

، ٢٢٢ ، ١٦٦ ، ١٤٩ ، ١٣٩ ، ١٣٨

، ٢٤٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٢ ، ٢٢٦

، ٤٩٦ ، ٣٤٥ ، ٣٢٤ ، ٢٤٩ ، ٢٤٤

الطائف

طبرية

طراً - قرية

طرابزون

طرابلس - طرابلس الشام

، ٥٠٨، ٥٠٧، ٥٠٥، ٥٠٤، ٥٠٢
، ٥١٦، ٥١٥، ٥١٢، ٥١١، ٥١٠
، ٥٢١، ٥٢٠، ٥١٩، ٥١٨، ٥١٧
، ٥٢٦، ٥٢٥، ٥٢٤، ٥٢٣، ٥٢٢
، ٥٣٤، ٥٣١، ٥٢٩، ٥٢٨، ٥٢٧
، ٥٤١، ٥٣٩، ٥٣٨، ٥٣٧، ٥٣٦
، ٥٤٧، ٥٤٥، ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٤٢
، ٥٥٢، ٥٥١، ٥٥٠، ٥٤٩، ٥٤٨
٥٨٤، ٥٥٥، ٥٥٤

، ٥١٧، ٥١٥، ٤٥٤، ٣٢٧، ٣٢٥، ١٦
، ٥٢٧، ٥٢٦، ٥٢٥، ٥٢٤، ٥٢٠
٥٤٨، ٥٤٣، ٥٣٨، ٥٣٦، ٥٢٨

٥٤٥

٥٨٥، ٤٩٨، ٣٤٦، ٢٢١

٥٠٥

٥١٧

١٣٣

٤٧٠

٢٢٨، ١٦٦

١٥٢

٣٠٤

١٥٢

١٥٢

٤٦٩

٢٢٥

طرابلس ، طرابلس الشام- ولاية

طرابلس - قضاء

طرسوس - محافظة

طرطوس

طرطوس - مقاطعة

طرطوس - محافظة

طرعان

الطرة - قرية

طريق الحج

طريق الحج الشامي

الطريق السلطاني

الطريق العظمى

الطفيلة - قضاء

الطور

٤٦٣	طونا - ولاية
٤٧٠	الطيرة - قرية
١٥٧	ظاهر باب الجابية - محلة
١٥٠	الظاهرية - قرية

-ع-

١٢٧، ١٢٥	العاصي
١٦٦	العاعة - قرية
١٢٤	العانة
١٦٦	عانوث - قرية
٤٥٦، ٣٢٧، ٣١٠، ١٣٦	عجلون
٤٨٠، ٣٧٥	عجلون - قضاء
٢٥٥	عجلون - لواء
١٦٦	العدكية - قرية
٢١١	عذرا - قرية
١٥٩، ١٣٤	عذراء - قرية
١٣١، ١٢٤، ٦٤، ٥٣، ٣١، ٢٣	العراق
٣٤٩، ٣٤٢، ٢٨٨، ٢٥٣، ٢٤٥	
٥٨٥، ٣٥٠	
٢١٠	عربيل (عربين) - قرية
٥٢٢	عرقا
١٢٢	عرنة - قرية
١٦٦	عزاز
٢٥٩، ٢٤٠، ١٣٣	عسقلان
٢٢١	عقبة فيق

٢٠٩	عقربا
، ٣٤٦، ٣١٠، ٢٥٩، ١٣٩، ١٣٠	عكا
، ٥١٠، ٥٠٨، ٥٠٠، ٤٧٦، ٤٥٦	
٦١٥، ٥١١	
٤٧١	عكا - لواء
، ٥٢٤، ٥٢٣، ٥٢٢، ٥٢١، ٥١٨	عكار
٥٤٥، ٥٤١، ٥٣٥، ٥٣٤، ٥٢٧، ٥٢٦	
٥٢٨، ٥١٧	عكار - مقاطعة
٥١٨، ٥٤١	عكار - قضاء
٥٤٩، ٥٤٥، ٥٣٩، ٥١٩	عكار - ناحية
٥٢٦، ٥٢٤، ٥٢١	علما - قرية
	عمادة البحث العلمي - الجامعة الأردنية ٥
٣٥٣	العمارة العامرة
، ١٢٣، ١٢٢، ٦١، ٥٣، ٢٣، ٢	عمان
، ٢٢٩، ٢٢٣، ٢١٤، ١٣٦، ١٢٩	
، ٣٥٢، ٣٥٠، ٢٦١، ٢٥٥، ٢٥٤	
، ٣٨٣، ٣٧٥، ٣٦٦، ٣٥٩، ٣٥٤	
٥٢٦، ٤٦٩، ٤٥٧، ٤٣٨، ٣٩٩	
١٦٧	عنابة - قرية
، ٣٢، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢١، ١٩، ١٥	عوجا الحفير
، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٥	
٥٨، ٥٦، ٥٣، ٥١، ٤٩، ٤٨، ٤٧	
٤٧٠	عولم - قرية
٥٤٥	عيات - قرية
٧٠	العين - الإمارات العربية

١٢٣	عين تاب
٢١٠	عين ترما - قرية
٤٧٩، ٤٦٩	عين الحمر
٢٢٨	عين راحوب
٢١٠	عين الرشيدية
٢٢٥، ١٢٠	عين الزيداني
٣٢١	عين الزرقاء
٢٢٥	عين سلوان
٤٥٩، ٢٢٥، ٢١٧، ١٢٧، ١٢٠	عين الفيحة
٤٨٤، ٤٧٧، ٤٧٢	عين قنية - قرية
٤٨٧	عين قيا - قرية
٢٢٥	عين اللجوج
١٦٦، ١٥٢	عين النمور
١٢٧، ١٢٠	عين الهرمل
٥٤٥	عين ياقوت - قرية
٥٧٣، ٥٦٧، ٥١١، ٥٠٨، ٥٠٥	عينتاب
٥٨٦، ٥٧٩، ٥٧٥	

-غ-

١٦٧	الغربيات - ولاية
١٣٦، ٥٣، ٥١، ٤٣، ٣٤، ٢١	غزة
٢٥٦، ٢٥٠، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٢٦	
٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٣، ٣١٨، ٣١٠	
٦٠٤، ٥٧١، ٥٦٣، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣	
٣٢٩	غزة هاشم

، ١٦٦، ١٦٤، ١٥٣، ١٣١، ١٢٣، ٧٧
٢٣٨، ٢٣٧، ٢٢١، ٢٢٠، ١٦٨، ١٦٧
، ١٢٢، ١٢١، ١١٨، ٩١، ٨٠، ٦٩
، ١٥٠، ١٣٧، ١٣٤، ١٣١، ١٣٠
، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٧، ١٥٦
، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤
، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ١٨٩
، ٢٦٣، ٢٥٩، ٢٣٦، ٢٢٤، ٢١٩
٤٥٩، ٤٧٦، ٢٨٩

الغور

الغوطة ، غوطة دمشق

١٦٧

الغياض السلطانية

١٥٩

غيط التاج

١٦٧، ١٥٨

غيطة ابن البعموري

١٦٧

غيطة ابن الجنات

١٦٧

غيطة التاج

١٦٧

غيطة الدفنة

١٦٧

غيطة المنجنيقية

- ف -

٢٣٠، ١٢٣

الفرات

٥٦٣

الفرافرة - محلة

٢٤٣، ٢٢٩، ٢٢٧، ٢٢٣، ٢١٤

فرانكفورت

١٦٧، ١٥١

الفرج - قرية

٤٥٣

فرجينيا

١٦٧

فرعم - قرية

١٥٢

فرن تنكزبغا

٦١٨، ٦١٥، ٤٩٨، ٤٩٧، ٤٩٤
١٥٩
، ٥٣، ٤٨، ٤١، ٤٠، ١٩، ١٦، ١٥
، ٢٣٠، ١٧٥، ١٦٤، ١٥٢، ١٣٠
، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٢٢، ٢٥٢، ٢٤٠
، ٣٣٩، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٤، ٣٣٣
، ٣٥٤، ٣٥٠، ٣٤٧، ٣٤٥، ٣٤٢
، ٤٣٤، ٤٢٧، ٤٢٥، ٣٧٣، ٣٥٧
، ٤٥٤، ٤٤٨، ٤٤٥، ٤٣٨، ٤٣٦
، ٤٧٥، ٤٧١، ٤٧٠، ٤٦٩، ٤٥٧
، ٥٨٥، ٥٠١، ٥٠٠، ٤٨٤، ٤٧٦

فرنسا
الفضالية
فلسطين

٦١٦، ٦١٥

٢٢١

١٦٧

١٦٧، ١٥١

٥٣٦

الفوار
الفوعة - قرية
فوى - مزرعة
فيح - قرية

-ق-

٢١١، ١٦٠

١٦٧

، ١٠٠، ٨٣، ٧٣، ٧٢، ٧٠، ٢٦، ٢٠
، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٢١، ١٠٧
، ١٧٥، ١٧٤، ١٥٤، ١٥١، ١٤٩
، ٢١٦، ٢١٤، ١٨٨، ١٨١، ١٧٨
، ٣٣٨، ٢٩٠، ٢٤٩، ٢٤٥، ٢٣٤

القابون التحتاني - بلدة
قارا - مدينة
القاهرة

، ٤٠٠ ، ٣٨٨ ، ٣٧٦ ، ٣٥٠ ، ٣٤٣	
٥٧٢ ، ٤٥٤ ، ٤٤٥ ، ٤٣٨ ، ٤٢٥	
١٥٨	قبر سليمان الداراني
١٧٢ ، ١٧١ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٠	قبر عاتكة
١٦٠ ، ١٤٨	قبر عاتكة - محلة
٤٨٥	قبر ص
٣٥٣	قبة الصخرة المشرفة
٥٤٩	القببات - قرية
١٦٧	القببات - قرية
١٥٢	القببات - محلة
، ٢٢٥ ، ٢١٤ ، ١٩٦ ، ١٢٩ ، ١٢٧	القدس ، القدس الشريف
، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧	
، ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٢٥٠ ، ٢٤١ ، ٢٣٩	
، ٣٤٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٠ ، ٣٢٩ ، ٣١٦	
، ٣٨٨ ، ٣٦٨ ، ٣٦٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣	
، ٤٥٤ ، ٤٤٨ ، ٤٣٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦	
، ٤٧٤ ، ٤٧٢ ، ٤٦٦ ، ٤٥٧	
، ٤٨٧ ، ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٤٧٨ ، ٤٧٧	
٥١١ ، ٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٠ ، ٤٩٤ ، ٤٨٨	
٣٢٠ ، ٣١٥	القدس الشريف - لواء
٣١٦	القدس الشريف - ولاية
٣٣٥	قرطاج
٢٢٤	قرقيساء
٢٢٤	قرقيسيا
٢٢٣	القرنه

٣١٨	القسطنطينية
٤٢٥، ٢١٣، ١١٧، ١٩، ١٣	قسم التاريخ - الجامعة الأردنية
٣٣١	قسم التاريخ - جامعة آل البيت
١٨٧	قسم التاريخ - جامعة دمشق
٤٩١	قسم التاريخ - الجامعة اللبنانية
٤٥١	قسم التاريخ - جامعة الملك سعود
٣٣١	قسم العلوم الإنسانية - جامعة البلقاء التطبيقية
١٣	قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية
٦١	قسم اللغة العربية - جامعة مؤتة
١٣	قسم اللغة العربية - جامعة اليرموك
٣٠٦، ٣٠٥	قصر أحمد باشا الصغير
١٧٢، ١٥٧، ١٥٠	قصر حجاج
١٦٧، ١٦٣	القصور - قرية
٥٩٠، ٥٧٦، ١٥٣	القصير
١٦٨	القطائع
٦١٢، ١١٩	القطر السوري
٤٣٨	القطرانة
٤٥٩	قطنا
٤٦٠	قطنا - قضاء
٤٦٠، ٤٥٩	القطيفة - قضاء
٣٢٣	قلعة باتيس
٤٥٦	قلعة - براق
١٢٦	قلعة بعلبك
١٨٧	قلعة الجبل
٣٢٧	قلعة جبل عجلون

٣٢٣	قلعة جبيلة
٣١٦	قلعة الحسا
٣٠٥	قلعة حلب
٣١٢	قلعة خان الزبيب
٢١٨، ١٢١	قلعة دمشق
١٨٧	قلعة الروضة
٣١٢	قلعة زيزيا
٣٢٨	قلعة سعسع
١٦٦	قلعة صهيون
٣١١	قلعة عين الزرقا
٣٢٢	قلعة قدرة جغيمان
١٧٢، ١٦٧	قلعة القصير
٣١٦، ٣١٥	قلعة قطران
٣١٤	قلعة القطرانة
٣٢٤	قلعة قليبان
٣٢٨	قلعة القنيطرة
٣١٦، ٣١٥	قلعة الكرك
٣٠٩	قلعة مزيريب
٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠، ٣١٩	قلعة معان
٣١١، ٢٠٤	قلعة المفرق
٥٢٣، ٤٥٦	القلمون
٢٢٢	قناطر الإبرنس
٢٢٧	قناة حلب
٢٢٧	قناة حماة
٢٢٧	قناة زمكا

٢٢٧	قناة صيدا
٢٢٧	قناة القدس
٢٢٧	قناة قرية معيصرة
٢٢٣، ١٢٣	قنسرين
٤٥٩	قنوا - قرية
٤٥٦، ١٤٨	القنيطرة
٤٨٥	القوقاز
٤٦٢، ٤٦١	قونيا
٣٣٥	القيروان
١٧٢، ١٥٠	قيسارية
١٧٢	قيسارية الشرب
١٧٢	قيسارية القواسين
١٦٨، ١٥٦، ١٥٠	قينية - قرية

- ك -

١٨٦، ١٦٨، ١٨١	كازو - قرية
١٦٨	الكبرى - قرية
١٥٣	كراكنز
١٦٨، ١٥١	الكرسي - قرية
٢٤٩، ٢٣٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ١٣٦	الكرك
٤٧٩، ٤٦٩، ٤٦٨، ٤٢٨، ٣٤٢، ٢٥٠	
٣١١	الكرك - ناحية
١٦٨، ١٦١، ١٢٨	كرك نوح
١٦٨	كرم طاعة
٤٧٦	الكرمل

٤٨٥	كريت
٥١٠، ٤٩٥	كسروان
٤٥٦	الكسرية
٢٢٦، ٢٢٤، ١٦٨، ١٥٢	الكسوة - قرية
٢١١، ١٦٨	كفر بطنا - قرية
٢١١	كفر بطها
٥٧٦	كفر تخارم
٥٣٧	كفر زينا - قرية
٤٧٠	كفر سبت
١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٥٤، ١٣٠	كفر سوسة
١٨٣، ١٦٨، ١٦٦	
٢١١	كفر سوسية - بلدة
١٦٨، ١٥١، ١٥٠	كفر شمس - قرية
٤٧٠	كفر كما - قرية
١٦٨	كفر لاها - قرية
٤٧٠	كفر مصر
٥٧٦، ٥٦٧	كليس
	كلية الآثار والسياحة - الجامعة الأردنية ١٣
	كلية الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك ١٣
٢١٣، ١١٧، ١٣	كلية الآداب - الجامعة الأردنية
١٣	كلية الآداب - جامعة دمشق
٥١٥	كلية الآداب - الجامعة اللبنانية
	كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية ٣٣٦
	كلية العلوم الإجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٥٦٣
٥٩٦	كلية القديس يوسف

١٦٧، ١٥٢	كنف الفوقاق
٥٩١	الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية
٥٣٦، ٥٢٤، ٥٢٣	الكورة
٥٢٨، ٥١٧	الكورة - مقاطعة
٥٣٦، ٥١٩	الكورة - ناحية
٤٥٩	كورة الزبداني
، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣	كورة غزة
٤١، ٤٠	
٣١	الكوفة
٢٢٧	الكونغرس الأمريكي
، ١٦١، ١٢٢، ١١٦، ٧٠، ٥٥، ٢٠	الكويت
٣٤٨	

- ج -

، ٥٠٥، ٤٩٨، ٤٩٧، ٣٢٣، ١٣٨	اللاذقية
٥١٧، ٥١١، ٥٠٨	
، ٢٤١، ٢٣٧، ٢٢٤، ٢٢١، ١٣٢	لبنان
، ٤٥٤، ٤٢٨، ٣٢٢، ٣٠٥، ٢٥٢	
، ٥٩١، ٥٧٨، ٥٢٨، ٥١٨، ٤٥٩	
، ٥٩٩، ٥٩٧، ٥٩٦، ٥٩٥، ٥٩٣	
، ٦٠٥، ٦٠٤، ٦٠٣، ٦٠٢، ٦٠٠	
، ٦١٥، ٦١٤، ٦١٢، ٦٠٨، ٦٠٧	
٦٢٥، ٦٢٢، ٦١٩، ٦١٨، ٦١٧، ٦١٦	
١٣٠	لبنان الجنوبي
٥٤٥	لبة - قرية
٢٢٢، ١٢٠	اللوبة - قرية

١٦٧، ١٥٣	اللجاء
	لجنة تاريخ بلاد الشام - الجامعة الأردنية ٥٢٦
٣٣٣، ٢٤١	اللجون
٣٤٦، ٣٣٣	اللد
٤٣٤، ٤٢٧، ٦٣	لندن
٤٧٠	لوييا - قرية
١١٩، ٢٠	ليدن
٤٩٨	ليفورنو
	- م -
٤٦٩	مادبا
٣٠٩	ماردين
٥١٠	المتن
٢٢١	المجامع - قرية
١٢٢، ٧٠	المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت
١٨٩، ٧١	المجمع الثقافي - أبو ظبي
٥٦٣، ٢٠٨، ٢٠	المجمع العلمي العربي - دمشق
٦١	مجمع اللغة العربية الأردني
٤٨٨، ٤٧٧، ٤٧٢	مخماس - قرية
٢٢١	المدان
٥٩٤	مدرسة باريس العليا
٣٨٧	المدرسة السليمية
٥٦٣	المدرسة السيافية
١٥٦	المدرسة الصابونية
٥٩٤	مدرسة الطب الفرنسية

٣٨٧	المدرسة الكلاسة
١٧٢	المدرسة النورية
٣٣٤	المدن الساحلية
١٤٥	مديرية الآثار - مصر
٣٠٣	مديرية آثار المفرق
٣٤٥، ٣٠٩	المدينة المنورة
١٦٧	المرج
١٢٣	المرج الأحمر
١٣٠	مرج بيسان
٢٥١، ٢٤٩	مرج دابق
٢٢٦، ٢٢١	مرج عيون
٤٥٩	مرج الغوطة
٢٢٤	مرجعيون - قضاء
٥٠٤	مرسين
٥٧٦، ٥٧٥، ٥٧٢، ٥٦٧، ٥١١، ٥٠٥	مرعش
٤٩٩	مرفاً الإسكندرون
٥٠٧، ٥٠٤، ٥٠٢، ٥٠١، ٤٩٩	مرفاً بيروت
٥٠٤	مرفاً صيدا
٤٩٩	مرفاً اللاذقية
١٦٧	المرقب
٣٨٣	مركز أحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد
١٢١	مركز داريا
٢١٧، ١١٩	مركز الدراسات العسكرية - دمشق
٣٤٩، ٦٤، ٢١	مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت
٢١٣، ١٢٠، ٧٠	مركز زايد للتراث والتاريخ - الإمارات

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض ٦٤	
مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام - الجامعة الأردنية ١، ٢، ٩،	
٤٢٩، ٣٦٥، ٣٤٢، ٣٣٧، ٢٢٧، ١٢	
٥٢٤، ٥٢٢	مرليا
٣٨٤	مزارع الأندلس
٥٤٩	مزرعة بشمرا
١٥٠	مزرعة زيتون
١٦٧	مزرعة السمان
٥٤٥	مزرعة قبولا
٥٣٤	مزرعة القنطرة
٥٤٨	مزرعة مرليا
١٥٣	مزرعة نوح
١٦٣، ١٥٩، ١٥٤، ١٣٦، ١٢١	المزة
٢٣٢، ٢١١، ٢٠٩، ١٦٧، ١٦٥	
٣٥٣، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٠٥، ٢٢٧	المسجد الأقصى
٤٢٦	
١٣٠	المسجد الأموي
٣٠٣	مسجد آيا صوفيا
٥٤٧	مسجد البرطاسية
١٣٨	مسجد بن أمية
١٥٦	مسجد جعفر
٣٠٥	مسجد خليل الرحمن
٣٨٦	مسجد سراقه
١٦١	مسجد القرشي
١٥٦	مسجد معاوية

١٦٧
١٨٩
٥٤٦، ٥٣٥، ٥١٨
، ٥١، ٤٩، ٤٥، ٣١، ٣٠، ٢٨، ٢٦
، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٢، ٥٥، ٥٣، ٥٢
، ١١٨، ١٠٠، ٩١، ٨٤، ٨١، ٧٨
، ١٨٩، ١٨٨، ١٢٠، ١١٩
، ٢١٣، ٢٠٦، ١٩٩، ١٩٣، ١٢٠
، ٢٤٢، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢١٥، ٢١٤
، ٢٨٨، ٢٥١، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤
، ٣٤٢، ٣٣٩، ٣٣٤، ٣٣٠، ٣٢٥
، ٣٥٤، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٥، ٣٤٣
، ٤١٩، ٤٠٠، ٣٨٨، ٣٨٧، ٣٦٣
، ٤٥٤، ٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٦، ٤٣٤
، ٥٧٣، ٥٠٠، ٤٩٥، ٤٩٤، ٤٥٥
٦١٤، ٥٨٥، ٥٨١

المقاسية
المشرق العربي
مشمش - قرية
مصر

١٦٧
٣١٢
٤٣٨، ٣٤٢، ٣٢٢، ٣١٩
٤٦٩
١٦٢
٢٢١
٤٧٠
١٦٧
٢٣٨، ٢٣٧، ٢١٤، ١٨٠، ١١٩

مصياف - مدينة
مضيق البلقا
معان - مدينة
معان - قضاء
معبد بل
معدى الجديد - قرية
معدر
المعرة - مدينة
معرة النعمان

المعمورة - قرية	١٦٧
معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب ٨٣	
معهد العلوم العربية والإسلامية	٢١٤
المعهد الفرنسي للدراسات العربية - دمشق ٦٤ ، ١٧٠	
المعهد الفرنسي للشرق الأوسط - دمشق ١٥٦	
معهد مولاي الحسن - تطوان	٨٢
المعاصرة - قرية	٢٢٧
مغارة الراهب	٢٢٢
المغرب العربي	٨٣ ، ٢٠٣ ، ٢١٥ ، ٣٨٤ ، ٤٣٩ ، ٤٨٥
المغير - قرية	٢٢٨
المفرق	٣٠٣ ، ٥٩١
المفرق - محافظة	٢٢٩
مقام الخضر عليه السلام	٣٢٥
مقبرة محلة الباشقردي	٣٤٣
المقاسية	١٥٣
مكة ، مكة المكرمة	١٧٣ ، ٣٠٩ ، ٣٥٤ ، ٤٣٨ ، ٤٨٠
مكتبة الأسد - دمشق	٢٥٦ ، ٣٨٩
مكتبة الإسكندرية	١٤٦
مكتبة باريس الوطنية	٨٤
مكتبة جامعة ليدن	٢٠٨
مكتبة الشيخ فيض الله أفندي	١٩٨ ، ٢٠٠
مكتبة طوب قابوسراي - استانبول	٣٨٩
مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة	٢٠
مكتبة المثني - بغداد	٨٦ ، ٣٨٩
مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض	٣٥٢ ، ٤٥٣

٥٨٠ ، ٥٧٩	ملطية
٥٩١ ، ٢٢٩ ، ١٧٥ ، ٢	المملكة الأردنية الهاشمية
٥٦٧	مملكة حلب
٢٣٦ ، ١٩٩ ، ١٦١	المملكة الشامية
٥٦٣ ، ٤٥١	المملكة العربية السعودية
١٩٩	المملكة المصرية
٢٣٤	المملكة المغربية
٤٧٩ ، ٢٢٣	منبج - مدينة
٦٦	المنجم الكنعاني
٣١٢	منزل بتريكة
٣٢١	منزل عقبة (الشامية)
٣١٧	منزل عنيزة
٣٢٧	منزل قلعة جبل عجلون
٣٠٨	منزل كُتبية
٦٢	منوبة
٥١٧	المنية - مقاطعة
٤٦٨	مؤتة
٣٣٥	موريتانيا
٣٥٤	مؤسسة آل البيت
٨٣	مؤسسة الرسالة - بيروت
٦٤	مؤسسة شومان
٢٥٦	المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت
٤٣٤ ، ٤٢٧ ، ٦٣	مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن
٣٠٩	الموصل

- ن -

٢٣٤ ، ٢٠٦ ، ١٣٨ ، ١٣٤ ، ١٢٩	نابلس
٣٣٣ ، ٣١٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٣٨	
٤٣٦ ، ٤٢٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤١	
٤٨٤ ، ٤٤٥	
٤٧٥ ، ٤٥٧	نابلس - لواء
٣٣٠	نابلس - لواء
٥٠٠	الناصره
٢٢٩	الناعوره الكبرى
٣٢٧	الناعوره المحمديه
٢٢٩	نايفه
٢٢٤ ، ٢٢١	النبطيه - محافظه
٢٢٥	نبح رأس العين
٢١٧	نبح الفيجه
٣٢٧	النبك - قرية
٤٦٠ ، ٤٥٩	النبك - قضاء
٤٥٦	نجد
٢٤ ، ٢٣	نجران
١٦٨ ، ١٥١ ، ١٥٠	النجنحيه - قرية
١٥٩	النشابيه
٤٥ ، ٤٤ ، ٣٩	نصتان
١٢٤	نصيبين
١٦٨ ، ١٥٢ ، ١٥٠	النفور - قرية
٢٢٤ ، ١٢٣	نهر الأبتري
٢٢٤	نهر إبراهيم

٩١، ٨٠	نهر الأبله
٤٧٩	نهر أبو قلقل
١٥٣، ١٣٩، ١٢٦، ١٢٣، ١٢٢، ٦٧	نهر الأردن
٤٧١، ٢٢١، ٢٢٠، ١٧٥	
١٢٠	نهر الأرنتط
٦٠٢	نهر انطليانس
٢٢٤، ١٥٨، ١٢٢	نهر الأعوج
٥٢٨، ٥٢١	نهر البارد
٢١٨	نهر باناس
٢٢٤	نهر بانياس
٢١٧، ١٦٢، ١٥٩، ١٢٧، ١٢٠	نهر بردى
٢٣٠، ٢٢٩، ٢١٩، ٢١٨	
٣٠٨	نهر بصرى
٢٢١	نهر بعلبك
١٢١	نهر بليناس
١٦٢، ١٥٩، ١٢٢	نهر تورة
٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ١٦٨، ١٢١	نهر ثورا
٢١٩، ٢١٨	
٣١١	نهر حوران
٣١٠	نهر حوريان
١٥٤	نهر حيوة
١٥٨	نهر الداراني
١٦٣، ١٦٢، ١٥٧، ١٥٤، ١٢١	نهر داريا
٢١٩، ٢١٨، ١٦٨	
٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ١٥٤	نهر داعية

٦٠٧	نهر الدامور
٢٢٣	نهر دجلة
٢١٧	نهر دمشق
١٦٣	نهر الديراني
١٢٤	نهر الذهب
١٢٠	نهر الزبداني
٣١١، ٢٢٤، ٢٢١	نهر الزرقاء
١٦٨، ١٦٢، ١٦٠، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤	نهر الزلف
٤٧٩، ٢٢٣، ١٦٨، ١٦٢، ١٢٣	نهر الساجور
، ٢٢٠، ١٧٥، ١٦٨، ١٦٢، ١٥٣، ٢٥	نهر الشريعة
٢٢١	
١٥٤	نهر الصبورة
٢٢٢، ١٢٤	نهر طرابلس
، ١٢٦، ١٢٠، ١١٩، ١١٨	نهر العاص
، ٢٢٩، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ١٦٢	
٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٣، ٣٢٢، ٢٣٠	
٢٢٤	نهر العرجان
٥٧٠، ٢٥٣، ٢٤٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ١٢٤	نهر الفرات
٢١٨، ١٦٢، ١٢١	نهر القنوات
٢٢٣، ١٢٥، ١٢٣	نهر قويق
٣٠٩	نهر كتيبة
٣٠٦	نهر الكسوة
٢٢٤، ١٢٤	نهر ليطة
١٦٢	نهر المجدول
٢١٩، ٢١٨، ١٢١	نهر المزة

٢٣٠ ، ٢٢٤	نهر ميماس
١٨٧	نهر النيل
٢٢٤	نهر اليرموك
٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ١٥٩ ، ١٢٠	نهر يزيد
١٢٧	نواعير حماة
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،	نوى - قرية
٣١١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٧ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦	
٢١١	النيرب - قرية
٤٧ ، ٤٣	نيساننا
٤٦٢	نیش
٤٦٣	نیش - ولاية
١٢٦ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٧٥	النيل
٢١٩	نيل دمشق

- ه -

٢٢٦ ، ٢٢١	الهرماس
٦٠٦ ، ٥٨٥ ، ٤٠٣ ، ١٤٣ ، ١١٨	الهند
١٩٠	الهيئة المصرية العامة للكتاب

- و -

٢٢١	وادي الأشعري
١٥٠	وادي باب
١٦٨	وادي باب شرقي
٤٥٩ ، ٢٢٠	وادي بردى
١٦٨ ، ١٥٧ ، ١٥٠	الوادي التحتاني
١٦٨ ، ١٥٢	وادي الجبلية
٢٠٩	وادي الجرن

٢٢٥	وادي جهنم
٣٨٤	وادي الرافدين
٢٢٨	وادي الشلالة
١٢٠	وادي العاص
٤٥٩ ، ١٦٨ ، ١٥٢ ، ١٥٠	وادي العجم
٤٥٦	وادي العجم - قضاء
٢٢٦	وادي الفوارة
٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٦٤	وادي كنعان (الغور)
٣٨٣	وادي النيل
٧	وزارة التعليم العالي - الأردن
٧٣ ، ٧٢	وزارة الثقافة - القاهرة
٥٠٠ ، ٤٩٩ ، ٤٩٦ ، ٤٩٤ ، ٤٥٣	الولايات المتحدة الأمريكية
٥١١ ، ٥٠١	
٤٦٣	ويدين - ولاية

- ي -

١٦٨	الياروقيه - قرية
٥٠٠ ، ٤٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٣٩ ، ١٣٩	يافا
٥٠٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٢	
٢٢١ ، ١٥٣ ، ٢٤ ، ٧	اليرموك
٢١١	يعقوبا - قرية
١٦٨ ، ١٣٥	يلدا - قرية
٤٨١ ، ٣٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٨	اليمن
٦٠٤	ينابيع العاصي
٢٨٩	اليونان

Places

- A , B -

Aleppo	492, 497
Beirut , Beyrouth	150, 336 , 361 , 445 , 492, 502
Berlin	162, 336
Bilad al sham	2

- C , D , E -

Cambridge university press	332
Damas	162 , 164
Damascus	361 , 445
Egypt	56

- F , G , H -

Frankfurt	30
Gaza	44
Heidelberg	30

- I , J -

Istanbul	457, 463
Jordan	333

- L -

Lebanon	492
Leiden	33, 336 ,338
London	334 , 336 , 361

- M , N , O -

Middle East	334 , 336 , 492
Nessana	45
Oxford	333

- P , R , S -

Paris	169, 337
Palestine	333, 334, 336
Princeton	34
Al - Ramla	339
Syria	180, 181, 333 , 337

- T , U , W -

Turkey	332
University of London	335
Universite . Saint Joseph	336
Washington	492

أنواع المحاصيل الزراعية

- أ -

٢٤٠	آكثار
٢٤٠	آلسن
٢٠٣	ابن الراعي
٢٠٣، ٧٢	الأنوس (نبات ببلاد واق واق)
٥٨٩، ٢٧٤، ١٣٢	الابهل (صنف من العرعر)
١٩٢، ١٣٣، ١٣١، ١٠٥، ٩٦، ٩٣	الأترج
٢٧٨، ٢٧٣، ٢٣٦، ٢٠٣، ١٩٥	
٣٠٠، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٤، ٢٩١	
٥٨٤، ٤٢٣، ٣٩٧، ٣٩٢	
٢٧٤، ٢٤٠، ١٩٦	الأثل (الطرفاء)
٢٧٣، ٢٣٦، ٢٠٦، ٢٠٣، ١٩٦، ٩٦	الأجاص
٣٩٦، ٣٩٤، ٣٩٣، ٢٩٥، ٢٩٠	
٦٢٣، ٥٨٢، ٥٨٠، ٤٢٤، ٤٢٣	
١٩٩	الاجاص الزبداني
١٩٧، ١٩٦	الأحباق
٧٨	أحداق المها (أسم نبات يطلق على البهار)
٥٨٩، ٢٠٣	أذان الأرنب
٥٨٩، ٤١١، ٢٠٣	أذان الجدي
٢٠٣	أذان الدب
٢٠٣	أذان الشاه
٢٠٣	أذان الغزال
٢٠٣	أذان الفار

٢٨٩ ، ٢٠٢ ، ٩٧ ، ٨٣	الأذريون
٢٤٠ ، ٢٠٣	الأراك
٢٠٣	الأرجوان
٤١٩	الأرديون (الأقحوان)
، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٣٤ ، ٢٠٣ ، ١٦٩	الأرز
، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٠ ، ٢٨٥	
، ٥٧٨ ، ٥٦٩ ، ٤٦٠ ، ٣٩٢ ، ٣١٤	
٦١٦ ، ٦٠٠ ، ٥٩٨	
٥٧٥	ارضي شوكى (الخرشوف)
١٣١	الأزاد (نوع رطب بالعراق)
٣٩٢ ، ٢٧٤	الازدارخت
٥٨٥	الأزكي دنيا
، ١٩٥ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ٩٧ ، ٨٠ ، ٧٩	الأس (نوع من انواع الرياحين)
، ٢٩٩ ، ٢٧٨ ، ٢٣٨ ، ٢٠٣ ، ١٩٩	
٥٨٢ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥	
٢٣٩	الأس البري
٢٠٤	الأسادون (القرع)
٥٨٩	أسد العدس
٥٨٨	الاسطوخودس
، ٢٩٧ ، ٢٩٤ ، ٢٨٨ ، ٢٠٤ ، ١٩٦ ، ٩٥	الإسفاناخ
٥٧٤ ، ٣٠١ ، ٢٩٨	
٤٠٤	الاسيرون
٢٠٤	الأشان
١٣٣	الأشتوان
٥٨٩ ، ٢٤١ ، ١٧٧	الأشنان (شجرة)

٨٧	أصابع العذارى (نوع من العنب)
٥٨٨، ٢٤٠	الأفتيمون
٥٨٩، ٤٢١، ٢٨٩	الأفستين
٤٠٢، ٢٨٥	الأيون
٢٣٩، ٢٠٥، ١٩٦، ١٣٧، ٩٧، ٨٥	الأقحوان
٥٨٩، ٤١٩، ٤١٨، ٢٨٩	
٢٠٣	إكثار
٤١٥	أكل (الحبق)
٢٠٤	إكليل الجبل
٥٨٨، ٤١٧، ٢٨٩، ٢٤٠	إكليل الملك (البانج)
٨٤	الأمنان
٢٤٠، ١٩٦	أمير باريس (شجر)
٥٨٤	الأنان (الليمون الهندي)
٢٩١	الانجاص
٤٠٣	الانجذان الرومي (الكاشم)
٥٨٩	الانجره
٣٩٣	الأنقال
٥٨٥	الأنكي دنيا (الازكي دنيا)
٥٧٠، ٤٠٤، ٢٩٨، ٢٨٥، ٢٤٠	الانيسون
٢٠٣	الإهليلج
٤٠٣	أوقان (الحناء)
٢٨٩	الايروسا (من اضاف السوسن)

- ب -

٥٨٨ ، ٤١٨ ، ٤١٧ ، ٢٨٩ ، ٢٤٠ ، ٢٠٥	البابونج
٥٨٨	البادروج
٥٨٩	البذاورد
٤١٦	الباذرنجويه (الترنجان)
٤١٥ ، ٢٨٩ ، ١١٣ ، ٩٣	البادروج (الحوك)
٢١١ ، ٢٠٥ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١٧٩ ، ٩٤	الباذرنجان
٣٠١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٨٧	
٥٧٤ ، ٤٢٤ ، ٤٠٨ ، ٣٩٦	
٢٣٥	الباذرنجان الأبيض الدمشقي
٢٣٥	الباذرنجان الأسود
٤٠٨	الباذرنجان الفارسي
٤٠٨	الباذرنجان المصري
٢٠٥	البازار
٢٨٣	البازلاء
٢٣٤	البازيلاء
٤٠١ ، ١٩٩ ، ١٠٦ ، ٩٤	الباقلاء
٣٩٩ ، ٣٠٠ ، ٢٩٧ ، ٢٣٥ ، ٢٠٥	الباقلي (الباقلاء)
٥٧٤ ، ٢١١ ، ١٩٦	البامية
٥٨٩ ، ٥٨٧ ، ١٩٣ ، ١٣٧	البان
٢٠٤	البان الشامي
٢٠٤	البان اليمني
٤١٧	البانج (إكليل الملك)
٢٤٠	بنخور مريم
٢٨٣	البُرّ

٥٧٤	البراصة (الكراث)
٢٠٤، ١٩٩، ١٣٦	البرباريس (عود الصليب)
٢٠٥	البريخ
، ٥٩٩ ، ٥٨٥ ، ٥٨٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٣	البرتقال
٦٢٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٣	
٥٨٤	برتقال الدم
٥٨٤	برتقال المالطي
٦٠٠	البردى
٤٠١ ، ٣٢٦	البرسيم (القرط)
٥٨٨	البرشاوشان
٣٩٣ ، ٣٢٧ ، ٢٧٣ ، ٢٠٤ ، ١٩٦	البرقوق
٢٠٤	البرنوق
١٣١	البرنى (نوع رطب)
٥٨٩	بزر قطينا
١١٢	بزر الكتان
١١٣	بزر الكرنب
١٣٢	بزرية (نوع من انواع القراصيا)
٤١٣	البستان
٢٩٦ ، ٢٠٤ ، ١٩٣	البُسْر
٥٨٨	اليسفاريح
٥٦٩ ، ٢٣٤	البسلة (البازيلاء)
٢٠٤	البشباسة الشامية
٢٧٤	البشم (شجر حرجي)
، ١٩٦ ، ١٣٥ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ٩٥ ، ٩٣	البصل
، ٢٨٤ ، ٢٧٨ ، ٢٣٥ ، ٢١١ ، ٢٠٥	

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٧٧ ، ٤٠٥ ، ٤٢٤ ، ٥٧٤
٢٩٥
٥٧٠ ، ٦٠٩
١٣٤ ، ١٦٢ ، ٢٠٤ ، ٣١١ ، ٣٩٥ ، ٦٢٣
٩٤ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢٣٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،
٣٣٠ ، ٣٧٥ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
٤٠٧ ، ٤٢٤ ، ٤٣٤ ، ٥٧١ ، ٥٧٢

١٣٤ ، ٢٨٨

٤٠٧

٥٧٢

٤٠٧

٤٠٧

٤٠٧

٤٠٧

٢٩١

١٩٩ ، ٢٠٥

٤٠٧

٤٠٧

١٠٥ ، ٢٨٨

٤٠٧

٢٩٤ ، ٣٠١

١٣٢

٢٠٤

بصل الزعفران

البطاطا ، البطاطة

البطم

البطيخ

البطيخ الأخضر

البطيخ الاصفر

البطيخ البابي

البطيخ الجراري

البطيخ الحاسبي

البطيخ السكري

البطيخ السمرقندي

البطيخ السندي

البطيخ الشامي

البطيخ المرسيني

البطيخ النفاخ (الشمام)

البطيخ الهندي (الرقي)

البطيخ الهوري

البعل

بعليكية (نوع من أنواع القرصيا)

البق

٢٠٥	البقدونس
١٣٦	البقس
٥٧٤، ٤٠٩، ٢٠٥، ١٩٦	البقلة
٤١٥، ٢٩٠، ٩٥	البقلة الحمقاء
٤٠٩	البقلة الحمقاء (الرجلة)
٢٣٥	البقلة الحمقاء (الفرحين)
٤١٥، ٤٠٩، ٢٨٨، ٢٣٥	البقلة اليمانية
٢٣٨، ١٩٣، ١٩٢	البلح
٥٨٩، ٢١٢، ٢٠٤، ٩٣، ٧٢	البلسان (نبات بأرض مصر)
٢٩١، ٢٧٣، ٢٧١، ٢٦٦، ٢٠٥	البلوط
٢٩٩، ٢٩٧، ٢٩٦	
٣٩٩	البلى (العدس)
٦١١، ٤٢٩، ١٦٩	البن
٤٩٨	بن مخا
٢٤١	بنتومة (ذرق الطير)
٥٨٨، ٤١١	البنج
٢٦٦، ٢٦٤، ٢٣٦، ٢٠٤، ١٩٣	البندق
٥٨٤، ٣٩٦، ٣٩٣، ٣٨٤، ٣٠٠، ٢٧٣	
٦٠٦	البندورة
٢٣٨، ٢٠٥، ١٩٦، ١٤٤، ١٣٧، ٩٧	البنفسج
٥٨٩، ٤١٦، ٢٨٩، ٢٣٩	
٣٠٠، ٢٨٩، ٢٣٩، ٧٨	البهار (نبات بري وبستاني طيب الرائحة)
٤١٧	البهار (ورد الحمار)
٢٠٥	البهق
٢٠٥	البهمن

بيض الحمام (نوع من أنواع اللوبيا) ١٠٩
البيقة (نبات علفي) ٥٦٩ ، ٥٧
البيلسان ٣٩٣

- ت -

التبغ ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٣ ، ٤٩٧
التبغ (التوتون) ٥٧٣
التبغ التركي ٥٩٦
التبغ اللبناني ٥٩٦
التبن ٣٩٤ ، ٣٩٢ ، ٢٧٠ ، ١٦٩
التن (الدخان) ٣٧٧
الترمس ٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨١ ، ٢٣٥ ، ٢٠٥ ، ٩٤
٦٠٩ ، ٣٩٨ ، ٣٩٦
الترمس (الباقلاء) ٤٠١
الترموز (البقلة) ٤٠٩
الترنج ١٣١
الترنجان ٢٨٩ ، ٢٣٨ ، ٢٠٥ ، ١٤٤ ، ١٣٧
الترنجان (الباذرنجويه) ٤١٦
التفاح ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٣٢ ، ١٠٥ ، ٩٦ ، ٨٨
٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢١١ ، ٢٠٥ ، ١٩٥
٢٨٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٦
٣٩٤ ، ٢٩١ ، ٣٢٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩١
٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥
٦٢٣ ، ٥٧٩ ، ٥٦٦

٥٧٩	تفاح الابلق
٢٠٥	تفاح الأرض
٥٧٨	تفاح الجبل
٥٧٩	تفاح الحديدي
٥٧٩	تفاح الخشخاشي
٥٧٩	تفاح خيامي
٥٧٩	تفاح عرب كركي
٥٧٩	تفاح الفلكي
٥٧٩	تفاح القصيري
٥٧٩	تفاح الليموني
٥٧٩	تفاح المسكي
٢١٠	التفاح النبطي
٤٠٧، ١٧٩، ١٦٩، ١٣١، ١١٥، ٢٧	التمر
٤٢٤	
٢٠٥، ١١٣	التمر الهندي
٣٧٧	التمور
٤٩٨	التبناك الإيراني
٢١١، ٢٠٥، ١٩٩، ١٩٥، ١٩٣، ٩٦	التوت
٣٢٣، ٢٧٣، ٢٤٥، ٢٣٧، ٢٣٦	
٥٠٣، ٣٩٦، ٣٩٢، ٣٣٠، ٣٢٥	
٦١٣، ٥٨٣، ٥٥٠، ٥٤٩، ٥٤١، ٥٣٦	
١٩٤	التوت الأبيض
٥٧٠، ٥٦٦	توت الأرض (الفراولة)
٥٨٣	توت انطاكية
٥٨٣	توت شامي

٥٨٤	توت عجمي
٥٨٣	توت هزيز
٥٧٣	التوتون (التيغ)
١٣٠ ، ١٢٩ ، ١١٤ ، ١٠٥ ، ٩٦ ، ٩٣	التين
٢٠٥ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٧٩ ، ١٣٥	
٢٦٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢١١ ، ٢٠٩	
٢٩٤ ، ٢٩٠ ، ٢٨٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧١	
٣٧٧ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٣ ، ٢٩٥	
٤٢٣ ، ٤١٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٣	
٥٧٧ ، ٥٦٧ ، ٥٣٤ ، ٤٣٣ ، ٤٢٤	
٦٢٣ ، ٦١٥	

- ث -

٢٠٥	الثامر (اللوبيا)
٤٠٤	ثلسفى
٢١١ ، ٢٠٥ ، ١٩٦ ، ١٣٥ ، ١٠٠ ، ٩٥	الثوم
٢٩١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٧٨ ، ٢٣٥	
٥٧٤ ، ٤٠٦ ، ٣٠١ ، ٢٩٨	
٢٩٧	الثوم البلدي
٢٠٥	الثيل

- ج -

٤٠٠	الجاروس (الذرة)
٤٠٣	الجارى (الزعفران)
٢٩١ ، ٢٨٥	الجاروس (صنف من الدخن)

٥٨٩	الجاي
٥٨٩	الجاي الصيني
٥٧١	الجبس (البطينخ)
٣٩٩ ، ٢٨٨ ، ٢١١ ، ٢٠٦ ، ١١٣ ، ٩٥	الجرجير
٥٨٩ ، ٤١٣	
٤٠٩	جرموز (البقلة)
٢٨٦	الجز
٢٣٥ ، ٢٠٦ ، ١٩٩ ، ١٦٩ ، ١٠٥	الجزر
٥٧٥ ، ٤٠٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩١	
٢٤١	الجعدة
٤٠٠ ، ٣٩٨ ، ٢٨٥ ، ٢٣٤ ، ٩٤ ، ٧٤	الجلبان (الفول)
٥٦٩	
٢٩٤	الجلنار
٥٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢	الجلوز (البندق)
٢٦٩ ، ٢٠٦ ، ١٩٩ ، ١٩٥ ، ١٣٣	الجميز
٤٢٤ ، ٣٢٣ ، ٢٧٣	
٢٤٣	الجميز البلمي
١٩٣ ، ١٧١ ، ١٣١ ، ٩٥ ، ٨٨ ، ٨٢	الجوز
٢٣٢ ، ٢٠٦ ، ١٩٩ ، ١٩٥ ، ١٩٤	
٢٦٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦	
٢٨٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٠	
٣٧٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩١	
٥٨٢ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢	
٣٢٩	الجوز الأناضولي
٨٦	الجوز الرومي

٤٩٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧	جوز الطيب
٥٨٩	جوز مائل
٥٨٩	الجيجان

- ح -

٥٨٨	الحاشا
٢٤١	الحاشى (صعتر الحمير)
٢٠٦	الحالوم
٩٠	حب البقل
٢٠٦	حب العجب
٤١٧	حب العروس (النيلوفر)
٢٠٦	حب العزيز
٢٨٩	حب الليل
١٠٩	الحبشية (نوع من انواع اللوبياء)
٤١٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٨٩ ، ٢٠٦	الحبق
٤١٥	الحبق (أكل)
٢٨٩	حبق الشيوخ
٤٢١	حبق العجب (النيل)
٤١٩	حبق الفي (المرزنجوس)
٤٠٤ ، ٢١١	حبة البركة
٤٠٤	الحبة الحلوة
٥٧٠ ، ٢٠٦	الحبة السوداء
٢٠٦	الحرجون
٢٩٤ ، ٢٨٨	الحرشف
٤٠٤	حرفا بابليا

٥٨٩، ٤٠٤، ٢٩٦، ٢٨٥	الحرف (حب الرشاد)
٢٠٦	حرف الماء
٢٣٥	الحرفراف
٥٨٩، ٤١٤، ٤٠٤، ٢٨٨	الحرملة
٢٠٦	الحرنبل
، ٥٠٠، ٤٩٧، ٤٩٤، ٣٣٠، ٣٢٣	الحريز
، ٥١٠، ٥٠٩، ٥٠٨، ٥٠٧، ٥٠٣	
٦١٣، ٥١١	
٥٨٨	الحزنبيل
١٩٥	الحسبتا (الليمون)
٥٨٩	الحسك
٥٨٩	حشيشة البنفسج
٥٨٩	حشيشة الزجاج
٢٤٠	حشيشة السلحفاة
٥٧٤	حشيشة الواد
٥٧٤	حشيشة الوادي الهندبا
٥٧٦، ٢٠٦	الحصرم
، ٣٢٧، ٢٨٥، ٢٨١، ٢٣٥، ٢٠٦، ٩٤	الحلبة
٥٧٥، ٤١٧، ٤٠٠، ٣٩٦	
٢٠٦	الحلبلوب
٦٧	حلاجل مكثا
٥٨٩	الحلفاء
٢٠٦	الحماحم
٥٨٨، ٤١٠، ٢٨٨، ٢٠٦، ٩٥	الحماض
٢٠٦	الحمام (شجرة)

٢٠٦، ١٣٥، ١٠٨، ١٠٧، ٩٤، ٧٤
٢٩٤، ٢٨٥، ٢٨٣، ٢٦٤، ٢٣٤
٦٠٩، ٥٩٨، ٥٦٩، ٤١٨، ٣٩٩، ٣٣٠
٢٩٧، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٠٦، ١٦٩
٦١٣، ٥٩٤، ٣٨٤

الحمص

الحناء، الحنّاء، الحنّة

٤٠٣

الحناء (أوقان)

٢٠٦

الحنبل

١٠٥، ٩٤، ٩٣، ٧٦، ٢٦، ٢٥، ٢٣

الحنطة

٣٧٦، ٢٩٤، ٢٨٥، ٢٠٦، ١٩٩

٦١٣، ٦٠٩، ٥٦٨

٣٩٧، ٣٨٤، ٢٠٦

الحنظل

٥٩٠

الحوجم

٥٨٦، ٣٩٣، ٢٧٤، ٢٣٩، ٢٠٦

الحور (شجر حرجي)

٥٨٦

الحور السلطاني

٥٨٦

الحور القطراني

٤١٥

الحوك (الباذروج)

٥٨٩

الحي

-خ-

٢٠٦

الخامأ قرطم (الخيزران)

٥٨٨

الخامشة

٢٠٧

خانق الكلب

٢٠٧

خانق النمر

٤١١

الخباري القرطبي

٤٢٠

الخباز الصقلي

٥٨٨ ، ٤١١ ، ٢٨٨ ، ٢٣٥	الخبازي (نوع من الملوخيا)
٢٨٩	الخبازي البستاني (اقحواناً)
٥٨٩	الخربق
٥٨٩ ، ٤٠٤ ، ٢٨٥ ، ٢٣٥ ، ٢٠٧	الخردل
٥٧٤ ، ٤١٤	الخرشف - الخرشوف (ارضي شوكي)
٥٦٩	الخرقى
٩٧	الخرم
٣٧٧ ، ٢٣٨ ، ٨٩ ، ٧٨ ، ٧٧	الخرنوب (نبات جبلي)
٦٨	الخرنوب الشامي
٢٧٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٠٦ ، ١٣٤	الخروب
٦١٤ ، ٤٢٤ ، ٣٠٠ ، ٢٩٦	
١٩٥	الخروب الشامي
٢٤٢	الخروب الياقوتي
٣٨٤	الخروبة
٦١٥ ، ٦٠٦ ، ٥٧٠ ، ٢٦٤ ، ٢٠٦ ، ١٩٥	الخروع
٤٢٠ ، ٣٢٧ ، ٢٨٩ ، ٢٠٧ ، ١٩٩ ، ٨٤	الخرامى
٥٨٨	
٢٨٨ ، ٢٣٥ ، ٢١١ ، ٢٠٧ ، ١٩٦ ، ٩٤	الخنس
٣٠١ ، ٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦	
٥٧٤ ، ٤٠٨	
٤٠٨	الخنس البستاني
٤٠٨	الخنس البري
٢٨٥ ، ٢١٢ ، ٢٠٧ ، ١٩٣ ، ١١٢ ، ٩٤	الخشخاش
٥٧٠ ، ٥٦٦ ، ٤٠٢ ، ٣٠٠	
٥٨٨	الخطى

، ٣٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٨٩ ، ٢٠٧ ، ١٩٦ ، ٩٧	الخطمي ، الخطمي
٤٢٠	
٢٣٨ ، ٢٠٧ ، ١٩٩	الخلاف
٢٧٤	الخلاف (شجر حرجي)
١٣٧	الخلاف (نوع من أنواع الرياحين)
٥٨٩	الخنثى
، ٢١١ ، ٢٠٦ ، ١٩٩ ، ١٩٥ ، ١٠٥ ، ٩٦	الخنوخ
، ٢٩١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٣٦	
، ٥٨٠ ، ٣٩٤ ، ٣٠٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦	
٦٢٣ ، ٦١١ ، ٥٨١	
٣٩٤	الخرق
٢٨٨	الخرولنجان
، ٢١٠ ، ٢٠٧ ، ١٧٩ ، ١٦٩ ، ١٠٥ ، ٩٣	الختيار
، ٢٩١ ، ٢٨٧ ، ٢٣٥ ، ٢١٢ ، ٢١١	
، ٣٧٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٢	
٥٧٢ ، ٤٢٤ ، ٤٠٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٥	
٢١١	الختيار البلدي
١٩٦	الختيار الشنبر
٥٨٨ ، ٤١٩ ، ٩٧ ، ٨٤ ، ٨٣	الخيرى
٢٨٩	الخيرى (المنثور)
٣٩٣	الخيرزان
- د ، ذ -	
٢٤١	الداروم
٤٠٧	الدباء (القرع)

٦١٧	دبس
٥٧١	الدبسي (البطيخ)
٥٧٣ ، ٤٤٠ ، ٤٣٩ ، ٤٣٤	الدخان
٤٠٠ ، ٢٩١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٣٤	الدخن
٤٠٠	الدخن (الجاروس)
٥٨١	الدراق (الخوخ)
٥٨١	الدراق (الدراقن)
٥٨١ ، ٢٣٦ ، ١٩٣ ، ١٩٢	الدراقن
٥٧٤	دره اوتي (حشيشة الوادي)
٥٨٨	الدرونج
٢٣٥	دستبونه (البطيخ الأصفر)
٣٠٠	الدغل
٢٧٨ ، ٢٧٤	الدقلى (شجر حرجي)
٥٨٩	الدفلي
٤٢٣ ، ٢٩١ ، ٢٨٥	الدقيق (حنطة)
٢٩١	الدلاع (البطيخ السندي)
٢٧٤	الدلب (شجر حرجي)
٢٦٢	الدمن (نبات معدني)
٢٠٦	دوقس (جزر البر)
٥٨٨	الذاب
٢٤١	ذرق الطير
٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٣٤ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٤	الذرة
٥٦٥ ، ٤٤١ ، ٤٣٣ ، ٤٠٠ ، ٣٧٦	
٥٦٩	الذرة البيضاء
٥٦٩	الذرة الصفراء

٥٦٩	الذرة المصرية
٥٨٩	ذنب الخيل
- ز، -	
١٩٦، ٩٥، ٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٨، ٤٠٤،	الرازيانج (شومر)
٤٢٤	
٥٨٨	الراسن
٢٤٠	الراهن (بخور مريم)
٢٧	الرب (الشراب المطبوخ من عصير العنب)
٣١٦، ٣١١	الرتم (مغليان)
٥٨٩	رجل الحمامة
٢٤١	رجل الغراب
١٩٦، ٢٣٥، ٢٨٨، ٤٠٩، ٥٧٤،	الرجلة (البقلة)
٣٠١	الرجلة البكيرة
٤٣٥، ٤٣٤، ٣٩٩	الرز
١٩٦، ٢٣٥، ٤٠٤، ٥٧٤، ٥٨٩،	الرشاد
١٣٢	رشيدية (نوع من أنواع القراصيا)
٤٤٣، ٤٠٧، ١٩٣، ٨٨	الرتب
٥٨٩	رعى الابل
٢٨٨	الرقبي (البطيخ)
١٩٢، ١٣٢، ١٠٥، ٩٥، ٩٣، ٨٢،	الرمان
٢٨٠، ٢٧٣، ٢٣٦، ٢١١، ١٩٥،	
٣٩٤، ٣٣٠، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩١،	
٥٨٩، ٥٨٢، ٥٨٠، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٥،	
٥٨٢	رمان الاسود

٥٨٢	رمان صفروني
٥٨٢	رمان صهيوني
٥٨٢	رمان مصري
٥٨٢	رمان مليسي
٣٩٤	الرند
١٣٢	رومية (نوع من أنواع القراصيا)
١٠٩	الرومية (نوع من أنواع اللوبيا)
٥٧١	الري (البطيخ)
٢٣٨ ، ٢٣٢	الرياحين
٥٩٦ ، ٥٨٩	الريباس (نبات معمّر في البلاد الباردة)
٢٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٥	الريباس (نبات طبي)
٢٩٤ ، ٢٤٠ ، ١٩٦ ، ١٥٩ ، ١٣٧	الريحان
٤١٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦	
٥٧١	الزبش (البطيخ)
٣٠٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٣٧ ، ١٦٩ ، ٢٧	الزبيب
٦١٧ ، ٤٢٣ ، ٤٠٧	
٥٨٩ ، ١٣٣	الزراوند (شجرة لها ورق طيب الرائحة مع شيء من الحدة)
٩٥	الزعتري
٥٧٨ ، ٢٩٢ ، ٢٧٣ ، ٢٣٦ ، ١٠٥ ، ٩٦	الزعرور
٢٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢١١ ، ٩٧ ، ٧٥	الزعفران (الجاري ، الكركم)
٥٩٠ ، ٥٨٨ ، ٣٢٣ ، ١٩٦	الزنبق
٤٢١ ، ٢٨٩	الزنجبيل
٤٢٢	زنجبيل الكلاب
٥٨٧ ، ٢٧٤	الزنزخت (القيقب)
١٤١	زهر البان

١٩٣	زهر السنط
١٤٣	زهر القرنفل
٥٩٠	زهر المسك
١٤١	زهر النارج
١٤١	زهر النوفر
٤٤٠ ، ٤٣٩	الزوان
٥٨٩	الزوفاف
١٠٩ ، ٩٣ ، ٨٨ ، ٨٣ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٥٣ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١١٩ ، ١٩٢ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٤ ، ١٣٨ ، ٢٣٨ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٤ ، ٢٤٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٢ ، ٢٨٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٣٩١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٤٢٤ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤ ، ٥٠٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٠ ، ٤٣٦ ، ٤٣٣ ، ٥٣٧ ، ٥٣٦ ، ٥٣٤ ، ٥٢١ ، ٥٢٠ ، ٥٩٨ ، ٥٨٠ ، ٥٧٦ ، ٥٤٩ ، ٥٤٧ ، ٦٢٣ ، ٦٢٢ ، ٦١١ ، ٦١٠ ، ٥٩٩	الزيتون
٥٨٧	الزيفون

-س-

٢٩٠

٤٠٤

الساج
السباس الشامي

٥٩٠	السباعي
، ١١٣، ١١٢، ١٠٥، ٩٧، ٩٦، ٨٥	السبستان
٥٨٨، ٢٧٤، ١٩٥	
١٩٦	السذاب
٥٨٩، ١٩٥، ١٦١، ٩٧، ٩٦	السدر
٤١٢، ٢٨٨، ٢٨٧، ٩٥	السذاب
٢٤١	السرخس
، ٣٩٢، ٢٧٤، ٢٣٩، ٢٣٢، ١٩٦، ١١٤	السرو
٥٨٦	
٥٨٦	السرو الصيواني
٥٨٦	السرو الهرمي
٥٨٨	السعد
، ١٩٢، ١٣٣، ١٠٥، ٩٦، ٩٣، ٨٨	السفرجل
، ٢٦٦، ٢٣٦، ٢٠٩، ١٩٥، ١٩٣	
، ٣٢٩، ٢٩٧، ٢٩١، ٢٧٣، ٢٧١	
، ٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١	
٥٨٠، ٥٦٦، ٤٢٤	
٥٨٠	السفرجل الصيني
٥٨٨	السقمونيا
، ١٧٥، ١٧٤، ١٦٩، ١٣٩، ١٣١	السكر
٤٩٨، ٢٤٢، ١٧٦	
٨٤	سكر العشر
٥٨٨	السلبين
٢٨٣	السلت
١١٣	السلجم

٥٧٤ ، ٤٠٩ ، ٢٩٧ ، ٢٨٨ ، ١٠١ ، ٩٤	السلق
٥٧٨ ، ٤١٤ ، ٢٨٨ ، ٢٣٤	السماق
، ٢٨٣ ، ٢٣٤ ، ١٩٦ ، ١٩٣ ، ١١٢ ، ٩٤	السهم
٥٧٠ ، ٤٠٠ ، ٣٩٨ ، ٣٧٦ ، ٢٩٦ ، ٢٨٥	
٥٨٠	سمسمة
٤١٢	سمورينون
٣٣٠	سن الجمل (القمح الأبيض)
٥٨٩	السنبل
٦٠٠ ، ١٩٦	السنديان
١٩٦	السنط
٥٩٠	السنط الحساس
، ٢٨٩ ، ١٩٦ ، ١٤٤ ، ١٣٧ ، ٨٦ ، ٨٣	السوسن
٦١٦ ، ٥٨٨ ، ٤١٦ ، ٣٩٥ ، ٣٠١ ، ٢٩٥	
٢٩٤	السوسن الكسروي
٥٨٨	السوكران
٢٨٥	السويق (حنطة)
٤١٢	السير
٥٨٨	السيبان
٥٦٧	سيغارة

- ش -

٣٩٣	الشام (البيلسان)
٩٥ ، ٨٢	الشاه بلوط
٣٩٦ ، ٢٧٣ ، ٦٨	الشاهبلوط (الكستناء او القسطل)
١١٣	شاهفسرما

٦١١	الشاي
٥٨٩، ١٩٦	الشبت
٤١٣، ٢٨٨	الشبث
٣٩٧	الشبرم
٦٨	شجرة إبراهيم (شجرة نبطية كنعانية)
٢٤١	الشرد
، ٩٤، ٩٣، ٥٨، ٥٧، ٤٢، ٤١، ٣٢	الشعير
، ١٧٣، ١٦٩، ١٣٥، ١٠٦، ١٠٥	
، ٢٣٤، ٢١١، ١٩٣، ١٨٢، ١٨١	
، ٢٩١، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٦٤	
، ٣٩٨، ٣٧٦، ٣٣٠، ٢٩٩، ٢٩٤	
٦٠٩، ٥٦٩، ٥٠٧، ٣٩٩	
٥٨٩	الشقاقل
٢٣٩	الشقائق
٥٨٩، ١٣٧	شقائق النعمان
١٤١	الشقيف
٨٥	الشقيق
٥٧٥، ٤٠٥، ٢٩١	الشلجم (اللفت)
٥٦٩	الشمار
٤٠٧، ٣٧٥، ٣٣٠، ٢٣٥، ٢١١، ١٣٤	الشمام (البطيخ الأصفر)
٥٧٤، ٥٧٠	الشمرة
٦٠٩	الشمندر
١١٢، ٧٦	الشهدانج (الحشيشة المخدرة)
٤٠١	الشهدانج (القنب)
٥٧٠، ٥٦٩	الشهدانج (القنبز)

٤٠١	الشهدائق (القنب)
٥٦٩	الشوفان
١٠٦	الشوك
٢٩١ ، ٢٣٥	الشومر
٥٧٥	الشوندر
٥٧٠	الشونير (الحبة السوداء)
٤٠٤ ، ٢٨٥	الشونيز (حبة البركة)
٥٨٨	شبية العجوز
٥٨٩ ، ٢٤٠	الشيخ
٥٨٨	الشيترج

- ص -

١١٣ ، ٧٢	الصبار
٨٣	الصبر
٤١٩	الصبقر (المرزنجوس)
٦١٥	الصبير (التين الشوكي)
٥٨٩ ، ٤١٣ ، ٢٨٨ ، ٢٤٠ ، ٢٣٥	الصعتر
٢٤١	صعتر الحمير
٥٨٦ ، ٤١٥ ، ٣٩٥ ، ٢٦٩	الصفصاف
١٠٩	الصقلابية
٨٣	الصموغ
٢٩٥ ، ٢٧٣ ، ٢٣٩ ، ١٣٤ ، ١١٤ ، ٨٢	الصنوبر
٦١٣ ، ٣٩٢ ، ٣٢٦ ، ٢٩٧	
٥٧٨	الصنوبر (الأرز)

- ط -

٥٨٩	الطباق
٢٨٨	الطرخشقون
٤١٠ ، ٢٨٨ ، ٢٣٥ ، ١٩٦ ، ٩٤	الطرخون
٢٧٤	الطرفاء (الاثل)
٢٧	الطلاء (ما طبخ من عصير العنب)
٨٣	الطلح
٤١٣	طمر

- ع -

٢٨٨	العبدلاوي (البطيخ)
٥٨٨	العبيرا
٥٨٩	العبيشران
٢٤١	العتم
٢٩١ ، ٢٨٥ ، ٢٦٤ ، ٢٣٤ ، ١٣٥ ، ٩٤	العدس
٣٩٩ ، ٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٢٦ ، ٣٠٧	
٥٩٨ ، ٥٦٩ ، ٤٢٣	
٥٨٩	العذبة
٥٨٩ ، ٣٩٦ ، ٢٨١ ، ٢٧٤	العرعر
٥٨٩ ، ٥٨٨	العرطنيسا
٤٢١	العرطنيشا
٥٨٨	عرق السوس
١٧٤ ، ٣٢ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٣	العسل
٢٤٥ ، ٢٠٦ ، ١٧٩	
١٣١	عسل السكر

٥٩٠	العشبة المستحية
٢٤٠	العشر
٥٧٠ ، ٢٩٤	العصفور
٥٧٨ ، ١٦٩	العفص
٥٨٨	العقاربي
٥٨٨ ، ٢٣٥	العكوب
٢٩٢	العَلِيق
٥٨٩	العمق
، ٢٩٧ ، ٢٩١ ، ٢٧٣ ، ١٩٥ ، ١٠٥ ، ٨٥	العناب
٥٨٣ ، ٣٩٤	
، ١٩٩ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١١٤ ، ٨٧ ، ٢٧	العنب
، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦	
، ٢٩٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٤	
، ٣٩٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٦	
، ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥	
، ٦١١ ، ٦٠٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٤٤٣	
٦١٩ ، ٦١٧ ، ٦١٦	
٢١٠	العنب البلدي
٥٨٨	عنب الثعلب
٣٢٩	العنب الزيني
٥٨٩ ، ٣٩٥	العنصل
٥٧٤	عود المكنس
٥٨٧ ، ٣٩٥ ، ٢٩٢ ، ١٠٦	العوسج
٢٤٣	عوق الجميز
٧٨	عين الحجل (نوع من أنواع البهار)

-غ-

٦٠١ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٢٧٣ ، ٢٣٩ ، ١٩٥	الغار
٥٨٨	الغاريقون
٥٨٩	الغاغاليس
٥٨٩	الغاغية
٥٨٨	الغافث
٢٧٣ ، ١٩٥	الغبيراء
٥٨٧	الغبيره (الزنزلخت)
٥٨٨	الغرقد
٥٩٠	الغناجة

-ف-

٥٧٠	الفاصولية
٥٩٠	الفاغية
٥٧٠	الفاولة (فاصولية)
١٣٦	الفاونيا
٢٣٥ ، ٢١١ ، ١٩٦ ، ١١٤ ، ٩٤ ، ٩٣	الفجل
٥٧٥ ، ٤٠٥ ، ٢٨٦	
١٣٢	فجبية (نوع من أنواع القراصيا)
١٧٩	الفحم
٥٧٠ ، ٥٦٨ ، ٥٦٦	الفراولة
٥٧٠	الفراولة (جلك)
٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٢٣٦	الفرصاد
٢٩٦	الفرفحين
١٧١ ، ١٦٩ ، ١٣٠ ، ١٠٥ ، ٨٥ ، ٨٢	الفتق

، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٤ ، ٢٣٦ ، ١٩٣

، ٤٢٣ ، ٣٩٥ ، ٢٩٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩١

٦٢٣ ، ٥٧٦ ، ٤٩٧

٢٨٥

٥٧٥ ، ٣٢٦

٣٧٥ ، ٢١١

٥٩٠

٥٧٤

٤٩٨

٥٨٩

١٠١

، ٢٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٣٤ ، ٢١١ ، ١٩٣ ، ٧٣

، ٣٢٦ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤

٥٦٩ ، ٣٩٩ ، ٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٧٦ ، ٣٣٠

٥٨٩ ، ٤٠٢ ، ٢٨٥

٤١٢

الفصفاة

الفصاة

الفقوس

الفل

الفلافة الحمراء القرنية

الفلفل

الفوتنج

الفوذنج

الفول

الفوة

الفيجن

- ق -

٥٨٩ ، ٤٢٤ ، ٢٩٢

٤٢١

، ٢٩٦ ، ٢٨٧ ، ٢٣٥ ، ١٠٥ ، ٩٤ ، ٩٣

٤٠٦ ، ٣٩٧ ، ٣٢٣

٥٨٩

٩٦

، ٣٩٣ ، ٣٩١ ، ٢٩١ ، ٢٧٣ ، ٢٣٦

القبارة

قيلحوش (اللوف)

القشاء

قشاء الحمار

القراسيا

القراسيا ، القراسية

٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٤	
٥٨١	القراصية البلدية
٥٨١	القراصية الفرنجية
٧١	قَرْتُمُنْ
٥٨٩ ، ٤٠٤	القردمانا (الكراوية البرية)
٤٠١ ، ٢٨٥	القرط (البرسيم)
٤٠١ ، ٢٩٦ ، ٢٨٥	القرطم
١٩٦ ، ١١٤ ، ١٠٥ ، ٩٧ ، ٩٤ ، ٩٣	القرع (الدباء ، اليقطين)
٢٩٨ ، ٢٩١ ، ٢٨٧ ، ٢٣٥ ، ٢٠٤	
٥٧٢ ، ٤٢٤ ، ٤٠٧ ، ٣٩٧ ، ٣٧٥	
٢٨٧	القرفة
٣٢٣	القرقاس
٥٧٤ ، ٤٣٤ ، ٣٧٧ ، ٣٢٣ ، ٢١١	القرنبيط
١٤٤ ، ١٤١	القرنفل
٥٨٩	قرة العين
٤٠٠	قرون المعز (الحلبة)
٢٤٠	القريص
٤٠٠	قريعة (الحلبة)
٥٨٨ ، ٣٩٤ ، ٢٩٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩١ ، ٢٧٣	القسطل (الكستناء)
٦٢١ ، ٦١٣	القشطة
٥٦٩	القصاص (الكرسة)
١٣٧	القصب
٢٧٤	قصب الاقلام
١٧٩ ، ١٧٥ ، ١٣٩ ، ١٣٤ ، ١٣١	قصب السكر
٢٣٦ ، ١٩٦ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٢	

، ٣٩٣ ، ٣٢٣ ، ٢٩٩ ، ٢٧٤ ، ٢٣٧	
٦١٤ ، ٦١٣ ، ٦٠٠ ، ٥٧٣	
٥٧٣ ، ٢٩٨	القصب الفارسي
٢٩٦	القصب القبطي
٢٧٤	قصب القنا
١٦٩	القضامة
٣٢٩	القصب
٣٩٢	قضم قريش (يشبه السرو)
٣٩١	القطاني
٢٩٤	القطاني (المقاتي)
٢٨٣	القطاني (القرنيات)
٣٩٦ ، ٢٧٨	القطران
٢٨٨	القطف
، ١٩٣ ، ١٧٧ ، ١٧٢ ، ١٦٩ ، ١٢٤ ، ٩٤	القطن
، ٢٩٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٣٤	
، ٣٣٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٣٠٠ ، ٢٩٧	
، ٤٦٠ ، ٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٣٧٦ ، ٣٧٥	
، ٥٠٣ ، ٥٠٠ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٤	
، ٥٧٠ ، ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٩ ، ٥٠٧	
٦١٥ ، ٦١٣	
٤٠١	القطن (الكرسف)
٢٠٥	القطونا
٣٢٣ ، ٢٣٧	القطين
٥٨٠	قلب الطير

القلقاس (نبات له ورق كبير أملس يشبه ورق الموز ليس له ساق ولا ثمر) ٨٥ ،

٨٦ ، ١٣٣ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ٢٩٧ ، ٤٠٦ ،

١٩ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ،

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ١٣٥ ،

١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٩٣ ، ٢١١ ، ٢٣٤ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ،

٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٥٠٧ ،

٢١٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ،

٥٧٠ ، ٦١٥ ،

٥٧٠

٢٣٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٩٢ ،

٤٠٨ ، ٤٢٤ ،

٤٠٨

٥٨٨

٤٢٩

١٣٦

٢٤٠ ، ٥٨٩ ،

١٣٦ ، ٥٨٧ ،

القمح

القنب (الشهدانج ، الشهدانق)

القنبز

القنبيط

القنبيط الصنوبري

القنطريون

القهوة

القيسه

القيصوم

القيقب (الزنزلخت)

- ك -

٢٧٣

٢٨٥ ، ٤٠٣ ،

الكادي

الكاشم (الانجذان الرومي)

٦١٤	الكاشو
٢٣٧	الكافوري
١٣٣، ١٣٢	الكافوري اللوزي
٧٨	كاوجشم (البهار باللغة الفارسية)
٧٩	الكتابة
٥٨٤، ٤٢٤، ٢٣٦	الكياد
٣٩٢	الكياد المصري
١٠١	الكباش
٥٨٩، ٤١٣، ٢٨٨	الكبر
٥٧٤	الكبوس
٧٣، ٩٤، ١٦٩، ١٧٢، ٢٦٤، ٢٨٣،	الكتان
٢٨٤، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٩،	
٣٠١، ٤٠١، ٦١٥،	
٧١	كتّهان
١٣٦، ١٣٥	الكثيراء (نبات طبي)
٢٣٥، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٤٠٦، ٥٧٤،	الكراث
٩٥، ١٠٠، ١٠٥،	الكراث الشامي
٩٥، ١٠٠،	الكراث النبطي
٢٣٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٧، ٤٠٤،	الكرأويا
٥٨٣، ٥٨٦،	الكرز
٥٨٣	كرز استانبولي
٥٨٣	كرز عجمي
٤٠١	الكرسف (القطن)
٢٣٤، ٢٨٣، ٢٨٥، ٤٠٠، ٤١٨،	الكرسنة
٥٦٩، ٦٠٩،	

٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٣٥ ، ١٩٦ ، ٩٥ ، ٨٢	الكرفس
٥٧٤ ، ٤١٢	
٤١٢	الكرفس الرومي (المقدونس)
٤٠٣	الكركم (الزعفران)
١٣٤ ، ١١٤ ، ١٠٤ ، ٩٦ ، ٩٣ ، ٨٢	الكرمة - كروم العنب
٢٧٣ ، ٢٤١ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ١٣٥	
٦١٩ ، ٦٠٦ ، ٥٧٥ ، ٣٩٣ ، ٣٧٧	
٢٨٧ ، ٢٨٤ ، ٢١١ ، ١٩٦ ، ١١٣	الكرنب (اللخنا)
٥٧٤ ، ٤٠٨ ، ٣٩٦ ، ٢٩٧	
٤٠٨	الكرنب البحري
٤٠٨	الكرنب البري
٢٩٦ ، ٢٨٥ ، ٢٣٥ ، ٢١١ ، ٩٥ ، ٨٢	الكرنب
٢٩٧	
٤٠٥	الكرنب (الكسفرة)
٥٨٨	كزبرة البئر
٢٩١ ، ٢٧٣	الكستناء
٥٧٠	الكسفرة
٥٨٨	الكشوت
٩٠	الكلأ
٥٩٠	كولبشكر
٥٨٩ ، ٢٩٨ ، ٢٦٢	الكمأة (نبات معدني)
١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٣١ ، ١٠٥ ، ٩٦	الكمثرى
٢٩١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٣ ، ٢٣٦ ، ٢١١	
٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٢٩٦	
٦١١ ، ٥٧٩ ، ٤٢٣ ، ٤٠٧	

٥٨٠	كمثرى البستاني
٥٨٠	كمثرى الريحاي
٥٧٩	كمثرى قوجه
٢١١، ٢٣٥، ٢٨٥، ٢٩٧، ٣٢٧،	الكمون

٤٠٣، ٤٠٤

٧٢	الكندر (نبات ببلاد الشحر)
٨٦	الكهربا (من الأشجار ذوات الصموغ)
٣٧٥	الكوسا
٦١١	الكولا
٦١١	الكيينا

- ل -

٥٨٩	اللاعية
٢٠٧	اللبان
٥٧٤	اللخنا
١٤١، ٥٨٨	لسان الثور
٢٨٨، ٤١١	لسان الحمل (اذن الجدي)
٥٨٨	لسان العصفور
٥٨٩	اللفاع
١٠٥، ٢١١، ٢٣٥، ٢٨٤، ٢٨٦،	اللفت
٢٩٢، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠١، ٤٢٤	
٤٠٥، ٥٧٥	
٦٨، ٩٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ٢٠٥،	اللفت (الشلجم)
٢٣٤، ٢٨٥، ٢٩٤، ٢٩٧، ٣٩٧،	اللوبياء (نبات نبطي)
٨٢، ٨٨، ٩٥، ١٠٥، ١٣٢، ١٩٣،	اللوز

، ٢٧٥ ، ٢٧٣ ، ٢٣٦ ، ٢١٠ ، ١٩٥	
، ٣٩٢ ، ٣٠٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩١	
، ٥٧٧ ، ٤٢٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٣	
٦٢٣ ، ٦١٥	
١٣٢	اللوز الحلو
١٣٢ ، ١٠٥	اللوز المر
٥٨٩ ، ٢٨٩	اللوف
٤٢٢	اللوف (قبلحوش)
٥٨٩	اللوفا
، ١٩٥ ، ١٩٢ ، ١٧٩ ، ١٦٩ ، ١٣١ ، ٩٦	الليمون
، ٣٠٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٢ ، ٢٧٣ ، ٢٣٦	
، ٤٣٣ ، ٣٩٢ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٣	
٦٢٢ ، ٦٠٢ ، ٥٨٤ ، ٥٦٦ ، ٤٦٨	
٥٨٤	الليمون الهندي (الأنان)

- م -

٥٦٩ ، ٤٢٣ ، ٢٩١	الماش
٤١٤	الماميتا
٥٨٨ ، ٢٨٨	الماميثاء
٢٤١	المثنان
١٣٣	المحمودة (نبات يمتاز بوجود المادة اللبينية في أنسجته)
، ٢٨٩ ، ٢٣٨ ، ١٤٤ ، ١٣٧	المرزنجوس ، المرزنجوش (نوع من أنواع الرياحين)
٤١٩ ، ٢٩٤	
٤١٩	المرزنجوس (حبق الفي)
٤١٩	المرزنجوس (الصبقر)

٨٠، ٧٩	المرسين
٢٨٩	المرو (حبق الشيوخ)
٢٤٠	المريافلون
١٩٥، ١٩٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٠٥، ٩٦	المشمش
٢٧٠، ٢٣٧، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢١١	
٣٩٤، ٣٢٨، ٢٩٠، ٢٧٣، ٢٧١	
٦٢٣، ٥٨٥، ٥٨١، ٥٧٠، ٤٢٤، ٤٢٣	
٥٨١، ٣٢٩، ٣٢٨	المشمش الحموي
٥٨١	المشمش السندياني
٥٨١	المشمش الشحمي
٥٨١	المشمش العجمي
٣٢٨	المشمش القمري
٥٨١	المشمش الكلابي
٨٦	مصباح الروم (شجر من ذوات الصموغ)
٥٩٠	المضاعف
٥٩٠	المفرد
٢٩٤	المقائي
٥٧٤، ٤١٢	المقدونس
٨٥	المقل
٤٠٤	المقليتا
٤١٠، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٣٥، ٢١١	الملوخيا ، الملوخية (الملوكية)
٥٨٩، ٥٧٤، ٤١١	
٥٩٠، ٢٨٩، ٢٣٨، ١٣٧، ٧٤	المنثور
٥٨٨	المهدة
٧٩	مهيج العشق (اسم نبات يطلق على البهار)

، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٠٥ ، ٩٥ ، ٩٣ ، ٨٥
، ٢٩٧ ، ٢٧٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ١٩٣
٥٨٦ ، ٣٩٣ ، ٣٢٥
٢٧٤ ، ١٩٦

الموز

الميس

- ن -

٧١
، ٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ١٩٥ ، ١٩٣ ، ١٣١ ، ٩٦
، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٠٠ ، ٢٩٧ ، ٢٧٣
٦٠٢ ، ٥٨٤

ناركيوا

النارنج

٣٣٠

النارينج

٢٧٣ ، ١٣٢ ، ٩٦ ، ٨٣

النبق

٥٨٨

النجم

٥٨٨ ، ٢٣٢

النجيل

، ١٠٤ ، ٩٦ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٣

النخل

، ٢٩٨ ، ٢٩٤ ، ٢٨١ ، ٢٧٣ ، ٢٦٢

، ٣٩٢ ، ٣٢٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩

٦٠٠ ، ٣٩٦ ، ٣٩٥

٨٩

النخلة

، ٢١١ ، ١٩٥ ، ١٣١ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٧٧

النخيل

٣٢٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٠

، ١٤٤ ، ١٩٦ ، ١٣٧ ، ٩٧ ، ٨٩ ، ٦٩

، ٤١٦ ، ٣٠٠ ، ٢٨٩ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨

٥٩٠ ، ٥٨٨

الترجس

٥٨٨ ، ٣٩٣ ، ٢٧٤ ، ٢٣٩ ، ٩٧ ، ٨٤

النسرين - ورود

٢٨٥	النشاء (حنطة)
٥٨٠	نشابا
٤٢٠ ، ٢٨٩ ، ١٩٦ ، ١١٣ ، ١٠١ ، ٩٣	النعنع
٥٨٩	النعنع البري
٥٨٩	النعنع البستاني
٥٨٩	النفل
٥٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٣٨ ، ١٣٧	النمّام (نوع من أنواع الرياحين)
١٩٦	النونفر
٤٢١ ، ٢٩٦	النيل (حبق العجب)
٥٨٩ ، ٢٨٩ ، ٢٣٨ ، ١٣٧	النيلوفر (نوع من أنواع الرياحين)
٤١٧	النيلوفر (حب العروس)

- ه -

٧١	هايسمونا
٦٧	هذرتايا (نبات ينبت على نهر الأردن عرقه صلب ولونه أغبر)
٢٩٢ ، ٢٨٨ ، ٢٣٥ ، ١٩٦ ، ١٠١ ، ٩٥	الهليون
٥٨٨ ، ٤٢٤ ، ٤١١ ، ٢٩٧	
٥٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٣٥ ، ١٩٦ ، ١٤١ ، ٩٥	الهندباء

- و -

٥٩٠	الوتيرة
٣٩١ ، ٣٠١ ، ١٣٧ ، ٨٣	الورد
٥٩٠ ، ١٣٦	الورد الجوري
٤١٧	ورد الحمار (البهار)
٥٩٠	الورد القحابي

١١٤	ورق القرع
١١٤	ورق الكرم
١٤٣	الورد النصيبي

- ي -

٢٧٤ ، ٢٣٨ ، ١٩٦ ، ١٣٧ ، ٩٧ ، ٨٤	الياسمين
٥٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٤	
٣٩٦	الياسمين الابيض
٣٩٦	الياسمين الاصفر
٥٩٠	الياسمين البحري البصلي
٣٧٦	اليانسون
٨٥	اليبروج
١١٣	اليبروج الرطب
٨٥	اليتوعات
٥٧٢ ، ٣٧٥ ، ٢٣٥	اليقطين
٤٠٧	اليقطين (القرع)
٥٨٤	يوسف أفندي

المؤتمرات الدولية التي عقدتها لجنة تاريخ بلاد الشام والمنشورات الصادرة عنها وعن مركز الوثائق والمخطوطات

- أولاً: المؤتمرات الدولية خلال السنوات من ١٩٧٤ - ٢٠١٢ م.
- وفيما يأتي عنوان كل مؤتمر ومكان انعقاده وتاريخه .
- الأول : بعنوان : بلاد الشام من القرن السادس الميلادي إلى القرن السابع عشر
الميلادي ، عقد في الجامعة الأردنية ، ١٩٧٤ م .
- الثاني : بعنوان : تاريخ بلاد الشام ١٥١٦ - ١٩٣٩ م ، عقد في جامعة دمشق ،
١٩٧٨ م .
- الثالث : بعنوان : تاريخ فلسطين من أقدم العصور حتى عام ١٩٨٠ م ، عقد في
الجامعة الأردنية ، ١٩٨٠ م .
- الرابع : بعنوان بلاد الشام من مطلع العهد البيزنطي إلى أواخر العهد الأموي
وخصص له ثلاث ندوات :
الأولى - بعنوان بلاد الشام في العهد البيزنطي ، عقدت في الجامعة
الأردنية ، ١٩٨٣ م .
الثانية - بعنوان بلاد الشام في صدر الإسلام ، عقدت في الجامعة
الأردنية ، ١٩٨٥ م .
الثالثة - بعنوان بلاد الشام في العهد الأموي ، عقدت في الجامعة
الأردنية ، ١٩٨٧ م .
- الخامس : بعنوان : بلاد الشام في العصر العباسي ، عقد في الجامعة الأردنية ،
١٩٩٠ م .
- السادس : بعنوان : تاريخ بلاد الشام منذ بدايات العصر السلجوقي حتى نهاية
العصر المملوكي ، عقد في جامعة دمشق ، ٢٠٠١ م .
- السابع : بعنوان : الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية
القرن العشرين ، عقد في الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٦ م .

الثامن : بعنوان : المعارف بين القرن الأول والخامس الهجريين / السابع والحادي عشر الميلاديين ، عقد في جامعة دمشق ، ٢٠٠٩ م .
التاسع : بعنوان : الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني ، عقد في الجامعة الأردنية ، ٢٠١٢ م .

ثانياً: منشورات المؤتمرات الدولية التي أصدرتها لجنة تاريخ بلاد الشام
١٩٧٤- ٢٠١٣ م.

* بحوث المؤتمر الدولي الأول

تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر الميلادي (٢٥٠ صفحة) هيئة التحرير ، عبد الكريم غرايبة ، عبد العزيز الدوري ، عمر المدني ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

* بحوث المؤتمر الدولي الثاني

١- تاريخ بلاد الشام ، ٩٢٢ - ١٣٥٨ هـ / ١٥١٦ - ١٩٣٩ م الجزء الأول (٤٨٧ صفحة) ، تحرير اللجنة التحضيرية ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، د . ت .
٢- تاريخ بلاد الشام ، ٩٢٢ - ١٣٥٨ هـ / ١٥١٦ - ١٩٣٩ م الجزء الثاني (٦٩٥ صفحة) ، تحرير اللجنة التحضيرية ، كلية الآداب ، جامعة دمشق ، دمشق ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩ م .

* بحوث المؤتمر الدولي الثالث

البحوث باللغة العربية

المجلد الأول - تاريخ بلاد الشام ، فلسطين ، القدس ، (٣٤٤ صفحة) ، ط ١ ،
الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣ م .
المجلد الثاني - تاريخ بلاد الشام ، فلسطين ، جغرافية فلسطين وحضارتها ،
(٥٩٤ صفحة) ، الطبعة الأولى ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣ م .

المجلد الثالث- تاريخ بلاد الشام ، فلسطين ، تاريخ فلسطين ، (٨٤٢ صفحة) ، ط ١ الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣ م .

البحوث باللغة الانجليزية

الجزء الأول - تاريخ بلاد الشام ، القدس ، (١٨٣ صفحة) ، ط ١ ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٣ م .

الجزء الثاني - تاريخ بلاد الشام ، جغرافية فلسطين وحضارتها، (215 صفحة) ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٤ م .

الجزء الثالث - تاريخ بلاد الشام ، تاريخ فلسطين ، (١٢٨ صفحة) ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٤ م .

❖ بحوث المؤتمر الدولي الرابع

أ - بحوث الندوة الأولى

بلاد الشام في العهد البيزنطي ، (٢٥٣ صفحة) ، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد عصفور ، الطبعة الأولى ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٦ م ، الطبعة الثانية ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩١ م .

ب - بحوث الندوة الثانية

المجلد الأول ، بلاد الشام في صدر الإسلام ، (٢١٧ صفحة) ، القسم الانجليزي والفرنسي ، تحرير محمد عدنان البخيت ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ م .

المجلد الثاني ، بلاد الشام في صدر الإسلام ، (٦٣٥ صفحة) ، تحرير محمد عدنان البخيت وإحسان عباس ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ م .

المجلد الثالث ، بلاد الشام في صدر الإسلام ، (٤٦٨ صفحة) ، تحرير محمد عدنان البخيت ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ م .

ج - بحوث الندوة الثالثة

المجلد الأول ، بلاد الشام في العهد الأموي ، (٦٢٨ صفحة) ، القسم العربي ، تحرير محمد عدنان البخيت ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ م .
المجلد الثاني ، بلاد الشام في العهد الأموي ، (٢٧٧ صفحة) ، القسم الإنجليزي ، تحرير محمد عدنان البخيت وروبرت شيك (Robert Schick) ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ م .
المجلد الثالث ، بلاد الشام في العصر الأموي ، (١٧٦ صفحة باللغة العربية) و(٥٣ صفحة باللغة الإنجليزية) ، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٠ م .

* بحوث المؤتمر الدولي الخامس

المجلد الأول ، بلاد الشام في العصر العباسي ، (٢٨٠ صفحة باللغات الأجنبية) ، القسم الإنجليزي والفرنسي ، تحرير محمد عدنان البخيت وروبرت شيك (Robert Schick) ، الجامعة الأردنية ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
المجلد الثاني ، بلاد الشام في العصر العباسي ، (٦٤٤ صفحة) ، القسم العربي ، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد يونس العبادي ، الجامعة الأردنية ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

* بحوث المؤتمر الدولي السادس

تاريخ بلاد الشام منذ بدايات العصر السلجوقي حتى نهاية العصر المملوكي القرن الخامس - القرن التاسع الهجري ، الموافق القرن الحادي عشر - القرن الخامس عشر الميلادي ، (٧٧١ صفحة) ، تحرير اللجنة العلمية للمؤتمر ، جامعة دمشق ، د . ت .

* بحوث المؤتمر الدولي السابع

المجلد الأول - الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، الأردن، (٣٧٣ صفحة)، تحرير محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م .

المجلد الثاني - القسم الأول، الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، سورية، (٤٥٠ صفحة)، تحرير محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٩ م .

المجلد الثاني - القسم الثاني، الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، (٩٦٥ صفحة)، تحرير محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م .

المجلد الثالث - الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، فلسطين، (٨٠١ صفحة)، تحرير محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م .

المجلد الرابع - الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين، لبنان، (٥٥٦ صفحة)، تحرير محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م .

* بحوث المؤتمر الدولي الثامن

المعارف بين القرنين الأول والخامس الهجريين السابع والحادي عشر الميلاديين .

* بحوث المؤتمر الدولي التاسع

الزراعة في بلاد الشام منذ أواخر العهد البيزنطي إلى نهاية العهد العثماني .

قيد الطباعة في أربعة مجلدات (أجزاء)

ثالثاً: منشورات مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام
١٩٨٤ - ٢٠١٣ م.

- ١- كشاف إحصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية في بلاد الشام ، (٢٩٣ صفحة) ، إعداد محمد عدنان البخيت ، وآخرين ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٤ م .
- ٢- فهرس المخطوطات العربية المصورة - الجزء الأول ، (٢٢٥ صفحة) ، إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ م .
- ٣- فهرس المخطوطات العربية المصورة ، الجزء الثاني ، (٢١٤ صفحة) ، إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود و فالح صالح فالح حسين ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ م .
- ٤- فهرس المخطوطات العربية المصورة ، الجزء الثالث ، (٢٤٦ صفحة) ، إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود وفالح صالح حسين ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٥ م .
- ٥- الأرشيف العثماني ، (صفحة ٥٢١) ، إعداد نجاتي أقطاش ، عصمت بينارق ، ترجمة سعداوي صالح ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٦ م .
- ٦- الكشاف التحليلي لبحوث المؤتمرات الدولية لتاريخ بلاد الشام ، الأول - الرابع ، ١٩٧٤ - ١٩٨٧ م ، (٢٤٠ صفحة) ، إشراف محمد عدنان البخيت ، إعداد محمد تيسير درويش وعدّول سلامة البخيت ، الطبعة الأولى ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٠ م .
- ٧- الفهرس المفصل للمخطوطات الفلسفية المصورة في مركز الوثائق والمخطوطات ، (٨٤ صفحة) ، إعداد خالد سعيد سلام ، خالد أحمد غرايبة ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩١ م .
- ٨- القدس الشريف وثائقها وسجلاتها ومخطوطاتها المصورة في مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية (١٥٢٩-١٩٨٤) ، (٥٤ صفحة) ، إعداد محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا السوارية ، أحمد عبد القادر خريسات ،

- الجامعة الأردنية ، ١٩٩١ م .
- ٩- وثائق اللجنة القومية العربية بنابلس ١٩٤٧-١٩٤٩ م ، الجزء الأول ، (٣٢١ صفحة) ، إعداد بهجت حسين صبري ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩١ م .
- ١٠- جنوب بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ - ٣٥٧ هـ / ٧٥٠ - ٩٦٩ م (١٣٤ صفحة) ، تأليف شاكر مصطفى ، تحرير محمد عدنان البخيت ومحمد يونس مرزوق ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ م
- ١١- تاريخ بلاد الشام في العصر العباسي ١٣٢ - ٢٥٥ هـ / ٧٥٠ - ٨٧٠ م ، (٢٤٣ صفحة) ، تأليف إحسان عباس ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ م .
- ١٢- ميزانية الجامع الأموي لسنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ، (١٤٤ صفحة) ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ م .
- ١٣- بحوث في تاريخ بلاد الشام في العصر العثماني ، (٢٢٠ صفحة) ، إعداد نوفان الحمود ، زياد المدني ، جورج طريف ، زهير غنام ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ م .
- ١٤- معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب ، (٥٥١ صفحة) ، تأليف أبو الوفا بن عمر بن عبد الوهاب العرضي ، تحقيق عيسى أبو سليم ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ م .
- ١٥- فهرس مخطوطات مكتبة آل القمحاوي بنابلس ، (١٦١ صفحة) ، إعداد محمود علي عطا الله ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ م .
- ١٦- التطور السياسي لشرق الأردن في عهد الإمارة ، (٣٧٢ صفحة) ، إعداد ميسون منصور عبيدات ، الجامعة الأردنية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ١٧- نيابة طرابلس في العصر المملوكي ، (٢٥٥ صفحة) ، إعداد سليمان عبد العبد الله الخرابشة ، مطبعة جامعة اليرموك ، اربد ١٩٩٣ م .
- ١٨- قضاء الخليل ، (٦٠٨ صفحة) ، إعداد أمين مسعود أبو بكر ، الجامعة الأردنية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- ١٩- قضاء عجلون ، إعداد عليان عبد الفتاح الجالودي ، الجامعة الأردنية ،

١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

٢٠- تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك ، (٤٠٠ صفحة) ، إعداد إحسان عباس ، الجامعة الأردنية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٢١- تاريخ بلاد الشام في عهد الأتابكة والأيوبيين ، (٣٥٩ صفحة) ، إعداد إحسان عباس ط٢ ، الجامعة الأردنية ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٢٢- تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي ، (١٦٨ صفحة) ، (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م) ، طبعة ثانية ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٩م .

٢٣- المؤسسات الصحية العثمانية الحديثة في سورية / المستشفيات وكلية طب الشام ، (١٩٩ صفحة) ، إعداد اكمال الدين احسان اوغلي ، الجامعة الأردنية ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

٢٤- التشريع الضريبي عند العثمانيين ، (١١٤ صفحة) ، تأليف أحمد آق كوندوز ، ترجمة فاضل بيات ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٤م .

٢٥- دليل مواقع المدن والقرى في الأردن ، (٧٧ صفحة) ، إعداد يوسف عبيد ، الجامعة الأردنية ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٢٦- بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة ، (٤٢٠ صفحة) ، الجزء الأول ، ٩٥١هـ / ١٥٤٤م - ٩٧٣هـ / ١٥٦٦ ، إعداد وترجمة فاضل بيات ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٥م .

٢٧- بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفاتر المهمة ، (٣٥٣ صفحة) ، الجزء الثاني ، ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م - ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م ، الجامعة الأردنية ، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦م .

٢٨- سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٨- فهارس تحليلية ، (٤٣٥ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٦م .

٢٩- سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٩- فهارس تحليلية ، (٣٣٣ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد

- المهتدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٧ م .
- ٣٠- سجل محكمة القدس الشرعية رقم ٣٨٧- فهارس تحليلية ، (١٤٨ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت، إعداد عبلة سعيد المهتدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٧ م .
- ٣١- الأردن وأقطار العالم العربي في المناهج التعليمية الإسرائيلية ، (١٥٠ صفحة) ، دراسة وإعداد سمير سمعان ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٧ م .
- ٣٢- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١) - فهارس تحليلية ، القسم الأول، (٨٦٢ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهتدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٨ م .
- ٣٣- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١) - فهارس تحليلية ، القسم الثاني جزءان ، (١١٣٥ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهتدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠٠٩ م .

34- Muhammad Adnan Bakhit, Studies in the History of Bilad al-Sham in the Sixteenth Century introduced and co - edited by Thaeer T . al- Kadi University of Jordan , 2009

35- Palestinian Life, Customs and Practices, German Articles from the Late 19th and Early 20 Centuries by Frederick Klein Paul kahle, Hans Spoer, Richard Hartmann, Julius Boehmer, Translated by Robert Schick ,University of Jordan 1431 A.H .2010

٣٦- دليل مواقع المدن والقرى والقبائل البدوية في فلسطين ، (٥٧ صفحة) ، إعداد يوسف عبيد ، الجامعة الأردنية ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م .

٣٧- بيليوغرافية بلاد الشام (باللغة العربية) ، الطبعة الثانية، (٤٠٩ صفحة) ، إشراف كامل جميل العسلي ، إعداد علي سامي علي ، ربحي مصطفى عليان ، هاينة جار الله ، فالح حسين ، نسيم برهم ، الطبعة الثانية ، الجامعة الأردنية ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م .

٣٨- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (١) - فهارس تحليلية ، القسم الثالث ، جزءان (١١٤٠ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١٠ م .

٣٩- الكشاف التحليلي للمؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام المؤتمر الأول - الرابع ١٩٧٤ - ١٩٨٧ م ، (٢٤٠ صفحة) ، إشراف محمد عدنان البخيت ، إعداد محمد تيسير درويش ، عدول سلامة البخيت ، الطبعة الثانية ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١١ م .

٤٠- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (أ١) - فهارس تحليلية ، القسم الأول ، جزءان ، (٩٤٧ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١١ م .

٤١- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (أ١) - فهارس تحليلية ، القسم الثاني ، جزءان ، (٧٨٥ صفحة) ، إشراف وتقديم محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١٢ م .

٤٢- سجل محكمة القدس الشرعية رقم (أ١) - فهارس تحليلية ، القسم الثالث ، جزءان ، (٩٣٠ صفحة) ، إشراف وتقديم : محمد عدنان البخيت ، إعداد عبلة سعيد المهدي ، الجامعة الأردنية ، ٢٠١٣ م .

للحصول على مطبوعات مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام
يرجى الاتصال على العنوان التالي :
مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام
الجامعة الأردنية
هاتف : ٥٣٥٥٠٠٠
فرعي : ٢١٠٦٦ أو ٢١٠٦٥
E-mail:hbc@ju.edu.jo



Agriculture in Bilād al-Shām From the Late Byzantine Times to the End of the Ottoman Period



The 9 International Conference on the History of Bilād al-Shām

10 - 14 Jumada I 1433 A.H / 1-5 April 2012

Vol. I

Agriculture in Bilād al-Shām as Reflected in Primary Source Material

Edited by

Muhammad Adnan Bakhit

Husain Muhammad al-Kahawati

Publications of Center For Documents, Manuscripts and
Bilād al-Shām Studies - The University of Jordan
Amman 1434 A.H / 2013